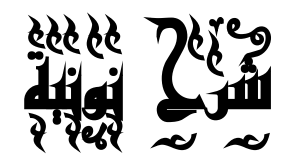
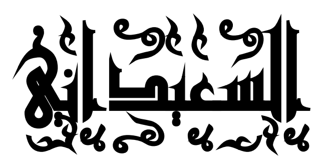
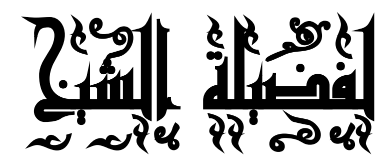
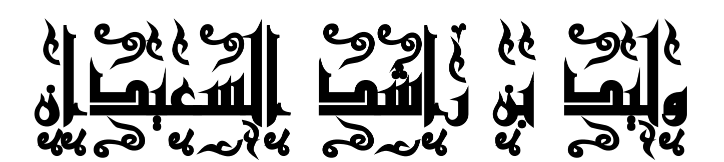

شرح نونية


السعيداني


لفضيلة الشيخ


وليد بن راشد السعيدان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،، ثم أما بعد :ـ فإن هذه القصيدة قد كتبناها قبل ثلاثة عشر عاما ، وانتشرت بين الطلاب ولله الحمد والمنة ، وقد كانت رغبة الإخوان أن أشرحها ببعض التعليقات عليها ، ولكن كانت الصوارف الكتابية عندي كثيرة ، وتحول بيني وبين تنفيذ ما يرجونه من شرحها ، وبعد هذه السنوات المتطاولة ، وكثرة الإلحاح في طلب وضع شرح عليها ، أحببت أن أتفرغ لتقييد بعض الكلام عليها ، لأن صاحب البيت أدرى بما فيه ، وقد فرغت نفسي لها التفريغ الكامل ، وقسمت الشرح فيها إلى قسمين ، القسم الأول :ـ من أول أبياتها إلى قوله (لا تقرنن مشيئة الهادي إلى سبل الهدى بمشيئة الإنسان) والقسم الثاني يبدأ من الكلام على الأسماء والصفات إلى آخرها ، ورأيت أن الكتابة المجردة إن لم يكن ما يدفعها فالانقطاع قد يعترضها ، فألزمت نفسي بشرحها في دورة في محافظة السليل ، وتكون الدورة على مرحلتين ، كل مرحلة نشرح فيها قسما من النونية ، وقد تحقق لي ولله الحمد ما أردته من شرحها كاملا ، لهذا السبب ، فالله تعالى أسأل أن ينفع بها وأن يبارك فيها ، وأن يحببها للقلوب ، وأن يفتح فيها الأفهام ، وأن يجعلها عملا صالحا متقبلا نافعا مبرورا ، لا حظ في نية تألفيه لأحد ، وأن يروقنا الإخلاص والقبول ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وأسأله جل وعلا أن يرفع نزل العلماء وأن يبارك في جهودهم وأن يوفقنا وإياهم لكل خير ، وأن يغفر لأمواتهم ويثبت أحياءهم ،وأن يجزيهم عنا وعن الإسلام وأهل الإسلام خير الجزاء وأعظم الجزاء ، آمين ، وأسميت هذا التعليق بـ (التعليق الواضح على النظم في معتقد السلف الصالح) وإلى المقصود حتى لا نطيل ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم * قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

يا طالبا سنن الهدى بتساؤل   يا من تريد الحق بالبرهان

يا من تريد عقيدة السلف التي   قد أيدت بدلائل القرآن

هذا جوابي عن سؤالك يا فتى   فاجن الثمار براحة وأمان

أقول :ـ هذه الأبيات فيها عدة فروع :ـ

الفرع الأول : اعلم رحمك الله تعالى أنني ألفت هذه القصيدة في محافظة يدمة نجران إذ كنت مدرسا في المعهد العلمي فيها ، وهي أول سنة في التعليم النظامي ، وقد كنت حريصا على شرح كتب العقيدة ، فشرحنا جملا من كتب الاعتقاد ، وكنت كلما بينت جملا من العقيدة أيدتها بما يشهد لها من بعض المنظومات العلمية ، وسكان هذه المنطقة من البدو ، ويهوون الشعر هواية كبيرة ، وكانوا يسألون عن تلك المنظومات التي يسمعونها في ثنايا الشرح ، فقلت في نفسي :ـ ولماذا لا أشارك أهل العلم في نظم العقيدة ، فإن الإيثار بالقرب مكروه كما تقرر عند أهل العلم ، فبدأت في نظم هذه القصيدة ، فأكملتها في عدة أيام ولله الحمد والمنة ، وهذا يفيدك أن السبب في نظمها هو إجابة سؤال السائل عن نظم في العقيدة ، ولذلك قلت فيها (يا طالبا) وأنا في هذا أخاطب من سألني ، وأنت خبير بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، أي أن خطابي هذا ليس لعين من سألني فقط ، بل أنا أردت به العموم لكل مسلم يريد التعرف على (سنن الهدى) وهي طرق الهدى ، وأقصد بها تلك العقائد المقررة عند أهل السنة والجماعة ، رحمهم الله تعالى ، (بتساؤل) أي أنه طلب مني هذا النظم في العقيدة عن طريق السؤال ، فهو سألني نظم العقيدة وأنا بفضل الله تعالى قد أجبته ، وأنت خبير بأن من يسأل عن العلم فالواجب على العالم إجابته ، ولا يجوز للعالم كتم العلم ، فإن من كتم علما ألجمه الله تعالى بلجام من نار (١)، كما في الحديث.

---

١) صحيح بمجموع طرقه وشواهده:

روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة منهم : أولا: حديث أبي هريرة ﵁.

أخرجه أحمد في مسنده (٧٥٧١، ٨٠٤٩، ٨٥٣٣، ٨٦٣٨، ١٠٤٢٠) وأبي داود في سننه كتاب العلم باب كراهية منع العلم (٣٦٥٨) والترمذي في سننه أبواب العلم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في كتمان العلم (٢٦٤٩) وابن ماجة في سننه في المقدمة باب من سئل عن علم فكتمه (٢٦١) وأبي داود الطيالسي في مسنده (٢٦٥٧) وأبي يعلى في مسنده (٦٣٨٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٤٥٣) وابن حبان في صحيحه (٩٥) والقضاعي في مسند الشهاب (٤٣٢) والبيهقي في شعب الإيمان (١٦١٢) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٣،٤،٥،٦).

كلهم من طرق عن حماد بن سلمة وعمارة بن زاذان عن علي بن الحكم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة ﵁ مرفوعا به.

وهذا إسناد ظاهره الحسن، فعلي بن الحكم هو البناني "صدوق".

وأخرجه أحمد (٧٩٤٣، ١٠٤٨٧، ١٠٥٩٧) من طريق الحجاج بن أرطاة، عن عطاء عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف، الحجاج بن أرطاة "ضعيف".

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٢٩٠) الطبراني في المعجم (١٦٠) من طريق مُحَمَّد بن خليد الحنفي عن حماد بن يحيى، عن كثير بن شنظير، عن عطاء بن أبي رباح، أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف جدا، مُحَمَّد بن خليد الحنفي "منكر الحديث".

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٣٢٢) والطبراني في المعجم الصغير (٣١٥) من طريق مُحَمَّد بن أبي السري قال: نا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف، مُحَمَّد بن أبي السري "ضعيف".

وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٧٤) من طريق عبد الوهاب بن همام أخو عبد الرزاق عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة ﷺ به.

وهذا إسناد ضعيف، عبد الوهاب بن همام أخو عبد الرزاق (ضعيف).

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٥٢٩) والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى (٥٧٤) والبغوي في شرح السنة (١٤٠) من طريق موسى بن مسعود النهدى عن إبراهيم بن طهمان، عن سماك بن حرب، عن عطاء، أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف، موسى بن مسعود النهدي "متكلم فيه وهو إلى الضعف أقرب".

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٥٣٢) من طريق إسماعيل عن أبي الأحوص، عن ليث، عن عطاء، أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف، إسماعيل بن عمرو بن نجيح البجلي "ضعيف"، وليث هو ابن أبي سليم "متكلم فيه وهو إلى الضعف أقرب".

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٨١٥) من طريق جابر الجعفي(ضعيف)، عن الشعبي، عن عطاء بن أبي رباح، أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٤٥٢) من طريق صدقة بن موسى(ضعيف)، عن مالك بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح، أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٤٤) والبيهقي في شعب الإيمان (١٦١٣) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثني مُحَمَّد بن ثور، ثنا ابن جريج، قال: جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدثه، فقلنا له تحدث هذا وهو عراقي؟ قال: لأني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ.

وأخرجه والحاكم في مستدركه (٣٤٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١) من طريق عبد الوارث بن سعيد، عن علي بن الحكم، عن رجل، عن عطاء، أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وأخرجه الشاموخي في أحاديثه (١/ ٥٢) من طريق صغدي بن سنان حدثنا ابن جريج عن عطاء أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وأخرجه تمام في فوائده (١٥٥٧) من طريق أبو إسماعيل الأبلي(ضعيف)، ثنا سعيد بن راشد، ومعاوية بن عبد الكريم، والعلاء بن خالد الدارمي، قالوا: ثنا عطاء، قال: سمعت أبا هريرة.

وأخرجه ماجة (٢٦٦) وابن المقرئ في معجمه (٢٢٨) والضعفاء الكبير للعقيلي (١/ ٧٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم الكرابيسي(ضعيف)، عن ابن عون، عن مُحَمَّد بن سيرين، أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥١) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٤٥٤) وزهير بن حرب في العلم (١٤٢) والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى (٥٧٢). موقوفا.

وقد أعل بالوقف على إبي هريرة، وقال الحاكم: هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تجمع ويذاكر بها، وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ذاكرت شيخنا أبا علي الحافظ بهذا الباب ثم سألته هل يصح شيء من هذه الأسانيد، عن عطاء، فقال: لا، قلت: لم؟ قال: لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة ". (المستدرك ١/١٨١) والله أعلم.

ثانيا: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٩) وابن حبان في صحيحه (٩٦) والطبراني في المعجم الكبير (٣٣) وفي الأوسط له (٥٠٢٧) والحاكم في المستدرك (٣٤٦) والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى (٥٧٥). كلهم من طرق عن عبد الله بن وهب عن عبد الله بن عياش بن عباس، عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف، فيه عبد الله بن عياش بن عباس "ضعيف" ضعفه النسائي وأبي داود وقال أبو حاتم : ليس بالمتين ، صدوق ، يكتب حديثه ، و هو قريب من ابن لهيعة، وقال ابن يونس: منكر الحديث.

ثالثا: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

أخرجه ابن ماجة في سننه (٢٦٥) من طريق مُحَمَّد بن داب، عن صفوان بن سليم، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف جدا فيه مُحَمَّد بن داب قال أبو زرعة فيه : ضعيف الحديث، كان يكذب.

رابعا: حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠١٩٧) وفي المعجم الأوسط له (٥٥٤٠) والعقيلي في الضعفاء الكبير (١٥٩/٤) من طريق موسى بن عمير، عن الحكم بن عتيبة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف جدا، موسى بن عمير هو القرشى مولاهم، أبو هارون الكوفى الأعمى "متروك الحديث".

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٨٩) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩) من طريق سوار بن مصعب، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف جدا أيضا، سوار بن مصعب "متروك الحديث".

خامسا: حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٤٢٦) من طريق عسل بن سفيان عن عطاء عن جابر ﷺ به.

وهذا إسناد ضعيف جدا عسل بن سفيان "منكر الحديث".

و أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٨٦) من مُحَمَّد بن سعيد القرشي ، نا حماد بن سلمة ، عن علي بن الحكم ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن جابر بن عبد الله ﷺ به.

وهذا فيه مُحَمَّد بن سعيد القرشي أغلب ظني أنه المصلوب "كذاب"، وإلا فلا أدري من هو.

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان (١/ ٣٥٠) من طريق مفضل بن صالح، عن مطر الوراق، عن عطاء، عن جابر ﷺ به.

وهذا إسناد ضعيف جدا مفضل بن صالح "منكر الحديث"، ومطر الوراق ضعيف، وقد ضعفه الإمام أحمد في عطاء خاصه.

سادسا: حديث عبد الله بن عباس ﷺ.

أخرجه أبي يعلى في مسنده (٢٥٨٥) والسمرقندي في الفوائد المنتقاة الحسان العوالي (٤١) والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٥٨٤) من طريق عبد الأعلى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ به.

عبد الأعلى هو ابن عامر الثعلبي (ضعيف وقال أبو أحمد بن عدى: قد حدث عنه الثقات، ويحدث عن سعيد بن جبير، وابن الحنفية، وأبى عبد الرحمن السلمى، وغيرهم، بأشياء لا يتابع عليها).

و أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١٣١٠) والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٧١٨) أبو النضر الأكفاني، نا سفيان الثوري، عن جابر، يعني الجعفي عن عطاء، عن ابن عباس ﷺ به.

وهذا إسناد ضعيف جدا، جابر الجعفي "متهم بالكذب".

سابعا: حديث أنس بن مالك ﷺ.

أخرجه ابن ماجة في سننه (٢٦٤) والعقيلي في الضعفاء الكبير (١٦٨/٣) و(٤٤٩/٤) من طريق عمر بن سليم عن يوسف بن إبراهيم عن أنس بن مالك ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف جدا، يوسف بن إبراهيم هو أبو شيبة الجوهري "منكر الحديث".

وأبي نعيم في حلية الأولياء (٣٥٤/٢) وأبو بكر الإسماعيلي في المعجم لشيوخ أبي بكر الإسماعيلي (٤٧٠/١) من طريق مُحَمَّد بن سهل العطار عن القاسم بن مُحَمَّد عن يحيى بن سليمان الجعفي عن يحيى بن سليم الطائفي، عن عمران بن مسلم، عن مُحَمَّد بن واسع، عن أنس بن مالك ﷺ.

مُحَمَّد بن سهل العطار "منكر الحديث".

وفي تاريخ أصبهان له (١٥١/١) من طريق عبد الرحمن بن القطامي، ثنا علي بن زيد بن جدعان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وهذا إسناد ضعيف جدا، عبد الرحمن بن القطامي "إتهمه الفلاس" وعلي بن زيد بن جدعان "ضعيف".

ثامنا: حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٩٢١) من طريق حسان بن سياه عن الحسن بن ذكوان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

هذا إسناد ضعيف جدا، حسان بن سياه "منكر الحديث" والحسن بن ذكوان "ضعيف".

ولأن كتم العلم من صفات الكفرة من أهل الكتاب ، كما قال تعالى{وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون} فمن أراد التعلم فالواجب علينا أن نعلمه بالطريقة التي تكفل بإذن الله تعالى وصول المعلومة له بالطريق الصحيح ، (يا من تريد الحق بالبرهان) ناديته مرة أخرى ، ليكون هذا أشد لجذب انتباه الطالب ، فإن النداء بعد النداء مشعر بأهمية ما سيقال ، وكفيل بجذب الانتباه ، والمراد بالحق هنا :ـ أي العقيدة التي وردت بإثباتها الأدلة من الكتاب والسنة ، فإن عقيدة سلف الأمة حق لأنها متفقة كل الاتفاق مع الكتاب والسنة ، ومن المعلوم أن ما وافق الحق فهو حق ، والمراد بالبرهان :ـ أي الدليل والحجة القاطعة البينة ، ثم ناديته مرة ثالثة فقلت (يا من تريد عقيدة السلف التي قد أيدت بدلائل القرآن) وهذا بيان لحقيقة المراد من هذه القصيدة وبيان لموضوعها ، وهو أنها لتقرير العقائد المنقولة عن أهل السنة رحمهم الله تعالى ، وهذا من أعظم ما يكون من النظم ، فإن الله تعالى قد من علي بقريحة شعرية ، وهي نعمة عظيمة فما أحببت في الحقيقة أن أبتذل هذه القريحة في مدح زيد ولا عبيد ولا في هجاء مسلم ولا في الكلام على قضايا تافهة لا تقدم ولا تؤخر ، بل أحببت من كمال شكر الله تعالى على هذه النعمة أن أسخرها في نصر الحق وبيان ما يجب بيانه من العلم ، وقد وفق الله تعالى وأعانني على هذا أتم المعونة ولله الحمد والمنة .وقوله (قد أيدت بدلائل القرآن) أي والسنة ، فلا تجد عقيدة قررها أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى إلا وقد توفرت الأدلة على إثباتها من الكتاب والسنة ، فمذهب أهل السنة في العقيدة لا يمكن أبدا أن يخرج عن مقتضى دلالة الكتاب والسنة .(هذا) أي

قلت وله طرق أخرى عن بعض الصحابة كلها أيضا لا تخلوا من مقال، إلا أن الحديث يصحح بالمجموع والله تعالى أعلى أعلم.

فائدة: قيل: معنى الحديث: كما أنه ألجم لسانه عن قول الحق، وإظهار العلم يعاقب في الآخرة بلجام من نار.

وقال أبو سليمان الخطابي: هذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه، ويتعين فرضه عليه، كمن رأى كافرا يريد الإسلام، يقول: علموني، ما الإسلام؟ وكمن يرى رجلا حديث عهد بالإسلام، لا يحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتيا في حلال أو حرام، يقول: أفتوني.

وأرشدوني. فإنه يلزم في هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب، فمن فعل كان آثما مستحقا للوعيد، وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها، والله أعلم. (شرح السنة للبغوي ١/ ٣٠٢).

المذكور في هذه القصيدة (جوابي عن سؤالك) الذي سألتني عنه ، وهو أن أدلك على قصيدة في بيان معتقد السلف الصالح ، (فاجن الثمار) أي اقرأ هذه القصية واحفظها واعتمد ما فيها فإنه متفق مع ما قرره أهل السنة والجماعة في كتب الاعتقاد، (براحة وأمان) فلا خوف إن شاء الله تعالى من فساد عقيدة فيها ، ولا خوف من وجود لبس فيها ، ولا خوف إن شاء الله تعالى على من اعتمد ما فيها من العقيدة ، والله الموفق والهادي .

الفرع الثاني :ـ واعلم رحمك الله تعالى أنني لما ألفتها حرصت على عرضها على أكبر عدد ممكن من أهل العلم الراسخين في العلم والمعرفة ، فقرأت جملة منها على سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى ، وكانت القراءة عليه في بيت صاحب المعالي الشيخ راشد بن خنين ، فقال الشيخ (هذه كنونية ابن القيم) يعني في النظم والوزن ، وقرأتها من أولها إلى باب ما جاء في قول (لو) على سماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله تعالى ، وذلك في جامع الديرة ، وقرأتها أيضا على فضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، كاملة ، فقال :ـ (هذا نظم حسن بسن) فسألته عن قوله (بسن) ما معناه ، فقال :ـ هي كقولك :ـحسن ، وزنا ومعنى ، ووكانت قراءتي عليه في بيته ، رحمه الله تعالى ، وقرأتها كاملة على فضيلة العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين رحمه الله تعالى ، وذلك في بيته ، وبعد أن فرغت منها قال لي :ـ بقي عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة ، وألحقته بها مباشرة ، وقرأتها كاملة على فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تعالى ، وقال :ـ حق هذه المنظومة أن تدرس في المراحل المتوسطة ، وقرأتها كاملة على فضيلة شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن عثمان الجاسر ، وقرأتها كاملة على فضيلة الشيخ عبدالكريم الخضير ، وذلك في الحرم المكي ، وقرأتها كاملة على فضيلة الشيخ ناصر بن عبدالكريم العقل ، وقرأتها كاملة على فضيلة الشيخ عبدالرحمن المحمود ، وعلى فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري وذلك في خيمته في الحج ، وقرأتها كاملة على فضيلة الشبح سعد الغنام ، والشيخ عبدالرحمن الجلال ، وحاولت أن أقرأها على فضيلة الشيخ صالح الفوزان والشيخ عبدالعزيز الراجحي ولكن لم يتيسر الأمر ، لتقصيري أنا وتفريطي ، فالعيب مني لا منهم ـ حاشا وكلا ـ والمقصر أنا لا هم ، عفا الله تعالى عنهم ، والمهم أنني

قرأتها على جملة من أهل العلم الراسخين في العلم ، وكلهم ولله الحمد استجادوها ومنهم من أمرني بتغيير بعض الألفاظ فيها ، وغيرت في حينها ، وهكذا ينبغي للطالب أن لا يعتد بعمله ولا يراه صالحا للنشر والتوزيع إلا بعد عرضه على أهل العلم ، والله أعلم .

* قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

فالزم سبيل الراشدين ولا تزغ   لا يخدعنك زخرف الشيطان

فهو السبيل إلى السعادة والهدى   وهو الطريق لجنة الرحمن

كن مثل ما كان الرسول وصحبه   والتابعون لهم مع الإحسان

فلقد أبان لنا الشريعة دونما   ريب ولا زيغ ولا نقصان

شهد الصحابة بالبلاغ شهادة   قد صدقت بشهادة الرحمن

واعضض على القرآن والسنن التي   ثبتت عن المعصوم من عدنان

لا لن تضل ولن تزيغ بنصه   فهي الهدى والنور للإنسان

أقول :ـ الكلام على هذه الأبيات في فروع :ـ

الفرع الأول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أنه لا نجاة للعبد في اعتقاده إلا باعتماد أصلين متلازمين لا بد منهما في دراسة العقيدة ، هما :ـ الأول :ـ أن لا يأخذ معتقده إلا من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ، والثاني :ـ أن لا يقحم عقله الضعيف في أمور الغيب إلا بدليل ، فإنه من اعتمد هذين الأصلين فإنه من أهل النجاة بإذن الله تعالى ، وإنه لا يحصل الخلل في أمر من أمور الاعتقاد إلا بانخرام أحد هذين الأصلين ، فكيف بها إن انخرمت كلها ، لا جرم أن الأمر سيكون أفظع وأفظع ، فالله الله أيها المبارك بهذا الطريق الذي حدده لنا من قبلنا من أهل النجاة ، فإنهم ما نجوا في أمور اعتقادهم إلا باعتماد هذين الأصلين الكبيرين .

الفرع الثاني :ـ فأما الأصل الأول فإنه قد دلت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة وكلام السلف رحمهم الله تعالى على إثباته ، فلا يجوز مطلقا أخذ مسائل الاعتقاد

إلا من الكتاب والسنة ، فأهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى لا يأخذون معتقداهم من غيرهما ، فلا يأخذونها من عقل ولا رأي مجرد ولا من قاعدة منطقية ولا خرافات أهل الكلام المذموم التافه الذي ما جر تعلمه على عقيدة الأمة إلا الويلات والبوار ، فالزم جادة السلف ، وكن معهم حيث كانوا ، وتكلم حيث تكلموا ، وقف حيث وقفوا ، تنجو وتسلم من التخبط في مهاوي الردى ، قال الله تبارك وتعالى{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)} [الأعراف ١٥٨]

وقال تعالى{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)} [آل عمران ٣٢]

وقال تعالى{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦)}[الأنعام ١٠٦]

وقال تعالى{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧)} [يونس ١٧]

وقال تعالى{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)} [الأنعام ٥٠]

وقال تعالى{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥)} [طه ١٢٥]

وقال تعالى{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)}[الأحقاف ٩]

وقال تعالى{وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)} [الأعراف ٢٠٣]

وأخبر الله تعالى أن في الضلال المبين إنما هو في اتباع الأهواء المضلة والأفكار المختلة والمذاهب المعتلة ، وأن فساد هذا الكون من أعظم أسبابه اتباع تلك الأهواء وترك الحق المقرر بالكتاب والسنة ، فقال تعالى{بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩)}[الروم ٢٩]

وقال تعالى{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)}[القصص ٥٠]

وقال تعالى{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦)}[الأنعام ٥٦]

وقال تعالى{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ

الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُون (٧٤)} [المؤمنون ٧٤] والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا ، فلا حق ولا هداية ولا راحة ولا خير ولا بر ولا نجاة إلا في اتباع الكتاب والسنة ، على فهم سلف الأمة ، ومن رام الهدى والخير والنور في غير الكتاب والسنة فلا والله العظيم ما له إلا الضلال والتيه والحيرة والخسارة والهلاك والشبه والتشكيك وتقطع القلب بالآهات تلو الآهات والحسرات تلو الحسرات ، فإن الله تعالى قد جعله وحيه نورا وهدى ، قال تعالى{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)}[الشورى ٥٣] وقال تعالى{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأنعام ١٢٢] وهو نور الهداية بالوحي ، وقال تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨)}[الحديد ٢٨]

الفرع الثالث :ـ وعلى ما دل عليه كتاب الله تعالى فقد دلت أحاديث السنة الصحيحة المتواترة ، فقد أمر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة باتباع الكتاب والسنة والعض عليهما وحذر التحير الكبير البليغ من مخالفتهما ، فعن مالك بن أنس - رحمه الله - : بَلَغَهُ ، أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال : «تَرَكْتُ فيكُمْ أَمْرَيْنِ لنْ تَضِلُّوا ما تَمسَّكْتُمْ بهما : كتابَ الله ، وسنّة رسولِهِ»(٢). أخرجه الموطأ،

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : قال : رأيتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - في حَجَّة الوَداع يوم عرفة ، وهو على ناقته القَصْواءِ ، يَخْطُبُ ، فَسَمِعْتُهُ يقول: «إِني تَركْتُ فيكم ما إنْ أَخذْتُم به لن تَضِلُّوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيْتي».(٣) أخرجه الترمذي. وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال :ـ

---

٢) ضعيف، رواه مالك بلاغا.

أخرجه مالك في الموطأ كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر رقم (٣)

٣) حسن، دون قوله "وعترتي أهل بيتي".

صلى بنا رسولُ الله - ﷺ - ذات يومٍ ، ثمّ أقبل علينا بوجهه ، فوعَظَنا موعِظةً بَليغةً ، ذَرَفتْ منها العيون ، ووَجِلت منها القلوبُ ، فقالَ رجل : يا رسولَ الله ، كأنَّ هذه موعظةُ مودِّعٍ ، فماذا تَعْهدُ إلينا ؟ قال : «أُوصيكم بتقْوى الله ، والسَّمعِ والطاعة ،- وإنْ عَبْدًا حبشيًّا ، فإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيَرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ الراشِدينَ المهديّينَ ، تمسكوا بها ، وعَضُّوا عليها بالنواجِذِ ، وإياكم ومُحدثاتِ الأمورِ ، فإنَّ كلَّ مُحدثَةٍ بدْعةٌ ، وكل بدْعَةٍ ضَلاَلَة».(٤)هذه رواية أبي داود،

أخرجه مسلم صحيحه كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (١٢١٨) وأبوداود في سننه كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ (١٩٠٥) وابن ماجة في سننه كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ (٣٠٧٤) والنسائي في السنن الكبرى كتاب المناسك الخطبة على الناقة بعرفة (٣٩٨٧) وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب فضائل القرآن باب في الوصية بالقرآن وقراءته (٣٠٠٧٧) وابن خزيمة في صحيحه كتاب المناسك باب ذكر البيان أن النبي – ﷺ – إنما خطب بعرفة راكبا لا نازلا بالأرض (٢٨٠٩) وأبو عوانة في مستخرجه (٣٤٦٢) وابن حبان في صحيحه كتاب الطهارة باب ذكر خبر ثالث يدل على أن من ترك الصلاة متعمدا إلى أن دخل وقت صلاة أخرى لا يكفر به كفرا يوجب دفنه في مقابر غير المسلمين لو مات قبل أن يصليها (١٤٥٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/٤٣٣). من طريق حاتم بن إسماعيل، عن جعفر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعا به. بدون قوله "وعترتي أهل بيتي".

وأخرجه الترمذي في سننه (٣٧٨٦) والطبراني في المعجم الكبير (٢٦٨٠) وفي المعجم الأوسط (٤٧٥٧) من طريق زيد بن الحسن الأنماطي، عن جعفر بن مُحَّد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعا به. بزيادة "وعترتي أهل بيتي".

وزيد بن الحسن الأنماطي قال أبو حاتم فيه "منكر الحديث". وقال ابن حجر في التقريب "ضعيف".

٤) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجة في سننه كتاب فضائل الصحابة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد في مسنده (١٧١٤٢، ١٧١٤٤، ١٧١٤٥) والدارمي في سننه في المقدمة، باب اتباع السنة (٩٦)، وابن حبان في صحيحه في المقدمة باب الاعتصام بالسنة، وما يتعلق بها نقلا وأمرا وزجرا و ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ (٦)، والبزار في مسنده (٤٢٠١)،وابن أبي عاصم في السنة باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين (٥٤، ٥٥، ٥٩) وفي باب في ذكر السمع والطاعة (١٠٣٧) والمروزي في السنة في باب ذكر السنة على كم تتصرف (٦٩، ٧٠، ٧٢) وابن وضاح في البدع باب كل محدثة بدعة (٧٣) والطحاوي في شرح مشكل الأثار باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في الزمان الذي يجب على الناس فيه الإقبال على خاصتهم وترك عامتهم (١١٨٥، ١١٨٦) والأجري في كتاب الشريعة باب الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ

وعن المقدام بن معد يكرب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ألا هلْ عَسَى رجلٌ يَبْلُغُهُ الحديثُ عنِّي ، هو مُتَّكئُ على أرِيكَتِهِ ، فيقول : بيننا وبينكم كتابُ الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللْناهُ ، وما وَجَدْنا فيه حرامًا حرَّمْنَاهُ ، وإن ما حرَّم رسولُ الله كما حَرَّمَ اللهُ»(٥) هذه رواية الترمذي.

وسنة أصحابه ﷺ وترك البدع وترك النظر والجدال فيما يخالف فيه الكتاب والسنة وقول الصحابة ﷺ (٨٦، ٨٨) والطبراني في المعجم الكبير (٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٤٢) وفي المعجم الأوسط له (٦٦) وفي مسند الشاميين له (٤٣٧، ٦٩٧، ٧٨٦، ١١٨٠، ١٣٧٩، ٢٠١٧) والحاكم في المستدرك (٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣) والبيهقي في المدخل للسنن باب أقاويل الصحابة ﷺ إذا تفرقوا فيها ويستدل به على معرفة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أكابر فقهاء الأمصار (٥٠، ٥١) وفي السنن الكبرى له، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ، فإنه غير جائز له أن يقلد أحدا من أهل دهره ، ولا أن يحكم أو يفتي بالاستحسان (٢٠٣٣٨) وفي شعب الإيمان له، فصل في فضل الجماعة والألفة وكراهية الاختلاف والفرقة وما جاء في إكرام السلطان وتوقيره (٧١٠٩، ٧١١٠) وفي دلائل النبوة له (٦/ ٥٤١)، وفي الإعتقاد له (١/ ٢٢٩)،وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢١٢) (١٠/ ١١٤) وفي معرفة الصحابة له (٥٥٥٤، ٥٥٥٥) ، والبغوي في شرح السنة كتاب الإيمان باب الاعتصام بالكتاب والسنة (١٠٢)، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/ ١١٧٤) وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٢٣، ١٢٤، ١٢٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (١٤٢).

٥) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٤) والترمذي في سننه كتاب العلم باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤) وابن ماجة في سننه فضائل الصحابة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه (١٢) وأحمد في مسنده (١٧١٧٤، ١٧١٩٣، ١٧١٩٤) والدارمي في سننه في مقدمة كتابه باب: السنة قاضية على كتاب الله تعالى (٦٠٦)، وابن حبان في صحيحه وفي مقدمة كتابه ذكر الخبر المصرح بأن: سنن المصطفى ﷺ كلها عن الله لا من تلقاء نفسه (١٢) ،وابن أبي شيبة في مسنده (٩٢٧) والدارقطني في سننه كتاب الأشربة وغيرها باب الصيد والذبائح والأطعمة وغير ذلك (٤٧٦٧، ٤٧٦٨) والمروزي في السنة (٢٤٤، ٢٤٥، ٤٠٣، ٤٠٤) والطحاوي في شرح معاني الأثار، كتاب الصيد والذبائح والأضاحي باب أكل لحوم الحمر الأهلية (٦٤١٠) والآجري في كتاب الشريعة (٩٧) والطبراني في المعجم الكبير (٦٦٩، ٦٧٠) ومسند الشاميين له (١٠٦١، ١٨٨١، ١٩٤٨) والحاكم في مستدركه (٣٧١) والبيهقي في السنن الكبير كتاب النكاح باب الدليل على أنه ﷺ لا يقتدى به فيما خص به ويقتدى به فيما سواه (١٣٤٤٢) وكتاب الضحايا باب ما جاء في أكل لحوم الحمر الأهلية (١٩٤٦٨، ١٩٤٦٩) وفي دلائل النبوة له (٥٤٩/٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله ﷺ والتحذير من طوائف يعارضون سنن رسول الله ﷺ بالقرآن (٦٢، ٦٣).

وروايةُ أبي داود : قال : قال رسول الله - ﷺ - : «ألا إني أوتيتُ هذا الكتاب ، ومثلَهُ معهُ ، ألا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعان على أريكته ، يقولُ : عليكم بِهذَا القُرآن ، فيما وَجدْتُم فيه من حلالٍ فأحِلُّوهُ ، وما وجدْتُم فيه من حرام فَحَرِّموهُ "(٦) وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إنَّ مَثَلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غَيْثٍ أصاب أرضًا ، فكانت منها طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَت الماءَ فأنْبَتت الكلأ والعُشْبَ الكثير ، وكان منها أجادِبُ أمْسَكت الماءَ ، فنفع الله بها النَّاسَ ، فشربوا منها ، وسَقَوْا ورَعَوا ، وأصابَ طَائِفَةً منها أخْرى ، إنَّما هي قِيعَانٌ لا تُمسِكُ ماءا ، ولا تُنْبِتُ كلأً ، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُه في دين اللهِ عزَّو جلَّ ، ونَفَعَهُ ما بعثني الله به ، فعلِمَ وعلَّم ، ومَثَلُ من لم يَرْفع بذلك رَأسًا ، ولمْ يقبل هُدى اللهِ الذي أرْسِلْتُ به»(٧). أخرجه البخاري ومسلم. وعنه - رضي الله عنه - أن رسولَ اللَّهِ - ﷺ - قال : «إن مَثَلي ومَثَلُ ما بعثني الله به ، كمثل رجلٍ أتى قَوْمَهُ فقال : إنِّي رأيتُ الجيش بِعَيْنيَّ ، و[إنيّ] أنا النَّذِيرُ العُريان ، فالنَّجاءَ ، النَّجاءَ ، فأطاعَهُ طائِفَةٌ من قَوْمِهِ ، فأدْلَجوا ، فانطلقوا على مَهْلِهِمْ فنَجَوْا ، وكذَّبت طائفةٌ منهم ، فأصبحوا مكانَهم ، فصبَّحهم الجيش فأهلكَهم ، اجْتَاحَهُم ، فذلك مثل من أطاعني ، واتَّبَعَ ما جئْتُ به ، ومَثَلُ من عصاني ، وكذَّبَ ما جئتُ به من الحقِّ».(٨) أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسولَ اللَّهِ - ﷺ - يقول : «إنما مَثَلي ومَثَل النَّاسِ ، كمثل رجلٍ استوقَدَ نارًا ، فلمَّا أضَاءتْ ما حَوْلَهُ ، جعَلَ الفَراشُ وهذي

من طرق عن الحسن بن جابر عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي عن المقدام بن معد يكرب الكندي، عن رسول الله ﷺ مرفوعا به.

٦) صحيح بمجموع طرقه.
وأنظر ما قبله مباشرة.

٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب فضل من علم وعلم (٧٩) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم (٢٢٨٢)

٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٢) وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٣) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (٢٢٨٣)

الدوابُّ ، الَّتي تقع في النَّار ، تقَع فيها ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ ، فَيَتَقَحَّمْنَ فيها، فأنا آخِذُ بِحُجَزِكُم عن النَّار ، وأنتُم تَقَحَّمُونَ فيها». (٩)هذه رواية البخاري

.ولمسلم نحوُها ، وقال في آخرها : «فذلك مثلي ومثلُكُم ، أنا آخذُ بِحُجَزكم عن النار ، هلُمَّ عن النَّار ، هلُمَّ عن النَّار ، فتَغْلِبُوني وتقَحَّمُونَ فيها»(١٠)

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ - : «مَنْ أحْدَثَ في أمرنا هذا ما لَيْسَ منهُ فهو رَدٌّ»(١١) متفق عليه ،

ولمسلم «منْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا ، فَهو ردٌّ»(١٢)

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - :«كان رسولُ الله -ﷺ- إذا خطب : احْمَرَّتْ عيناه ، وعلا صوتُه ، واشتد غضبُه ، حتى كأنه مُنْذِر جيش ، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم ، ويقول : بعثْتُ أنا والساعةَ كهاتين ، ويقرُن بين إصبعيه : السبَّابةِ والوسطى ، ويقول : أما بعدُ ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله ، وخيرُ الهدْيِ هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها ، وكلُّ بدْعة ضلالة "(١٣)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي -ﷺ- : «كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى ، فقالوا : يا رسولَ الله مَن يأبى ؟ قال : مَن أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى»(١٤) أخرجه البخاري.

---

٩) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: {ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب} الراجع المنيب " (٣٤٢٦) وفي كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٣)

١٠) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (٢٢٨٤)

١١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

١٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

١٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧).

من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري – رضي الله عنهما – مرفوعا به.

جعفر بن محمد هو ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. "المعروف بجعفر الصادق" وهو حسن الحديث.

١٤) أخرجه البخاري صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٠)

وقال عليه الصلاة والسلام " فمن رغب عن سنتي فليس مني "(١٥) متفق عليه ،

ولو ذهبنا نسرد الأحاديث في هذه المسألة لطال بنا المقام ، فانظر كيف تقرر بالكتاب والسنة أنه لا نجاة للعبد في أمر دينه إلا باتباع الكتاب والسنة ، وأنه لا خير فيمن يدعوك لغيرهما ، وهذا أصل متفق عليه بين العلماء ، يقررونه في كتبهم ، وينقلون الإجماع عليه ، ولا يخالف فيه مسلم ، فأمور الاعتقاد ، بل أمور الدين كلها موقوفة على الكتاب والسنة ، وفيهما الهداية والكفاية لمن استهدى وأراد الله تعالى به خيرا ، والله أعلم .

الفرع الرابع :ـ وعلى ما دلت عليه أدلة الوحيين ـ كتابا وسنة ـ من وجوب الأخذ بهما في أمور الدين فقد أجمع أهل العلم على ذلك ، وقرروا ذلك بأقوالهم وأفعالهم ، وقد حرص السلف رحمهم الله تعالى على تقييد هذا الأمر في عقيدة الأمة ، وأنا إن شاء الله تعالى أنقل لك طرفا صالحا من كلام أهل العلم رحمهم الله تعالى في هذه المسألة ، لتكون على دراية تامة بأن ما نقرره لك في هذا الشرح ليس بدعا من القول ولا تخرصا من الكلام ، فأقول :- قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة)(١٦)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه (اتبعوا ولا تبتدعوا ؛ فقد كفيتم)(١٧)

---

١٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣) ومسلم في صحيحه كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا به.

١٦) آنظر كتاب أصول السنة للإمام أحمد ص (١٤) وكتاب تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي ص (٤٥) وكتاب العرش للذهبي (١١) وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٧٥).

١٧) صحيح.

أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة باب في كراهية أخذ الرأي (٢١١) ووكيع في كتاب الزهد باب من قال: البلاء موكل بالقول (٣١٥) وأحمد في كتاب الزهد في فضل أبي هريرة رحمه الله تعالى (٨٩٦) والمروزي في كتاب السنة (٧٨) وابن وضاح في كتاب البدع باب ما يكون بدعة (١٣) والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٧٠) والبيهقي في المدخل للسنن (٢٠٤) وفي شعب الإيمان له في تعظيم القرآن في فصل في تعليم القرآن (٢٠٢٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ما أمر به من التمسك

وقال اللالكائي رحمه الله تعالى (فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع ، وذم التكلف والاختراع ، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين ، وكان أولاهم بهذا الاسم ، وأحقهم بهذا الوسم ، وأخصهم بهذا الرسم أصحاب الحديث ؛ لاختصاصهم برسول الله ﷺ ، واتباعهم لقوله ، وطول ملازمتهم له وتحملهم علمه ، وحفظهم أنفاسه وأفعاله ، فأخذوا الإسلام عنه مباشرة ، وشرائعه مشاهدة وأحكامه معاينة ، من غير واسطة ولا سفير بينهم وبينه وصلة ، فجاولوها عيانا ، وحفظوا عنه شفاها ، وتلقفوه من فيه رطبا ، وتلقنوه من لسانه عذبا ، واعتقدوا جميع ذلك حقا ، وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينا ، فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله ﷺ مشافهة ، لم يشبه لبس ولا شبهة ، ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحامل ولا ميل ، ثم الكافة عن الكافة والصافة عن الصافة ، والجماعة عن الجماعة ، أخذ كف بكف ، وتمسك خلف بسلف، كالحروف يتلو بعضها بعضا ، ويتسق أخراها على أولاها رصفا ونظما،(١٨)

وقال الآجري محمد بن الحسين رحمه الله تعالى (علامة من أراد الله عز وجل به خيراً : سلوك هذه الطريق : كتاب الله عز وجل ، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم ، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء ، مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن

بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (١٧٥) من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قوله. وهذا إسناد صحيح، إلا أنه يخشى من تدليس حبيب ابن أبي ثابت فإنه مدلس وقد عنعن، والله أعلم.

وأخرجه زهير بن حرب في كتاب العلم (٥٤) والخرائطي في كتاب مكارم الأخلاق (٤٠٨) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (١٧٤) من طريق حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم النخعي عن ابن مسعود ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف إبراهيم النخعي لم يسمع ابن مسعود ﷺ.

وأخرجه ابن وضاح في كتاب البدع باب ما يكون بدعة (١١) من طريق عن قتادة ، عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف أيضا قتادة بن دعامة السدوسي لم يسمع من ابن مسعود ﷺ.

١٨) آنظر كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ١٠).

سلام ، ومن كان على مثل طريقهم ، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء)(١٩)

وقال أبو العالية رحمه الله تعالى (عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا)(٢٠)

وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى (اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم)(٢١)

ومن مأثور قول الإمام مالك رحمه الله تعالى ويروى عن عمر رضي الله عنه (لن يصلُح آخرُ هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلُها)(٢٢)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه (مَن كان منكم متأسِّياً فليتأسَّ بأصحاب محمد، فإنَّهم كانوا أبرَّ هذه الأمَّة قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلُّفاً، وأقومَها هدياً، وأحسنَها

١٩) أنظر كتاب الشريعة لإجري (١/ ٣٠٠).

٢٠) صحيح.

أخرج ابن وضاح في كتاب البدع باب ما يكون بدعة (٧٦) والسنة للمروزي (٢٦) والأجري في كتاب الشريعة (١/ ٣٠٠) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢١٨) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم الجماعة والتحذير من الفرقة (١٣٦) وفي باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (٢٠٢) واللالكائي في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٢، ١٤٤). من طريق حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن أبي العالية الرياحي رحمه الله.

وأخرجه معمر في جامعه (٢٠٧٥٨) عن عاصم الأحول عن أبي العالية الرياحي رحمه الله.

قلت: أبو العالية اسمه "رفيع بن مهران".

٢١) صحيح.

أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٥٤) والأجري في كتاب الشريعة (٢/ ٦٧٣) واللالكائي في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت ، وكيف الجواب له ، وكراهية العلماء هذا السؤال وتبديع السائل عن ذلك (١٢١٦) وقوام السنة في كتاب الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١/ ١١٢) من طريق معاوية بن عمرو عن أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي رحمه الله قوله.

قلت: أبو إسحاق الفزاري اسمه إبراهيم بن مُحَمَّد بن الحارث، والأوزاعي اسمه عبد الرحمن بن عمرو

٢٢) لم أعثر له على إسناد وإن كانت هذه المقولة الجليلة قد إشتهرت جدا عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله.

حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيِّه ، فاعرفوا لهم فضلَهم واتَّبعوهم في آثارهم؛ فإنَّهم كانوا على الهدي المستقيم)(٢٣)

وتقدم قول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى في هذا ،

وعن عثمان بن حاضر، قال: دخلتُ على ابن عباس، فقلت: أَوْصني، فقال:(نعم! عليك بتقوى الله والاستقامة، اتَّبع ولا تبتدع)(٢٤)

وعن ابن سيرين قال (كانوا يرون أنَّه على الطريق ما كان على الأثر)(٢٥)

و عن ابن مسعود قال (تعلَّموا العلمَ قبل أن يُقبض، وقبضُه أن يذهب أهلُه ألا وإيّاكم والتَّنطُّع والتَّعمُّق والبدع، وعليكم بالعتيق)(٢٦)

---

٢٣) ضعيف.

أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٧٤٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله في باب ما تكره فيه المناظرة والجدال والمراء (٢/ ٩٤٧) وأورده قوام السنة في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥١٩). من طريق سلام بن مسكين، عن قتادة عن ابن مسعود ﷺ قوله.

وهذا إسناد ضعيف قتادة بن دعامة لم يسمع من عبد الله بن مسعود ﷺ.

٢٤) ضعيف.

أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١٤١) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (١٥٧، ١٥٨) وابن أبي زمنين في أصول السنة ص (٥٧) والهروي في ذم الكلام وأهله (٣٣٤) والخطيب البغدادي في الفقيه و المتفقه باب القول في أنه يجب اتباع ما سنه أئمة السلف من الإجماع والخلاف (١/ ٤٣٦).

من طريق زمعة بن صالح عن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف فيه زمعة بن صالح "ضعيف".

٢٥) صحيح.

أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١٤٢، ١٤٣) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (٢٤١) والآجري في كتاب الشريعة (١/ ٣١٦) والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس في موضع النص (٢٣٠) واللالكائي في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٩٧، ٩٨) وابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٨٣) و(٢/ ١٠٤٩) من طرق عن عبد الله بن عون، عن مُحَمَّد بن سيرين ﷺ قوله.

والمراد بالعتيق ما دلَّ عليه دليلٌ، وكان عليه السلف، ولم يكن محدَثاً،

وعن عبد الله بن مسعود قال (إنَّكم اليوم على الفطرة، وإنَّكم ستحدثون ويُحدث لكم، فإذا رأيتم محدَثةً فعليكم بالهَدي الأوَّل)(٢٧)

وعن أبي الدرداء قال (اقتصادٌ في سنّة خيرٌ مِن اجتهادٍ في بدعةٍ، إنَّك إنْ تتَّبعْ خيرٌ مِن أنْ تبتدع، ولن تخطئَ الطريقَ ما اتَّبعْتَ الأثرَ)(٢٨)

---

٢٦) ضعيف.

أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١٤٤، ١٤٥) ومعمر في جامعه باب العلم (٢٠٤٦٥) وابن وضاح في البدع باب كل محدثة بدعة (٦٠) والمروزي في السنة (٨٥) والطبراني في المعجم الكبير (٨٨٤٥، ٨٨٤٦) واللالكائي في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باب سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على التمسك بالكتاب والسنة ، وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، والخالفين لهم من علماء الأمة ﷺ أجمعين (١/ ٩٧) والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى باب فضل العلم (٣٨٧، ٣٨٨) وابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله باب فيمن تأول القرآن وتدبره وهو جاهل بالسنة (٢/ ١٢٠٢) وابن بطة في الإبانة الكبرى وفي باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (١٦٩، ١٨٩) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه باب ذكر ما روي أن من إدبار الدين ذهاب الفقهاء (١/ ١٦٧).

من طرق أبي قلابة عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف، أبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود ﷺ.

وأبو قلابة اسمه عبد الله بن زيد.

٢٧) صحيح بالمجموع.

أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة باب الفتيا وما فيه من الشدة (١٧٤) وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الأوائل باب أول ما فعل ومن فعله (٣٦٠٢٤) والمرْوَزي في السنة (٨٠) واللالكائي في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باب سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على التمسك بالكتاب والسنة ، وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، والخالفين لهم من علماء الأمة ﷺ أجمعين (١/ ٨٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى وفي باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ذكر الأحاديث الواردة في ذم القياس وتحريمه والمنع منه (١/ ٤٥٧) من طرق عن عبد الله بن مسعود ﷺ، تصحح بمجموعها.

٢٨) ضعيف.

وقال القيرواني في مقدمته في بيان أصول السلف (والطَّاعَةُ لأئمَّة المسلمين مِن وُلاَة أمورِهم ، وعُلمائهم واتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِح واقتفاءُ آثارِهم، والاستغفارُ لهم، وتَرْكُ المراءِ والجِدَالِ في الدِّين، وتَركُ ما أَحْدَثَهُ المُحْدِثُونَ)(٢٩)

وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائي رحمه الله تعالى (فإنّ أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين ، وما كلّف الله به عباده من فَهم توحيده وصفاته ، وتصديق رسله بالدلائل واليقين ، والتوصل إلى طرقها ، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين ، وكان من أعظم مقول وأوضح حجةٍ ومعقول : كتاب الله الحق المبين ، ثم قول رسول الله ﷺ وَصحابته الأخيار المتقين ، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين ، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون)(٣٠)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل كبرائهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم هلكوا)(٣١)

ومن مأثور القول عن ابن مسعود رضي الله عنه (إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر)(٣٢)

أخرجه المروزي في السنة (١٠٠) واللالكائي في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باب سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على التمسك بالكتاب والسنة، وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والخالفين لهم من علماء الأمة رضي الله عنهم أجمعين (١/ ٩٩).

٢٩) آنظر عقيدة السلف وهي مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة (ص ٦١).

٣٠) آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٤)

٣١) صحيح.

أخرجه معمر في جامعه باب نقص الإسلام ونقص الناس (٢٠٤٤٦) وفي باب العلم (٢٠٤٨٣) وابن المبارك في الزهد باب ما جاء في قبض العلم (٨١٥) والطبراني في المعجم الكبير (٨٥٨٩، ٨٥٩٠، ٨٥٩١، ٨٥٩٢) وفي المعجم الأوسط (٧٥٩٠) والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى باب تقليد العامي للعالم (٢٧٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب حال العلم إذ كان عند الفساق والأرذال (١/ ٦١٦) وأبي نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٤٩) وابن الأعرابي في معجمه (٩٢٦) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه باب في فضل العلم والعلماء (٢/ ١٥٥).

من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن زيد بن وهب وسعيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال سفيان رحمه الله تعالى (وجدت الأمر الاتباع)(٣٣) ،

وهذه المسألة مفصولة ولا نقاش فيها ، فاتباع الكتاب والسنة من الأمور الواجبة المفروضة التي لا اختيار للعبد فيها . والله أعلم .

الفرع الخامس :ـ وأما قولنا (على فهم سلف الأمة) فاعلم بارك الله تعالى فيك أن الله تعالى بعث نبيه محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ، وختم به النبيين ، وأوحى إليه بالكتاب والحكمة ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله تعالى عليه عظيما ، فلا يزال طيلة حياته ﷺ يبلغ الأمة ما أوحاه الله تعالى إليه بقوله وفعله وإقراره وتركه ، ولم يأل جهدا في الدعوة إلى منهج الله تعالى ومكث في مكة ثلاثة عشر سنة وهو يدعو إلى الله تعالى ، فكان يغشى الناس في أماكنهم وأنديتهم وصبر وصابر ، وبذل في سبيل دعوته كل شيء ، ولكنه قوبل بالتكذيب والأذى ، ووصف بالأوصاف القبيحة المستهجنة ، التي يعلم قائلوها أنه أبرأ الناس منها ، ولكنه العناد والتصلب في متابعة ما عليه الأسلاف ، وكما قال تعالى { فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ } حتى أذن الله تعالى في الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة ، ثم بالثانية ، ثم اختص الله تعالى أهل المدينة من الأوس والخزرج بالفضيلة العظمى ، والميزة الكبرى ، وهي أن أذن الله تعالى له بالهجرة إلى

---

٣٢) ضعيف.

أخرجه ابن بشران في أماليه (٥٤٩، ٧٣٦) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه باب تعظيم السنن والحث على التمسك بها والتسليم لها والانقياد إليها وترك الاعتراض عليها (١/ ٣٨١) واللالكائي في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باب سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على التمسك بالكتاب والسنة، وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والخالفين لهم من علماء الأمة ﷺ أجمعين (١/ ٩٦).

من طريق أبو جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب عن أبيه المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف المسيب بن رافع قال أحمد بن حنبل لم يسمع من عبد الله بن مسعود شيئا.

٣٣) صحيح.

أخرجه البغوي في مسند علي بن الجعد (١/ ٢٧٥) والهروي في ذم الكلام وأهله (٤٧٨) واللالكائي في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باب سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على التمسك بالكتاب والسنة، وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والخالفين لهم من علماء الأمة ﷺ أجمعين (١/ ٩٨).

من طريق مُحَمَّد بن علي بن الحسن بن شقيق ، ثنا عبدان (عبد الله بن عثمان) عن عبد الله بن المبارك عن سفيان رحمه الله.

ديارهم ، على أن يبلغ رسالة ربه ، ويكونون له بمنزلة الدثار من الجسد ، فهاجر إليهم فأصبح للإسلام دولة يأوي إليها من آمن بالله ، وانطلقت جحافل الإيمان تفتح القلوب بالحق والهدى ، وتفتح البلاد طوعا أو كرها ، حتى دانت له الأمم ، وانطوت صفحة الشرك ، وخابت مساعي أهل الضلال والنفاق ، واستقر الحق ، وزهق الباطل ، وارتفعت راية الحق ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فكان هو ﷺ من فتح الله به القلوب بعد انغلاقها على الكفر ونور به البصائر بعد عشعشة الظلام فيها ، فصحح السير إلى الله تعالى ، وربى أصحابه على العقيدة السليمة من الشبهات ، والعمل السليم من الشهوات ، فلا شبهة ولا شهوة ، ونهل أصحابه رضي الله عنهم من معينه الصافي ، ومورده العذب الشافي الكافي ، وما مات إلا بعد أن بلغ البلاغ المبين وأتم الله تعالى به النعمة والدين ، فلما تم أمر الله تعالى ، وأظهر دينه على الدين كله ، وافته المنية ومات الميتة التي كتبها الله تعالى عليه ، ولكن دينه لم يمت ، وتعليمه والعقيدة التي جاء بها لا تزال نورا ساطعا في السماء والأرض ، وحمل الراية من بعده أصحابه رضوان الله عليهم ، فتفرقوا في البلاد دعاة ومعلمين وأئمة ، ينهل الناس من علمهم ، ويهدي الله تعالى القلوب بهم ، فكانوا شامة في جبين الدهر ، ونقطة بيضاء في تاريخ الأمة ، ما قصروا في التعليم ولا في التفقيه ولا التفهيم ونقلوا الدين كله أصوله وفروعه ، بأدلته الناصعة ، وحججه القاطعة ، وعقائده الساطعة ، ثم نهل من معينهم قوم أراد الله تعالى بهم خيرا ، وجعلهم نور الدجى وأعلام الهدى ، وهم التابعون رحمهم الله تعالى ، ولم يزل العلم ميراثا يتوارثه الآخر عن الأول ، والتابع عن من فوقه ، حتى نبغت في الأمة نابغة ، تنكبت عن الصراط المستقيم ، وخالفت المنهج القويم ، واطرحت علوم سلفها وتطلعت إلى علوم أقوام من الشرق والغرب ، فأعجبت بقواعدها المخالفة للمنقول ، وعلومها المناقضة للمعقول ، فترجمت كتبها ، ودعوا الأمة إلى الإقبال عليها ، ودراستها وتدريسها ، حتى اختلط الحق بالباطل ، وكدر صفو المشرب ، واعتمدت أصول غريبة عن أصول سلف الأمة وتشربتها القلوب حتى صار يوصف بالتخلف والرجعية من كان ملتزما بمنهج السلف وداع إليه وفضلت العلوم المنطقية الفلسفية على علوم الكتاب والسنة ، فخفي نور الحق ، وحلت الفتن بالأمة وزلزلت زلزالا شديدا ، ونودي على الأمة بالهلاك ، إلا أن الله تعالى لم

يكن ليدع أمة حبيبه ومصطفاه تهلك كما هلكت الأمم قبلها ، فوعد بموعوده الحق أن لا تزال طائفة من الأمة على الحق منصورة لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، فقامت هذه الطائفة القليلة بدور التصحيح والتجديد ، واهتمت برد الأمة إلى أصولها الصحيحة ، ودعت إلى تصحيح السير إلى الله تعالى بتصحيح الاعتقاد والعمل ، فأصلت الأصول ، وقعدت القواعد التي تكفل لمن دان بها واعتقد مدلولها أن يكون من أهل النجاة ، في الدنيا والآخرة ، فكان مما أصلت هذا الأصل العظيم ، وهو أن كل تقرير يخالف تقرير السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان في مسائل الاعتقاد فإنه تقرير باطل ، وجعلت فهم السلف وما هم عليه فيصلا بين الحق والباطل ، فكل عقيدة لا يعرفها سلف الأمة فهي عقيدة باطلة ، وكل فهم محدث لا يعرفه السلف فهو باطل، وكل سؤال في أمر الاعتقاد لا يؤثر عن السلف فهو باطل ، وجعلوا الفهوم المخالفة لفهم السلف من جملة المحدثات المنكرة ، والبدع القبيحة ، التي تدخل في عموم قوله ﷺ " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "(٣٤) متفق عليه ،

ولمسلم " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "(٣٥)

وبنوا دعوتهم على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة ، وقرروا أنه لا يمكن الانتفاع بالكتاب والسنة الانتفاع الحقيقي المثمر إلا إن أخذ عن فهم سلف الأمة ، وجعلوا من جملة البدع :- الابتداع في الفهم ، فمن فهم في مسائل العقيدة فهما يخالف فهم السلف في هذه المسألة فقد أحدث في الدين ، وابتدع ، وجعلوا متابعة السلف في مسائل العقيدة والعمل أصلا من أصولهم ، ومنهجا من أوليات مناهجهم ، وقرروا أن مسائل العقيدة قد تم تقريرها، وأكمل بنيانها ، فلا زيادة فيها ولا نقص ، وقرروا أن الأهواء تابعة للحق لا متبوعة، وقرروا أن لا مدخل للعقل الضعيف العاجز في تقرير مسائل الاعتقاد ابتداء ، ولكنه تابع للدليل وعبد له ، وقرروا أن كل إحداث في الدين فهو رد ، وأن كل بدعة في الدين فهي ضلالة وليست بهدى ،

٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

وأن العقيدة لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ، وجعلوا من جملة الأدلة التي يعرف بها بطلان القول أو العمل أنه مخالف لمنهج السلف ، فيقولون :- هذا الفهم باطل ، لأنه مخالف لفهم السلف ، فصار اتباع السلف في فهمهم أصل من أصول أهل السنة والجماعة ، يقررونه فيما كتبوه من مسائل الاعتقاد ، بل يجعلونه من أوائل الأصول ، ولذلك قال بعض أهل العلم (لذلك كان من أهم ما يميز عقيدة أهل السنة والجماعة ما يسمى بمنهج التلقي فهم يعتمدون في تلقي الأحكام الشرعية على القرآن والسنة والإجماع والقياس ، وغيرها من الأدلة التي يذكرها كل من تكلم في علم أصول الفقه ، ويعتمدون في الفهم على فهم السلف الصالح للنصوص) وقال بعضهم (وأصل العمل بالسنة إنما هو بما ثبت منها على طريقة أهل الحديث لا أهل البدع) وقال بعضهم (منهج أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة: اتِّباعُ الكتاب والسُّنةَّ على فهم السلف الصالح عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة مبنيَّةٌ على الدليل من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله وما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في اجتماع الجيوش الإسلامية (وقال مالك: لا نصلي خلف المبتدع منهم، إلا أن نخافه فنصلي واختلف في الإعادة. ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين، وأهل الذمة عن نفسك ومالك، والتسليم للمسلمين لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج من جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله)(٣٦)

وقال أيضا في الكتاب المذكور (قال مالك: قال عمر بن عبد العزيز: سنّ رسولُ الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله تعالى، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر فيما

٣٦) آنظر إجتماع الجيوش الإسلاميه (٢/ ١٥٥).

خالفها، من اهتدى بها هُدي، ومن استنصر بها نُصِرَ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه اللهُ ما تولّى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)(٣٧)

وقال الحاكم على تفسير الإمام أحمد رحمه الله تعالى للطائفة المنصورة أنهم أهل الحديث ، قال (لقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يُرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث ، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف من الماضين ومنعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ وعلى آله أجمعين من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار وتنعموا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار، قد رفضوا الإلحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية، وتوابع ذلك من البدع والأهواء والمقاييس والآراء والزيغ جعلوا المساجد بيوتهم، وأساطينها تكاهم، وبواريها فرشهم)(٣٨)

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى (ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَيْثُ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ)(٣٩) ومن المأثور في كتب أهل السنة عن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى أنه قال (أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون مما قد جرت سنته ، وكفوا مؤنته ، فعليكم بلزوم السنة ، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في

٣٧) آنظر إجتماع الجيوش الإسلاميه (٢/ ١٥٥).

٣٨) آنظر معرفة علوم الحديث (ص ٢).

٣٩) آنظر العقيدة الواسطية (ص ١٢٧).

خلافها من الخطأ والزلل ، والحمق والتعمق ، فارض لنفسك بما يرضى به القوم لأنفسهم ، فإنهم عن علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى بفضل لو كان فيه أجر فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم ، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مقصر ، وما فوقهم محسر، لقد قصر عنهم آخرون فضلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم)(٤٠).

واعلم رحمك الله تعالى أنه لا يمكن أن ينتفع العبد الانتفاع الكامل بالكتاب والسنة إلا إن أخذهما على فهم سلف الأمة ، واعلم رحمك الله تعالى أن المتقرر بإجماع أهل السنة هو أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل فهو باطل ، واعلم رحمك الله تعالى أن أهل البدع ومن سار على منهجهم يريدون فصل الأمة عن فهم سلفها الصالح ، ويزعمون أن السلف رجال ونحن رجال ، وأنه لا يلزمنا متابعة أحد في فهمه وأن لنا عقولا كما لهم عقول ، وأن أفهامهم كانت متناسبة مع عصرهم ، وأما في القرن العشرين فقد انفجرت البراكين المعلوماتية وتطور العلم ، فكيف تريدون منا أن نتابع السلف في فهمهم مع تغير العصر ومعطيات الزمان ، إلى غير تلك الكلمات التي لا يراد منها إلا فصل الأمة عن فهم سلفها الصالح ، والذي متى ما أبعدت عنه ولو طرفة عين فناهيك عن الفساد الكبير والشر المستطير الذي سيدخل على عقيدة الأمة ،

لفرع السادس :ــ ومن باب زيادة التوضيح سأضرب لك أمثلة توضح لك أهمية ربط الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، فأقول وبالله تعالى التوفيق :ــ

---

٤٠) حسن بالمجموع.

أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب لزوم السنة (٤٦١٢) وأحمد في الزهد في أخبار عمر بن عبد العزيز رحمه الله (١٧٠٩) والفريابي في القدر باب ما روي في الأهواء وتكذيب أهل القدر (٤٤٦) والآجري في كتاب الشريعة باب سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله في أهل القدر (٥٢٩، ٥٣٠) والبيهقي في القضاء والقدر باب ما روي عن جماهير الصحابة ، وأعلام الدين وأئمته في إثبات القدر رضي الله عنهم (٥٣٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء باب ذكر أهل الصفة (٥/ ٣٣٨) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (١/ ٣٢١، ٢٣١) وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٧٤) والهروي في ذم الكلام وأهله (٥/ ٢٣).

الأول :ـ أجمع أصحاب النبي ﷺ على أن قوله تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا } إنما هي في حياته فقط لا بعد مماته ، فلا يجوز لأحد بعد موت النبي ﷺ إذا أذنب أن يأتي إلى القبر ويطلب من النبي أن يستغفر له ، هذا لا يجوز ، ولا يعرف هذا عن أحد من سلف الأمة وخيارها في العلم والدين ، فالمجيء في الآية إنما هو في حياته لا بعد مماته ، وأما أهل البدع فلهم فهم آخر ، وهو أنه مجيء في حياته وبعد مماته ، فتراهم يدعون النبي ﷺ ، ويستغفرون عند قبره ويستغيثون به من دون الله تعالى ، وهذا كله باطل لأنه قول بني على فهم مخالف لفهم سلف الأمة ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في العقيدة والعمل فهو باطل.

الثاني :ـ أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى يتكلم متى شاء ، كيفما شاء وأن كلامه بحرف وصوت يسمعه من يشاء ، وأنه قديم النوع حادث الآحاد ، وكل ذلك ثابت بالأدلة من الكتاب والسنة ، وقد ذكرناها في موضع آخر ، فالأدلة الواردة في شأن إثبات صفة الكلام لله تعالى يفهم منها سلف الأمة هذه الأشياء الثلاثة ، وهو الحق الذي لا يجوز العدول عنه وأما أهل البدع فمنهم من أنكر الكلام أصلا ، ومن من حرفه فقال :- إنما يراد به الكلام النفسي فلا يفهمون من الأدلة الواردة بإضافة الكلام إلى الله تعالى إلا الكلام النفسي ، وهذا فهم باطل لأنه مخالف لفهم سلف الأمة ، وبعضهم قال :- إنه كلام قديم النوع والآحاد ، وأن الله تعالى لا يتكلم بقدرته ولا بمشيئته ، وهذا من أمحل المحال وأبطل الباطل ، لأنه مخالف للكتاب والسنة ولفهم سلف الأمة ، ومنهم من زعم أن لله تعالى كلاما منفصلا عنه وهو مخلوق ، وهو قول باطل لمخالفته للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة ، والحق إنما هو فيما فهمه السلف وقرروه ، وما عداه فقول باطل ورأي عاطل ، لأنه مخالف لفهم السلف ، والمتقرر أن ما يخالف فهم السلف في العقيدة والعمل فهو باطل .

الثالث :ـ لقد فهم سلف الأمة رحمهم الله تعالى من قوله ﷺ "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "(٤١)

فهم السلف حرمة الكذب عليه كله ، وهذا هو الحق وأما بعض السذج من الخلق فإنه يجوز الكذب الموجب للترغيب في التعبد ومحبة النبي ﷺ والترغيب في الطاعة ، ويقول :- أنا أكذب له لا عليه ، وهذا فهم غريب من الحديث مخالف لفهم فهم سلف الأمة ، فهو فهم باطل ، لأن المتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في العقيدة والعمل فهو باطل

الرابع :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن كل تفسير منقول عن الرافضة لآيات القرآن يتضمن قدحا في الصحابة أو طعنا في إيمانهم أو أنهم ليسوا على الهدى أو أن عليا رضي الله عنه هو الخليفة بعد النبي ﷺ ، أو أن أحدا من أمهات المؤمنين قد وقعت في السوء ، فهو تفسير باطل ، باطل ، باطل ، فإن هذا النوع من التفسير لا يعرف عن سلف الأمة وأئمتها ، وإنما يتفوه به من لا خلاق ولا حياء عنده من الرافضة ومن أشبههم في قلة الأدب على سلف الأمة كما قال بعضهم أن كل آية فيها ذكر فرعون وهامان، فالمراد بها (أبو بكر وعمر) والآية التي فيه { إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً } قالوا :- هي عائشة ، ألا لعنهم الله اللعائن المتتابعة ،وكما قالوا في قوله تعالى { وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } أي أبي بكر وعمر ، وغير ذلك كثير ، مما تمجه الأسماع ، وتحزن له القلوب ، وتعاف رؤيته العيون ، من الكذب وأصناف السباب والشتائم والإفك والفجور والبغض ، وكل هذه التفاسير وما أشبهها ، تفاسير باطلة ، لأنها بنيت على مخالفة فهم سلف الأمة والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في العقيدة والعمل فهو باطل .

الخامس :ـ اتفق سلف الأمة وأئمتها على إثبات الرؤية يوم القيامة - أي رؤية الله تعالى - فأهل السنة والجماعة متفقون الاتفاق القطعي على أن الله تعالى يُرى يوم

---

٤١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ (١١٠) وفي كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة على الميت (١٢٩١) وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦١) وفي كتاب الأدب باب من سمى بأسماء الأنبياء (٦١٩٧) ومسلم في صحيحه في المقدمة باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (٣، ٤)

القيامة ، فيرى يوم القيامة ويُرى بعد دخول الجنة ، وأهل السنة مجمعون على أنها رؤية حقيقية بالعيان ، على الكيفية التي يريدها الله تعالى ، فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة في العرصات ، ويرونه بعد دخول الجنة ، وقد نطقت الأدلة بذلك ، فقال تعالى { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } والزيادة هي رؤية الرب جل وعلا ، وقال تعالى { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } وإضافة النظر إلى الوجوه دليل على أنها رؤية حقيقية بالعين على ما يريده الله تعالى ، وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بإثباتها كما في قوله " إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب ..الحديث"(٤٢) وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي ، فإنه رؤية الله تعالى ليس كمثلها شيء ، وقد انعقد إجماع أهل السنة رحمهم الله تعالى على هذه المسألة ، فالسلف الصالح يفهمون من أدلة الرؤية عدة أمور: الأول :- أنها رؤية حق وثابتة ، ولا محيص عن الإيمان بها ، الثاني :- أنها رؤية عيان بالأبصار ، الثالث :- أنها ستكون في العرصات وبعد دخول الجنة الرابع :- أنها رؤية لا تستلزم نقصا ولا عيبا في حق الرب جل وعلا ، الخامس :- أنها على الكيفية التي يريدها الرب جل وعلا ، فهذا هو فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم فإنهم اتفقوا على إنكارها وتحريفها وتأويلها إلى معان أخرى ، وكلهم يقولون بأنها ليست رؤية حقيقة ، والله تعالى لا يرى بالعين ، وهذا فهم مخالف لفهم سلف الأمة وأئمتها ، والمتقرر أن كل فهم خالف فهم السلف في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل ، فكل المذاهب المخالفة لهذا الفهم فهي باطلة ، ولا حجة لهم في ذلك ، وأما قوله تعالى { لَن تَرَانِي } فإن السلف رحمهم الله تعالى يفهمون منها نفي الرؤية في هذه الحياة الدنيا فقط ، وأما في الآخرة فهي ثابتة ، وكتاب الله تعالى لا يصادم بعضه بعضا ، فنفي الرؤية إنما هو نفي للرؤية في الدنيا ، كما قال صلى الله عليه وسلم " لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت " وأما لفظة (لن) المذكورة في الآية ، فإن السلف رحمهم الله تعالى لا يفهمون منها النفي المؤبد ، كما فهمه

٤٢) أخرجه البخاري كتاب الأذان باب فضل السجود (٨٠٦) وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم (٦٥٧٣) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى:{وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٧٤٣٧) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢) وفي كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

المعتزلة ، ومن نحا نحو مذهبهم ، بل (لن) عند السلف لا تقتضي التأبيد حتى وإن قرنت به كما قوله تعالى عن اليهود في تمنيهم للموت { وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا } ومع ذلك فإنهم سيتمنونه يوم القيامة ، كما قال تعالى عن أهل النار { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا } فالمهم أن السلف لا يفهمون التأبيد من لفظة (لن) وإنما هذا فهم المبتدعة من المعتزلة وأضرابهم ، وأما قوله { لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ } فإن السلف رحمهم الله تعالى يفهمون منها أنها نفي للإدراك والإحاطة لا أنه نفي لأصل الرؤية ، فالرؤية شيء والإحاطة شيء آخر ، فالله تعالى يرى في الآخرة ، ولكنه لا يحاط به رؤية كما قال تعالى عن أصحاب موسى عليه السلام { فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } فأثبت الرؤية ونفى الإدراك ، فتفسير الإدراك في الآية بأنه الرؤية مخالف لفهم السلف ، وما خالف فهم السلف فإنه باطل ، وأما قول المبتدعة من أننا لو أثبتنا لله تعالى الرؤية لاستلزم ذلك أن يكون في جهة ، والجهة ممتنعة على الله تعالى ، فإن السلف رحمهم الله تعالى لا يقفون عند هذا الكلام لأنه من باب معارضة النصوص المتواترة بالعقل والرأي والقياس الفاسد ، والمتقرر عند سلف الأمة أن كل قياس صادم النص فإنه فاسد الاعتبار ، والمتقرر أن لا قياس مع النص ، والمتقرر أن لا اجتهاد مع النص ، ثم إن لفظ الجهة من الألفاظ المجملة المحتملة التي ليست بحاكمة على ما ثبت به النص ، والمبتدعة هم الذين اخترعوا هذا اللفظ وجعلوه حاكما على الأدلة ، والمتقرر عند السلف أن الألفاظ المجملة لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا ، بل هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها من باطلها ، فيقبل الحق ويرد الباطل ، وسيأتي مزيد كلام على هذا الأصل إن شاء الله تعالى

والمهم الذي لا بد من اعتماده هنا هو أنه لا بد من السير في فهم الأدلة من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ، ولأهمية هذه المسألة فقد أفردناها في رسالة مستقلة ، أسميناها (تذكير الخلف بوجوب اتباع فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة) والله أعلم .

وبه تعلم بارك الله تعالى فيك أن الواجب على المسلم في دينه هو اتباع كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ،وأن يكون فهم أدلة الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة وأئمتها ، والله أعلم .

الفرع السابع :ـ واعلم رحمك الله تعالى أن السلف لهم اعتباران :ـ سلف باعتبار الزمان وسلف باعتبار المعتقد فأما من كان من أله القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية في قوله ﷺ " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم " متفق عليه ، وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، وجمعنا بهم في الجنة ، فهؤلاء هم المعنيون بسلف الزمان ، وأما السلف باعتبار المعتقد ، فهم المذكورون في حديث الافتراق ، وهو حديث يصح بمجموع طرقه ، وفيه يقول النبي ﷺ " وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار ، إلا واحدة ، وهم من كان على مثل ما أكون عليه اليوم وأصحابي "(٤٣)

---

٤٣) صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

روي هذا الحديث من عدة طرق عن النبي ﷺ: أولا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب شرح السنة (٤٥٩٦) والترمذي في سننه كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٠) وابن ماجة في سننه كتاب الفتن باب افتراق الأمم (٣٩٩١) وأحمد في المسند (٨٣٩٦) وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ ذكر افتراق اليهود والنصارى فرقا مختلفة (٦٢٤٧) وفي كتاب التاريخ أيضا ذكر الإخبار عن فرق البدع وأهلها في هذه الأمة (٦٧٣١) وأبو يعلى في مسنده (٥٩١٠، ٥٩٧٨، ٦١١٧) والحاكم في المستدرك كتاب الإيمان (١٠) وفي كتاب العلم فصل: في توقير العالم هذه خبار صحيحة في الأمر بتوقير العالم عند الاختلاف إليه والقعود بين يديه مما لم يخرجاه (٤٤١،٤٤٢) والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الشهادات باب: ما ترد به شهادة أهل الأهواء (٢٠٩٠١) وابن أبي عاصم في السنة باب فيما أخبر به النبي عليه السلام أن أمته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، وذمه الفرق كلها إلا واحدة، وذكر قوله عليه السلام: إن قوما سيركبون سنن من كان قبلهم (٦٦) والمروزي في السنة ذكر السنة على كم تتصرف (٥٨) والأجري في كتاب الشريعة باب ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة (٢١،٢٢) والحاكم في المستدرك كتاب الإيمان (١٠) وفي كتاب العلم فصل: في توقير العالم هذه خبار صحيحة في الأمر بتوقير العالم عند الاختلاف إليه والقعود بين يديه مما لم يخرجاه (٤٤١،٤٤٢) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة وإخبار النبي ﷺ لنا بذلك (٢٧٣). من طرق عن مُحَمَّد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا به،

بلفظ «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

وهذا إسناد حسن، مُحَمَّد بن عمرو "حسن ما لم يخالف".

ثانيا: حديث عوف بن مالك ﷺ.

أخرجه ابن ماجة (٣٩٩٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٩) وفي مسند الشاميين له (٩٨٨) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم ، وذم تكلف الرأي والرغبة عن السنة ، والوعيد في مفارقة الجماعة (١/١١٢). من طريق عباد بن يوسف قال: حدثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف عباد بن يوسف الكندي قال ابن حجر فيه "مقبول".

وأخرجه البزار في مسنده (٢٧٥٥) والطبراني في المعجم الكبير (٩٠) وفي مسند الشاميين له (١٠٧٢) والحاكم في المستدرك (٦٣٢٥، ٨٣٢٥) والبيهقي في المدخل إلى السنن باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس في موضع النص (٢٠٧) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة وإخبار النبي ﷺ لنا بذلك (٢٧٢) وفي باب النهي عن المراء في القرآن (٨١٣) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب نفي الالتباس في الفرق بين الدليل " والقياس وذكر من ذم القياس على غير أصل وما يرده من القياس أصل (١٦٧٣).

من طريق نعيم بن حماد عن عيسى بن يونس عن حريز بن عثمان الرحبي عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ مرفوعا به.

بلفظ: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس مُحَمَّد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار» ، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «الجماعة»". وفيه ألفاظ أخر.

وهذا إسناد ضعيف نعيم بن حماد الراجح فيه الضعف.

وقد قال البيهقي في المدخل عقب حديث عوف بن مالك: تفرد به نعيم بن حماد ، وسرقه عنه جماعة من الضعفاء ، وهو منكر ، وفي غيره من أحاديث الصحاح الواردة في معناه كفاية ، وبالله التوفيق.

وقال أبو عمر ابن عبد البر في جامع بيان العلم عقب حديث عوف بن مالك: هذا عند أهل العلم بالحديث حديث غير صحيح، حملوا فيه على نعيم بن حماد، وقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: حديث عوف بن مالك هذا لا أصل له، وأما ما روي عن السلف في ذم القياس فهو عندنا قياس على غير أصل، أو قياس يرد به أصل.

ثالثا: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

أخرجه الترمذي في سننه كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١) والمروزي في السنة باب ذكر السنة على كم تتصرف (٥٩) والآجري في كتاب الشريعة باب ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة (٢٣، ٢٤) والطبراني في المعجم الكبير (٦٢) والحاكم في المستدرك في كتاب العلم (٤٤٤) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل

السنة والجماعة سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم ، وذم تكلف الرأي والرغبة عن السنة ، والوعيد في مفارقة الجماعة (١/١١١) وابن بطة في الإبانة الكبرى في مقدمة الكتاب (١) وفي باب ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة وإخبار النبي ﷺ لنا بذلك (٢٦٤، ٢٦٥).

من طرق عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعا به.

بلفظ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

قال الترمذي عقب هذا الحديث: «هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه».

وهذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن بن زياد الأفريقي (ضعيف).

رابعا: حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب شرح السنة (٤٥٩٧) والدارمي في سننه كتاب السير باب في افتراق هذه الأمة (٢٥٦٠) وأحمد في مسنده (١٦٩٣٧) وابن أبي عاصم في السنة باب ذكر الأهواء المذمومة نستعصم الله تعالى منها، ونعوذ به من كل ما يوجب سخطه (١) وفي باب فيما أخبر به النبي عليه السلام أن أمته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، وذمه الفرق كلها إلا واحدة، وذكر قوله عليه السلام: إن قوما سيركبون سنن من كان قبلهم (٦٥) وفي كتاب المذكر والتذكير والذكر له (١٥، ١٦) والمروزي في السنة ذكر السنة على كم تتصرف (٥١،٥٠) والآجري في كتاب الشريعة باب ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة (٢٩) والمعجم الكبير للطبراني (٨٨٤، ٨٨٥) وفي مسند الشاميين له (١٠٠٥) والحاكم في المستدرك كتاب العلم باب في توقير العالم هذه خبار صحيحة في الأمر بتوقير العالم عند الاختلاف إليه والقعود بين يديه مما لم يخرجاه (٤٤٣) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم ، وذم تكلف الرأي والرغبة عن السنة ، والوعيد في مفارقة الجماعة (١/ ١١٣) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة وإخبار النبي ﷺ لنا بذلك (٢٦٨) والبيهقي في دلائل النبوة باب ما جاء في إخباره بظهور الاختلاف في أمته ، وإشارته عليهم بملازمة سنته، وسنة الخلفاء الراشدين من أمته (٦/ ٥٤١).

من طريق صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الهوزني، عن أبي عامر عبد الله بن لحي الهوزني، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

بلفظ: " ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة «زاد ابن يحيى، وعمرو في حديثيهما» وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكلب لصاحبه " وقال عمرو: الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله.

أزهر بن عبد الله الهوزني قال ابن حجر في التقريب "صدوق تكلموا فيه للنصب" قلت الراوي مختلف فيه "والراجح لدي ضعفه" والله أعلم.

فكل من كان على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام فهو سلفي ، ولكن إن كان في القرون الثلاثة ، فهو سلفي زمان وسلفي معتقد ، وأما ما بعد القرون الثلاثة فهو من سلف الاعتقاد لا من سلف الزمان ، وإذا قلنا :ـ سلف الأمة ، فيتبادر الفهم إلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم ، ممن لهم قدم صدق في الأمة . والله أعلم .

الفرع الثامن :ـ وقوله (واحذر سبيل الهالكين) يريد بها تلك الطرق المعوجة ، والتي اخترعها أهل البدع ، من تلك القواعد الفلسفية المنطقية المخالفة للمنقول والمناقضة للمعقول ، والتي استوردوها من اليونان ، والتي ترجمت في عهد المأمون ، وهي من سيئات المأمون ، فلما كعف الناس على دراستها وتركوا علوم الإسلام وبدءوا يدرسون أدلة الكتاب والسنة على مقتضى هذه العلوم الفاسدة التالفة التافهة ، والتي لا تروي غليلا ولا تشفي عليلا ، بل هي الضلال بعينه والتيه برمته ، وقد شهد بفساد هذه الطرق الكلامية أساطين علماء الكلام ، والين وصلوا فيه إلى غايته ـ كما يقولون ـ ، فإن كبار المتعمقين في مناهج الخلف قد أعلنوها صريحة إنهم ليسوا على شيء وأن أصولهم وقواعدهم التي عظموها وأفنوا فيها أعمارهم وألفوا فيها المؤلفات وأشغلوا في تقديرها الأوقات إنما هي كسراب بقيعة

خامسا: حديث أنس بن مالك رضي الله.

أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب افتراق الأمم (٣٩٩٣) وأحمد في مسنده (١٢٢٠٨،١٢٤٧٩) وأبو يعلى في مسنده (

٣٩٣٨ ، ٣٩٤٤) وابن أبي حاتم في تفسيره تحت تفسير قوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا} (٣/ ٧٢٣) وابن أبي عاصم في السنة باب فيما أخبر به النبي عليه السلام أن أمته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، وذمه الفرق كلها إلا واحدة، وذكر قوله عليه السلام: إن قوما سيركبون سنن من كان قبلهم (٦٤) ومُحَمَّد بن نصر المروزي في السنة باب ذكر السنة على كم تتصرف (٥٣) والآجري في كتاب الشريعة باب ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة (٢٥، ٢٦، ٢٧) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٨٨٦، ٧٨٤٠) والطبراني في المعجم الصغير له (٧٢٤) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم ، وذم تكلف الرأي والرغبة عن السنة ، والوعيد في مفارقة الجماعة (١/١١٢). من طرق عن قتادة وعن يزيد الرقاشي وعن سليمان بن طريف وغيرهم عن أنس رضي الله عنه، وكلها والله أعلم لا تخلوا من مقال.

إلا أن الحديث يصحح بالشواهد والله أعلم.

يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه بعد جهد جهيد لم يجده شيئاً وأنها لا توصل إلى الهدى ولا إلى العلم بل هي مجرد خيالات ظنوها حججاً مستقيمة فإذا هم يعترفون في آخر الأمر أنها خرافات عقيمة، فمنهم من أسعفه وتداركه الله برحمته وهداه في آخر عمره إلى مذهب السلف، ومنهم من بقي متردداً في ضلاله ويعمه في غيه وهو معترف بأنه ليس على شيء لكنه لا يدري أين طريق الهدى، وهذه شهادة من هؤلاء بصحة منهج السلف وقد تقرر أن الحق ما شهدت به الأعداء، فاسمع إلى كبيرهم الغزالي وهو يقول:- (أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام)(٤٤)

ويقول الرازي وهو من هو في علم الكلام، فإنه من أشد أهل الكلام إسرافاً على نفسه في الحيرة والشك والاضطراب وكانت له نهمة في ذلك، فهو مغرم بالتشكيك لا التحقيق وقد قال يخبر عن نهاية أمره :-

نهـــــــــــاية إقدام العقول عقــال   وغاية سعي العالمين ضــــلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وغـــاية دنيــــــانا أذى ووبال

وما استفدنا من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

ثم قال :- (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أرها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } و { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } وأقرأ في النفي { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)ا.هـ (٤٥). ويقول آخر منهم وهو من كبارهم أيضاً:- (لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت فيما نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي)ا.هـ.(٤٦) فهذه بعض اعترافات كبارهم كالغزالي والجويني والرازي والشهرستاني ، فإنها أي هذه الاعترافات ظاهرة على فساد هذه المناهج، مع أننا لم نسمع عن واحد من أهل

---

٤٤) انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية (٤/ ٢٨).

٤٥) انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية (٥/ ١١). وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٤٤).

٤٦) انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية (٥/ ١١).

السنة على مر التاريخ فيما نعلم أنه أنَّ هذه الأنات وزفر هذه الزفرات وسكب هذه العبرات، وهذا دليل على صحة منهج السلف، وأنه المتوافق مع الفطر السليمة والأفهام المستقيمة ، ولو أن هؤلاء المبتدعة سلموا لأدلة الكتاب والسنة وأخذوا أصولهم من أهل السنة لما تكلموا بهذه الألفاظ الفاسدة المجملة لكنهم جعلوا الأعاجم والأنباط وأفراخ اليونانيين أسياداً لهم في أخذ معتقداتهم وتربوا في مدارسهم الكفرية، وأصلوا أصولهم الفاسدة المناقضة للمعقول والمصادمة للمنقول فضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، فكيف تكون زبالات أذهان الفلاسفة المتهوكين أعلم و أقرب للحق ممن أخذ العلم غضا طريا من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل كيف يكون من اتفق السلف على ذمهم وتجريمهم في حق الأمة أحق بالاتباع من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ؟ إنه أمر لو تدبره العقل الخالي من الشبهة لعلم أن الحق لا يكون إلا مع السلف ، ولكن ثمة أقوام طمس الله بصائرهم ، فلا يرون الشمس في رابعة النهار والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

واعلم بأن الله ﷻ خلق العباد على مدى الأزمان

كي يعبدوه ويفردوه بحقه فهو الإله فما إله ثاني

وبذاك قد بعث الكرام جميعهم وتنزلت كتب من الرحمن

جل الإله عن الشريك فليس من ند ولا شرك ولا أعوان

بل كلهم خلق له وعبيده وهو الإله الحق ذو السبحان

أقول :ـ الكلام على هذه الأبيات في فروع :ـ

الفرع الأول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن أهل العلم رحمهم الله تعالى قد قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام :ـ توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، فأما توحيد الربوبية وهو توحيد الله تعالى بأفعاله جل وعلا، فهو الخالق ولا خالق إلا هو، وهو المالك ولا مالك على الحقيقة إلا هو، وهو المعز والمذل والمهيمن القادر القاهر، وهو المحي والمميت ولا يحيي ولا يميت إلا هو

جل وعلا، قال تعالى { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ }[الرعد ١٦، الزمر ٦٢] وقال تعالى { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ }[فاطر ١٣] وقال تعالى { يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[التغابن ١] وقال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا ..الآية }[الأعراف ١٧٢] وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ }[فاطر ٣]

الفرع الثاني :ـ واعلم رحمك الله تعالى أن هذا التوحيد مما أقر به الجميع فإنه لا يعرف عن طائفة من بني آدم إنكار هذا التوحيد إلا أن بعضهم عاند في الظاهر وأنكره مع إقراره به في الباطن كما عرف عن فرعون في قوله { مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي }[القصص ٣٨] وقال { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى }[النازعات ٢٤] إلا أن الخبيث كان مقراً بها في الباطن كما قال الله عنه { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا }[النمل ١٤] وقال الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال له { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا }[الإسراء ١٠٢] وكذلك الدهرية فإنهم يزعمون ظاهراً أن الدهر هو الذي يحييهم ويميتهم كما قال الله عنهم { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ }[الجاثية ٢٤] ومن الطوائف التي أنكرته أيضاً الشيوعية الذين يزعمون أن لا إله والحياة مادة وأن الطبيعة هي التي أوجدت نفسها بنفسها وكذلك أنكرته المجوس الوثنية الذين يزعمون أن للعالم خالقين، النور والظلمة، إلا أنه ومع ذلك فإنه لا يعرف عن طائفة من طوائف بني آدم أنهم أثبتوا للعالم خالقين مستويين في جميع الصفات فإنهم وإن أشركوا في توحيد الربوبية إلا أنهم ولابد أن يفضلوا إلهاً على آخر، الفرع الثالث :ـ واعلم رحمك الله تعالى أن توحيد الربوبية مركوز في الفطرة متقرر فيها كل التقرر وهو لا يحتاج إلى تقرير وإنما يحتاج إلى تذكير والدليل على ذلك قوله تعالى { فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ }[الروم ٣٠] وهذه الفطرة هي الاعتراف بأنه جل وعلا رب كل شيء ومليكه وقال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا... الآية }[الأعراف ١٧٢] وقال عليه

الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل ((وإني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)) (٤٧) وقال عليه الصلاة والسلام ((ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) (٤٨) ولم يقل أو يسلمانه أي يجعلانه مسلماً لأنه مسلم بالأصالة، وليس تقرير ذلك التوحيد هو الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب لأنه متقرر في الفطرة أصلاً .

الفرع الرابع :ـ وحيث كان توحيد الربوبية من المقرر في الفطرة فاعلم أن مجرد الإقرار به وحده لا يكفي للحكم بالدخول في الإسلام لأن المشركين أقروا به ولم يحكم لهم بالإسلام كما قال تعالى { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }[العنكبوت ٦١] وقال تعالى { قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ }[المؤمنون ٨٨] ومع إقرار المشركين فإن النبي - ﷺ - قاتلهم واستباح دماءهم، مما يدل على أن الإقرار بتوحيد الربوبية لوحده لا يكفي للحكم بالدخول في الإسلام، وبه تعرف أن من فسر توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية أنه قد غلط غلطاً عظيماً وقصر تقصيراً كبيراً فإن بعض الطوائف تعتقد أن معنى (لا إله إلا الله) أي لا خالق إلا الله أو لا قادر على الاختراع إلا الله، وهذا كلام صحيح في ذاته إلا أنه ليس هو معنى كلمة التوحيد، وذلك كما عند الصوفية والجهمية وبعض الأشاعرة وهو معتقد جماعة التبليغ والأخوان المسلمون فهو ما يذكرونه ولا شأن لنا بمن يجهل ذلك والمقصود أن هذا التفسير ليس هو التفسير الصحيح لأن التفسير الصحيح لهذه الكلمة هو أن يقال:- لا معبود بحق إلا الله و كما سيأتي تفصيل ذلك

---

٤٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥)

٤٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٨، ١٣٥٩) وفي كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥) وفي كتاب تفسير القرآن باب {لا تبديل لخلق الله} لدين الله " (٤٧٧٥) وفي كتاب القدر باب: الله أعلم بما كانوا عاملين (٦٥٩٩) ومسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

إن شاء الله تعالى ، فهذا النوع من التوحيد يسميه أهل العلم رحمهم الله تعالى بتوحيد الربوبية ، فهناك أفعال قد اختص الله تعالى بها ، فالواجب على العباد أن يوحدوه بها ، فيقولون :ـ لا مالك على الحقيقة إلا الله تعالى ، ولا مدبر لهذا الكون على الحقيقة إلا الله تعالى ، ولا محيي ولا مميت ولا خالق إلا الله تعالى .

الفرع الخامس :ـ فإن قيل : أوليس المخلوق يملك ؟ فأقول نعم ، ولكن بين ملك الله تعالى وملك المخلوق من الفرق كما بين السماء والأرض ، وبيان ذلك من وجوه :

منها : أن ملك الله تعالى ملك لا أول له فهو المالك لكل شيء في الأزل ، وأما ملك المخلوق فهو ملك حادث بعد أن لم يكن ، فأنت تملك اليوم ما لم تكن تملكه بالأمس ، وتملك غدا ما لم تكن تملكه اليوم ، وهكذا، وهذا واضح .

ومنها : أن ملك الله تعالى أبدي لا نهاية له ، فلا ينقطع ملكه للأشياء جل وعلا ، وأما ملك المخلوق فإنه ملك زائل ، إما بالبيع أو بالهبة أو بالصدقة أو بالموت ونحو ذلك .

ومنها : أن ملك الله تعالى عام شامل لكل الأشياء ، فالله تعالى له الملك المطلق وأما ملك المخلوق فإنه ملك محصور محدود وهذا معلوم فأنت لا تملك ما يملكه الآخرون فالمخلوق له مطلق الملك ، أي بعضه فقط ، وأما الله تعالى فله الملك المطلق ، أي كل ما يملك فهو داخل تحت ملكه جل وعلا ، وهنا لطيفة : وهي أن الملك - بضم الميم - أبلغ من الملك - بكسرها - وذلك أن الملك - بالضم - معناه ملك الأشياء وملك مالكيها ، فالله تعالى مالك للشيء ومالك لمن يملك هذا الشيء ، فالمملوك ومالكه كلهم يدخلون تحت ملكيته جل وعلا ، وأما الملك - بالكسر - فهو ملك للشيء فقط .

ومنها : أن الخالق جل وعلا له أن يتصرف في ملكه كما يشاء جل وعلا ، فله جل وعلا التصرف المطلق ، وأما المخلوق فليس له حرية التصرف في ملكه ، بل لا يجوز له أن يتصرف في ملكه إلا في حدود ما أقره الشرع فقط . والمقصود أن تعرف معرفة اليقين أن المالك لكل شيء هو الله تعالى ، وأن الملك لكل شيء هو

المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وعليه فالله هو وحده المستحق للعبادة لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكوته .

الفرع السادس :ـ فإن قلت :ـ في قوله تعالى{فتبارك الله أحسن الخالقين}[المؤمنون ١٤] دليل على أن هناك ثمة من يخلق ، ولكن الله تعالى هو أحسنهم ، فكيف تقول :ـ لا بد من توحيد الله تعالى بصفة الخلق فلا خالق إلا الله ، مع أن الله تعالى وصف غيره بأنه خالق ؟ فأقول :ـ لا إشكال في هذا ، وذلك لأن العبد إن وصف بأنه خالق فإنه لا يراد به الخلق أول مرة ، بمعنى الإيجاد من العدم ، فالمخلوق لا يستطيع أن يوجد شيئا قد كان معدوما ، فالخلق ابتداء لله تعالى ، لا شريك له فيها ، وأما الخلق المضاف إلى المخلوق فإنه يراد به الجمع والتصوير فقط ، أي أنه يأتي للشيء الموجود أصلا ثم يخرجه على صورة معينة ، فهذا يدخل تحت قدرة المخلوق بأمر الله تعالى لا بقدرة المخلوق استقلالا ، فالخلق إن أضيف إلى المخلوق فيراد به الجمع والتصوير وإخراج ما كان موجودا من قبل على صورة معينة ، وأما الخلق بمعنى الإيجاد فإنه لا يكون إلا لله تعالى ، ولذلك قال تعالى{إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له}[الحج ٧٣] وكذلك قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل " من ذا الذي يخلق كخلقي "(٤٩) { فقوله " يخلق " هنا مضافة إلى المخلوق يراد بها التصوير لا أصل الإيجاد ، ولذلك تحداهم بقوله " فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة " أي أنهم وإن صوروا تلك الصور ، ولكنهم لا يستطيعون أن يوجدوها أول مرة ، فالخلق بمعنى التصوير قد يقدر المخلوق عليه ، وأما الخلق بمعنى الإيجاد فإنه من جملة ما يجب تخصيص الله تعالى به وتوحيده به ، فلا شريك له في صفة الخلق بمعنى الإيجاد ، وأما الخلق بمعنى التصوير فيقال فيها :ـ الله تعالى هو أحسن المصورين ، فالشيء المعدوم أصلا لا يخلقه إلا الله تعالى ، والشيء الموجود يستطيع بعض العباد أن يصوره على صورة معينة ، كالسيارة مثلا ، فإن الحديد الذي صنعت منه هذه السيارة لا

---

٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب نقض الصور (٥٩٥٣) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {والله خلقكم وما تعملون} (٧٥٥٩) ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٢١١١)

يقدر أحد على إيجاده الأول ، بمعنى خلقه من العدم ، ولكن لما أوجده الله تعالى جمعه المخلوق بأمر الله تعالى وتعليمه له ، ثم صهره ، ثم صوره على صورة السيارة ، فالمادة التي صنعت منها السيارة إنما الله تعالى وحده هو الذي خلقها وأوجدها من العدم ، ولعل هذا واضح إن شاء الله تعالى ، فلا تخلط بين الأمرين ، وعليه :ـ فيكون المراد بقوله{فتبارك الله أحسن الخالقين}[المؤمنون ١٤] أي فتبارك الله أحسن المصورين ، كما قال تعالى{في أي صورة ما شاء ركبك}[الانفطار ٨] وكما قال تعال{لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم}[التين ٤] فلا إشكال في الأمر ، ولله الحمد والمنة ، والمقصود أن هذا النوع من التوحيد يسمى توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله تعالى بأفعاله ، ويسميه بعض أهل العلم بتوحيد المعرفة والإثبات ، وكلها مسميات ، وإن اختلفت ألفاظها في الظاهر إلا أنها تدل على شيء واحد ، والله الموفق والهادي .

الفرع السابع :ـ وأما النوع الثاني من أنواع التوحيد ، فهو النوع الذي ذكره صاحب النونية هنا في هذه الأبيات ، وهو توحيد الألوهية ، وهو أن تؤمن الإيمان القاطع الجازم أنه الله الذي لا إله إلا هو وأنه لا يستحق أحد العبادة في هذا الكون إلا هو جل وعلا فيجب عليك أن تعتقد أن العبادة حقه الصرف الخالص، الذي لا يجوز صرفه لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح، فضلاً عن الأشجار والأحجار والشياطين وغيرها، فأقسم بالله العلي العظيم أن العبادة حق لله تعالى، قال تعالى { شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[آل عمران ١٨] وقال تعالى { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ }[محمد ١٩] وقال تعالى { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ }[هود ١٤] وقال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }[الذاريات ٥٦] وقال تعالى { وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا }[النساء ٣٦] وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[البقرة ٢١] وهذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }[الأنبياء ٢٥] وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ }[النحل ٣٦] وهو

أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام فكل رسول بعثه الله تعالى إلى أمة من الأمم إنما يدعوا أمته أولاً إلى توحيد الألوهية فقد قال نوح لقومه { اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }[الأعراف ٥٩] وقال هود لقومه { اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }[الأعراف ٦٥] وقالها شعيب لقومه { اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }[الأعراف ٨٥] وكذلك سائر الرسل وهو التوحيد الذي وقعت فيه الخصومة ، فإن الخصومة بين الأنبياء والأمم لم تقع في أن الله هو الخالق والرازق والمحيي والمميت وإنما وقعت في أنه لا يعبد إلا هو جل وعلا كما قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ }[الصافات ٣٦] وقد كانوا يعلمون العلم الأكيد أن زبدة دعوة الرسل هو إفراد الله تعالى بالعبادة قال تعالى عنهم { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }[ص ٥] ومرتكز هذا التوحيد على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهي كلمة التوحيد ، وسيأتي الكلام عليها بالتفصيل إن شاء الله تعالى ، والمهم أن هذا هو أخطر الأنواع ، وآكد الأنواع ، وأول مطلوب ، وهذا بإجماع أهل العلم رحمهم الله تعالى ، أعني بهم أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، قال أبو العباس رحمه الله تعالى (والتوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له وهو متضمن لشيئين أحدهما القول العملي وهو إثبات صفات الكمال له وتنزيهه عن النقائص وتنزيهه عن أن يماثله احد في شيء من صفاته فلا يوصف بنقص بحال ولا يماثله أحد في شيء من الكمال)(٥٠) وقال رحمه الله تعالى (وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعبد الله وحده لا يشركون به شيئا فيكون الدين كله لله ولا يخاف إلا الله ولا يدعى إلا الله ويكون الله أحب إلى العبد من كل شيء فيحبون لله ويبغضون لله ويعبدون الله ويتوكلون عليه)(٥١).

الفرع الثامن :ـ وبناء على التقرير السابق فاعلم رحمك الله تعالى أن التوحيد الذي خلقنا الله تعالى له ولتحقيقه في هذه الحياة هو أن نعبده وحده لا شريك له ، كما قال

---

٥٠) انظر كتاب الصفدية لابن تيمية (٢/ ٢٢٨).

٥١) انظر منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية (٣/ ٢٨٩).

الناظم :ـ (واعلم بأن الله ﷻ خلق العباد على مدى الأزمان كي يعبدوه) وهذا كما قال تعالى{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[الذاريات ٥٦] فالله تعالى لم يخلقنا عبثا ولم يتركنا سدى ، ولا خلقنا ليستكثر بنا من قلة ، أو يستعز بنا من ذلة ، أو ليتقوى بنا من ضعف ـ حاشا وكلا ـ وإنما خلقنا لحكمة عظيمة وغاية جليلة وهي أن نوحده بالعبادة جل وعلا ، فلا معبود بالحق إلا هو جل وعلا ، وقوله (ويفردوه بحقه) أي بالعبادة ، لأن العبادة هي حقه ، وقد تقرر بإجماع أهل العلم رحمهم الله تعالى أن العبادة حق صرف محض لله تعالى لا تصرف لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح ، فالتعبد من حقوق الله تعالى الخاصة التي لا تقبل الشركة ، فلا يصلح أصلا أن يكون ربا ولا معبودا إلا الله تعالى ، وما عبد من دون الله تعالى فإنما عبد بالكذب والزور والبهتان والإفك .

الفرع التاسع :ـ فبان لك بما قررناه أن التوحيد أول دعوة المرسلين ، وزبدة رسالتهم ، وأول أمر صدر منهم لمن بعثوا إليهم ، فالتوحيد أول واجب وآخر واجب ، وأعظم ما أمر الله به ، وهو حق الله على عباده ، وقد وردت آيات القرآن وأحاديث السنة آمرة به ، فقال تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا "[النساء ٣٦] فقوله (ولا تشركوا به شيئا) نكرة في سياق النفي فتعم ، فيدخل فيها النهي عن إشراك كل أحد كائنا من كان ، فهذا أمر بعبادته وحده لا شريك له ، ونهي عن صرف العبادة لغيره جل وعلا ، وقال تعالى " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت "[النحل ٣٦] وقال تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول ألا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون "[الأنبياء ٢٥] فهذا إخبار عن وظيفة الرسل جميعا ، وهي أمر الأمم بالتوحيد والنهي عن عبادة ما سواه جل وعلا ، وقال تعالى " واذكر أخا عاد إذا أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت الرسل من بين ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم "[الأحقاف ٢١] فالرسل كلهم جاءوا لتقرير هذا لأصل العظيم ، فأعظم مسألة في الدين وأخطر مسألة وأفخم مسألة هي وجوب توحيده جل وعلا والنهي عن صرف شيء من العبادة لغيره ، فمن فهم هذا الأصل الكبير وعمل بمقتضاه فقد فاز وأفلح ، فلا يعبد إلا الله تعالى ، فعبادته جل وعلا حق وتوحيد ، وعبادة غيره باطل وتنديد ، وقال تعالى " فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم

متقلبكم ومثواكم "[محمد ١٩] وقال تعالى " ألم أعهد إليكم يبني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم "[يس ٦٠] فمن صرف شيئا من العبادة لغير الله تعالى فهو في حقيقته إنما يعبد الشيطان ، وقال تعالى " قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين "[الكافرون] فهذه السورة كلها في تقرير وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة والنهي عن عبادة ما سواه ، وقال تعالى " قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين "[الأنعام ٥٦] فعبادة غيره منهي عنها النهي الأكيد القاطع، وقال تعالى " قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين "[يونس ١٠٤] وهذه الآية هي عين القاعدة ، وقال تعالى " قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مئاب"[الرعد ٣٦] فهذا أمر من الله تعالى بأن يعبد وحده لا شريك له وأن لا يشرك معه في عبادته أحد ، وهو عين ما نريد تقريره في هذه القاعدة ، فالعبادة حق الله المحض الصرف الذي لا حق لأحد معه فيها ، بل هي حقه الخالص ، وهذا مما حكم الله به كما قال تعالى " إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "[يوسف ٤٠] ولقد قضى بذلك جل وعلا فقال تعالى " وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه "[الإسراء ٢٣] وقال تعالى " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون "[التوبة ٣١] وقال تعالى " قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ، ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين "[الزمر ٦٤] وقال تعالى " يا عبادي الذين ءآمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون "[العنكبوت ٥٦] والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا ، بل إن توحيد الله بالعبادة والنهي عن عبادة ما سواه من أعظم مقاصد القرآن التي جاء بتقريرها أكمل التقرير ، وأما السنة فهي طافحة بالأمر بالتوحيد ولنهي عن الشرك ، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال :- قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال " أن تجعل لله ندا وهو

خلقك " قلت :- ثم أي ؟ قال :-" أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " قلت :- ثم أي ؟ قال :-" أن تزاني حليلة جارك "(٥٢) فأنزل الله عز وجل تصديقها " والذين لا يدعون مع الله إلها آ خر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون الآية " فأعظم الذنوب على الإطلاق هو الشرك ، وهو صرف العبادة لغير الله تعالى ، وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا "(٥٣) رواه أحمد ، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال :- قال رسول الله ﷺ :-" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله "(٥٤) وقال ﷺ " من شهد أن لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه إلا بحقه "(٥٥) وعن ربيعة بن عباد الديلي

---

٥٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} (٤٤٧٧) وفي كتاب تفسير القرآن باب قوله {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما} «العقوبة» (٤٧٦١) وفي كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل معه (٦٠٠١) وفي كتاب الحدود باب إثم الزناة (٦٨١١) وفي كتاب الديات (٦٨٦١) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا} (٧٥٢٠) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته) (٧٥٣٢) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده (٨٦)

٥٣) حسن.

أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٦١٩) والبخاري في التاريخ الكبير (١٤١٧) والطبراني في المعجم الكبير (٨٠٥) والحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة ﷺ (٤٨٣١) والبيهقي في دلائل البيهقي جماع أبواب المبعث حديث إياس بن معاذ الأشهلي وحديث يوم بعاث (٢/ ٤٢٠) وأبي نعيم في معرفة الصحابة (٨٣٩، ٩٥٤).

من طريق محمد بن إسحاق عن الحصين بن عبد الرحمن بن سعد بن عمرو بن معاذ عن محمود بن لبيد ﷺ.

الحصين بن عبد الرحمن قال عنه أبو داود "حسن الحديث".

٥٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} (٢٥) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٢٢)

٥٥) ضعيف.

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب المغازي ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة (٣٧٠٥٤).

رضي الله عنه قال :- رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناي بمنى بمنازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول " يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا " ووراءه رجل يقوا :- يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تدعوا ما كان يعبد آباؤكم ، فسألت من الرجل ؟ فقيل :- أبو لهب (٥٦). رواه أحمد والحاكم وصححه .وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :- أتى أعرابي النبي ﷺ فقال :- دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ؟ فقال " تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان " قال :- والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، فلما ولى قال النبي ﷺ :-" من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا "(٥٧) وهو في الصحيحين ، وفيهما أيضا من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما قال :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من أصحابه :-" بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم

من طريق سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال: لما ارتد على عهد أبي بكر أراد أبو بكر أن يجاهدهم ، فقال عمر أتقاتلهم وقد سمعت رسول الله يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن مُحَمَّدا رسول الله حرم ماله ودمه إلا بحقه وحسابه على الله» الحديث.

وهذا إسناد ضعيف، سفيان بن حسين ضعيف في الزهري خاصة ، وعبيد بن عبد الله بن عتبة تابعي من الطبقة الثالثة لم يشهد القصة وقد ذكر العلماء أيضا أن روايته عن عمر ﷺ مرسلة.

٥٦) حسن بالمجموع.

أخرجه أحمد في مسنده (١٦٠٢١، ١٦٠٢٢، ١٦٠٢٣، ١٦٠٢٤، ١٦٠٢٥، ١٦٠٢٦، ١٦٠٢٧، ١٩٠٠٤) والحارث في مسنده (٦٤١، ٦٧٧) وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٤) والطبراني في المعجم الكبير (٤٥٨٢، ٤٥٨٤، ٤٥٨٥، ٤٥٨٦، ٤٥٨٩) وفي المعجم الأوسط له (١٤٨٧) والحاكم في المستدرك (٣٨، ٣٩) والبيهقي السنن الكبرى (١٧٧٢٧) وفي دلائل النبوة له (٢/ ١٨٥، ١٨٥) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٥٥، ٢٧٥٦، ٢٧٥٨، ٢٧٥٩) و اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة سياق ما روى النبي ﷺ في ابتداء الوحي، وصفته، وأنه بعث وأنزل إليه وله أربعون سنة (٤/ ٨٣٨) كلهم من طرق عن ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه، تحسن بالمجموع.

٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة (١٣٩٧) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة (١٤). من حديث أبي هريرة ﷺ.

ولا تعصوا في معروف الحديث "(٥٨) وعنه رضي الله عنه قال:- قال رسول الله ﷺ :-" من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل "(٥٩) وعن جابر رضي الله عنه قال :- قال رسول الله ﷺ :-" ثنتان موجبتان " قال رجل :- يا رسول الله :- ما الموجبتان ؟ فقال :-" من ما يشرك بالله شيئا دخل النار ، ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة "(٦٠) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وبهذا تعلم أن العبادة حق الله تعالى لا شريك لأحد معه فيها ، بل هي حقه الخالص الصرف المحض ، وأن عبادة غيره ظلم وعدوان وشرك .

الفرع العاشر :ــ ثم اعلم رحمك الله تعالى أن الله تعالى قد استدل على توحيده بعدة براهين ، لأن هذه المسألة هي أعظم القضايا على الإطلاق ، فنوع الله تعالى الاستدلال عليها وغير في براهينها ، وأنا أذكر لك إن شاء الله تعالى مجمل الأدلة والبراهين المذكورة في كتاب الله تعالى والتي تدل على أحقيته بالتوحيد وبطلان الشرك ، فأقول وبالله تعالى التوفيق ومنه أستمد العون والفضل :ــ

فمن هذه البراهين: الاستدلال على توحيده في عبادته بتوحيده في ربوبيته وهذا كثير في القرآن جدا، فإن المستحق لأن يعبد وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر المالك المهيمن، وهذا هو الله تعالى، فإنه المالك لكل شيء والخالق لكل شيء والمتصرف المدبر لكل شيء، فكما أنه رب كل شيء فهو إله كل شيء،

---

٥٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب: علامة الإيمان حب الأنصار (١٨) وفي كتاب مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، وبيعة العقبة (٣٨٩٢، ٣٨٩٣) وفي كتاب تفسير القرآن باب {إذا جاءك المؤمنات يبايعنك} (٤٨٩٤) وفي كتاب الحدود باب: الحدود كفارة (٦٧٨٤) وفي كتاب الحدود باب توبة السارق (٦٨٠١) وفي كتاب الأحكام باب بيعة النساء (٧٢١٣) وفي كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} (٧٤٦٨) ومسلم في صحيحه كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها (١٧٠٩)

٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم (٣٤٣٥) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٢٨).

٦٠) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار (٩٣).

وقد تقرر أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، ولذلك قال الله تعالى " يا أيها الناس اعبدوا ربكم "[البقرة ٢١] وهذا أمر بتوحيد الألوهية ثم ساق الاستدلال على أحقيته في ألوهيته بقوله " الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم "[البقرة ٢٢] وهذا كله من توحيد الربوبية ، ثم أخبر عن نتيجة الإيمان بذلك بقوله " فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون " [البقرة ٢٢] وقال تعالى " قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ، ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق وعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون "[المؤمنون ٨٤،٩٢] فقررهم أولا بإيمانهم بتوحيد الربوبية ثم انتقل معهم بأن إيمانهم بذلك يوجب عليهم أن يفردوه بالعبادة ، وعليه فمن آمن بأن الله تعالى هو الرب الخالق المالك المتصرف ثم صرف العبادة لغيره فقد وقع في أعظم وأقبح التناقض ، ولذلك قال الله تعالى " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون "[يوسف ١٠٦] قال جمع من السلف : يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المالك ويعبدون معه غيره ، وقال تعالى " فمن لا يخلق لا يستحق أن يعبد كما قال تعالى "قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات الآية "[الأحقاف ٤] وقال تعالى " أيعبدون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون "[الأعراف ١٩١] ومن لا يملك شيئا فلا يستحق أن يعبد كما قال تعالى " ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير "[فاطر ١٣] وقال تعالى " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير "[سبأ ٢٢] وقال تعالى " وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم "[البقرة ١٦٣] وهذا خبر يتضمن الأمر بتوحيد الألوهية، ثم ساق ذكر الآية بعدها على وجه الاستدلال على ذلك فقال " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " [الجاثية ٥] فلأن الله تعالى هو رب كب شيء فهو إله كل شيء ، وأما من دونه جل وعلا فإنه لا يصلح أن يكون ربا ، وعليه فلا يصلح أن يكون إلها ولا معبودا من دون الله عز وجل ، فالكل معترف ولو باطنا بأن الله تعالى وحده هو الخالق وحده ولا خالق إلا هو ، وهو المالك لكل شيء وحده ولا مالك على الحقيقة إلا هو، وهو المدبر وحده ولا مدبر على الحقيقة إلا هو ، فحيث كان كذلك فنقول : إنه المتسحق للعبادة وحده ولا يستحق أحد العبادة في هذا الكون إلا هو ، فهذا هو الحق الذي لا أحق منه ، وهو العدل والصدق الذي لا أعدل ولا أصدق منه ، وأقسم بالله تعالى أنه لا يستحق أحد العبادة ألا هو وحده لا شريك له ، فهذا برهان عظيم ، لا بد من تدبره والنظر إليه بعين الاعتبار ، وإن النظر الصحيح فيه كفيل بدلالة العقول والقلوب على الله تعالى .

ومن البراهين أيضا: الاستدلال عليه بتصريح الله تعالى به في كتابه في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم "[آل عمران ١٨] وكقوله تعالى " ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير " [الحج ٦٢، لقمان ٣٠] أي أن عبادته جل وعلا هي الحق ، وأما عبادة غيره فإنها أبطل الباطل ، وقال تعالى " وهو الله في السموات وفي الأرض " [الأنعام ٣] وقال " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله "[الزخرف ٨٤] أي أنه لا إله لأهل السموات ولا لأهل الأرض إلا إله واحد هو المعبود فيهما وهو الله تعالى وحده لا شريك له ، وهذا كثير جدا في القرآن .

ومن البراهين أيضا: الاستدلال عليه ببطلان ألوهية غيره ، فإنه جل وعلا مع إثبات الإلهية له وحده فإنه يبطل إلهية غيره بالأوجه القاطعة التي لو تدبرها العاقل لعلم بأن كل ما عبد من دون الله تعالى فإنما عبد بالظلم والبغي والعناد والطغيان والباطل ، وهذه الأوجه كثيرة جدا وسأفرد لها فصلا خاصا هو الآتي بعد هذا الفصل إن شاء الله تعالى ، لأننا في هذا الفصل نثبت أحقية الله تعالى بالعبادة ، وفي الذي بعده سنثبت بطلان عبادة ما سواه ، حتى يترتب الكلام في ذهنك .

ومن البراهين أيضا : الاستدلال على ألوهيته بأنه وحده النافع الضار ، وهما من أسماء الله تعالى المزدوجة المقترنة التي لا يفرد أحدهما عن الآخر وهي تدل على كمال الله سبحانه وحكمته البالغة حيث ينفع من أطاعه بفعل الخيرات في الدنيا والإعانة عليها ، وتكون سببا لدخول الجنة ، والضار لمن عصاه وابتعد عن هداه ، ومآله إلى النار وبئس القرار ، وقد استدل الله تعالى في كتابه الكريم على ألوهيته بأنه وحده الذي بيده النفع والضر ، فقال تعالى " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم "[يونس ١٠٧] وقال تعالى " قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون " [الزمر ٣٨] فالقادر على النفع والضر هو المستحق أن يعبد ، ولذلك أبطل الله تعالى عبادة الأصنام من الأشجار والأحجار وغيرها فأنها لا تنفع ولا تضر ولا تغني عابدها شيئا لا في إيصال المحبوب ولا في تفريج الكروب ولا في جلب الخيرات ولا دفع المضرات ، فقال الله تعالى " وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين "[الأعراف ١٤٨] وفي آية أخرى قال عن هذا العجل " أفلا يرون أن لا يرجع أليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا " [طه ٨٩] وقال تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال لأبيه مستدلا على بطلان عبادته للحجر " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا "[مريم ٤٢] وقال الله تعالى عنه أيضا أنه قال لقومه " قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون " [الأنبياء ٦٦] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ومن البراهين أيضا : الاستدلال على ألوهيته بأنه القادر على كل شيء وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن السموات والأرض قبضته يوم القيامة، وأن أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون ، وأنه القاهر فوق عباده ، وأن المخلوقات بأسرها عاجزة عن شيء من ذلك والعاجز لا يصلح أن يكون ربا ولا معبودا ، قال تعالى " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون "[الزمر٦٧] فأين

هذا ممن يعبد قبرا أو شجرا أو حجرا أو صنما أو ميتا ؟ إنه تناقض العقل البشري وفساد الفهم وتلبيس الشيطان، فالعاجز الضعيف لا يصلح أن يكون إلها، بل الإله هو القوي القوة المطلقة والقادر القدرة المطلقة، وذلك هو الله تعالى.

ومنها : أن ملك الله تعالى أبدي لا نهاية له ، فلا ينقطع ملكه للأشياء جل وعلا ، وأما ملك المخلوق فإنه ملك زائل ، إما بالبيع أو بالهبة أو بالصدقة أو بالموت ونحو ذلك .

ومنها : أن ملك الله تعالى عام شامل لكل الأشياء ، فالله تعالى له الملك المطلق وأما ملك المخلوق فإنه ملك محصور محدود وهذا معلوم فأنت لا تملك ما يملكه الآخرون فالمخلوق له مطلق الملك ، أي بعضه فقط ، وأما الله تعالى فله الملك المطلق ، أي كل ما يملك فهو داخل تحت ملكه جل وعلا ، وهنا لطيفة : وهي أن الملك - بضم الميم - أبلغ من الملك - بكسرها - وذلك أن الملك - بالضم - معناه ملك الأشياء وملك مالكيها ، فالله تعالى مالك للشيء ومالك لمن يملك هذا الشيء ، فالمملوك ومالكه كلهم يدخلون تحت ملكيته جل وعلا ، وأما الملك - بالكسر - فهو ملك للشيء فقط .

ومنها : أن الخالق جل وعلا له أن يتصرف في ملكه كما يشاء جل وعلا ، فله جل وعلا التصرف المطلق ، وأما المخلوق فليس له حرية التصرف في ملكه ، بل لا يجوز له أن يتصرف في ملكه إلا في حدود ما أقره الشرع فقط . والمقصود أن تعرف معرفة اليقين أن المالك لكل شيء هو الله تعالى ، وأن الملك لكل شيء هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وعليه فالله هو وحده المستحق للعبادة لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكوته .

ومن براهين التوحيد أيضا : الاستدلال على وحدانيته في عبادته بوحدانيته في أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فإنه جل وعلا له أسماء كاملة في حسنها الكمال المطلق ، وصفات لها الجمال والجلال المطلق ، قال تعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون "[الأعراف ١٨٠] وقال تعالى " وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم "[الروم ٢٧] وعليه فالذي لا يوصف بصفات الكمال فإنه لا يستحق أن يكون ربا

ولا معبودا من دون الله تعالى ولذلك استدل الله تعالى على بطلان إلهية ما يعبد من دونه من الأصنام والأحجار بسلب صفات الكمال عنها ، فقال عن خليله إبراهيم أنه قال لأبيه " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا "[مريم ٤٢] فاستدل على بطلان عبادتها بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عابدها شيئا ، وهذا واضح في بطلان عبادتها ، فهم يمسون عندها ويصبحون ويتزلفون لها بكل القرب رجاء أن تنفعهم وهي في ذاتها لا تسمعهم ولا تبصرهم ولا تدري ماذا يقولون أصلا ، وأما لله تعالى فإنه السميع السمع الكامل ، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في الماء ، وله البصر الكامل فلا يخفى على بصره شيء ، فيسمع دعاء الداعين ، ويجيب دعوة المضطرين ، ويغيث لهفة المتوجعين ، فأين هذا من هذا ، ولكنه العقل البشري إذ اضل عن طريق الهدى ، وتقحم في عماية الجهل ، وكذلك استدل الله تعالى بكمال القدرة على أنه المعبود وحده لا شريك له ، وسلب إلهية ما يعبد من دونه بأنه عاجز ضعيف لا يقدر على شيء ، كما سيأتي ذلك في الفصل القادم ، وكذلك استدل على وحدانيته في العبادة بوحدانيته في الخلق ، وهو استدلال بصفات الكمال ، واستدل على ذلك بأنه مالك الملك ، وأنه الفعال لما يريد ، وأنه قدر كل شيء خلقه تقديرا ، وأنه النافع الضار ، وأنه القابض الباسط ، وأنه المعطي والمانع ، وأنه العلي الأعلى ، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء ، وأنه الذي إذا أراد شيئا فإنما يقول له " كن فيكون " وأنه المهيمن فوق عباده ، وأنه يرزق من يشاء بغير حساب ، وأن أزمة الأمور بيده ، فيغني ويفقر ، ويعز ويذل ، ويعطي ويمنع ، ويحي ويميت ، وأنه ينزل الغيث وينشر رحمته وأنه الولي الحميد ، وأنه يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وأنه الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وغير ذلك كثير جدا في القرآن ، مما لا يكاد يحصر إلا بكلفة ، فالله تعالى يستدل على أنه الواحد في ألوهيته بأنه الواحد في أسمائه وصفاته ، وأن له صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال والعظمة ، وأن له الأسماء الحسنى التي لا يستحقها إلا هو جل وعلا ، قال تعالى " هل تعلم له سميا "[مريم ٦٥] فإن من تدبر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا علم علما يقينيا قطعيا أنه هو وحده المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له ، وأن ما عبد من دونه أنما عبد

بالظلم والبغي والتعدي ، ولذلك فأعظم الظلم هو الشرك كما قال تعالى " إن الشرك لظلم عظيم " [لقمان ١٣] وأعدل العدل وأحق الحق هو توحيده في العبادة جل وعلا ، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ومن براهين التوحيد أيضا : الاستدلال عليه بأنه جل وعلا له الحكم وحده ، الحكم الشرعي والحكم الكوني القدري ، فلا حاكم شرعا وكونا إلا الله تعالى ، فالذي له الحكم وحده هو المستحق لأن يعبد وحده ، وأما من لا حكم له فإنه لا يستحق شيئا من العبادة ، دع عنك الذين يحكمون القوانين الوضعية التي هي من البشر ، فإنها أحكام لا تسمن ولا تغني من جوع ، لأنها من وضع البشر الذين لا يعلمون ما يصلح الناس ، ولذلك ففيها الظلم والبغي والعدوان والإفك والجور، وفيها ما يتنافى مع الفطرة ، ولا يصلح لأن يحكم به بين البهائم في علفها ، فضلا عن أن يتحاكم بها البشر فيما بينهم ، بل ما دخل الفساد على العالم إلا لما اعتمدت هذه القوانين ونسفت شريعة الله تعالى ، فلا يزال الناس في سفول منذ حكمت بينهم هذه القوانين وأبعد عنهم التحاكم بشرع الله تعالى ، لأنه لا صلاح لهذا العالم ولا نجاة له من بلاياه التي يعيشها إلا بالرجوع إلى حكم الشريعة ، لأنه من عند عزيز حكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حميد مجيد ، ولذلك قال تعالى " إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "[يوسف ٤٠] فأحكام الله تعالى صادرة من عند الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، فلا ظلم فيها ولا مفسدة ، بل هي عدل كلها ونور كلها وصلاح كلها ، فكيف يعبد الأموات وهم لا حكم لهم لا شرعا ولا قدرا ، وكيف تعبد الملائكة وهي لا حكم لها شرعا ولا قدرا ، وكيف يعبد الأنبياء وهم إنما يبلغون أحكام الله تعالى فلا يأتون بشيء من عند أنفسهم ، وإنما هو وحي يوحى إليهم ، وكيف يعبد الأولياء والصالحون وهم لا حكم لهم شرعا ولا قدرا ، ذلك لأن المعبود هو من يحكم في غيره ولا يحكم غيره فيه ، وذلك هو الله تعالى ، وأما الملائكة والأنبياء والأولياء فإنهم مربو بون متعبدون بأحكام قررها لهم ربهم جل وعلا ، فكيف يعبد من لا حكم له وتترك عبادة من له الحكم كله ، " إن الحكم إلا لله " وقال تعالى " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب "[الشورى ١٠] وقال تعالى " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم

يوقنون "[المائدة ٥٠] وهذا من مقتضيات ربوبيته وألوهيته جل وعلا ، فلأن الحكم لله وحده فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له جل ، وذلك قال تعالى " وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون "[القصص ٧٠] فانظر كيف استدل على وحدانيته في العبادة بوحدانيته في الحمد والحكم ، وقال تعالى " ولا تدع من الله إلها آخر ، لا إله إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون "[القصص ٨٨] فقرن وحدانيته في الألوهية بوحدانيته في الحكم ، وقال تعالى " ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا"[الكهف ٢٧] وكما أنه لا شريك له في حكمه فكذلك لا شريك له في عبادته .

ومن البراهين أيضا :ـ الاستدلال على توحيده في عبادته بأنه وحده من ينزل الغيث ويحيي الأرض بعد موتها ، فوالله لو يجتمع من بأقطارها على فعل ذلك ما كان لهم عليه من سلطان ، وذلك قال تعالى " أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ، إنا لمغرمون بل نحن محرومون ، أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشرون "[الواقعة٦٣،٧٠] فاستدل على وحدانيته في العبادة على أنه الذي ينبت الزرع وينزل الماء من السحاب ، وقال تعالى مستدلا بذلك أيضا وداعيا الإنسان للتفكر والتأمل في ذلك " قتل الإنسان ، ما أكفره ، من أي شيء خلقه " [عبس ١٧، ١٨] إلى أن قال جل وعلا " فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم "[عبس ٢٤،٣٢] فساق الله تعالى ذلك مساق المستدل به على أنه المستحق للعبادة وإفراده بالتوحيد ، ومساق الإنكار على من كفر وأشرك به من لا يقدر على شيء من ذلك ، فانظر بعين العقل فداحة وعظم ظلم هذا الإنسان ، كيف يأكل من رزق الله الذي ساق السحاب وأنزل منها الماء وصبه على الأرض وشقق النواة وأخرج به الزرع والأشجار الوارفة ذات الثمرات المتنوعة ليأكلها هذا الإنسان وبهائمه ، ثم هو يكفر بربه ويشرك معه غيره في عبادته ، تالله إنها لأحدى الكبر ، ولذلك قال تعالى " وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء طهورا ، لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ، ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ،

فأبى أكثر الناس إلا كفورا "[الفرقان ٥٠] يعني أنه جل وعلا فعل ذلك ليكون للناس عبرة وذكرى ودلالة على أنه المستحق للعبادة وحده ، ولكن أبى أكثر الناس ذلك وأشركوا معه غيره وكفروا بنعمته ، فإنزال المطر وإنبات الزرع من البراهين الدالة على وجوب توحيده في العبادة وأنه المستحق لأن يعبد في هذا لكون وحده لا شريك له ، وفي الصحيحين من حديث زيد بن خالد قال :ـ صلى بنا رسول الله ﷺ بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال :ـ" هل تدرون ما ذا قال ربكم ؟ " قالوا :ـ الله ورسوله أعلم ، قال :ـ" قال :ـ أصبح من عبادي مءمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بس كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب "(٦١) فسبحان من طمس على بعض القول فلا ترى الشمس في رابعة النهار ، وقد جعل الله تعالى إنزال المطر وإحياء الأرض من جملة الآيات العظيمة الدالة على أنه المستحق للعبادة وحده ، فقال تعالى " والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون"[النحل ٦٥] وقال تعالى " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون "[البقرة ١٦٤] وبهذا يتبين أن إنزال المطر بكمية مقدرة وإحياء الأرض بعد موتها من الدلائل القطعية على أنه جل وعلا هو المعبود وحده في هذا الكون ، وأنه لا إله إلا هو ، وقال تعالى " وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون " [يس ٣٢، ٣٥] والبلية العظمى أن المشركين يؤمنون بأن الله تعالى هو الذي يفعل ذلك وليس أصنامهم ، كما قال تعالى " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء

---

٦١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (٨٤٦) وفي أبواب الاستسقاء باب قول الله تعالى: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} قال ابن عباس: «شكركم» (١٠٣٨) وفي كتاب المغازي باب غزوة الحديبية (٤١٤٧) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} (٧٥٠٣) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (٧١)

فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون "[العنكبوت ٦٣] ومع ذلك فهم يعبدون معه غيره ، وعليه :ـ فكما أن الله هو وحده القادر على إجراء السحاب وإنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها فهو وحده المستحق للعبادة لا شريك له جل وعلا .

ومن البراهين أيضا :ـ الاستدلال على وحدانيته في العبادة بأنه وحده الذي خلق الليل والنهار وجعلهما متعاقبين ، فاختلاف الليل والنهار من الآيات العظيمة الدالة على أنه المعبود وحده لا شريك له ، فإنه لو يجتمع من بأقطارها على تأخير الليل أو النهار لحظة لما استطاعوا ، لأن ذلك لا يقدر عليه إلا الله وحده ، فالذي بيده اختلاف الليل والنهار هو المستحق للعبادة ، وأما العاجز عن ذلك فإنه لا يستحق أن يكون إلها ولا معبودا ، والملائكة والأنبياء والأولياء عاجزون عن ذلك العجز المطلق ، فلا يستحقون شيئا من أمور العبادة ، ولذلك نبه اللع عباده لذلك فقال " قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله النهار عليكم سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون "[القصص ٧١، ٧٣] وأعظم شكره أن يعبد وحده لا شريك له جل وعلا ، وقال تعالى " ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون "[فصلت ٣٧] وقال تعلى " وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون "[يس ٣٧] وقال تعالى " يغشي الليل النهار "[الأعراف ٥٤] وقال تعالى " وسخر لكم الليل والنهار "[إبراهيم ٣٣] وقال تعلى " إن في اختلاف الليل والنهار الآية بتمامها "[يونس ٦] وقال تعالى " وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا"[الفرقان ٦٢] وقال تعالى " وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا"[الإسراء ١٢] وقرن هذه الآية العظيمة بخلق السموات والأرض فقال " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب "[آل عمران ١٩٠] وأخبر أن تقليب الليل والنهار آية لأولي الأبصار فقال تعالى " يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة

لأولي الأبصار"[النور ٤٤] فاختلاف الليل والنهار من أعظم النعم التي امتن الله بها على عباده ، فلو كان الليل سرمدا لتعطلت الحياة، وأصبح الإنسان في خمول وكسل ، وكذلك لنهار لو جعله الله سبحانه مستمرا لكان الناس في تعب وإرهاق ، لكنه العليم الخبير ، فجعلهما يلفان الأرض لا يتأخران عن وقتهما ، فهما آيتان من آيات الله الباهرة التي يراها العباد في اليوم مرتين تنبئ عن وحدانية الخالق وعظمته ، وكمال قدرته ، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له .

ومن البراهين أيضا :ـ الاستدلال على وحدانيته في العبادة بإبداعه في الخلق ، فإن الله تعالى خلق الخلق وأبدعه إبداعا حير العقول ، وأخذ بقلوب الخلق ـ لا سيما العلماء منهم ـ ولا تزال العقول قاصرة عن إدراك جوانب كثيرة من هذا الإبداع ، فانظر إلى السماء فوقنا كيف بناها الله تعالى ، وما لها من فطور ، ولو قلبت النظر وأعدته لترى فيها من عوج أو شطط أو فروج أو شيء مخل بحسن الخلق لما وجدت لذلك سبيلا ولعاد إليك بصرك خاسئا وهو حسير ، فهي محبوكة الخلق ، حسنة المنظر ، يسرق العيون جمالها ، وتأخذا لقلوب روعتها ، ومع ثقلها وكبرها وضخامتها فهي مبنية بلا عمد نراها ، فلا شيء تحتها يمسكها ، ومع ذلك فهي ثابتة في مكانها لا تهتز ولا تتغير ولا تسقط على الخلق ، لأن الذي خلقها هو الذي أمسكها بقدرته ، قال تعالى " إن الله يمسك السموات والأرض أن نزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا "[فاطر ٤١] ثم زينها بهذا الكواكب ذات العدد الكثير جدا فلا يحصي عددها إلا هو جل وعلا ، فجعل في كل جنبة من جنبات السماء الدنيا نجوما زاهرة وأفلاك دائرة ، ومجرات ضخمة فيها من النجوم ما لا يحصى عددا ، رجوما للشياطين ، وزينة للسماء ، وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، قال تعالى " أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج "[ق ٦] وقال تعالى " والسماء ذات الحبك "[الذاريات ٧] ولذلك قال تعالى " إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب "[الصافات ٤، ٦] وقال تعالى مستدلا على أنه المعبود بحق " الذي أحسن كل شيء خلقه "[السجدة ٧] فإحسان الله تعالى لما خلق وإبداعه فيه من أعظم الآيات الدالة على أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وقال تعالى " بديع السموات والأرض "[البقرة ١١٧،

الأنعام ١٠١] في موضعين من القرآن الكريم ، وقال تعالى " فتبارك الله أحسن الخالقين " وانظر كيف أنكر الله تعالى على من كفر به مع أنه يعلم أنه الله تعالى هو الذي خلق السماء وأحس خلقها فقال تعالى " قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم "[فصلت ٩، ١٢] أي كيف تكفرون والحال كذلك ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى (تأمل خلق السماء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة ، كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها ، بحيث لا تصعد علوا كالنار ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة ، ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها ، بل هي ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ولا فطر ولا شق ولا أمت ولا عوج ، ثم تأمل ما وضعت عليه من هذا اللون الذي هو أحسن الألوان وأشدها موافقة للبصر وتقوية له ، حتى إن من أصابه شيء أضر ببصره يؤمر بإدمان النظر إلى الخضرة ، وما قرب منها إلى السواد ، فتأمل كيف جعل أديم السماء بهذا اللون ليمسك الأبصار المتقلبة فيه ولا ينكأ فيها بطول مباشرتها له)(٦٢) قلت :ـ وقد ملأها الله تعالى من الأجرام الكبيرة السيارة وجعل لكل كوكب وجرم منها مسارا لا يتجاوزه ولا يتعداه ، فمع كثرتها لا تجد فيها اصطداما ولا تنافرا ، بل بعضها يكمل بعضا في حسنه وعمله ، وكل في فلك يسبحون ، فالقادر على هذا الإبداع العظيم هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، ثم انظر إلى الأرض العظيمة الواسعة وكيف جعلها الله تعالى مهادا وفراشا وذللها تذليلا وجعل فيها سبلا فجاجا ليسهل تنقل الناس على ظهرها ، وليبتغوا من فضله وإليه النشور ، وجعلها كالأم الحنون لمن على ظهرها فجعلها كفاتا للناس والخلق ، أحياء وأمواتا ،كما قال تعالى " ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا " وكيف جعل الله فيها أرزاق العباد وأودع فيها من الخيرات في باطنها وعلى ظهرها ، وكيف مدها

---

٦٢) انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٠٧)

وألقى فيها الرواسي العظيمة فجعلها كالوتد لها تحفظها لئلا تميد بمن على ظهرها ، وانظر كيف جعلها كروية الشكل لتكون نقطة الابتداء هي بعنها نقطة الانتهاء ، وهذا أيسر للتنقل ، وهي مع ذلك أنى جئتها ترى أنك فوق ، وإن كنت في أسفل الكرة ، وانظر كيف أودعها الجاذبية التي بها يسكن من عليها فلا يطيرون ، وانظر كيف نوع الله تعالى سطحها ، ففيها الجبل والسهل ، والحزن واللين ، والحصى والتراب والأبيض والأسود، والماء واليابسة ، والمرتفع والمنخفض ، وانظر كيف جعلها قطعا متجاورات ، وأخرج من كل قطعة أشجارها وزرعها الذي يسقى بماء واحد ولكن بعضه أفضل من بعض في الأكل ، إنها لمن الآيات الدالة على أن إله الكون واحد لا يستحق العبادة إلا هو جل وعلا ، ولا يزال العلماء ينهلون من معين إعجاز الله تعالى خلقها ، ولقد أكثر الله تعالى من ذكر الأرض في القرآن مستدلا بها على أنه الواحد الأحد في ألوهيته وكمال قدرته ، ثم انظر إلى الشمس التي فوقنا كيف هي على كبرها وضخامتها تجري لمستقر لها ، وكيف جعلها الله سراجا ينير هذا العالم ، وجعل لها منازل ومواقيت لطلوعها وغيابها ، فلا تعدو ما حد لها ، وهي مع ذلك مسبحة بحمد الله تعالى وساجدة له " وإن من شيء إلا يسبح بحمده "[الإسراء ٤٤] وقال تعالى " ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب "[الحج ١٨] فالكون كله ساجد لله تعالى ومسبح له ، فلا تتقدم الشمس ولا تتأخر عن وقتها المرسوم لها ، ولا يزال علماء الهيئة والفلك يصدرون التقويم على مدار السنين حسابا لجري الشمس وانظر كيف جعل الله تعالى من الفوائد الجمة الواسعة للنبات والناس وسائر أجزاء الأرض ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى (ثم تأمل حال الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما إقامة دولتي الليل والنهار ولولا طلوعهما لبطل أمر العالم ، وكيف كان الناس يسعون في معايشهم ، ويتصرفون في أمورهم ، والدنيا مظلمة عليهم ؟ وكيف كانوا يتهنون بالعيش مع فقد النور ؟ ثم تأمل الحكمة في غروبها فإنه لولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرر مع فرط الحاجة إلى السبات وجموم الحواس وانبعاث القوى الباطنة وظهور سلطانها في النوم المعين على هضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثم لولا الغروب لكانت الأرض تحمى بدوام شروق الشمس، واتصال طلوعها حتى يحترق

كل ما عليها من حيوان ونبات، فصارت تطلع وقتا بمنزلة السراج يرفع لأهل البيت ليقضوا حوائجهم، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليقروا ويهدؤوا....) (٦٣) ثم قال .. (ثم تأمل بعد ذلك أحوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها لإقامة هذه الأزمنة والفصول ، وما فيها من المصالح والحكم إذ لو كان الزمان كله فصلا واحدا لفاتت مصالح الفصول الباقية فيه ، فلو كان صيفا كله لفاتت مصالح الشتاء ، ولو كان شتاء كله لفاتت مصالح الصيف ، وكذلك لو كان ربيعا كله أو خريفا كله ، ففي الشتاء تغور الحرارة في الأجواف وبطون الأرض والجبال فتتولد مواد الثمار وغيرها ، وتبرد الظواهر ويستكثف الهواء فيه ، فيحصل السحاب والمطر والثلج والبرد الذي به حياة الأرض وأهلها ، واشتداد أبدان الحيوان وقوتها ، وتزايد القوى الطبيعية واستخلاف ما حلله حرارة الصيف في الأبدان ، وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ، فيظهر النبات ويتنور الشجر بالزهر ويتحرك الحيوان للتناسل ، وفي الصيف يحتد الهواء ويسخن جدا ، فتنضج الثمار وتنحل فضلات الأبدان والأخلاط التي انعقدت في الشتاء ، وتغور البرودة وتهرب إلى الأجواف ، ولهذا تبرد العيون والآبار ولا تهضم المعدة الطعام الذي كانت تهضمه في الشتاء من الأطعمة الغليظة ، لأنها كانت تهضمها بالحرارة التي سكنت في البطون فلما جاء الصيف خرجت الحرارة إلى ظاهر الجسد وغارت البرودة فيه ، فإذا جاء الخريف اعتدل الزمان وصفا الهواء وبرد فانكسر ذلك السموم ، وجعل الله بحكمته برزخا بين سموم الصيف وبرد الشتاء لئلا ينتقل الحيوان وهلة واحدة من الحر الشديد إلى البرد الشديد فيجد أذاه ويعظم ضرره ، فإذا انتقل إليه بتدرج وترتيب لم يصعب عليه حكمة بالغة وآية باهرة ، فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين)(٦٤) اهـ ثم قال (ثم تأمل الحكمة في طلوع الشمس على العالم كيف قدره العزيز العليم سبحانه فإنها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه ولا تعدوه لما وصل شعاعها لكثير من الجهات لأن ظل أحد جوانب كرة الأرض يحجبها عن الجانب الآخر فكان يكون الليل دائما سرمدا على من لم تطلع عليهم ،والنهار دائما سرمدا على من هي طالعة عليهم ، فيفسد هؤلاء

---

٦٣) انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٠٧)

٦٤) انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٠٨)

وهؤلاء فاقتضت الحكمة الإلهية والعناية الربانية أن قدر طلوعها من أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من الأفق الغربي ثم لا تزال تدور وغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فيختلف عندهم الليل والنهار فتنتظم مصالحهم)(٦٥) اهـ قلت :ـ فبالله عليك أوليس هذا الإبداع والإتقان في خلقها من البراهين الدالة على أنه المعبود في هذا الكون وحده لا شريك له ؟ بلى والله العظيم إنه كذلك ، ولذلك دعانا الله تعالى في آيات كثيرة للنظر في هذه الآيات وما فيها من حكيم الصنع والإبداع والإعجاز كما قال تعالى " ويتفكرون في خلق السموات والأرض "[آل عمران ١٩١] وقال تعالى " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق "[فصلت ٥٣] وقد ذكر ابن القيم في هذا الباب كلاما بديعا جدا لا تراه عند غيره ، وذلك في كتابه (مفتاح دار السعادة) فأرجو منك ـ حفظك الله تعالى ـ أن تراجع كلامه في النظر والتأمل في إبداع هذا الكون بما فيه ، ول ولا خوف الإطالة لنقلت كلامه كله ، ولكن حسبي أن أدلك عليه لتراجعه ، فالله الله في مراجعته ، والله وحده المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والمقصود هنا أن تعلم ــ بارك الله فيك ــ أن م البراهين الدالة على تحيده جل وعلا في عبادته إبداع الخلق وإحكامه أيما إحكام ، ويجمع ذلك قوله تعالى " قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ، أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ، أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين "[النمل ٥٩، ٦٤] .

٦٥) انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٠٩)

ومن براهين التوحيد أيضا :ـ الاستدلال عليه بأنه وحده عالم الغيب جل وعلا ، فلا يعلم الغيب ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا من أطلعه الله تعلى على شيء من غيبه ، قال تعالى " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا "[الجن ٢٦، ٢٧] وقال تعالى " قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله "[النمل ٦٥] ولذلك أمر الله تعالى بإفراده بالعبادة وعلل ذلك بأنه علم الغيب ، فقال الله تعالى " ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون "[هود ١٢٣] فلا ينبغي أن يعبد ولا يخضع إلا لمن له علم الغيب كله ، وذلك لأن الذي لا يعلم الغيب هو في حقيقته جاهل به والجاهل لا يصلح أن يكون ربا ولا إلها ،والملائكة والأنبياء والأولياء عاجزون عن نفع أنفسهم ومعرفة مستقبلهم فضلا عن نفع غيرهم ، فهل بالله عليك يا من تعبد بقرة أو حجرا أو مغارة أو قبرا أو شمسا أو قمرا أو ملكا أو وليا أو نبيا أو صنما أو وثنا أو شجرة ، أو غير ذلك هل بالله عليك من تعبده يتحلى بشيء مما سبق ؟ إن الله تعالى قد ركب لنا عقولا وجعل لنا فهما وقلبا لنعقل ونفهم ، فأين أثر هذه العقول وهذه الأفهام ؟ تالله إن الأمر جلي واضح ولكن الله تعالى قضى على بعض العقول والأفهام أن تغلق فلا يستفاد منها فكم من الخلق لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، وكما قال تعالى " فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور "[الحج ٤٦] فالعبادة حق صرف محض لله تعالى ، لا يستحق أحد في هذا الكون أن يصرف له شيء منها مهما كان جنسه ومهما كان نوعه ومهما كان شكله ، وإنما العبادة لله تعالى فهو المعبود بالحق وأما من دونه فإنما عبد بالباطل والهوى والظلم والبغي والعدوان والتعصب والجهل والخطأ في طريق الاستدلال ، وسيموت الكل وسيبعث الجميع وسيجازى كل على عمله ، فمن آمن واهتدى بهي الكتاب والسنة فله الكرامة والسعادة في جنة عرضها السموات والأرض وأما من تردى وهوى وكفر وعاند وكابر وأشرك فليس له إلا نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى ، والله إننا نريد الهداية للجميع ولكن هداية القلوب لا يملكها إلا علام الغيوب جل وعلا ، والله لا نريد لأحد أن يضل ولكن هذا أمر ليس لنا وإنما الأمر كله لله تعالى من قبل

ومن بعد ، والله أننا لا نريد أن يدخل النار أحد ، ولكن أنى يكون ذلك وقد قضى ر بنا جل وعلا بأن للنار ملأها ، فالنجاء النجاء أيها الناس بالاعتقاد الصحيح والعمل الصالح والرجيح ، أسأله جل وعلا أن يهدينا ويهدي بنا ويهدي لنا ، وأن يصلح قلوبنا ويوفقنا لما خيري الدنيا والآخرة .

فهذه جمل يسيرة من البراهين العظيمة الدالة على وحدانية الله تعالى ، وأنه لا يعبد بالحق إلا هو جل وعلا ، ولو تأمل العاقل هذه الأوجه لتبين له أن المستحق للعبادة هو الله الأحد الواحد الصمد جل وعلا ، والله تعالى يتولانا وإياك .

قوله (وبذاك) أي وبتوحيد الألوهية ، وإفراد الله تعالى بالعبادة ، قوله (قد بعث الكرام جميعهم) والمراد بهم الرسل والأنبياء عليهم صلوات ربي وسلامه ، فكلهم بعثوا لتقرير توحيد الألوهية ، كما قال تعالى{وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}[الأنبياء ٢٥] وقوله (وتنزلت كتب من الرحمن) أي أن الكتب السماوية كلها نزلت لتقرير هذا الأصل الكبير ، فتقرير أن الله تعالى هو المستحق وحده دون ما سواه هو الأصل الأصيل والمقصود الكبير من إنزال الكتب السماوية ، وقوله (جل الإله) أي تعالى وتعاظم وتقدس ، وقوله (عن الشريك) أي المشارك له في شيء من خصائصه ، فالله تعالى لا شريك له في ألوهيته ، فهو الإله الحق ، وما سواه فباطل ، ولا شريك له في ربوبيته فلا رب للعالمين إلا هو جل وعلا ، ولا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله وحكمه جل وعلا ، وقوله (فليس من ند) والند هو المثيل والنظير ، كما قال تعالى{هل تعلم له سميا}[مريم ٦٥] وقال تعالى{ليس كمثله شيء}[الشورى ١١] وقال تعالى{فلا تضربوا لله الأمثال}[النحل ٧٤] وقال تعالى{فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون}[البقرة ٢٢] وقوله (ولا شرك ولا أعوان) كما قال تعالى{قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير}[سبأ ٢٢] وقوله (بل كلهم خلق له وعبيده) كما قال تعالى{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[الذاريات ٥٦] وقوله (وهو الإله الحق ذو السبحان) كما قال{ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل} [الحج ٦٢، لقمان ٣٠] والسبحان مصدر سبح يسبح تسبيحا وسبحانا ،

وتسبيح الله تعالى هو التنزيه ، فالله تعالى هو المنزه عن كل عيب ونقص ، فالنقص فينا نحن ، وأما الله تعالى فهو الكامل الكمال المطلق في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وأفعاله وأحكامه وهو الكامل الكمال المطلق في ألوهيته والكامل الكمال المطلق في ربوبيته ،والكامل الكمال المطلق في تشريعه وأحكامه ، والمتقرر عند أهل العلم أن كلمة {سبحان} في القرآن الكريم من قبيل النفي المجمل ، وهو النفي المتضمن ثبوت كمال الضد ، فبما أننا ننزه الله تعالى التنزيه المطلق فهذا يتضمن إثبات الكمال المطلق لله تعالى ، والله تعالى أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

وشهادة الحق العظيمة ركنها نفي مع الإثبات ذي ركنان

فالنفي قولك لا إله لدى الورى هو مستحق للعبادة ثاني

غير الإله وذلك الإثبات في تلك الشهادة يا أخا الإيمان

وشروطها سبع إليك بيانها العلم والإخلاص للرحمن

وكذا المحبة واليقين قبولها والصدق والتسليم يا إخواني

ويزاد كفرك بالطواغيت التي عمت بها البلواء في الأوطان

فاعبد إلهك مخلصا ومتابعا لنبيك المبعوث بالقرآن

واعلم بأن الشرك في عقد الأولى سلفوا على سنن الهدى نوعان

فالأول الشرك الكبير وحده جعل النظير لربنا الرحمن

ندا يساوى بالإله بما له فاحذر ـ هديت ـ مهاوي النيران

والأصغر الأدنى كفعلك للريا كمحسن فعلا لرؤية ثاني

أو كاليمين بغيره سبحانه من دون تعظيم ولا إذعان

لا يغفرن كبيره أما الصغـــ ـــير ففيه خلق يا أخا الإيمان

أقول :ـ هذه الأبيات يتكلم فيها الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة عن كلمة التوحيد ، وما يتعلق بها من أركان ومعنى وشروط ، والمراد بقوله (وشهادة الحق العظيمة) أي شهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فهما شهادتان، متلازمتان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ونحن من باب التفصيل نجعل الكلام في مسائل فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه نستمد العون والفضل وحسن التحقيق :ـ

(المسألة الأولى)أما شهادة أن لا إله إلا الله ، فقد قرر أهل العلم رحمهم الله تعالى أنها تتضمن ركنين :ـ النفي والإثبات ، وهما ركنان متلازمان لا ينفكان عن بعضهما والجمع بينهما هو حقيقة التوحيد ، فالتوحيد لا يقوم على ساق النفي فقط ، ولا على ساق الإثبات فقط ، بل لا بد من الجمع بين النفي والإثبات ، ذلك لأن لنفي وحده تعطيل محض ، والإثبات وحده ، لا يمنع المشاركة ، فقولك مثلا :ـ زيد شجاع ، فهذا إثبات هذه الصفة لزيد ، ولكن هذا الإثبات لا يمنع مشاركة غيره فيها ، فقد يكون غيره شجاعا أيضا ، بل وأشجع منه ، فهذا إثبات فقط ، والإثبات لوحده ليس بتوحيد ، وقولك :ـ ما زيد بشجاع ، فهذا نفي صفة الشجاعة عنه ، وهو تعطيل له عن هذه الصفة ، ولكن لو قلت :ـ ما شجاع إلا زيد ، فأنت هنا قد وحدت زيدا بصفة الشجاعة ، لأنك جمعت فيها بين إثباتها له ونفيها عن غيره ،فالإثبات والنفي هو حقيقة التوحيد ، فإن قلت :ـ وأين النفي في هذه الشهادة ؟ فأقول :ـ هو في قولك (لا إله) كما قال الناظم (فالنفي) أيفركن النفي ، وقوله (قولك لا إله لدى الورى) أي الخليقة ، فالنفي هو قولك :ـ لا إله ، وهذا يتضمن إبطال جميع المعبودات ، ولا تقف عند هذا الحد ، لأن هذا تعطيل للعالم عن خالقه وربه وإلهه ، ولكن اقرن معه الركن الثاني وهو الإثبات ، فإن قلت :ـ وأين الركن الثاني :ـ فأقول :ـ هو قولك (إلا الله) كما قال الناظم (غير الإله وذلك الإثبات في تلك الشهادة) وهو يتضمن إثبات أن الله تعالى هو الإله الحق دون ما سواه ، فقولك :ـ لا إله ، نفي جميع المعبودات ، وقولك :ـ إلا الله ، إثبات الإلوهية الحقة لله تعالى ، فلا بد من الجمع بين هذين الركنين ، لأن الجمع بينهما هو حقيقة التوحيد ، وقد دل القرآن على هذين الركنين وأهمية الجمع بينهما في عدة مواضع :ـ كما قال تعالى{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا}[النساء ٣٦] فقوله{اعبدوا}هذا

هو ركن الإثبات ، وقوله{ولا تشركوا به شيئا}هو ركن النفي ، فجمع بينهما ، لأن حقيقة التوحيد لا تتم إلا بالجمع بينهما ، وكما قال تعالى{ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}[النحل٣٦] فقوله{اعبدوا الله}هو ركن الإثبات ، وقوله{واجتنبوا الطاغوت}هو ركن النفي ،وكما قال تعالى{ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم}[يس ٦٠] فقوله{أن لا تعبدوا الشيطان}هذا ركن النفي ، لأنكل عبادة صرفت لغير الله تعالى فهي في حقيقتها عبادة للشيطان ، وقوله{وأن اعبدوني} هذا هو ركن الإثبات ، وكما قال تعالى{وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني برآء مما تعبدون إلا الذي فطرني}[الزخرف ٢٦] فقوله{أنني براء مما تعبدون}هذا هو ركن النفي ، وقوله{إلا الذي فطرني}هذا هو ركن الإثبات ، والنصوص في هذا المعنى كثيرة ، فهذا بالنسبة لبيان أركانها .

(المسألة الثانية) وأما معناها :ـ فاعلم بارك الله تعالى فيك أن المعنى الحق لهذه الكلمة هو ما بينه الله تعالى بقوله{ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل}[الحج ٦٢، لقمان ٣٠] وخلاصته أن يقال :ـ لا معبود بحق إلا الله ، ولا يجوز القول بغير هذا ، ذلك لأن كثيرا من المنتسبين للعلم يفسرونها بغير تفسيرها الحق الموروث من الكتاب والسنة والذي سار عليه أهل السنة رحمهم الله تعالى ، والجامع في تفسيراتهم أنهم يفسرونها بتوحيد الربوبية ، وهذا خطأ محض ، فمنهم من يقول :ـ معناها لا موجود إلا الله ، وهذا خطأ ، لأن إثبات وجود الله تعالى من أمور ربوبيته ، وهو أمر مركوز في الفطرة ، والإقرار به ضروري ، فجعل هذا الإقرار هو الذي بعثت به الرسل ونزلت به الكتب ، جناية على الدين والعقيدة ، ومنهم من يقول:ـ معناها أي لا قادر على الخلق والاختراع إلا الله تعالى ، وهذا من مقتضيات ربوبيته ، وليس هو من الأمور التي وقع فيها الخلاف بين الأمم والأنبياء ، بل هي قضية مقررة في قلوب الأمم ، حتى جعل الله تعالى إقرارهم بها دليلا على بطلان عبادتهم ، كما قال تعالى{ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون}[العنكبوت ٦١] فهم يعترفون بأنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ، وبه تعلم أن تفسير كلمة التوحيد بمقتض من مقتضيات الربوبية لا يصح ، فكلمة التوحيد لا يحل تفسيرها

بشيء من ذلك ، فالله هو الخالق وحده ، وهو الرازق وحده ، وهو بديع السموات الأرض وحده ، وهذا كله حق لا يجوز المناقشة فيه ، ونحن نؤمن به إيمانا راسخا وجازما ، ولكن ليس هو معنى (لا إله إلا الله) بل الحق هو أن معناها (لا معبود بحق إلا الله) فإن قلت :ـ ولماذا يزاد عليها كلمة (بحق) فأقول :ـ ذلك لأن هناك معبودان عبدت من دون الله تعالى ، فلا يكون النهي منصبا على عدم وجود معبود آخر في الأرض ، لأنه قد عبدت الشمس والقمر والملائكة والكواكب والنجوم والأفلاك والشجر والحجر والأصنام وغيرها ، ولكن كلها عبدت بلا حق ، بل ما عبدت إلا بالجور والظلم والباطل والطغيان والعدوان ، وإنما المعبود بالحق هو الله تعالى وحده لا شريك له ، ولذلك فالنفي في كلمة التوحيد ينصب على أحقية العبادة ، فلا يستحق العبادة مع الله تعالى لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا وليا صالحا فضلا عمن هو دونهم في الرتبة ، والمتقرر عند المسلمين أن العبادة حق صرف محض لله تعالى لا شريك له فيها ، فهذا هو المعنى الحق لهذه الكلمة الطيبة العظيمة ، فإن قلت :ـ وما الأوجه الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله تعالى ؟ فأقول :ـ هذا سؤال عظيم القدر جليل النفع ، وخلاصة جوابه أن هناك أوجها كثيرة جدا تدل على بطلان عبادة ما سوى الله تعالى ونجملها لك فيما يلي :ـ

من البراهين على بطلان عبادة غيره :ـ التصريح منه جل وعلا ببطلان عبادة ما سواه ، وليس بعد هذا قوة ، ومن أصدق من الله قيلا وحديثا ، وذلك كقوله تعالى " ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل " الحج ٦٢، لقمان ٣٠] فقد حكم جل وعلا ببطلان عبادة ما سواه ، وليس بعد حكمه من حكم ، وقال تعالى " ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون "[يونس ٦٦] فنفى الله تعالى كون هؤلاء المعبودين من دونه شركاء معه في عبادته أي أنهم يدعون ويعبدون من لا حق له في شيء من عبادة الله تعالى ، وإنما يعبدونه بالظن الكاذب والوهم الفاسد والتخرص والهوى .وقال تعالى " وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير "[سبأ ٢٢] وقال تعالى " ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير "[الحج ٧١].

ومن ذلك :ـ نفي أحقية عبادة هذه المعبودات من دونه بـ (لا) النافية للجنس ، كقوله تعالى " فاعلم أنه لا إله إلا الله "[محمد ١٩] وقال تعالى " شهد الله أنه لا إله إلا هو "[آل عمران ١٨]" وكل آية فيها (لا إله إلا الله أو إلا هو) فهي دليل على بطلان عبادتها .

ومن أوجه بطلان عبادتها :ـ النهي الصريح الجازم الأكيد القاطع عن عبادة ما سواه ، أي النهي الصريح عن الشرك ، والأمر باجتنابه والتباعد عنه ، كقوله تعالى " ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين "[الزمر ٦٦] وقال تعالى " ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو "[القصص ٨٨] وقال تعالى " ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا "[الإسراء ٣٩] وقال تعالى " قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مئاب "[الرعد ٣٦] وقال تعالى " قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا "[الجن ٢٠] وقال تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا "[النساء ٣٦] وقال تعالى " وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه "[الإسراء٢٣] وقال تعالى " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا "[الأنعام ١٥١] وقال تعالى " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على ما لا تعلمون "[الأعراف ٣٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة. ومن ذلك :ـ الأمر الصريح بإفراده جل وعلا بالعبادة ، والأمر بالشيء نهي عن ضده ، كقوله تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا "[النساء ٣٦] وقال تعالى " قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به "[الرعد ٣٦] وقال تعالى " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت "[النحل٣٦] وقال تعالى "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون"[البقرة ٢١] وقال تعالى " إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم "[آل عمران ٥١] وقال تعالى " يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون "[العنكبوت ٥٦] وقال تعالى " ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه "[الأنعام ١٠٢] وقالت الرسل لأممهم " اعبدوا الله ما لكم من إله غيره "[الأعراف ٥٩]وفي غير موضع من كتاب الله وقال تعالى " فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون

"[العنكبوت ١٧] وقال تعالى " ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم "[يس ٦٠] وقال تعالى " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " والآيات في هذا كثيرة ، وكل آية فيها الأمر بعبادة الله تعالى فإنه يستفاد منها أمران :ـ الأمر بعبادته وهذا استدلال بالمنطوق ، والنهي عن عبادة ما سواه ، وهو استدلال بالمفهوم والتضمن .

ومن ذلك :ـ سلب خصائص الإلهية عنها ، ونفي صفات الكمال في حقها ، ووصفها بالأوصاف التي لا تصلح أن تكون معها آلهة ، كقوله تعالى " اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا "[الفرقان ٣] فهل بالله عليك من كانت هذه صفته يصلح أن يكون إلها تصرف له العبادات من دون الله تعالى ؟ بالطبع لا ، وكقوله تعالى " أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون "[الأعراف ١٩١] فمن لا يخلق شيئا ومع ذلك هو مخلوق أصلا ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن أن يملكه لغيره فإنه لا يصلح أن يكون إلها ولا معبودا من دون الله تعالى ، وكقوله تعالى عن إبراهيم أنه قال لأبيه " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا "[مريم ٤٢] فمن لا يسمع ولا يبصر فلا يصلح لأن يكون إلها ، بل تبا له أن يكون إلها من دون الله تعالى ثم تبا له ، وكقوله تعالى " واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون ، لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون "[يس ٧٥] يخبر الله تعالى في هذه الآية أن الكفار قد اتخذوا من دونه آلهة يعبدونها ويتقربون لها بأنواع القربات ، ثم بين جل وعلا العلة من اتخاذها آلهة بقوله " لعلهم ينصرون " أي أنهم يرجون من هذه الآلهة العزة والنصر والتمكين في الأرض ، ثم أخبر الله تعالى أن هذه الآلهة ضعيفة الضعف المطلق ، وعاجزة العجز الكامل عن تحقيق مرادهم منها ، لأنها حجارة صماء عمياء بكماء لا نفع فيها ولا خير ولا صلاح ولا نصر يطلب منها ، وبين الله جل وعلا أن الأمر انقلب عليهم بحيث كانوا يرجون منها الحفظ والنصر فإذا هي أصلا تفتقر لمن يحفظها ممن أرادها بسوء ، وتحتاج إلى من ينصرها إن نواها أحد بضرر فصاروا حولها محيطين بها لحفظها ونصرها كالجنود المحيطين بالملك لحفظه ونصره ، فهم جند لها يحضرون عندها دائما لحمايتها ، ومع ذلك لا

يزالون يطلبون منها النصر والعز والتمكين ، فإذا كانت هي أصلا عاجزة عن الدفاع عن نفسها ممن أرادها بسوء ، فكيف ترجون منها تحقيق ذلك لكم ، هذا لا يكون أبدا ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فإذا كانت عاجزة عن نصر نفسها فهي عن نصركم أعجز وأعجز وأعجز ، وهذا من باب الاستدلال بالقياس الأولوي وهو حجة عند غالب العلماء ، وكقوله تعالى منكرا ومبطلا على اليهود عبادتهم للعجل " واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين "[الأعراف ١٤٨] فنفى صلاحيته للإلهية بكونه لا يتكلم ولا يهدي سبيلا وهذا سلب لخصائص الألوهية عنه ، وكقوله تعالى " ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون "[النحل ٧٣] ذلك لأن الإله الحق هو من بيده الرزق ، فهذه المعبودات من دونه لا يصلح أن تعبد لأنها لا تملك لنفسها الرزق فضلا عن غيرها ، فهذا استدلال على بطلان عبادتها بسلب خصائص الألوهية عنها ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ولذلك فإن الكفار يحرصون الحرص الكامل على اختلاق هالة من الحكايات والقصص المكذوبة الملفقة لهذه المعبودات ، حتى يضفوا عليها شيئا من صفات الكمال ، ليقنعوا غيرهم بصلاحيتها للعبادة ، وكم وكم من القصص التي حبكت في هذا المجال حبك الشياطين المضلة ، فهذا فقير لا يملك شيئا فما إن جاء وتوسل بالقبر الفلاني إلا وتفجرت عليه الدنيا بأموالها ، وهذه امرأة عزف عنها الخطاب فما إن مرغت وجهها عند الضريح الفلاني إلا وانسد شارع بيتهم من كثرة الخطاب ، وهذا تائه عن أهله زمنا طويلا فما إن جاءت أمه إلى القبر وشقت جيبها وشكت حالها في فقد ولدها إلا والولد يأتيها في نفس اليوم ، ونحو هذا الكذب ، والعجيب أنك تجد من يصدق هذه الخرافات التصديق القطعي الذي لا يقبل النقاش ، كل ذلك لأن عبادها عرفوا أن الناس سينظرون في صفات هذا المعبود فهم يحاولون أن يختلقوا من الكرامات لها ما يوجب مخادعة الخرقى الذين لا عقول لهم ممن أراد الله فتنتهم ، والمقصود أن من الأوجه الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله سلب خصائص الألوهية وصفات الكمال عن هذه المعبودات .

ومن الأوجه أيضا:ـ الإخبار بأن هذه المعبودات لا تملك شيئا، بل هي عاجزة فقيرة ليس بيدها شيء، كما قال تعالى " والذين تدعون من دونه ما يملكون من

قطمير "[فاطر ١٣] فيا أيها الناس بالله عليكم من لا يملك القطمير هل يستحق أن يعبد من دون الله العلي الكبير مالك الملك جل وعلا ؟ وقال تعالى عن هذه المعبودات " ولا يملكون لأنفسه ضرا ولا نفعا " وقال تعالى " ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون "[النحل ٧٣] وقال تعالى " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير "[سبأ ٢٢] وقال تعالى " أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولوا كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون "[الزمر ٤٣] فالذي لا يملك شيئا لا يصلح أن يكون ربا ولا إلها.

ومن البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله تعالى :ـ التصريح بأن هذه المعبودات لا تسمع دعاء من دعاها ، ولو فرض أنها تسمع فإنها لا تقدر على إجابته وأنها لا تغني عن عابدها شيئا ، قال تعالى " ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون "[الأحقاف ٥] وقال تعالى " إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير "[فاطر ١٤] وقال تعالى " إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين "[الأعراف ١٩٤] فكيف تترك عبادة من يسمع الدعاء ويجيبه ويعبد من لا يسمع الدعاء ولو سمعه لما كان قادرا على إجابته ؟

ومن البراهين أيضا :ـ الإخبار الصريح بضعف هذه المعبودات ، وأنها عاجزة عن الدفاع عن نفسها وذلك في مواضع متعددة كقوله تعالى " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب "[الحج ٧٣] فانظر أيها العاقل بعين البصيرة كيف حال هذه الآلهة ، فهل بالله عليك تستحق أن ينظر لها بعين الاعتبار فضلا عن أن تعبد من دون الله تعالى ، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام " وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ، قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون

، قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون "[الأنبياء ٥٧، ٦٤] فانظر كيف كسرها خليل الله تعالى حتى جعلها جذاذا ولم يدافع منها صنم عن نفسه ، لأنها عاجزة لا حراك لها ، ولا قدرة لها ، فإبراهيم عليه السلام استدل لهم بالدليل العملي على بطلانها بأنها عاجزة ضعيفة ، وقد صفعهم على وجوههم صفعة بيد من حديد حتى بان لهم حقيقة هذه الأصنام ولكنهم كابروا وعاندوا ونكسوا على رؤوسهم وأعمى الله بصائرهم ، وقال تعالى " ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين "[البقرة ٢٥٨] فاظهر خليل الرحمن بطلان دعواه بأنه الله ببيان أنه ضعيف عاجز لا يقدر على شيء ، فاستدل بضعفها ومهانته على أنه لا يصلح أن يكون إلها ولا ربا ، فالرب هو القوي القوة الكاملة والقادر القدرة الكاملة ، وذلك هو الله تعالى ، فهو وحده المستحق للعبادة لا شريك له .

ومن البراهين أيضا :ـ الإخبار الصريح أن كثيرا من هذه المعبودات تفتقر إلى عابدها في وجودها وأنها لا توجد إلا بصنعه ونحته ، كما قال تعالى " أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون "[الصافات ٩٥، ٩٦] وذلك لأن من يفتقر لغيره في وجوده لا يصلح أن يكون إلها ولا معبودا ، لأن الرب هو واجب الوجود الأول الذي ليس قبله شيء ، وهو موجد كل موجود ، فهو الذي أوجدك لعبادته ، وأما كثير من المعبودات من دونه فالعابد هو الذي أوجدها لكي يعبدها ، فهي المفتقرة له وليس هو من يفتقر لها ، كما روي في السير أن بعض العرب كان يتخذ تمثالا من التمر فيعبده فإن جاع أكل منه حتى يأتي عليه كله ، وكان بعضهم إذا نزل واديا جمع بعض الحجارة ليعبدها ثم يرحل عنها ويتركها فإذا حط رحله في واد آخر فعل ذلك مرة ثانية وهكذا ، هل من كان بهذه المثابة يصلح أن يعبد من دون الله تعالى ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم

ومنها :ـ ضرب الأمثلة الحسية العقلية على بطلان هذه المعبودات ، وهذا في القرآن كثير جدا ونذكر لك بعض ذلك :ـ فمنه :ـ قوله تعالى " ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون "[الروم ٢٨] يقول :ـ أيها الناس إن من جملة ممتلكاتكم عبيدكم وإمائكم ، أي الأرقاء الذين هم تحت أيديكم ، فهل يرضى أحدكم أن يقاسمه عبيده في ماله ، فيأتي العبد ويقول :ـ يا سيدي اقسم مالك قسمين ، فلك نصفه ولي نصفه ، فهل يرضى أحد منكم أن يشاركه عبده في ماله وما هو من خصائصه وحقه ؟ هل يرضى أحدكم بذلك ؟ بالطبع لا ، فإذا كان أحدكم لا يرضى بأن يشاركه عبده في حقه فاعلموا أن العبادة هي من خصائصي وخالص حقي فكيف ترضون أن يشاركني بعض عبيدي فيها ؟ فكما أنكم لا ترضون بمشاركة عبيدكم في حقوقكم وخالص ما لكم ، فكذلك أنا لا أرضى بأن يعبد معي أحد من عبيدي لأن العبادة حقي الخالص ، وهذا يدل على عظم الظلم في الشرك ، لأن حقيقته أنك تقسم ما هو من حقوق الله تعالى الخالصة بينه وبين عبيده ، وهذا لا يرضاه الله عز وجل ، كما قال تعالى " ولا يرضى لعباده الكفر "[الزمر ٧] فالعبادة حق الله المحض الخالص الذي لا شركة لأحد معه فيه ، وهذا واضح .

ومنه :ـ قوله تعالى " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون "[العنكبوت ٤١] وهذا له تفسيران ، أحدهما :ـ أن المشرك إنما يتخذ آلهة من دون الله تعالى لتحميه وتنصره وتحفظه من الشر والأعداء ولكن إذا حلت ساعة الصفر وتحقق الافتقار لهذه المعبودات فإذا هي لا نفع فيها ولا خير يأتي من قبلها ولا تغني ولا تسمن جوع ولا يأتي من قبلها نصر ولا فرج ولا عز ولا أي نفع لأنها أصلا عاجزة ضعيفة ليس فيها من صفات النفع والحفظ شيء ، فذلك مثل العنكبوت التي تتخذ بيتا من خيوط رقيقة بيضاء شفافة سهلة التمزيق ، تريد أن يحفظها بيتها من كيد أعدائها فما إن يريدها أحد بسوء إلا وأول من يخذلها هو بيتها الذي ظنت فيه النفع والنصر والحماية والحفظ وهو مسكين ضعيف عاجز عن تحقيق ذلك ، فلا نفع فيه ولا خير ولا عز ولا نصر ولا حفظ ، فالمشرك مثله كمثل هذه العنكبوتة ، وآلهته

مثلها كمثل بيت العنكبوتة ، فما يضنه هذا المشرك في آلهته من الحماية والحفظ والنفع هو بعينه ما تضنه هذه العنكبوتة في بيتها فإذا حل وقت الضرورة فلا نفع ولا أي شيء ، فالذي لا نفع فيه من جلب خير أو دفع ضر فإنه لا يصلح أن يكون ربا ولا إلها ، كما أن البيت الذي لا نفع فيه ولا يحمي ولا يحفظ من فيه لا يصلح أن يكون بيتا ، وعلى هذا التفسير يكون الاستدلال على بطلان عبادتها بأنها عاجزة ضعيفة لا خير يرجى من ورائها ولا نفع يحصل منها .

والتفسير الثاني :ـ أن بيت العنكبوت لا يوجد فيه إلا عنكبوت واحد ، كما نحن نرى في غالب بيوتها ، فبين أفراد العنكبوت عداوة شديدة ، فالأنثى تنقلب على الذكر بعد تلقيحها فتقتله ، وإذا وضعت بيضها أكلته إلا ما نجا منه ، ومن أراد الدخول عليها في بيتها قاتلته أشد القتال ، فبينها عداوة شديدة ، والمشرك الذي يعبد آلهة من دون الله تعالى إنما يعبدها لتكون له عزا ونصرا وحاميا وحافظا ، وهذا سينقلب عليه يوم القيامة ، لأن هذه الآلهة من دون الله ستكون عدوا له ، فتتبرأ من عبادته ، وينكر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا ، فخذلته وكذبته وكفرت بعبادته في أحوج أوقاته لها ، فالعابد والمعبود من دون الله تعالى سيكون بينهم من العداوة واللعن والإنكار والتكذيب كما يكون بين أفراد العنكبوت من العداوة ، وعلى هذا التفسير يكون الاستدلال على بطلان عبادتها بأنها ستكون عدوا لمن يعبدها يوم القيامة ، فكيف يعبد العاقل من هو عدو له في حقيقة الأمر ؟ والله المستعان .

ومن الأمثلة أيضا :ـ قوله تعالى " ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد الله بل أكثرهم لا يعلمون "[الزمر ٢٩] فالمشرك يعبد آلهة كثيرة ، يكفيك دليلا على ذلك أنه كان حول الكعبة قبل الفتح ثلاثمائة وستون صنما ، وعباد البقر ضربوا أخس الأمثلة على تعدد الآلهة فإن كل بقرة في العالم لها حضها ونصيبها من الاحترام والعبادة ، والعابد المسكين مع تعدد الآلهة عقله مشوش وفكره مشغول بإرضاء كل هذه الآلهة ، لا يدري من هو ربه الحقيقي ، ولا يدري أي إله منها يقدم في الرضا ، ولا يدري من يستعين به عند حلول المصائب والكوارث والفتن ، وانظر إلى عباد القبور في العالم ، كم بالله

عليك من قبر يعبدون ، وكم من ميت في العالم يعظمون ، فكل قبر وميت له من هذا العابد حظ ونصيب من التعبد ، فله في كل بقعة إله يعبده ، ويتقرب إليه ، وأما الموحد الذي لا يعبد إلا الله تعالى فإنه مطمئن القلب ومرتاح البال وهادئ الفكر لأنه عرف أنه ليس له إلا إله واحد قد أقبل بكل أحاسيسه وجوارحه على التقرب له بما يحبه هذا الرب ويرضاه ، لا يأخذ الأوامر إلا منه ، ولا يتعرف على الشرع إلا من قبله ، قد سلم قلبه من كل أحد إلا من هذا الواحد فقط ، فهل حال هذا كحال من تعددت أربابه ، وتنوعت معبوداته ؟ لا والله إن بينهما لفرقا كما بين السماء والأرض، وذلك كحال العبد الذي اشترك في شرائه جماعة مختلفون فيما بينهم ، فتعددت أسياده ، وهم مع تعددهم متشاكسون مختلفون ، فهذا يأمره بأمر بينما ينهاه الآخر عنه ، وهذا يقول :ـ أعطني هذا، بينما يقول الآخر :ـ لا تعطه هذا، فيبقى هذا العبد مع تعدد أسياده حائر الفكر متذبذب ، مشوش الخاطر معذب ، لا يدري من السيد الذي يعتمد أوامره ، ويقبل على طاعته ، فأين هذا من العبد الذي توحد سيده فلا يملكه إلا واحد فقط ، يأتمر بما أمره به ، وينتهي عما نهاه عنه ، ويسعى في خدمته بما يريد ، فهل يستوي هذا العبد في همه وتفكيره وطاعته ومحبته لسيده وتفانيه في خدمته ، مع حال العبد الأول ؟ فحقيقة من تعددت آلهته كحقيقة العبد الذي تعددت أسياده ، وأما العبد الذي لم يشرك مع الله غيره في شيء من عبادته فحاله كحال العبد لذي ليس له إلا مالك واحد ، فهل يستويان مثلا " الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون " والأمثلة القرآنية في هذا المعنى كثيرة ، ولعلنا مع سعة الوقت نفرد شرحها في رسالة خاصة فإنها من أنفع ما يكون ، يارب أسألك باسمك الأعظم أن توفقني لذلك .

ومن البراهين على عبادة ما سوى الله تعالى أيضا :ـ الإخبار الصريح من الله تعالى أن هذه المعبودات ستتبرأ من عابدها يوم القيامة ، وستكون عدوا له ، كما قال تعالى " وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين "[الأحقاف ٦] وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه " وقال إنما اتخذتم أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم ومأواكم النار وما لكم ناصرين "[العنكبوت ٢٥] وقال تعالى عمن كان يعبد الملائكة الكرام " ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون

قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون "[سبأ ٤٠، ٤١] وقال تعالى " ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير "[فاطر ١٤] فكيف بالله عليك يعبد العاقل من سيكفر بعبادته ويكون له عدوا ومخاصما يوم القيامة ؟ تالله إن هذا لمجانب للعقل كل المجانبة، وأما الله تعالى فإنه النافع لمن أخلص له في العبادة النفع الكامل التام في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأقول :ـ إن اللائمة إذا ألقيت على الشياطين فإنها لا ترضى بذلك ، بل ستتبرأ من هذا اللوم كما قال تعالى عن أبيهم إبليس " وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنت بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم "[إبراهيم ٢٢] وإن النصارى يلقون باللائمة على نبي الله عيسى عليه السلام فيتبرأ إلى الله تعالى مما قالوا ولا يرضى بذلك كما قال تعالى " وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد "[المائدة ١١٦، ١١٧] وبالجملة فكل ما عبد من دون الله تعالى فإنه سيتبرأ من عابده يوم القيامة ، وسيكون عدوا له ، وهذا من أكبر الدلائل على بطلان عبادة ما سوى الله تعالى.

ومن البراهين أيضا:ـ الإخبار الصريح بأن أكثر هذه المعبودات ستكون مع من يعبدها في النار وبئس القرار، فلو كانت آلهة بحق لما كان الأمر كذلك ، وذلك كما قال تعالى " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ، لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون "[الأنبياء ٩٨، ١٠٠] وقال تعالى " فكبكبوا فيها هو والغاوون وجنود إبليس أجمعون ، قالوا وهم فيها يختصمون ، تالله إن كنا فلي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ، وما أضلنا إلا المجرمون ، فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين "[الشعراء ٩٤، ١٠٢] وفي الحديث " الشمس والقمر

ثوران مكوران في جهنم " ومما ذكره أهل العلم في حكمة ذلك أنه من باب زيادة تبكيت أهل النار بأن هذه آلهتكم التي كنتم تعبدون من الله تعالى معكم في جهنم ، فيزاد عليهم بهما العذاب الحسي والمعنوي ، حيث إنهم يرون ما كانوا يعبدون ويعظمون ويبتهلون إليه في الدنيا قد دخل معهم في النار ، وهذا والله من أعظم الخزي والعار والعذاب ،وفي الحديث" قال فيقول :ــ من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ... الحديث "(٦٦) فالمشركون إنما عبدوا هذه الآلهة لكي تحميهم من العذاب وتكون شافعة لهم عند الله تعالى فإذا بها تكون معهم في النار ، وأنت خبير بأن هذا الأمر إنما هو فيها عبد وهو راض ، وفيما عبد من الجمادات من الأشجار والأحجار ونحوها ، وأما من عبد من الملائكة والأنبياء وأولياء الله الصالحين الذين لا يرضون بعبادة من عبدهم من دون الله تعالى فإنهم عن النار مبعدون ، كما قال تعالى " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون "[الأنبياء ١٠١،١٠٢] وقد أخبر الله تعالى عن حال أوليائه من الأنبياء والأولياء بأنهم دائبون في طاعة الله مشتغلون بها كما قال تعالى " أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه "[الإسراء ٥٧] والمقصود أن كل من عبد من دون الله تعالى فإنه سيتبرأ من عباده يوم القيامة ويكون لهم عدوا وأن هذا من البراهين على بطلان عبادتها إذ لو كانت آلهة بحق لنفعت وما ضرت .

ومن البراهين أيضا :ــ الإخبار الصريح من الله تعالى بأن هذه المعبودات لا تملك ضرا ولا نفعا لا لنفسها ولا لمن يعبدها ، كما قال تعالى " ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله "[يونس ١٨] وقال تعالى " قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون

---

٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب فضل السجود (٨٠٦) وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم (٦٥٧٣) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٧٤٣٧) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢).
من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

"[الزمر ٣٨] وقال تعالى " واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا "[الفرقان ٣] فبالله عليك أيها العقل كيف تعبد ما لا يملك ضرا ولا نفعا لا لنفسه ولا لك ، وتترك عبادة من بيده النفع والضر كله ، فلا يجلب الخيرات إلا هو ، ولا يدفع السيئات إلا هو ، ولا إله إلا هو ، فهو الإله الحق وإن جحده الجاحدون وعطله المعطلون وكذب به المفترون ، وهو الإله الحق وإن كفر به الكافرون وأشرك به المشركون وشكك فيه المشككون ، فإن أحقيته للإلهية ليست موقوفة على موافقة أحد ولا معارضته ، بل هي حق في ذاتها ولو اتفق الكل على التكذيب بها ، كما أن إلهية غيره باطل وبهتان في ذاتها فليس بطلانها موقوف على إنكار أحد بل هي الباطل بالذات وإن صدقها كل أحد ، فإلهية الله تعالى وحده هي الحق بالذات وإلهية غيره هي الباطل بالذات ، والعز لنا في عبادته جل وعلا وليس العز له في أن نعبده ، كلا وألف كلا ، فنحن المفتقرون إليه الافتقار الذاتي كما أنه الغني عنا الغنى الذاتي ، فلا يتصور البتة أن يحتاج لنا في شيء كما أنه لا يتصور أن نستغني عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك ، ولكن الإنسان كفور مبين . ومن البراهين أيضا :ـ الاستدلال على بطلان عبادتها بكونهم عباد أمثالنا ، كما قال تعالى " إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين "[الأعراف ١٩٤] وكيف يدعو العبد من هو عبد مثله ويترك عبادة الرب الذي خلق الكل ؟

ومن البراهين أيضا :ـ الاستدلال على بطلان عبادتها بقياس الأولى وذلك من وجهين:ـ الأول :ـ الاستدلال على ذلك ببطلان عبادة الملائكة ، وذلك أن الله تعالى قد وصف الملائكة بصفات لا يصلحون معها أن يكونوا آلهة من دون الله تعالى كما قال تعالى في وصفهم " بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون "[الأنبياء ٢٦، ٢٧] ومن كان ذلك فلا يصلح أن يكون إلها ، وقال تعالى نافيا إلهيتهم ومتوعدا من يقول منهم شيئا من ذلك " ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين "[الأنبياء ٢٩] ووصفهم كذلك بأنهم يؤمرون وينهون من قبل الله تعالى كما قال تعالى " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون "[التحريم ٦] وقال تعالى مقررا تبرأ الملائكة من عبادة

غيرهم لهم والرضا بها " ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم لا كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون "[سبأ ٤٠، ٤١] ووصفهم تعالى بأنهم يصيبهم الفزع عند سماع الوحي كما قال تعالى " حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير "[سبأ ٢٣] وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:ــ" إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع .... الحديث "(٦٧) وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال :ــ قال رسول الله ﷺ :ــ" إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت الملائكة منه رجفة ــ أو قال ــ رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أو من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ، ما ذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل :ــ قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى "(٦٨) ، فمن أصابته الرعدة والخوف

---

٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله: {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} (٤٧٠١) وفي كتاب تفسير القرآن باب {حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير} (٤٨٠٠) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} " ولم يقل: ماذا خلق ربكم " (٧٤٨١)

٦٨) ضعيف.

أخرجه ابن أبي عاصم في السنة باب ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك (٥١٥) وابن خزيمة في كتاب التوحيد باب صفة تكلم الله بالوحي وشدة خوف السماوات منه، وذكر صعق أهل السماوات وسجودهم لله عز وجل (١/ ٣٤٨) والمَرْوَزِي في تعظيم قدر الصلاة باب فزع الملائكة إلى السجود (٢١٦) والآجري في كتاب الشريعة كتاب التصديق بالنظر إلى الله عز وجل باب ذكر السنن التي دلت العقلاء على أن الله عز وجل على عرشه فوق سبع سماواته وعلمه محيط بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء (٦٦٨) والطبراني في مسند الشاميين (٥٩١) والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٣٥) وابن الأعرابي في معجمه (٨٨٤) وأبي نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٥٢).

من طريق نعيم بن حماد، قال: ثنا الوليد بن مسلم، ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عبد الله بن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس بن سمعان ﷺ مرفوعا به.

الشديد فإنه لا يصلح أن يكون ربا ولا معبودا من دون الله تعالى ، وقال تعالى " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى "[النجم ٢٦] فإذا كانت الملائكة على عظم أجسامها وعلو منزلتها وقربها من الله تعالى وأنهم العباد المكرمون ، الأقوياء الأشداء ، مع عظمة ما ورد لهم من الصفات في الكتاب وصحيح السنة ، إذا كانوا مع كل ذلك لا يصلحون لأن يكونوا آلهة يعبدون ولا أن يصرف لهم شيء من العبادة فكيف بمن هو دونهم في الفضل والمنزلة والرتبة والصفات والقرب من الله تعالى ؟ لا شك أنه لا تصلح عبادته من باب أولى ، وهذا هو ما نعنيه بالقياس الأولوي ، وهو قياس واضح ، فإذا كانت الملائكة لا تصلح لمقام الألوهية ، فكيف بالحجر والشجر والقبور والبقر والشمس والقمر ؟ لا شك أنها لا تصلح من باب أولى.

الثاني :ـ أن الأنبياء عليهم السلام لا يصلحون لأن يكونوا أربابا تعبد من دون الله تعالى وبيان ذلك ، أولا :ـ أنهم مخلوقون والمخلوق لا يصلح أن يكون إلها ، وثانيا :ـ أنهم عباد أمثالنا وإنما فضلوا علينا بالنبوة والرسالة ومتعلقاتها ،ومن كان عبدا مثلك فإنه لا يصلح أن يكون إلها لك ، وثالثا :ـ أنهم يأكلون ويشربون ، أي أنهم محتاجون للطعام والشراب والرب لا يصلح أن يكون محتاجا لشيء كما قال تعالى مستدلا على بطلان دعوى أن عيسى وأمه إلهين من دونه :ـ" ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون "[المائدة ٧٥] ومن يأكل الطعام فإنه محتاج له ومحتاج لفوائده ومحتاج لتحيله ومحتاج لمضغه وبلعه وهضمه وإخراجه ، وهل من كان كذلك يصلح أن يكون إلها ؟ بالطبع لا ، وذلك فقد مدح الله نفسه بأنه الصمد فقال " قل هو الله أحد الله الصمد "[الإخلاص ١،٢] ومن تفسيرات السلف

وهذا إسناد ضعيف نعيم بن حماد الراجح عندي أنه ضعيف، وقال المزي في تهذيب الكمال في ترجمة رجاء بن حيوة روى عن النواس بْن سمعان من وجه ضعيف.

وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة (٢/ ٥٠٠) من طريق عمرو بن مالك الراسبي، حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عبد الله بن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس بن سمعان ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف جدا، عمرو بن مالك الراسبي (منكر الحديث).

والحديث لبعض فقراته شواهد صحيحه.

للصمد بأنه الذي لا جوف له فلا يأكل ولا يشرب ، وقال تعالى " وهو يطعم ولا يطعم "[الأنعام ١٤] ولأنه الغني عن كل شيء جل وعلا ، فهو الإله الحق وحده لا شريك له ، وقال تعالى عن نبيه وخليله مجد ﷺ " قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء "[الأعراف ١٨٨] فالنبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن أن يملكه لغيره ، ومن كان كذلك فلا يصلح أن يكون لا ربا ولا إلها ، وكذلك هو لا يعلم الغيب ، ومن لا يعلم الغيب فلا يصلح أن يكون إلها ، وكذلك هو يصيبه السوء أي المصائب وغيرها ، ومن كان كذلك فإنه لا يصلح أن يكون ربا ، وقال تعالى عنه " قل إنما أنا بشر مثلكم "[الكهف ١١٠، فصلت ٦]. ومن كان بشرا مثلنا فلا يصلح أن نعبده من دون الله تعالى ، وقال تعالى " ليس لك من الأمر شيء "[آل عمران ١٢٨] فهل بعد ذلك يعتقد فيه أنه يحمل شيئا من صفات الألوهية ؟ وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال :ـ شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته ، فقال " كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟" فنزلت " ليس لك من الأمر شيء "(٦٩) وفي الصحيح أيضا عن ابن عمر، أنه سمع النبي ﷺ، يقول في صلاة الفجر ورفع رأسه من الركوع قال: «اللهم ربنا، ولك الحمد في الأخيرة»، ثم قال: «اللهم العن فلانا وفلانا»، فأنزل الله عز وجل: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} "(٧٠)

وفي الصحيح أيضا أنه لما نزلت عليه "وأنذر عشيرتك الأقربين " قام فقال :ـ" يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبدا لمطلب لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت مجد سليني من مالي ما شئت لا

---

٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد (١٧٩١) وأورده البخاري في صحيحه معلقا بصيغة الجزم فقال في كتاب المغازي باب {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} قال حميد وثابت، عن أنس شج النبي ﷺ يوم أحد فقال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم» فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء}.

٧٠) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب {ليس لك من الأمر شيء} (٤٥٥٩) وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول الله تعالى {ليس لك من الأمر شيء} (٧٣٤٦).

أغني عنك من الله شيئا "(٧١) فمن لا يغني عن أقرب أقربيه شيئا فهل يصلح أن يكون إلها من دون الله تعالى ؟ بالطبع لا ، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدا ، وكذلك موسى عليها الصلاة والسلام فإنه لما " تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا "[الأعراف ١٤٣] من هول ما رأى ، ومن يصيبه الصعق فلا يصلح أن يكون إلها ، وبالجملة فأنبياء الله هم أفضل البشر على الإطلاق والرسل أفضل من الأنبياء وأفضل الرسل الخليلان وأفضلهما محمد صلى الله على الجميع وسلم فإذا كانوا على قربهم من الله تعالى وعظمة تعبدهم له ، ومحبة الله تعالى لهم ، واختيارهم واصطفائهم على سائر خلقه لا يصلحون أن يعبدوا من دون الله تعالى فكيف بمن هو دونهم في الرتبة والمنزلة ؟ لا شك أنه يمتنع ذلك في حقه من باب أولى ، وهو ما نعنيه بالقياس الأولوي ،فأفضل المخلوقات على الإطلاق هم الملائكة والأنبياء وقد قررنا لك بالدليل أنهم لا يمكن أن يكونوا آلهة مع الله تعالى فمن دونهم من باب أولى أنه لا يصلح أن يكون آلهة تعبد مع الله تعالى ، فهذه جمل المختصرة في إقامة البرهان على بطلان عبادة ما سوى الله تعالى ، فبان لك بذلك ولله الحمد والمنة أن العبادة حق الله تعالى الصرف المحض الذي لا يجوز صرفه لغيره جل وعلا ، فلا يستحق العبادة أحد سواه ، والله المستعان .

(المسألة الثالثة) وأما فضلها ،فاعلم أنه ثبتت الأدلة المتواترة بفضل هذه الكلمة الطيبة العظيمة ، وأنا أسوق لك طرفا من ذلك لعل الله تعالى أن ينفعنا وإياك بما نقول ونكتب ، فأقول :ـ

من فضلها :ـ وصف الله تعالى لها بأنها الكلمة الطيبة ، قال تعالى{ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي

٧١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب (٢٧٥٣) وفي كتاب تفسير القرآن باب {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك} ألن جانبك (٤٧٧١) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} (٢٠٤، ٢٠٦) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.
وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} (٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا به.

أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم} ومن جملة التفاسير لهذه الكلمة الطيبة أنها (إلا إله إلا الله) .

ومن فضلها :ــ أنها تعصم الدم والمال ، فعبد الله بن عمر : قال : قال رسولُ الله - ﷺ - : «بُنِي الإسلامُ على خَمْسٍ : شهادةِ أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً عبْدُهُ ورسولُهُ ، وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزّكاةِ ، وحَجِّ البيت ، وصومِ رمضان»(٧٢).

وفي رواية أنَّ رَجُلاً قال له : ألا تَغْزُو ؟ فقال له: إني سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إنَّ الإسلامَ بُنيَ على خمسٍ..»(٧٣) وذكَرَ الحديثَ.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ -: «أمِرْتُ أنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَقولوا : لا إله إلا اللهُ ، فمن قال : لا إله إلا اللهُ ، فقد عَصَمَ منّي نَفسَهُ ومالَهُ إلا بِحقِّهِ ، وحسابُه على الله»(٧٤)

وعنه - رضي الله عنه - : قال : «لمَّا تُوُفِّيَ النبيُّ -ﷺ- واستُخْلِفَ أبو بكر بعدَه، وكَفر من كفر من العرب، قال : عمرُ بن الخطاب لأبي بكر: كيف تُقاتِل الناس، وقد قال رسولُ الله -ﷺ- : أُمِرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله ، عَصَمَ مني مالَه ونفسه إلا بحَقِّه، وحِسَابُه على الله ؟ فقال أبو بكر : والله لأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حقُّ المال، والله لو مَنَعُوني عَنَاقا كانوا يُؤَدُّونها إلى رسولِ الله -ﷺ- لَقَاتَلْتُهُمْ على منعها . قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رَأَيتُ أنَّ اللهَ شرحَ صَدْرَ أَبي بكرٍ لِلْقتال فعرفتُ أنَّهُ الحَق»(٧٥) .

---

٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس» (٨) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس (١٦)

٧٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس (١٦).

٧٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٤) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٢١).

٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٤).

وعن أسامةَ بن زيد رضي الله عنه قال: بعَثَنا رسول الله إلى الحُرَقَة من جُهينة، فصبَّحنا القومَ فهزمناهم، ولحِقتُ أنا ورجلٌ من الأنصارِ رَجلاً مِنهم، فلمّا غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكفَّ عنه الأنصاريّ وطعنته برُمحي حتى قتلتُه، فلما قدِمنا بلَغ ذلك رسولَ الله فقال لي: ((يا أسامة، أقتلته بعدَما قال: لا إله إلا الله؟!)) قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إنما قالها خَوفًا من السلاحِ، قال: ((أفَلا شققتَ عن قلبِه حتى تعلمَ ذلك))، فما زال يكرِّرها عليَّ.. الحديث(٧٦) وفي لفظٍ آخَر أنَّ رسولَ الله قال: ((فكَيف تصنَعُ بلا إلهَ إلا الله إذا جاءَت يوم القيامة؟!))(٧٧)

ومن فضلها :ـ أن الموت عليها من أعظم علامات حسن الخاتمة ،

فعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : قال رسولُ الله -ﷺ- : «من كان آخرُ كلامه : لا إله إلا الله دخلَ الجنة»(٧٨). أخرجه أبو داود.

---

٧٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة (٤٢٦٩) وفي كتاب الديات باب قول الله تعالى: {ومن أحياها} (٦٨٧٢) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (٩٦).

٧٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (٩٧).
من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

٧٨) صحيح بمجموع طرقه.
أخرجه أحمد في مسنده (٢١٩٩٨، ٢٢٠٠٠، ٢٢٠٠٣، ٢٢٠٠٩، ٢٢٠٣٤، ٢٢٠٦٠، ٢٢٠٨٣، ٢٢٠٩١، ٢٢١٢٧، ٢٧٥٤٧) وأبو داود في سننه كتاب الجنائز باب في التلقين (٣١١٦) وابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب فضل لا إله إلا الله (٣٧٩٦) والنسائي في السنن الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة ثواب من مات يشهد أن لا إله إلا الله، وذكر اختلاف الناقلين لخبر معاذ بن جبل فيه (١٠٩٠٧) وفي كتاب عمل اليوم والليلة ثواب من مات يشهد أن لا إله إلا الله، وذكر اختلاف الناقلين لخبر معاذ بن جبل فيه (١٠٩٠٩) وفي كتاب عمل اليوم والليلة ثواب من مات يشهد أن لا إله إلا الله، وذكر اختلاف الناقلين لخبر معاذ بن جبل فيه (١٠٩١٠) وابن حبان في صحيحه كتاب الإيمان ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا بالوحدانية، وكان ذلك عن يقين من قلبه، لا أن الإقرار بالشهادة يوجب الجنة للمقر بها، دون أن يقر بها بالإخلاص (٢٠٠) وفي كتاب الإيمان ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة، وكان ذلك عن يقين منه (٢٠٣) والحميدي في مسنده (٣٧٣، ٣٧٤) وعبد بن حميد في المنتخب (١١٦، ١١٧، ١١٨) والبزار في مسنده (٢٦٢٤، ٢٦٢٥، ٢٦٢٦) وابن المنذر في الأوسط كتاب الجنائز ذكر وجوب الجنة لمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله (٢٩٢٤) والطبراني في المعجم الكبير (٥٩، ٦٣، ٧١، ٧٢، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ١٠٩، ٢١٩، ٢٢١،

٣٦٠، ٣٦٦) وفي الدعاء له باب فضل قول: لا إله إلا الله (١٤٦٣، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٧٠، ١٤٧١) وفي مسند الشاميين له (٧٠١، ١٦٥٢) وابن منده في كتاب الإيمان ذكر حق الله على العباد وهو الإقرار بالوحدانية (٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١١١، ١١٢، ١١٢) وفي كتاب التوحيد له باب قول النبي ﷺ: «لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله» ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله (١٨٥) والحاكم في المستدرك كتاب الإيمان (١٦) وفي كتاب الجنائز (١٢٩٩) وفي كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر (١٨٤٢) والبيهقي في شعب الإيمان باب الدليل على أن التصديق بالقلب، والإقرار باللسان أصل الإيمان، وأن كلاهما شرط في النقل عن الكفر عند عدم العجز (٧) وفي باب الدعاء إلى الإسلام (٩٣) وفي باب أسامي صفات الذات (١٢٦، ١٢٧) وفي فصل في آداب العيادة (٨٧٩٨، ٨٨٠٠) وفي الأسماء والصفات له باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام وهي كلمة التقوى ودعوة الحق لا إله إلا الله (١٧٦، ١٧٩) وفي كتاب البعث والنشور باب قول الله عز وجل " {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} هذا البيان أن المراد والله أعلم أنه يغفر لمن يشاء ذنبه - الذي هو دون الشرك - فلا يعاقبه عليه، ولا يغفره لمن يشاء ويعاقبه عليه، ثم يكون عاقبته الجنة ولا يخلد في النار من وافى القيامة مؤمنا. قال الله تعالى « {إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا» } وفي تخليد المؤمن مع الكفار في النار تضييع ما أحسن من الإيمان بالله وكتبه ورسله. وقال « {إن الله لا يظلم مثقال ذرة» } (٣٩) وأبو نعيم في الحليه (٧/ ١٧٤، ٣١٢) وابن خزيمة في كتابه التوحيد باب ذكر البيان أن النار إنما تأخذ من أجساد الموحدين وتصيب منهم على قدر ذنوبهم وخطاياهم وحوباتهم التي كانوا ارتكبوها في الدنيا مع الدليل على ضد قول من زعم ممن لم يتحر العلم ولا فهم أخبار النبي ﷺ أن النار لا تصيب أهل التوحيد ولا تمسهم وإنما يصيبهم حرها وأذاها وغمها وشدتها، مع الدليل على أنه قد يدخل النار بارتكاب المعاصي في الدنيا إذا لم يتفضل الله ولم يتكرم بغفرانها من كان في الدنيا يعمل الأعمال الصالحة من الصيام والزكاة والحج والغزو، وكيف يأمن يا ذوي الحجا النار من يوحد الله ولا يعمل من الأعمال الصالحة شيئا (٢/ ٧٨٧، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٨).

كلهم من طرق عديده عن معاذ بن جبل ﷺ تصح بمجموعها.

بإلفاظ قريبة منها "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" "ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ، يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله لها" "من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه أو يقينا من قلبه دخل الجنة، ولم تمسه النار". والمعنى قريب والله أعلم.

فائدة: قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله في صحيحه عقب تخريجه الحديث: قوله ﷺ: «دخل الجنة» يريد به جنة دون جنة لأنها جنان كثيرة، فمن أتى بالإقرار الذي هو أعلى شعب الإيمان، ولم يدرك العمل ثم مات، أدخل الجنة، ومن أتى بعد الإقرار من الأعمال قل أو كثر، أدخل الجنة، جنة فوق تلك الجنة، لأن من كثر عمله علت درجاته، وارتفعت جنته، لا أن الكل من المسلمين يدخلون جنة واحدة، وإن تفاوتت أعمالهم وتباينت، لأنها جنان كثيرة لا جنة واحدة.

وقال البيهقي رحمه الله في الأسماء والصفات: قال أبو عبد الله الحليمي: ضمن الله جل ثناؤه المعاني التي ذكرناها في أسماء الله تعالى جده كلمة واحدة وهي لا إله إلا الله ، وأمر المأمورين بالإيمان أن يعتقدوها ويقولوها ، فقال عز وجل: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} [محمد: ١٩] وقال فيما ذم به مستكبري العرب: {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا

وقال عليه الصلاة والسلام " من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة "(٧٩)

وفي الحديث " من كان آخر كلمته لا إله إلا الله دخل الجنة يوما من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه "(٨٠) وقال النبي ﷺ " إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه ونفس الله عنه كربته "(٨١) ومن فضلها :ـ أن من

لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون} [الصافات: ٣٦] والمعنى أنهم كانوا إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله استكبروا ولم يقولوها ، بل قالوا مكانها: {أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون} [الصافات: ٣٦] ووصف الله تبارك وتعالى نفسه بما في هذه الكلمة في غير موضع من كتابه فقال: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة: ٢٥٥] وقال: {هو الحي لا إله إلا هو} [غافر: ٦٥] وأضاف هذه الكلمة في بعض الآيات إلى إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه فقال بعد أن أخبر عنه أنه قال لأبيه وقومه: {إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه} [الزخرف: ٢٦] فقيل: الكلمة لا إله إلا الله ومجاز قوله: {إنني براء مما تعبدون} [الزخرف: ٢٦] لا إله ومجاز قوله: {إلا الذي فطرني} [الزخرف: ٢٧] إلا الله فيحتمل أن يكون أولاده المؤمنون أخذوا هذه الكلمة عنه ، فكانوا يقولون: لا إله إلا الله، ثم إن الله تعالى جل ثناؤه جددها بعد دروسها للنبي ﷺ إذ بعثه لأنه كان من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام وورثه من هذه الكلمة ما ورثه من البيت والمقام وزمزم والصفا والمروة وعرفة والمشعر ومنى ، والكلمات التي ابتلاه بها فأتمها والقربان فقال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

٧٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٢٦).
من حديث عثمان بن عفان ﷺ.

٨٠) مختلف في رفعه ووقفه.
أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٠٠٤) والطبراني في المعجم الأوسط (٣٤٨٦، ٦٣٩٦) والمعجم الصغير له (٣٩٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٩٦) وفي الأسماء والصفات (١٩٠) وابن الأعرابي في معجمه (٩٠٦، ١١٦٣) وأبو نعيم في الحلية (٤٦/٥) و(١٢٦/٧) و(٣٩٧/١٠).
من طرق عن الثوري، عن منصور عن هلال بن يساف، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا.
وورد الحديث بلفظ أخر وهو «من قال لا إله إلا الله أنجاه يوما من الدهر أصابه قبلها ما أصابه».
وأخرجه الضبي في كتابه الدعاء (١٥٤) من طريق حصين بن عبد الرحمن عن منصور عن هلال بن يساف، عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦٠٤٥) من طريق الثوري عن حصين ومنصور أو أحدهما عن هلال بن يساف عن أبي هريرة ﷺ موقوفا.
وأرى والله أعلم أن الصواب فيه الوقف.

٨١) حسن لغيره.

مات عليها فإنه لا يخلد في النار الخلود الأبدي المطلق ، بل لا بد وأن يخرج من النار يوما من الدهر ، وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال «يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يَزِنُ بُرَّة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يَزِنُ ذَرَّة»(٨٢) .

ومن فضلها :ـ أن تحقيق مدلولها أعظم حق وأفخم حق لله تعالى على عباده ، فعن معاذ رضي الله عنه قال :ـ«كنتُ رِدْفَ رسولِ الله -ﷺ- ، ليس بيني وبينه إلا مؤخِرة الرَّحْل ، قال : يا معاذَ بنَ جبل ، قلتُ : لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قال : يا معاذ بن جبل ، قلتُ : لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ، ثم قال : يا معاذ بن جبل ، فقلتُ : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : هل تدري ما حقُّ الله على العباد ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حقَّ الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، ثم سار ساعة ، ثم قال : يا معاذ بن جبل ، قلتُ : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال: هل تدري ما حقُّ العباد على الله

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٧، ٢٥٢، ١٣٨٤، ١٣٨٦) وابن ماجه في سننه كتاب الأدب باب فضل لا إله إلا الله (٣٧٩٥) والنسائي في السنن الكبرى (١٠٨٧١، ١٠٨٧٢، ١٠٨٧٣، ١٠٨٧٤) وابن حبان في صحيحه كتاب الإيمان ذكر إعطاء الله جل وعلا نور الصحيفة من قال عند الموت ما وصفناه (٢٠٥) وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٠٤) والبزار في مسنده (٩٣٠، ٩٣٤) وأبو يعلى في مسنده (٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٥٥) وفي معجمه (٣١٦) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٧٩٤) والطبراني في المعجم الكبير (٧٧٢) والحاكم في المستدرك كتاب الجنائز (١٢٩٧) والبيهقي في الأسماء والصفات باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام وهي كلمة التقوى ودعوة الحق لا إله إلا الله (١٧٢، ١٧٣) وابن الأعرابي في معجمه (٦٠٦، ٢٣٦٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٩٢، ٤٨٧٧، ٧٦٩٣).

قلت في أسانيد هذا الحديث آختلاف وضعف وأرى في مجموعها تحسن. والله أعلم

قال البوصيري في الزوائد رواه النسائي في اليوم والليلة عن هارون بن إسحاق به وعن يحيى بن موسى عن عبد الله بن نمير عن الشعبي عن جابر عن طلحة به واختلف على الشعبي فقيل عنه هكذا وقيل عنه عن ابن طلحة عن أبيه وقيل عنه عن يحيى بن طلحة عن أبيه وقيل عنه عن يحيى بن طلحة عن أمه سعدي عن طلحة وقيل عنه عن طلحة مرسلا.

٨٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه (٤٤) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {لما خلقت بيدي} (٧٤١٠) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

إذا فعلوا ذلك ؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم ، قال : حقُّ العباد على الله : أن لا يعذِّبهم»(٨٣).

ومن فضلها :ـ أنها أثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال : إنَّ الله سَيُخَلِّصَ رجُلا مِنْ أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فيَنْشُرُ له تسعة وتسعين سِجلا ، كلُّ سِجلّ مِثْلُ مدِّ البَصَر ، ثم يقول : أتُنْكرُ من هذا شيئا ؟ أظلمَك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ، يا ربِّ ، فيقول : أفلَك عذر ؟ فيقول: لا يارب ، فيقول الله تعالى : «بلَى إنَّ لك عِندَنا حسنة ، فإنه لا ظُلْمَ اليوم ، فتُخرجُ بطاقة فيها : أشّهَدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأشهدُ أن محمدا عبدُه ورسولُه ، فيقول : احضُرْ وزنك ، فيقول : يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : فإنَّك لا تُظْلَمُ فتُوضَعُ السجلاتُ في كفَّة ، والبطاقة في كفَّة ، فطاشت السِّجلات ، وثَقُلَتِ البطاقةُ ، ولا يثْقُلُ مع اسمِ الله شيء»(٨٤) أخرجه الترمذي.

وفي الحديث أن موسى عليه السلام قال :ـ يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به ، قال " يا موسى قل لا إله إلا الله " قال يارب كل عبادك يقولون هذا ، قال " يا

---

٨٣) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب اسم الفرس والحمار (٢٨٥٦) وفي كتاب اللباس باب إرداف الرجل خلف الرجل (٥٩٦٧) وفي كتاب الاستئذان باب من أجاب بلبيك وسعديك (٦٢٦٧) وفي كتاب الرقاق باب من جاهد نفسه في طاعة الله (٦٥٠٠) وفي كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٧٣٧٣) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٣٠)

٨٤) صحيح.

أخرجه الترمذي في سننه أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه و باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩) وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠) وأحمد في المسند (٦٩٩٤) وابن المبارك في الزهد (٢/ ١٠٩) وفي المسند له (١٠٠) وابن حبان في صحيحه (٢٢٥) والطبراني في الدعاء (١٤٨٢) وفي المعجم الأوسط له (٤٧٢٥) والمعجم الكبير له (١٣/ ١٩) والحاكم في المستدرك (٩، ١٩٣٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧٩) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٢٠٤)

من طرق عن الليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعا به. وهذا إسناد صحيح، عامر بن يحيى ثقة، وأبي عبد الرحمن الحبلي هو عبد الله بن يزيد ثقة.

موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ،ولا إله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله "(٨٥) .

ومن فضلها :ـ أنها مفتاح الجنة ، فعن وهب بن منبه - رحمه الله - قيل له : أليس «لا إله إلا الله» مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا لَهُ أسْنان ، فإن جئتَ بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك ، وإلا لم يُفْتَحْ لك(٨٦). أخرجه البخاري في ترجمة باب.

وعن معاذ بن جبل قال : " قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله "(٨٧) رواه أحمد

ومن فضلها :ـ أنها من أكبر الأسباب التي تحرم العبد على النار ، وذلك إن جاء بها مصدقا عاملا ، فعن أنس «أن رسولَ الله -ﷺ- ومعاذ بن جبل رديفه على الرَّحْل ، قال : يا معاذ ، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك - ثلاثا - ثم قال : ما من عبد يشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبدُه ورسولُه ، إلا حرَّمه الله على النار ،

---

٨٥) ضعيف.
أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٦٠٢، ١٠٩١٣) وأبو يعلى في مسنده (١٣٩٣) وابن حبان في صحيحه (٦٢١٨) وأسد بن موسى في الزهد (٦٥) والطبراني في الدعاء (١٤٨١،١٤٨٠) والحاكم في المستدرك (١٩٣٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٧).
من طريق عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، ﷺ مرفوعا به.
وهذا إسناد ضعيف دراج أبي السمح الراجح فيه الضعف وكذلك فإن روايته عن أبي الهيثم متكلم فيها.
٨٦) أورده البخاري في صحيحه تحت باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله،كتاب الجنائز.
٨٧) ضعيف.
أخرجه أحمد في المسند (٢٢١٠٢) والبزار في مسنده (٢٦٦٠) والطبراني في الدعاء (١٤٧٩) وأبي نعيم في صفة الجنة (١٨٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٢) من طريق شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعا به.
وهذا إسناد ضعيف من وجهين الوجه الأول ضعف شهر بن حوشب. الوجه الثاني عدم سماع شهر بن حوشب من معاذ ﷺ.

قال : يا رسول الله ، أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : إذا يتَّكلوا ، فأخبر بها معاذ عند موته تأثُّما»(٨٨) .

ومن فضلها :ــ أن من قالها مؤمنا بمعناها عاملا بمدلولها فهو من جملة من سيشفع لهم النبي ﷺ ، بل يكون من أسعد الناس بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قلتُ : يا رسولَ الله مَنْ أسْعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : «لقد ظننتُ أن لا يسألَني عن هذا أوَّلَ منك، لِمَا رأيتُ من حِرْصِك على الحديث ، أسعدُ النَّاسِ بِشفاعتي يومَ القيامةِ مَن قال : لا إله إلا الله ، خالصا مُخْلِصا من قلبه»(٨٩). أخرجه البخاري.

ومن فضلها :ــ أنها طريق النجاة الأعظم ، فلا نجاة للعبد إلا بها ، فعن المسيب بن حزن - رضي الله عنه - قال : «لما حضرت أبا طالب الوفاةُ ، جاءه رسولُ الله -ﷺ- ، فوجد عنده أبا جهل [ابن هشام] وعبد الله ابن [أبي] أمية بن المغيرة ، فقال : أيْ عَمِّ ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبد المطلب ؟ فلم يزل رسولُ الله -ﷺ- يَعْرِضُها عليه ، ويعودان لتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم أنا على مِلَّةِ عبد المطلب ، وأبَى أن يقول : لا إله إلا الله ، قال رسولُ الله -ﷺ-: والله ، لأسْتَغْفِرَنَّ لك ، ما لم أنْهَ عنك ، فأنزل الله عز وجل {ما كانَ لِلنَّبيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ولو كانُوا أولي قُرْبَى ، مِن بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُمْ أصْحَابُ الْجَحِيمِ} وأنزل الله عز وجل في أبي طالب. فقال لرسولِ الله -ﷺ- : {إنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أحْبَبْتَ ولكنَّ الله يَهْدِي مَن يَشَاءُ ، وهُوَ أعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}(٩٠)

---

٨٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا (١٢٨) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٣٢).

٨٩) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الحرص على الحديث (٩٩) وفي كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٦٥٧٠).

٩٠) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (١٣٦٠) وفي كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب (٣٨٨٤) وفي كتاب تفسير القرآن باب قوله: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} (٤٦٧٥) وفي كتاب تفسير القرآن باب قوله: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : إن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم حين توفي النبي صلى الله عليه و سلم حزنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس قال عثمان وكنت منهم فبينا أنا جالس في ظل أطم من الآطام مر علي عمر رضي الله عنه فسلم علي فلم أشعر أنه مر ولا سلم فانطلق عمر حتى دخل على أبي بكر رضي الله عنه فقال له ما يعجبك أني مررت على عثمان فسلمت عليه فلم يرد علي السلام وأقبل هو وأبو بكر في ولاية أبي بكر رضي الله عنه حتى سلما علي جميعا ثم قال أبو بكر جاءني أخوك عمر فذكر أنه مر عليك فسلم فلم ترد عليه السلام فما الذي حملك على ذلك قال قلت ما فعلت فقال عمر بلى والله لقد فعلت ولكنها عبيتكم يا بني أمية قال قلت والله ما شعرت أنك مررت ولا سلمت قال أبو بكر صدق عثمان وقد شغلك عن ذلك أمر فقلت أجل قال ما هو فقال عثمان رضي الله عنه توفى الله عز و جل نبيه صلى الله عليه و سلم قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر قال أبو بكر قد سألته عن ذلك قال فقمت إليه فقلت له بأبي أنت وأمي أنت أحق بها قال أبو بكر قلت يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردها فهي له نجاة.(٩١) رواه أحمد .

(٤٧٧٢) وفي كتاب الأيمان والنذور باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فصلى، أو قرأ، أو سبح، أو كبر، أو حمد، أو هلل، فهو على نيته (٦٦٨١) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله (٢٤).

٩١) ضعيف، الصواب فيه الإرسال.

أخرجه أحمد في المسند (٢٠١/١) وعبد الرزاق في مصنفه (١١٣٤) وفي جامع معمر (٢٠٥٥٤) وأبي يعلى في مسنده (٩، ١٠) و ابن الأعرابي في معجمه (٩٣٩) وأبي بكر الأموي المروزي في مسند أبي بكر الصديق ﵁ (٧،٨) والطبراني في المعجم الأوسط (٢٨٣٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٩١).

كلهم من طرق عن الزهري فرواه عمر بن سعيد بن سرحة التنوخي عن الزهري عن عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عثمان بن عفان، عن أبي بكر الصديق رضي الله عن الجميع، عمر بن سعيد لين الحديث.

ورواه عبد الله بن بشر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عثمان بن عفان – ﵁.

ورواه مُحمَّد بن عمر الواقدي، عن مُحمَّد بن عبد الله ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عثمان بن عفان عن أبي بكر الصديق رضي الله عن الجميع، ومُحمَّد بن عمر الواقدي "متروك الحديث" كما لا يخفى على أحد.

ومن فضلها :ـ أنها أعظم الذكر وأفضله ، كما قال النبي ﷺ "أفضل الذكر لا إله إلا الله "(٩٢) .

ومن فضلها :ـ ما ورد في حديث عبادة رضي الله عنه في الصحيحين قال قال رسول الله - ﷺ - ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))(٩٣) .

ومن فضلها :ـ ما ورد في الصحيحين أيضاً من حديث أبي ذر جندب بن جنادة - رضي الله عنه - قال:- أتيت النبي - ﷺ - وهو نائم وعليه ثوب أبيض ثم أتيته وقد استيقظ فقال ((ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)) قلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق قال ((وإن زنى وإن سرق)) قلت: يا رسول الله

ورواه صالح بن كيسان (كما في مسند أبي يعلى) ومعمر(كما في المصنف) وشعيب بن أبي حمزة (كما عند أحمد) عن الزهري مرسلا.

وعلى هذا فيكون الصواب الإرسال لأن الذين روا الحديث مرسلا هم من أصحاب الزهري.

قال العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ٢٣٥) بعد ذكر الروايات المرفوعة وهذه أسانيد متقاربة في الضعف، خالفها الثقات من أصحاب الزهري.

ثم أورد رواية صالح بن كيسان المرسلة ثم قال ورواية صالح بن كيسان، وشعيب، وعقيل أولى من رواية عبد الله بن بشر ومن تابعه.

٩٢) ضعيف.

أخرجه الترمذي في سننه أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (٣٣٨٣) وابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب فضل الحامدين (٣٨٠٠) والنسائي في السنن الكبرى (١٠٥٩٩) وابن حبان في صحيحه (٨٤٦) وابن أبي الدنيا في الشكر (٧) والطبراني في الدعاء (١٤٨٣) والحاكم في المستدرك (١٨٣٤، ١٨٥٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٦١) وفي الأسماء والصفات له (١٩٣).

من طريق موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري، عن طلحة بن خراش، قال: سمعت جابر بن عبد الله ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف، موسى بن إبراهيم بن كثير لم يوثقه معتبر، وطلحة بن خراش البعض تكلم في روايته عن جابر ﷺ.

قال الترمذي رحمه الله هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم.

٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم (٣٤٣٥) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٢٨)

وإن زنى وإن سرق قال ((وإن زنى وإن سرق)) قلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق قال ((وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر))(٩٤)

فهذه أعظم كلمة في هذا الوجود ، فمن أجل تحقيقها خلق الله تعالى الثقلين الإنس والجن ، ومن أجلها خلقت الجنة والنار ، وانقسم الخلق فيها إلى مؤمنين وكفار وأبرار وفجار ، وهي محط السؤال في القبر ويوم الجزاء والحساب ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة قامت بها الأرض السماوات وخلقت لأجلها جميع المخلوقات وبها أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب وهي الحق الذي خلقت له الخليقة وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب وعليها يقع الثواب والعقاب وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة ولأجلها جردت سيوف الجهاد وهي حق الله على جميع العباد فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وعنها يسأل الأولون والآخرون)(٩٥)

فهذه جمل من فضلها ، وسيأتي في بيان شروطها أدلة أكثر تدل على فضلها إن شاء الله تعالى .

(المسألة الرابعة) واعلم رحمك الله تعالى أنها لا يتم الانتفاع بهذا الكلمة العظيمة إلا إذا حقق العبد شروطها ، وقد نص أهل العلم رحمهم الله تعالى على أن كلمة التوحيد لها ثمانية شروط :ـ

الأول :ـ العلم بمعناها ، وقد قررنا لك سابقا أن المعنى الحق لها هو أن يقال (لا معبود بحق إلا الله تعالى) فلا ينتفع أحد بهذه الكلمة إلا بعد العلم بمعناها والإيمان به ، قال تعالى{ولا ينفع الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق هم

٩٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله (١٢٣٧) وفي كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٣٢٢٢) وفي كتاب اللباس باب الثياب البيض (٥٨٢٧) وفي كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة (٧٤٨٧) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار (٩٤)

٩٥) آنظر زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٦).

يعلمون} والمراد بشهادة الحق أي شهادة ألا إله إلا الله ، والمراد بالعلم هنا أي العلم بمعناها الذي تدل عليه ، وقال تعالى{فاعلم أنه لا إله إلا الله}[محمد ١٩] فأمر بالعلم بها ،والمراد العلم بمعناها ، وقال عليه الصلاة والسلام " من مات وهو يعلم ألا إله إلا الله دخل الجنة "(٩٦) فيفهم منه أن من مات وهو يقولها ولكنه غير عالم بمعناها فإنه لا يتحقق كمال انتفاعه بها ، وقد اتفقت كلمة أهل العلم على إثبات هذا الشرط وهذا من العلم الواجب على كل مكلف ولا يعذر أحد بجهله وضد العلم الجهل. الشرط الثاني:- الإخلاص وضده الشرك بقسميه الأصغر والأكبر، فلابد فيها من تحقيق الإخلاص فمن قالها رياء أو تسميعاً أو لغرض دنيوي فإنها لا تنفعه ومن قالها وهو واقع في شيء من نواقض الدين فإنها لا تنفعه، فلابد فيها من تحقيق مقام الإخلاص، فإن قولها عبادة والعبادات يشترط لقبولها الإخلاص قال تعالى { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ }[الزمر ٢، ٣] وقال تعالى { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء }[البينة ٥]

وقال عليه الصلاة والسلام ((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه))(٩٧)

وقال عليه الصلاة والسلام ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))(٩٨)

وفي حديث فضل الترديد وراء المؤذن كلمة كلمة وفي آخره ((ثم قال المؤذن لا إله إلا الله فقال أحدكم لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة))(٩٩).

---

٩٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٢٦). من حديث عثمان بن عفان ﷺ.

٩٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الحرص على الحديث (٩٩) وفي كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٦٥٧٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

٩٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت (٤٢٥) وفي كتاب التهجد باب صلاة النوافل جماعة (١١٨٥) وفي كتاب الأطعمة باب الخزيرة (٥٤٠١) وفي كتاب الرقاق باب العمل الذي يبتغى به وجه الله (٦٤٢٣) وفي كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب ما جاء في المتأولين (٦٩٣٨) ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٣٣) من حديث عتبان بن مالك ﷺ.

الشرط الثالث:- اليقين وهو الاستيقان الكامل بمدلول وصحة هذه الكلمة بحيث لا يخالط القلب مطلق الريب في صحة ذلك، فلابد من الإيمان اليقيني القاطع الراسخ في القلب أعظم من رسوخ الجبال الرواسي في الأرض، فمن قالها وهو متردد في معناها ويداخله شك في صحة مدلولها فإنها لا تنفعه قال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا }[الحجرات ١٥] فاشترط للإيمان بالله وبرسوله - ﷺ - عدم الريب وانتفاؤه.

وفي حديث أبي هريرة ((اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة))(١٠٠) "رواه مسلم"

وفي الصحيح ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة))(١٠١) .

الشرط الرابع:- الصدق، وهو أن يتوافق قول القلب واعتقاده مع قول اللسان، فلا ينفع أحدهم دون الآخر فاعتقاد بلا قول لا ينفع وقول بلا اعتقاد لا ينفع ألا ترى أن المنافقين الذين قالوا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لما لم تكن قلوبهم مصدقة بمدلول هذه الشهادة رد الله عليهم شهادتهم وكذبهم فيها كما قال تعالى { إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }[المنافقون ١] وسبب تكذيبهم هو عدم التصديق القلبي لمدلول هذه الشهادة وإنما قالوها خوفاً من المؤمنين ومراوغة ومخادعة لعباد الله الصالحين، وقال تعالى { وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[الزمر ٣٣] وأعظم الصدق هو هذه الكلمة ولم يكتف الله جل وعلا بأن يأتي بالصدق فقط بل

---

٩٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة (٣٨٥) من حديث عمربن الخطاب ﷺ. أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٣١).

١٠٠) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٣١).

١٠١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٢٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

اشترط شرطاً زائداً على مجرد المجيء به وهو قوله { وَصَدَّقَ بِهِ } فلابد من التصديق بالحق التصديق المقتضي للإيمان الراسخ والإتباع وقد أخطأ الكلابية خطأ عظيماً لما جعلوا الإيمان مجرد القول ولم ينظروا إلى توافقه مع التصديق الباطني فأسأله جل وعلا أن يهدي القلوب إلى موافقة الحق والتصديق به إنه ولي ذلك والقادر عليه، وضد التصديق الكذب.

الشرط الخامس:- المحبة، وضدها الكراهية والبغض، فلا يتحقق الانتفاع بهذه الكلمة إلا بأن يكون القائل محباً لله جل وعلا ولرسوله - ﷺ - ومقدماً محبتهما على كل محبة ومحباً لما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال والاعتقادات وسائر التعبدات، قال تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا }[البقرة ١٦٥] وقال تعالى { قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }[التوبة ٢٤] وقال عليه الصلاة والسلام ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))(١٠٢)

وقال - ﷺ - ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))(١٠٣) "متفق عليهما" وأتفق أهل العلم على إثبات هذا الشرط، وأجمعوا على أن بغض شيء مما جاء به الرسول - ﷺ - من النفاق الاعتقادي المخرج عن الملة وأجمعوا على أن من مقتضيات الإيمان بالله تعالى محبته جل وعلا، وتقديم محبته ومحبة رسوله - ﷺ - على كل المحاب.

١٠٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٥) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة (٤٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

١٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان (١٦) وفي كتاب الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان (٢١) وفي كتاب الإكراه باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٦٩٤١) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٤٣)

الشرط السادس:- القبول، وهو عمل قلبي باطني له آثاره على الجوارح، وضده الرد، فمن لم يقبل مدلول هذه الكلمة أو شيئاً من مقتضياتها فإنها لا تنفعه وإن قالها مراراً وتكراراً، قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ }[الصافات ٣٦، ٣٧] فأنت ترى أنهم ردوا مدلول هذه الكلمة ولم يقبلوه فالذي جعلهم يمتنعون عن قولها هو عدم قبول مدلولها، وقال تعالى { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا }[الأحزاب ٣٦] وذلك أن الواجب على العبد تجاه ما قضاه الله ورسوله - ﷺ - من الأمر إنما هو القبول المستلزم للانقياد والعمل، وأعظم ما قضاه الشارع أن لا يعبد إلا الله وأن لا إله إلا هو جل وعلا، فالواجب لينتفع العبد بذلك أن يقبله وأن يسلم به وينقاد له بالإتباع وكمال الطاعة فلا خيرة للعبد فيما قضاه الشارع من الأمور، الشرط السابع:- الانقياد وهو أثر للقبول في القلب فالقبول من أعمال الباطن والانقياد من أعمال الظاهر ويزداد هذا الانقياد كلما ازداد القبول في القلب فالانقياد ثمرة القبول وقد أجمع أهل السنة على إثبات هذا الشرط قال تعالى { وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }[لقمان ٢٢] وفي الحديث (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)(١٠٤) وقال تعالى { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا }[النساء ٦٥].

الشرط الثامن:- الكفر بالطاغوت، والطاغوت مأخوذ من الطغيان وهو مجاوزة الحد، وفي الاصطلاح فقد عرفه السلف بالمثال وعرف بعضهم بالحد الجامع المانع ونحن نتبع في تعريفه ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى فإنه قال في تعريفه:

١٠٤) ضعيف.

أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١٥) والبيهقي في المدخل للسنن (٢٠٩) وابن بطة في الإبانة (٢٧٩) والنسوي في كتابه الأربعون (٨).

من طريق نعيم بن حماد ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن هشام بن حسان عن مُحَمَّد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ. نعيم بن حماد "الراجح فيه الضعف".

هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فالكفر بالطاغوت شرط في الاستمساك بالعروة الوثقى قال تعالى { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[البقرة ٢٥٦] وروى مسلم في صحيحه من حديث طارق بن أشيم الاشجعي - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله))(١٠٥) فهذه طرف يسير من الكلام على شروطها .

(المسألة الخامسة) واعلم رحمك الله تعالى أنه من لوازم الانتفاع بهذه الكلمة الطيبة البراءة والخلوص من الوقوع في شيء من نواقضها ، ونواقضها كثيرة ، وقد لخصها بعض أهل العلم رحمهم الله تعالى في عشرة نواقض ، وغالب النواقض تدخل تحت واحدة من هذه النواقض العشرة ، وقد عدها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في بعض مؤلفاته ، وسوف نشرح لك هذه النواقض واحدا واحدا ونذكر باختصار شديد ما يتعلق به من الكلام ،لأن الكلام عليها بكل تفاصيلها يطول ، فأقول وبالله تعالى التوفيق ومنه أستمد العون والفضل وحسن التحقيق :ـ

الناقض الأول :ـ الشرك ، والمراد به الشرك الكبر ، لأن أهل العلم رحمهم الله تعالى قد قسموا الشرك إلى قسمين ، إلى شرك أكبر وإلى شرك أصغر ، وفرقوا بينهما بعدة فروق :ـ فقالوا :ـ ـ أما الشرك فإنه يخرج من الملة بالكلية ،وأما الأصغر فإنه من أكبر الكبائر ولكنه ليس بمخرج من الملة ، والثاني :ـ أن الأكبر محرم تحريم مقاصد ، وأما الأصغر فتحريمه تحريم وسائل ، الثالث :ـ أن الأكبر موجب للخلود الأبدي المطلق في النار ، وأما الأصغر فيحكم على صاحبه بحكم أصحاب الكبائر في أصح قولي أهل العلم رحمهم الله تعلى ،وإن قلنا :ـ إنه لا يغفر كما هو القول الثاني ، فإن صاحبه لا يخلد الخلود الأبدي المطلق في النار ،بل يعذب على قدر كبيرته ، ثم يخرج منها إلى الجنة برحمة الله تعالى .الرابع :ـ أن الأكبر موجب للعداوة المطلقة ، وأما الأصغر فهو موجب لمطلق العداوة ، أي

١٠٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٢٣).

بعضها ، الخامس :ـ أن الأكبر موجب للبغضاء المطلق ، أي أننا نبغض صاحبه كل البغض ، وأما الأصغر فإنه موجب لمطلق البغض فقط ، السادس :ـ أن الأكبر موجب للهجر المطلق ، وأما الأصغر فإنه موجب لمطلق الهجر ،السابع :ـ أن الأكبر يكون صاحبه حلال الدم والمال ، وأما الأصغر فلا يحل الدم ولا المال ، الثامن :ـ أن الأكبر يحبط كل العمل السابق إن مات صاحبه وهو مصر عليه ، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه فقط ، التاسع :ـ أن صاحب الشرك الأكبر إن مات مصرا عليه فإننا نعامله معاملة الكفار الأصليين ، فلا نغسله ولا نكفنه ،ولا نصلي عليه ولا ندفنه في مقابر المسلمين ولا ندعو له بالرحمة ولا يورث ، بل يكون ماله فيئا لبيت مال المسلمين ، وأما الأصغر فإن صاحبه إن مات مصرا عليه فإننا نعامله معاملة عصارة الموحدين ، العاشر :ـ أن الشرك الأكبر فيه التنديد المطلق بالله تعالى ، وأما الأصغر فليس فيه إلا مطلق التنديد لا كله ، فبهذه الفروق يتحرر لك أن المراد بهذا الناقض إنما هو الشرك الأكبر ، فمن وقع في صورة من صورة من الشرك الأكبر فقد انتقض أصل توحيده ، فلا تنفعه هذه الكلمة ما دام مصرا على هذا الشرك ، قال تعالى{ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين}[الزمر ٦٥] والشرك أعظم ذنب عُصي به الله تعالى وهو أشد نواقض الإسلام جُرماً، وقد أخذ الله على نفسه أن لا يغفر للمشرك شركه إلا أن يتوب، فلا يكفِّر الشرك شيء من أنواع المكفرات المعروفة إلا أن يتوب المشرك من شركه، كما قال تعالى{إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثمان عظيما}[النساء ٤٨] وقال تعالى{إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}[المائدة ٧٢] وقال تعالى{إن الشرك لظلم عظيم}[لقمان ١٣] فالشرك الأكبر وصف في الأدلة بأنه الظلم العظيم والإثم العظيم ، وبأن الجنة على من مات عليه حرام الحرمة المطلقة فلا يشمها بأنفه يوما من الدهر ، بل هو خالد في النار الخلود الأبدي المطلق الذي لا خروج منه ، وهو محبط لكل عمل ، كما قال تعالى{ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون}[الأنعام ٨٨] والمشرك حلال الدم والمال إلا ما استثناه الشرع كأهل الذمة والعهد: قال تعالى{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ

مَرْصَدٍ}[التوبة ٥] والمشرك محكوم عليه بأنه نجس ، كما قال تعالى{إنما المشركون نجس}[التوبة ٢٨] والمراد نجاسة الاعتقاد في الباطن ، لا نجاسة الظاهر ، في أصح قولي أهل العلم رحمهم الله تعالى ، وقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن الشرك أنواع باعتبار أسبابه ومتعلقاته ، فالأول :ــ شرك الدعوة ، أي شرك في الدعاء ، وهو أن يدعو العبد غير الله كدعاء الله عبادة ومسألةً، فمن دعا غير الله كدعاء الله فقد أشرك بالله، قال تعالى عن هذا النوع من الشرك {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}[العنكبوت ٦٥] يشركون في الدعاء.فمن كان مراده بالدعاء طلب نفع أو دفع ضر فهذا دعاء المسألة.ومن كان مراده الخضوع والانكسار والذل بين يدي الله جل شأنه فهذا دعاء عبادة والدعاء بنوعيه دعاء المسألة ودعاء العبادة لا يجوز التوجه به لغير الله، فالدعاء من أعظم العبادات وأفضل القربات وأجل الطاعات قال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[البقرة ١٨٦] وقال آمراً بدعائه وسؤاله : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[غافر ٦٠] و {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}[النساء ٣٢]. وروى الإمام أحمد وأهل السنن عن ذر عن يُسَيْعٍ عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدعاء هو العبادة» ثم قرأ : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}(١٠٦) ولهذا فمن دعا غير الله فيما لا يقدر

---

١٠٦) صحيح.

أخرجه أبو داود في سننه أبواب قيام الليل باب الدعاء (١٤٧٩) والترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ومن سورة البقرة (٢٩٦٩) وفي أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة المؤمن (٣٢٤٧) وفي أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل الدعاء (٣٣٧٢) وابن ماجة في سنن (٣٨٢٨) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤) والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٠٠) وابن حبان في صحيحه (٨٩٠) وأحمد في المسند (١٨٣٥٢، ١٨٣٨٦، ١٨٣٩١، ١٨٤٣٢، ١٨٤٣٦) وأبي داود الطيالسي في مسنده (٨٣٨) والبزار في مسنده (٣٢٤٣) وابن المبارك في الزهد (١٢٩٨) وفي المسند له (٧١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩١٦٧) وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٨٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٩٩) والطبراني في الدعاء (١ــ ٧) وفي المعجم الصغير له (١٠٤١) وابن المقرئ في معجمه (٨٦٨) وابن منده في التوحيد (٣٢٠) والحاكم في المستدرك (١٨٠٢) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٠) وفي الدعوات الكبير له

عليه إلا هو كان مشركاً قال تعالى:{ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[المؤمنون ١١٧]. وفي الحديث" إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله "(١٠٧) وهذا النوع من أكثر ما يقع من أهل الشرك ، فمن دعا غير الله تعالى فقد أشرك ، وسوف يأتينا تفصيل ذلك في شرح الأبيات الخاصة بالدعاء إن شاء الله تعالى ، وأما النوع الثاني من أنواع الشرك الأكبر فهو شرك النية والإرادة والقصد :وهو أن يقصد ويُريد وينوي بعمله أصلاً غير الله جل شأنه، قال تعالى في هذا النوع من الشرك : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[هود ١٥] فالأصل عند ورود إحباط العمل في القرآن أن سببه الشرك والكفر.فمن قصد بعمله الدنيا لا غير، عجل الله له ما أراده، وأعطاه من الدنيا مقصده، لكن عمله عند الله حابط، وليس له في الآخرة إلا النار.وأما ورود بعض النيات السيئة على نية العبد

---

(٤) وابن الأعرابي في معجمه (١٢٤٩) وأبي نعيم في الحلية (٨/ ١٢٠) والقضاعي في مسند الشهاب (٢٩، ٣٠). عن ذر بن عبد الله الهمداني، عن يسيع الكندي، عن النعمان بن بشير ﷺ.

١٠٧) حسن.

أخرجه الترمذي في سننه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ (٢٥١٦) وأحمد في المسند (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣) والبغوي في مسند ابن الجعد (٣٤٤٥) وعبد بن حميد في مسنده (٦٣٦) وأبي يعلى في مسنده (٢٥٥٦) وهناد بن السري في الزهد (٥٣٦) والفريابي في القدر (١٥٣_ ١٥٨) والأجري في الشريعة (٤١٢، ٤١٣) والطبراني في المعجم الكبير (١١٢٤٣، ١١٤١٦، ١١٥٦٠، ١٢٩٨٨) وفي المعجم الأوسط له (٥٤١٧) وفي الدعاء (٤١، ٤٢، ١٩٧٢) وابن السني في عمل اليوم الليلة (٤٢٥) وابن منده في التوحيد (٢٤٨) والحاكم في المستدرك (٦٣٠٣، ٦٣٠٤) والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٢، ١٠٤٣، ٩٥٢٨، ٩٥٢٩) وفي الأداب له (٧٥٨) وفي الأسماء والصفات له (١٢٦) وفي القضاء والقدر له (٢٨٧، ٣٠٦) و اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٩٤) والقضاعي في مسند الشهاب (٧٤٥) وأبي نعيم في الحلية (١/ ٣١٤) وفي معرفة الصحابة له (٤٢٨٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٨) وعبد الله بن وهب في القدر وما ورد في ذلك من الآثار (٢٨) وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٦). كلهم من طرق عن ابن عباس ﷺ.

قال الترمذي في السنن هذا حديث حسن صحيح.

وقال العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٥٣) وقد روي هذا الكلام عن ابن عباس، من غير طريق، أسانيدها لينة، وبعضها أصلح من بعض.

وقصده في شيء من أعماله، فهذا داخل في باب الشرك الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الملة، لكنه يقلّل ثوابه، وينقص أجره، وربما أفسد عمل العبد الذي دخل عليه من غير أن يخرجه من ملة الإسلام.وسيأتي تفصيل ذلك في بابه إن شاء الله تعالى ، والنوع الثالث من أنواع الشرك الأكبر :ـ شرك الطاعة :وهو مساواة غير الله بالله في التشريع والحكم، فالتشريع والحكم حق جعله الله لنفسه قال تعالى :{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ}[الأنعام ٥٧، يوسف ٤٠، ٦٧].وقال سبحانه في هذا النوع من الشرك :{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}[الشورى ٢١]. فمن ادعى أن لأحدٍ من الناس سواءً - علماء أو حكاماً أو غيرهم - حق التشريع من دون الله أو مع الله فقد أشرك مع الله إلهاً آخر في حق الله وحده، وكفر بما أنزل من عند الله قال تعالى :{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[التوبة ٣١] قال تعالى :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا}[النساء ٦٠] فسمى الله جل شأنه من يحكم بغير ما أنزل الله على نبيه طاغوتاً.وقال تعالى{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}[المائدة ٤٤] و{الظالمون}[المائدة ٤٥] و {الفاسقون}[التوبة ٤٧] في ثلاث آيات متتابعة ، والمتقرر عند أهل العلم رحمهم الله تعالى بالإجماع أنه لا يجوز طاعة الأمراء ولا العلماء في تحليل ما حرم الله تعالى ولا في تحريم ما أحل الله تعالى ، فإنه من أطاعهم في شيء من ذلك وهو عالم بحقيقة الحال ومثله لا يجهل فقد اتخذهم أربابا من دون الله تعالى ، ولما نزل الله قول الله تعالى{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم} قال عدي بن حاتم رضي الله عنه :ـ يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم (١٠٨) ، فبين له النبي ﷺ أن مفهوم

---

١٠٨) ضعيف.

أخرجه الترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة التوبة (٣٠٩٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٤) والطبراني في المعجم الكبير (٢١٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٣٥٠) والمدخل إلى السنن له (٢٦١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٨٦٢) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٢٩).

من طريق عبد السلام بن حرب، عن غطيف بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم ﷺ.

العبادة أوسع من مسألة الركوع والسجود وغيره، فبين له أن المراد باتخاذهم أربابا من دون الله تعالى أي بأنهم يطيعونهم في تحليل الحرام وفي تحريم الحلال ، وعليه فقد تقرر بإجماع أهل العلم رحمهم الله تعالى أنه لا حاكم كونا ولا قدرا إلا الله تعالى ، ولا جرم بارك الله تعالى فيك أن تلك القوانين الوضعية المستوردة من عند الكفرة داخلة في هذا الباب ، فلا يجوز الحكم بها ولا التحاكم إليها ، وفصل أهل العلم رحمهم الله تعالى في مسألة الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى والتحاكم إلى غير ما أنزل الله تعالى ، فقالوا رفع الله تعالى قدرهم ومنازلهم في الدنيا والآخرة :ـ عندنا في هذه المسألة حاكم ومتحاكم فأما الحاكم فلا يخلو من أحوال، الأول:- واضع القانون أصلاً والذي يعارض به شريعة المولى جل وعلا فهذا كافر الكفر الأكبر من غير نظر إلى نيته ولا شأن لنا بقصده لأن قرينة الحال تغني عن صريح المقال كالذي وضع القوانين الوضعية أو شارك في وضعها وكذلك المقر لها والموقع عليها فهؤلاء كفار ولا شك في كفرهم الثاني:- الحاكم بهذه القوانين الحكم المطلق، والذي نسف الحكم بالشريعة فلا يحكم في كل مسألة إلا بهذه القوانين الوضعية المخالفة للكتاب والسنة ويفتح في منطقة نفوذه المحاكم القانونية التي تحكم بهذا القانون الكفري ويحارب المحاربة الكاملة القوية من يدعو في بلاده إلى تطبيق الشريعة ولا يرضى أن تحكم بلاده إلا بهذه القوانين المخالفة في كلياتها وتفاصيلها شريعة الرب جل وعلا، فهذا كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة بالكلية ولاشك في كفره، ولا ننظر إلى نيته وقصده ولا نقول كفر دون كفر كمذهب المرجئة لأن قرينة حاله الظاهرية تفصح عن مكنون نواياه الباطنية، الثالث: من يحكم بغير ما أنزل الله تعالى في بعض القضايا فقط لا في كلها كقضية أو ثنتين أو ثلاث أو أكثر أو أقل ما لم يكتسب حكمه بغير ما أنزل الله صفة الكثرة والديمومة، ويعتقد مع ذلك جواز الحكم بغير ما أنزل الله تعالى في هذه القضية أكمل وأفضل وأحسن من حكم الله ورسوله - ﷺ - أو يعتقد أنه مخير في ذلك أي

وهذا إسناد ضعيف، غطيف بن أعين "ضعيف الحديث".

وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٩٩) من طريق مُحَمَّد بن عمر قال: حدثني أبو مروان ، عن أبان بن صالح ، عن عامر بن سعد ، عن عدي بن حاتم.

وهذا إسناد ضعيف جدا، مُحَمَّد بن عمر هو الواقدي "متروك الحديث".

إن شاء حكم في هذه القضية بما تقتضيه الشريعة أو بما يقتضيه القانون الوضعي المخالف للكتاب والسنة فهذا أيضاً كافر الكفر الأكبر وهو مرتد عن الإسلام لا بالحكم في هذه القضية فقط، بل بالحكم بغير ما أنزل الله فيها مقروناً بهذه العقيدة الفاسدة الكفرية، وهذا مرتد تجب استتابته ثلاثة أيام فإن تاب وإلا وجب قتله مرتداً كافراً يعامل معاملة الكفار أبعده الله وأقصاه، الرابع: من كان الأصل فيه تحكيم الشريعة أي الحكم بما أنزل اله تعالى وهذا ديدنه وهجيراه ولكنه حكم بغير ما أنزل الله تعالى في بعض القضايا لداعي الهوى والشهوة مع اعتقاده الجازم أنه عاص ومخالف في هذا الحكم وأن حكم الشريعة فيها أفضل ولكن دفعه لتركه رشوة أو رغبة في البقاء في منصب مع اعتقاده أن مخطئ، أو محاباة لأمير أو قريب ونحو ذلك من دواعي الهوى فهذا لا يكفر وإنما يكون عاصياً وآثماً ومستحقاً للعقوبة وقد أتى باباً من أبواب الكفر الأصغر فهو كفر دون كفر، وحكمه حكم مرتكب الكبيرة، ومن كفر هذا الصنف الأكبر فكأن فيه نوع غلو في التكفير، الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله عن اجتهاد وخطأ، أي أن يجتهد في إصابة حكم الشريعة ويبذل في ذلك ما آتاه الله تعالى من قوة العلم والفهم والنظر ولكنه يخطأ من غير تعمد لمخالفة حكم الكتاب والسنة، بل هو في نيته أنه يريد الحكم بما أنزل الله ولكنه أخطأ مع الاجتهاد فهذا لا شيء عليه وخطؤه مغفور، بل هو مأجور على اجتهاده أجراً واحداً وعلى ذلك قوله - ﷺ - ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد))(١٠٩) فخطؤه مغفور لأنه لم يتعمد هذا الشيء وهو حريص على أن يحكم بالشريعة وقد اجتهد في إصابة الحق وموافقة الحكم الشرعي وبذل ما في وسعه ولكنه لم يوفق لإصابة الحق فالله يغفر له خطأه ويثيبه على بذل جهده أجراً واحداً ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فهذا هو التفصيل بالنسبة للحاكم بغير ما أنزل الله وهو محصل ما قاله أهل العلم في هذه المسألة .

---

١٠٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب، أو أخطأ (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص ﷺ.

وأما المتحاكم فلا يخلو حاله من عدة أمور، الأول: أن يتحاكم عند الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالى مفضلاً لحكم الطواغيت على حكم الشريعة أو معتقداً جواز التحاكم لذلك أو أنه مخير في ذلك فهذا كافر الكفر الأكبر المخرج عن الملة، وهو متبع لحكم الجاهلية قال تعالى { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }[المائدة ٥٠] وقال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا }[النساء ٦٠] فرضاه وتفضيله لحكم الطواغيت إيمان به وقد تقرر أن الكفر بالطاغوت من شروط كلمة التوحيد فالمبتغي للتحاكم للطواغيت كافر بالله جل وعلا، الثاني: أن يتحاكم عند الحاكم القانوني من باب الاضطرار لاستخراج حقه إذ لا طريق له في استخراج حقه إلا بالجلوس عند هذا القاضي القانوني ولاسيما في الدول التي تنعدم فيها المحاكم الشرعية ولا يوجد فيها إلا المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية مع إيمانه الجازم بوجوب التحاكم إلى الشريعة ومع كراهته القلبية لهذا التحاكم وعدم الإيمان به لكنه مضطر إلى ذلك لاستخراج حقه فهذا لا بأس به إن شاء الله تعالى ولا يسع الناس في مثل هذه البلاد إلا ذلك وإلا لضاعت الحقوق وفسدت الأمور، وهذا المتحاكم بهذا الاعتبار لاشيء عليه لأنه مضطر لذلك والضرورة تقدر بقدرها والضرورات تبيح المحظورات أي لا محرم مع الضرورة فإذا لم يكن ثمة طريق شرعي لاستخراج الحقوق إلا بالترافع إلى هذا القاضي القانوني فإن ذلك جائز والله ربنا أعلى وأعلم، ونسأل الله تعالى باسمه الأعظم أن يوفق قادة المسلمين إلى الحكم بشريعة الله تعالى .

وأما النوع الرابع من أنواع الشرك الأكبر شرك المحبة :وهو أن يحب مع الله غيره كمحبته لله أو أشد من ذلك، قال تعالى مبيناً حال المشركين في هذا الباب :{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}[البقرة ١٦٥]. فسماهم أنداداً من دون الله.ومن أهل الشرك من يجعل لله تعالى مساوياً ومثيلاً يحبه كمحبته لله، وربما يزيد على ذلك، ويختلف المشركون في قدر محبتهم لمعبودهم من دون الله، ولكن المؤمنون يحبون الله أشد من محبة أهل الشرك لله ولما يعبدونه من دون الله.فإذا كان من أحب غير الله فوق محبة رسول

الله ﷺ قال فيه ﷺ كما في «المسند» و«الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(١١٠).

فنفى عنه الإيمان، فكيف بمن أحب غير الله فوق محبة الله.وحقيقة المحبة أن يُحَب الشيء وما يحبه ويكره ما يكرهه، فالمشرك يُحب آلهته من صنمٍ ووثنٍ أو قبرٍ وضريحٍ، فيغضب إذا امتهنت وأُهينت أشد من غضبه لله، ويُسر لها أشد من سروره لله، وذلك لأنه يُحب غير الله أشد من حبه لله. والمحبة تقتضي عدم مخالفة المحبوب، فبقدر ورود المخالفة للمحبوب يكون نقص المحبة له، قال الله تعالى : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}.[آل عمران ٣١] قال ابن القيم رحمه الله في أقسام المحبة (وهاهنا أربعة أنواع من الحب، يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها أحدها : محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.الثاني : محبة ما يحبه الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.الثالث : الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب الله ولا يستقيم محبة ما يحب الله إلا بالحب فيه وله ، الرابع : المحبة مع الله، وهى المحبة الشركية وكل من أحب شيئا مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه نداً من دون الله وهذه محبة المشركين)(١١١) انتهى كلامه.

وقال رحمه الله تعالى (والفرق بين الحب في الله والحب مع الله وهذا من أهم الفروق وكل أحد محتاج بل مضطر إلى الفرق بين هذا وهذا فالحب في الله هو من كمال الإيمان والحب مع الله هو عين الشرك) انتهى كلامه. وقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى جملا من أحكام المشرك شركا أكبر فقالوا :ـ منها :ـ وجوب

---

١١٠) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٥) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة (٤٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

١١١) آنظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء (١/ ١٨٩، ١٩٠)

هجره الهجر المطلق ، ومنها :ــ وجوب بغضه البغض المطلق ، ومنها :ــ وجوب معاداته المعادة المطلقة ، ومنها :ــ أنه يجب استتابته إن سبق كفره إسلام ، لأن المتقرر أن من بدل دينه فيجب قتله بعد استتابته ، ومنها :ــ أنه مبيح للدم المال إلا في حق من عصمه الشرع ، ومنها :ــ أنه لا غيبة له ، ومنها :ــ أن جميع أعماله السابقة تحبط إن مات على الكفر مصرا على الردة في أصح قولي أهل العلم في هذه المسألة ، ومنها :ــ أن ذنبه هذا ليس داخلا في حيز المغفرة يوم القيامة ، ومنها :ــ أنه تطلّق زوجته منه إذا كان متزوجًا، فلا بد من التفريق بينه وبينها إلا أن يتوب؛ لأنها مسلمة وهو كافر، والمسلمة لا تبقى في عصمة الكافر، قال الله تعالى: {لاهنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}[الممتحنة ١٠] يعني: الكفار، وقال تعالى: ؟وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا}[البقرة ٢٢١] ومنها :ــ أنه إذا مات لا يُصلَّى عليه، ومنها :ــ أنه لا يُغسّل.ومنها :ــ أنه لا يكفن ، ومنها :ــ أنه لا يجوز لأحد من المسلمين أن يتبع جنازته ، إلا من يتولى دفنه فقط ، ومنها :ــ أن من باشر دفنه فلا بد وأن يغتسل بعد دفنه ، لحديث علي لما دفن أبا طالب ورجع إلى النبي ﷺ فأمره أن يغتسل(١١٢) ، والحديث صححه الألباني رحمه الله تعالى، ومنها :ــ أنه لا يُدفن في مقابر المسلمين.ومن الأحكام: أنه لا يدخل مكة؛ لأن مكة لا يجوز دخول المشرك، فيها، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ

---

١١٢) ضعيف.

أخرجه أبي داود في سننه كتاب الجنائز باب الرجل يموت له قرابة مشرك (٣٢١٤) والنسائي في سننه كتاب الطهارة الغسل من مواراة المشرك (١٩٠) وفي كتاب الجنائز باب مواراة المشرك (٢٠٠٦) وفي السنن الكبرى له (١٩٣،٢١٤٤،٨٤٨١) وأحمد في المسند (٧٥٩،٨٠٧،١٠٧٤،١٠٩٣) وأبي داود الطيالسي في مسنده (١٢٢،١٢٤) والبزار في مسنده (٥٩٢) وأبي يعلى في مسنده (٤٢٣،٤٢٤) وفي المعجم له (٢٣٩) وعبد الرزاق في مصنفه (٩٩٣٥،٩٩٣٦) وابن أبي شيبة في مصنفه (١١١٥٥،١١٨٤٠،٣٢٠٨٩) وسعيد بن منصور (١٠٤١،١٠٤٢) وابن الجارود المنتقى (٥٥٠) والأجري في الشريعة (١٥٦٢،١٥٦٤) والطبراني في المعجم الأوسط (٥٤٩٠،٦٣٢٢) وابن المنذر في الأوسط (٢٩٥٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٥٢،١٤٥٣،١٤٥٦،٦٦٦٦) وفي دلائل النبوة له (٢/٣٤٨، ٣٤٨) وفي معرفة السنن والأثار له (٢١٣١).

قال البيهقي في معرفة السنن والأثار : أخبرنا أبو بكر مُحَمَّد بن إبراهيم الفارسي ، قال: أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني قال: حدثنا أبو أحمد بن فارس قال: حدثنا مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري قال: قال أحمد بن حنبل وعلي (يعني ابن المديني): لا يصح في هذا الباب شيء. قال الإمام أحمد البيهقي: وروينا ترك إيجاب الغسل منه، عن ابن عباس في أصح الروايتين عنه ، وعن ابن عمر، وعائشة ورويناه أيضا عن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وبالله التوفيق.

نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}[التوبة ٢٨] ومنها: أنه لا يرِث ولا يُورث، فإذا كانت زوجته مسلمة، وأولاده مسلمين فلا يرثونه، ويكون ماله لبيت مال المسلمين إلا إذا كان له ولد كافر، فإنه يرثه؛ لقول النبي ﷺ: (لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ، ولا الكافرُ المسلم)(١١٣)

ومنها: أنه إذا مات على ذلك فهو من الخالدين في النار - نعوذ بالله من ذلك - والجنة عليه حرام ، ومنها :ـ أنه لا يستغفر له أحد من المسلمين ، قال تعالى{ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم} فهذه جمل من أحكام المشرك الشرك الأكبر ، فنسأل الله تعالى أن يعصمنا وإخواننا من الشرك كله أصغره وأكبره ، آمين .

(الناقض الثاني من نواقض كلمة التوحيد) اتخاذ الوسائط فيدعوهم في كشف الملمات وتفريج الكربات ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فمن فعل ذلك فقد كفر إجماعاً، وهذا هو دأب المشركين فإنهم ما عبدوا هذه الآلهة لأنها تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت وإنما عبدوها لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، كما قال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ }[الزمر ٣] فسمى فعلهم هذا كذباً وكفراً، وقال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }[يونس ١٨] فقد سمى ربنا جل وعلا اتخاذ الواسطة شركاً ونزه نفسه عنه، وبه تعلم أنه لا واسطة بيننا وبين الله تعالى في عبادته، بل يجب علينا أن نعبد الله وندعوه مباشرة وبدون واسطة وأن نتوكل عليه بدون واسطة وأن نرجوه ونستعين به بلا واسطة كما قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }[غافر ٦٠] وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ }[البقرة ١٨٦] ولم يقل(فقل إني قريب) وإنما قال { فَإِنِّي قَرِيبٌ }[البقرة ١٨٦] لإزالة توهم أهمية اتخاذ الواسطة وقد قرر أهل العلم أن

---

١١٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم (٦٧٦٤) ومسلم في صحيحه كتاب الفرائض (١٦١٤)

اتخاذ الواسطة يكون تارة من الشرك الأصغر ويكون تارة من الشرك الأكبر فالذي يتخذ الواسطة ويعتقد أنها سبب ولكن لا يدعوها ولا يذبح لها ولا ينذر لها ويعتقد أن العبادة لله تعالى ولا يستحق أن يعبد إلا هو جل وعلا لكنه يتخذ الوسائط على أنها أسباب تقربه إلى الله بزعمه ويسأل الله بجاههم وحقهم فعمله هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو شرك أصغر لأنه اعتقد سبباً ما ليس بسبب لا شرعاً ولا قدراً ولأنه وقع في وسيلة من وسائل الشرك الأكبر وقد تقرر أن وسائل الشرك الأكبر يحكم عليها بأنها من الشرك الأصغر، وأما من يعبد الوسائط ويضفي عليها بعض خصائص الربوبية ويصرف لها بعض خصائص الألوهية فهذا مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة بالكلية والعياذ بالله تعالى والمتأخرون لا يقتصرون على جعل الوسائط مجرد وسائط لا يصرفون شيئاً من العبادة، بل الغالب أنهم يعبدونها وينذرون ويذبحون لها كما يفعلون عند الأضرحة فإنهم يدعونها ويستغيثون بأصحابها من دون الله تعالى ويتبركون بترابه ويلجئون لها عند الشدائد ويلهجون بنداء أصحابها عند الكربات، وبعضهم يحجونها في أوقات معينة ويعكفون عندها ولهم في زيارتها مراسم كفرية وأعياد إلحادية وثنية، ويبنون عليها المساجد ويوظفون عندها السدنة لجباية النذور والقرابين، ويجعلونها الترياق المجرب، ويعتقدون في أصحاب الأضرحة أن لهم تصرفاً خفياً في الكون وأن من سألهم أجابوه ومن استعاذ به أعاذوه ومن توكل عليهم كفوه وهذه طامة كبرى وبلية عظمى وهي أصل شرك العالم لأن الغلو في الصالحين هو الذي قاد قوم نوح إلى الوقوع في مثل هذه المهالك وتتابع عليه كثير من الناس إلى عصرنا هذا، وقد كثرت في عصرنا هذا القبور التي تعظم وتدعى من دن الله جل وعلا وتفاقم الأمر وازداد السوء لما حكمت الدولة الفاطمية العلوية الباطنية الملحدة لاسيما في مصر وتلك الأنحاء فانتشرت بسببهم المشاهد المعظمة وكثرت الأضرحة التي ألبست صفة القدسية ووضعوا لها الأعياد والمراسم على مدار العام، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في كتابنا الذي أسميناه (تنوير الصدور في التحذير من فتنة القبور) فقد بينا فيه كثير من الشبه التي يعتمدون عليها عنها بما قاله أهل العلم ولا زلنا في طوره الأخير أسأله جل وعلا أن ييسر إتمامه عن قريب إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل،والله أعلم .

وأما الناقض الثالث فهو :ـ من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فإنه يكفر، وهذا فيمن كان كفره مقطوعاً به إما بالنص أو الإجماع، فمن شك في كفر اليهود والنصارى فإنه يكفر ومن قال: يجوز التعبد لله بدين اليهود أو بدين النصارى فإنه يكفر ولا شك في ذلك، وذلك لأن الله تعالى قد صرح التصريح الذي لا احتمال فيه أن اليهود والنصارى كفار وكفرهم صار مما يعلم من الدين بالضرورة، ومن كذب خبراً من أخبار القرآن فإنه يكفر، ومن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة فإنه يكفر، فالذي يشك في كفر المشركين عموماً فإنه يكفر، ولا يخفاك أن الدعوة القائمة في هذا الزمان المسماة بالدعوة إلى توحيد الأديان ويعنون بذلك اليهودية والنصرانية والإسلامية هذه الدعوى هي في ذاتها كفر لأن مفادها تصحيح مذاهب الكفرة ومعارضة القرآن ومضادة الشرع وتسويغ الكفر وتصحيح ما وردت الأدلة الصحيحة بأنه باطل، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار))(١١٤) "رواه مسلم" فيجب عليك أن تعتقد الاعتقاد الجازم أن اليهودية والنصرانية قد نسخا بالإسلام والإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه قال تعالى { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ }[آل عمران ١٩] وقال تعالى { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[آل عمران ٨٥] فلا دين للبشرية على وجه الأرض إلا الإسلام، فمن لم يؤمن بالإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام فهو كافر سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو وثنياً أو مجوسياً أو ملحداً فكل من لم يؤمن بمحمد - ﷺ - فهو كافر، فيجب على المسلم أن يعتقد كفر الكفار أياً كانوا، كل من أشرك بالله ودعا غير الله بأي نوع من أنواع الشرك الأكبر فيجب تكفيره بالحكم عليه بالكفر ولا يجوز الشك في كفره ولا يجوز تصحيح ما هو عليه في الكفر والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الناقض الرابع:- من اعتقد أن هدي غير النبي - ﷺ - أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر، وذلك لأنه يجب على المسلم أن يعتقد الاعتقاد الكامل الراسخ أن هدي

---

١١٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام (١٥٣)

النبي - ﷺ - هو أكمل الهدي وأفضل الهدي وخير الهدي كما في قوله عليه الصلاة والسلام في غالب خطبه ((أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - الحديث))(١١٥) "رواه مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه - " وقال تعالى { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[القلم ٤] وهذا ليس في هدي دون هدي ، بل هو عام في كل هدي لأن قوله في الحديث ((وخير الهدي)(اسم جنس دخلت عليه الألف واللام الاستغراقية فيدخل في ذلك كل هدي، فهديه في التعبدات أكمل الهدي، وهديه في الأخلاق أكمل الهدي، وهديه في الدعوة أكمل الهدي، وهديه في التعامل مع المخالف والموآلف أكمل الهدي، وهديه مع أهله وأصحابه أكمل الهدي، وهديه في التعليم أكمل الهدي، وهديه في الجهاد أكمل الهدي، وهديه في الأمر والنهي أكمل الهدي، وهديه في أكله وشرابه أكمل الهدي، وهديه في لباسه أكمل الهدي، وهديه في الأذكار والتعوذات أكمل الهدي، وهديه في مشيه أكمل الهدي، وهديه في التربية والنصح أكمل الهدي، وهديه في ركوبه ونزوله وسفره أكمل الهدي، وهديه في نومه وجلوسه أكمل الهدي، وهديه في قضائه وحكمه أكمل الهدي، وبالجملة فإن كل هدي بعثه الله به سواء كان هدياً اعتقادياً أو هدياً قولياً أو هدياً عملياً فهو أكمل الهدي، وأقسم بالله تعالى الأيمان الكثيرة المغلظة أنه أكمل الهدي وأن هدي غيره بالنسبة لهديه ليس بشيء، فهديه هو النور والرحمة والبر كله والإحسان برمته والروح والهدى قال تعالى { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ }[الشورى ٥٢،٥٣] وهديه هو حياة القلوب وراحة النفوس قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ }[الأنفال ٢٤] وهديه هو مفتاح الفلاح والصراط المستقيم قال تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[الأعراف ١٥٧] فلا حياة ولا فلاح إلا باتباع هديه، وبناء عليه فمن فضل هدياً على هديه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه لأنه منكر لما هو معلوم من الدين بالضرورة ولأنه معارض لأدلة الشرع ومضاد لله تعالى في حكمه وقضائه .

---

١١٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)

الناقض الخامس :ـ أبغض شيئاً مما جاء به الرسول - ﷺ - ولو عمل به فإنه يكفر وذلك لقوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }[محمد ٩] أي أبطلها، وقوله { مَا أَنزَلَ اللَّهُ } يدخل فيه الكتاب وهو الوحي الأول والمصدر الأول من مصادر الإسلام ويدخل فيه السنة على جميع صورها القولية والفعلية والإقرارية فإن السنة من الوحي قال تعالى { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }[النجم ٣،٤] وقال عليه الصلاة والسلام ((ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه))(١١٦)

وقال تعالى { وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }[النساء ١١٣] وقال تعالى { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا }[الحشر ٧] واتفق أهل الإسلام على أنها المصدر الثاني من مصادر التشريع فمحبة الله عز وجل ومحبة ما أنزله من أعظم أنواع العبادة وكذلك محبة رسوله ومحبة ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهذه المحبة تقتضي محبة ما جاء به، فإن أبغض العبد شيئاً مما جاء به الرسول - ﷺ - بغضاً قلبياً فقد وقع في النفاق الاعتقادي الأكبر وهو مرتد بهذا البغض، قال تعالى { {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }[محمد ٢٧] وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا }[النساء ٦١] وذلك لأنهم يبغضون الكتاب والسنة وإن كانوا يعملون بهما

---

١١٦) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأطعمة باب النهي عن أكل السباع (٣٨٠٤) وفي كتاب السنة باب في لزوم السنة (٤٦٠٤) والترمذي في سننه أبواب العلم عن رسول الله ﷺ باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤) وابن ماجة في سننه في مقدمة السنن باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه (١٢) وأحمد في المسند (١٧١٧٤، ١٧١٩٤) والدارمي في سننه (٦٠٦) وابن حبان في صحيحه (١٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٤٣٣٠) وفي المسند له (٩٢٧) والمروزي في السنة (٢٤٤، ٢٤٥، ٤٠٣، ٤٠٤) والطحاوي في شرح معاني الأثار (٦٤١٠) والآجري في الشريعة (٩٧) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢٧٤ ، ٢٨٣) وفي مسند الشاميين له (١٠٦١، ١٨٨١، ١٩٤٨) والدارقطني في سننه (٤٧٦٧، ٤٧٦٨) والحاكم في المستدرك (٣٧١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٤٤٢، ١٩٤٦٨، ١٩٤٦٩) وفي دلائل النبوة له (٦/ ٥٤٩) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٦٢، ٦٣) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٤٣) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٦٢، ٢٦٣) كلهم من طرق عن المقدام بن معدي كرب الكندي ﷺ مرفوعا به.

أحياناً ولكنهم يبغضون ذلك بقلوبهم وعملهم به في الظاهر لا يفيد شيئاً لأنه تقية وجنة فقط فالمبغض للكتاب والسنة كافر، والمبغض للجهاد كافر والمبغض للفروق الشرعية بين الرجل والمرأة كافر والمبغض لعقيدة الولاء والبراء كافر، حتى وإن أظهر التأويلات الباردة التي يتستر من ورائها والمبغض لتربية اللحية كافر وهذا التكفير لمن أظهر البغض بالقول وأما من أضمر ذلك في قلبه ولم يتفوه به فإن سريرته بينه وبين الله تعالى، فما لنا إلا الظاهر والله يتولى السرائر، ولكن لابد أن نفرق بين البغض القلبي والكسل عن العمل أو استثقاله، فبعض الناس قد يكسل عن الصلاة أو يتثاقل الصوم ولكنه لا يبغض ذلك البغض القلبي فهذا لا يكفر ولكنه يلام ويعاقب ويزجر على هذا التهاون والتكاسل وكذلك بعض النساء يثقل عليها جداً أن يعدد زوجها ولكنها لا تبغض شريعة التعدد من قلبها وإنما يدفعها لاستثقالها الغيرة على الزوج لا بغض هذه الشريعة وبالجملة فهذا الناقض خطير جداً فلابد أن يتفقد العبد نفسه دائماً حتى لا يكون فيه شيء من ذلك وهو لا يشعر.

الناقض السادس:- من استهزأ بشيء من دين الرسول - ﷺ - أو ثوابه أو عقابه فإنه يكفر كما قال تعالى { قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }[التوبة ٦٥، ٦٦] وهذا الناقض أثر من آثار الناقض الذي قبله فإن الناقض الذي قبله عمل قلبي وهو البغض وهذا الناقض من عمل الظاهر وهو الاستهزاء، لأنه من أقوال اللسان وهذه الآية الكريمة جاء في سبب نزولها أن جماعة من المسلمين كانوا غزاة مع النبي - ﷺ - في غزوة تبوك فاجتمعوا في مجلس فتكلم واحد منهم فقال: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك الرسول - ﷺ - وأصحابه وكان في المجلس شاب من الأنصار يقال له عوف بن مالك فقال لهذا الرجل: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن الرسول - ﷺ - ، فقام ذاهباً إلى النبي - ﷺ - ليخبره فوجد أن الوحي سبقه ونزل على رسول الله - ﷺ - فأخبره الله جل وعلا بما قال هؤلاء في مجلسهم، فارتحل رسول الله - ﷺ – من مكانه هذا الذي قيل فيه هذا القول الشنيع فجاء المتكلم بتلك الكلمات يعتذر للرسول - ﷺ - فيقول: يا رسول الله إنا كنا نخوض ونلعب، أي نتحدث حديث الركب نقطع به الطريق عنا، والرسول - ﷺ - ماضٍ في مسيره على راحلته لا يلتفت إليه، فتعلق هذا الرجل بنسعة ناقة رسول الله -

ﷺ - ، وهو لا يلتفت إليه ولا يزيد على أن يقول { قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }(١١٧) وهذا دليل على أن الاستهزاء بشيء من الشرع كفر وردة عن الإسلام فيجب تعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله - ﷺ - وتعظيم الصحابة وتعظيم القرآن وأن من استهزأ بشيء من ذلك وتنقصه فإنه مرتد والعياذ بالله تعالى فلا يجوز جعل الله ورسوله أو الدين أو القرآن أو السنة أو عباد الله المؤمنين محطاً للتفكه وقطع المجالس في تنقصهم والاستهزاء بهم وهذا يفيدك الخطر العظيم ووجوب الحذر من مثل هذه المزالق اللسانية التي تهوي بصاحبها إلى أسفل سافلين، فعلى المسلم أن يتنبه لذلك وأن يجتنب الكلام السيئ ولاسيما الكلام في أمور الشرع وأهل الشرع والعلماء وأن يحفظ لسانه وأن يعلم أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب وعتيد ويدخل في ذلك سب الله أو سب رسوله - ﷺ - أو سب الدين أو سب شيء منه أو سب القرآن أو سب الصحابة على وجه الإجمال أو سب الشيخين على وجه الخصوص أو الاستهزاء باللحية أو بالأذان قال تعالى { وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ }[المائدة ٥٨] ويدخل فيه السخرية بتقصير الثياب أو الاستهزاء بالحدود وبتطبيقها، بل ويدخل فيه الاستهزاء بالإشارة كمد اللسان أو الشفتين عند ذكر شيء من ذلك وهو يقصد به الاستهزاء أو يشير إشارة تفيد التنقص والاستهزاء فهذا يعد تنقصاً واستهزاء وإن لم يتكلم بلسانه كما قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ... الآيات }[المطففين ٢٩] وقال تعالى { وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ }[الهمزة ١] وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ }[المنافقون ٥] وهذه الآية الكريمة أعني قوله تعالى { قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ } فيها رد على المرجئة الذين يقولون لا يكفر إلا إذا اعتقد بقلبه لأن هؤلاء كانوا مؤمنين لقوله تعالى { بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } فلو أنهم كانوا منافقين لما كانوا مؤمنين، ومع ذلك فقد ثبت كفرهم من غير نظر إلى اعتقادهم بل صرحوا هم بأنهم ما أرادوا حقيقة ما قالوه وإنما كانوا يتحدثون حديث الركب

---

١١٧) أخرجه الطبري في التفسير (١١/ ٥٤٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

يقطعون به الطريق ومع ذلك فقد كفرهم الله تعالى، ويدخل في ذلك الفكاهات والنكات على أهل الدين في لحاهم أو ثيابهم القصيرة ولو كان قصده مجرد إضحاك الناس فإنه كافر، فالحذر الحذر أيها المسلمون من فلتات اللسان وسقطاته الموجعة فإنها قد تذهب الدين وتنقل المتكلم من الجنة إلى الخلود الأبدي في النار وبئس القرار والله يحفظنا من كل زلل وهو المستعان وعليه التكلان.

الناقض السابع:- السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به فقد كفر، قال تعالى { وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى }[طه ٦٩] وقال تعالى { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ }[البقرة ١٠٢] ومنه التولة وهي شيء يضعونه يزعمون أنه يحبب الرجل إلى امرأته والمرأة إلى زوجها، والساحر إذا مات على سحره فإنه ماله في الآخرة من نصيب كما قال تعالى { وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ }[البقرة ١٠٢] وحد الساحر إذا ثبت عليه أنه ساحر ضربه بالسيف حتى يموت لحديث ((حد الساحر ضربة بالسيف)) (١١٨) رواه الترمذي والدارقطني والطبراني والحاكم والصحيح أنه موقوف ولكن له حكم الرفع لأنه لا يقال بالرأي ولأن جندب وهو راوي الحديث لا يأخذ من أهل الكتاب

---

١١٨) ضعيف جدا.

أخرجه الترمذي في سننه أبواب الحدود عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في حد الساحر (١٤٦٠) والدارقطني في سننه (٣٢٠٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٦٦٥، ١٦٦٦) والحاكم في المستدرك (٨٠٧٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥٠٠) وابن قانع في معجم الصحابة (١/ ١٤٤) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (١/ ٤٨٥). من طريق أبو معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن جندب ﷺ.

قال الترمذي في السنن بعد إخراج الحديث: هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال: وكيع هو ثقة ويروي عن الحسن أيضا، والصحيح عن جندب موقوفا والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس وقال الشافعي: " إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملا دون الكفر فلم نر عليه قتلا.

وقال في (العلل الكبير ١/ ٢٣٧) سألت مُحمَّدا عن هذا الحديث فقال: هذا لا شيء ، وإنما رواه إسماعيل بن مسلم وضعف إسماعيل بن مسلم المكي جدا.

وقال بابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٣/ ١٢٤١) حديث: حد الساحر ضربة بالسيف. رواه إسماعيل بن مسلم: عن الحسن، عن جندب. وإسماعيل متروك الحديث.

وقد تقرر في القواعد أن الصحابي إذا قال قولاً لا مجال للرأي فيه ولم يكن يأخذ عن أهل الكتاب فإن له حكم الرفع وقد عمل بذلك الصحابة رضوان الله عليهم فقد ثبت قتل الساحر عن ثلاثة، عن عمر فإنه كان يرسل إلى عماله:- أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. "(١١٩) أخرجه أحمد وأبو داوود وحسنه العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى في التيسير".

وكذلك حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها ومن يشابه أباه فما ظلم، فإنها قد أمرت بقتل ساحرة سحرتها فقتلت"(١٢٠) وقد رواه البيهقي وصححه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، وكذلك جندب الخير فإنه قتل ساحراً عند الأمير كان يخيل للحاضرين أنه يقتل شخصاً ثم يحييه، فقتله جندب بالسيف وقال: إن كان صادقاً فليحي نفسه، ولا يعرف لهؤلاء الصحابة مخالف فهو كالإجماع، وقد ذكرنا مسائل كثيرة في السحر في كتابنا إتحاف أهل الألباب بمعرفة العقيدة والتوحيد في سؤال وجواب، والله يتولانا وإياك.

الناقض الثامن:- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين كما قال تعالى { وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[المائدة ٥١] وقد ذكر أهل العلم أن المظاهرة أقسام منها:- مظاهرتهم ومعاونتهم على المسلمين مع محبة

---

١١٩) صحيح.

أخرجه أبي داود في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أخذ الجزية من المجوس (٣٠٤٣) وأحمد في المسند (١٦٥٧) وأبي يعلى في مسنده (٨٦٠، ٨٦١) والبزار في مسنده (١٠٦٠) وابن الجارود في المنتقى (١١٠٥) وسعيد بن منصور في سننه (٢١٨٠، ٢١٨١، ٢١٨٢) وعبد الرزاق في مصنفه (٩٩٧٢، ١٨٧٤٦، ١٩٣٩٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٩٨٢، ٣٢٦٥٢، ٣٢٦٥٤) والدارقطني في سننه (٢١٤١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٤٩٨، ١٧١٢٢، ١٨٦٥٢) وفي معرفة السنن والأثار (١٦٤٥٦) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن بجالة بن عبدة يقول: كنت كاتبا لجزء بن معاوية – عم الأحنف بن قيس – فأتانا كتاب عمر قبل موته بسنة ..... الأثر.

١٢٠) صحيح.

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٩١٢، ٢٨٩٨٠) وعبد الله بن وهب في جامعه (٤٩٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٤٩٩) من طريق عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر ﵄.

وهذا إسناد صحيح.

وأخرجه مالك في الموطأ (٣٢٤٧) عن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه: أن حفصة زوج النبي ﷺ ....الأثر

ما هم عليه من الكفر والشرك والضلال، فهذا القسم لاشك أنه كفر أكبر مخرج من الملة، فمن ظاهرهم وأعانهم وساعدهم على المسلمين مع محبة دينهم وما هم عليه والرضا عنهم وهو مختار غير مكره فإنه يكون كفراً أكبر مخرج من الملة على ظاهر قوله تعالى { فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } ومنها:- أن يعاونهم على المسلمين لا مختاراً وهو لا يحبهم بل يكرهونه على ذلك بسبب إقامته بينهم فهذا عليه وعيد شديد ويخشى عليه من الكفر المخرج من الملة وذلك أن المشركين لما أكرهوا جماعة من المسلمين يوم بدر على الخروج معهم لقتال المسلمين فإن الله سبحانه وتعالى أنكر عليهم ذلك حيث إنهم تركوا الهجرة وبقوا مع المشركين وعرضوا أنفسهم إلى ما وقعوا فيه من إكراههم على الخروج مع أنهم يبغضون دين الكفار ويحبون دين المسلمين ولكن بقوا في مكة شحاً بأموالهم وبلدهم وأولادهم لا عن محبة للكفار أو محبة لدينهم فأنزل الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ }[النساء ٩٧] يعني مع أي فريق كنتم ؟ هذا استنكار يعني لماذا كنتم مع المشركين وأنتم مسلمون؟ { قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ }[النساء ٩٧] ما لنا حيلة هم الذين أجبرونا وأكرهونا على ذلك { قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا }[النساء ٩٧] لماذا تصبرون على البقاء مع الكفار وأنتم مسلمون؟ وعرضتم أنفسكم لما وقعتم في هذا المشهد المخيف؟ { فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا }[النساء ٩٧] هذا وعيد شديد لهم { إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا }[النساء ٩٨، ٩٩] فالذي ترك الهجرة وهو يستطيع ولم يهاجر وبقي يسكن مع المشركين وأخرجوه معهم لقتال المسلمين هذا عليه وعيد شديد { إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ } فهؤلاء معذورون في بقائهم لأنهم لا يستطيعون الهجرة والله جل وعلا يقول { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا }[الطلاق ٧] ومنها: من يعين الكفار على المسلمين وهو مختار غير مكره مع بغضه لدين الكفار وعدم الرضا عنه فهذا لا شك أنه فاعل لكبيرة من كبائر الذنوب ويخشى عليه من الكفر، ومنها: من يعين الكفار على الكفار الذين لهم عهد عند المسلمين فهذا حرام ولا يجوز لأنه نقض لعهد المسلمين فالكفار المعاهدون لا يجوز لجميع المسلمين قتالهم وفاء بالعهد

الذي بينهم وبين المسلمين والذي يعين من قاتلهم من الكفار فهذا يكون نقضاً لعهد المسلمين ويكون عذراً بذمة المسلمين قال - ﷺ - ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة))(١٢١) وإذا كان الله عز وجل قد نهى المسلمين عن مناصرة المسلمين على الكفار إذا كان للكفار عهد عند المسلمين فكيف بمن ظاهر الكفار على نقض عهد المسلمين قال الله تعالى { وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ }[الأنفال ٧٢] فإذا استنصر بنا مسلمون على كفار يجب علينا نصرة المسلمين على الكفار إلا في حالة واحدة إذا كان لهؤلاء الكفار عهد عند المسلمين فلا يجوز لنا أن نناصر المسلمين عليهم فكيف نناصر الكفار على حلفاء المسلمين فهذا أمر لا يجوز وكل هذا من أجل الوفاء بالعهد، ومنها: وهو مودة الكفار ومحبتهم من غير إعانة لهم على المسلمين هذا نهى الله عنه ونفى عن صاحبه الإيمان قال الله جل وعلا { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ }[المجادلة ٢٢] وقال تعالى { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ }[التوبة ١١٤] وقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ..}[الممتحنة ١] إلى قوله { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ }[الممتحنة ٤] فسورة الممتحنة كلها في تحريم مودة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إلى المسلم وختمها بقوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ }[الممتحنة ١٣] فكل سورة الممتحنة في موضوع معاداة الكفار وعدم محبتهم من أولها إلى آخرها والله يتولانا وإياك.

---

١٢١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجزية باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (٣١٦٦) وفي كتاب الديات باب إثم من قتل ذميا بغير جرم (٦٩١٤).

من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الناقض التاسع:- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد - ﷺ - كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فمن اعتقد ذلك فإنه كافر، ذلك لأنه يجب عليك أن تعتقد الاعتقاد الجازم أنه - ﷺ - مبعوث إلى الثقلين كافة كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[الأنبياء ١٠٧] وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا }[سبأ ٢٨] وقال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا }[الأعراف ١٥٨] فرسالته - ﷺ - عامة للإنس والجن، ويجب طاعته واتباعه فيما جاء به على جميع الإنس والجن ومن لم يستجب ولم يتبعه فهو من أهل النار قطعاً، والقول الصحيح أن الخضر نبي، والقول الصحيح أنه مات، والرسالة المنسوبة لشيخ الإسلام في إثبات حياة الخضر ليست صحيحة ونسبتها لابن تيمية خطأ، والمعلوم من كلامه في الفتاوى إثبات موت الخضر وله في ذلك رسالة وقد أخطأ بعض الناس في اعتقاده أن الخضر خرج عن شريعة موسى، هذا خطأ محض وسوء فهم، لأن رسالة موسى عليه الصلاة والسلام ليست عامة وإنما هو نبي بني إسرائيل والخضر ليس من جملة من أرسل لهم موسى عليه السلام بل هو نبي مستقل، فلا يقال إن الخضر خرج عن شريعة موسى، لأنه لم يكن من أمة موسى أصلاً حتى يقال: خرج عن شريعته، وهذا كما يعتقد غلاة الصوفية فإنهم يزعمون أن الشيخ إذا وصل إلى مرحلة معينة ارتفعت عنه تكاليف الشريعة كما يعتقدونه في الحلاج رأس الزنادقة، وهذا الناقض يشمل العلمانيين الذين يدعون إلى فصل الدين عن الدولة وأن الدين العبادات في المساجد وأن المعاملات وسياسيات الدول فهذه لا تدخل في دين الرسول - ﷺ - وأن الناس هم الذين يتحكمون فيها، وكذلك أهل الكلام أفراخ الفلاسفة فلهم حظاً كبيراً من هذا الناقض، لأنهم يخرجون العقائد عن أدلة الكتاب والسنة ويعتمدون العقل في إثبات العقائد، ويجعلون أدلة الشرع ظنية لا تفيد شيئاً في مسائل العقيدة، ويدخل فيه الذين يدعون إلى وحدة الأديان فإنهم يسوغون لليهودي أن يبقى على يهوديته وللنصراني أن يبقى على نصرانيته ويصححون مذاهبهم ويعتقدون أنهم لا يلزمهم متابعة النبي - ﷺ - ويدخل فيه أيضاً الذين يدعون إلى نسف التحاكم للكتاب والسنة وتقرير التحاكم بالقوانين الوضعية ويدخل فيه الحداثيون الذين يدعون إلى ترك الماضي وإغلاق بابه وفتح باب التجديد في

التشريع والتقنين وبالجملة فالذي نعتقده وندين الله تعالى به أن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل من أحد ديناً سواه وأن النبي - ﷺ - مبعوث إلى جميع الثقلين من الجن والإنس ويجب عليهم الإيمان به وبما جاء من كتابٍ وسنة، وأنه لا مسوغ لأحد كائناً من كان أن يترك الشريعة أو يستغني عنها، والله على ما نقول شهيد.

الناقض العاشر:- الإعراض الكلي العام عن دين الله تعالى فلا يتعلمه ولا يعمل به كما قال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ }[السجدة ٢٢] وقال تعالى { وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا }[الجن ١٧] قال تعالى { وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ }[الأحقاف ٣] وقال تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا... الآية }[البقرة ١٧٠] وقال تعالى { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى }[طه ١٢٣ _ ١٢٦] وهذا الإعراض حقيقته عدم الرضا بالشريعة وعدم الرغبة فيها، ولكن كما ذكرت أنه يراد به الإعراض الكلي لا الجزئي، وأعني به الإعراض المطلق لا مطلق الإعراض، واعلم رحمك الله تعالى أن هذه النواقض هي رؤوس المسائل في هذا الباب، فاحذر يا أخي الكريم كل الحذر من هذه النواقض واحفظ توحيدك من الخدش والكسر، رحمك الله تعالى وعاملك بعفوه وجوده وكرمه وإحسانه.

وبالجملة فالكلام مبناه على الاختصار ، وإلا فشرح هذه الكلمة بكل متعلقاتها يطول ، ولعل ما مضى من الكلام على أركانها ومعناها وفضلها وشروطها ونواقضها كاف لفهم هذه المسألة العقدية الخطيرة ، والتي كثر الخلاف فيها ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(المسألة السادسة) وقول الناظم عفا الله تعالى عنه (فاعبد إلهك فخلصا ومتابعا لنبيك المبعوث بالقرآن) في هذا البيت يتكلم الناظم عن شروط قبول العمل ، وهذا متفق عليه بين أهل العلم رحمهم الله تعالى ، وهما شرطا قبول أي تعبد ، بل هما كجناحي الطائر للعبادة ، فلا ترتفع العبادة على الله تعالى رفع قبول إلا بهذين

الشرطين ، وعنهما السؤال الكبير يوم القيامة ، قال بعض السلف :- ما من فعلة وإن دقت إلا وينشر لها ديوانان ، (لم) و (كيف) أي ما الباعث على فعلها ، وكيف فعلت ، فالأول سؤال عن الإخلاص ، والثاني سؤال عن المتابعة ، فأين المفر وكيف الخلاص ؟ ومعنى الإخلاص :- أي أنه لا يكون الباعث لك على العمل إلا إرادة وجه الله تعالى والدار الآخرة ، فلا يكون ثمة شيء آخر ، وأما المتابعة :- فهي أن توقع العبادة على الكيفية التي أوقعها رسول الله ﷺ ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أو تأخير أو إخلال بشيء مما جاء به النص فيها من سبب أو شرط أو واجب أو ركن أو صفة ونحو ذلك ،فأما دليل اشتراط الإخلاص فقوله تعالى { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء }[البينة ٥] فأمرهم بالعبادة مقترنة بالإخلاص وقال تعالى { قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ }[الزمر ١٤، ١٥] وقال تعالى { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ }[الزمر ٢، ٣] وأما الأحاديث فقد تقدم طرف كبير منها في شرح قاعدة الأعمال بالنيات ، مما يغني عن الإعادة هنا ، وأما المتابعة :- فدليلها قوله ﷺ ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))(١٢٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها ، وقال تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ... الآية }[الأعراف ١٥٧] وقال تعالى { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ... الآية }[آل عمران ٣١] وقال تعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }[الأحزاب ٢١] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقال عليه الصلاة والسلام ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))(١٢٣) وقال عليه الصلاة والسلام ((فإن

---

١٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

١٢٣) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجة في سننه كتاب فضائل الصحابة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد في مسنده (١٧١٤٢، ١٧١٤٤، ١٧١٤٥) والدارمي في سننه في المقدمة، باب اتباع السنة

أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة))(١٢٤) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا قد ذكرنا طرفا منها في موضع آخر ، وقد قرر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن المتابعة لا بد أن تكون في عدة أمور ، في الجنس ، والسبب ، والصفة ، والزمان ، والمكان ، والمقدار ، وهي التي يسميها أهل العلم بجهات المتابعة الست ، وكل ذلك سيأتي مفصلا في قواعد خاصة إن شاء الله تعالى والمهم الآن أن تعرف أن العبادات لا تقبل إلا بتوفر شرطي الإخلاص والمتابعة ، والناس باعتبار هذين الشرطين لهم أحوال :- من الناس من إخلاص عنده ولا متابعة ، وهذا شر الناس وأخسر الناس ، ومنهم من عند إخلاص وصدق ولكن لا متابعة عنده ، ومنهم من عنده متابعة ولكن لا إخلاص عنده ، ومنهم وهم أكمل الطوائف من حققوا الإخلاص والمتابعة ، نسأل

---

(٩٦)، وابن حبان في صحيحه في المقدمة باب الاعتصام بالسنة، وما يتعلق بها نقلا وأمرا وزجرا و ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ (٦)، والبزار في مسنده (٤٢٠١)،وابن أبي عاصم في السنة باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين (٥٤، ٥٥، ٥٩) وفي باب في ذكر السمع والطاعة (١٠٣٧) والمروزي في السنة في باب ذكر السنة على كم تتصرف (٦٩، ٧٠، ٧٢) وابن وضاح في البدع باب كل محدثة بدعة (٧٣) والطحاوي في شرح مشكل الأثار باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في الزمان الذي يجب على الناس فيه الإقبال على خاصتهم وترك عامتهم (١١٨٥، ١١٨٦) والأجري في كتاب الشريعة باب الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وسنة أصحابه رضي الله عنهم وترك البدع وترك النظر والجدال فيما يخالف فيه الكتاب والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم (٨٦، ٨٨) والطبراني في المعجم الكبير (٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٤٢) وفي المعجم الأوسط له (٦٦) وفي مسند الشاميين له (٤٣٧، ٦٩٧، ٧٨٦، ١١٨٠، ١٣٧٩، ٢٠١٧) والحاكم في المستدرك (٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣) والبيهقي في المدخل للسنن باب أقاويل الصحابة رضي الله عنهم إذا تفرقوا فيها ويستدل به على معرفة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أكابر فقهاء الأمصار (٥٠، ٥١) وفي السنن الكبرى له، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ، فإنه غيرجائز له أن يقلد أحدا من أهل دهره ، ولا أن يحكم أو يفتي بالاستحسان (٢٠٣٣٨) وفي شعب الإيمان له، فصل في فضل الجماعة والألفة وكراهية الاختلاف والفرقة وما جاء في إكرام السلطان وتوقيره (٧١٠٩، ٧١١٠) وفي دلائل النبوة له (٦/ ٥٤١)، وفي الإعتقاد له (١/ ٢٢٩)،وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢١٢) (١٠/ ١١٤) وفي معرفة الصحابة له (٥٥٥٤، ٥٥٥٥) ، والبغوي في شرح السنة كتاب الإيمان باب الاعتصام بالكتاب والسنة (١٠٢)،وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/ ١١٧٤) وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٢٣، ١٢٤، ١٢٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها (١٤٢).

١٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧).

الله تعالى أن يجعلنا منهم ، آمين ، وسوف يأتي تفصيل الكلام على هذا في مكانه إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

(المسألة السابعة) وقول الناظم عفا الله تعالى عنه (واعلم بأن الشرك في عقد الأولى) أي في عقيدة من سبق ، (فالأولى) بمعنى الذين ، وسلفوا بمعنى سبقوا ، والمراد بهم سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من أهل السنة والجماعة رفع الله تعالى قدرهم ومنازلهم في الدنيا والآخرة ، وقوله (سنن الهدى) أي طرق الهدى ، والمراد بها العقائد المستمدة من الكتاب والسنة ، ونعني بهم أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، وقوله (فالأول) أي النوع الأول من أنواع الشرك ، قوله (الشرك الكبير) وهذا هو النوع الأول ، ثم عرفه بقوله (وحده) أي وتعريفه ، والحد هو التعريف الجامع المانع ، وقوله (جعل النظير لربنا الرحمن ندا يساوى بالإله بما له) أي أن الشرك الأكبر هو مساواة غير الله تعالى بالله تعالى فيما هو من خصائص الله ، أي أن الله تعالى قد اختص بخصائص في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، وحكمه وأفعاله ، فمن ساوى غير الله تعالى به في شيء من ذلك فقد اتخذه ربا إلها مع الله تعالى ، فمن زعم أن ثمة خالق غير الله تعالى أو أن ثمة من يدعى أو يستغاث به مع الله تعالى ، أو صرف شيئا من العبادات لغير الله تعالى فقد اتخذه إلها مع الله تعالى ، وقوله (ندا) أي مثيلا ، والمراد به التنديد الكامل ، لأن الشرك الأكبر من خصائصه أن فيه التنديد المطلق ، كما قال تعالى عن أهل النار{تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين} فالمراد بهذه التسوية أي التنديد الكامل ، وهذا يخرج الشرك الأصغر ، فالتنديد المطلق شرك أكبر ، ومطلق التنديد شرك أصغر ، وقوله (و) أي النوع الثاني من أنواع الشرك :ــ الشرك (الأصغر الأدنى) ثم ضرب له مثالين ، فقال في الأول :ــ (كفعلك للريا) أي ليسير الرياء ، فإن يسير الرياء من الشرك الأصغر ـ كما وردت به الأدلة التي ستراها عند شرح البيت الخاص به إن شاء الله تعالى ، ثم وضح المراد بالرياء بقوله (كمحسن فعلا) أي كمن يحسن الأفعال التعبدية ولا يريد بها وجه الله تعالى ، وإنما لا يريد بها إلا رؤية الناس ومراعاة نظرهم ، وهو المراد بقوله (لرؤية ثاني) أي من أجل رؤية أحد آخر ، فهو وإن كان أصل صلاته لله تعالى ، ولكنه أعطاها تحسينا زائدا ، وهذا التحسين

الزائد لا يريد به وجه الله تعالى ، وإنما لا يريد به إلا الرياء من السمعة والمدح والثناء ، ثم ضرب لك مثالا آخر من باب التوضيح ، والمؤلف وفقه الله تعالى مولع بكثرة ضرب الأمثلة كما يعرفه من قرأ في كتبه وتأصيلاته ، فقال في المثال الثاني (أو كاليمين بغيره سبحانه) أي أن يحلف بغير الله تعالى ، ولكن الحلف بغير الله تعالى قد يكون من الشرك الأكبر إن قارنه تعظيم المحلوف كتعظيم الله تعالى ، فأراد الناظم أن يبين لك أن اليمين بغير الله تعالى تكون من قبيل الشرك الأصغر إذا كان (من دون تعظيم ولا إذعان) أي أن يحلف بغير الله تعالى من غير تعظيم ،ولا استسلام القلب للمحلوف به كاستسلامه لله تعالى ، ثم أراد المصنف عفا الله تعالى أن يبين لك فرقا بين الشرك الأكبر والأصغر ، فقال (لا يغفرن كبيره) أي أن الشرك الأكبر لا يدخل في حيز المغفرة إن مات صاحبه مصرا عليه ، كما قال تعالى{إن الله لا يغفر أن يشرك به} [النساء ٤٨، ١١٦] وقد تقم الكلام على الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر بما لا مزيد عليه ولله كمال الحمد وكمال النعمة والمنة ، ثم لما جاء إلى النوع الثاني وهو الشرك الأصغر ، ذكر الخلاف فيه ، هل يدخل في حيز المغفرة أولا يدخل ، وأطلق الخلاف ولم يرجح ، فقال (أما) الشرك (الصغير) أي الأصغر ، (ففيه خلف) أي خلاف بين أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، فقال بعضهم :ـ إنه يدخل في حيز المغفرة ، وبعضهم قال :ـ لا يدخل ، والأقرب عندي أنه مما يدخل في حيز المغفرة إن شاء الله تعالى ، فلا يعدو أن يكون من جملة كبائر الذنوب ،وهو دون الشرك الأكبر ، والآية محمولة على الشرك الأكبر لأنه المراد عند الإطلاق ، هذا ما يتعلق بكلام المصنف تفصيلا وتأصيلا .

(فائدة) إن قيل :ـ لا بد أن تحرر لنا الفرق بين ما كان من قبيل الشرك الأكبر وما كان من قبيل الشرك الأصغر ، فأقول :ـ نعم ، وعلى العين والرأس ، وقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى عدة ضوابط ،وكلها مليحة ، فمما ذكروه :ـ أنه كل ما كان وسائل الشرك الأكبر فهي من قبيل الشرك الأصغر ، ومنها :ـ أن الشرك الأصغر هو كل ذنب حكم الشارع عليه بأنه شرك ، ولكنه يخرج عن حد الشرك الأكبر بالرجوع إلى فهم أهل العلم رحمهم الله تعالى ، فما وصفه الشارع بأنه شرك ، وحكم أهل العلم بأنه ليس من قبيل الشرك الأكبر فهو من جملة ما

يقال فيه :ـ شرك أصغر ، كما هو الحال في حكمه على التمائم بأنها شرك ، وفي الحلق بغير الله تعالى بأنه شرك ، فالأصل في هذه الأمور أنها من قبيل الشرك الأصغر لا الأكبر إلا في حالات ومعينة ، وهذا الضابط مرجعه إلى فهم أهل العلم من أهل السنة والجامعة رحمهم الله تعالى ، ومنها :ـ أنهم قالوا :ـ إن الشرك الأكبر في الأعم الأغلب ما يرد معرفا بالألف واللام ، فما ورد معرفا فهو من قبيل الشرك الأكبر ، وأما الشرك الأصغر فإنه في الأعم الأغلب ما يرد منكرا ، أي بدون ألف ولا لام ، ومنها :ـ قال بعضهم :ـ إن الأمر مرده إلى النية وما يقوم في القلب من التنديد ، فمن قام في قلبه التنديد الكامل فهو من الشرك الكبر ، ومن قام في قلبه مطلق التنديد فهو من الشرك الأصغر ، هذا جملة ما ذكوره رحمهم الله تعالى ، فإنه قلت :ـ وما الذي تختاره أنت ؟ فأقول :ـ كلها فروق صحيحة ، وهي نافعة بالنظر إلى مجموعها في كل أبواب النصوص التي حكمت الشريعة على بعض الأقوال والأفعال بأنها من الشرك ، فأحيانا ينفع فيها الفرق الأول ، وأحيانا ينفع فيها الفرق الثاني ، وأحيانا الفرق الثالث أو الرابع ، فمثلا التمائم شرك أصغر في أصل الأمر ، ولكنها تكون شركا أكبر باعتقاد متخذها أنها تنفع بذاتها في جلب الخير أو دفع الشر ، فهنا رددنا الأمر إلى الاعتقاد ، والحلق بالله تعالى في الأصل أنه شرك أصغر ، لأن الدليل قال " فقد أشرك " ولكن يكون من الأكبر بالنظر إلى ما يقوم قلب الحالف بغير الله تعالى من التعظيم ، والمهم أنها فروق صحيحة، لأن كل فرق منها يخدمنا في باب من أبواب ما حكم الدليل عليه بأنه شرك، والله أعلم.

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

إن الدعاء هو العبادة وهو في عقد الشرائع يا فتى نوعان

فدعاء مسألة كذاك عبادة وكلاهما في النص متفقان

فدعاؤك المخلوق شرك أكبر إن كان ليس له بذاك يدان

أقول :ـ هذه الأبيات تتعلق بالكلام على مسألة الدعاء وأهميته في الشريعة ، وحكم من صرف شيئا منه لغير الله تعالى ، والكلام عليه يطول ولكن نختصر الكلام في مسائل :ـ

(المسألة الأولى) اعلم رحمك الله تعالى أن العبادة كلها داخلة في حد الدعاء ، فكل ما أمر الله تعالى به من التعبدات فهو يدخل في اسم الدعاء ، فإن قلت :ـ وكيف ذلك ؟ فأقول :ـ تفهم هذا إذا عرفت بارك الله تعالى فيك أن الدعاء قسمان :ـ دعاء العبادة ودعاء المسألة ، فأما دعاء العباد فهو أن يفعل العبد عبادة لله تعالى من صلاة أو زكاة أو حج أو عمرة أو صيام أو ذكر على مختلف أنواعه ، أو قراءة قرآن ، أو صدقة ، ونحوها من الأفعال ، فهذه دعاء ، ولكنها من قبيل دعاء العبادة ، لأن هذه العبادات ليس فيها رفع يدين ولا سؤال باللسان ، ولكنها دعاء بلسان الحال ، أي أن يصلي أو يصوم أو يزكي أو يحج هو بذلك ضمنا يرجو ثواب الله تعالى ويخاف عقابه ، وهذا هو الدعاء ، أي كأنه سأل الله تعالى بفعل هذه العبادة ثوابه وجزيل نواله جل وعلا ، فهو عبر عن الدعاء ولكن ليس بسؤال ولا بطلب ، ولكنه عبر عنه بفعل عبادة أمر بها الله تعالى ، فامتثاله لهذه العبادة يريد به الأجر والثواب من الله تعالى وطلب رضاه سبحانه ، فمن تصدق فإنه يرجو بصدقته فضل الله تعالى ، فهو سأل ودعا ، ولكن أخرج الطلب والدعاء بصورة عبادة ، فهو دعاء ولكنه بفعل عبادة ، فسماه أهل العلم دعاء عبادة ، فالصلاة دعاء ولكنها دعاء عبادة ، والحج دعاء ولكنه دعاء عبادة ، والصدقة دعاء ولكنها دعاء عبادة ، والعمرة دعاء ولكنها دعاء عيادة ، وبر الوالدين دعاء ولكنه دعاء عبادة ، وتربية اللحية دعاء ولكنها دعاء عيادة ، وهكذا في سائل التعبدات العملية ، والذكر دعاء ، ولكنه دعاء عبادة ، فمن هلل وسبح وكبر وحمد الله تعالى فهو بهذا يرجو فضل الله تعالى وعظيم ثوابه ، وهو حقيقة الدعاء ، ولكنه خرج بصورة عبادة ، وأما دعاء المسألة فهو دعاء الطلب الذي يكون فيه رفع اليدين ، فمن رفع يديه وسأل الله تعالى بلسان مقاله أن يغفر له أو يرزقه ويحفظه ، فقد دعا الله تعالى بدعاء الطلب والمسألة ، فبالله عليك أعطني شيئا مما أمر الله تعالى به يخرج عن حد كونه دعاء بهذا التقسيم ، بالطبع لا يوجد ، كل ما أمر الله تعالى به فهو دعاء ، ولا جرم في ذلك ، ولكن إن كان بصورة عمل معين أو قول معين ، وليس فيه طلب فهو من قبيل دعاء العبادة ، وإن كان بصورة سؤال وطلب ، فهو دعاء مسألة ، وبمعنى آخر أقول :ـ دعاء العبادة هو دعاء الله تعالى بلسان الحال ، وأما دعاء المسألة فهو دعاء الله تعالى بلسان المقال ، وقد حدد أبو العباس

رحمه الله تعالى ضابط بينهما جميلا وقعت عليه في كتابه النبوات ، وفرحت به جدا فغنه قال (ولفظ دعاء الله في القرآن يراد به دعاء العبادة ودعاء المسألة فدعاء العبادة يكون الله هو المراد به فيكون الله هو المراد ودعاء المسألة يكون الله هو المراد منه)(١٢٥) أي أن دعاء العبادة معناه أن يكون المراد هو الله تعالى ، أي لا يكون معه أحد يراد بهذا التعبد ، وأما دعاء المسألة ففيه الطلب والسؤال ، فلا يكون المراد منه تحقيق هذا الطلب والسؤال إلا الله وحده لا شريك له ، وما أجمل ما قاله الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله تعالى في شرحه على الطحاوية (الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، وأن كلاً منهما يلزم منه الآخر، فدعاء المسألة يستلزم دعاء العبادة، ودعاء العبادة يتضمن دعاء المسألة، ودعاء العبادة يدخل فيه كل العبادات، فمثلاً: الصلوات دعاء عبادة، والأذكار دعاء عبادة، والقراءة دعاء عبادة، والأوراد دعاء عبادة، والصدقات والصلات والبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه ذلك من الأعمال الخيرية، وهكذا ترك المنكرات دعاء عبادة كلها، ولكن هي في الحقيقة تتضمن دعاء المسألة، وذلك أن العابد ربه ما قصد إلا المسألة، فكأنه يقول: أقصد من صلاتي الثواب أقصد من صدقتي الثواب أقصد من دعائي ومن ذكري ومن قراءتي الحياة الطيبة، أو كأنه يقول: أصلي لك يا ربي! أو أحج لك يا ربي! لتغفر لي ولترزقني ولتصلح أحوالي، إذاً: فهو داع، إلا أنه في حقيقة أمره يقصد الأجر على هذه العبادات)(١٢٦) ولعل ما أريد إيصاله لك قد وصل ، وقد تكون العبادة الواحدة مشتملة على النوعين جميعا ، فمثلا الحج أصله دعاء عبادة ، ولكن شرع فيه دعاء الطلب والمسألة في أثناء الطواف والسعي وبعد رمي الجمرات وفي عرفات وعند المشعر الحرام ، وكالصلاة أيضا فإن الأصل فيها أنها من قبيل دعاء العبادة ، ولكن شرك فيها الدعاء في السجود وبين السجدتين وغيرها من المواضع المعروفة في الصلاة ، والمهم أن العبادات كلها لا تخرج عن أحد النوعين ، إما أن تكون من دعاء العبادة ، وإما أن تكون من دعاء المسألة ، ولذلك فقد صدق قول الناظم لما قال (إن الدعاء هو العبادة) وكيف لا يكون صادقا وقد اتفق قوله هذا مع قول المعصوم

---

١٢٥) آنظر النبوات لابن تيمية (١/ ٣٧٧)

١٢٦) آنظر شرح الطحاوية للشيخ عبد الله بن جبرين (١٢/٧٧)

ﷺ ، والذي رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ «الدُّعاءُ : هو العبادة »(١٢٧) وهو حديث صحيح ، فالدعاء ليس بالأمر السهل ، إلا أن كثيرا من الناس يظن قصر مسمى الدعاء على دعاء الطلب فقط ، فخف ميزان الدعاء في قلبه ، ولو أنه علم أن العبادة كلها من أولها إلى آخرها لا تخرج عن مسمى الدعاء لتبين له حقيقة الدعاء وعظم منزلته في الشريعة ، فلا غرابة حينئذ أن يكون الدعاء أكرم شيء على الله تعالى ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :" ليس شيء أكرم على الله من الدعاء "(١٢٨) وحسنه الألباني ،

---

١٢٧) صحيح.

أخرجه أبو داود في سننه أبواب قيام الليل باب الدعاء (١٤٧٩) والترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ومن سورة البقرة (٢٩٦٩) وفي أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة المؤمن (٣٢٤٧) وفي أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل الدعاء (٣٣٧٢) وابن ماجة في سنن (٣٨٢٨) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤) والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٠٠) وابن حبان في صحيحه (٨٩٠) وأحمد في المسند (١٨٣٥٢، ١٨٣٨٦، ١٨٣٩١، ١٨٤٣٢، ١٨٤٣٦) وأبي داود الطيالسي في مسنده (٨٣٨) والبزار في مسنده (٣٢٤٣) وابن المبارك في الزهد (١٢٩٨) وفي المسند له (٧١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩١٦٧) وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٨٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٩٩) والطبراني في الدعاء (١ـ ٧) وفي المعجم الصغير له (١٠٤١) وابن المقرئ في معجمه (٨٦٨) وابن منده في التوحيد (٣٢٠) والحاكم في المستدرك (١٨٠٢) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٠) وفي الدعوات الكبير له (٤) وابن الأعرابي في معجمه (١٢٤٩) وأبي نعيم في الحلية (٨/ ١٢٠) والقضاعي في مسند الشهاب (٢٩، ٣٠).

من طريق ذر بن عبد الله الهمداني، عن يسيع الكندي، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

١٢٨) أخرجه الترمذي في سننه أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل الدعاء (٣٣٧٠) وابن ماجة في سننه كتاب الدعاء باب فضل الدعاء (٣٨٢٩) وأحمد في المسند (٨٧٤٨) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢) وابن حبان في صحيحه (٨٧٠) والطبراني في المعجم الأوسط (٣٧٠٦) والحاكم في المستدرك (١٨٠١) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧١) وفي الدعوات الكبير (٣) وابن الأعرابي في معجمه (٢١٤١) والقضاعي في مسند الشهاب (١٢١٣،١٢١٤) والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/٣٠٠). من طريق عمران القطان، عن قتادة، عن سعيد بن أبي الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه. عمران القطان مختلف فيه وقد تفرد بهذا الحديث وأرى أنه لا يتحمل التفرد، وكذلك فإن قتادة بن دعامة مدلس وقد عنعن في كل الطرق. قال الترمذي (السنن): هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمران القطان وعمران القطان هو ابن داور ويكنى أبا العوام. وقال العقيلي (الضعفاء الكبير): لا يتابع عليه ولا يعرف بهذا اللفظ إلا عن عمران. وفي فضل الدعاء أحاديث بألفاظ مختلفة من غير هذا الوجه.

وهو الدعاء بمعناه العام ، ويروى عنه ﷺ أنه قال " الدعاء مخ العبادة "(١٢٩) رواه الترمذي ، وهو ضعيف، والأحاديث في فضل الدعاء كثيرة ، والله أعلم .

(المسألة الثانية) اعلم رحمك الله تعالى أن القاعدة المتقررة عند أهل العلم رحمهم الله تعالى في المقارنة بين دعاء العبادة ودعاء المسألة تقول :ـ دعاء العبادة يتضمن دعاء المسألة ، ودعاء المسألة يستلزم دعاء العبادة ، هكذا قرره أهل العلم رحمهم الله تعالى ، فإن العبد إذا عبد الله تعالى بعبادة فعلية أو قولية فإنه بهذا ضمنا يدعو دعاء مسألة ، فهو يصلي لرجاء الثواب والخوف من العقاب ، فصلى قصدا ودعا ضمنا ، ويزكي ، وزكاته تتضمن دعاءه بطلب المغفرة والقبول والثواب ، وهكذا في كل التعبدات ، فالمصلي داع ضمنا ، والمزكي داع ضمنا ، والمتصدق داع ضمنا ، والبار بوالديه داع ضمنا ، والذي يفعل المأمورات ويجتنب المحظورات هو في حقيقته داع ضمنا ، إذا نخلص من هذا أن دعاء العبادة لا بد وأن يتضمن دعاء المسألة ، وأما دعاء المسألة فهو مستلزم لدعاء العبادة ، بمعنى أن العبد إذا رفع يديه إلى الله تعالى ، ووحد ربه بالطلب والسؤال فهذا الفعل في ذاته عبادة ، سواء أعطاه الله تعالى ما يريد أو لم يعطه ، المهم أنه في عبادة ، فمن دعاء الله تعالى فهو يعبده بهذا الدعاء ، والله أعلم .

(المسألة الثالثة) إذا علمت أن هناك علاقة بين نوعي الدعاء ، فاعلم بارك الله تعالى فيك أن لفظة (دعا) وما تصرف منها كـ (تدعون ، ويدعون ، ويدعوا ، وتدعوا) ونحوها إذا وردت في القرآن الكريم فإنها يراد بها كلا نوعي الدعاء ، فيصح أن تفسرها بدعاء العبادة ، ويصح أن تفسرها بدعاء المسألة ، وإنك تجد

وقال الدارقطني (أطراف الغرائب والأفراد ٥/ ٢٠١): غريب من حديث قتادة عنه، تفرد به أبو العوام عمران القطان عن قتادة.

١٢٩) ضعيف.

أخرجه الترمذي في سننه أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل الدعاء (٣٣٧١) والطبراني في المعجم الأوسط (٣١٩٦) وفي الدعاء له (٨) من طريق ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر عن أبان بن صالح عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا به.

عبد الله بن لهيعة ضعيف.

قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أبان إلا عبيد الله، تفرد به ابن لهيعة.

السلف رحمهم الله تعالى يختلفون أحيانا في تفسير هذه اللفظ وما تصرف منها عند تفسيرهم لها ، فمنهم من يفسرها بدعاء العبادة ومنهم من يفسرها بدعاء المسألة، فإذا رأيت هذا الخلاف فاعلم بارك الله فيك أنه من باب خلاف النوع لا التضاد ، فلا تظن أنه من خلاف التضاد ، ذلك للتلازم بين نوعي الدعاء كما بينته لك ، فلفظة (دعا) وما تصرف منها محتملة للأمرين جميعا ، وقد تقرر في القواعد أن اللفظ إذا احتمل معنيين فأكثر لا تنافي بينهما حمل عليهما ، وهذا الكلام هو ما يريده المصنف عفا الله تعالى عنه بقوله (وكلاهما) أي وكلا نوعي الدعاء (في النص) أي نص الدليل الذي وردت فيه لفظة دعا وما تصرف منها (متفقان) أي أنه يراد بها كلا نوعي الدعاء فيكون خلاف السلف في تفسير هذه اللفظة من باب خلاف التنوع لا خلاف التضاد ، وأنا إن شاء الله تعالى تعالى أوضح لك الأمر بضرب بعض الأمثلة على هذه المسألة فأقول :ـ

المثال الأول :ـ اختلف سلف الأمة رحمهم الله تعالى في تفسير الدعاء في قوله تعالى{وقال ربكم ادعوني أستجب لكم}[غافر ٦٠] فمنهم من فسرها بقوله :ـ اعبدوني أثبكم ، ففسرها بدعاء العبادة ، ومنهم من فسرها بقوله :ـ ادعوني أعطكم ما سألتموني ، وكلا القولين صحيح لأن دعاء العبادة متضمن لدعاء العبادة ، ودعاء المسألة مستلزم لدعاء العبادة ، فهو من خلاف التنوع .

المثال الثاني :ـ اختلف السلف رحمهم الله تعالى في تفسير قوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة{ففسرها بعضهم بالعبادة أي :ـ يعبد من دون الله ، ففسرها بدعاء العبادة ، ومنهم من قال :ـ من يسأل ، ففسرها بدعاء المسألة ، وكلا القولين صحيح مليح ، لأن كلا نوعي الدعاء يصدق أحدهما على الآخر ، فهو من خلاف التنوع لا التضاد .

الثالث :ـ قال تعالى{وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا}[الجن ١٨] فقيل :ـ لا تعبدوا ، وقيل :ـ لا تسألوا ، وكلا القولين حق ، فالله هو المتوحد بالدعاءين، فلا يدعى إلا هو وحده سبحانه بكلا الدعاءين.

الرابع :ـ قال تعالى{ادعوا ربكم تضرعًا وخفية}[] فقيل : اعبدوا ، وقيل : اسألوا ، وكلاهما صحيح ؛ لأن لفظ الدعاء صادق عليهما ، وعلى ذلك فقس ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أنه لا يدعى إلا الله تعالى ، فالدعاء بنوعيه حق من حقوقه جل وعلا ، فلا يدعى لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح ، ولا ميت ولا جن ولا بشر ولا جماد ولا شمس ولا قمر ، ولا شجر ولا حجر ، بل لا يدعى إلا الله تعالى وحده لا شريك له ، فإنه المعبود بالدعاء دون ما سواه ، فالدعاء لا يجوز صرفه لغير الله تعالى ، قال تعالى{وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا}[الجن ١٨] وقال تعالى{وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}[غافر ٦٠] وقال تعالى{ولا تدع مع الله إلها آخر}[القصص ٨٨] وقال تعالى{ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين}[يونس ١٠٦] وقال تعالى مبينا ضعف المعدوات من دونه {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير}[فاطر ١٣، ١٤] وقال تعالى{وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[القصص ٨٨] وقال تعالى{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ}[الأنعام ٤٠، ٤١] وقال تعالى{ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ}[الأنعام ٥٦، ٥٧] وقال تعالى{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[الأعراف ١٩٤] وقال تعالى{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}[الإسراء ٦٧] وقال تعالى{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}[الحج ٧٣، ٧٤] وقال تعالى{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا}[فاطر ٤٠] وقال

تعالى{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}[الزمر ٣٨] وقال تعالى{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}[الأحقاف ٤، ٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكلها تدل دلالة قطعية على أنه لا يدعى بالحق إلا الله وحده لا شريك له ، وأن دعاء غيره باطل وشرك ، وأن غيره وأن صرف له الدعاء فإنه عاجز فقير مربوب لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره ، وأن الله تعالى هو وحده من بيده إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات وتفريج الكربات ، فهو الذي يعطي ويرزق ، وبيده أزمة الأمور ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه جل وعلا ، يعطي من يشاء فضلا ، ويمنع من يشاء عدلا وحكمة ، فالمسكين هو من أقبل بقلبه وكليته على غير الله تعالى يدعوه ويفتقر إليه ، ويعلق رجاءه بغير الله تعالى ، مسكين من تعلق بالمخلوق في تحصيل الخير ودفع الضر ، فإنه لا يتعلق إلا بالوهم وخيوط العنكبوت ، مسكين من أناخ مطاياه بباب المخلوقين ، وراح يدعوهم ويبتهل إليهم ، مسكين من علق حاجته بميت لا يملك لنفسه شيئا فضلا عن غيره ، فتراه يعفر وجهه بتراب قبره رجاء النفع ودفع الضر ، وأما علق رجاءه بالله تعالى في دعائه في جلب الخيرات ودفع المضرات ولم يلفت قلبه إلى غيره وأقبل بكليته على الله تعالى وحده لا شريك له فهو المفلح الناجح ، وهو الموحد المخلص الخالص من الشرك والتنديد ، فالله الله أيها الأخ الكريم ، إن باب الدعاء من أبواب العبادة العظيمة ، فاحذر ثم احذر ثم احذر من صرفه لغير الله تعالى ،لأن المتقرر أن العبادة حق صرف محض لله تعالى لا تصرف لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح ، فضلا عن غيرهم ، والله المستعان وعليه التكلان وحده لا شريك له.

(المسألة الخامسة) فإن قلت :ــ وما الحكم لو دعا أحد غير الله تعالى ؟ فأقول :ــ الأمر لا يخلو من عدة أحوال :ــ الأولى :ــ أن يدعو ميتا ، فإن كان المدعو من

دون الله تعالى ميتا فالداعي قد وقع في الشرك الأكبر المخرج عن الملة بالكلية ، وإن مات مصرا عليه فهو في النار خالدا مخلدا فيها أبدا ، فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا تتبع جنازته ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، بل يحفر له في البرية حفرة ويرمى فيها ولا كرامة ، لأنه مرتد خالع ربقة الإسلام من عنقه ، فدعاء الأموات شرك أكبر ، كدعاء النبي ﷺ ، أو غيره من الأنبياء ، وكدعاء الصحابة بعد موتهم ، أي أن يأتي إلى قبر صحابي ويدعوه من دون الله تعالى ، وكدعاء غيرهم من الأولياء أو من يدَّعى فيه الولاية كمن يدعو عند قبر العيدروس أو الست زينب أو قبر الحسين أو المغيرة أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أو كمن يدعو عند قبر من يسمى بالسيد البدوي ، أو عند قبر معروف الكرخي ، أو قبر عالم من أهل العلم كأحمد أو أبي حنيفة أو الشافعي أو مالك أو غيرهم من أهل العلم ، فمن دعا ميتا فقد اتخذه شريكا مع الله تعالى ، وقد كفر بالله العظيم ، وارتد وخرج من الدين ، فمن يأتي إلى القبور فيدعو أهلها في تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وتنفيس الصعوبات ، أو يدعوهم بالنصر على الأعداء وثبات القلب عند الفتن ، أو يدعوهم بالولد ورد الغائب أو يسألهم المال والوظيفة والحفظ ،ونحو ذلك ، من فعل ذل فقد كفر بالله تعالى ، وخرج من الإسلام بالكلية ، وهذا بإجماع أهل العلم رحمهم الله تعالى ، فهو لا يدعو الله تعالى عند القبر ، بل هو يدعو ويرجو حاجته من صاحب القبر نفسه ، وهو عين ما كان عليه أهل الشرك في الجاهلية الأولى ، لأنهم كانوا يدعون الأموات والأحجار والأشجار في جلب الخيرات ودفع المضرات ، وأن نظرة بسيطة إلى أحوال كثير من أهل الإسلام في كثير من البلاد الإسلامية والعربية لتبين لك مدى الجهل العظيم الكبير الذي بلغوه في هذه المسألة ، ما بين داع عند القبر وراكع وساجد وناذر ومستغيث وعاكف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإن نظرة إلى أحوال كثير من القبور في العالم الإسلامي والعربي لتبين لك المخالفات الصارخة في شأن التعامل مع القبور ، وسيأتي تفصيل الكلام عليها لاحقا في محلها من القصيدة إن شاء الله تعالى ، والمهم أن تعلم هنا أن من دعا ميتا فإنه قد وقع في الشرك الأكبر . وذلك للأدلة الدالة على ذلك ، ولأنه لم يقبل عليه بالدعاء إلا لأنه يعتقد في قلبه أن لهذا الميت

تصرفا خفيا في الكون ، وهذا شرك في توحيد الربوبية أفضى إلى الوقوع في الشرك في توحيد الألوهية ، والله المستعان .

الثانية :ــ أن يدعو غائبا ، فمن دعاء غائبا عنه فقد وقع في الشرك الأكبر ، المخرج عن الملة بالكلية ، فلا يبقى مع صاحبه أصل الإسلام ، بل هو مرتد يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، وذلك كمن يستغيثون بالأولياء والصالحين الأحياء في بلاد أخرى ، كمن هو بمصر مثلا ويستغيثون بمن هو في العراق ، ونحو ذلك ، فهذا من الشرك الأكبر ، لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد أن لهذا الميت تصرفا خفيا في الكون في سماع الدعاء والاستغاثة من البعيد ، وأن له الحق في إغاثة اللهفة وتفريج الكربة ، وهذا هو الشرك بعينه ، لأنه لا يجلب الخيرات إلا الله ولا يدفع المضرات إلا الله تعالى ، والله تعالى لم يخول الأولياء أن يجبوا دعاء من دعاهم واستغاث بهم ، فليست لهم هذه الخاصية ، بل هي حق لله تعالى ، فمن دعاء غائبا عنه فهو مشرك ، والله المستعان .

الثالثة :ــ أن يدعو الحي الحاضر في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فهذا أيضا من الشرك الأكبر ، لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد أن لهذا الحي تصرفا خفيا في الكون وأن له من القدرة ما لا يحل أن يوصف به البشر .

الرابعة :ــ أن يدعو الحي الحاضر القادر في أمر يقدر عليه المخلوق ، فهذا لا حرج فيه ، لأن الدعاء في هذه الحالة ليس من العبادة في صدر ولا ورد ، مع التنبيه على أنه لا بد وأن يقوم في ذهنك أن الله تعالى هو من يحقق لك مرادك في المقام الأول ، ولكن الله تعالى أجرى هذا المخلوق سببا في إيصال المراد إليك ، كأن تقول لغيرك :ــ يا فلان اسقني ماء ، أو أعطني كتابا ، أو تصدق علي ، ونحو ذلك ، فهذه الأمور يقدر المخلوق على تحقيقها في العادة ، فالدعاء في هذه الحالة لا يدخل في مسمى العبادات ، وإنما هو أمر من أمور العادات ، فالناس يتكافلون فيما بينهم على تحقيق مراداتهم الدنيوية ، فهذا لا حرج فيه ، ولكن الخطر هو في أن تدعو ميتا ، أو تدعو غائبا ، أو تدعو حاضرا في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فهذا هو الخطر المحدق بالتوحيد ، والذي يوجب خروج العبد من دائرة الإسلام ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى (وتفصيل القول أن مطلوب العبد إن كان

من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى مثل أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين والبهائم أو وفاء دينه من غير جهة معينة أو عافية أهله وما به من بلاء الدنيا والآخرة وانتصاره على عدوه وهداية قلبه وغفران ذنبه أو دخوله الجنة أو نجاته من النار أو أن يتعلم العلم والقرآن أو أن يصلح قلبه ويحسن خلقه ويزكي نفسه وأمثال ذلك فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلا من الله تعالى ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حيا أو ميتا اغفر ذنبي ولا انصرني على عدوي ولا اشف مريضي ولا عافني أو عاف أهلي أو دابتي وما أشبه ذلك ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه)(١٣٠) وقال رحمه الله تعالى (إحداها: أن يدعو غير الله وهو ميت أو غائب، سواء كان من الأنبياء والصالحين أو غيرهم فيقول: يا سيدي فلان أغثني أو أنا أستجير بك أو أستغيث بك أو انصرني على عدوي. وأعظم من ذلك أن يقول: اغفر لي وتب عليَّ، كما يفعله طائفة من الجهال المشركين. وأعظم من ذلك أن يسجد لقبره ويصلي إليه ويرى الصلاة إليه أفضل من استقبال القبلة، حتى يقول بعضهم: هذه قبلة الخواص والكعبة قبلة العوام ، وأعظم من ذلك أن يرى السفر إليه من جنس الحج حتى يقول: إن السفر إليه مرات يعدل حجة، وغلاتهم يقولون: الزيارة إليه مرة أفضل من حج البيت مرات متعددة. ونحو ذلك، فهذا شرك بهم وإن كان يقع كثير من الناس في بعضه(١٣١).

الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين: ادع الله لي، أو ادع لنا ربك، أو اسأل الله لنا، كما تقول النصارى لمريم وغيرها. فهذا أيضاً لا يستريب عالم أنه غير جائز، وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الأمة، وإن كان السلام على أهل القبور جائزاً، ومخاطبتهم جائزة كما كان النبي يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم : " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين،

---

١٣٠) آنظر مجموع الفتاوى (٢٧/ ٦٧) و زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (ص ٩) كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٣١) آنظر مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٠، ٣٥١).

وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. يغفر الله لنا ولكم، نسأل الله لنا ولكم العافية. اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم"(١٣٢) وروى أبو عمر بن عبدالبر عن النبي (أنه قال: " ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام"(١٣٣) وفي سنن أبي داود عن النبي (أنه قال: " ما من مسلم يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام"(١٣٤) لكن ليس من المشروع أن يطلب من الأموات لادعاء ولا غيره.

وفي موطأ مالك أن ابن عمر كان يقول: " السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت "(١٣٥) ثم ينصرف. وعن عبد الله بن دينار، قال:

التعليق [s1]: لم يروه مالك في الموطأ بهذا اللفظ بل رواه اللفظ الذي بعده أنظر الحاشية

---

١٣٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٥) من حديث بريدة الأسلمي ﷺ.

١٣٣) ضعيف.

أخرجه تمام في فوائده (١٣٩) و ابن جُمَيْع الصيداوي في معجم الشيوخ (ص ٣٥٠) بلفظ «ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه» والحديث فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم "ضعيف".

قال ابن القيسراني (تذكرة الحفاظ ص ٢٨١) رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء عن أبي هريرة وعبد الرحمن ليس بشيء في الحديث

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٨٥٧) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة ﷺ موقوفا عليه.

والإسناد إليه أيضا فيه ضعف.

١٣٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب زيارة القبور (٢٠٤١) وأحمد في المسند (١٠٨١٥) وابن راهويه في المسند (٥٢٦) والطبراني في المعجم الأوسط له (٣٠٩٢، ٩٣٢٩) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٢٧٠) وفي السنن الصغرى له (١٧٦٩) وفي شعب الإيمان له (١٤٧٩) وفي الدعوات الكبير له (١٧٨) وفي حياة الأنبياء في قبورهم له (١٥) والأصبهاني في أخبار أصبهان (٢/ ٣٣٢) من طريق عبد الله بن يزيد المقرىء عن حيوة بن شريح، عن أبي صخر حميد بن زياد ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا به.

أبو صخر حميد بن زياد مختلف فيه وفي النفس من تفرده شيء، والله أعلم.

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن يزيد إلا أبو صخر ولا عن أبي صخر إلا حيوة، تفرد به عبد الله بن يزيد.

وقال أبو يعلى الخليلي في عبد الله بن يزيد المقرئ: ثقة ، حديثه عن الثقات محتج به ، و يتفرد بأحاديث.

١٣٥) صحيح.

أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦٧٢٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (١١٧٩٣) من طريق نافع عن ابن عمر ﷺ.

رأيت عبد الله بن عمر «يقف على قبر النبي ﷺ، فيصلي على النبي ﷺ، وعلى أبي بكر وعمر» (١٣٦) ، وكذلك أنس بن مالك وغيره نقل عنهم أنهم كانوا يسلمون على النبي ، فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى، لا يدعون مستقبلي الحجرة. وإن كان قد وقع في بعض ذلك طوائف من الفقهاء والصوفية والعامة، فلم يذهب إلى ذلك إمام متبع في قوله، ولا من له في الأمة لسان صدق عام. ومذهب الأئمة الأربعة - مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد - وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة .واختلفوا في وقت السلام عليه فقال الثلاثة - مالك والشافعي وأحمد-: يستقبل الحجرة ويسلم عليه من تلقاء وجهه. وقال أبو حنيفة : لا يستقبل الحجرة وقت السلام، كما لا يستقبلها وقت الدعاء باتفاقهم .ثم في مذهبه قولان: قيل يستدبر الحجرة وقيل يجعلها على يساره. فهذا نزاعهم في وقت السلام، وأما في وقت الدعاء فلم يتنازعوا [في] أنه إنما يستقبل القبلة لا الحجرة. والحكاية التي تذكر عن مالك أنه قال للمنصور لما سأله عن استقبال الحجرة فأمره بذلك وقال: " هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم".(١٣٧) كذب على مالك ليس لها إسناد معروف وهو خلاف الثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه، كما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي وغيره. مثل ما ذكروا عنه أنه سئل عن أقوام يطيلون القيام مستقبلي الحجرة يدعون لأنفسهم، فأنكر مالك ذلك، وذكر أنه من البدع التي لم يفعلها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولا ريب أن الأمر كما قاله مالك، فإن الآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين تبين أن هذا لم يكن من عملهم وعادتهم، ولو كان استقبال الحجرة عند الدعاء مشروعاً لكانوا هم أعلم بذلك وكانوا أسبق إليه ممن بعدهم. والداعي يدعو الله وحده، كما نهى عن استقبال الحجرة عند دعائه لله تعالى، كما نهى عن استقبال

---

١٣٦) صحيح.

أخرجه مالك في الموطأ (٦٨) وأبو إسحاق الجهضمي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٢٧٢).

١٣٧) لم أعثر له على إسناد، وقد ذكره أبو اليمان بن عساكر في إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٦).

الحجرة عند الصلاة لله تعالى) وقال رحمه الله تعالى وأجزل له الأجر والمثوبة (فإن المسلمين متفقون على ما علموه بالاضطرار من دين الإسلام أن العبد لا يجوز له أن يعبد ولا يدعو ولا يستغيث ولا يتوكل إلا على الله وأن من عبد ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو دعاه أو استغاث به فهو مشرك فلا يجوز عند أحد من المسلمين أن يقول القائل يا جبرائيل أو يا ميكائيل أو يا إبراهيم أو يا موسى أو يا رسول الله اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو انصرني أو أغثني أو أجرني من عدوي أو نحو ذلك بل هذا كله من خصائص الإلهية)(١٣٨) وقال رحمه الله تعالى (وكذلك الغلو في بعض المشايخ إما في الشيخ عدي ويونس القتي أو الحلاج وغيرهم بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونحوه بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه ، فكل من غلا في حي أو في رجل صالح كمثل علي رضي الله عنه أو عدي أو نحوه أو في من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القتي ونحوهم وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدي أو يعبده بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل)(١٣٩) وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى (أما إذا كان يدعو الأموات ويستغيث بهم ، أو بالجن ، أو غيرهم من المخلوقات فيقول : يا رسول الله انصرني أو اشف مريضي ، أو يقول : يا سيدي الحسين ، أو يا سيدي البدوي ، أو غيرهم من الأموات ، أو الجمادات كالأصنام ، المدد المدد ، فهذا مشرك شركا أكبر لا يصلى خلفه ، ولا تصح إمامته - نسأل الله العافية -)(١٤٠) وقال الشيخ ابن باز أيضا رحمه الله تعالى (ومن الأمور المنكرة والاعتقاد الفاسد والضلال المبين ما يعتقده بعض المغفلين والجهال في بعض المخرفين والمشركين الضالين

---

١٣٨) آنظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٢٧٢).

١٣٩) آنظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٩٥).

١٤٠) آنظر مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٩/ ٣٧٤).

المضلين أنهم يشفون المرضى ويدفعون عنهم الضر ويجلبون النفع نعوذ بالله من العمى والضلال . وهذا ينافي الإيمان بالله وأنه النافع الضار الرازق المحيي المميت المدبر القادر تعالى الله وتقدس عما يقوله الضالون المفترون ، قال تعالى : وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ فمن اعتقد أن أحدا ينفعه أو يضره أو يشفيه من دون الله فقد كفر بالله وبكتابه وبملائكته ورسله ، قال تعالى لأكرم خلقه : قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلا بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وقال : قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وقال رسول الله ﷺ : " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " فالنبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا لغيره فغيره من باب أولى . فكل من غلا في نبي أو رجل صالح أو ولي من الأولياء وظن فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول : يا فلان اشفني أو انصرني أو ارزقني أو أغنني ونحو ذلك فإن هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل . وكذا من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم فإنه يكفر إجماعا ، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو جني أو روح أو غير ذلك تأثيرا في كشف كربة أو قضاء حاجة أو رفع مرض أو دفع بلاء دون الله سبحانه فقد وقع في ضلال كبير ، وفي واد من الجهل خطير ، فهو على شفا حفرة من السعير لكونه قد أشرك بالله العظيم ، وهكذا من ذكر أحدا من الصالحين والأولياء وغيرهم على وجه طلب الإمداد منه فقد أشركه مع الله إذ لا قادر على الدفع والنفع غيره سبحانه وتعالى .أما دعاء الحي الحاضر القادر والاستعانة به فيما يقدر عليه مما يجوز شرعا فلا حرج في ذلك وليس داخلا في أنواع الشرك بإجماع المسلمين لقول الله عز وجل في قصة موسى : فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ولأدلة أخرى من الكتاب والسنة في هذا المعنى ، والله ولي التوفيق)(١٤١) وقد اتفق علماء نجد الأعلام من لدن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى إلى وقتنا هذا أن كل من دعا مخلوقاً، أو استغاث به، أو جعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول : يا سيدي فلان أغثني، أو انصرني، أو اقض ديني، أو اشفع لي عند الله، في قضاء حاجتي، أو أنا متوكل على الله وعليك، فهو مشرك في عبادة الله

١٤١) أنظر مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٩/ ٩٩، ١٠٠).

غيره ، وقال ابن القيم رحمه الله، في شرح المنازل (ومن أنواع الشرك : طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا : أصل شرك العالم)(١٤٢) وفي الدرر السنية في الأجوبة النجدية ما نصه (وقال غير واحد من العلماء : إن من أسباب الكفر، والشرك : الغلو في الصالحين، كعبد القادر، وأمثاله ؛ بل : الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بل الغلو في الأنبياء، كالمسيح، وغيره ؛ فمن غلا في نبي، أو ولي، أو جعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول : يا سيدي فلان، أغثني، أو انصرني، أو أنا في حسبك، فكل هذا : شرك، وضلال، يستتاب صاحبه، فإنه تاب وإلا قتل)(١٤٣) فهذه المسألة مفصولة عند أهل العلم رحمهم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، فلا يحل بحال من الأحوال أن تجعل هذه المسألة من مسائل الحوار أو تدار على موائد النقاش إلا لتقريرها في قلوب المخالفين وكشف شبههم فقط ، وعليه :ـ فالرافضة كفار ، ومن أسباب كفرهم أنهم بنوا دينهم على الاستغاثة بالأموات من آل البيت ، ووصفوهم بما لا يحل وصف المخلوق به ، وبنوا أمر دينهم على البناء على القبور وتعظيم أهلها التعظيم المخرج لهم عن الملة ، كما هو معلوم من عقائد القوم ، فهم كفار ، ومن توقف في كفرهم بعد معرفة حقيقة مذهبهم فهو مثلهم ، ولكن أكثر العامة من أهل السنة لا يعرفون حقيقة مذهب الرافضة ، ويظنون أن الخلاف بيننا وبينهم إنما هو خلاف في الفروع فقط ، والأمر ليس كذلك ، والله المستعان ، وكذلك نقول في الصوفية الذين يطوفون حول القبور ويدعون أصحابها من دون الله تعالى وينذرون لها ويركعون ويسجدون في فنائها فيستقبلون القبر بوجوههم وقلوبهم داعين منطرحين مستغيثين بأهلها من دون الله تعالى ، وهذا هو الكفر بعينه والشرك برمته ، ولا عبرة بجهال هذا الزمان الين يقولون :ـ إنكم تكفرون المسلمين ،فإننا والله العظيم لا نكفر أحدا من أهل القبلة إلا إن وقع في الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان ، وأما أن يتقحم كثير من الناس في الأمور الكفرية الشركية ثم نقول :ـ دعوهم وشأنهم ، فلا وألف لا ، فلو أن المشروع هو ترك الناش وشأنهم لما كان هناك حاجة في إرسال الرسل وإنزال الكتب ولا لتقرير الشرائع ، فهذا القول قول

١٤٢) آنظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (١/ ٣٥٣).

١٤٣) آنظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٠٧).

باطل ، بل هو إقرار للكفر والشرك ، فمن وقع في الأمر الكفري وثبتت عليه الشروط وانتفت في حققه الموانع فإننا نكفره ولا شأن لنا بأحد ، ولن نجامل أحدا في دين الله تعالى ، والله المستعان وعليه التكلان وحده لا شريك له .

فقوله (إن الدعاء هو العبادة) قد بينا لك معناه ، (وهو) أي الدعاء ، (في عقد الشرائع) أي في عقيدة كل الشرائع المنزلة من عند الله تعالى ، (يا فتى نوعان) ثم بينها لك بقوله(فدعاء مسألة) وهو دعاء الطلب ، (كذاك عبادة) وهو أن يفعل العبد عبادة يرجو بها ثواب الله تعالى من صلاة وصدقة ونحوها ، كما بينا لك سابقا ، (وكلاهما) أي دعاء الطلب ، ودعاء العبادة ، (في النص) أي عند ورودها في النصوص الشرعية ، قوله (متفقان) أي أن لفظ:ــ دعا ، وما تصرف منه يراد به دعاء الطلب ودعاء العبادة ، لأننا قدمنا لك بارك الله فيك أن بينهما علاقة وثيقة ، فدعاء العبادة يتضمن دعاء الطلب ، ودعاء المسألة يستلزم دعاء العبادة ، (فدعاؤك المخلوق) دعاء طلب وسؤال يحكم عليه بأنه (شرك أكبر) وقد بينا لك متى يكون صرف الدعاء لغير الله تعالى شرك أكبر ، وبين لك الناظم كل هذه الحالات بقوله (إن كان) هذا المخلوق المدعو من الله تعالى (ليس له بذاك) أي بما دعوته به ، (يدان) أي قوة وطاقة وقدرة ، ويدخل في هذا دعاء الأموات ، فإن الميت لا قدرة له على تحقيق المطلوب منه من جلب خير أو دفع شر ، ويدخل فيه دعاء الغائب ، فإن الغائب عنك لا يسمع دعاءك ولا استغاثتك ، فلا يقدر على تحقيق المطلوب منه ، ويدخل فيه دعاء الحي الحاضر في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، والكلام قد أوضحناه فيما سبق من المسائل ، ولله الحمد والمنة ، والخلاصة من هذا :ــ أن الدعاء عبادة ، فلا يجوز صرفه لغير الله تعالى ، لأن المتقرر أن العبادة حق صرف محض لله تعالى لا تصرف لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح ، والله المستعان ، وحده لا شرك له .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ــ

واحذر هديت من التمائم مطلقا   حتى وإن كانت من القرآن

لعمومها أعني النصوص وهكذا   سد الذريعة هذه وجهان

وكذاك خشيتنا دخولك في الخلا فامنع ـ هديت ـ قلائد الشيطان

أقول :ــهذه الأبيات تتكلم عن عقيدة من عقائد الأمة الإسلامية ، وهي عقيدة المسلمين في التمائم ،، والكلام عليها يطول ، ولكن نجعلها لك في مسائل :ــ

(المسألة الأولى) اعلم رحمك الله تعالى أن التمائم لها تعريفان : تعريف بالحد الجامع المانع ، وتعريف بضرب المثال ، فأما تعريفها بالاعتبار الأول : فهي كل ما يعلق أو يوضع ويعتقد فيه أن يجلب خيرًا أو يدفع شرًا ، وأما تعريفها بالاعتبار الثاني: فقيل: هي ما يعلق على الصبيان يتقون به العين. وقيل: هي ما يعلق في رقاب الدواب التي يخشون من إصابتها بالحسد لجمال صفاتها. وقيل: هي ما يوضع في الدار لاتقاء شر الحاسدين أو اتقاء الجن والشياطين وكل ذلك تعريف لها بضرب المثال ، وقد جرت عادة السلف رحمهم الله تعالى أن يعرفوا الأشياء بضرب المثال ، لأن التعريف بالمثال أقرب للفهم ، وأوضح للعقل ، وأثبت في القلب ، واعلم أن الخلاف في التعريف بضرب المثال من قبيل خلاف التنوع لا التضاد ، والله أعلم .

(المسألة الثانية) وأما أقسامها : فاعلم رحمك الله تعالى أنها قسمان : تمائم من القرآن، وتمائم شركية.

فأما التمائم الشركية ، فهي التي اشتملت على الاستعانة بالجن والاستغاثة بالشياطين والاستعاذة بهم من الشر أو احتوت على طلاسم وكتابات لا تعرف ولا يدرى عن المقصود بها ، فهذه لاشك أنها حرام وشرك ، والدليل على ذلك قوله تعالى : {قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته }[الزمر ٣٨] ففي هذه الآية دليل على بطلان الشرك ولبس الحلقة والخيط من ذلك لا يكشف الضر ولا يمنع منه ولا يجلب الخير وليس بسببٍ فيه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرقى والتمائم والتولة شرك "(١٤٤) رواه أبو داود وأحمد وابن

---

١٤٤) حسن بالمجموع.

ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وهو نص صريح صحيح في هذه المسألة .

وعن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً : " ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وترٍ أو قلادة إلا قطعت "(١٤٥) رواه مسلم . وعن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفرٍ فقال :" ما هذه "؟ قال : من الواهنة . فقال : "انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا "(١٤٦)

أخرجه أبو داود في سننه (٣٨٨٣) وابن ماجة في سننه كتاب الطب باب تعليق التمائم (٣٥٣٠) وأحمد في المسند (٣٦١٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٢) والخلال في السنة (١٤٩٤) وابن حبان في صحيحه (٦٠٩٠) وأبو يعلى في مسنده (٥٢٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٠٣) وفي المعجم الأوسط له (١٤٤٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠٤، ٧٥٠٥، ٨٢٩٠).

كلهم من طرق عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وكلها لا تخلوا من مقال فيما علمت إلا أنها تحسن بمجموع هذه الطرق. والله أعلم بالصواب.

وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٨٤) وآنظر أيضا السلسلة الصحيحه (١/ ٦٤٨، حديث رقم ٣٣١)

ولكن قد أعل بعض أهل العلم هذا الحديث بالوقف على ابن مسعود ﷺ ليس مرفوعا إلى النبي ﷺ، قال الإمام أبو بكر مُحَمَّد بن موسى الحازمي هذا الحديث يروى موقوفا ومرفوعا والموقوف أحفظ، كذلك يرويه الأعلام. (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٢٣٨).

١٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسيرباب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (٣٠٠٥) ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (٢١١٥).

١٤٦) ضعيف.

أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الطب باب تعليق التمائم (٣٥٣١) وأحمد في مسنده (٢٠٠٠٠) وابن حبان في صحيحه (٦٠٨٥، ٦٠٨٨) والبزار في مسنده (٣٥٤٥، ٣٥٤٧) والروياني في مسنده (٧٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٥٩، ١٦٢، ١٧٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٠٩) وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/ ١٠٥٥).

كلهم من طرق عن الحسن البصري عن عمران بن حصين ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف، فإن الحسن بن أبي الحسن البصري لم يسمع من عمران بن حصين ﷺ.

رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي . ولأحمد بسنده عن عقبة بن عامرٍ مرفوعًا :"من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له "(١٤٧)، وفي رواية : "من تعلق تميمة فقد أشرك"(١٤٨)

قال ابن معين : لم يسمع من عمران بن حصين . وقال ابن المديني و أبو حاتم : لم يسمع منه (أي من عمران)، و ليس يصح ذلك من وجه يثبت .

وقال ابن المديني : سمعت يحيى . يعني القطان . و قيل له : كان الحسن يقول : سمعت عمران بن حصين، قال : أما عن ثقة فلا .

وقال أحمد : قال بعضهم عن الحسن : حدثنا أبو هريرة ، وقال بعضهم عن الحسن : حدثني عمران بن حصين ، إنكارا على من قال ذلك .

آنظر (تهذيب الكمال) (جامع التحصيل) في ترجمة الحسن بن أبي الحسن البصري.

١٤٧) ضعيف.

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٤٠٤) وابن وهب في جامعه (٦٦٢) وابن حبان في صحيحه (٦٠٨٦) وأبي يعلى في مسنده (١٧٥٩) والطحاوي في شرح معاني الأثار (٧١٧٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠١، ٨٢٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٠٥).

من طريق حيوة بن شريح عن خالد بن عبيد المعافري عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف، خالد بن عبيد المعافري لم أجد فيه جرحا ولا تعديلا ولم أجد من روى عنه إلا حيوة بن شريح، فهو إلا الجهالة أقرب والله أعلم.

ومشرح بن هاعان، لا يتحمل تفرد، وثقة ابن معين وقال أحمد معروف، وقال ابن حبان فى " الثقات " : يخطىء ويخالف، ثم قال فى "الضعفاء" : يروى عن عقبة مناكير لا يتابع عليها، فالصواب ترك ما انفرد به. (آنظر تهذيب التهذيب ١٠ / ١٥٥).

وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٣٤) من طريق الوليد بن الوليد، ثنا ابن ثوبان، عن أبي سعيد، عن عقبة بن عامر ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف جدا فيه الوليد بن الوليد بن زيد العنسي (آنظر ترجمته في لسان الميزان ٨/ ٣٩٣).

والحديث ضعفه الشيخ الألباني آنظر السلسلة الضعيفة.

١٤٨) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٤٢٢) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٥٦٣) والحاكم في المستدرك (٧٥١٣) من طريق عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ.

وهذا إسناد فيه دخين الحجري لم يوثقه إلا يعقوب بن سفيان وذكره ابن حبان في الثقات، فلا أدري أيتحمل مثل هذا الحديث في العقائد أم لا، فالله أعلم.

ولابن أبي حاتم عن عزرة، قال: " دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرا فقطعه أو انتزعه، ثم قال: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} (١٤٩) وعن عبدالله بن عكيم مرفوعًا "من تعلق شيئًا وكل إليه"(١٥٠) وروى أحمد وأبو داود عن رويفع ، قال : قال رسول الله ﷺ : "يا رويفع لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترًا أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم فإن محمدًا برئ منه "(١٥١) فهذه الأدلة الصحيحة الصريحة فيها الدلالة القاطعة على تحريم

---

١٤٩) ضعيف.

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٠٤٠) عزرة هذه لم أعرفه وليس هناك من تلامذة حذيفة اسمه عزرة.

١٥٠) ضعيف.

أخرجه الترمذي في سننه أبواب الطب باب ما جاء في كراهية التعليق (٢٠٧٢) وأحمد في المسند (١٨٧٨١، ١٨٧٨٦) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٤٥٧) وفي المسند (٧٨٦) وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٥٧٦) والطبراني في المعجم الكبير (٣٨٥/٢٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠٣).

كلهم من طرق عن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أخيه عيسى بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عكيم به.

وهذا إسناد ضعيف: مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى "الراجح فيه الضعف".

وعبد الله بن عكيم من كبارالتابعين وليس بصحابي : قال البخاى : أدرك زمن النبي ﷺ ، و لا يعرف له سماع صحيح و كذا قال أبو نعيم . وقال ابن حبان فى " الصحابة " : أدرك زمنه و لم يسمع منه شيئا. و كذا قال أبو زرعة . و قال ابن مندة ، وأبو نعيم : أدركه و لم يره. وقال البغوى : يشك فى سماعه . وقال أبو حاتم: ليس له سماع من النبي ﷺ ، من شاء أدخله فى المسند على المجاز . (تهذيب التهذيب ٥ / ٣٢٤). وقال ابن حجر مخضرم (التقريب).

١٥١) مختلف في إسناده.

فقد أخرجه أحمد في المسند (١٦٩٩٥، ١٦٩٩٦) من طريق عبد الله بن لهيعة عن عياش بن عباس عن شييم بن بيتان عن رويفع بن ثابت به.

وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الأثار (٧٥٢) من طريق أصبغ بن الفرج، عن ابن وهب، قال: أخبرني حيوة بن شريح، عن عياش بن عباس، أن شييم بن بيتان، أخبره أنه، سمع رويفع بن ثابت الأنصاري ...... الحديث.

وأخرجه النسائي كتاب الزينة باب عقد اللحية (٥٠٦٧) والسنن الكبرى له (٩٢٨٤) من طريق ابن وهب، عن حيوة بن شريح، وذكر آخر قبله، عن عياش بن عباس القتباني، أن شييم بن بيتان، حدثه أنه، سمع رويفع بن ثابت ﷺ....... الحديث.

قال ابن حبان: في مشاهير علماء الأمصار (ص: ١٩٦) شييم بن بيتان البلوى من رهط رويفع بن ثابت البلوى ممن جالسه.

وأخرجه أحمد أيضا في المسند (١٧٠٠٠) وأبو داود في سننه كتاب الطهارة باب ما ينهى عنه أن يستنجى به (٣٦) والطبراني في المعجم الكبير (٤٤٩١) والبيهقي في السنن الكبرى (٥٣٤) من طريق المفضل بن فضالة عن عياش بن عباس أن شييم

هذه المعلقات وأنها من الشرك ، وقد انعقد الإجماع على تحريم التمائم الشركية ولله الحمد والمنة ، والله تعالى أعلم .

(المسألة الثالثة) وأما التمائم من القرآن ، ففيها شيء من الخلاف ، فقيل بجوازها ، وقيل بالمنع ، ومن القائلين بالمنع ابن مسعود وغيره ، والقول بالمنع هو الصحيح وذلك لما يلي :

الأول : عموم الأدلة الواردة في ذلك ، كما في قوله : ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك))(١٥٢) ، فقوله : ((التمائم)) جمع دخلت عليه الألف واللام ، وقد تقرر في القواعد أن الألف واللام الداخلة على المفرد والجمع تفيده العموم أي

بن بيتان أخبره أنه سمع شيبان القتباني(قلت المحقق: شيبان هذا مجهول) يقول: استخلف مسلمة بن مخلد رويفع بن ثابت الأنصاري، على أسفل الأرض قال: فسرنا معه ....الحديث.

قال الإمام النووي: في المجموع شرح المهذب (١/ ٢٩٢) فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد وَغَيْرِهِ عَنْ رُوَيْفِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ

وقال ابن مفلح: في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ١٥٤) وَمَتْنُ هَذَا الْحَدِيثِ صَحِيحٌ وَهَذِهِ الْأَسَانِيدُ الثَّلَاثَةُ جَيِّدَةٌ وَفِي ابْنِ لَهِيعَةَ كَلَامٌ مَشْهُورٌ وَلَيْسَ بِالْعُمْدَةِ هُنَا وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَلَمْ يُخَالِفْهُ.

وقال ابن الملقن: في البدر المنير (٢/ ٣٥٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ بِإِسْنَاد جيد عَنهُ.

وقال أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري: في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣٨٢) (رَوَاهُ أبو دَاوُدُ) وَكَذَا النَّسَائِيُّ وَسَنَدُهُ حَسَنٌ.

١٥٢) حسن بالمجموع.

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب باب في تعليق التمائم (٣٨٨٣) وابن ماجة في سننه كتاب الطب باب تعليق التمائم (٣٥٣٠) وأحمد في المسند (٣٦١٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٢) والخلال في السنة (١٤٩٤) وابن حبان في صحيحه (٦٠٩٠) وأبو يعلى في مسنده (٥٢٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٠٣) وفي المعجم الأوسط له (١٤٤٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠٤، ٧٥٠٥، ٨٢٩٠).

كلهم من طرق عن عبد الله بن مسعود ﵁، وكلها لا تخلوا من مقال فيما علمت إلا أنها تحسن بمجموع هذه الطرق. والله أعلم بالصواب.

وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٨٤) وآنظر أيضا السلسلة الصحيحه (١/ ٦٤٨، حديث رقم ٣٣١)

ولكن قد أعل بعض أهل العلم هذا الحديث بالوقف على ابن مسعود ﵁ ليس مرفوعا إلى النبي ﷺ، قال الإمام أبو بكر مُحَمَّد بن موسى الحازمي هذا الحديث يروى موقوفا ومرفوعا والموقوف أحفظ، كذلك يرويه الأعلام. (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٢٣٨).

الاستغراق ، فيدخل في كل ذلك كل التمائم ، وكقوله : ((من تعلق تميمة فقد أشرك)) ، فقوله : ((من تعلق)) هذا شرط ، وقوله : ((تميمة)) نكرة ، وقد تقرر في القواعد أن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم ، فيصدق ذلك الوصف وهو الشرك على كل من تعلق تميمة من غير تفصيل بين تميمة وتميمة ، وكقوله : ((لا يبقين في رقبة بعير قلادة))(١٥٣) ، فقوله : ((لا يبقين)) نفي ، وقوله : ((قلادة)) نكرة ، وقد تقرر في القواعد أن النكرة في سياق النفي تعم ، وقد يكون بعض هذه القلائد قد عقد فيها قرآن ، وكقوله : ((من تعلق شيئًا)) وهذا نكرة في سياق الشرط وقد تقرر أنه يفيد العموم .

وأيضًا يقال : هذه الأقوال خرجت عامة من غير استفصال بين تميمة وتميمة ، وقد تقرر في القواعد أن ترك الاستفصال في مقام الاحتمال منزل منزلة العموم في المقال . إذا علمت هذا فاعلم أن القاعدة تقول : الأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المخصص ، ولم يرد ما يصلح أن يكون مخصصًا لهذه العمومات ، فالواجب هو البقاء على دلالة عمومها وعدم التعرض لها بتخصيص ، والله أعلم .

الثاني : أن القول بمنع التمائم من القرآن فيه إعمال للقاعدة المتفق عليها وهي قاعدة سد الذرائع المفضية إلى الحرام ، والقول بجوازها فيه فتح لباب التمائم الشركية ، فإن معلقها قد يأتيه الشيطان ويقول : إن هذه لا تنفع وعليك بالتميمة الفلانية إن كنت تريد النفع ، فسدًا لهذا الباب منعت التمائم كلها من القرآن وغير القرآن .

الثالث : أن معلق التمائم من القرآن لابد أن يتعلق قلبه بها ولو مطلق التعلق ، وهذا منافٍ لمقصود من مقاصد الشريعة ، وهو وجوب انصراف تعلق القلب بكليته بالله تعالى فسدًا لذريعة تعلق القلب بهذه الخيوط والخرزات والودع والأوراق منعت التمائم بجميع أنواعها .

---

١٥٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (٣٠٠٥) ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (٢١١٥).

الرابع : أن القول بجواز التميمة من القرآن فيه فتح لباب إهانة كلام الله تعالى ؛ لأن معلقها قد يدخل بها الخلاء وهو ناس أو يشق عليه نزعها دائمًا أو يحر بها مجالس الغفلة واللهو واللغو والحرام ، أو تكون على صغير أو دابة فتتلوث بشيء من النجاسات من بولٍ أو غائط ، فسدًا لذريعة إهانة كلام الله تمنع التمائم من القرآن .

فلهذه الأوجه ترجح المنع في هذا النوع من التمائم ، لكن يكفيك الوجه الأول وما بعده كالمؤيد له فقط ، والله أعلم .

(المسألة الثالثة) هل تعليق التميمة من الشرك الأكبر أم من قبيل الشرك الأصغر ؟ والجواب أن نقول :ـ هذا يختلف باختلاف اعتقاد معلقها ، فإن كان يعتقد في قلبه أن تلك التميمة هي بعينها وبذاتها من يجلب له الخير أو يدفع عنه الضرر ، فهذا من الشرك الأكبر المخرج عن الملة بالكلية ، وهو شرك في توحيد الربوبية ، لأن الواجب أن يعتقد العبد أنه لا يجلب الخيرات على الحقيقة إلا الله تعالى ، فلا يملك أحد معه جلب خير أو دفع ضر ، فالتميمة لا تملك جلب خير لمعلقها ولا تملك له دفع ضر ، فإن أراد الله تعالى بعبد خيرا فإن الدنيا بأسرها لا تملك منعه منه ، وإن أراد بأحد غير ذلك فإن الدنيا بأسرها لا تملك دفع ذلك عنه ، فكيف بتيمية من خيوط أو خرز أو ودع أن يملك للعبد جلب الخير أو دفع الضر ؟ تالله إنها العقول التافهة والقلوب المتحجرة الغافلة ، فإن اعتقد أن هذه التميمة التي علقها هي بذاتها من يجلب الخير أو يدفع الشر فهو من المشركين الشرك الأكبر المخرج عن الملة ، لأنه قد تقرر في قواعد أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن من اعتقد أن السبب هو بذاته من يؤثر في مسببه فهو مشرك الشرك الأكبر ، كما سيأتي شرحه في قاعدة الأسباب إن شاء الله تعالى ، وأما أن كان يعتقد أن الله تعالى هو من يجلب الخير ويدفع الضرر ، ولكنه علق هذه التميمة فقط من باب السببية ، أي أنه يعتقد أن تعليقها مجرد سبب من الأسباب التي يستجلب بها الخيرات ويدفع بها المضرات فقط ، ولكن الذي يدفع الضر ويجلب الخير يقدره إنما هو الله تعالى ، فهذا من الشرك الأصغر ، وقد علل أهل العلم رحمهم الله تعالى هذا الحكم بعلتين :ـ الأولى :ـ أن هذا التعليق بهذا القصد من جملة وسائل الشرك الأكبر ، وقد تقرر

في القواعد أن كل وسيلة للشرك الكبر فهي من جملة الشرك الأصغر ، لا سيما وقد سمى الشرع التميمة بأنها شرك ، الثاني :ـ أن المتقرر في القواعد عند أهل السنة أنه لا يجوز التدخل في إثبات الأسباب ، لأن كون الشيء سببا لشيء لا بد فيه من أمرين :ـ إما أن يثبت سببيته الشرع ، أي أن يدل دليل الشرع على هذه السببيه ، أو يدل الدليل القدري ، أي دليل التجربة على إثبات هذه السببية ، وأسألك بالله أيها الأخ العاقل ، هل دل الدليل الشرعي على أن من جملة الأسباب التي يستدفع بها الضرر ويستجلب بها الخير تعليق التميمة ؟ بالطبع لا ، بل ثبت الدليل بالنهي عن تعليقها ،وقطع كونها من الأسباب الجالبة للخير والدافعة للضر ، والحكم عليها بأنها من الشرك ، فإذا الدليل الشرعي ما أثبت سببيتها لذلك ، وأسألك بالله تعالى ، هل دل الدليل القدري بالتجربة على أن من يعلقها أنه لا يصيبه شيء ؟ بالطبع لا ، بل لا يزال معلقها يأتيه الضرر ويصيبه الشر ، ويتخلف عنه الخير ، فإذا تخلف عن كونها سببا دليل الشرع ودليل القدر ، فاتخاذها سببا مع انعدام الدليلين ، من الشرك الأصغر لأنه تدخل فيما هو من خصائص الله تعالى ، فالله تعالى هو خالق السبب وأثره ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن شيئا سببا لشيء من عند نفسه استدلالا بهواه وما تمليه عليه شياطينه ، وأقل أحوال هذا الأمر أن يكون من الشرك الأصغر ، لأن المتقرر في القواعد كما أسلفت أنه كل من اتخذ سببا لم يدل عليه شرع ولا قد فهو مشرك شركا أصغر ، وإن اعتقد أنه ـ أي هذا السبب ـ هو الفاعل بذاته فهو مشرك شركا أكبر ، وسيأتي الكلام على هذه القاعدة عند البيت الخاص بها إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) واعلم رحمك الله تعالى أن تعليق التميمة فيه من الأضرار الدينية والدنيوية ما لو تأمله العاقل الأريب الناصح لنفسه لعلم أنها من جملة ما نهى عنه الشرع ، فمن ذلك :ـ أنها من الشرك ، ومن المعلوم أن مفسدة الوقوع في الشرك أكبر مفسدة ، ولو لم يكن في التميمة من الأضرار إلا هذا لكفى ، ومنها :ـ أنها تضعف القلب وتوهن الإيمان ، ففي الحديث " فإنها لا تزيدك إلا وهنا

"(١٥٤) ، ومنها :ـ أنها باب من الأبواب الكبيرة التي توجب خذلان الله تعالى للعبد ، لأنه تعلق بغيره ، ومن تعلق شيئا وكل إليه ، فلا إله إلا الله ، كيف يفعل الجهل والحمق بأهله ، حيث يتركون التعلق بالله تعالى ، وهو من بيده النفع والضر ، ويتعلقون بتلك الخرزات والكتابات والتفاهات التي لا تنفع ولا تضر ولا تغني ولا تسمن من جوع ، فيعاقبهم الله تعالى بجنس علمهم ، فيكلهم إلى تلك المعلقات السخيفة ، والمتقرر أن أعظم الهلاك أن يكلك الله تعالى لضعفك وعجزك ، والله المستعان ، ومنها :ـ أن النبي ﷺ قد دعا على معلقها بأن لا يتم الله تعالى أمره ، فقال " من تعلق تميمة فلا أتم الله له " جزاء وفاقا ، ومعاملة له بنقيض قصده ، فمعلقها معرض نفسه لدعوة النبي ﷺ ، ومن ذا يحتمل الدخول في هذا الدعوة من خير نبي ، فلا نجاة ولا خلاص ولا مفر من الولوج في شرك هذه الدعوة النبوية إلا بالخلاص من هذه التمائم وعدم الاعتقاد فيها في صدر ولا ورد ، ومنها :ـ أن من يعلقها فقد عرض نفسه لبراءة النبي ﷺ منه ، كما في حديث رويفع ، رضي الله عنه وفيه " أو علق وترا ـ أي تيمية ـ فإن محمدا ﷺ بريء منه " فيا أخي الكريم ، أوتريد أن يتبرأ منك رسول الله ﷺ ؟ لا أظن مسلما يريد هذا ،

---

١٥٤) ضعيف.

أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الطب باب تعليق التمائم (٣٥٣١) وأحمد في مسنده (٢٠٠٠٠) وابن حبان في صحيحه (٦٠٨٥، ٦٠٨٨) والبزار في مسنده (٣٥٤٥، ٣٥٤٧) والروياني في مسنده (٧٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٥٩، ١٦٢، ١٧٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٠٩) وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/ ١٠٥٥).

كلهم من طرق عن الحسن البصري عن عمران بن حصين ﷺ مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف، فإن الحسن بن أبي الحسن البصري لم يسمع من عمران بن حصين ﷺ.

قال ابن معين : لم يسمع من عمران بن حصين . وقال ابن المديني و أبو حاتم : لم يسمع منه (أي من عمران)، و ليس يصح ذلك من وجه يثبت .

وقال ابن المديني : سمعت يحيى . يعني القطان . و قيل له : كان الحسن يقول : سمعت عمران بن حصين، قال : أما عن ثقة فلا .

وقال أحمد : قال بعضهم عن الحسن : حدثنا أبو هريرة ، وقال بعضهم عن الحسن : حدثني عمران بن حصين ، إنكارا على من قال ذلك .

آنظر (تهذيب الكمال) (جامع التحصيل) في ترجمة الحسن بن أبي الحسن البصري.

فتلك الخرزات والودع والمعلقات ستكون سببا في براءة النبي منك ، فاخلعها عنك ، واطرحها ، وارفسها برجلك واحث عليها التراب بقدميك ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فقول الناظم عفا الله تعالى (واحذر ـ هديت ـ من التمائم مطلقا) وقد بين هذا الإطلاق بقوله (حتى وإن) كانت هذه التمائم (من القرآن) وذلك لعدة أوجه ذكرها بقوله (لعمومها) أي لعموم الأدلة الواردة في شأن التمائم كما وضحنا ، وقد وضح الناظم مرجع الضمير بقوله (أعني الأدلة) أي أن الأدلة في هذه المسألة قد وردت عامة ، والأصل المتقرر وجوب بقاء العموم على عمومه ولا يخص إلا بدليل ، وهذا الوجه الأول ، ثم بين الوجه الثاني بقوله (سد الذريعة) أي سد ذريعة الوقوع في الشرك الكبر ، فإن من يعلق التميمة من القرآن ربما جره هذا التعليق إلى تعليق ما ليس من القرآن ، (هذه وجهان) من أوجه المنع منها ، ثم بين الوجه الثالث بقوله (وكذاك) أي ومما يجعلنا نرجح القول بالمنع من التمائم أيضا (خشيتنا دخولك) أي أن تدخل بالتميمة من القرآن (في الخلا) أي دورات المياه المعروفة بالحمامات ، ومن المعلوم المتقرر أنه لا ينبغي الدخول للخلاء بشيء فيه ذكر الله تعالى ، فسدا لذريعة امتهان ذكر الله تعالى منعنا التمائم من القرآن ، وحيث تبين لك وجه المنع من التمائم مطلقا قال الناظم بعدها (فامنع هديت قلائد الشيطان) وهذا وصف قوي ، لأن هذه المعلقات إنما هي من تسويل الشيطان ووسوسته وإملائه ، ومن تغريره وتزيينه للباطل ، وأذكر أن بعض أهل العلم الذين قرأت المنظومة عليهم أبوا هذا الوصف ، لأن من أهل العلم من قال بجوازها ، فوصفها بهذا الوصف القوي ليس كما ينبغي ، ولكن أبت نفسي أن تغيره ، لأنه وصف صادق على التعليق ذاته ، وكلام العلماء يستدل له لا يستدل به ، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا قول الشارع ، والعبرة بوصف الدليل لها ، فإن الدليل قد وصفها وحكم عليها بأنها من الشرك ، والشرك أبطل الباطل ، والباطل مرده إلى الشيطان ، والمهم أن هذا هو ما يتعلق بشرح الأبيات المذكورة ، والله أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

لا تذبحن تقربا وتعبدا إلا لربك لا لشيء ثاني

أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن الذبح قد قسمه أئمة الإسلام إلى أقسام :

الأول : ذبح يقصد الاستمتاع باللحم ، وهذا جائز لعموم قوله تعالى : ؟ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوها ومنها تأكلون ؟ وغير ذلك من الآيات ، وهذا القسم لا دخل له في العقيدة وإنما يتكلم عليه الأئمة الفقهاء في باب الزكاة ، والله أعلم .

الثاني : ذبح يقصد به إكرام الضيف ، كالذي يذبح في الأعراس ونحوها ، فهذا مأمور به أمر إيجاب في بعضه وأمر استحبابٍ في بعضه ومنه حديث : ((أولم ولو بشاة))(١٥٥) ، وحديث : ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))(١٥٦) ، وهذا أيضًا لا دخل له في الاعتقاد .

الثالث : وهو الخطير والأمر الكبير ، وهو الذبح للغير بقصد التقرب والتعبد للمذبوح له ، وهذا هو الطامة الكبرى والشرك الأكبر ، وهذا هو الذي يتكلم عليه علماء الاعتقاد ، ودليل ذلك قوله تعالى {فصل لربك وانحر}[الكوثر ٢] ، وقوله تعالى :{قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له

---

١٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله تعالى: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين} وقوله: {لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم} (٢٠٤٨، ٢٠٤٩) وفي كتاب مناقب الأنصار باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين، والأنصار (٣٧٨١) وفي كتاب أصحاب النبي ﷺ باب: كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه (٣٩٣٧) وفي كتاب النكاح باب قول الرجل لأخيه انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل لك عنها (٥٠٧٢) وفي كتاب النكاح باب الصفرة للمتزوج (٥١٥٣) وغيرها من المواضع ومسلم في صحيحه كتاب النكاح باب الصداق، وجواز كونه تعليم قرآن، وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير، واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به (١٤٢٧) من حديث حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، في قصة زواج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

١٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٨) وفي كتاب الأدب باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه (٦١٣٦، ٦١٣٨) وفي كتاب الرقاق باب حفظ اللسان (٦٤٧٥) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبذلك أمرت وأن أول المسلمين}[الأنعام ١٦٢] والذابح لغير الله ملعون كما في صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه قال : ((لعن رسول الله من ذبح لغير الله))(١٥٧) ، وعند أحمد في الزهد عن طارق بن شهاب، عن سلمان رضي الله عنه قال : ((قال دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب قالوا: وكيف ذلك؟ قال: " مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما: قرب قال: ليس عندي شيء فقالوا له: قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا، فخلوا سبيله " قال: " فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب ولو ذبابا قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل " قال: فضربوا عنقه قال: فدخل الجنة))(١٥٨) وقد انعقد الإجماع على الذبح لغير الله بنية التقرب والتعبد للمذبوح له شرك أكبر مخرج عن الملة بالكلية ، فالذبح لغير الله تعالى تعبد وتقربا لهذا الغير من جملة صرف العبادة لغير الله تعالى ،والمتقرر أن العبادة حق صرف محض لله تعالى لا تصرف لا لملك مقرب ولنبي مرسل ولا لولي صالح ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وهل بينت لنا الأمر بضرب أمثلة على الذبح لغير الله تعالى ؟ فأقول :ـ نعم ، والأمثلة كثيرة :ـ فمنها :ـ ما يذبحه عباد القبور إلى من يزعمون أنه من الأولياء والصالحين ، فترى الواحد - عافاهم الله من هذا البلاء - يأتي بالذبيحة من بهيمة الأنعام أو من الدجاج ونحو ذلك فيريق دمها على القبر أو قريبًا منه في المكان المخصص لذلك متقربًا بذلك لصاحب القبر .

ومن الأمثلة : ما يذبح عند السحرة أو بأمرهم لمن يخدمهم من الشياطين متقربين به إلى ذلك الشيطان ليحقق لهم بعض مقاصدهم .

ومن ذلك : الدماء التي تراق عند بعض الأشجار والأحجار المعظمة عند أهلها كما كان يفعل عند العزى واللات ومناة الثالثة الأخرى ، وكما كان يفعل كثير من

---

١٥٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (١٩٧٨).

١٥٨) صحيح إلى سلمان ﷺ.

أخرجه أحمد في الزهد (٨٤) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٠٣٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٦٢) وابن الأعرابي في معجمه (١٧٩٦) وأبي نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٠٣).

أهل هذه البلاد قبل انتشار هذه الدعوة المباركة المؤيدة من الله تعالى بالبرهان الساطع والسيف القاطع .

ومن ذلك : ما يذبح عند قدوم بعض الملوك على بعض فإنهم يذبحون في طريقه بعض بهيمة الأنعام ، وهذه الذبيحة محرمة على كل حال ، لكن إذا كان قصد ذابحها تعظيم المذبوح له والتقرب له فإنها تكون من الشرك الأكبر - والعياذ بالله - ومن ذلك : الذبيحة التي تسمى ذبيحة الصلح ، وهو أن بعض القبائل إذا أرادوا أن يصلحوا بين شخصين أو قبيلتين فإنهم يذبحون بعض بهيمة الأنعام أمام من يطلبون منه الصلح تعظيمًا له وتزلفًا إليه وتقربًا لديه ليرضى عنهم ، وهذه الذبيحة بهذا الاعتبار من الشرك الأكبر المخرج عن الملة - والعياذ بالله - ، وأما إن لم يكن قد صاحب ذلك قصد التعظيم والقربة فإنها محرمة فقط ، ولعل هذه الأمثلة كافية إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

واعلم رحمك الله تعالى أن ما أهل لغير الله تعالى فإنه ميتة ، لا يحل أكله ولا الانتفاع به بوجه من الوجوه ، بل الواجب إتلافه وإحراقه أو دفنه ، لأنه لحم خبيث فاسد نجس ، قال تعالى{ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون} ولا يجوز لولي الأمر أن يقر هذه الذبائح ، ولا أن يمكن أحدا في بلاده أن يذبح في المقابر ، والواجب على علماء الإسلام أن يبينوا للناس عقيدتهم ، وأن يوضحوا للناس أمور التوحيد ، وأن لا يحملنهم حب العاجلة على ترك الناس وشأنهم يتخبطون في عماية الجهالات ، والواجب على العامة أن يحرصوا على التفقه في دينهم عند أهل العلم المعروفين بالعلم والرسوخ فيه ، وأن لا تشغلنهم الدنيا وشهواتها على طلب العلم في الأمر الذي تتوقف عليه صحة عقيدتهم وعباداتهم ، والمهم أن الذبح بقصد التقرب والتعبد عبادة ، فلا يجوز صرفه لغير الله تعالى ، ومن ذبح تقربا وتعبدا لغير الله تعالى فقد كفر وخرج من الإسلام وخلع ربقة الدين من عنقه ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .فقول الناظم عفا الله عنه (تقربا وتعبدا) قيد رحمه الله تعالى الذبح لغير الله تعالى بكونه شركا ومنهيا عنه في حالة التعبد للغير

والتقرب له بهذا الذبح ، وذلك حتى يخرج الذبح بقصد إكرام الضيف أو لمجرد الاستمتاع باللحم ، والله أعلم .

*ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

لا تفعلن عبادة في بقعة   فعلت به للشرك والكفران

أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن الشريعة الإسلامية قد سدت جميع الطرق الموصلة إلى الشرك ، فلم يبق باب من الأبواب التي تفضي إليه إلا وقد أحكمت الشريعة سده ، ومن جملة الأبواب التي سدت هذا الباب ، فلا يحل لأحد من أهل الإسلام أن يفعل عبادة لله تعالى في مكان يقوم أهل الكفر فيه بفعل هذه العبادة لكن لغير الله تعالى ، فلا تجوز لهم مشاركتهم في هذا النوع من العبادات ، وهي مأخوذة من قول الشيخ : محمد في كتاب التوحيد (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) ودليل ذلك قوله تعالى : {لا تقم فيه أبدًا }(١٥٩) فإن المنافقين لما بنوا مسجد الضرار إرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل وتفريقًا بين المؤمنين أرادوا من رسول الله – ﷺ - أن يصلي فيه حتى يتخذوا صلاته فيه دعاية لهذا المسجد وشهرة له ، فقال عليه الصلاة والسلام سأفعل إن شاء الله ، فلما رجع من تبوك أنزل الله عليه آيات سورة التوبة في مسجد الضرار فأمر به فأحرق ، والشاهد أن الله تعالى نهى نبيه – ﷺ - أن يقوم في مسجد الضرار أي أن لا يصلي فيه مع أن صلاته – ﷺ - عبادة ؛ ذلك لأن هذا المكان تفعل فيه هذه العبادة لغير الله ، ويدل على ذلك أيضًا حديث ثابت بن الضحاك قال : (نذر رجل أن يذبح إبلاً ببوانة فسأل النبي – ﷺ - فقال : ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟)) . قالوا : لا . قال : ((هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟)) . قالوا : لا . فقال للرجل : ((فأوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم))(١٦٠) رواه أبو داود وسنده على شرطهما ، وهذا الحديث أقرب في الاستدلال

---

١٥٩) آنظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد (ص ١٥٩).

١٦٠) صحيح.

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (٣٣١٣) والطبراني في المعجم الكبير (١٣٤١) والبيهقي في السنن الصغرى (٣٢٢٣).

لهذه القاعدة من الآية ، ووجه الاستشهاد منه أن هذا الرجل حدد لنذره موقعًا محددًا ولا شك أن الوفاء بالنذر عبادة كما مضى لأنه يحبه الله ويرضاه وكل ما يحبه الله ويرضاه فهو عبادة ، فأراد النبي – ﷺ - أن يتأكد من سبب هذا التحديد خشية من الوقوع في الشرك وإحياء سنة الكفار من الأعياد والأوثان ، ومن المعلوم أن المشركين يريقون الدماء عند أوثانهم وكذلك يريقون الدماء في أعيادهم ، كما نحن نفعل من إراقة الدماء عند بيت الله الحرام وفي عيد الأضحى ، والمراد أن النبي – ﷺ - لما سئل هذه الأسئلة دل على أن الجواب يختلف باختلاف حال المكان وأن الجواب لو كان (بنعم) لكان جوابه بتحريم إقامة هذا النذر و لا شك ولو لم نعتقد ذلك لصار سؤاله – ﷺ - عبثا لا فائدة فيه ، وهذا واضح في صحة هذه القاعدة ،وهي وإن كانت في الذبح ، ولكن أنت خبير بأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما ، فحيث وجد الاشتراك في التعبد في الظاهر فالقول بالمنع هو الحق سدا لذريعة المشابهة في الظاهر ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، فإن قلت :ـ وما الحكمة من هذا المنع ؟فأقول :ـ إن الحكمة الأساسية من ذلك هو نهي الله ورسوله ﷺ ، فالمسلم يكفيه ذلك لكن يتفرع عن هذه الحكمة عدة مصالح أذكرها لك مختصرة :

فمنها : أن من مقاصد الشريعة سد ذريعة مشابهة المشركين فيما كان من عباداتهم وعاداتهم ، فمنعت الشريعة الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله سدًا لهذه الذريعة .

ومنها : أن من مقاصد الشريعة إخماد سنة الجاهلية وإبطال آثار الشرك والوثنية ، فسدًا لذريعة إحياء شيء من سننهم نهت الشريعة عن ذلك .

ومنها : أن الموافقة في الظاهر توجب توافقًا وتوادداً في الباطن ، ولذلك فنحن منهيون عن التشبه بهم حتى في طريقة ترجيل الشعر ولبس النعل والصلاة فيها وذلك حتى لا يحصل بيننا وبينهم أي توافق ظاهري فيؤدي ذلك إلى توافق باطني ، فسدًا لذريعة الموافقة في الباطن منعت الشريعة هذه الموافقة في الظاهر فنهت عن الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى .

من طريق داود بن رشيد عن شعيب بن إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك ﷺ.

ومنها : أن هذا أيضًا فيه سد الذريعة المفضية إلى الشرك .

ومنها : أن فيه تجنيب العبد مواضع الشرك التي عصي فيها الله تعالى ؛ لأنها أماكن قد حق العذاب فيها على أهلها فيخشى أن يصيبه معهم ، فنهي العبد عن فعل شيء فيها تجنيبًا له لأسباب الهلاك .فهذه بعض الحكم والمصالح المترتبة على ذلك ، والله أعلم .

*ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

والنذر حق خالص لله لا　　تصرفه للمخلوق كالأيمان

وعليك إتمام النذور بطاعة　　لله لا في النذر بالعصيان

أقول :ـ الكلام على هذه الأبيات في عدة مسائل :ـ

(المسألة الأولى) عرف العلماء النذر بأنه الإلزام .وشرعًا : إلزام المكلف نفسه شيئًا ليس بلازم له بأصل الشرع . وهو من جملة العبادات المقررة بالدليل ، وأما وجه كونه عبادة :فلأن الله امتدح الموفين به فقال في معرض مدحهم : {يوفون بالنذر}[الإنسان ٧] ، وقال تعالى{وما أنفقتم من نفقةٍ أو نذرتم من نذرٍ فإن الله يعلمه}[البقرة ٢٧٠] وفي الحديث : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه))(١٦١) ، فحيث امتدح الله الموفين به وأوجب إتمامه إن كان طاعة دل ذلك على أنه مما يحبه ويرضاه وكل شيء يحبه الله ويرضاه فهو عبادة .

وبناءً عليه : فمن نذر لغير الله تعالى فإنه يكون بذلك قد صرف عبادة لغير الله جل وعلا ومن صرف عبادة لغير الله فإنه مشرك الشرك الأكبر ، كالذين ينذرون للقبور والأموات والصالحين وبعض المغارات والكهوف والأشجار والأحجار المعظمة عندهم ، فإنهم بذلك قد وقعوا في الشرك ، ودليل ذلك ما مضى من إثبات كون النذر عبادة ، وكل دليل يدل على أن من صرف العبادة لغير الله فهو مشرك ، فإنه دليل على هذه المسألة ، والله أعلم .

---

١٦١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور باب النذر في الطاعة (٦٦٩٦) وفي كتاب الأيمان والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٦٧٠٠). من حديث عائشة ﵂.

فإن قيل :ـ وما الفرق بين نذر المعصية والنذر الشركي ؟ فأقول :ـ الفرق بينهما هو أن نذر المعصية أن يعقد النذر بالله تعالى ، ولكن يعقده على أمر محرم ، كأن يقول القائل :ـ نذر عليه لله أن يشرب الخمر ، أو يقطع رحمه ، أو يعق والديه ، وهكذا ، فهذا النذر ، ليس من قبيل نذر الشرك ، لأنه عقده بالله تعالى ، ولكنه من النذر المحرم ، لأنه عقده في أمر محرم في الشرع ، وأما النذر الشركي فهو أن يعقد النذر أصلا لغير الله تعالى ، فيقول مثلا :ـ نذر للبدوي ، أو نذر للولي الفلاني ، وهكذا ، فأنت ترى أنه لم يعقده بالله أصلا ، فهذا هو النذر الشركي ، وهناك فرق بينهما باعتبار الحكم وهو أن نذر المعصية يحكم على صاحبه بنقص الإيمان فقط ، لكنه لا يزال في دائرة الإسلام ، وأما النذر الشركي فإنه يحكم على صاحبه بأنه خارج من أصل الإسلام ، والله أعلم .

فإن قيل :ـ وهل في نذر الشرك كفارة ؟ فأقول :ـ نعم ، ولكن ليس طعاما يخرج ، ولا كسوة تلبس ، ولا عتق رقبة ، وإنما كفارته أن ينطق بالشهادتين ، لأنه بهذا النذر قد كفر وارتد ، فلزاما عليه أن ينطق بهما حتى يحكم له بالعودة إلى الإسلام مرة أخرى .

فإن قيل :ـ وهل في نذر المعصية كفارة ؟ فأقول :ـ أولا :ـ لا يجوز الوفاء بمقتضى هذا النذر بإجماع أهل العلم رحمهم الله تعالى ، لأن النبي ﷺ نهى عن الوفاء به كما في حديث عائشة رضي الله عنها ، ثم اختلفوا هل فيه كفارة؟ على قولين :ـ والراجح أن فيه كفارة ، وهي كفارة يمين ، أي كما تخرج الكفارة في اليمين فيجب عليك أن تخرج عن نذر المعصية كفارة ، لحديث " لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين"(١٦٢) وهو حديث صحيح ، والله أعلم .

---

١٦٢) ضعيف معلول.

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأيمان والنذور باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية (٣٢٩٠) والترمذي في سننه أبواب النذور والأيمان باب ما جاء عن رسول الله ﷺ أن لا نذر في معصية (١٥٢٤) وابن ماجة في سننه (٢١٢٥) والنسائي في سننه كتاب الأيمان والنذور كفارة النذر (٣٨٣٤، ٣٨٣٥، ٣٨٣٦، ٣٨٣٧، ٣٨٣٨) وأحمد في مسنده (٢٦٠٩٨) والطيالسي في مسنده (١٥٨٧) وأبو يعلى في مسنده (٤٧٨٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٠٥٩) من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها.

وهذا إسناد معلول أعله جمع من العلماء بإن ابن شهاب الزهري لم يسمع هذا الحديث خاصة من أبي سلمة بن عبد الرحمن.

وإليك أقوال أهل العلم في ذلك:

قال الترمذي في السنن عقب تخريجه لهذا الحديث: هذا حديث لا يصح، لأن الزهري لم يسمع هذا الحديث من أبي سلمة سمعت مُحمدا يقول روى غير واحد منهم: موسى بن عقبة، وابن أبي عتيق، عن الزهري، عن سليمان بن أرقم، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عائشة، عن النبي ﷺ. قال مُحمد: والحديث هو هذا حدثنا أبو إسماعيل الترمذي مُحمد بن إسماعيل بن يوسف قال: حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال قال: حدثنا أبو بكر بن أبي أويس، عن سليمان بن بلال، عن موسى بن عقبة، ومُحمد بن عبد الله بن أبي عتيق، عن الزهري، عن سليمان بن أرقم، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عائشة، أن النبي ﷺ قال: «لا نذر في معصية الله، وكفارته كفارة يمين»: هذا حديث غريب، وهو أصح من حديث أبي صفوان، عن يونس وأبو صفوان هو مكي واسمه عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، وقد روى عنه الحميدي، وغير واحد من أجلة أهل الحديث وقال قوم من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين وهو قول أحمد، وإسحاق، واحتجا بحديث الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: لا نذر في معصية ولا كفارة في ذلك وهو قول مالك والشافعي.

وقال الترمذي أيضا سألت مُحمدا(يقصد البخاري) عن هذا الحديث فقال روى ابن المبارك عن يونس عن الزهري قال أخبرت عن أبي سلمة عن عائشة وروى موسى بن عقبة وابن أبي عتيق عن الزهري عن سليمان بن أرقم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة قال مُحمد وسليمان بن أرقم متروك ذاهب الحديث. (العلل الكبير للترمذي ص ٢٥٠).

وقال أبو عبد الرحمن النسائي (سنن النسائي ٢٧/٧): «وقد قيل أن الزهري لم يسمع هذا من أبي سلمة».

وقال البيهقي (البيهقي في السنن الكبرى ١١٨/١٠): هذا الحديث لم يسمعه الزهري من أبي سلمة.

وقال البيهقي أيضا (معرفة السنن والأثار ١٩٩/١٤): فهذا حديث لم يسمعه الزهري من أبي سلمة، وإنما سمعه من سليمان بن أرقم، عن يحيى بن أبي كثير، وبمعناه رواه الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، كذلك رواه مُحمد بن أبي عتيق، وموسى بن عقبة، عن الزهري وسليمان بن الأرقم متروك.

وقال أبو جعفر الطحاوي (شرح مشكل الأثار٤٠٣/٥، ٤٠٤): وكان هذا الحديث شاذا لما قد ذكرناه من جنسه في الباب الأول ، غير أنا وجدناه فاسد الإسناد كما قد حدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال قال: حدثني أبو بكر بن أبي أويس ، عن سليمان بن بلال ، عن مُحمد بن أبي عتيق ، وموسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، عن سليمان بن أرقم ، عن يحيى بن أبي كثير الذي كان يسكن اليمامة حدثه أنه سمع أبا سلمة بن عبد الرحمن يخبر ، عن عائشة أنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: " لا نذر في معصية ، وكفارته كفارة يمين ". فعاد هذا الحديث إلى ابن شهاب ، عن سليمان بن أرقم ، وسليمان بن أرقم فليس ممن يقبل أهل الإسناد حديثه ، ولو كان هذا الحديث صحيحا ، لكان موافقا لما قد ذكرنا من جنسه في الباب الذي قبل هذا الباب ، والله نسأله التوفيق.

وقال أبو نعيم (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٩٠/٨): غريب من حديث الزهري عن أبي سلمة، بذكر الكفارة لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

فإن قيل :ـ وما النذر الذي يلزم الوفاء به ؟ فأقول :ـ هو نذر الطاعة ، كما قال عليه الصلاة والسلام " من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه " فنذر الطاعة يجب الوفاء به ، ما دام العبد قادرا على الوفاء به ، ولكن إن عجز عن الوفاء به العجز الحقيقي الذي لا تحايل فيه ، وكان عجزه في الحال والمآل فلا جرم أنه يقال بالكفارة هنا ، والله أعلم .

فإن قيل :ـ كيف يجتمع في النذر كونه منهيًا عنه وكونه عبادة ؟ أقول : هذا سؤال جيد وبيانه أن يقال : إننا ننظر إلى النذر من ثلاث جهات : الأولى : من جهة أصل الإيقاع أي إنشاؤه وابتداؤه ، فهذا هو الذي ورد النهي عنه كما في الحديث : نهى النبي ﷺ عن النذر وقال : ((إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل))(١٦٣) وهو في الصحيح .وهذا النهي إما للتحريم أو للكراهة والمقصود أن هذا

وقال الدارقطني (العلل ١٤/ ٣٠١) وسئل عن حديث أبي سلمة، عن عائشة، عن النبي ﷺ: لا نذر في معصية الله، وكفارته كفارة يمين. فقال: يرويه الزهري، واختلف عنه؛ فرواه عقيل، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة.

واختلف عن يونس فرواه ابن المبارك، وابن وهب، وعثمان بن عمر، عن يونس، عن الزهري، عن أبي سلمة وقال أبو ضمرة: عن يونس، عن ابن شهاب، قال: حدث أبو سلمة. ورواه مُحَمَّد بن أبي عتيق، وموسى بن عقبة، عن الزهري، عن سليمان بن أرقم، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عائشة. ورواه زيد بن مسروق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة وقال الزبيدي: عن الزهري، عن القاسم، عن عائشة وكذلك قال مروان بن بشير، عن الأوزاعي، عن الزهري والصحيح حديث ابن أبي عتيق، وموسى بن عقبة، عن الزهري. إنتهى كلام الأئمة رحمهم الله.

قلت: أما الإسناد الذي أعل العلماء هذا الحديث به.

فقد أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأيمان والنذور باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية (٣٢٩٢) والترمذي في سننه أبواب النذور والأيمان باب ما جاء عن رسول الله ﷺ أن لا نذر في معصية (١٥٢٥) والنسائي في سننه كتاب الأيمان والنذور باب كفارة النذر (٣٨٣٩) والطحاوي في شرح مشكل الأثار (٢١٥٩) وفي شرح معاني الأثار له (٤٨١٣) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٦٠٤) والبيهقي في معرفة السنن والأثار (١٩٦٥٠) من طريق سليمان بن بلال، عن موسى بن عقبة ومُحَمَّد بن عبد الله بن أبي عتيق عن الزهري عن سليمان بن أرقم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها.

وهذا إسناد ضعيف جدا، سليمان بن أرقم "ضعيف جدا". هذا والله أعلى وأعلم.

١٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب القدر باب إلقاء النذر العبد إلى القدر (٦٦٠٨) وفي كتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر (٦٦٩٢، ٦٦٩٣) ومسلم في صحيحه كتاب النذر باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا (١٦٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

النهي عن ابتداء النذر فقط أي عن إيقاعه ، لكن المكلف يتعبد لله أنه إن عقده فلا يعقده إلا بالله جل وعلا ، فهو بهذا الاعتبار مأجور. وهو الثاني: أي باعتبار عقده لله تعالى، وهو متعبد أيضًا بالوفاء به، وهي الجهة الثالثة ، فصارت ثلاث جهات ، وأعيدها مختصرة :

الأولى : باعتبار ابتدائه منهي عنه ، وباعتبار عقده لله تعالى فهو مثاب على ذلك مأجور عليه ، وباعتبار الوفاء به مثاب أيضًا ومأجور ، فلا اختلاف ولا تناقض ؛ لأن جهة النهي منفكة ومتعلقها مختلف عن الجهتين الأخيرتين ، والله أعلم .

فقول الناظم (والنذر) عبادة من جملة العبادات ، فهو (حق) محض (خالص لله) لا شريك له معه فيه ، لأنه عبادة والعبادات كلها حق لله تعالى ، لا تصرف لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح ، ولذلك قال (لا) وهي لا الناهية ، (تصرفه للمخلوق) أيا كان هذا المخلوق ، كبيرا أو صغيرا ، ملكا أو بشرا ، حيا أو ميتا ، صالحا أو طالحا ، (كالأيمان) أي كالحلف ، فإنه عبادة لله تعالى ، فلا يجوز الحلف بغيره جل وعلا ، لأن النذر نوع من الحلف ، ولكنه آكد منه ، فكلاهما عبادتان لا يجوز صرفهما لغير الله تعالى ، (وعليك) أيها المؤمن الموحد المعظم لحرمات الله تعالى ولشعائره (إتمام النذور) إن عقدتها (بطاعة لله) أي على فعل طاعة والقربة لله تعالى ، وأما إن نذرت فعل محرم فاعلم أنه (لا) يجوز الوفاء (في) حال (النذر بالعصيان) كما مثلت لك سابقا ، والله أعلم

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

والسحر شرك والسواحر حدهم قطع الرقاب بضربة بسنان

وكذلك الكهان فاحذر منهم لا تأتهم فهم الحطيط الداني

فلئن أتيت مصدقا فالكفر أو ذهبت صلاتك أجرها مائتان

لا تبطلن هديت سحرا يا فتى بالسحر ذلك نشرة الشيطان

بل بالقرآن وما يباح من الدعا فهي الشفاء بقدرة المنان

أقول :ـ الكلام على هذه الأبيات في عدة مسائل :ـ

(المسألة الأولى) عرف العلماء السحر لغة : بأنه ما خفي ولطف سببه .وعرفوه اصطلاحًا بقولهم : عزائم ورقي وكلام يتكلم به وأدوية وتدخينات وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيحرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، وهو أكثره ، والله أعلم .

(المسألة الثانية) وأما حكمه : فاعلم أن السحر محرم في جميع شرائع الرسل عليهم السلام وقد تقدم لنا في النواقض أنه من جملة المكفرات ؛ ذلك لأن الساحر لا يمكن أبدًا أن تعينه الشياطين على مراده إلا بعد أن يتقرب لها بما تحب من ذبح دينه بالذبح لهم أو إهانة المصحف ورميه في البالوعة أو وضعه مع النفايات أو سب الله تعالى وسب رسوله ﷺ ونحو ذلك، ولا يستريب عاقل أنها لا تخدمه لسواد عينيه ، ولذلك قال تعالى: {وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر}[البقرة ١٠٢] فبان بذلك أن تعلمه وتعليمه والعمل به كفر ، وقال تعالى :{ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق}[البقرة ١٠٢] وهذا نكرة في سياق النفي والخلاق هو الحظ والنصيب وقد نفي النفي المطلق فدل ذلك على أنه لا يبقى معه مطلق الإيمان ومن خرج من مطلق الإسلام فإنه يكون كافرًا وهذا واضح . فالسحر من أنواع الشرك إذ لا يأتي السحر بدون الشرك ، نعم ، لو سمي بعض الأفعال التي لا تتعلق بالشياطين ولا بأعمال الجن ونحو ذلك مما لا شأن له بالشياطين ، لو سمي شيء من ذلك سحرا ، فإنه ليس من السحر الذي يخرج عن الملة ، لخلوه عن السبب الذي من أجله كفرنا الساحر ، ولكن السحر شرعا ، أي أن حقيقة السحر الشرعية إنما يراد بها السحر الذي يكون فيه الكفر بفعل ما يوجب الكفر من سب الله أو النبي ﷺ ، أو إهانة المصحف بالأفعال المعلومة عندهم ، أو سب الدين أو السجود للجن والشياطين ، والركوع لهم ، أو استحلال ما علمت حرمته من الدين بالضرورة ، كالزنا وشرب الخمر وترك الصلوات ونحوها ، فالسحر إن أطلق في الشرع فإنه لا يراد به مجرد أفعال لا تعلق لها بالشياطين ، بل لا يراد به إلا ما ذكرته لك قبل قليل ، ولذلك فأقول :ـ السحر له حقيقتان ، حقيقة لغوية ،وحقيقة شرعية ، فالحقيقة اللغوية كعادتها أوسع من الحقيقة الشرعية ، فقد يدخل في أنواع السحر ما يصدق عليه بأنه سحر ولكن على مقتضى الحقيقة اللغوية ، لا بالحقيقة الشرعية ، ولذلك فإنه من باب إبراء الذمة فإنه إن تم القبض

على الساحر فإننا نقول له :ــ صف لنا سحرك ، فإن وصف لنا ما يوجب الكفر والوقوع في الردة ، حكمنا بكفره وردته ، وقتلناه قتل ردة ، وأما إن وصف لنا ما لا يدخل في حقيقة السحر الشرعية من خفة اليد ومخادعة العيون ببعض الحركات ، والتي لا تعلق لها بفعل الجن ولا بالوقوع في شيء يوجب الردة فإنه لا يكفر ، والمهم أن الساحر إن وصف من سحره ما يوجب كفره وردته فهو الكافر المشرك المرتد ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى (أكثر العلماء على أن الساحر كافر)(١٦٤) وهو قول جمهور أهل العلم رحمهم الله تعالى من المالكية والحنفية والحنابلة ، وذهب الشافعي -رحمه الله- إلى أنه إذا تعلم السحر، يقال له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يستوجب الكفر -مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها-؛ فهو كافر، وإن كان لا يصل إلى حد الكفر واعتقد إباحته، فهو كافر لاستحلاله المحرم، وإلا؛ فلا ، وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: "التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل: فإن كان السحر مما يُعظم فيه غير الله، كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدَّى إلى الكفر؛ فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة؛ فإنه كفر بلا نزاع؛ كما دل عليه قوله -تعالى-: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} وقوله -تعالى-:{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ} وقوله تعالى{وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} وقوله تعالى{وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}وإن كان السحر لا يقتضي الكفر؛ كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها؛ فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر. وهذا هو التحقيق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء)(١٦٥)اهـ كلامه رحمه الله. وقد ذكر بعض أهل العلم رحمهم الله تعالى أن السحر أربعة صنوف :الأول : ما يكون من التنجيم ، وهو ما يكون من النظر في أحوال النجوم ، يدرَك به بعضُ ما يقع في الأرض زعما .

---

١٦٤) آنظر مجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٨٤).

١٦٥) آنظر أضواء البيان (٤/ ٥٠).

والثاني : ما يكون من الحيلة ؛ كتعلم السيميا ، والكيميا مما يدعي البعض أنه يحول التراب إلى ذهب .والثالث : ما يكون من الحيل التي يعتمد فيها من يفعل ذلك على بعض الظواهر الطبيعية ؛ كأشعة الشمس ، وتغير الألوان ، وخفة اليد ، والمغنطيسية ، وما شابه .والرابع - وهو أشدها وأفحشها ، وهو ما لا بد أن يقع فيه شرك - : وهو ما يكون من تسخير الجن ، لكي تَسْحَرَ أعين الناس ، وتحول الأشياء من حيث صورتها على غير ما يراها الرائي، أو بحيث أنها تؤثر في نفس من سُلِّطَتْ عليه ؛ بالمس ، أو اللبس ، أو بالأز ، أو ما شابه ، ثم أقول :ـ واعلم أن الساحر على كلا الحالتين يجب قتله على القول الصحيح، لأنه مفسد في الأرض، يفرق بين المرء وزوجه، وبقاؤه على وجه الأرض فيه خطر كبير وفساد عظيم على الأفراد والمجتمعات ففي قتله قطع لفساده وإراحة للعباد والبلاد من خبثه، وسيأتي إن شاء الله أنه ليس بين الصحابة اختلاف في قتل الساحر.

(المسألة الثالثة) اعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى متفقون على أن السحر له حقيقة ، فمنه ما يقتل ، ومنه ما يصيب بالأمراض والجنون ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ، وهو أكثره ـ كما أسلفت ـ وهذا القول هو الحق الذي لا ينبغي الخلاف فيه نومن قال بغير هذا فقد خرج عن مذهب أهل السنة في هذه المسألة ، لأن القول بأنه لا حقيقة هو مذهب المعتزلة وغيرهم من أهل البدع ، ولكن وإن قلنا إن السحر له حقيقة ، فإننا نجرم ونؤمن الإيمان القطعي بأن تأثيره لا يكون إلا بإذن الله تعالى الكوني القدري ، كما قال تعالى{وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله}[البقرة ١٠٢] فإن قلت :ـ وما الدليل على أن السحر له حقيقة؟ فأقول :ـ الأدلة على ذلك كثيرة :ـ

فمنها :ـ قوله تعالى{قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد}[الفلق] فقد أمر النبي ﷺ بأن يستعيذ من شر النفاثات في العقد وهن السواحر اللاتي ينفثن في العقد ، وكيف يستعيذ مما لا حقيقة له ، فلما أمر بالاستعاذة منه دل على أن له حقيقة يستعاذ من شرها ،

ومنها :ـ قوله تعالى{وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر}[البقرة ١٠٢] فأثبتت هذه الآية أنه ما يتعلم ويعلم وهذا يدل على أن له حقيقة .

ومنها :ـ قوله تعالى{فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه}[البقرة ١٠٢] وهذا التفريق حقيقة فهو أثر حسي مشاهد وهو بسبب السحر ، فدل على أن له حقيقة ، فهذا التفريق الحاصل بين الزوجين بسبب السحر إنما هو عمل الشياطين التي تطيع السحرة .

ومنها :ـ ما في الصحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : (سحر النبي ﷺ يهودي من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ...)(١٦٦) الحديث ، وفيه أن النبي ﷺ قال لما حل عنه : ((إن الله شفاني)) ، والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض ، فدل على أن له حقيقة وأنه يوجب المرض - بإذن الله تعالى - ، ومنها :ـ ما وقع من السحر لاثنتين من أمهات المؤمنين ، عائشة وحفصة - رضي الله عنهما - ، أما حديث عائشة ففيه : أنها اشتكت فطال شكواها فقدم إنسان المدينة يتطبب فذهبا بنوا أخيها يسألونه عن وجعها ، فقال : والله إنكم تنعتون امرأة مطبوبة ، قال : هذه امرأة مسحورة سحرتها جارية لها . قالت : نعم أردت أن

---

١٦٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٦٨) وفي صحيحه كتاب الطب باب السحر (٥٧٦٦، ٥٧٦٣) وفي كتاب الطب باب هل يستخرج السحر (٥٧٦٥) وفي كتاب الأدب باب قول الله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون} (٦٠٦٣) وفي كتاب الدعوات باب تكرير الدعاء (٦٣٩١) ومسلم في صحيحه كتاب السلام باب السحر (٢١٨٩).

فائدة: (سحر رسول الله ﷺ يهودي) قال الإمام المازري رحمه الله مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه فإحالة كونه من الحقائق محال ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين القوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر قال وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذي ادعاه بعض المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل قال القاضي عياض وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة على السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده ويكون معنى قوله في الحديث حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن (ويروي يخيل إليه) أن يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور (مطبوب) المطبوب المسحور يقال طب الرجل إذا سحر فكنوا بالطب عن السحر كما كنوا بالسليم عن اللديغ.

تموتي فأعتق . قال : وكانت مديرة ، قالت عائشة : - رضي الله عنها - : (بيعوها في أشد العرب ملكة واجعلوا ثمنها في مثلها)(١٦٧) رواه أحمد في المسند . وقال الهيثمي في المجمع : رجال أحمد رجال الصحيح .وأما حديث حفصة فقد رواه مالك في الموطأ أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ؟ قتلت جارية لها سحرتها وكانت مديرة فأمرت بها فقتلت(١٦٨) . ومن الأدلة أيضًا:ـ الواقع ، فإننا لا نزال نشاهد المسحور يمرض ويموت ويجن ويطلق زوجته وعند القراءة عليه يصرخ ويتصرف تصرف المجانين ويزبد ويتقيأ وغير ذلك من الأعراض التي سببها السحر فكيف يقال بعد ذلك لا حقيقة له . ومن الأدلة على ذلك أيضًا:ـ إجماع أهل السنة على ذلك ، ولا عبرة بخلاف غيرهم ، فلا يغرنك تمويه صاحب الكشاف فإنه كسرة من كسر المعتزلة أعطاه الله بلاغة ومنطقًا حسنًا فسخره في مخالفة المنهج الحق ، فاحذره واحذر تفسيره فهذا فإنه يريد به نصر منهجه الاعتزالي ؛ لأن المعتزلة يعتقدون أن السحر إنما هو خيالات وانفعالات لا حقيقة لها ، وهم بهذا قد سحرهم إبليس بشبهه ونفث في روعهم لمن كيره الخبيث وغرهم بغروره وتزيينه وتلبيسه عليهم ، فالزم جادة الحق واستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) واعلم رحمك الله تعالى أن الساحر إن ثبت عليه السحر بالطريق المعتبر عند الحاكم فإنه يجب قتله ، فإن كان ما جاء به من السحر يوجب الكفر فيكون قتله قتل ردة ، وإن كان ما جاء به من السحر لا يوجب الكفر فيكون قتله قتل تعزير وحد ، فقد روى الترمذي والبيهقي والحاكم من حديث جندب مرفوعًا : ((حد الساحر ضربة بالسيف))(١٦٩) ، وقال الترمذي : الصحيح أنه

---

١٦٧) صحيح.
أخرجه أحمد المسند (٢٤١٢٦) والبخاري في الأدب المفرد (١٦٢) وعبد الرزاق في المصنف (١٦٦٦٧،١٨٧٤٩،١٨٧٥٠) والدارقطني في سننه (٤٢٦٧) والحاكم في المستدرك (٧٥١٦) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥٠٦،٢١٥٦٢) وفي معرفة السنن والأثار له (٢٠٥٩٧،٢٠٥٩٨).

١٦٨) أخرجه مالك في الموطأ (٣٢٤٧) عن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه: أن حفصة زوج النبي ﷺ ....الأثر.

١٦٩) ضعيف جدا.

موقوف . قلت : ومع ذلك فله حكم الرفع ؛ لأنه لا يضح أن يقال بالرأي ، وجندب هذا لا يعرف بالأخذ عن أهل الكتاب ، وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : ((أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة)) ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر (١٧٠)، وصح عن حفصة - رضي الله عنها - أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت(١٧١) . ولذلك قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : ((عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ)) اهـ . أي صح قتله عن هؤلاء الثلاثة ولا يعرف

التعليق [s2]: قلت: أصل الأثر في صحيح البخاري وليس فيه موطن الشاهد. قال البخاري رحمه الله حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: سمعت عمرا، قال: كنت جالسا مع جابر بن زيد، وعمرو بن أوس فحدثهما بجالة، - سنة سبعين، عام حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة عند درج زمزم -، قال: كنت كاتبا لجزء بن معاوية، عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة، فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس، حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر" (صحيح البخاري ٣١٥٦).

أخرجه الترمذي في سننه أبواب الحدود عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في حد الساحر (١٤٦٠) والدارقطني في سننه (٣٢٠٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٦٦٥، ١٦٦٦) والحاكم في المستدرك (٨٠٧٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥٠٠) وابن قانع في معجم الصحابة (١/ ١٤٤) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (١/ ٤٨٥). من طريق أبو معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن جندب ﷺ.

قال الترمذي في السنن بعد إخراج الحديث: هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال: وكيع هو ثقة ويروي عن الحسن أيضا، والصحيح عن جندب موقوفا والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس وقال الشافعي: " إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملا دون الكفر فلم نر عليه قتلا.

وقال في (العلل الكبير ١/ ٢٣٧) سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال: هذا لا شيء ، وإنما رواه إسماعيل بن مسلم وضعف إسماعيل بن مسلم المكي جدا.

وقال بابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٣/ ١٢٤١) حديث: حد الساحر ضربة بالسيف. رواه إسماعيل بن مسلم: عن الحسن، عن جندب. وإسماعيل متروك الحديث.

١٧٠) صحيح.

أخرجه أبي داود في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أخذ الجزية من المجوس (٣٠٤٣) وأحمد في المسند (١٦٥٧) وأبي يعلى في مسنده (٨٦٠، ٨٦١) والبزار في مسنده (١٠٦٠) وابن الجارود في المنتقى (١١٠٥) وسعيد بن منصور في سننه (٢١٨٠، ٢١٨١، ٢١٨٢) وعبد الرزاق في مصنفه (٩٩٧٢، ١٨٧٤٦، ١٩٣٩٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٩٨٢، ٣٢٦٥٢، ٣٢٦٥٤) والدارقطني في سننه (٢١٤١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٤٩٨، ١٧١٢٢، ١٨٦٥٢) وفي معرفة السنن والأثار (١٦٤٥٦) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن بجالة بن عبدة يقول: كنت كاتبا لجزء بن معاوية – عم الأحنف بن قيس – فأتانا كتاب عمر قبل موته بسنة ..... الأثر.

١٧١) صحيح.

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٩١٢، ٢٨٩٨٠) وعبد الله بن وهب في جامعه (٤٩٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٤٩٩) من طريق عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر ﷺ.

وهذا إسناد صحيح.

لهم مخالف ، وقد فصلنا لك القول في هذه الآثار في المسألة قبلها ، بل عليه عمل المسلمين إلى يومنا هذا ، فلا تزال الدولة السعودية زادها الله شرفًا ورفعة تفرح قلوبنا بقتلهم فإنهم الثلة المفسدة أشد الفساد ، وما تقرب لله تعالى بمثل قتل هؤلاء المفسدين ، أسأل الله بعزته وقوته أن يحفظنا منهم وأن يمكن يد السلطة منهم وأن يهلكهم عن بكرة أبيهم ، والله أعلم .

(المسألة الخامسة) إن قيل :ـ وكيف العصمة من شر هذه الطائفة المفسدة ؟

فأقول :ـ الاعتصام من شرهم يكون بأمور :

الأول : صدق اللجأ إلى الله تعالى بالاستعاذة منهم والإكثار من ذلك ، فإن هذه الطائفة الخبيثة يستعينون على تحقيق شرهم بمن يرانا ولا نراه وهم الشياطين فاستعذ منهم بمن يراهم ولا يرونه وحسبك به كفيلاً ونصيرًا ومعاذًا وسندًا وملجأً ، فلا تتعده وتقرب إليه ما استطعت بفعل أوامره واجتناب مناهيه .

الثاني : الحرص التام على الأذكار المشروعة والأوراد النبوية في كل شئونك في صباحك ومسائك ، وعند نومك ، ولبسك لثوبك ، وعند دخول الخلاء ، وعند دخولك لبيتك والخروج منه ، وهي أذكار يسيرة جدًا ومتوفرة بكثرة وأثرها فعال جدًا ، وأوصيك بقراءة حصن المسلم فإنه كتاب نافع سهل خفيف المحمل .

الثالث : قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة ، وعند النوم ، فإن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح كما في الحديث .

الرابع : الحرص على قيام الليل والوتر ، فإنه حصن للمسلم سائر يومه .

الخامس : تعلم حكمه وبعض أنواعه لاتقائها وتعليم من حولك خطره وشيئًا من مسائله .

السادس : تحصين البيت بالإكثار من قراءة القرآن فيه وخصوصًا سورة البقرة ، فإن الحديث أثبت أن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، وكذلك بالصلاة النافلة فيه حتى لا يكون كالمقابر كما في حديث : ((اجعلوا من صلاتكم

في بيوتكم ولا تجعلوها قبورًا))(١٧٢) مع إخراج الصور ذات الأرواح منه حتى تدخله الملائكة - عصمنا الله وإياك من شرها - وهو أعلى وأعلم .

(المسألة السادسة) فإن قلت :ــ وما الواجب علينا تجاه هذه الطائفة ؟ فأقول :ــ

الواجب علينا تجاههم بذل النصيحة لهم وتحذيرهم من هذا المنكر العظيم وتخويفهم من مغبة ذلك في الدنيا والآخرة ، ومن علم منهم ولم يرتدع بالنصح فالواجب الأخذ على يديه ؛ لأنه من أنصار الشيطان الرجيم ورفع أمره إلى ولاة الأمر ليقيموا عليه حكم الله فيه ، مع الحرص على إثبات ذلك عليه بالدلائل القطعية ، ولكن ننبه على أمرٍ مهم وهو أنه ينبغي لإخواننا القراء ألا يصدقوا أخبار الشياطين على أحدٍ بأنه ساحر أو أنه المتسبب في السحر ؛ لأن أخبارهم كذب ومن مقاصدهم بث البغضاء والتقاطع والتدابر وإفساد ذات البين ، فالمرجو من القراء ألا يفتحوا مجالاً لهم باتهام أحدٍ وأن يبادروا بتكذيب الشياطين الذي يتكلم على لسان الإنسي ، فكم من الأواصر التي بترت ومن القرابات التي تفرقت بسبب هذه الأخبار التي يقولها هؤلاء الدجالون الأفاكون ، والله أعلم .

(المسألة السابعة) فإن قلت :ــ وما الحكم لو طلق إنسان زوجته بسبب السحر؟

فأقول : لقد ثبت بالأدلة أن الأحكام التكليفية لا تثبت إلا بعقل وفهم خطاب واختيار ، وضد الاختيار الإكراه ، فإذا ثبت بشهادة العدول من القراء أو غيرهم أن فلانًا قد سحر وأن مقصود السحر التفريق بينه وبين زوجته فإنه لا يقع الطلاق في هذه الحالة ؛ لأنه مكره عليه ، والمكره ليس بمكلف شرعًا ، واختاره شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - فإنه قال في الاختيارات : ((ومن سحر ليطلق فإكراه)) وعلى القاضي أن يتثبت من ذلك حتى لا يوقع طلاق من لا يقع طلاقه شرعًا فيكون محققًا مقصود الشيطان ، والله أعلم .

---

١٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب كراهية الصلاة في المقابر (٤٣٢) وفي كتاب التهجد باب التطوع في البيت (١١٨٧) ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد (٧٧٧) من حديث ابن عمر ﷺ.

(المسألة الثامنة) فإن قلت :ـ وما الحكم في توبة الساحر فيما لو تاب ؟ فأقول :ـ
أما إن تاب بعد القدرة عليه فالواجب على ولاة الأمر تنفيذ حكم الله تعالى فيه هو القتل ،وأمر توبته تكون فيما بينه وبين الله تعالى ، وأما فيما بيننا وبينه فالواجب علينا قتله ، وأما إن تاب قبل القدرة عليه فاعلم إن السحر لا يعدو أن يكون ذنبًا من الذنوب ، وقد وردت الأدلة المتواترة من الكتاب والسنة أن من وقع في ذنب وتاب منه أنه مغفور له إذا كانت التوبة نصوحًا ، قال تعالى{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الفرقان: ٧٠] وقال تعالى{قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣]وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((ويتوب الله على من تاب))(١٧٣) . وقال تعالى فيمن قال {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: ١٧] وقال{إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ } [المائدة: ٧٣]فقال لهؤلاء{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٧٤] وفي الحديث : ((والتوبة تجب ما كان قبلها)) (١٧٤) ، وقال تعالى{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١٧٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المَالِ (٦٤٣٦)- (٦٤٣٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ لَابْتَغَى ثَالِثًا (١٠٤٨).

(١٧٤) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٧٧٧)، (١٧٨١٣)، (١٧٨٢٧)، والحارث ابن أبي أسامة في مسنده (١٠٢٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٧)، والطبراني في الأحاديث الطوال (١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٢٩٠)،

من حديث عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ، به. بلفظ: الإسلام يجب ما كان قبله.

ومدار الحديث على يزيد بن أبي حبيب، وهو ثقة ثبت،

فمرة رواه عن سويد بن قيس، عن قيس بن سمي،

ومرة رواه عن ابن شماسة،

ومرة عن راشد، مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس،

ثلاثتهم – قيس بن سمي، وحبيب بن أبي أوس، وابن شماسة– عن عمرو بن العاص ﷺ، عن النبي ﷺ، به.

فحبيب بن أبي أوس، مجهول،

وقيس بن سمي، وهو وإن كان له إدراك كما قال ابن حجر في الإصابة، إلا أن في السند إليه ابن لهيعة، وهو ضعيف،

أما عبد الرحمن بن شماسة، فهو ثقة، والسند إليه صحيح، وقد أخرج مسلم لابن شماسة،

فالحديث صحيح، بهذا السند، والطرق الأخرى تتقوى به، والله أعلم.

إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ } [الأنفال: ٣٨] وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قصة توبة سحرة فرعون في مواضع كثيرة ، مما يدل على أن الساحر إن تاب التوبة الصادقة فإنه يكف عنه ، فلا ينبغي أن ييأس الساحر من رحمة الله أو يقنط منها ، فإذا ظهرت مخايل التوبة النصوح منه فإنه يكف عنه وأمره إلى الله تعالى ، وإذا رأى الحاكم أو نائبه أنه يقتل لعدم ثبوت توبته عنده أو وجود القرينة التي تكذب دعواه للتوبة فله ذلك وأمره في الآخرة إلى الله تعالى .

(المسألة التاسعة) فإن قلت :ـ وما الطرق التي يثبت بها جناية الساحر على النفس أو ما دونها ؟ فأقول :ـ الطرق التي يحصل بها ذلك هي ما يلي :

الأول : الإقرار ، أي أن يأتي الساحر ويقر أنه هو الذي قتل فلانًا أو أصاب فلانًا بهذه الجناية بالسحر ، فإذا توفرت شروط الإقرار فإنه يؤخذ به ويثبت شرعًا ما يثبت في مثل هذه الجناية .

الثاني : الشهادة ، أي أن يشهد رجلان عدلان قد توفرت فيهما شروط الشهادة أن فلانًا ساحر ، وهذا قول الجمهور خلافًا لمذهب الشافعية ، ولكن الحق هو قول الجمهور وذلك للأدلة الواردة في إثبات أن الشهادة طريق من طرق إثبات الجناية ، فقواعد الشريعة تقتضي العمل بالشهادة في الإثبات فهي طريق صالح للإثبات ولا ريب ، لكن لابد أن تكون شهادة مفسرة تصف الحال بدقة ولا تدع مجالاً للريبة والشك وأن تكون ممن تعتد شهادتهم شرعًا ، وهذان الطريقان لا إشكال فيهما .

وبقي طريق ثالث اشتد فيه الخلاف وهو إثباته عن طريق الاشتهار والاستفاضة ، أي إذا استفاض بين الناس أن فلانًا ساحر فهل يؤخذ بها أم لا ؟ أقول : التحقيق في هذا أنه لا يؤخذ بها فورًا ، بل تجعل هذه الاستفاضة كالقرينة التي تضع علامات استفهام على هذا الرجل لينظر في حاله ويراقب عن كثبٍ ويتحقق منها ، فإذا ثبت ذلك عليه أخذ وإلا فليس كل ما استفاض بين الناس يكون صحيحًا ، والله أعلم.

(المسألة العاشرة) فإن قلت :ـ وهل قول النبي ﷺ في الحديث " إن من البيان لسحرا (١٧٥)" هل هو من قبيل المدح أم من قبيل الذم ؟ فأقول :ـ كيف يكون مدحًا وقد جعله من السحر ، بل هو ذم لا مدح ، فإن البيان والفصاحة وحسن تصفيف الكلام إذا كان مفضٍ إلى جعل الحق باطلاً والباطل حقًا ، فإن صاحبه مذموم ؛ لأنه يعمل عمل الساحر الذي يخيل على الناس ، وهذا كمن أوتي بلاغة وفصاحة فسخرها في قلب الحقائق وتزيين الباطل وتشويه صورة الحق ، كمن يمتدح بالخمر بالأبيات المقفاة الموزونة ، أو يتغزل بنساء المسلمين بالعبارات الجذابة البراقة الخادعة ، أو يظهر نفي الصفات في صورة التنزيه ، أو يجعل التحريف والإلحاد تأويلاً ويسميه بغير اسمه لتقبله النفوس ، أو يسمى اختلاط الرجال بالنساء في دور التعليم تقدمًا وحضارة ، أو يعبر عن ترك النساء للحجاب وتمردهن على تعاليم الشريعة تحريرًا لها من رق العبودية وسلاطة الرجال ، وما أكثر أهل هذا البيان ، نعوذ بالله من حالهم وكفانا شرورهم ، ولذلك جعل الشيخ محمد - رحمه الله تعالى - هذا البيان نوعًا من أنواع السحر ، وهذا دليل على أنه مذموم ، والله أعلم .

(المسألة الحادية عشرة) فإن قلت :ـ لقد جعل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد النميمة نوعا من أنواع السحر(١٧٦) فما وجه ذلك ؟ فأقول :ـ

هذا من دقيق فهم السلف - رحمهم الله تعالى - فإن مقصود الساحر هو التفريق والإفساد ، والنمام يفعل هذا الفعل تمامًا ، بل وأعظم ، فكم من بيوت تفرق أفرادها بسبب نميمة ، وكم من محبة انقلبت عداوة بسبب نميمة ، وكم من نفس قتلت بغير حق بسبب نميمة ، وكم من قرب تحول بعدًا بسبب نميمة ، وكم من خلةٍ انقلبت حقدًا وكرهًا بسبب نميمة ، وهذا هو شأن الساحر لكنه لا يكفر بذلك ؛ لأنه لم يفعل كفرًا كالساحر ولكنه فعل كبيرة من الكبائر ، قال - عليه الصلاة والسلام - : ((لا

---

(١٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب الخطبة (٥١٤٦)، وفي كتاب الطب، بَابٌ: إِنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرًا (٥٧٦٧).

(١٧٦) كتاب التوحيد (١/ ٣٨).

يدخل الجنة قتات)) (١٧٧) ، وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((ألا أنبئكم ما العضه ، هي النميمة القالة بين الناس)) (١٧٨)، فنعوذ بالله منها ونسأله جل وعلا أن يعصم ألسنتنا منها ، والله أعلم .

(المسألة الثانية عشرة) فإن قلت :ـ وما الطرق التي يحل بها السحر؟ فأقول : حل السحر عن المسحور هي التي يسميها العلماء بالنشرة ، وهي قسمان كما ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : الأول : حل السحر بالقراءة الشرعية والأدعية الصحيحة ، وهذا هو المشروع ، بل لا يجوز حله إلا بذلك ويدخل في ذلك ضمنًا أن يعرف مكان السحر فيحل أو يحرق ، كما فعل بسحر النبي ﷺ فإن جبريل - عليه الصلاة والسلام - قد رقاه بقوله : ((باسم الله أرقيك من كل داءٍ يؤذيك من كل شر أو عين حاسد الله يبريك باسم الله أرقيك)) (١٧٩) ، فنعم القارئ ونعم المقروء عليه ، وقد رأى النبي ﷺ مكان سحره في منامه - ورؤيا الأنبياء حق - وأرسل من يأتي به فحلوه فقام كأنما نشط من عقال ، وحينئذٍ فنقول : إذا تكررت الرؤيا على المسحور أو غيره أن سحره في مكان ما فلا بأس بأن يستبرئه أو أخبره الشيطان الذي يخدم السحر بمكان وتكرر منه ذلك فلا بأس من استبرائه ما لم يكن في ذلك مفسدة خالصة أو راجحة .

الثاني : حلة بسحر مثله ، وهو أن يذهب المطبوب إلى الساحر أو الكاهن فيتقربان للشيطان بما يحب من الذبح ونحوه ليبطل أثره عن المسحور ، وهذه هي النشرة الشركية المحرمة ، ويدل عليها حديث جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أن النبي ؟ سئل عن النشرة فقال : ((هي من عمل الشيطان)) (١٨٠) رواه أحمد

---

(١٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ النَّمِيمَةِ (٦٠٥٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ (١٠٥).

(١٧٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ (٢٦٠٦).

(١٧٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَى (٢١٨٦).

(١٨٠) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٤١٣٥) ، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في النشرة (٣٨٦٨)، ومعمر بن راشد في جامعه (١٩٧٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦١٣)

وأبو داود بسند جيد ، وقال أبو داود سئل أحمد عنها فقال : (ابن مسعود يكره هذا كله) أي يكره النشرة التي من عمل الشيطان ، ولاشك أنها كراهة تحريم ، وقوله : ((هي من عمل الشيطان)) أي لأنهم ينشرون عن المسحور بأنواع من السحر والاستخدامات الشيطانية ، فلازم هذه الطريقة الوقوع في عدة محاذير : منها : التقرب للشيطان بما يحب من الشرك ، وهذا في حد ذاته مفسدة خالصة .

ومنها : إعانة الساحر على عمله هذا من الاتصال بالشياطين وعبادته لهم وهذا مخالف المخالفة التامة للإنكار عليه .

ومنها : فتن الناس به للإقبال عليه واغترارهم بعمله .

ومنها : سد باب العلاج بالقرآن أو التهوين من شأنه .

ومنها : تعلق قلوب المرضى بهذه الطائفة الضالة الكافرة .

ومنها : اعتماد القلب على الشيطان ليوصل له النفع وهذا منافٍ للمتقرر شرعًا من وجوب عداوته ومنافرته .

ومنها : إحسان الظن بالساحر وشياطينه في إيصال الإحسان إلى المسحور وهذا كاف في منع هذه الطريقة .

ومنها : أنه قد لا يتحقق غالبًا الشفاء والخلاص التام من أثر السحر ، فيكون قد وقعنا في المفسدة ولم نحصل مصلحة ، وإن سلمنا أنه حصل الشفاء فإن مصلحة الشفاء شيء لا يذكر مع هذه المفاسد ، والمتقرر شرعًا أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

ومنها : فتح باب الشيطان على القلوب والعقول بإفسادها وتزيين الباطل لها .

من طريق: عبد الرزاق، عقيل بن معقل، عن وهب بن منبه، عن جابر بن عبد الله، به.

ففيه: عقيل بن معقل بن منبه اليماني، وهو صدوق يحسن حديثه.

ومنها : لزوم مخالفة النهي الصحيح الصريح الوارد في السنة من عدم إتيان الكهان ولو لمجرد السؤال فضلاً عن تصديقهم فيما يخبرون به من أمور الغيب من الأسماء والأماكن .

ومنها : تعريض الإنسان توحيده للإبطال والواجب المتقرر شرعًا صيانته وحماية جنابه وسد كل طريق يفضي إلى الشرك .

ومنها : أنها فتح لعمل الشيطان - نعوذ بالله منه - .

فهذه المفاسد وغيرها تجعل العاقل الذي يخاف على دينه أن يحذر كل الحذر من هذه الطريقة الشيطانية ويسد هذا المدخل الإبليسي ، ولأهمية هذا الموضوع أفردنا فيه رسالة مستقلة أسميناها بحكم حل السحر بالسحر ، والله أعلى وأعلم .

(المسألة الثالثة عشرة) فقد بان لك مما قدمنا أن الرقية الشرعية هي الطريق المشروع في حل السحر ، وبما أن الكلام على الرقية فلا بد أن نأخذ فيها جملا طيبة تطلعنا على بعض أحكامها ، والكلام عليها سيكون في فروع :ـ

الفرع الأول :ـ عرف أهل العلم رحمهم الله تعالى الرقية بأنها العزيمة ، وهي قراءة القرآن وما يباح من الأدعية والتعاويذ المشروعية على المريض .

الفرع الثاني :ـ قسم أهل العلم رحمهم الله تعالى الرقية إلى قسمين :ـ الرقية المشروعة ، والرقية الممنوعة ، فأما الرقية المشروعة فهي ما توفر فيها ثلاثة شروط :ـ الأول :ـ أن تكون بكلام الله تعالى وبما صح من الأدعية والتعاويذ الشرعية ،الثاني :ـ أن تكون باللسان العربي ، فلا تكون بلسان العجم ، الثالث :ـ أن يعتقد القارئ والمقروء عليه أنها مجرد سبب فقط ، وأن الشافي والمعافي على الحقيقة هو الله تعالى ، فإذا توفرت هذه الشروط كانت الرقية مشروعة ، وأما الرقية الممنوعة فهي ما خلا عن واحد من هذه الشروط ، كالرقية بالتعاويذ الممنوعة ، والرقية بكلام يتضمن الاستعانة بالجن والشياطين ، أو الرقية بكلام غير مفهوم كالتمتمات التي لا تفهم ، ونحوها ، والأغلب فيها أنها تكون من أسماء الشياطين التي تعين الكهان والسحرة على بعض مقاصدهم ، فإن كانت الرقية

مشتملة على الشرك فهي ممنوعة وإن كانت بغير المعروف من الكلام فهي ممنوعة ، والله أعلم .

الفرع الثالث:ــ والحق جواز الرقية ، إن توفرت الشروط السابقة ، والأدلة على جواز كثيرة :ـ قال تعالى{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢] وقال تعالى{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ} [فصلت: ٤٤]وقال تعالى {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: ٥٧]

وفي " الصحيحين " عن أبي سعيد الخدري (أن رهطاً من أصحاب رسول الله (انطلقوا في سفْرَةٍ سافروها حتى نزلوا بحيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبَوْا أن يضيِّفوهم ، فلَدُغ سيِّد ذلك الحيِّ ، فسعَوْا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : " لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء "، فأتَوْهم فقالوا : " يا أيها الرهط .. إنَّ سَيِّدنا لُدِغ فسعَيْنا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم شيء ؟! " فقال بعضهم : (نعم ، واللهِ إني لَرَاقٍ ، ولكن واللهِ لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلاً) ، فصالحوهم على قطيعٍ من الغَنَم ، فانطلق فَجَعَل يتفل ويقرأ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (حتى لكأنما نَشِطَ من عِقَال ، فانطلق يمشي ما به قَلَبَة ، قال : فأوْفوْهُم جُعلَهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله (فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا ، فَقَدِموا على رسولِ الله (فذكروا له ، فقال : (وما يُدريك أنها رقية ! ، أصَبتم ، اقسموا ، واضربوا لي معكم بسهم) (١٨١)

وأخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن نفراً من أصحاب النبي (مرُّوا بماءٍ فيهم لديغ أو سَلِيم ، فعرَض لهم رجلٌ من أهل الماء ، فقال : " هل فيكم

---

(١٨١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإجارة، بَابُ مَا يُعْطَى فِي الرُّقْيَةِ عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ (٢٢٧٦)، وفي كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ (٥٠٠٧)، وفي كتاب الطب، بَابُ الرُّقَى بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ (٥٧٣٦)، بَابُ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ (٥٧٤٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ جَوَازِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ عَلَى الرُّقْيَةِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ (٢٢٠١).

من راقٍ ، إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً ؟! " ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ ، فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه ، فكرهوا ذلك وقالوا : (أَخَذْتَ على كتابِ اللهِ أجراً !) ، حتى قَدِموا " المدينة " فقالوا : (يا رسول الله .. أَخَذَ على كتاب الله أجراً !) ، فقال رسول الله (: (إنَّ أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله) (١٨٢)

وعن عوف بن مالك الأشجعي- رضي الله عنه - قال : «كنا نَرقي في الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ؟ قال : اعْرِضُوا عليَّ رُقاكم ، ثم قال : لا بأس بما ليس فيه شِرك». أخرجه مسلم (١٨٣)، وأبو داود.

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : «أرْخَص رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في رُقْيَةِ الحَيَّةِ لبني عمرو بن حزم ، قال أبو الزبير : فسمعتُ جابر بن عبد الله يقول : لَدَغَتْ رجلا منا عَقْرَب ، ونحنُ جُلوس مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فقال رجل : يا رسول الله ، أرْقي ؟ قال : مَن استطاع [منكم] أن ينفعَ أخاه فَلْيَفْعَلْ» وفي رواية قال : «رخَّصَ النبيُّ -ﷺ- لآل حزم في رقية الحية ، (١٨٤)

وقال لأسماءَ بنتِ عُمَيس : ما لي أرى أجسام بني أخي ضَارِعَة ، تُصِيبُهم الحاجةُ ؟ قالت : لا ، ولكنِ العَيْنُ تُسْرِعُ إليهم. قال :ارْقِيهم. قالت : فرضتُ عليه. فقال : ارقيهم» (١٨٥)

وعن حميد بن قيس المكي - رضي الله عنه - قال : دُخِلَ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بابنيْ جعفر بن أبي طالب ، فقال لِحَاضِنَتِهما ، ما لي أراهما ضَارِعَيْن ؟ فقالت حاضنتُهما : يا رسول الله ، إنهما تُسْرِعُ إليهما العينُ ، ولم

---

(١٨٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ الشَّرْطِ فِي الرُّقْيَةِ بِقَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ (٥٧٣٧).

(١٨٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ (٢٢٠٠)، وأخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى (٣٨٨٦).

(١٨٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٩).

(١٨٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٨).

يمنعْنا أن نسترقِيَ لهما، إلا أنا لا ندري ما يُوَافِقُك من ذلك ؟ فقال رسول الله -ﷺ- : «اسْترقُوا لهما ، فإنه لو سبق شيء القَدَرَ لسبَقَتْهُ العين» (١٨٦)،

وعن عبيد بن رفاعة الزرقي - رضي الله عنه - : «أن أسماء بنت عُمَيْس قالت : يا رسول الله ، إن وَلَدَ جعفر تُسرع إليهم العين ، أفأسترقي لهم ؟ قال: نعم ، فإنه لو كان شيء سابَق القَدَر لسبَقتهُ العين».(١٨٧)أخرجه الترمذي.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : «رخَّص رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الرُّقيةِ من العين ، والحُمَةِ ، والنَّملة». (١٨٨) أخرجه مسلم والترمذي ،

وقال عليه الصلاة والسلام " لا رقية إلا من عين أو حمة " (١٨٩) أي لا رقية أنفع من الرقية من هذه الأمور ،

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله -ﷺ «كان يأمر أن نَسترقِيَ من العين» وفي رواية «أمرني» (١٩٠).أخرجه البخاري ومسلم.

---

(١٨٦) ضعيف، وقد يحسن بحديث أسماء التالي

أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٣٩)، من طريق: مالك عن حميد بن قيس الأعرج المكى، به.

فإسناده معضل، فحميد من الطبقة السادسة، من الذين عاصروا صغار التابعين، فلم يدرك أحدًا من الصحابة، ولم يدرك النبي ﷺ.

(١٨٧) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٤٧٠)، والترمذي في سننه، في أبواب الطب، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ (٢٠٥٩)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الطب، باب العين (٣٥١٠)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٤٩٥)، والحميدي في مسنده (٣٣٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٥٩١)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢١٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٥٨٧)، وفي الشعب (١٠٧١٢)،

من طريق: عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعة، عن أسماء بنت عميس به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١٨٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٦)، وأخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الطب، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّخْصَةِ فِي الرقية (٢٠٥٦).

(١٨٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ مَنِ اكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ، وَفَضْلِ مَنْ لَمْ يَكْتَوِ (٥٧٠٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ (٢٢٠).

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - : «أن رسول الله -ﷺ قال لجارية في بيتها رأى في وجْهِهَا سَفْعَةَ - يعني : صُفْرَة - فقال : بها نظرة ، اسْتَرْقُوا لها» (١٩١) أخرجه البخاري ومسلم.

والأدلة في هذه المسألة كثيرة ولله الحمد والمنة ، وهي تدل على ما قررته لك من جواز الرقية التي توفرت فيها الشروط وانتفت عنها الموانع ، والله أعلم .

الفرع الرابع:ـ فإن قلت :ـ وكيف الجمع بين ما ذكرت من الأدلة الدالة على جواز الرقية ، وبين الأدلة المانعة منها كقول النبي ﷺ " إن الرقى والتمائم والتولة شرك " (١٩٢)؟

فأقول :ـ هذا سهل ولا تعارض فيه ولله الحمد ذلك أن تنزل الأحاديث التي تنهى عن الرقى على الرقى الشركية التي تخلف فيها شرط من شروط جواز الرقية كالرقى التي فيها كلام لا يفهم أو تمتمات لا يعرف معناها أو استعانة واستغاثة

---

(١٩٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب الرقية من العين (٥٧٣٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٥).

(١٩١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب الرقية من العين (٥٧٣٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٧).

(١٩٢)حسن بالمجموع.

أخرجه أبو داود في سننه (٣٨٨٣) وابن ماجة في سننه كتاب الطب باب تعليق التمائم (٣٥٣٠) وأحمد في المسند (٣٦١٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٢) والخلال في السنة (١٤٩٤) وابن حبان في صحيحه (٦٠٩٠) وأبو يعلى في مسنده (٥٢٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٠٣) وفي المعجم الأوسط له (١٤٤٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠٤، ٧٥٠٥، ٨٢٩٠).

كلهم من طرق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنها، وكلها لا تخلوا من مقال فيما علمت إلا أنها تحسن بمجموع هذه الطرق. والله أعلم بالصواب.

وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٨٤) وآنظر أيضا السلسلة الصحيحة (١/ ٦٤٨، حديث رقم ٣٣١)

ولكن قد أعل بعض أهل العلم هذا الحديث بالوقف على ابن مسعود رضي الله عنه ليس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال الإمام أبو بكر مُحَمَّد بن موسى الحازمي هذا الحديث يروى موقوفا ومرفوعا والموقوف أحفظ، كذلك يرويه الأعلام. (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٢٣٨).

بالجن والشياطين ونحو ذلك مما نهى عنه الشارع ، وننزل أحاديث الجواز على الرقى الشرعية التي توفرت فيها شروط الجواز وانتفت موانعه ، والرقية لا تكون شرعية إلا إذا كانت بالقرآن والأدعية المباحة وأن تكون باللسان العربي وأن يعتقد القارئ والمقروء عليه أنها مجرد سبب للشفاء ، لا لأنها تشفي بذاتها، وعلى ذلك فلا اختلاف في ذلك ، فأحاديث النهي منزلة على الرقى الشركية ، وأحاديث الجواز منزلة على الرقى الشرعية والحمد لله رب العالمين أولاً وأخراً .

الفرع الخامس :ـ فإن قلت :ـ وهل الأفضل طلب الرقية من الغير ، أم الأفضل ترك الطلب ؟ فأقول :ـ في هذا خلاف بين أهل العلم رحمهم الله تعالى ، والأقرب إن شاء الله تعالى أن ترك طلب الرقية من الغير مع السعة أولى وأحسن ، وبيان ذلك أن النبي ﷺ جعل ترك الاسترقاءـ وهو طلب الرقية ـ من باب تحقيق كمال التوكل ، كما في قوله ﷺ في بيان وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب قال فيهم " هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون "(١٩٣) والحديث في الصحيح ،

وهو نص في المسألة ، ولأننا ننظر إلى التوكل من ثلاث جهات :ـ الأولى :ـ من جهة أصل التوكل ، فإن طلب الرقية لا ينافيه جزما ، الثانية :ـ من جهة كماله الواجب الذي لا تحصل النجاة يوم القيامة إلا به ، فطلب الرقية جزما لا ينافيه ، الثالثة :ـ من جهة كمال التوكل المستحب فلا جرم أن طلب الرقية ينافي كمال التوكل ، فانتبه لهذا ، فنحن لا نقول إن طلب الرقية ينافي التوكل الواجب ولا نقول إنه ينافي أصل وجود التوكل في القلب ، بل نقول :ـ إنه ينافي كمال التوكل المستحب فقط ، إلا إن قوي تعلق القلب بالقارئ تعلقا كبيرا ، فإنه في هذه الحالة قد ينافي التوكل الواجب على الله تعالى ، وما ذكرناه لك هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

---

(١٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ مَنِ اكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ، وَفَضْلِ مَنْ لَمْ يَكْتَوِ (٥٧٠٥)، بَابُ مَنْ لَمْ يَرْقِ (٥٧٥٢)، وفي كتاب الرقاق، بَابٌ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (٦٤٧٢)، بَابٌ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٦٥٤١)، ومسلم في صحيحه في كتاب ا لإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ (٢١٨)، (٢٢٠).

الفرع السادس :ـ فإن قلت :ـ وهل في الرقية على المريض تفل أو نفث ؟ فأقول :ـ في المسألة خلاف فصلته السنة الصحيحة ، وهو أن الراجح أنه لا حرج في التفل بالريق الخفيف ولا حرج في النفث على المريض حال الرقية ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت :ـ كان النبي ﷺ يقول في رقية المريض " بسم الله ربنا ، تربة أرضنا ، بريقة بعضنا يشفى سقيمنا، بإذن ربنا (١٩٤)"

قال ابن حجر رحمه الله تعالى :ـ (قوله " بريقة بعضنا " يدل على أنه كان يتفل عند الرقية) (١٩٥)

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال :ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول " الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات ، وليتعوذ من شرها ، فإنها لا تضره " (١٩٦)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :ـ كان النبي ﷺ إذا اشتكى أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي " (١٩٧)

وعنها رضي الله عنها قالت :ـ كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعا ، ثم يمسح بهما وجهه ، وما بلغت يداه من جسده " (١٩٨)

---

(١٩٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٥)، (٥٧٤٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٤).

(١٩٥) آنظر فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٠٨).

(١٩٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ (٣٢٩٢)، وفي كتاب الطب، بَابُ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ (٥٧٤٧)، وفي كتاب التعبير، بَابٌ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ (٦٩٨٦)، بَابُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَامِ (٦٩٩٥)، بَابٌ: الحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٧٠٠٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الرؤيا (٢٢٦١).

(١٩٧) أخرجه مسلم في صحيحه في السلام، بَابُ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَالنَّفْثِ (٢١٩٢).

(١٩٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ (٥٧٤٨).

وقد قدمنا في حديث اللديغ أن من قرأ عليه راح يقرأ الفاتحة ويتفل على موضع الألم (١٩٩) ، وأقره على ذلك النبي ﷺ ، وقد تقرر أن أقراره حجة على الجواز ، فهذه الأحاديث تدل على جواز التفل والنفث في الرقية ، وهو ما قاله جمهور أهل العلم رحم الله الجميع رحمة واسعة ، والله أعلم .

الفرع السابع:ـ فإن قلت :ـ وهل النفث أو التفل يكون مع الرقية ،أو قبلها أو بعدها ؟ فأقول :ـ من تأمل ألفاظ الأحاديث السابقة ، وجد أن الأمر في ذلك واسع إن شاء الله تعالى ، فالأظهر أن التفل أو النفث يكون مع الرقية أو بعدها أو قبلها ، ولا حرج في كل ذلك .

الفرع الثامن:ـ فإن قلت :ـ وهل تجوز الرقية بلا تفل ولا نفث ؟ فأقول :ـ نعم ، لا حرج في ذلك إن شاء الله تعالى ، بل ورد أن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضا وضع يده عليه ويقول :ـ " اللهم رب الناس أذهب الباس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك ، شفاء لا يغادر سقما "(٢٠٠)

وكذلك لما رقاه جبريل عليه السلام (٢٠١) ، فإنه لم يثبت أنه نفث عليه ، فالأمر في ذلك واسع ولله الحمد . والله أعلم.

الفرع التاسع :ـ فإن قلت :ـ وهل قول النبي ﷺ في الحديث " تربة أرضنا "(٢٠٢) يفيد جواز خلط الأصبع بشيء من التراب ثم توضع على المريض ، وما الحكمة من ذلك لو كان هذا الأمر مما يجوز ؟

---

(١٩٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ الشَّرْطِ فِي الرُّقْيَةِ بِقَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ (٥٧٣٧).

(٢٠٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، بَابُ دُعَاءِ العَائِدِ لِلْمَرِيضِ (٥٦٧٥)، وفي كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٣)، بَابُ مَسْحِ الرَّاقِي الوَجَعَ بِيَدِهِ اليُمْنَى (٥٧٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ (٢١٩١).

(٢٠١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَى (٢١٨٥)، (٢١٨٦)

(٢٠٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٥)، (٥٧٤٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٤).

فأقول :ـ فيه خلاف بين أهل العلم رحمهم الله تعالى ، ولكن الأقرب أنه لا حرج في ذلك إن شاء الله تعالى ، وقد فهم كثير من أهل العلم رحمهم الله تعالى مشروعية هذا الفعل بقوله " بسم الله ربنا ، تربة أرضنا ... الحديث "(٢٠٣)

قال النووي رحمه الله تعالى (معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء ، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام مع المسح) (٢٠٤) إهـ ،

وقال القرطبي رحمه الله تعالى (وقوله :" كان إذا اشتكى الإنسان مِنَّا ، أو كانت به قرحًا ، أو جرح " يدل : على جواز الرُّقي من كل الأمراض ، والجراح ، والقروح ، وأن ذلك كان أمرًا فاشيًا بينهم ، معمولاً به عندهم .ووضع النبي ـ ﷺ ـ سبابته بالأرض ، ورقاه بها يدل : على استحباب ذلك عند الرُّقي . وزعم بعض علمائنا : أن ذلك معلل : بأن تراب الأرض لبرودته ، وييبسه يقوي الموضع الذي به الألم ، ويمنع انصباب المواد إليه بيبسه وتجفيفه مع منفعته في تجفيف الجراح وإدمالها . وقال في الرِّيق : إنه يختصُّ بالتحليل ، والإنضاج ، والإدمال ، وإبراء الجراحات ، والأورام ، والثآليل لا سيَّما من الصائم والجائع. قلت : وهذا إنَّما يكون عند المعالجة ، والشروع فيها على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والرِّيق ، وملازمة ذلك في أوقاته) (٢٠٥)

فإن قلت :ـ وهل هذا التراب يخص تراب المدينة فقط ، أو يعم كل تراب في الأرض ؟ فأقول :ـ فيه خلاف بين أهل العلم رحمهم الله تعالى ، والأقرب إن شاء الله تعالى أنه يخص تراب أرض مريض ، فكل مريض فإنه يؤخذ من تراب بلده هو ، وهو قول وسط بين من جعل الحكم عاما في أرض ، وبين من جعل الحكم خاصا بتراب المدينة فقط ، فتراب كل أهل محلة أنفع لهم من تراب البلاد الأخرى ، ويوضح الأمر رواية الإمام مسلم رحمه الله تعالى ، فإنه قال في الصحيح :ـ

---

(٢٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٥)، (٥٧٤٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٤).

(٢٠٤) آنظر شرح النووي على مسلم (٥/ ٢١٣).

(٢٠٥) آنظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٨/ ٨٦).

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِى عُمَرَ - وَاللَّفْظُ لاِبْنِ أَبِى عُمَرَ - قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّىْءَ مِنْهُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جَرْحٌ قَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا « بِاسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا » (٢٠٦). قَالَ ابْنُ أَبِى شَيْبَةَ « يُشْفَى ». وَقَالَ زُهَيْرٌ « لِيُشْفَى سَقِيمُنَا »والله تعالى أعلم .

الفرع العاشر:ــ فإن قلت :ــ وهل يشرع للراقي مسح يده على المريض حال الرقية ؟ فأقول :ــ نعم ، لا حرج في ذلك إن شاء الله تعالى ، قال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى في صحيحه :ــ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ زُهَيْرٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِى الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ « أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِى لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا ». فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَثَقُلَ أَخَذْتُ بِيَدِهِ لأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِى ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى وَاجْعَلْنِى مَعَ الرَّفِيقِ الأَعْلَى ». قَالَتْ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى. (٢٠٧)

قلت :ــ وإن كان الألم في موضع من الجسد فلا أنفع من وضع اليد على عين هذا الموضع ،

وبرهان هذا ما رواه مسلم في صحيحه قال :ــ حَدَّثَنِى أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالاَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِى يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِى نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِى الْعَاصِ الثَّقَفِىِّ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَجَعًا يَجِدُهُ فِى جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِى تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ

---

(٢٠٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٥)، (٥٧٤٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٤).

(٢٠٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، بَابُ دُعَاءِ العَائِدِ لِلْمَرِيضِ (٥٦٧٥)، كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٣)، بَابُ مَسْحِ الرَّاقِي الوَجَعَ بِيَدِهِ اليُمْنَى (٥٧٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ (٢١٩١).

وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلاَثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ » (٢٠٨) والله أعلم .

الفرع الحادي عشر :ـ فإن قلت :ـ وما حكم الرقية في الماء وما أشبهه ، ثم شربه والاغتسال به بعد ذلك ؟ فأقول :ـ هذا جائز ولا حرج فيه ، وبرهان هذا :ـ ما رواه الطبراني في المعجم الصغير بسنده عن محمد بن الحنفية عن علي قال لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي فلما فرغ قال لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره ثم دعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ بـ{قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ } [الكافرون: ١] و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } [الفلق: ١] و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس: ١]، (٢٠٩) وصححه الألباني رحمه الله تعالى ،

وقال أبو داود في سننه :ـ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ وَابْنُ السَّرْحِ - قَالَ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ وَقَالَ ابْنُ السَّرْحِ - أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ - وَقَالَ ابْنُ صَالِحٍ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ - عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ - قَالَ أَحْمَدُ - وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ « اكْشِفِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ». عَنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِنْ بَطْحَانَ فَجَعَلَهُ فِى قَدَحٍ ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ (٢١٠). وصححه الألباني رحمه الله تعالى ،

---

(٢٠٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ وَضْعِ يَدِهِ عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ مَعَ الدُّعَاءِ (٢٢٠٢).

(٢٠٩) حسن

أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٨٣٠)، وفي المعجم الأوسط (٥٨٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٥٥٣)، (٢٩٨٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣٤٠)،

من طريق: مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عن مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، عَنْ عَلِيٍّ، به.

فإسناده حسن، ورجاله ثقات أثبات خلا محمد بن فضيل، والمنهال بن عمرو، فهما صدوقان يحسن حديثهما، والله أعلم.

(٢١٠) ضعيف، معل بالإرسال

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى (٣٨٨٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٨٩)، (١٠٨١٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٢٣)، وفي الأوسط (٩١١٨)،

من طريق: يوسف بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه، عن جده،

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي معشر عن عائشة أنها كانت لا ترى بأسا أن يعوذ في الماء ثم يصب على المريض. (٢١١)

وأفتى بجوازه اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية وغيرهم من أهل العلم رحم الله الجميع رحمة واسعة ،

قال ابن القيم رحمه الله تعالى (ولقد مرَّ بي وقت بمكة سَقِمْتُ فيه، وفَقَدْتُ الطبيبَ والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربةً من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مراراً، ثم أشربه، فوجدتُ بذلك البرءَ التام، ثم صِرتُ أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غايةَ الانتفاع) (٢١٢) والله أعلم

الفرع الثاني عشر :ـ فإن قلت :ـ وما حكم كتابة شيء من الآيات في إناء ثم محوه وشرب غسالته أو الاغتسال بها ؟ فأقول :ـ لا حرج في ذلك أيضا ، وقد أفتى بجوازه جمع من أهل العلم رحمهم الله تعالى كابن عباس ومجاهد وأبي قلابة وأحمد بن حنبل والقاضي عياض وابن تيمية وابن القيم ، وغيرهم من أهل العلم رحمهم الله تعالى ،

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى (أما المحو : فهو أن يكتب آيات بالزعفران في صحن نظيف أو في قرطاس ثم تغسل ويشربها المريض ، وهذا فعله كثير من السلف والخلف ولا حرج فيه إذا كان القائم لذلك من المعروفين بالعلم والفضل وحسن العقيدة) (٢١٣) .

وخالفه ابن جريج كما عند النسائي في السنن الكبرى (١٠٧٩٠)، (١٠٨١٣) فرواه على الإرسال، قال ابن جريج: أخبرنا عمرو بن يحي بن عمارة، قال: أخبرني يوسف بن مُحَمَّد بن ثابت بن قيس بن شماس أن النبي ﷺ أتى ثابت بن قيس، مرسلا

(٢١١) ضعيف، بسبب الإعضال

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٥٠٩).

من طريق: هشيم، عن مغيرة، عن أبي معشر، عن عائشة، به.

ففيه أبو معشر، زياد بن كليب، وهو وإن كان ثقة، إلا أنه لم يدرك أم المؤمنين عائشة ﷺ، فهو من الطبقة السادسة،

(٢١٢) آنظر الطب النبوي (١/ ١٣٢)، وزاد المعاد (٤/ ١٦٤).

(٢١٣) آنظر مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٤/ ٣٣٣).

ودونك هذه الفائدة :ـ أقول :ـ إنه كلما خفت الوسائط في الرقية كلما كان أثرها أعظم إن شاء الله تعالى ، فأفضل شيء أن يباشر المريض رقية نفسه من غير واسطة ، فهذا الأنفع إن قد على ذلك ، وأنزل منها أن يطلب من يرقيه ، فهنا قرئ عليه ،ولكن بواسطة واحدة ، وأنزل منه أن يأمر غيره أن يقرأ له على الماء أو الزيت أو العسل أو اللبن ونحوها ، فهنا واسطتان، فكلما خفت الوسائط في الرقية كلما كان الأثر أكمل ، والله أعلم .

الفرع الثالث عشر:ـ فإن قلت : وما حكم أخذ الجرة على الرقية ؟ فأقول :ـ لا حرج فيه إن شاء الله تعالى ، ولكن لا بد وأن تكون معقولة لا مغالاة فيها ، ولا تكن هي الهم الأول عند الراقي ، فإن بعض الرقاة قد أخرج الرقية من وصفها بالشرعية إلى كونها رقية تجارية ، وهذا لا يجوز ، والأصل في الجواز أنه لا دليل نعلمه في المنع ، والأصل الحل ، حتى يقوم دليل المنع ، ولأنها نوع من التداوي ، وأخذ الجرة على التداوي لا حرج فيه ، وقد ثبت في الصحيح ـ كما أسلفنا ـ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وأنهم أخذوا الجعل من الغنم على رقيتهم لسيد الحي ، وأقرهم على ذلك النبي ﷺ ، ويقول النبي ﷺ " إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله تعالى (٢١٤) "

وقد اتفق الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء على جواز أخذ الأجرة على الرقية ،

وفي المسند عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالُوا: نُبِّئْنَا أَنَّكُمْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكُمْ دَوَاءٌ أَوْ رُقْيَةٌ؟ فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوهًا فِي الْقُيُودِ. قَالَ: فَقُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: فَجَاءُوا بِالْمَعْتُوهِ فِي الْقُيُودِ، قَالَ: فَقَرَأْتُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، أَجْمَعُ بُزَاقِي، ثُمَّ أَتْفُلُ، قَالَ: فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ قَالَ: فَأَعْطَوْنِي جُعْلًا، فَقُلْتُ: لَا حَتَّى أَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «كُلْ لَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ» (٢١٥)

---

(٢١٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ الشَّرْطِ فِي الرُّقْيَةِ بِقَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ (٥٧٣٧).

(٢١٥) سنده جيد

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني رحم الله الجميع رحمة واسعة ، فهذه الأدلة تفيد الجواز ولله الحمد ، والله أعلم .

الفرع الرابع عشر:ـ ونختم الكلام على هذا الموضوع ببعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الرقاة وفقه الله تعالى لكل خير ، ولكن أقول أولا:- لاشك أن الرقاة - وفقهم الله تعالى لكل خير - يقومون بعمل جليل له أهدافه السامية وغاياته النبيلة وقد كفونا القيام بهذا الواجب وهم في نوع جهادٍ مع الشيطان يبطلون أثره من السحر والعين والعشق والأذى ونحو ذلك، فلا جرم أنهم مشكورون على ذلك، ونحن ندعو لهم بالتوفيق والإعانة ولكنهم بشر وليسوا بملائكة فلابد أن يصدر منهم بعض الأخطاء التي لا يقصدونها ولا يدرون بحالها ولا نظن في واحدٍ منهم أنه يتعمد المخالفة، فلابد من إقلال اللوم عليهم ونقول كما قال القائل :-

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكموا   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ولكن ينبغي أيضاً من باب التناصح فيما بيننا والتواصي على الحق أن يبين بعضنا الأخطاء التي نقع فيها حتى نتلافاها ونسد على أصحاب النقد أبواب النقد الهدام، الذي ينسف ولا يبني، ويهدم ولا يعمر ولا ينبغي مع بيان الخطأ أن تأخذنا العزة بالإثم، بل الواجب قبول النصح واعتماده إذا كان موافقاً للكتاب والسنة، ثم أقول:- إن هناك بعض المحاذير والأخطاء التي لا بد أن تتلافى من قبل الرقاة وفقهم الله

أخرجه أحمد في مسنده (٢١٨٣٥)، (٢١٨٣٦)، وأبو داود في سننه، في كتاب البيوع، باب في كسب الأطباء (٣٤٢٠)، وفي كتاب الطب، باب كيف الرقى (٣٩٠١)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤٥٩)، وابن أبي شيبة في مسند (٦٣٢)، والطيالسي في مسنده (١٤٥٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٠١٧)، وابن حبان في صحيحه (٦١١٠)، (٦١١١)، والدارقطني في سننه (٤٨١٠)، (٤٨١١)، والحاكم في المستدرك (٢٠٥٥)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٥٩٠).

من طريق: الشعبي، عن خارجة بن الصلت، عن عمه، به.

ورواه عن خارجة: عبد الله بن أبي السفر، وزكريا بن أبي زائدة،

ومداره على خارجة بن الصلت، وهو مجهول،

إلا أن ابن أبي خيثمة قال: إذا روى الشعبي عن رجل و سماه فهو ثقة يحتج بحديثه

تعالى وسددهم وحفظهم للأمة وجزاهم الله خير ما جزى راقياً عن أمته وهي كما يلي :-

الأول :- عدم أمر النساء بكمال الاحتشام عند مجيئهن لمكان الرقية، فإن بعض الرقاة قد يتجاوز عن ذلك بحجةٍ أو بأخرى وهذا أمر لا يجوز، بل الواجب على سائر الرقاة وبخاصة من يقرؤون قراءة جماعية إذا خصصوا يوماً للنساء أن يحرصوا على أمر النساء بكمال الاحتشام وإتمام الحجاب ومن خالف منهن فإنها تطرد من المكان فإن الراقي أجنبي عنها فلا يجوز له أن يرى منها ظفراً ولا شعراً ولا عيناً ولا شيئاً من بدنها أبداً ومن المعلوم أن مكان الرقية كلما كان أبعد عن المعصية كلما كان الأثر أكمل، فلا يسمح بالبرقع ولا بالنقاب الذي تبين منه العينان وأعلى الأنف ولا يسمح لها بالدخول أصلاً بدون القفازين وجوارب القدمين، فإن المرأة عورة كلها، والراقي رجل كسائر الرجال، فحتى لا يفتن هو في دينه ينبغي له مراعاة ذلك ولا خير في راقٍ يتساهل في مثل ذلك .

الثاني :- المبالغة في أسعار الدخول والماء والزيت ونحو ذلك، فإن الأجرة وإن كان أصلها الجواز إلا أنه ينبغي للرقاة أن ييسروا الأمر على الناس، وقد وقع قليل من الرقاة في استنزاف أموال مرضاه حتى إن بعض المرضى ليضطر للدين لتغطية أمور العلاج عند هذا الراقي، وهذا لا يجوز وهو قادح من قوادح الإخلاص، وقد قال عليه الصلاة والسلام ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)) (٢١٦) وليكن قصد الراقي تفريج كربة هذا المريض، والوسطية في الأمور مطلوبة، ولو استفحل الأمر فلولي الأمر أن يتدخل ويفرض بما آتاه الله من السلطان أسعار محددة لهذه الأشياء ومن لا يلتزم بها فإنه يبعد عن الرقية ويمنع منها، ولا نريد الدخول في تفاصيل الأمثلة لأن المقصود ليس هو تتبع الأخطاء ولا تشويه الصورة وإنما المقصود المناصحة، والله من وراء القصد، فالوصية

---

(٢١٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا (٦٩)، وفي كتاب الأدب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا» (٦١٢٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ (١٧٣٤).

لإخواني الرقاة أن يتساهلوا في مثل ذلك وأن يتقوا الله في مرضاهم وأن ينظروا لهم بعين الرأفة والعطف والرحمة، والله اعلم .

الثالث :- الاستطراد في مخاطبة الجني الملابس، وهذا أمر لا أصل له، لأن المقصود هو خروجه من هذا الجسد فلا يخاطبه إلا بما لابد منه كسبب دخوله مثلاً أو ديانته ونحو ذلك وأما أن يتجاذب معه أطراف الحديث فيسأله عن اسمه ونوعية طعامه وشرابه وطوله وقصره وعمره واسم قبيلته وعدد إخوانه وهل هو متزوج أو أعزب فإن ذلك تدخل فيما لا يعني وهو سبب من أسباب تطاول الجن الملابس على القارئ وقد يوجب للقارئ أيضاً أن يغتر بنفسه حيث قدر على استخراج هذه المعلومات من هذا الجني فضلاً عن أن الجن يكذبون أصلاً فلا يوثق في خبرهم، ويزداد الأمر سوءاً إذا تعمد القارئ هذه الأسئلة لتسجيل كلام الجني في شريط فيوزع على الناس، فإن هذا لا يفعله إلا ساذج أحمق مغرور، وحق هذا الصنف من القراء أن يمنع لأنه يثير فتنة بين عوام المسلمين وفي الحديث: ((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))(٢١٧) .

---

(٢١٧) ضعيف

روي عن النبي ﷺ من طريقين:

الأول: عن أبي هريرة، وفي سنده ضعف شديد

أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الزهد (٢٣١٧)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، والطبراني في الأوسط (٣٥٩)، وابن بطة في الإبانة، والبيهقي في الآداب (٨٣٣)، وفي الشعب (٤٦٣٣).

من طريق: الأوزاعي، عن قرة بن عبد الرحمن، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، به.

ففيه: قرة بن عبد الرحمن بن حيويل، وهو ضعيف منكر الحديث،

وتابعه عبد الرزاق بن عمر، وهو أضعف منه بل هو في الزهري متروك، كما عند الطبراني في الأوسط

وتابعهما بقية بن الوليد، وهو مدلس ولم يصرح بالسماع من الزهري، كما عند ابن بطة في الإبانة

الثاني: عن علي بن الحسين، وهو مرسل

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٣٧)، والترمذي في سننه في أبواب الزهد (٢٣١٨)، ومالك في الموطأ (٢/ ٣٠٩)، وابن الجعد في مسنده (٢٩٢٥)، وابن وهب في جامعه (٢٩٧)، (٤٤٣)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٨٨٦)، وفي الأوسط (٨٤٠٢)، وفي الصغير (١٠٨٠)، وابن المقرئ في المعجم (١٢٨٥)، وابن بطة في الإبانة (٣٢٤)، (٣٢٥)، والبيهقي في الشعب (٤٦٣٢)،

الرابع :- التخرص في تحديد الحالة المرضية من غير سبق فهمٍ ولا خبرة بحقيقة هذا المرض، وهذا من التقول على الله بلا علم وقد قال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦] وهذا من باب واسع قد أوجب لكثير من المرضى الوساوس النفسية واستحكام الخيالات الشيطانية، فإن نفس المريض مولعة بما يقوله القراء غالباً فليتق الله القارئ ولا يحدد نوعية المرض إلا بعد دراسة مبنية على خبرة سابقة لمثل هذه الحالات ولا يستعجل في إصدار أحكامه إلا بعد النظر الطويل وتكرير القراءة وليكن همه الأول والأخير أن تذهب هذه الأعراض المحسوسة عن المريض فإذا ذهبت فالحمد لله، ولا يدخل مريضه في دوامة الوساوس والخوف فضلاً عن أن أعراض هذه الأمراض فيها تشابه كبير قد لا يتميز معه حقيقة هذا المرض، وهي من باب الغيب المستور الذي لا ينبغي الجزم به، وعليك بزرع الفأل الحسن في قلب مريضك وروحه، والمريض مولع بالسؤال عن حقيقة مرضه ولكن القارئ الناجح ليس الذي يتفوه بما يهواه المريض ويرضاه بل بما يسره يوم القيامة أن يراه والله المستعان .

الخامس :- العلاج بالكهرباء قد رأيت بعيني بعض القراء يفعل ذلك وهذا إجرام كبير وخطر عظيم، ولا يجوز بأي حالٍ من الأحوال، والواجب على ولاة الأمر زجر من يداوي بذلك فإن انزجر وإلا فالواجب إيقافه، فإن أبدان المرضى ليست مرتعاً لعبث هذه الطائفة التي تفعل ذلك فضلاً عن النهي الأكيد عن التعذيب بالنار ففي الحديث ((لا يعذب بالنار إلا ربها)) (٢١٨) أو كما قال،

من طريق: ابن شهاب، عن علي بن حسين، به.

وعلي بن الحسين لم يدرك علي بن أبي طالب، فضلًا عن أن يدرك النبي ﷺ.

ففي كل أسانيده مقال، ولم أقف على طريق يصح منه هذا الحديث، والله أعلم.

(٢١٨) صحيح.

فقد روي من طريقين عن النبي ﷺ: الأول: عن حمزة الأسلمي واختلف عليه: فمرة عنه ابنه مُحَمَّد

وله آثاره السلبية على البدن والنفس، حتى ولو ثبت أن في هذا المريض مس من الجن، فإن تعذيب الجني بذلك لا يجوز والله تعالى أمرنا بالعدل ولا أشد ولا أقوى من صواعق الآيات وإحراقها وتعذيبها له، ومثله الضرب أيضاً فإن بعض القراء قد توسع في ذلك، والأصل فيه المنع لأنه من جملة الاعتداء الذي لا مسوغ له، وله آثار سلبية خطيرة، قد تؤدي إلى مالا تحمد عقباه فلابد من تضييق هذه الدائرة أو سدها بالكلية، وفعل بعض أهل العلم ليس بتشريع عام ولما استحكم الجهل بمثل هذه الحالات صار لزاماً علينا أن نقف في وجه هذه الاعتداءات ولابد لولي الأمر أن يمنع من ذلك، وأي أثر في المريض بسبب الضرب فإنه يعد جريمة في حقه له المطالبة بتعويضها أو القود على ما يراه القضاة، وقد حصل بسبب ضرب المرضى آفات كثيرة ومفاسد عظيمة ومن المعلوم المتقرر أن الشيء وإن كان

أخرجه أحمد في مسنده (١٦٠٣٤)، وأبو داود في سننه، في كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار (٢٦٧٣)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٦٤٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٥٣٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٠٦٥)،

من طريق: مغيرة بن عبد الرحمن الحزامي، عن أبي الزناد، عن مُحَمَّد بن حمزة الأسلمي، عن أبيه، به.

ففيه: المغيرة بن عبد الرحمن، وهو متكلم فيه، وأقل أحواله أنه يقبل حديثه مالم يخالف، فهو له مفاريد،

وفيه أيضًا: مُحَمَّد بن حمزة الأسلمي، وهو مجهول،

وأخرى عن حنظلة بن علي الأسلمي

وأخرجه أحمد في مسنده (١٦٠٣٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٤١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٠٦٤).

من طريق: ابن جريج، عن زياد بن سعد، عن أبي الزناد، عن حنظلة الأسلمي عن حمزة بن عمرو الأسلمي، به.

وإسناده صحيح ورجاله ثقات،

الثاني: عن عبد الله بن مسعود

أخرجه أحمد في مسنده (٤٠١٨)، وأبو داود في سننه، في كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار (٢٦٧٥)، وفي كتاب الأدب، أبواب النوم، باب في قتل الذر (٥٢٦٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣١٤٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٥٦٠)، والبزار في مسنده (٢٠٠٩)، والشاشي في مسنده (٢٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٣٧٣)، والأوسط (٢٣٠٤)، (٣٣٩٩)،

من طريق: أبي إسحاق الفزاري، عن أبي إسحاق الشيباني، عن الحسن بن سعد، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، رجال مسلم.

جائزاً لكن إن أفضى إلى المفاسد فإنه يمنع سداً للذريعة، فكيف إذا كان ممنوعاً بالأصالة وإنما عليك القراءة عليه فقط فإن عافاه الله فهو المطلوب وإلا فكرر عليه ولا أشد على الشيطان الملابس من صواعق القرآن وقوارع الآيات التي هي كلام الله تعالى، وأعرف مريضاً ضربه بعض القراء حتى سبب له شللاً في قدميه من شدة الضرب، وأعرف امرأة بقيت في فراشها شهراً لا تستطيع المشي بسبب ضربها من بعض القراء، فالأصل في الاعتداء على بدن الغير الحرمة إلا بما يسوغه من الأسباب الشرعية المعتمدة وقولهم:- إن الضرب يقع على الجني، لا أدري عن مستنده ونحن مأمورون بالأخذ بالظاهر، والظاهر أن هذه السياط واللكمات إنما تقع على بدن المريض ويحس بها ويتألم، وأعرف مجموعة قد اجتمعوا على رجلٍ للقراءة عليه ومعهم حبالهم وعصيهم وكأنه - أي المريض - عاندهم قليلاً فانهالوا عليه بالضرب وقيدوه بهذه الحبال وكلما ازداد الضرب ازداد صراخه وهم يقولون:- زيدوا عليه هذا الجني يتكلم على لسانه، حتى تشققت قدماه وسالت دماً، فالمرجو من ولي الأمر إغلاق هذا الباب ومنع الضرب بالكلية، فضلاً عن أني إلى الآن لا أعلم مستنداً شرعياً صحيحاً صريحاً يفيد جواز ذلك، وإذا وجدنا ذلك فالنظر ينصرف إلى من يطبق ذلك فإن بعض القراء لا يعرف كوعه من بوعه ولا يعرف متى يضرب ولا أين يضرب ولا الآثار المترتبة على ضربه هذا، فالواجب سد هذا الباب وإبعاد من يزاوله عن طريق الرقية ومنعه منها، والمقصود أن العلاج بالكهرباء والضرب من الأخطاء التي ينبغي للأحبة القراء أن يبتعدوا عنها والرقية غنية عن ذلك وأن يقتصروا على الكتاب وصحيح الأدعية وشدة الافتقار واللجأ إلى الله تعالى أن يعافي مرضاهم فإنه الشافي جل وعلا والله المستعان .

السادس :- وضع اليد على المرأة حال الرقية عليها، وهذا يفعله البعض وهم قلة ولله الحمد وهذا أمر محرم لا يجوز، ولا حجة لمن يوهم المريضة بأهمية ذلك فإنه لا أهمية له ونحن نعلم ذلك عن تجربة، بل إن هذا الوضع يوجب فساداً في قلبه أو قلبها، والمرأة عورة كلها والناس يغارون على أعراضهم ولولا الحاجة لما أتوك، فلا تستغل هذه الحاجة في انتهاك حجاب العرض فاتق الله، بل ولا يجوز لك إدامة النظر لها حال الرقية، لأن الواجب غض البصر، ومهما كنت في دينك وأمانتك

فأنت رجل وهي امرأة والشيطان حريص على أن يلقي في قلبيكما الاستئناس بذلك، وقل لي بربك أين المسوغ الشرعي الذي يجيز لك هذا الوضع؟ أين المستند الذي تستند عليه في فعل ذلك؟ أهو الكتاب أم السنة أم فعل أحد من سلف الأمة وأئمتها؟ فإننا لا نعرف حرفاً واحداً يجيز ذلك بل الأدلة متوافرة على وجوب مباعدة الرجال عن النساء، والضرورة تقدر بقدرها، ولا ضرورة أبداً في وضع اليد على رأسها، وعلى هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تهتم بذلك وأن تزود القراء بالفتاوى الشرعية الصادرة من اللجان المعتمدة في الفتوى في حكم ذلك وعلى ولاة الأمر أن يضربوا بيدٍ من حديد على من يستخف بذلك ويخالفه والله المستعان .

السابع :- أمر المريض بإيقاف العلاجات التي قد صرفت لهم من قبل الأطباء، وهذا أمر لابد من التنبيه عليه، وهو من التدخل الذي لا ينبغي، فإن الأطباء ما صرفوا هذه العلاجات إلا لأنهم حددوا حالة المريض ورأوا أنها تحتاج إلى هذا العلاج المعين فلا يجوز للقارئ أن يأمر المريض أن يوقف هذا العلاج المعين بحجة أن ما يجده إنما هو من الشيطان الملابس، والله المستعان .

الثامن :- انسياق بعض الرقاة وراء الاتهامات الصادرة من الشيطان الملابس بأن قريب المريض أو قريبته هو الذي تسبب له بالسحر أو العين، وكم من القرابات التي تفرقت بسبب ذلك وكم من الخلافات التي حصلت بين الأقرباء بسبب ذلك، فالواجب على القارئ أن لا يمكن الشيطان الملابس من هذه الاتهامات وأن يكذبه فيها وأن يقنع المريض بأن الشيطان يكذب وأنه يقصد بهذه الاتهامات نشر الفساد وقطع أواصر القرابة فإن التحريش من مقاصد الشيطان كما قال عليه الصلاة والسلام ((إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم))"رواه مسلم من حديث جابر(٢١٩)"

(٢١٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا (٢٨١٢).

فالواجب سد هذا الباب وعدم تمكين الشيطان الملابس من هذه الاتهامات والأصل براءة الذمة، وأخبار الجن لا تصدق، ويا ليت الرقاة يسدون هذا الباب فإنه باب شر و فتنة، وقد حصل بسببه شرور كثيرة نعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

التاسع :- أمر المريض بتعليق بعض الأحجبة والتعاويذ والتمائم وهذا قد عرف خطره واشتهرت بين المسلمين حرمته. وقد ذكرنا أمر التمائم مفصلاً في كتابنا في العقيدة .

العاشر :- القراءة الجماعية على الأعداد الكثيرة، وهذا يوجب اختلاط الحابل بالنابل وانكشاف ما كان خافياً، وفضيحة ما كان مستتراً، ولا يُمَكِّنُ القارئ من متابعة حالة المريض، ولا يعرف له أصل عن السلف رحمهم الله تعالى، والسرية التامة في الرقية مطلوبة، وقد جربنا القراءة الجماعية فلم نجد فيها كبير فائدة، بل ما وجدنا الفائدة إلا في القراءة الفردية، وإن بعض الناس يحضر إلى مجلس الرقية الجماعية لمجرد حب الاستطلاع، فيخرج فاضحاً ما رآه فالمرجو من إخواننا القراء تجنب القراءة الجماعية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وهناك مفسدة أخرى وهو أن بعض المرضى يأتي وليس فيه إلا أشياء يسيرة ويحضر مجلس الرقية العامة فيرى هذا يصرع وهذا يصرخ وهذا يتخبط في الأرض وهذا يتقيأ وهذا يتمتم بألفاظ لا تعرف فقد يصاب هو بالوساوس، وكم من رجل وامرأة خرجوا من مجلس الرقية بالأوهام الردية، فأصيبوا بسبب ذلك بأمراضٍ أكبر مما كانت فيهم، فأسأله جل وعلا أن يعين إخواني القراء على ترك ذلك، فهذه بعض الأشياء التي قد تلاحظ، وهي قليلة في جانب حسناتهم الكثيرة ومن الإنصاف أن يغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه والله ربنا أعلى وأعلم .

الفرع الخامس عشر:ـ فإن قلت :ـ و ما الآيات والأذكار والتعاويذ الشرعية الثابتة والتي تستعمل في الرقية على المريض ؟ فأقول:- القرآن كله شفاء من أوله إلى آخره، قال تعالى{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ } [فصلت: ٤٤] وقال تعالى{يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا

هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٧، ٥٨] فالقرآن كله من أوله إلى آخره رقية وشفاء إلا أنه ينبغي التركيز على هذه الآيات :-

الأول :- سورة الفاتحة فإنها الشفاء والرقية وأم الكتاب والقرآن العظيم الذي أوتيه نبينا ﷺ، فليكثر القارئ منها وليكررها بتدبر وحضور قلب فإنها تنزل على البلاء بلسماً شافياً وسلسبيلاً عذباً كافياً، ولا يستطيع أي بلاء أن يقاومها لاسيما إذا وافقت قلباً مؤمناً متدبراً ومحلاً صالحاً لقبول أثرها، فإنها أعظم سلاح ولكن السلاح بضاربه،

ففي صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن أبي سعيدٍ الخدري ؓ أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا:- هل معكم من دواءٍ أو راقٍ؟ فقالوا:- إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا:- لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه، فضحك، وقال:- ((وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم)) (٢٢٠)

الثاني :- قراءة سورة الإخلاص وسورتي قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس وينبغي للقارئ أيضاً أن يركز على هذه السور ويكررها بتدبر وحضور قلب، واستيقان النفع،

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ((أن النبي ﷺ ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل، كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها)) (٢٢١)

---

(٢٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإجارة، بَابُ مَا يُعْطَى فِي الرُّقْيَةِ عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ (٢٢٧٦)، وفي كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ (٥٠٠٧)، وفي كتاب الطب، بَابُ الرُّقَى بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ (٥٧٣٦)، بَابُ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ (٥٧٤٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ جَوَازِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ عَلَى الرُّقْيَةِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ (٢٢٠١).

(٢٢١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ الرُّقَى بِالقُرْآنِ وَالمعَوِّذَاتِ (٥٧٣٥).

وقال الإمام النسائي في سننه، أخبرنا هلال بن العلاء قال حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيدٍ ﷺ قال ((كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان وعين الإنس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك)) (٢٢٢)"حديث حسن" .

الثالث :- آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن فإن لها أثراً عجيباً جداً على الجن الملابس وقد رأيت من ذلك العجب، فإن الجني الملابس لا يكاد يصبر عند سماعها وتراه يصيح بأعلى صوته من الألم وما يجده من الإحراق وسرعان ما يرفع راية الهزيمة عند تكريرها برفع صوتٍ وتأنٍ في التلاوة مع حضور قلب وكمال تدبر،

روى البخاري في صحيحه بسنده من حديث عوفٍ عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ قال:- وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت:- لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال:- إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال:- فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ ((يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة)) قال قلت:- يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله قال ((أما إنه قد كذبك وسيعود)) فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ ((إنه سيعود)) فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت:- لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقال:- دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله فقال لي رسول الله ﷺ ((يا أبا هريرة ما فعل أسيرك)) قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال ((إما إنه قد كذبك وسيعود)) فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت:- لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر

---

(٢٢٢) صحيح

أخرجه النسائي في سننه، في كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من عين الجان (٥٤٩٤)، وفي السنن الكبرى (٧٨٠٤)، (٧٨٧٧)، والترمذي في سننه كتاب الطب باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين (٢٠٥٨) وابن ماجه في سننه في كتاب الطب، باب العين (٣٥١١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٣٢٧).

من طريق: سعيد بن سليمان، عن عباد بن العوام، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، رجال الشيخين.

ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال:- دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت:- وما هو؟ قال:- إذا أويت إلى فراشك فقرأ آية الكرسي {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ((ما فعل أسيرك البارحة)) قلت:- يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال ((ما هي)) قلت:- قال لي: إذا أويت إلى فراشك فقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية، فلن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ((أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخطاب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة)) قال:- لا، قال ((ذاك شيطان)) .(٢٢٣)

الرابع :- أواخر سورة البقرة، أعني من قوله تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ} [البقرة: ٢٨٥]إلى آخر السورة، فإن لها أثراً عجيباً في الحفظ والكفاية،

فعن ابن مسعود قال قال رسول الله ((من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)) (٢٢٤)"متفق عليه"

وعنه قال ((لما أسري برسول الله انتهى به إلى سدرة المنتهى فأعطي ثلاثاً:- أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات)) (٢٢٥)"رواه مسلم"

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ((بينما جبريل عليه السلام قاعد عن النبي سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال:- هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح

---

(٢٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوكالة، بَابُ إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ المُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ (٢٣١١).

(٢٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب (٤٠٠٨)، وفي كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ البَقَرَةِ (٥٠٠٩)، بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ بَأْسًا أَنْ يَقُولَ: سُورَةُ البَقَرَةِ، وَسُورَةُ كَذَا وَكَذَا (٥٠٤٠)، بَابٌ: فِي كَمْ يُقْرَأُ القُرْآنُ (٥٠٥١)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ (٨٠٧)، (٨٠٨).

(٢٢٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٧٣).

قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال:- هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم فقال:- أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته))" (٢٢٦) رواه مسلم" .

الخامس :- قراءة سورة البقرة بكاملها إن أمكن ذلك وبخاصة في البيت

فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة))" (٢٢٧) رواه مسلم"

وعن أبي أمامة قال سمعت رسول الله يقول ((اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صوافٍ تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيلها البطلة))" (٢٢٨)رواه مسلم" .

السادس :- أن يرقي المريض برقية جبريل للنبي

فعن عائشة رضي الله عنها قالت:- ((كان النبي إذا اشتكى رقاه جبريل قال:- باسم الله يبريك ومن كل داءٍ يشفيك ومن شر حاسدٍ إذا حسد وشر كل ذي عين))"(٢٢٩) رواه مسلم"

وعن أبي سعيدٍ الخدري أن جبريل أتى النبي فقال له:- يا محمد اشتكيت؟ قال:- نعم، فقال ((باسم الله أرقيك من كل شرٍ يؤذيك من شر كل نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك باسم الله أرقيك))" (٢٣٠)رواه مسلم" .

---

(٢٢٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ (٨٠٦).

(٢٢٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ، وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ (٧٨٠).

(٢٢٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ (٨٠٤).

(٢٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَى (٢١٨٥).

السابع :- أن يقول:- اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاءً لا يغادر سقماً، فعن ثابت أنه قال:- يا أبا حمزة اشتكيتُ فقال أنس:- ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال:- بلى فقال ((اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاءً لا يغادر سقماً))" (٢٣١) رواه البخاري"

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يرقي بهذه الرقية ((أذهب الباس رب الناس، بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت)) (٢٣٢)"رواه مسلم" .

الثامن :- أن يضع الراقي سبابته في الأرض ثم يرفعها ويقول ((باسم الله ربنا تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا))

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها ((بسم الله ربنا تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا)) (٢٣٣)"متفق عليه واللفظ لمسلم" .

التاسع :- أن يعوذه بتعويذة النبي ﷺ للحسن والحسين،

ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:- كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول ((إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة)) (٢٣٤).

---

(٢٣٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَى (٢١٨٦).

(٢٣١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، بَابُ دُعَاءِ العَائِدِ لِلْمَرِيضِ (٥٦٧٥)، وفي كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٣)، بَابُ مَسْحِ الرَّاقِي الوَجَعَ بِيَدِهِ اليُمْنَى (٥٧٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ (٢١٩١).

(٢٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ (٢١٩١).

(٢٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٥)، (٥٧٤٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٢١٩٤).

(٢٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٣٣٧١).

العاشر :- أن يضع المريض يده على الذي يألم من جسده ويقول ما ورد في هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ « ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِى تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلاَثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ » (٢٣٥)

وبالجملة فإن قراءة القرآن على المريض مما يوجب سكينة قلبه وذهاب غمه وتنزل السكينة على فؤاده وراحة نفسه وانشراح صدره

فعن البراء بن عازب ﷺ قال:- كان رجل قرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو منه وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال ((تلك السكينة تنزلت بالقرآن)) (٢٣٦)"متفق عليه"

ولا بأس بالنفث حين الرقية، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه باباً في شأن ذلك فقال:- باب النفث في الرقية، ثم قال:- حدثنا خالد بن مخلد، قال حدثنا سليمان عن يحيى بن سعيد قال سمعت أبا سلمة قال:- سمعت أبا قتادة يقول سمعت النبي ﷺ يقول ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات ويتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره)) (٢٣٧)

وقال البخاري أيضاً:- حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله الأويسي قال حدثنا سليمان، عن يونس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت ((

---

(٢٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ اسْتِحْبَابِ وَضْعِ يَدِهِ عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ مَعَ الدُّعَاءِ (٢٢٠٢).

(٢٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦١٤)، وفي كتاب التفسير، بَابُ {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ} (٤٨٣٩)، وفي كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الكَهْفِ (٥٠١١)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ نُزُولِ السَّكِينَةِ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ (٧٩٥).

(٢٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ (٣٢٩٢)، وفي كتاب الطب، بَابُ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ (٥٧٤٧)، وفي كتاب التعبير، بَابٌ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ (٦٩٨٦)، بَابُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَامِ (٦٩٩٥)، بَابٌ: الحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٧٠٠٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الرؤيا (٢٢٦١).

كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده)) (٢٣٨)

وقد تقدم أيضاً في حديث أبي سعيد في قصة اللديغ ذكر التفل وفيه ((فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الفاتحة)) (٢٣٩)

فإن كان الوجع في موضعٍ معين كرأس أو يد أو رجل أو بطن أو ظهر ونحوه فليركز القارئ على هذا الموضع وإن كان المريض يشتكي من جسده فلينفث على جميع جسده، ولا بأس أن يمسح القارئ مريضه بيده، فقد قال الإمام البخاري في صحيحه:- باب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى، ثم قال:- حدثنا عبدالله بن أبي شيبة قال حدثنا يحيى عن سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت:- كان النبي ﷺ يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه ((اذهب الباس رب الناس...الحديث)) (٢٤٠) وقد تقدم وإنما ذكرناه موضع الشاهد منه،

ولا بأس أن ترقي المرأة الرجل إذا كان محرماً لها فقد قال الإمام البخاري في صحيحه:- باب المرأة ترقي الرجل ثم قال حدثني عبدالله بن محمد الجعفي قال حدثنا هشام قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ((أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنا أنفث عليه بهن فأمسح بيد نفسه لبركتها...)) (٢٤١)

---

(٢٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ (٥٧٤٨).

(٢٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإجارة، بَابُ مَا يُعْطَى فِي الرُّقْيَةِ عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ (٢٢٧٦)، وفي كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ (٥٠٠٧)، وفي كتاب الطب، بَابُ الرُّقَى بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ (٥٧٣٦)، بَابُ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ (٥٧٤٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ جَوَازِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ عَلَى الرُّقْيَةِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ (٢٢٠١).

(٢٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، بَابُ دُعَاءِ العَائِدِ لِلْمَرِيضِ (٥٦٧٥)، كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٣)، بَابُ مَسْحِ الرَّاقِي الوَجَعَ بِيَدِهِ اليُمْنَى (٥٧٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ (٢١٩١).

(٢٤١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ الرُّقَى بِالقُرْآنِ وَالمعَوِّذَاتِ (٥٧٣٥).

والأفضل ترك الاسترقاء لمن استغنى عنه طلباً لتحقيق كمال التوكل، وهذا في الاسترقاء والكي لا في سائر أنواع العلاجات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج علينا النبي ﷺ يوماً فقال ((عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي وليس معه أحد ورأيت سواداً كثيراً في الأفق فرجوت أن تكون أمتي فقيل:- هذا موسى وقومه، ثم قيل لي:- انظر فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل لي:- هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم)) فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا:- أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء أبناؤنا، فبلغ النبي ﷺ فقال ((هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون)) (٢٤٢) "متفق عليه واللفظ للبخاري" والله تعالى أعلى وأعلم .

الفرع السادس عشر :ـ فإن قلت :ـ وهل ثبت في السدر أنه علاج للسحر ؟ فأقول :ـ لقد ذكر جمع من أهل العلم رحمهم الله تعالى في ذلك بعض الآثار ،

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى (ومن علاج السحر بعد وقوعه أيضا وهو علاج نافع للرجل إذا حبس من جماع أهله أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر فيدقها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل ، ويقرأ فيها (آية الكرسي) و {قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ } [الكافرون: ١] و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } [الفلق: ١] و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس: ١]، وآيات السحر التي في سورة الأعراف ، وهي قوله سبحانه{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ} والآيات التي في سورة يونس وهي قوله سبحانه{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ

---

(٢٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ مَنِ اكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ، وَفَضْلِ مَنْ لَمْ يَكْتَوِ (٥٧٠٥)، بَابُ مَنْ لَمْ يَرْقِ (٥٧٥٢)، وفي كتاب الرقاق، بَابٌ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (٦٤٧٢)، بَابٌ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٦٥٤١)، ومسلم في صحيحه في كتاب ا لإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ (٢١٨)، (٢٢٠).

وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} والآيات التي في سورة طه {يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى سورة طه الآية وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}وبعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب منه ثلاث مرات ويغتسل بالباقي وبذلك يزول الداء إن شاء الله، وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء) (٢٤٣).

وقال أيضا رحمه الله تعالى (ومن علاج السحر أيضا وهو من أنفع علاجه بذل الجهود في معرفة موضع السحر في أرض أو جبل أو غير ذلك، فإذا عرف واستخرج وأتلف بطل السحر هذا ما تيسر بيانه من الأمور التي يتقى بها السحر ويعالج بها والله ولي التوفيق) (٢٤٤)

قلت :ـ فهذه فروع طيبة إن شاء الله تعالى في مسألة الرقية أحببنا إتحافك بها ، لعل الله تعالى أن ينفعنا وإياك بها ، ثم بعد إتمام الكلام على ما يتعلق بالرقية ، نرجع إلى شرح الأبيات ، ونرجع إلى تقييد المسائل ، وقد وصلنا إلى المسألة الثالثة عشرة ،ونبدأ الآن بما بعدها ، والله ربنا أعلى وأعلم .

(المسألة الرابعة عشرة):ـ ثم تكلم الناظم عن الكهانة وأحكام الكهان ومن يأتي إليهم ، والخلاصة أن الكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل اعتمادًا على الاستعانة بالشياطين وأما حكمه : فهو مشرك بالله جل وعلا الشرك الأكبر ؛ وذلك لأنه يستخدم الجن ولا يمكن أن تخبره الجن بالمغيبات إلا إذا تقرب إليها بأنواع العبادات ، وهذا من استمتاع الجن بالإنس الداخل في قوله تعالى : ؟ ربنا استمتع بعضنا ببعض ؟ ، فالكاهن يستمتع بما تخبره به الشياطين من الأمور الغيبية والشياطين تستمتع بما يتقرب لها من أنواع العبادات ، وكانت الكهانة منتشرة في بلاد العرب في الجزيرة وغيرها ، وحقيقة الكهانة : أنها صنعة مضادة لأصل التوحيد لما فيها من تصديق الجن فيما تخبره به من الغيب ، فهي مضادة

---

(٢٤٣) أنظر مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٣/ ٢٧٩).

(٢٤٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٣/ ٢٨٠).

كل المضادة لقوله تعالى {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٥] ولقوله تعالى {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن: ٢٦، ٢٧] الآية فالكاهن لابد لكي يخدموا بذكر الأمور المغيبة لهم أن يتقربوا إلى الجني ببعض العبادات إما بالذبح أو الاستغاثة أو بالكفر بالله بسب المصحف أو إهانته ونحو ذلك ، حتى ترضى عليهم الشياطين ، فتخبرهم ببعض الأمور الغائبة ، فهم دجالون كذابون أفاكون يعتمدون في مثل هذه الأخبار على نقل الدجالين الكذابين الأفاكين ، والله أعلم .

(المسألة الخامسة عشرة) فإن قلت :ـ وما حكم الإتيان إليهم بالتفصيل ؟ فأقول :ـ الإتيان إليهم لا يخلو : إما أن يكون لفضح حالهم والإنكار عليهم وبيان تناقضهم وللأخذ على أيديهم أو للتحقق من حالهم ومعرفة حقيقة أمرهم ، فهذا مأمور به لأنه من جملة الإنكار ، بل هو من الواجبات على من أعطاه الله نفوذًا وسلطانًا على الإنكار باليد أو اللسان ، وهو من أعظم القربات - جزى الله فاعله خير الجزاء أن يريح الأمة من هذه الطائفة العفنة - ، فهذا هو حالة الأولى .

وأما الحالة الثانية : أن يأتيهم يسألهم لمجرد الاطلاع على صنعتهم ولا ينوي شيئًا مما ذكرناه في الحالة الأولى ولا يصاحب ذلك الاطلاع والسؤال تصديق فيما يخبرون به من الغيب ، فهذا الإتيان محرم وكبيرة من كبائر الذنوب وموجب للعقوبة لما فيه من تعريض التوحيد للخطر ، ولأنه وسيلة من وسائل الوقوع في حبائلهم والاغترار بحالهم ، ولما فيه من فتح الذهاب إليهم واغترار الجهال بما هم عليه من الكفر والشرك ، ولأنه إذا لم ينكر هذا المنكر بما يقدر عليه من مراتب الإنكار فإنه يكون بذلك قد ترك واجبًا ومن ترك واجبًا فإنه لزامًا يقع في الحرام ؛ لأن ترك الواجب وقوع في المحرم

وأما الحالة الثالثة : فهي أن يأتيهم فيسألهم عن شيء فيصدقهم فيما يقولون ، فهذا قد ارتكب جرمًا أشد من الذي قبله في الحالة الثانية وقد ورد الدليل الصحيح الصريح بأنه بذلك السؤال والتصديق لا تقبل له صلاة أربعين يومًا ، وبأنه كفر بما أنزل على محمد ﷺ ، فقد روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال

: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (٢٤٥) ، فهذا الحديث عقوبته مشروطة بالتصديق .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد بريء بما أنزل على محمد ؟)) (٢٤٦) رواه أبو داود

وللأربعة والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن النبي ﷺ أنه قال : ((من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) .(٢٤٧)

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا : ((ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) (٢٤٨) .

---

(٢٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ (٢٢٣٠).

(٢٤٦) حسن بشواهده

أخرجه أحمد في مسنده (٩٢٩٠)، (١٠١٦٧)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في الكاهن (٣٩٠٤)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض (٦٣٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٩٦٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٤٨٢)، والدارمي في سننه (١١٧٦)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧)، والحاكم في المستدرك (١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤١٢٤).

من طريق: حماد بن سلمة، عن حكيم الأثرم، عن أبي تميمة، عن أبي هريرة، به.

وفي إسناده ضعف، بسبب حكيم بن الأثرم، وهو لين الحديث، لكن يحسن بشواهده.

(٢٤٧) حسن بشواهده

أخرجه أحمد في مسنده (٩٢٩٠)، (١٠١٦٧)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في الكاهن (٣٩٠٤)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض (٦٣٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٩٦٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٤٨٢)، والدارمي في سننه (١١٧٦)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧)، والحاكم في المستدرك (١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤١٢٤).

من طريق: حماد بن سلمة، عن حكيم الأثرم، عن أبي تميمة، عن أبي هريرة، به.

وفي إسناده ضعف، بسبب حكيم بن الأثرم، وهو لين الحديث، لكن يحسن بشواهده.

(٢٤٨) ضعيف.

أخرجه البزار في مسنده (٣٥٧٨)، والدولابي في الكنى والأسماء (٢٠٨٣).

من طريق: أبي حمزة العطار، عن الحسن البصري ، عن عمران بن حصين ، به.

وهاهنا تنبيهان :

الأول : قوله : ((فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) اختلف العلماء في ذلك الكفر ، هل هو الأكبر أم الأصغر ؟ والأقرب - إن شاء الله تعالى - أنه الكفر الأصغر أي ليس هو الكفر الناقل عن الملة ، بل هو الكفر المنافي لكمال التوحيد الواجب ؛ وذلك لأنه في الحديث الذي رواه مسلم قال : ((لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)) (٢٤٩) ، فهذا التقييد فهم أن الكفر هنا هو الكفر الأصغر ؛ لأنه لو كان يريد الأكبر لما حده بأربعين يومًا ؛ لأن الكفر الأكبر لا يقبل معه صلاة مطلقًا ؛ لأن من شرط القبول الإسلام ، ولأنه يجب الجمع بين الأحاديث ما أمكن وهذا القول الذي ترجح هو الذي يجمعها ؛ ولأن تصديق الكاهن فيه نوع شبهة تمنع من تكفير مصدقه الكفر الأكبر ، فإن قلت : لماذا لا يحمل الحديث الذي في صحيح مسلم على الحالة الثانية وهو السؤال المجرد عن التصديق ؟ فأقول : المانع من ذلك هو زيادة أحمد في هذا الحديث : ((فسأله عن شيء فصدقه))، (٢٥٠)

فيه: أبو حمزة العطار وهو متكلم فيه، وإن كان الراجح فيه أنه يحسن حديثه، فقد قال البزار رحمه الله: فلا نعلمه يروى إلا عن عمران بن حصين، ولا نعلم له طريقا عن عمران بن حصين إلا هذا الطريق، وأبو حمزة العطار بصري لا بأس به.

قلت: إلا أن شيخ أبي حمزة هو الحسن البصري وهو مدلس، ولم يصرح بالسماع،

لكن لبعض فقرات الحديث شواهد يحسن بها، والله أعلم.

قال البزار: وهذا الحديث قد روي بعض كلامه من غير وجه فأما بجميع كلامه ولفظه فلا نعلمه يروى إلا عن عمران بن حصين، ولا نعلم له طريقا عن عمران بن حصين إلا هذا الطريق، وأبو حمزة العطار بصري لا بأس به.

(٢٤٩) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ (٢٢٣٠).

(٢٥٠) حسن بشواهده

أخرجه أحمد في مسنده (٩٢٩٠)، (١٠١٦٧)،

من طريق: حماد بن سلمة، عن حكيم الأثرم، عن أبي تميمة، عن أبي هريرة، به.

وفي إسناده ضعف، بسبب حكيم بن الأثرم، وهو لين الحديث، لكن يحسن بشواهده.

وأخرجه أحمد في مسنده (٩٥٣٦).

من طريق: يحيى بن سعيد، عن عوف، قال: حدثني خلاس، عن أبي هريرة، والحسن، به.

وفيه خلاس، وهو وإن كان ثقة، إلا أنه يرسل، وقال أحمد عنه: لم يسمع خلاس من أبي هريرة.

فيكون منقطعًا، والله أعلم.

وهذا قيد فيه هذه العقوبة ، وقد تقرر في القواعد أن إعمال الكلام أولى من إهماله ، فلا يجوز إلغاء ذلك القيد ؛ لأنه لا يجوز إلغاء شيء من كلام الشارع ، ولا غرابة أن يأتي هذا اللفظ أعني قوله : ((فقد كفر بما أنزل على محمدٍ ﷺ)) مرادًا به الكفر الأصغر ،

وذلك كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) (٢٥١) وسنده حسن صحيح .فالأظهر أن كفره كفرًا أصغر وليس بأكبر ، والله أعلم .

الثاني : قوله : ((لم تقبل له الصلاة أربعين يومًا)) (٢٥٢) لا يراد به أنه يتركها بالكلية ، وإنما المقصود من ذلك ذهاب الأجر لكنه يجب عليه أداؤها ويسقط عنه الغرض بذلك ، لكن لا أجر له فيها عقوبة ونكالاً له على جريمته وتعديه لحدود الله تعالى ، وفيه دليل أيضًا على أن مصدقهم لا يكفر الكفر الأكبر لإلزامه بفعل الصلاة وإنما الذاهب عليه أجرها ، ولو كان كافرًا الكفر الأكبر لما قبلت منه مطلق القبول ، وقوله : ((أربعين يومًا)) فيه دليل على أن هذه العقوبة مؤقتة بوقت ثم يزول أثرها بانتهاء وقتها ، مما يدل أيضًا على أن المراد الكفر الأصغر لا الأكبر كما قدمنا ، والله أعلم .

فهذا هو تفصيل الحكم في الإتيان إليهم مقرونًا بالدليل والتعليل ، والله أعلم .

(المسألة السادسة عشرة) فإن قلت :ــ و ما أصناف الكهانة ؟ وما الجامع فيها؟

---

(٢٥١) حسن بشواهده

أخرجه أحمد في مسنده (٩٢٩٠)، (١٠١٦٧)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في الكاهن (٣٩٠٤)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض (٦٣٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٩٦٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٤٨٢)، والدارمي في سننه (١١٧٦)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧)، والحاكم في المستدرك (١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤١٢٤).

من طريق: حماد بن سلمة، عن حكيم الأثرم، عن أبي تميمة، عن أبي هريرة، به.

وفي إسناده ضعف، بسبب حكيم بن الأثرم، وهو لين الحديث، لكن يحسن بشواهده.

(٢٥٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ (٢٢٣٠).

فأقول : أصناف الكهانة كثيرة :ـ

فمنها : ما يكون بالنظر في النجوم .

ومنها : ما يكون بالخط .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق النظر في الفنجان .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق الطرق .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق الودع .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق قراءة الكف .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق ضرب الرمل .

ومنها:ـ ما يكون عن طريق قراءة ما في الضمير .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق رمي الحصى في الأرض ثم تقليبه والنظر فيه . .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق النظر في الزجاج أو الماء .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق صب الرصاص المذاب .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق النظر في البروج كبرج الأسد والثور والعقرب والجدي ونحوها مما هو مشهور في كثير من المجلات .

ومنها :ـ ما يكون عن طريق حروف (أباجاد) كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوم يكتبون (أباجاد) وينظرون في النجوم فقال : ((ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)) (٢٥٣).

---

(٢٥٣) صحيح.

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٦٤٨) وعبد الرزاق في جامع معمر (١٩٨٠٥) وابن وهب في جامعه (٦٩٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٩٨٠) البيهقي في الآداب (٣٤٢)، وفي السنن الكبرى (١٦٥١٤) وفي شعب الإيمان له (٤٨٣١).

كلهم من طرق عن عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس ﷺ.

وهذا إسناد صحيح ، عبد الله بن طاوس "ثقة".

وكل هذه الطرق مبنية على الدجل والخرافة والتغرير ، فإن هذه الأشياء إنما يتخذها الكهان للتدجيل وتغرير من يأتيهم بأنهم أصحاب على وإلا فالأخبار التي يخبرون بها ليست عن طريق هذه الأشياء في الحقيقة وإنما هي عن طريق شيطاينهم ، ولذلك فالجامع في الكهانة أنها التدخل في ادعاء علم الغيب عن طريق ما يتلقفه الكاهن من أفواه الشياطين مع اتخاذه بعض الوسائل الظاهرة للخداع والتغرير ، والله أعلم .

(المسألة السابعة عشرة) فإن قلت :ـ وكيف يعرف الكاهن ؟ فأقول : يعرف الكاهن بأمور كثيرة :

منها : أنه غالبًا يسأل عن اسم الأم أو أحد الأقرباء .

ومنها : أنه غالبًا ما يطلب بعض آثار المريض من ثياب أو ملابس داخلية كسراويل ونحوها .

ومنها: أنه يعرف أيضًا باستخدام بعض الطرق الذي مر ذكرها في إجابة السؤال الماضي.

ومنها : يعرض أيضًا بادعائه التطبب بالقرآن وهو لا يصلي ولا يرى في المساجد .

ومنها : أنه غالبًا ما يأمر المريض بذبح شيء من الأنعام أو غيرها مما يؤكل من الحيوانات بشروط يمليها على المريض .

ومنها : أنه يخبر المريض عن أشياء لم يخبره بها المريض ولا يعرف شيئًا عن حاله سابقًا أو يخبر المريض عن أشياء خاصة جدًا لا يطلع عليها إلا خواص الإنسان .

ومنها : أن يُسمَع منه تمتمات وعبارات لا يفقه معناها .

ومنها : أن بعضهم لا يعالج إلا في غرفة مظلمة .

ومنها : إعطاء المريض بعض الأوراق التي فيها كتابات لا تقرأ وعبارات هي كالألغاز التي لا تفهم أو فيها بعض الأسماء الغريبة ، وغالبًا ما يكون اسم الشيطان الذي يستعين به .

ومنها : أمر المريض بعدم قراءة القرآن عند المجيء إليه وذلك حتى لا يفر الشيطان الذي يستعين به ، بل وبعضهم ينهى المريض عن الصلاة في يوم العلاج وبعضهم ينهاه عن التسمية عند إرادة الدخول عليه في مكان علاجه .

ومنها : تردده الكثير على الخرب والأماكن المهجورة ؛ وذلك لأنها غالبًا ما تكون محتضرة تكثر فيها الشياطين أو ليضع فيها عقده وأوراقه لأنها مكان لا يأتيه أحد .

ومنها : صرف بعض الأعشاب والتدخينات العجيبة لتدخين البيت والغرف بها في أوقاتٍ معينة بطريقة خاصة يخبره الكاهن بها .

ومنها : عدم حرصه على شعائر الإسلام الظاهرة مع تلبسه ببعض المنكرات والمعاصي وهو يدعي أنه يعالج بالقرآن وغير ذلك من العلامات : وبالجملة فمعرفة أولياء الشيطان له علامات كثيرة يعرفون بها لا تخفى على من له أدنى علم ومعرفة ، والله المستعان وعليه التكلان وهو أعلى وأعلم .

فقول الناظم عفا الله عنه (والسحر) إن كان يتضمن الاستعاذة بالشياطين والاتصال بهم والسجود لهم والتعبد لهم بنوع من أنواع العبادات ، أو كان يتضمن القدح في الدين وارتكاب ما يوجب الردة من الأقوال والأفعال فهو في هذه الحالة (شرك) ، كما قدمنا (و) إن ثبت ذلك فاعلم أن (السواحر) جمع ساحرة ، والحكم يعم الرجال والنساء (حدهم) الواجب عليهم شرعا بالدليل الصحيح المعتمد هو (قطع الرقاب بضربة بسنان) أي السيف ، وهذا في الحقيقة سبق قلم مني ، لأن السيف لا يسمى في اللغة بالسنان ، وإنما السنان الرمح ، ولكن يتجاوز عنه إن شاء الله تعالى ، فإن المشايخ الذين قرأت عليهم المنظومة لم يتكلموا فيها ، والمهم أن حد الساحر ضربة بالسيف ، (وكذلك الكهان فاحذر منهم)الحذر الكبير ، (لا تأتهم) ولا تعول على أخبارهم ، ولا تقرب محال وجودهم إلا لفضحهم وبيان عوارهم ، (فهم) أي الكهان (الحطيط الداني) أي التافه الذي لا قيمة ولا

وزن ولا قدر له ، كما قال النبي ﷺ " ليسوا بشيء فلا تأتهم (٢٥٤)" (فلئن) خالفت النهي عن إتيانهم وأتيتهم ووقعت في المخالفة فلا يخلو :ـ أما أن تكون (مصدقا) لهم فيما يخبرون به (فالكفر) أي فقد وقعت في الكفر ، (أو) أي وإن أتيتهم غير مصدق لهم فقد (ذهبت صلاتك) والمراد بالذهاب هنا أي ذهاب (أجرها) ، أي أجر الصلاة ، وأما هي فلا بد أن تأتي بها كما قدمنا ، فالمراد بالذهاب هنا هو ذهاب الأجر فقط على التفصيل السابق ، وأما قوله (مائتان) أي مائتا فرض ، كلها ذاهبة الأجر ، فإن قلت :ـ وكيف قلت إنها مائة فرض ؟ فأقول :ـ لأن الدليل صرح بذهاب أجر الصلاة أربعين يوما ، وكل يوم فيه خمسة فروض ، فخمسة في أربعين ناتجها مائتا فرض ، والنظم يحكم الناظم أحيانا ، ثم حذرك الناظم من حل السحر بالسحر ودلك على الطريق السليم لحله فقال (لا تبطلن ـ هديت ـ سحرا يا فتى بالسحر) وقد قدمنا الأدلة الدالة على تحريم ذلك ، وألفنا فيه رسالة مستقلة ، فهذه الطريق محرمة ، لأن (ذلك) العمل من (نشرة الشيطان) أي من عمل الشيطان ، (بل) عليك إن أردت الطريق النافع السليم الصحيح الفعال ، أن تبطل أثر السحر والعين والمس وغيرها (بالقرآن وما يباح من الدعا) أي بالرقية الشرعية التي توفرت فيه الشروط وانتفت عنها الموانع ،كما فصلنا الكلام فيها سابقا ، (فهي) أي فهذه الرقية النافعة (الشفاء بقدرة المنان) والمنان وإن كان ليس من أسماء الله تعالى عند بعض أهل العلم ، ولكن لا حرج في إطلاقه عليه جل وعلا من باب الخبر ، فإن باب الأخبار أو سع من باب الأسماء والصفات ، كما سيأتي الكلام عليه مفصلا إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلى وأعلم . * ثم قال الناظم عفا الله تعالى وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

إياك والتنجيم فهو مناقض   للدين فاحذر يا أخا العرفان

إن النجوم لها ثلاث مصالح   ذكرت لها في محكم القرآن

للرجم والتزيين أعني للسما   وللاهتداء وليس ثمة ثاني

---

(٢٥٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِلشَّيْءِ: لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَهُوَ يَنْوِي أَنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ (٦٢١٣)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالمنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلاَوَتُهُمْ لاَ تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ (٧٥٦١)، وفي باب الكهانة (٥٧٦٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ (٢٢٢٨).

من قال شيئا غير ذلك فهو في درن الضلال وباء بالخسران

أقول :ـ هذه الأبيات تتكلم عن حكم التنجيم في الشريعة الإسلامية ، ولا بد أولا أن تعلم بارك الله تعالى فيك أن القاعدة المتقررة أن الأمور الغيبية لا بد في إثباتها من دليل ، والمتقرر أن الأحوال الفلكية لا يجوز الاستدلال بها على الحوادث الأرضية إلا بدليل ، فلا يحل لأحد من الناس كائنا من كان أن يجعل شيئا من أحوال النجوم وسير الشمس والقمر وخروج النجوم واختفائها دليلا على الحوادث الواقعة في الأرض ، إلا إن جاء بدليل ساطع على هذه العلاقة ، وإلا فالأصل أن أحوال الفلك لا شأن لها في حوادث الأرض ، واعلم رحمك الله تعالى أن الله تعالى هو المتصرف في هذا الكون ، فهو الذي يملك النفع والضر ، وهو الذي بيده تصريف الأمور وتدبير الأحوال ، فلا يحي إلا الله ولا يميت إلا الله ولا يغني ولا يفقر إلا الله ولا يوجد ولا يعدم إلا الله ولا تسقط ورقة من شجرة إلا الله والله تعالى عالم بها ، وهو المتصرف فيها وفي كل شيء جل وعلا ، فلا يملك التصرف مع الله تعالى في شيء من هذا الكون لا سماء ولا أرض ولا فلك ولا نجم ولا كوكب ولا شمس ولا قمر ولا رياح ولا جبال ولا حجر ولا شجر ولا جن ولا بشر ، ولا ملك ولا أي شيء ، فالمتصرف والمدبر لأحوال هذا الكون إنما هو الله تعالى وحده لا شريك له ، كما قال تعالى {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ: ٢٢] وقال تعالى {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر: ٣٨] وقال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فصلت: ٣٧] فكل هذه الكواكب العلوية والأفلاك السماوية خاضعة لأمر الله تعالى لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، ولا تملك في هذا الكون تصرفا ولا تدبيرا ، بل ساجدة لله تعالى وسبحة بحمده ، كما قال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨] فالنجوم والأنواء والقمر والشمس وسائر الأفلاك

العلوية كلها مفتقرة في وجودها وتصريف أحوالها إلى الله تعالى الافتقار الذاتي ، وكلها مخلوقة مدبرة مربوبة ضعيفة عاجزة لا تدل إلا على أن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، فهي من جملة آياته الكونية الدالة على عظيم صنعه وكبير قدرته وأنه المعبود بالحق لا إله إلا هو جل وعلا ، فلا يجوز أن نعتقد فيها أن أحوالها من ظهور وخفاء ونحو ذلك يجلب السعد أو يجلب النحس أو أنها دليل على الأمور الغائبة المستقبلية ، كل هذا مما لا يجوز في الشريعة ، بل في الشرائع كلها ، بل هذا الفعل من جنس فعل الصابئة الذين يعتقدون في الكواكب والأفلاك في حركاتها أنها تدبر العالم وأن لها حق التصريف ، ولذلك فقد كانوا يعبدونها ويبنون لها الهياكل في الأرض ويسمونها بأسمائها ، ولا تزال طائفة على هذا الاعتقاد الفاسد الكفري الكاسد ، فالله تعالى لم يجعل تدبير العالم علويه وسفليه إلى نجم ولا فلك ولا ملك ولا كوكب ولا شمس ولا قمر ، وإنما الله وحده هو مالك كل شيء ، وهو المدبر لكل شيء ، وهو المتصرف في كل شيء ، لا شريك له في خلقه ولا في ملكه ولا في تصريفه وتدبيره لهذا العالم ولغيره من العوالم التي لا يعلمها إلا هو جل وعلا ، ولا تزال بعض العقول متعفنة بالاعتقاد في النجوم ، فترى الواحد منهم يأتي إلى الكهان أو يتصل بهم لاستكشاف ما يخبئ له القدر وما مستقبله وما رزقه وكيف ستكون عليه حاله في الأزمنة القادمة ، وترى بعضهم يتتبع الأبراج التي يكتبها الكهان في بعض المجلات والجرائد ، لينظر في برجه الذي ولد فيه ما الذي ستكون عليه الحال في هذا الشهر ، ويسعد المسكين ويشقى إن نظر في هذه الأبراج ما يسعده أو يشقيه ، وكلها دجل وخرافة وتلاعب بالعقول ودعوة إلى الكفر والخروج من الملة بالكلية ، ولأن الأمر من الأمور العقدية الكبيرة المهمة عقد له الناظم هذه الأبيات ليبين فيها أحكام التنجيم ولماذا خلق الله تعالى هذه النجوم ، والكلام عليها في فروع :ـ

الفرع الأول :ـ عرف أهل العلم رحمهم الله تعالى التنجيم بأنه الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية من سير النجوم وظهورها واختفائها وتقدمها وتأخرها ونحو ذلك ، فخلاصة هذا العلم هو النظر في أحوال النجوم بقصد استكشاف شيء من الأحوال الأرضية ، فهو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع،وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح

ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغيرّ الأسعار وما كان في معانيها من الأمور. يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، وباجتماعها واقترانها، والله تعالى أعلم .

الفرع الثاني :ـ واعلم رحمك الله تعالى أن أهل العلم رحمهم الله تعالى قد قسموا علم التنجيم إلى عدة أقسام ، وهذه الأقسام من باب التمييز والفصل بين أحكام التنجيم ، وهو من ورع أهل العلم رحمهم الله تعالى في إطلاق الأحكام ، ونحن نسوق لك ما قالوه هنا باختصار شديد ، فنقول :ـ

الأول : التنجيم الذي هو اعتقاد أن النجوم فاعلة مؤثرة بنفسها وأن الحوادث الأرضية منفعلة ناتجة عن النجوم وعن إرادات النجوم ، وهذا تأليه للنجوم وهو الذي كان يصنعه الصابئة ، فقد كانوا يجعلون لكل نجم وكوكب صورة وتمثالاً ويسمونها بأسمائها فتحل فيها الشياطين وتأمرهم بعبادة هذه الأصنام ، وهذا بالإجماع كفر أكبر وشرك أكبر ، ومن ذلك شرك قوم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام الثاني : الاستدلال بحركة النجوم على معرفة المغيبات في المستقبل فيدعون أنهم يعرفون ما سيأتي في المستقبل بحركة النجوم من التقائها والتفافها وطلوعها وغروبها ، وهؤلاء هم المنجمون وهو نوع من الكهانة ، وهو الذي يسميه العلماء : بعلم التأثير ، وهذا محرم بالإجماع وكبيرة من كبائر الذنوب ويوصل صاحبه إلى الكفر الأكبر والشرك الأكبر ؛ وذلك لما فيه من ادعاء مشاركة الله تعالى في علم الغيب ، ولأن فيه استعانة بالشياطين ؛ لأن الذي يأتيهم بالأخبار إنما هي الشياطين فإنها توحي بهذه الأخبار إليهم ومن ذلك ما يمليه الكهان في بعض المجلات في الأبراج المعروفة فيقولون : صاحب برج العقرب سيأتيه كذا وكذا ، وصاحب برج الأسد سيأتيه كذا وكذا ونحو ذلك ، وكل ذلك شرك وكفر - والعياذ بالله تعالى - .

الثالث : تعلم منازل النجوم وحركاتها لمعرفة القبلة والأوقات وللاستدلال بها على الجهات في ظلمات البر والبحر ولمعرفة أوقات الزراعة مثلاً والاستدلال بذلك على وقت هبوب الرياح وعلى الوقت الذي جرت سنة الله تعالى أن ينزل فيه المطر ونحو ذلك ، فهذا هو الذي يسميه العلماء : بعلم التسيير .

وقد رخص فيه بعض العلماء ، وبعضهم لم يرخص فيه ، أي في جوازه خلاف ، والصحيح جوازه ؛ لأن مبنى ذلك العلم هو جعل حركة النجوم علامة على الوقت فقط لا أنها مؤثرة بذاتها أو أنها سبب للتأثير ، ولعموم قوله تعالى{وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل: ١٦]وقوله تعالى {وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} [يونس: ٥] وقوله تعالى{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام: ٩٧]والاهتداء بها من لوازمه معرفة منازلها وحركاتها ، لكن كما ذكرت لك أن ذلك يؤخذ على أنه لمعرفة الأوقات فقط ، لكن لا على أن حركاتها مؤثرة بذاتها أو أنها سبب للتأثير ، والله أعلم .

والخلاصة من ذلك أن هذا العلم قسمان :ـ علم التأثير وعلم التسيير ، فأما علم التأثير فهو شرك ،وأما علم التسيير فلا حرج فيه ، ولكن مع الاعتقاد الكامل أن الله تعالى هو المدبر والمتصرف في كل شيء.

فإن قلت :ـ وهل الشرك في علم التأثير هو الشرك الأكبر المخرج عن الملة أم هو من قبيل الشرك الأصغر ؟ فأقول :ـ قد يكون هذا وقد يكون هذا ، على حسب الاعتقاد ، فإن اعتقد أن حركة الأفلاك والنجوم هي المؤثرة وهي الفاعلة بذاتها فهذا من الكفر والشرك الأكبر ، وإن اعتقد أن الله تعالى هو الفاعل على الحقيقة وهو الخالق والموجد على الحقيقة ، وحركة الأفلاك إنما هي مجرد سبب من الأسباب في الحوادث الأرضية ، فهو يعتقد أنها مؤثرة تأثير سبب فقط لا تأثير خلق وإيجاد ، فهذا من الشرك الأصغر ، لأنه اعتقد سببا ما ليس في حقيقته سبب لا شرعا ولا قدرا ، وقد تقرر في القواعد عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أنه من اتخذ سببا لم يدل عليه شرع ولا قدر فهو مشرك شركا أصغر ، إلا إن اعتقد أن السبب هو الفاعل بذاته فهذا شرك أكبر ، ولأن اعتقاد السببية فيها وسيلة إلى الوقوع في الشرك الأكبر ، والمتقرر أن كل ما كان وسيلة للشرك الأكبر فشرك أصغر ، فهذا خلاصة ما ذكره أهل العلم في هذه المسألة ، فالتنجيم المناقض للدين المناقضة الكاملة هو ما كان باعتقاد تأثير الخلق والإيجاد ، وأن أحوال النجوم والأفلاك وتحركاتها لها التأثير الذاتي في خلق الحوادث الأرضية ووجودها ، فهذا الاعتقاد هو المناقض للدين المناقضة الكاملة ، وأما اعتقاد سببيتها فقط ولكنها لا

توجد بذاتها ولا تخلق بذاتها ولا تؤثر بذاتها ، بل هي سبب فقط فهذا لا يناقض الدين المناقضة المطلقة ، بل يناقضه مطلق الناقضة ، أي أنه يجرح التوحيد مطلق الجرح لا الجرح المطلق ، فعندنا المناقضة المطلقة ، ومطلق الناقضة ، فاعتقاد تأثيرها التأثير الذاتي وأنها الفاعلة بذاتها ، يبطل أصل الدين ويخرج عن الملة ، واعتقاد أنها مجرد سبب فقط ، يوجب لصاحبه الوقوع في الشرك الأصغر ، والله أعلم .

الفرع الثالث:ـ فإن قلت :ـ وما الحكمة من خلق هذه النجوم ؟ فأقول :ـ خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاث :ـ

الأول :ـ أنها زينة للسماء ، كما قال تعالى{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} [الصافات: ٦]وقال تعالى {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} [الحجر: ١٦] وقال تعالى{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} وقوله: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} وقوله: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}

الثاني :ـ أن تكون رجوماً للشياطين: وقد دلت نصوص القرآن الكريم على هذه الحكمة أيضاً في قول الله تعالى : {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ٤ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}وقوله :{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} وقوله: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} وقوله: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} وقوله حكاية عن الجن: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً}

وبينها النبي ﷺ فيما رواه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ: "ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: وُلد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: "فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون" (٢٥٥).

الثالث :ـ أن تكون علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر: وكذلك جعل الله تعالى هذه النجوم أدلة في البر والبحر للناس ليهتدوا بها إذا ضلوا الطريق أو تحيروا فيه ، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام: ٩٧] وقال: {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}[النحل: ١٦]

هذه هي الحكم التي من أجلها خلقت النجوم، فمن الواجب أن تجعل النجوم فيما جعلت من أجله، لا يتجاوز بها ذلك، كما قال قتادة رحمه الله: (فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به) ([٢٥٦]).

وصدق رحمه الله تعالى ، ونحن نقر ونعتقد أن هذه النجوم ما لها في الكون تصريف ولا تدبير ، ولا تملك لا نفعا ولا ضرا ، وأن الله تعالى هو المالك المتصرف والمدبر لكل العوالم العلوية والسفلية ، جل وعلا .

(٢٥٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ (٢٢٢٩).

([٢٥٦]) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا بصيغة الجزم، في كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (٤/ ١٠٧).

فقول الناظم (إياك) ـأي واحذر الحذر الكامل (والتنجيم)وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية (فهو مناقض للدين) المناقضة المطلقة إن كان يعتقد أن النوء والنجم الفلاني هو الفاعل والمؤثر بذاته ، ومناقض للدين مطلق المناقضة إن اعتقد أنه مجرد سبب (فاحذر) من هذا الأمر (يا أخا العرفان) ثم بين بعد ذلك الحكمة من خلق النجوم فقال (إن) الله تعالى خلق هذه الشهب و (النجوم) وجعل لها (ثلاث مصالح) لا غير ، أي أن هذه المصالح هي التي أطلعنا الله تعالى عليها ، فهذه المصالح والحكم (ذكرت لها) أي قررها الله تعالى للنجوم (في محكم القرآن) كما ذكرنا لك أدلته قبل قليل ، أولها (للرجم) أي رجم الشياطين ، (و) والثاني (للتزيين) وبين أنه تزيين (للسما) بدون همزة قطع حتى لا ينكسر البيت ، وقد ذكرنا لك دليله قبل قليل ، (و) الحكمة الثالثة من هذه الحكم ذكرها بقوله (للاهتداء) بها في ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أوقات الصلاة وجهات القبلة ونحوها من الأمور الجائزة ، ثم بين أنه لا حكمة نعلمها لخلق النجوم إلا هذه الحكم ، فقال (وليس ثمة) شيء (ثاني) فلا يجوز التخرص والتخوض في الأمور بلا علم ولا برهان ، وقد قال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦]

ولذلك قال الناظم (من قال) في حكم النجوم ومصالح خلقها (شيئا غير ذلك) الذي قرره الكتاب والسنة من الحكم الثلاث السابقة (فهو) بسبب التخرص والكذب وقفو ما ليس له به علم (في درن الضلال) أي قذارة التيه والبعد عن الحق والهدى (و) مع ذلك فقد(باء) أي رجع (بالخسران) فقد خسر دينه وأتعب نفسه وراء الخيالات الفاسدة والأوهام والسخافات والترهات الكاسدة ، والله أعلم .

*ثم قال الناظم عفا الله تعالى وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

لا تنسبن إلى المنازل نعمة   فتزل في حفر من الكفران

أقول :ـ والمراد بالمنازل أي منازل النجوم ، وهي الأنواء الواردة في الحديث الآتي إن شاء الله تعالى ،وهذه المسألة العقدية قريبة من الكلام على المسألة قبلها ،

وذلك أن بعض الناس ينسب المطر إلى النوء الفلاني والنجم والفلاني فما حكم هذه النسبة ، وبما أننا تكلمنا عن أكثر ما يتعلق بهذه المسألة سابقا ، فنختصر الكلام هنا ونقول :ـ لقد ذكر أهل العلم - رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى - أن نسبة السقيا إلى النوء الفلاني لا تخلو من ثلاثة أقسام :

الأول : أن ينسبها إليها نسبة إيجادٍ وإحداث ، أي أن النوء الفلاني هو الذي أحدث وأوجد هذه السقيا وأعني بالسقيا : المطر الذي ينزل ، وهذه النسبة شرك أكبر مخرج عن الملة بالكلية ، وهو شرك في الربوبية لأنه بذلك قد زعم أن ثمة مصرفًا لشيء في الكون استقلالاً وهذا في الحقيقة شرك الصابئة فإنهم يعبدون هذه النجوم وينسبون الحوادث إليها ويبنون لها الهياكل في الأرض ويسمونها بأسمائها ، كما هو شرك قوم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .

الثاني : أن ينسبها إليها نسبة سبب فقط ، بمعنى أنه يقول : إن الله هو الخالق للسقيا ، ولكن من أسباب السقيا طلوع هذا النوء ، فيقول : مطرنا بنوء كذا وكذا أي بسببه ، وهذا شرك لكنه الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب ؛ وذلك لأنه اعتقد سببًا ما ليس بسبب شرعًا ولا قدرًا ، ولأنه وسيلة للشرك الأكبر المذكور في الحالة الأولى ، وقد جعل الله تعالى هذه النسبة كذبًا وزورًا من القول ، فقال: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: ٨٢] وذلك لأنهم ينسبون هذه النعمة إلى النوء الفلاني والنجم الفلاني

وفي الصحيح عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل فلما سلم أقبل علينا بوجهه فقال : ((هل تدرون ماذا قال ربكم)) ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ((قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته

فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)) (٢٥٧).

وفي الصحيح أيضًا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - معناه وفيه : قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى{ {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: ٨٢] (٢٥٨)

وقوله في حديث زيد رضي الله عنه : ((كافر بي)) يراد به الكفر الأكبر إذا كانت النسبة نسبة إحداث وإيجاد ويراد به الكفر الأصغر إذا كانت النسبة نسبة سبب فقط ،

وقد جعلها النبي ﷺ من أمر الجاهلية وهذا ذم لها وتنفير عن فعلها فقال : ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن - وذكر منها - والاستسقاء بالأنواء)) (٢٥٩) ،

ولأنها منافية للأدب مع الله إذ الواجب نسبة النعم كلها إلى الله تعالى إيجادًا وخلقًا.

الثالثة : نسبة المطر إلى النجم والمواسم نسبة توقيت فقط لا نسبة إيجاد ولا سبب ، وإنما يقول : إذا حل الوسمي أو ظهر النجم الفلاني فهذا زمان المطر أو وقته ، لكن من غير ربط زائد على مجرد التوقيت ، فهذا لا بأس به وهو المشهور عند العامة في بلادنا وغيرها ، وهو مجانب كل المجانبة لنسبة أهل الشرك والضلال .

فهذا هو التفصيل في هذه المسألة ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

إياك لو إن كان فيه تسخط   أو كان فيه تطلع العصيان

---

(٢٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، بَابُ يَسْتَقْبِلُ الإِمَامُ النَّاسَ إِذَا سَلَّمَ (٨٤٦)، وفي كتاب الجمعة، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: ٨٢] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «شُكْرَكُمْ» (١٠٣٨)، وفي كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ (٤١٤٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ (٧١).

(٢٥٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ (٧٣).

(٢٥٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الكسوف، بَابُ التَّشْدِيدِ فِي النِّيَاحَةِ (٩٣٤).

فاللو تفتح كل باب للأسى   وتزيد في عمل الخبيث الواني

قل قدر الله العظيم وكل ما   شاء الإله يكون دون تواني

أقول :ـ هذه الأبيات يتكلم فيها الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرةعن حكم قول الإنسان (لو) وما الجائز منها وما لا يجوز ، وخلاصة الأم أن الواجب على المسلم في دينه هو الإيمان بالقضاء والقدر ، والتسليم والرضا بالقضاء ، ولا يجوز له التسخط والتضجر مما نزل عليه من قضاء الله تعالى وقدره ، فإن الله تعالى يبتلي عباده بالسراء والضراء وبالخير والشر ليصفي إيمانهم ويكفر عنهم سيئاتهم ، ويرفع درجاتهم ، ولكن بالتسخط من قضاء الله تعالى وقدره يذهب الأجر ويحل الإثم ، وسيأتينا الكلام على تفاصيل القضاء والقدر في محله من هذه القصيدة إن شاء الله تعالى ، والكلام هنا على قول (لو) فما الجائز والممنوع منها ؟ أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن قولها يختلف حكمه باختلاف نوعية استعمالها :

فإن استعملها متسخطًا بها على ما نزل من قدر الله تعالى فهو محرم ، ومن ذلك قوله تعالى عن بعض المنافقين أنهم قالوا {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} [آل عمران: ١٥٤] ، وقوله تعالى عن بعضهم {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا } [آل عمران: ١٦٨] ونحو ذلك ، فهذا استعمال محرم ،

وذلك لما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان)) (٢٦٠)،

وحقيقة النهي التحريم ، ولأن هذا القول فيه إشعار بعدم الصبر على ما نزل من القدر ومن المعلوم أن الصبر على الأقدار المؤلمة واجب وضد الواجب المحرم وقولها مشعر بذلك فصار حرامًا ، ولأنها سبب لفتح باب التحسر وزيادة الألم

(٢٦٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (٢٦٦٤).

وندب الحظ وسبب لضعف القلب والتفاته إلى الأسباب وتعلقه بها ، وهذا مضعف للتوحيد وهو من عمل الشيطان ، ولأن قولها لن يدفع القدر النازل وإنما يزيده ضيقًا وألمًا ، ولأن قولها فاتح لباب سوء الظن بالله جل وعلا وبحكمته البالغة ، فهذا الدليل والتعليل يفيدان حرمة قولها بهذا الاعتبار وهو الحالة الأولى من أحوال استعمالها .

الحالة الثانية : أن يقولها متطلعًا بقولها إلى المعصية ، فيحرم أيضًا قولها ، بل دل الدليل على أنه مشارك لصاحب المعصية في الوزر

كما في حديث : ((ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علمًا فهو ينفقه في معصية الله ، ورجل لم يؤته علمًا ولا مالاً فقال : لو أن عندي مثل مال فلان لفعلت فيه مثل الذي فعل فهما في الوزر سواء)) (٢٦١)

فهذا الأحمق الغبي الأخرق أثم بقوله هذا ، مع أنه لم ينفق مالاً إذ لا مال عنده ، لكن بتمنيه الإثم وتطلعه لفعل المعصية صار مشاركًا لصاحب المعصية .

---

(٢٦١) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٢٤)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب النية (٤٢٢٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٦٣)، وابن الأعرابي في معجمه (٦٤٨)، (١٨٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٦٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨٢٨)،

من طريق: الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي كبشة الأنماري، به.

فالسند وإن كان ظاهره الصحة إلا أن فيه انقطاع بين سالم وأبي كبشة، فسالم لم يسمع من أبي كبشة، والواسطة بينه وبين أبي كبشة هي عبد الله بن أبي كبشة، وهو مجهول،

كما عند ابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب النية (٤٢٢٨) من طريق المفضل بن مهلهل، ومعمر بن راشد عن منصور، وهما ثقتان ثبتان، إلا أن عند والطبراني في المعجم الكبير (٨٦٢)، متابعة لأبي حذيفة موسى بن مسعود النهدى، عن منصور بدون ذكر الواسطة، إلا أن أبا حذيفة سيء الحفظ، ولا يقاوم على مخالفة مفضل، ومعمر بن راشد

وتابع الأعمشَ قتادةُ كما عند الطبراني في المعجم الأوسط (٤٣٦٧)، لكن في السند إليه سعيد بن بشير وهو ضعيف.

وتابع سالمًا أبو البختري كما عند أحمد في مسنده (١٨٠٣١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٦٨) وفي السند إليه: يونس بن خباب، وهو يضعف في الحديث، كما قال ابن معين، والنسائي وابن حبان،

الحالة الثالثة : أن يقولها عند فوات الأمر المحبوب ، كفوات العمل الفاضل ، وكفوات علم نافع أو مالٍ ينفقه فيما يحبه الله ويرضاه ،

فمن الأول حديث : ((لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة)) (٢٦٢) ،

ومن الثاني حديث : ((وددت لو أن أخي موسى صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما)) (٢٦٣) ،

ومن الثالث حديث : ((ورجل آتاه الله مالاً وعلمًا فهو ينفقه في الخير ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً فقال لو أن عندي مثل مال فلان لفعلت فيه مثل الذل فعل ، فهما في الأجر سواء)) (٢٦٤)،

---

(٢٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشركة، بَابُ الِاشْتِرَاكِ فِي الهَدْيِ وَالبُدْنِ، وَإِذَا أَشْرَكَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي هَدْيِهِ بَعْدَ مَا أَهْدَى (٢٥٠٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج، بَابُ بَيَانِ وُجُوهِ الْإِحْرَامِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ، وَجَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ عَلَى الْعُمْرَةِ، وَمَتَى يَحِلُّ الْقَارِنُ مِنْ نُسُكِهِ (١٢١١)، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٢١٨).

(٢٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب لعلم، بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَيَكِلُ العِلْمَ إِلَى اللَّهِ (١٢٢)، وفي كتاب التفسير، بَابُ {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} [الكهف: ٦٠] «زَمَانًا وَجَمْعُهُ أَحْقَابٌ» (٤٧٢٥)، بَابُ {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ} [الكهف: ٦٣] (٤٧٢٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢٣٨٠).

(٢٦٤) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٢٤)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب النية (٤٢٢٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٦٣)، وابن الأعرابي في معجمه (٦٤٨)، (١٨٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٦٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨٢٨)،

من طريق: الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي كبشة الأنماري، به.

فالسند وإن كان ظاهره الصحة إلا أن فيه انقطاع بين سالم وأبي كبشة، فسالم لم يسمع من أبي كبشة، والواسطة بينه وبين أبي كبشة هي عبد الله بن أبي كبشة، وهو مجهول،

كما عند ابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب النية (٤٢٢٨) من طريق المفضل بن مهلهل، ومعمر بن راشد عن منصور، وهما ثقتان ثبتان، إلا أن عند والطبراني في المعجم الكبير (٨٦٢)، متابعة لأبي حذيفة موسى بن مسعود النهدى، عن منصور بدون ذكر الواسطة، إلا أن أبا حذيفة سيء الحفظ، ولا يقاوم على مخالفة مفضل، ومعمر بن راشد

وهذه الحالة الثالثة لا جزع فيها ولا تسخط ولا ترك لما يجب من الصبر ولا حزن ولا تطلع لمعصية ، بل ليس فيها إلا محبة الخبر وإرادته وهذا أمر محبوب شرعًا .

الحالة الرابعة : استعمالها لبيان مثال يحصل به الإفهام وفتح المغلق وتقريب الصورة المراد شرحها ، فهذا لا بأس به ولا تعلق له بالتوحيد ، وذلك كما في قوله تعالى في سياق إثباته وحدانيته بالألوهية {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } [الأنبياء: ٢٢] وكقول المعلم : ما رأيكم لو حصل كذا وكذا فماذا تفعلون ؟ وكقول الفقيه لطلابه :ـ لو حصلت هذه الصورة فما تقولون في حكمها ـ من باب التعليم ـ وهكذا ، فاستعمالها على هذا الوجه جائز لا حرج فيه ، فهذا هو خلاصة الكلام على قول (لو) ما يجوز منه وما لا يجوز ، والله أعلم وأعلى .

فقول الناظم عفا الله تعالى عنه (إياك) أي واحذر قول (لو إن كان فيه) أي في قولها (تسخط) على قضاء الله تعالى وقدره ، فهي في هذه الحالة حرام لا يجوز قولها ، كما قدمنا لك دليله ، وبين الحالة الثانية بقوله (أو) كان في قولها (تطلع العصيان) أي تشوق إلى المعصية ورغبة إلى فعلها ومواقعتها متى ما توفرت أسبابها ، ثم بين لك العلة المانعة من قولها فقال (فاللو) أي فقول :ـ لو ، عند نزول المصائب تسخطا على القدر النازل (تفتح كل باب للأسى) أي أنها تفتح على العبد والقلب والعقل والروح أبواب الحزن والكآبة والأسى والتسخط ، ولن يحصل بقولها شيء ، فالمصيبة لن ترتفع بقولها ، بل لا يزداد العبد بقولها إلا كمال الحسرة والندم والتأسف على ما حصل ، فقولها مع عدم انتفاع العبد بها هو في حقيقته مفسدة خالصة ، فقد اجتمع عليه بقولها عدة أمور :ـ الأول :ـ أنه وقع في نهي النبي ﷺ عن قولها ، الثاني :ـ أنه فتح على نفسه أبواب الكآبة والحزن والندم والأسى والأسف ، الثالث :ـ أنه أعان الشيطان على نفسه بقولها ، لأن قولها يفتح عمل الشيطان ، فالشيطان يستطيع تحقيق مقصوده من العبد إن كان

وتابع الأعمشَ قتادةُ كما عند الطبراني في المعجم الأوسط (٤٣٦٧)، لكن في السند إليه سعيد بن بشير وهو ضعيف.
وتابع سالمًا أبو البختري كما عند أحمد في مسنده (١٨٠٣١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٦٨) وفي السند إليه: يونس بن خباب، وهو يضعف في الحديث، كما قال ابن معين، والنسائي وابن حبان،

العبد قد قالها ، وهو المراد بقول الناظم (وتزيد) أي قولها يزيد (في عمل الخبيث الواني) والمراد به الشيطان ، والواني أي السافل المنحط الذي لا قدر له ، الرابع :ـ أنه لا يتحقق بقولها ارتفاع المصيبة ولا تخفيف الألم ، الخامس :ـ أنها قرينة كبيرة على عدم الرضا بالقضا ، السادس :ـ أنها علامة ظاهرة على كبير تسخط القلب على قدر الله تعالى ، فهذه بعض المفاسد المترتبة على قولها ، ولذلك نهت الشريعة عنها ، لأن المتقرر في الشريعة أن الدين جاء لتقرير المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فإن قلت :ـ وما المخرج الشرعي في هذا الأمر ؟ فأقول :ـ المخرج من هذا هو ما قاله النبي ﷺ " ولكن قل :ـ قدر الله وما شاء فعل " (٢٦٥) وهو ما يقصده الناظم بقوله (قل قدر الله العظيم وكل ما شاء الإله يكون دون تواني) جل وعلا ، أي بلا تأخر فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فقول هذا الكلام هو برد اليقين على القلوب وهو القول الذي تخف به المصيبة ، لأن العبد أعلن بهذا القول أنه لا حول له ولا قوة ، وأنه العبد العاجز المنكسر المفتقر لربه الافتقار الذاتي الكامل ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

لا تحلفن بغير ربك واقتصد عود لسانك قلة الأيمان

أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن القاعدة عند أهل السنة في الأيمان تقول : (لا يجوز الحلف إلا بالله أو صفة من صفاته) ، وبعضهم يزيدها إيضاحًا ويقول : (لله أن يحلف بما شاء من مخلوقاته وليس للعبد أن يحلف إلا بالله أو صفةٍ من صفاته)
،

ودليلها قوله ﷺ : ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) (٢٦٦)،

---

(٢٦٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (٢٦٦٤).

(٢٦٦) ضعيف
بسبب الانقطاع

وحديث : ((لا تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت)) (٢٦٧) ،

وعن قتيلة أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ((ورب الكعبة)) ، وأن يقولوا : ((ما شاء الله وشئت)) (٢٦٨) رواه النسائي وصححه ،

أخرجه أحمد في مسنده (٤٩٠٤)، (٥٣٧٥)، (٥٥٩٣)، (٦٠٧٢)، (٦٠٧٣)، والترمذي في سننه، في أبواب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٩٢٦)، وابن الجعد في مسنده (٨٩٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٥٨)، والحاكم في المستدرك ح (٤٥) ، (١٦٧) ، (٧٨١٤) أبو عوانة في المستخرج (٥٩٦٧)، (٥٩٧١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨٢٦)، (٨٣٠)، والطيالسي في مسنده (٢٠٠٨)، واالبيهقي في السنن الكبرى (١٩٨٢٩)، (١٩٨٣٠)،

من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر عن النبي ﷺ، به.

وإسناده وإن كان ظاهره الصحة، فسعد بن عبيدة وإن كان ثقة، إلا أنه لم يسمع من ابن عمر هذا الخبر، فبين سعد بن عبيدة وابن عمر مُحَمَّد الكندي وهو مجهول،

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى: فَوَقَفْنَا عَلَى أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ قَدْ زَادَ فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى الْأَعْمَشِ، وَعَلَى سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَجُلًا مَجْهُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَفَسَدَ بِذَلِكَ إِسْنَادُهُ

وقال البيهقي رحمه الله تعالى: وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر وعند أحمد عن سعد بن عبيدة قال : جلست أنا ومُحَمَّد الكندي إلى عبد الله بن عمر ، ثم قمت من عنده ، فجلست إلى سعيد بن المسيب ، قال : فجاء صاحبي وقد اصفر وجهه وتغير لونه ، فقال : قم إلي ، قلت : ألم أكن جالسا معك الساعة ؟ فقال سعيد : قم إلى صاحبك ، قال : فقمت إليه . فقال : ألم تسمع إلى ما قال ابن عمر ؟ قلت : وما قال ؟ قال : أتاه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن أعلي جناح أن أحلف بالكعبة ؟ قال : ولم تحلف بالكعبة ؟ إذا حلفت بالكعبة فاحلف برب الكعبة ، فإن عمر كان إذا حلف قال : كلا وأبي فحلف بها يوما عند رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : " لا تحلف بأبيك ، ولا بغير الله ، فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك "

قلت: والحديث معلول من وجه آخر ألا وهو رواية الصحيحين المخالفة لهذا المتن حديث ابن عمر عن النبي ﷺ ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.

(٢٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب كيف يستخلف (٢٦٧٩)، وكتاب المناقب، باب أيام الجاهلية (٣٨٣٦)، وكتاب الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (٦١٠٨)، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، (٦٦٤٦)، (٦٦٤٨)، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، (٧٤٠١)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٦٤٦)

(٢٦٨) ضعيف

معل بالانقطاع

أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٠٩٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٤٦٩٦)، (١٠٧٥٦)، (١٠٧٥٧)، وفي المجتبى (٣٧٧٣)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٤٠٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٤٠٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٨)، (٨٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٥)، (٧)، والحاكم في المستدرك (٧٨١٥)، وابن المقرئ في معجمه (٨١٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٨١٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٥٨١١).

كلهم من طريق: معبد بن خالد ، عن عبد الله بن يسار ، عن قتيلة،

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٣٢٦٥)، (٢٣٣٤٧)، (٢٣٣٨١)، (٤٩٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٥٥)، والطيالسي في مسنده (٤٣١)، وابن ابي شيبة في مصنفه (٢٦٦٩٠)، (٢٩٥٧٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٦٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى(٥٨١٠)، وفي الأسماء والصفات (٢٩٤).

كلهم من طريق: شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة، به.

فالمدار فيه على عبد الله بن يسار،

واختلف عليه:

أولًا: رواه عنه معبد بن خالد، وهو ثقة،

رواه عن معبد مسعر بن كدام، وعبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، فالأول ثقةٌ ثبت، والثاني صدوق،

ثانيًا: تابع منصورُ بنُ المعتمر معبدَ بنَ خالد، ومنصور ثقةٌ ثبت، وهو أجل في القلب من معبد بن خالد،

لكن خالف منصورُ معبدَ فرواه عن عبد الله بن يسار عن حذيفة به،

فظاهر الإسناد الصحة، لكنه معلولٌ بالانقطاع،

فعبد الله بن يسار فيه أمران:

الأمر الأول: لم يوثقه إلا النسائي، وهو متساهل في التوثيق، وتابعه ابن حبان، وهو متساهل جدًّا في تو ثيق المجاهيل،

الأمر الثاني: لم يسمع عبد الله بن يسار من حذيفة، فقد سئل يحيى بن معين عن عبد الله بن يسار ألقي حذيفة؟ قال لا أعلمه. جامع التحصيل (ص: ٢١٨)،

فهنا اتضح الأمر وهو أن سبب الانقطاع أن عبد الله بن يسار لم يلقى حذيفة ﷺ،

هذا، وقد رجح البخاري رحمه الله طريق منصور على طريق معبد،

فقد قال الترمذي: سألت مُحمَّدا عن هذا الحديث فقال : هكذا روى معبد بن خالد ، عن عبد الله بن يسار ، عن قتيلة . وقال منصور : عن عبد الله بن يسار ، عن حذيفة ، قال مُحمَّد : حديث منصور أشبه عندي وأصح. العلل الكبير(١/٢٥٣).

وقد ذكره الدارقطني في العلل (١٥/ ٤٢٠).

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((لا تحلفوا بآبائكم ومن حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرضى ومن لم يرضى فليس منا)) (٢٦٩) رواه ابن ماجه بإسنادٍ حسن ،

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : ((لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا)) (٢٧٠) ؛

وذلك لأن الحلف بالله كاذبًا معصية والحلف بغير الله شرك وإن كان صادقًا ، ومن الأدلة أيضًا الإجماع المنعقد على المنع من الحلف بغير الله تعالى ولا عبرة بمن قال بغير ذلك لمخالفته لهذه النصوص الصريحة الصحيحة ،

---

(٢٦٩) ضعيف.

أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض (٢١٠١) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧٢٣).

من طريق: أسباط بن مُحَمَّد، عن مُحَمَّد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، به.

فسنده وإن كان حسنًا من أجل مُحَمَّد بن عجلان، وهو صدوق يحسن حديثه، إلا أنه قد خالف الثقات الأثبات عن نافع في هذا اللفظ،

فقد خالف مالك، وجويرية، والليث، فرووه بلفظ «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (كما عند البخاري ومسلم وغيرهما)، وهو لا يقاوم هؤلاء، فتكون روايته شاذة، والله أعلم، ويزيده أعلالًا، انفراد ابن ماجة بها عن سائر الكتب الستة، والله أعلم.

(٢٧٠) صحيح.

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٢٨١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٩٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦٧)، والأصبهاني في طبقات المحدثين (٢/ ١٧٧).

من طريق: مسعر بن كدام، عن عبد الملك بن ميسرة، عن أبي بردة، عن عبد الله، به. كما عند ابن أبي شيبة،

وعند الباقي من طريق: مسعر، عن وبرة بن عبد الرحمن، عن عبد الله، به.

فمداره على مسعر.

فالطريق الأول: إسناده صحيح ورجاله ثقات

وأما الطريق الثاني: فإسناده وإن كان رجاله ثقات، إلا أن وبرة بن عبد الرحمن مع ثقته، لم يدرك عبد الله بن مسعود، إلا أن عند أبي نعيم في الحلية، ذكرت الواسطة، وهو همام بن الحارث، وهو ثقة.

فإن قلت :ـ وما حكم الحلف بغير الله تعالى - بالتفصيل - ؟ وما كفارة ذلك ؟ فأقول :ـ فيه تفصيل :ـ فمن حلف بغير الله تعالى فإنه قد وقع في الشرك الأصغر ، إلا أنه إن كان قد صاحب حلفه تعظيم كتعظيم الله تعالى فإنه في هذه الحالة يكون قد وقع في الشرك الأكبر ، كما يفعله عباد القبور والأولياء فإن أحدهم إذا أراد أن يحلف كاذبًا فإنه يحلف بالله تعالى ، وإذا أراد أن يغلظ الأيمان ويبر فيها ويظهر أنه صادق فإنه يحلف بوليه الذي يعظمه ، وهذا عين الشرك الأكبر ولاشك ، ومن حلف بغير الله تعالى فإن كفارة ذلك أن يقول : لا إله إلا الله ،

لحديث : ((من حلف فقال واللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله)) (٢٧١) وهو في الصحيح ؛

وذلك لأنه بهذا الحلف قد جرح توحيده بالشرك فلابد من جبر ذلك الجرح إن كان الشرك أصغرًا ، أو يكون بذلك مجددًا إسلامه إن كان أكبرًا ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ هلا ضربت لنا أمثلة على الحلف بغير الله تعالى ؟ فأقول :ـ الأمثلة كثيرة :ـ فمن ذلك : الحلف بالنبي ﷺ فيقول : والنبي ، وليس بحجةٍ علينا أنه مما يجري على اللسان من غير قصد أو أنه نشأ في بلدة يحلف أهلها بذلك فإن الإنسان متعبد بما جاء به النص لا بما وجد عليه أهل بلده .

ومن ذلك : الحلف بالأمانة فيقول : والأمانة . أو كالحلف بالشرف ، فيقول : وشرفي ، أو وشرف أبي أو أمي . أو كالحلف بالبدوي ، أو زينب ، أو الحسن ، أو برأس أحدٍ من المخلوقين ، أو بالعهد والميثاق ، أو بالكعبة ، أو بمقام إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، أو بتربة القبر الفلاني ، أو بالعيش والملح ، أو يقول : وحياتك يا فلان أو وحياتي ، ونحو ذلك .

---

(٢٧١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى} (٤٨٦٠)، وفي كتاب الأدب، بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ إِكْفَارَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا أَوْ جَاهِلًا (٦١٠٧)، وفي كتاب الاستئذان، بَابٌ: كُلُّ لَهْوٍ بَاطِلٌ إِذَا شَغَلَهُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ (٦٣٠١)، وفي كتاب الأيمان والنذور، بَابُ لاَ يُحْلَفُ بِاللَّاتِ وَالعُزَّى وَلاَ بِالطَّوَاغِيتِ (٦٦٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الأيمان، بَابُ مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (١٦٤٧).

كله محرم وشرك ؛ لأن الحلف عبادة فلا يعقد إلا بالله تعالى ولما مضى من الأدلة ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما حكم الحلف بآيات الله تعالى ؟ فأقول :ـ هذا السؤال مجمل ، وجوابه لابد فيه من التفصيل فأقول :ـ إن كان يريد بالآيات أي الآيات الكونية كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والليل والنهار ، فهذه الأشياء مخلوقة ، وقد تقرر لنا أنه لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات ، وأما قوله تعالى {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} [الشمس: ١، ٢]: {وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ } [الفجر: ١، ٢] وقوله{وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى: ١، ٢] ونحو ذلك مما ورد في القرآن فإن هذا القسم صادر من الله تعالى ولله أن يحلف بما شاء من مخلوقاته ، وأما المخلوق فإنه لا يجوز له أن يحلف إلا بالله أو صفةٍ من صفاته ، وربنا جل وعلا لا يدخل تحت الأحكام الشرعية حتى نقول : هذا واجب عليه أو هذا محرم عليه - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًاـ

وأما إذا كان يقصد بالآيات أي الآيات الشرعية أي القرآن فإنه آيات ، كما قال تعالى{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت: ٤٩] وقال تعالى {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١] فحلفه بها حينئذٍ جائز باعتبار أن هذه الآيات من كلام الله تعالى وكلامه تعالى صفة من صفاته ، وقد تقرر أنه يجوز الحلف بالصفة ، وبهذا التفصيل يفهم الجواب - إن شاء الله تعالى - ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما حكم قول بعض الناس : (في ذمتي) ؟فأقول :ـ إن كان يقصد بها عقد اليمين فهذا لا يجوز ؛ لأن الذمة مخلوقة ، وقد تقرر لنا أنه لا يجوز الحلف بالمخلوق ، وإن كان لا يقصد بها عقد اليمين وإنما يقصد أنه يتحمل حقيقة الخبر إن كان كذبًا فهذا لا بأس به ، ولكن الغالب يشكل عليهم هذا اللفظ ولا يفهمون منه إلا أنه حلف فالواجب الكف عن التلفظ به والعدول عنه إلى الأيمان التي لا إشكال فيها ؛ لأن ذلك من حماية جناب التوحيد ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما حكم الإكثار من الحلف ؟ فأقول :ـ الإكثار من الحلف منافٍ لكمال تعظيم الله تعالى واحترام أسمائه وصفاته ؛ وذلك لأن الحلف به أمر عظيم فلا

ينبغي أن يقال إلا على تأكيد الأشياء العظيمة المهمة وأما سفاسف الأمور وترهات الأقوال فإنه ينبغي تنزيه أسماء الله وصفاته أن تذكر لتأكيد مثل ذلك ، والواجب على المسلم تعظيم الله تعالى واحترام أسمائه وصفاته ، ولذلك فإنه لم يرد في القرآن أن الله تعالى أمر نبيه أن يحلف به إلا على الأشياء العظيمة كأمر المبعث والمعاد وصدق القرآن ، قال تعالى {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة: ٨٩]

فإنه قيل في أحد تفاسيرها أي لا تكثروا منها ،

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب)) (٢٧٢) ،

وعن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه)) (٢٧٣) رواه الطبراني بسند صحيح ،

ومن عمق فهم السلف وتعظيمهم لله جل وعلا أنهم كانوا يضربون صغارهم على الشهادة والعهد كما قاله إبراهيم النخعي - رحمه الله تعالى - ، واليمين نوع من الشهادة ، فهذا فيه التربية على تعظيم الله واحترام أسمائه وصفاته ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما وجه قول ابن مسعود رضي الله عنه "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً" (٢٧٤) ؟

---

(٢٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، بَابٌ: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} (٢٠٨٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، باب النهي عن الحلف في البيع (١٦٠٦).

إلا أنه عند البخاري بلفظ: مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ، وعند مسلم بلفظ: مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ.

(٢٧٣) حسن

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦١١١)، وفي الأوسط (٥٥٧٧)، وفي الصغير (٨٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥١١).

من طريق: سعيد بن عمرو، عن حفص بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن سلمان الفارسي، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، خلا عاصم الأحول، فهو متكلم فيه، إلا أنه يحسن حديثه،

والحديث لبعض فقراته شواهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، والله أعلم.

فأقول :ـ هذا لأجل عظم الحلف بغير الله -جل وعلا- وأن الحلف بغير الله شرك، وأما الكذب فإنه كبيرة والشرك الأصغر هذا أعظم من الكبائر، فلهذا استحب أن يكذب مع التوحيد وألا يصدق مع الشرك، لأن حسنة التوحيد أعظم من سيئة الكذب، ولأن سيئة الشرك أشنع من سيئة الكذب. والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما حكم الحلف بالمصحف ؟ فأقول :ـ هذا لا يخلو :ـ إما أن يقصد بيمينه مجرد الأوراق أو المداد الذي كتب به المصحف ، فهذا لا يجوز ، لأنها مخلوقة ، والخلف بالمخلوقات لا يجوز ، وإما أن يقصد بيمينه عين كلام الله تعالى ، فإن القرآن كلام الله تعالى وكلامه صفة من صفاته ، والحلف بالصفة جائز ، فإن كان يقصد باليمين أن القرآن كلام الله تعالى وهو يريد أن يحلف بالقرآن لأنه كلام الله تعالى فلا حرج ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وكيف تقرر أن الحلف بالنبي ﷺ لا يجوز ،

وقد روي عن الإمام أحمد أنه جائز ؟ فأقول :ـ الحق الحقيق بالقبول والاعتماد هو أن لا يحلف بالنبي ﷺ ، كما قاله جمهور العلماء ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وأبي حنيفة ، وأحمد في إحدى الروايتين ، وهي المشهورة عنه ، ومن الناس من يستثني نبينا كما استثناه طائفة من الخلف فجوز الحلف به وهو إحدى الروايتين عن أحمد اختارها طائفة من أصحابه كالقاضي أبي يعلي وأتباعه وخصوه بذلك ، وبعضهم طرد ذلك من الأنبياء ، وهو قول ابن عقيل في كتابه المفردات ، لكن قول الجمهور أصح ، لأن النهي هو عن الحلف بالمخلوقات كائناً من كان كما وقع النهي عن عبادة المخلوق ، وعن تقواه وخشيته والتوكل عليه وجعله نداً لله ، وهذا متناول لكل مخلوق ، نبينا وسائر الأنبياء والملائكة وغيرهم ، فكذلك الحلف بهم والنذر لهم أعظم من الحلف بهم ، والحج إلى قبورهم أعظم من الحلف بهم والنذر لهم وكذلك السفر إلى زيارة القبور وقصر الصلاة فيه .قاله في الصارم المنكي ،

---

(٢٧٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٢٨١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٩٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦٧)، والأصبهاني في طبقات المحدثين (٢/ ١٧٧).

وهذا هو الحق في هذه المسألة ، وهو جري على قاعدة أهل السنة والجماعة من أنه لا يجوز الحلف بالمخلوقات أيا كانت في منزلتها وعظمتها وعلو رتبتها عند الله تعالى ، فبما أنه مخلوق فإنه لا يجوز الحلف به ، ولأن الأدلة الواردة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى عامة ، والأصل هو بقاء العموم على عمومه حتى يرد المخصص ، ولا نعلم أنه ورد ما يخصص النبي ﷺ من هذا العموم ، والأصل هو البقاء على الأصل حتى يرد الناقل ،

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى (قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "تنازع الناس هل يحلف بالنبي ﷺ؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة. فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي ﷺ، ولا تنعقد اليمين، كما لا يحلف بشيء من المخلوقات، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث. فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت" وفي رواية: " ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله "(٢٧٥)

وقال: "من حلف بغير الله فقد أشرك" وفي رواية: "فقد كفر" (٢٧٦)

---

(٢٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف (٢٦٧٩)، وكتاب المناقب، باب أيام الجاهلية (٣٨٣٦)، وكتاب الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (٦١٠٨)، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، (٦٦٤٦)، (٦٦٤٨)، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، (٧٤٠١)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٦٤٦)

(٢٧٦) ضعيف، بسبب الانقطاع

أخرجه أحمد في مسنده (٤٩٠٤)، (٥٣٧٥)، (٥٥٩٣)، (٦٠٧٢)، (٦٠٧٣)، والترمذي في سننه، في أبواب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٩٢٦)، وابن الجعد في مسنده (٨٩٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٥٨)، والحاكم في المستدرك ح (٤٥) ، (١٦٧) ، (٧٨١٤) أبو عوانة في المستخرج (٥٩٦٧)، (٥٩٧١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨٢٦)، (٨٣٠)، والطيالسي في مسنده (٢٠٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٨٢٩)، (١٩٨٣٠)،

من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر عن النبي ﷺ، به.

وعن أحمد بن حنبل رواية: أنه يحلف بالنبي ﷺ لأنه يجب الإيمان به خصوصًا، ويجب ذكره في الشهادتين والأذان فلإيمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره، واختار هذا طائفة من أصحاب الإمام أحمد كالقاضي أبي يعلى وغيره خصوا ذلك بالنبي ﷺ. وقال ابن عقيل :ـ بل هذا لكونه نبيًا وطرد ذلك في سائر الأنبياء.

والصواب: قول الجمهور وأنه لا تنعقد اليمين بمخلوق لا بنبي ولا غيره، بل ينهى عن الحلف به. وإيجاب الكفارة بالحف بمخلوق وإن كان نبيًا قول ضعيف في الغاية مخالف للأصول والنصوص. فالذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق، لا نبي ولا غير نبي، ولا ملك من الملائكة، ولا ملك من الملوك، ولا شيخ من الشيوخ. والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم) (٢٧٧) أهـ ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما كفارة الحلف بغير الله تعالى ؟ لا كفارة فيه إلا النطق بكلمة التوحيد ، فمن حلف بشيء من المخلوقات فالواجب عليه مباشرة أن يقول (لا إله إلا الله) وبراهن هذا ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه قال :ـ حَدَّثَنَا

وإسناده وإن كان ظاهره الصحة، فسعد بن عبيدة وإن كان ثقة، إلا أنه لم يسمع من ابن عمر هذا الخبر، فبين سعد بن عبيدة وابن عمر مُحَّد الكندي وهو مجهول،

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى: فَوَقَفْنَا عَلَى أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ قَدْ زَادَ فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى الْأَعْمَشِ، وَعَلَى سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَجُلًا مَجْهُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَفَسَدَ بِذَلِكَ إِسْنَادُهُ

وقال البيهقي رحمه الله تعالى: وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر وعند أحمد عن سعد بن عبيدة قال : جلست أنا ومُحَّد الكندي إلى عبد الله بن عمر ، ثم قمت من عنده ، فجلست إلى سعيد بن المسيب ، قال : فجاء صاحبي وقد اصفر وجهه وتغير لونه ، فقال : قم إلي ، قلت : ألم أكن جالسا معك الساعة ؟ فقال سعيد : قم إلى صاحبك ، قال : فقمت إليه . فقال : ألم تسمع إلى ما قال ابن عمر ؟ قلت : وما قال ؟ قال : أتاه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن أعلي جناح أن أحلف بالكعبة ؟ قال : ولم تحلف بالكعبة ؟ إذا حلفت بالكعبة فاحلف برب الكعبة ، فإن عمر كان إذا حلف قال : كلا وأبي فحلف بها يوما عند رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : " لا تحلف بأبيك ، ولا بغير الله ، فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك "

قلت: والحديث معلول من وجه آخر ألا وهو رواية الصحيحين المخالفة لهذا المتن حديث ابن عمر عن النبي ﷺ ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.

(٢٧٧) آنظر مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٤٩).

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ " (٢٧٨) وهو في الصحيح . والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما حكم قول الحالف (ورب القرآن) ؟ فأقول :ـ هذا اللفظ في ذاته لا يجوز إطلاقه ، لأن القرآن كلام الله تعالى ، فهو صفة من صفاته ، لأن الكلام صفة للمتكلم ، والربوبية مقتضاها الخلق ، والقرآن ليس بمخلوق ، بل أجمع أهل السنة على كفر من قال بخلق القرآن ، فالقرآن لا يدخل البتة تحت المربوبات لله تعالى ، لأنه كلامه ، وكلامه صفة من صفاته ، وليس في صفاته ما يوصف مخلوق ، فانتبه لهذا ، لأننا قد سمعنا من يقسم بهذا اللفظ من بعض العوام ، فالله تعالى رب السموات ورب الأرض ورب الإنس والجن والعوالم كلها داخلة تحت ربوبيته ، وأم القرآن فهو كلامه ، فقول القائل (ورب القرآن) حقيقته كأنه قال :ـ وخالق القرآن ، وهذا القول كفر وشنيع ، فالواجب الحذر والتحذير والانتهاء عن هذا القول ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما حكم قول القائل في اليمين (وحق القرآن) ؟ فالجواب :ـ هذا لا يجوز البتة ، وذلك لأن حق القرآن هو الإيمان بأنه كلام الله تعالى منزل غير مخلوق من الله تعالى بدأ وإليه يعود ، وأنه يجب الإيمان به والعمل بما فيه وتصديق أخباره ، والاعتقاد الكامل بأنه خير الكتب السماوية ، وغير ذلك مما قرره أهل السنة رحمهم الله تعالى في هذه المسألة ، فهذا هو حق القرآن ، وأنت ترى أن هذا الحق إنما هو فعل صادر من المخلوق ، فهي من جملة اعتقادات المخلوقين وأفعال المخلوقين ، أي أننا نحن من يقوم بهذا الحق ، فتلك الاعتقادات والواجبات علينا في كتاب الله تعالى ، هي من جملة أفعالنا ، وفعل المخلوق

---

(٢٧٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى} (٤٨٦٠)، وفي كتاب الأدب، بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ إِكْفَارَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا أَوْ جَاهِلًا (٦١٠٧)، وفي كتاب الاستئذان، بَابٌ: كُلُّ لَهْوٍ بَاطِلٌ إِذَا شَغَلَهُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ (٦٣٠١)، وفي كتاب الأيمان والنذور، بَابُ لاَ يُحْلَفُ بِاللَّاتِ وَالعُزَّى وَلاَ بِالطَّوَاغِيتِ (٦٦٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الأيمان، بَابُ مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (١٦٤٧).

مخلوق ، والمخلوق لا يجوز الحلف به ، فقول القائل (وحق القرآن) هو في حقيقته حلف بمخلوق ، لأنه لم يحلق بالقرآن ، لا ، وإنما حلف بحق القرآن ، وحق القرآن الإيمان به وتصديق أخباره والعمل بما فيه ، فهذا الحق من جملة أفعالنا ، وأفعالنا مخلوقة ، والمخلوق لا يجوز أن تعقد اليمين به ، والله أعلم .ونرجع الآن إلى شرح الأبيات في القصيدة فنقول :ـ

قول الناظم (لا تحلفن) أيها الموحد (بغير ربك) أو صفة أومن صفاته ، كما قرره أهل السنة (واقتصد) في اليمين فلا تكثر منها ، (عود) أي درب (لسانك) دائما على (قلة الأيمان) ما استطعت إلى ذلك سبيلا، والله أعلم.

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

لا شؤم لا عدوى ولا صفر ولا هام فتلك وساوس الشيطان

واعزم عزيمة مؤمن متوكل ومعلق للقلب بالرحمن

لا لن يضرك يا فتى إلا الذي كتب الإله بسالف الأزمان

أقول :ـ هذه الأبيات تتكلم عن عقيدة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في مسألة التطير والتشاؤم ، والكلام عليها في فروع :ـ

الفرع الأول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن التطير مصدر تطير يتطير تطيرًا ، مأخوذ من الطير ، وأصله معرفة الخير والشر بدلالة الطير وهو التشاؤم بالطير .

والتطير شرعًا : التشاؤم بالمكروه من مسموع أو مرئي أو معلوم أو زمان أو مكان .

فمثال التطير بالمسموع : أن يقصد الإنسان سفرًا فيسمع أحدًا يقول : يا خاسر أو يا خائب فيثنيه ذلك القول عن سفره اعتقادًا منه أنه علامة على أن سفره هذا سيكون خاسرًا أو خائبًا أو فيه شيء من العقبات والصعاب .

ومثال التطير بالمرئي : أن يريد الإنسان الزواج من بيت ما فيرى البومة على هذا البيت فيتشاءم من أهله ويعتقد أنهم أهل شؤم ويصده ذلك المرئي عن قصده الذي

أراده ، أو يرى البومة مثلاً على بيت من البيوت فينعقد في قلبه أنه سيصيب أهل ذلك البيت شيء من المكروه من موتٍ أو مصيبة .

ومثال التطير بالزمان : أن يصيبه مثلاً في يومٍ أو شهر معين من السنة مصيبة من حادث أو خسارة تجارة فيصير كلما جاء ذلك اليوم أو الشهر يعطل معاشه ولا يذهب إلى حانوته اعتقادًا منه أنه لو فعل لأصابه كما أصابه فيما مضى ، ومن ذلك تطير أهل الجاهلية بشهر صفر - كما سيأتي إن شاء الله تعالى - ، ومنها تشاؤم بعض الدول بيوم احتلالهم فترى أحوالهم الاجتماعية تتغير في ذلك اليوم ونحو ذلك .

ومثال التطير بالمكان : أن يصيب الإنسان حادث في شارع مثلاً وتراه كلما جاء قريبًا منه أبعد عنه تشاؤمًا من هذا المكان ، والله يحفظنا وإياك من هذه الاعتقادات الباطلة والمداخل الإبليسية ، .والله أعلم .

الفرع الثاني :ـ واعلم رحمك الله تعالى أن التطير حرام وشرك ، بدلالة الكتاب والسنة : قال تعالى {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ١٣١] وقال تعالى : {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} [يس: ١٨، ١٩]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) (٢٧٩)متفق عليه

وزاد مسلم : ((ولا نوء ولا غول)) . (٢٨٠)

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل)) . قالوا : وما الفأل ؟ قال : ((الكلمة الطيبة)) (٢٨١).

---

(٢٧٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب الجذام، (٥٧٠٧)، بَابُ لاَ صَفَرَ، وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ البَطْنَ (٥٧١٧)، بَابُ لاَ هَامَةَ (٥٧٥٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (٢٢٢٠).

(٢٨٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (٢٢٢٢).

وعن ابن مسعود مرفوعًا : ((الطيرة شرك الطيرة شرك)) . قال ابن مسعود : (وما منا إلا ... ولكن الله يذهبه بالتوكل) (٢٨٢).

فهذه الأدلة تفيد إفادة قوية نفي تأثير التطير النفي المطلق ؛ لأن قوله : ((ولا طيرة)) نكرة في سياق النفي فيعم جميع أنواع التطير ، وثبت أيضًا أن التطير كله شرك ؛ وذلك لأن قوله : ((الطيرة شرك)) مفرد دخلت الألف واللام المفيدة للاستغراق فيدخل فيها كل ما يسمى تطيرًا على أي شكل كان وبأي شيء كان فبان بذلك أن حكم التطير في شريعتنا حرام وشرك ، والله أعلم.

الفرع الثالث:ـ فإن قلت :ـ وهل التطير من قبيل الشرك الأكبر أم من قبيل الشرك الأصغر ؟ فأقول :ـ هذا فيه تفصيل ، فإن التطير قد يكون شركًا أكبر ، وقد يكون شركًا أصغر ، وبيان ذلك أن يقال : أن التطير قسمان :ـ

الأول : أن يعتقد المتطير أن ما تطير به هو الذي يجلب الخير أو يدفع الشر بذاته استقلالاً ، أي أن هذه الأشياء التي تطير بها من المسموع أو المرئي أو الزمان أو

---

(٢٨١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ الفَأْلِ (٥٧٥٦)، بَابُ لاَ عَدْوَى (٥٧٧٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ (٢٢٢٤).

(٢٨٢) صحيح

أخرجه أحمد في المسند (٣٦٨٧)، (٤١٧١)، (٤١٩٤)، وأبو داود في سننه في كتاب الطب، باب الطيرة (٣٩١٠)، والترمذي في سننه في أبواب السير، باب ما جاء في الطيرة (١٦١٤)، وابن ماجة في سننه في كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٣٥٣٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٠٩)، والطيالسي في مسنده (٣٥٤)، وابن الجعد في مسنده (٤٨٨)، وابن أبي شيبة في مسنده (٢٦٥)، وفي مصنفه (٢٦٣٩١)، والبزار في مسنده (١٨٣٩)، (١٨٤٠)، وأبو يعلى في مسنده (٥٠٩٢)، (٥٢١٩)، وابن حبان في صحيحه (٦١٢٢)، والحاكم في المستدرك (٤٣)، (٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥١٧)، وفي شعب الإيمان (١١٢٤)

من طريق: الثوري ومنصور وشعبة عن سلمة بن كهيل ، عن عيسى بن عاصم الأسدي ، عن زر بن حبيش ، عن ابن مسعود، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات،

إلا أن لفظة ما منا إلا مدرجة من قول ابن مسعود ﵁،

قال الترمذي رحمه الله: قال مُحَمَّد : وكان سليمان بن حرب ينكر هذا الحديث أن يكون عن النبي ﷺ لهذا الحرف " وما منا " وكان يقول : هذا كأنه عن عبد الله بن مسعود قوله (علل الترمذي ١/ ١٦٥).

المكان هو الذي يفعل ذلك بذاته ، فهذا لاشك أنه تطير يوصل صاحبه إلى الشرك الأكبر المنافي لأصل التوحيد ، وهو شرك في الربوبية لكنه اعتقد خالقًا ومقدرًا مع الله تعالى ، ولأنه اعتقد أن لهذه الأشياء تصرفًا خفيًا ذاتيًا ، وهو أيضًا شرك في الألوهية لأنه تعلق قلبه خوفًا ورجاءً بغير الله تعالى في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى

الثاني : أن يعتقد المتطير أن الله تعالى هو الذي يجلب الخير ويدفع الشر وأن هذه الأشياء التي تطير بها إنما هي أسباب للخير والشر فقط ، فهذا هو الشرك الأصغر ؛ وذلك لأنه اعتقد سببًا ما ليس بسبب شرعًا ولا قدرًا ، بل قد ورد الشرع بنفي كونه سببًا ، ولأنه وسيلة للشرك الأكبر ، ولكن هذا فيما إذا استرسل معه وصده ذلك أو أمضاه ، أما إذا وقع في شيء من ذلك ودافعه وجاهده بالطرق الشرعية وأزاله من قلبه واستعان بالله تعالى وتوكل عليه ولم يفكر فيه فهذا لا شيء عليه ، بل هو مأجور بهذه المجاهدة ، وهذه الواردات من إلقاء الشيطان ووسوسته ، ومن فضل الله علينا أنها من جملة حديث النفس المعفو عنه كما في قوله ﷺ : ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ وما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم)) (٢٨٣) ، والله أعلم .

الفرع الرابع :ـ فإن قلت :ـ وما الطرق الشرعية لمدافعة مثل هذه الواردات ومحو أثرها من القلب ؟ فأقول : الطرق كثيرة ومتنوعة ولله الحمد والمنة ، وأذكر لك أهمها فأقول :

الأول : طلب العلم الشرعي المؤصل على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة في أمور الاعتقاد ، وهذا أعظم سلاح وأقوى ما يدافع به مثل هذه الواردات ، ولذلك فإنه لا يقع في مثل ذلك ويسترسل معه إلا من غلب عليه الجهل ، فالله الله بالعلم الشرعي ، فعليك بطلبه من مظانه في حلقات أهل العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم

---

(٢٨٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العتق، بَابُ الخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ فِي العَتَاقَةِ وَالطَّلاَقِ وَنَحْوِهِ، وَلاَ عَتَاقَةَ إِلَّا لِوَجْهِ اللَّهِ (٢٥٢٨)، وفي كتاب الطلاق، بَابُ الطَّلاَقِ فِي الإِغْلاَقِ وَالكُرْهِ، وَالسَّكْرَانِ وَالمَجْنُونِ وَأَمْرِهِمَا، وَالغَلَطِ وَالنِّسْيَانِ فِي الطَّلاَقِ وَالشِّرْكِ وَغَيْرِهِ (٥٢٦٩)، وفي كتاب الأيمان والنذور، بَابُ إِذَا حَنِثَ نَاسِيًا فِي الأَيْمَانِ (٦٦٦٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ تَجَاوُزِ اللهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ، إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ (١٢٧).

وفي قراءة كتب السلف الصالح وخصوصًا كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة عليهم الرحمة والرضوان وأسكنهم الله فسيح وعالي الجنان وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى وجزاهم الله خير ما جزى عالمًا عن أمته .

الثاني : الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه ريب بوجه من الوجوه أنه لا يجلب الخير ولا يدفع الشر إلا الله تعالى ، وأن هذه الأشياء مخلوقات ضعيفة لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا، فكيف تملكه لغيرها ؟ فإن فاقد الشيء لا يعطيه ، فالله هو مالك الملك وبيده الخير كله أوله وآخره والكون كله علويه وسفليه تحت سلطانه وقهره وتصرفه لا يملك أحد معه ضرًا ولا نفعًا، فلابد أن نربي أنفسنا على ذلك وندربها على تذكره دائمًا حتى يكون من طبيعتها ، والله المستعان .

الثالث : أن تؤمن بقدر الله تعالى وأن ما أصابك من الضر أو فاتك من الخير إنما هو بقدر الله الذي كتب وفرغ منه وجفت منه الأقلام وطويت صحفه ، فما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتب لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتب عليك فلا تحمل المسؤولية طيرًا ولا زمانًا ولا مكانًا لأنه أمر قد فرغ منه .

الرابع : حث النفس وحملها على إحسان الظن بالله تعالى وأطرها على ذلك أطرًا ، فإن التطير نوع من إساءة الظن بالله تعالى ، ومما يذهبه إحسان الظن به جل وعلا وأن ما أصابك من الضر أو فاتك من الخير إنما هو شيء قد اختاره الله لك ، وخيرة الله لك خير من خيرتك لنفسك فاحمد الله واشكره على ما قضاه وقدره وارض وسلم فإن أمر المؤمن كله خير ولله الحمد والمنة .

الخامس : مدافعة ذلك بالتوكل على الله تعالى وحسن الاعتماد عليه ، فإنه وحده جل وعلا معاذ الخائفين وملاذ الراغبين الراجين ، لا ملجأ لهم غيره ولا رب لهم سواه ، فتوكل عليه وعلق قلبك به التعلق المطلق وإياك أن ينصرف شيء من تعلقه عليه إلى التعلق بالطيور أو البوم فهذا والله هو الخيبة والخسارة ، فالقلب لا يزال في فرح وسعادة وأمان لا يوصف ما كان متعلقًا بكليته على ربه وعلا ومتى انصرف عنه إلى غيره فناهيك عن الضيق والضنك والهم والغم الذي يصيبه

ويحل فيه ، فيا رب نعوذ بك من أن تتعلق قلوبنا بغيرك ونسألك أن تعيننا على تحقيق ذلك . السادس : قرن ما مضى من الأمور بالأذكار الشرعية والأوراد المرعية التي وردت في ذلك ، فمن ذلك ما رواه أبو داود بسندٍ صحيح عن عروة بن عامر قال : ((ذكرت الطيرة عند رسول الله ؟ فقال : ((أحسنها الفأل ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك)) (٢٨٤)،

ولأحمد من حديث ابن عمرو : ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)) . قالوا : وما كفارة ذلك ؟ قال : ((أن يقول : اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك)) (٢٨٥) .

ومن ذلك الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ؛ لأن هذه الواردات من الشيطان والاستعاذة تضعف عمله وتسد أبوابه .

---

(٢٨٤) ضعيف، معل بالإرسال

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في الطيرة (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة في الأدب (١٦٢)، وفي مصنفه (٢٦٣٩٢)، والخلال في السنة (١٤٠٥)، الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٧٥٢)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٥٦٨)، وفي السنن الكبرى (١٦٥٢١).

من طريق: سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن عامر، عن النبي ﷺ، به.

وتابع سفيانَ الأعمشُ كما عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٥٤١)، (٢٩٥٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٢٨).

وإسناده وإن كان صحيحًا، ورجاله ثقات، إلا أن عروة بن عامر لم يدرك النبي ﷺ

قال أبو حاتم رحمه الله: هو تابعي يروي عن ابن عباس وعبيد بن رفاعة. (المراسيل لابن أبي حاتم ١/ ١٤٩)،

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أثبت غير واحد له صحبة ، و شك فيه بعضهم ، و روايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابيا ، و الظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة . اهـ .(تهذيب التهذيب ٧ / ١٨٥)

(٢٨٥) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٧٠٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٨)،

من طريق: عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، به.

وإسناده ضعيف، لضعف عبد الله بن لهيعة، والعمل على تضعيف حديثه.

السابع : عقد العزم والمضي قدمًا والالتهاء عن هذا الوارد وقطع التفكير فيه والاشتغال عنه بما هو أنفع . أسأله باسمه الأعظم أن يعينني وإياك على تحقيق التوكل عليه جل وعلا ، والله أعلم .

الفرع الخامس :ـ فإن قلت :ـ وكيف الجمع بين قوله ﷺ : ((لا عدوى)) (٢٨٦)وبين قوله : ((فر من المجذوم فرارك من الأسد)) (٢٨٧)،

وقوله في الطاعون : ((إذا سمعتم به في أرضٍ فلا تقدموا عليه))(٢٨٨) ؟

فأقول :ـ الجمع بينهما يسير ولله الحمد والمنة وبيانه أن يقال : إن العدوى لنا فيها نظران : نظر من ناحية انتقالها ابتداءً أي انتقالها بنفسها وهو الاعتقاد الذي كان عليه أهل الجاهلية ، فجاء قوله : ((لا عدوى)) لنفي هذا الاعتقاد الفاسد ، فأثبت أن العدوى لا تصرف لها بذاتها أي لا تنتقل بنفسها .والنظر الثاني :ـ نظر من ناحية سرايتها من المعلول إلى الصحيح بقدر الله تعالى ، وهذا هو الذي أثبته حديث : ((فر من المجذوم فرارك من الأسد)) ، وحديث : ((وَلَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ)) (٢٨٩)، وحديث : ((إذا سمعتم به في بلدٍ فلا تقدموا)) (٢٩٠).

---

(٢٨٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب الجذام، (٥٧٠٧)، بَابُ لاَ صَفَرَ، وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ البَطْنَ (٥٧١٧)، بَابُ لاَ هَامَةَ (٥٧٥٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (٢٢٢٠).

(٢٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب الجذام (٥٧٠٧).

(٢٨٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٧٣)، وفي كتاب الطب، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ (٥٧٢٨)، (٥٧٢٩)، (٥٧٣٠)، وفي كتاب الحيل، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الِاحْتِيَالِ فِي الفِرَارِ مِنَ الطَّاعُونِ (٦٩٧٣)، (٦٩٧٤) ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ الطَّاعُونِ وَالطِّيَرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَنَحْوِهَا (٢٢١٨)، (٢٢١٩).

(٢٨٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ لاَ صَفَرَ، وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ البَطْنَ (٥٧١٧)، وباب لا هامة (٥٧٧٠)، (٥٧٧١)، وفي باب لا عدوى (٥٧٧٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ، وَلَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ (٢٢٢١).

(٢٩٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٧٣)، وفي كتاب الطب، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ (٥٧٢٨)، (٥٧٢٩)، (٥٧٣٠)، وفي كتاب الحيل، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الِاحْتِيَالِ فِي الفِرَارِ مِنَ الطَّاعُونِ (٦٩٧٣)، (٦٩٧٤) ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ الطَّاعُونِ وَالطِّيَرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَنَحْوِهَا (٢٢١٨)، (٢٢١٩).

فالعدوى ابتداءً منفية ، والعدوى انتقالاً بقدر الله تعالى مثبتة ، فالعدوى التي نفاها الدليل ليست هي العدوى التي أثبتها الدليل حتى يكون هناك تناقض ، ولذلك فإن بعض الصحابة لما سمع ذلك الكلام أعني قوله : ((لا عدوى)) قال : فإن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الإبل . فقال - عليه الصلاة والسلام - : ((فمن أعدى الأول)) (٢٩١) ، فالصحابي هنا ظن أن العدوى المنفية هي العدوى الانتقالية بقدر الله تعالى ، فبين له النبي ؟ أنه لا يريد ذلك وإنما يريد العدوى ابتداءً. وبناءً عليه : فوقوع المرض ابتداءً إنما هو بقدر الله تعالى وسراية العدوى من المعلول إلى الصحيح أيضًا هي بقدر الله تعالى ، فالكل حاصل بقضائه وقدره ولا يخرج شيء عن كونه مقدرًا ، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر ، ومن ذلك اتقاء أسباب العدوى فإذا أصيب بشيء من ذلك فليعلم أنه إنما انتقلت إليه بقدر الله تعالى لا أنها انتقلت بذاتها ، وبذلك فلا إشكال ولله الحمد والمنة ، والله أعلم .

الفرع السادس :ـ فإن قلت :ـ فقد رود في الأحاديث الماضية ذكر الفأل ، فما الفأل ؟ وما معنى قوله ﷺ : ((أحسنها الفأل)) (٢٩٢)، ؟ فأقول :ـ الفأل قد فسره النبي ﷺ بأنه الكلمة الطيبة كما في الحديث السابق ، وقد كان - عليه الصلاة

---

(٢٩١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ لاَ صَفَرَ، وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ البَطْنَ (٥٧١٧)، وباب لا هامة (٥٧٧٠)، وفي باب لا عدوى (٥٧٧٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ، وَلَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ (٢٢٢٠).

(٢٩٢) ضعيف، معل بالإرسال

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في الطيرة (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة في الأدب (١٦٢)، وفي مصنفه (٢٦٣٩٢)، والخلال في السنة (١٤٠٥)، الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٧٥٢)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٥٦٨)، وفي السنن الكبرى (١٦٥٢١)،

من طريق: سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن عامر، عن النبي ﷺ، به.

وتابع سفيانَ الأعمشُ كما عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٠٤١)، (٢٩٠٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٢٨).

وإسناده وإن كان صحيحًا، ورجاله ثقات، إلا أن عروة بن عامر لم يدرك النبي ﷺ،

قال أبو حاتم رحمه الله: هو تابعي يروي عن ابن عباس وعبيد بن رفاعة. (المراسيل لابن أبي حاتم ١/ ١٤٩)،

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أثبت غير واحد له صحبة ، و شك فيه بعضهم ، و روايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابيا ، و الظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة . اهـ .(تهذيب التهذيب ٧ / ١٨٥)

والسلام - يعجبه الفأل ، كما في حديث : ((ويعجبني الفأل)) (٢٩٣) ؛ وذلك لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها وأنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات يكون ذلك من باب حسن الظن بالله تعالى ، فحقيقة الفأل أنه حسن ظن بالله تعالى كأن يريد الإنسان سفرًا أو تجارة مثلاً فيسمع من يقول : يا غانم أو يا رابح ، فتقع هذه الكلمة في قلبه فيزداد بها سروره ويتفاءل بها ، وهذه الكلمة التي سمعها ليست هي التي دفعته للمضي فيما أراد من الأصل ، بل هو عازم أولاً على الفعل لكن لما سمع هذه الكلمة ازداد تفاؤله وحسن ظنه بربه جل وعلا ، فالتفاؤل يشرح الصدر ويؤنس العبد ويذهب الضيق الذي يوجبه الشيطان ويسببه في قلب العبد ، فكان التفاؤل بذلك حسنًا ، والنفوس مفطورة على حب سماع الكلمة الطيبة عند عزيمتها على الفعل ليزداد بذلك فرحها وسرورها وحسن ظنها بربها جل وعلا ، ولذلك قال - عليه الصلاة والسلام - : ((وأحسنها الفأل)) ، والله أعلم .

الفرع السابع :ـ ما حكم قول القائل إن رأى شيئا يستنكره (خير يا طير) ؟ فأقول :ـ هذا القول لا يجوز ، لأنه مستمد من عقيدة التشاؤم بالطيور ، وهو قول جاهلي يحي تلك العقيدة الفاسدة في النفوس ، فإن الله تعالى لم يجعل للطيور تصرف في جلب الخيرات أو دفع المضرات ، فقول القائل (خير يا طير) معناه :ـ يا طير لا تأتي إلا بالخير ، أو كن من الطيور التي رؤيتها تجلب السعد لا النحس ، والمهم أنه قول باطل ، ويجب الحذر منه . والله أعلم .

الفرع الثامن :ـ فإن قلت :ـ اذكر لنا صورا من التشاؤم الممنوع والتي كثر وقوعها في الناس غير ما ذكرت ؟ فأقول :ـ نعم ، وأنقل لك هنا ما قاله صاحب المعتصر في شرح كتاب التوحيد ، فإن قال (المعتصر شرح كتاب التوحيد - (ج ١ / ص ١٤٩)

وهناك مسائل واقعية هي من باب التطير: منها :ـ قولهم: "خير يا طير" للشيء الجديد، وهذه من ألفاظ الجاهلية أنكرها بعض السلف لما سمعها وهجر عليها.

---

(٢٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ الفَأْلِ (٥٧٥٦)، بَابُ لاَ عَدْوَى (٥٧٧٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ (٢٢٢٤).

ومنها :ـ قولهم للمسافر: "على الطائر المأمون" فهذه من لوثة التطير.

ومنها:ـ قولهم: "ما طار طيره" وهذه تحتاج إلى مزيد بحث.

ومنها:ـ قولهم: "الطير الأخضر ترى يا زينة، والطير الأسود ترى يا شينة"، وهذا من التشاؤم بالألوان.

ومنها:ـ أنه إذا شعر بحكة في يده اليمنى، فهي علامة خير.

ومنها :ـ إذا شعر بحكة في يده اليسرى، فهي علامة شر.

ومنها :ـ إذا طنت أذنه، استدل على أنها علامة شر.

ومنها :ـ التشاؤم في بلد أو بيت، كأن يسكنه ويموت له ميت فيه فيتشاءم منه، فهذا تطير؛ لأنه لا علاقة بين الموت والسكن.

ومنها :ـ تشاؤم الآباء إذا سموا أبناءهم بأسمائهم، ويقول: إنها من علامة قرب موته.

ومنها :ـ حركة العين أو رقّة العين، فيقولون في اليمين: خير، وفي اليسرى: شر.

ومنها :ـ أن بعض أهل التجارات يبيع في أول النهار بأي سعر ولا يرد أول زبون، فإذا رده فيسمى هذا اليوم شؤم.

ومنها :ـ إذا رأى نعلاً على نعله، فإنه يتفاءل بالسفر، وإذا وقع روث طائر على ثوبه، فإنه يتشاءم في السفر.

ومنها :ـ ما يسمى بفتح الآيّ، فهم يفتحون المصحف ويتفاءلون في أول آية، فإذا فتحوا ووجدوا آية رحمة أو جنة تفاءلوا وسافروا، وإذا رأوا آية نار أو عذاب فإنهم يتشاءمون) إهـ كلامه ، وهو طيب جدا ، والله أعلم .

الفرع التاسع:ـ اعلم رحمك الله تعالى أن قول النبي - ﷺ - ((لا عدوى ولا طيرة ... الحديث)) (٢٩٤) أن قوله هذا صريح في النهي عن جميع أنواع الطيرة لأنه نكره في سياق النفي والنكرة في سياق النفي تعم ،

ولكن قد ثبت أنه - ﷺ - قال ((إنما الشؤم في ثلاث : المرأة والفرس والدار)) (٢٩٥) رواه مسلم من حديث ابن عمر ،

وفي رواية له ((إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس والمسكن والمرأة)) (٢٩٦)

وأخرج أبو داود وصححه الحاكم عن أنس قال : " قال رجل يا رسول الله إنا كنا في دارٍ كثير فيها عددنا كثير فيها أموالنا فتحولنا إلى دارٍ أخرى فقل فيها عددنا وقلت فيها أموالنا ، فقال رسول الله - ﷺ - ((ذروها ذميمة)) (٢٩٧)

وأخرج أبو داود عن سعد بن مالك أن رسول الله - ﷺ - كان يقول ((لا هامة ولا عدوى ولا طيرة وإن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار)) (٢٩٨)

---

(٢٩٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب الجذام، (٥٧٠٧)، بَابُ لاَ صَفَرَ، وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ البَطْنَ (٥٧١٧)، بَابُ لاَ هَامَةَ (٥٧٥٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (٢٢٢٠).

(٢٩٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ شُؤْمِ الفَرَسِ (٢٨٥٨)، وفي كتاب النكاح، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ شُؤْمِ المَرْأَةِ (٥٠٩٣)، (٥٠٩٤)، وفي كتاب الطب، باب الطيرة (٥٧٥٣)، وباب لا عدوى (٥٧٧٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ (٢٢٢٥).

(٢٩٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، بَابُ الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ (٢٢٢٥).

(٢٩٧) حسن

أخرجه أبو داوى في سننه، في كتاب الطب، باب في الطيرة (٣٩٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥٢٨)، من طريق: عكرمة بن عمار، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، به.

ففيه: عكرمة بن عمار، وهو وإن كان متكلم فيه، إلا أن أقل أحواله أنه صدوق يحسن حديثه، وباقي إسناده رجاله ثقات، والله أعلم.

(٢٩٨) إسناده جيد

أخرجه أحمد في مسنده (١٥٠٢)، (١٥٥٤)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في الطيرة (٣٩٢١)، والبزار في مسنده (١٠٨٢)، وأبو يعلى في مسنده (٧٦٦)، (٧٩٨)، والشاشي في مسنده (١٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٦١٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥٢٣)،

وأصل الحديث في الصحيحين فكيف الجمع بين هذه الأحاديث ، فأحاديث تنهى عن الطيرة مطلقاً وأحاديث تثبت وجود الشؤم في بعض الأشياء فكيف الجمع بينها ؟ أقول : اختلف في ذلك أهل الفضل علينا من أهل العلم رحمهم الله تعالى على أقوال : فقال سيدنا الإمام مالك رحمه الله تعالى (هو على ظاهره ، ومن الدار ما يجعل الله تبارك وتعالى سكناها سبباً للضرر والهلاك ، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم ما قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله وقدره ، وسلك آخرون مسلك التأويل فقالوا: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم ، وشؤم المرأة في عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب ، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها وغلاء ثمنها ، وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه) (٢٩٩) ،

وقال آخرون : الشؤم هنا عدم الموافقة ، ولكن الظاهر هو ما قاله الإمام مالك رحمه الله تعالى حملاً للفظ على حقيقته ، ولا داعي لهذه التأويلات التي لا دليل عليها ، فتكون هذه الأمور المذكورة في الأدلة مستثناةً من عموم تحريم التشاؤم ، لأن تحريم الطيرة في قوله (ولا طيرة) عام ، وهذه الأمور وردت في أدلةٍ خاصة والخاص مقدم على العام . والله أعلم .

الفرع العاشر :ـ هل الفرار من أمكنة الخطر داخل في التطير الممنوع ؟ والجواب :ـ لا ، بل هذا من باب الأخذ بالأسباب المشروعة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام " فر من المجذوم فرارك من الأسد " (٣٠٠)

وقال عليه الصلاة والسلام في أرض الطاعون " إذا سمعتم في بلد فلا تقدموا عليه ، وإن وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه " (٣٠١) فأمر من ليس فيها

من طريق: يحيى بن أبي كثير، عن الحضرمي بن لاحق، حدثه عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك، به.

ففيه: الحضرمي بن لاحق، وهو لا بأس به، كما قال ابن معين، وباقي رجال السند رجال ثقات،

هذا، وقد قال البزار رحمه الله: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن سعد، إلا من هذا الوجه ولا نعلم روى عن الحضرمي هذا إلا يحيى بن أبي كثير.

(٢٩٩) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢/ ٣٤٢).

(٣٠٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب الجذام (٥٧٠٧).

أن لا يقدم عليها ، لأن هذا من باب الأخذ بالأسباب المشروعة ، وأمر من فيها أن لا يخرجوا منها وذلك من باب الحجر الصحي لهذا المرض الفتاك ، حتى لا ينتشر بسبب كثرة الانتقال ، وحتى تكون دائرته محصورة يمكن القضاء عليه فيها ، والله المستعان ، والمهم أن اجتناب الأماكن الخطرة وعدم الذهاب إليها أو الفرار منها ليس داخلا تحت التطير الممنوع ، بل هو من باب الأخذ بالأسباب التي شرعها الله تعالى لحفظ النفوس والعقول والأطراف والأموال والأعراض والدين ، والله أعلم .

الفرع الحادي عشر :ـ إنه قد ظهر في زماننا أناس لا خلاق لهم ينسبون الشر الموجود في الأمة لأهل الدين والاستقامة ، فيقولون :ـ إنما أصابنا هذا البلاء والشر لأن أهل اللحى ورجال الدين ـ كما يقولون ـ موجودون فينا ، فكيف الرد على هذه الطائفة التافهة ؟ فأقول :ـ هي كما ذكرت أنت أنها طائفة تافهة ، لا خير فيها ، ولا غرابة في هذا الأمر ، فإن من قبلهم من أهل الكفر والنفاق والشك والشقاق قد نسبوا الشر والمصائب لمن هو خير منا وهم الأنبياء فقالت لهم أممهم :ـ أن الذي أصابنا من الشر إنما سببه وجودكم بيننا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى ، ومن ذا يرجو السلامة من هذا الاتهام الباطل الكاذب بعد أن اتهم به أنبياء الله تعالى ورسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فلا غرابة أن يجري أهل الباطل في هذا الزمان وغيره من الأزمنة على ما جرى عليه أسلافهم الأوائل ، فقد قالها قوم فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى عنهم{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} [الأعراف: ١٣١]

أي أنهم إن جاءه الخصب ورغد العيش والأمطار النافعة والولد وأنواع الخيرات قالوا :ـ هذا لنا ، أي نحن نستحقه وأهل له ، وإن أصابهم الهم والغم والفقر والقحط والهزيمة والموت ونحوها قالوا :ـ هذا بشؤم هذه الثلة المؤمنة ، يعنون به موسى ومن معه ، من أهل الإيمان ، وهذه والله تهمة باطلة وإفك مبين ظاهر ودعوى كاذبة ، لأن وجود أهل الإيمان والخير في الناس لا يأتي إلا بالخيرات

---

(٣٠١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٧٣)، وفي كتاب الطب، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ (٥٧٢٨)، (٥٧٢٩)، (٥٧٣٠)، وفي كتاب الحيل، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الِاحْتِيَالِ فِي الفِرَارِ مِنَ الطَّاعُونِ (٦٩٧٣)، (٦٩٧٤) ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ الطَّاعُونِ وَالطِّيَرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَنَحْوِهَا (٢٢١٨)، (٢٢١٩).

والبركات والعوائد الحميدة ، فإنهم أهل الطاعة والتوحيد الصحيح ، وأهل الإيمان والعمل الصالح ، وهذا لا ينتج منه إلا كل خير وصلاح في البلاد ، يقول الله تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [الأعراف: ٩٦] وقال تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١] فوجود أهل الخير والصلاح والإيمان في البلد حزام أمان بإذن الله تعالى من الهلاك العام ، قال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: ١١٧] فالعلماء وأهل الدعوة إلى الله تعالى وطلاب العلم وأهل الصلاح والاستقامة هم نور البلد ، وهم مصدر الخير في البلد ، فبهم صلاح الناس ، وبهم ينتشر الخير ، وبهم يعبد الله تعالى على بصيرة ، وبهم تكثر الخيرات ، وبهم تزول المنكرات ، فطوبى لبلاد كثر أهل الخير فيها ، والواجب على الجميع احترامهم ومعرفة قدرهم ، وإنزالهم منازلهم ، بل الفساد والشر إنما هو بوجود أهل الشر والفساد في البلد ، ولكن كما يقال :ـ رمتني بدائها وانسلت ، فالذنوب والمنكرات والمعاصي ومخالفة أوامر الشريعة هي سبب الهلاك والعطب والدمار ، فهل يكون فساد البلاد في وجود من يأمر الناس بالخير وينهاهم عن المنكر ، ويدعو إلى الخير ويعمل به ، هل يكون الفساد في وجود من يعلم الناس العلم الشرعي وينصح الناس لخير ما يعلمه لهم في دينهم ودنياهم ، لا والله ، لا يكون الفساد منه أبدا ، ولكنها الدعاوى العريضة ، والاتهامات الباطلة ، والإفك الصراح الفاضح المبين ، وقد جرت عادة الله تعالى الكونية القدرية أن هذا الاتهام لا يخلو منه زمان ، وهو من جملة الابتلاء لأهل الدين والصلاح والعلم والدعوة ، فالواجب الصبر واحتساب الأجر ، وإني أقول :ـ أيها الدعاة والعلماء وطلاب العلم ، لا تنتظروا من الناس إنصافا ولا من الملوك إكراما ولا من وجهاء القوم إعلاء وتقديرا ، لا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الاتهامات لأهل اللحى والخير ، فما إن يرى صاحب لحية إلا ويوصف بالأوصاف القبيحة المستهجنة ، واصبروا وصابروا فإنكم على الحق والهدى ، ولا تنتظروا من العامة شيئا ، فإن الكرامة والرفعة والعز لكم في الآخرة بإذن الله تعالى ، وليس ميزان معرفة المحق من المبطل إكرام الملوك ولا إكرام الوجهاء ولا علو المناصب ولا بكثرة المال ، بل

ميزان الكرامة والعلو والرفعة على قدر ما في قلوبكم من التوحيد والإيمان وعلى قدر ما تجتهدون فيه من الحرص على تحقيق العمل الصالح والدعوة إلى الله تعالى ، فالإكرام الحقيقي والعز الحقيقي والرفعة الحقيقية إنما هي في رضا الله تعالى وطاعة الله تعالى والتمسك بدينه وعرز شريعته جل وعلا ، واصبروا وصابروا فإنما هي أيام قلائل ودقائق معدودة ، ثم ننتقل بإذن الله تعالى وحسن توفيقه وكمال فضله وحوله وقوته ورحمته وتثبيته إلى تلك الدار التي لا بؤس فيها ولا ظلم فيها ولا هموم ولا غموم فيها ، دار الأفراح والحبور والسرور واللذة الكاملة الأبدية التي لا تنقطع ، فالموفق في الحقيقة هو من يثبته الله تعالى حتى يوصله إلى جنة عرضها السماء والأرض ، فصبرا ثم صبرا على شظف العيش وتجاوز الحد في الاتهام بالباطل ، فالله تعالى بالمرصاد لمن عادى أولياءه ، فثقوا بنصر الله تعالى {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: ٤٠]، وقال تعالى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: ١٧١ - ١٧٣] وقال تعالى {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [المجادلة: ٢١] وقال تعالى{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: ٤٠]، فأوصيكم بمواصلة الطريق والاستمرار في العلم والتعليم والدعوة إلى الخير لا يصدكم عنها صاد ولا يردكم عنها راد ، والله الموفق والهادي ، والمهم أن وجود أهل الخير والصلاح والاستقامة في البلد لا يثمر إلا الخير والصلاح والاستقامة ، وهذا والله العظيم هو الذين ندين الله تعالى ، والله أعلى وأعلم .

الفرع الثاني عشر :ـ فإن قلت :ـ وهل من التطير إذا رأى الإنسان شيئاً يكرهه في منامه أن يمتنع منه، مثل: أن يرى أنه يصاب بمكروه إذا سافر فامتنع من السفر؟ فهل هذه من الطيرة؟ والجواب أن يقال :ـ الرؤيا قد تكون حقاً، وقد تكون من الشيطان، وقد تكون وساوس مما يزاوله الإنسان في حياته، فيرى في المنام ذلك لكثرة تلبس النفس بذلك واستغراقها فيه، فإذا نام يرى أنه يفعل ذلك الذي كان يزاوله، فهذه ليست رؤيا، ويعرض عنها الإنسان، وأما الرؤيا الصحيحة فهي أمثال يضربها الملك الموكل بالرؤية، وإذا رأى رؤيا على شيء قبيح فامتنع عن فعل شيء من الأشياء لا يكون هذا من الطيرة. والله أعلم .

قول الناظم (لا شؤم) نفي للشؤم الذي هو من عادات أهل الجاهلية ، و (لا عدوى) نفي للعدوى الابتدائية فقط ، كما قدمنا في الشرح ، (ولا صفر) وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في المراد به ، وأقرب الأقوال أن المراد به الشهر المعروف ، وقد كانت العرب في الجاهلية تتشاءم به فلا تعقد فيه لواء الحرب ولا تعقد فيه عقد نكاح ، ولا تعقد فيه سفرا ولا بيعا ولا هدنة ، من باب التشاؤم بهذا الشهر ، فجاء الإسلام وأبطل هذه العادة الجاهلية الفاسدة التافهة ، (ولا هام) هي البومة ، أو الطيور التي كان أهل الجاهلية يتشاءمون بها ، والناظم في هذا البيت نظم قول النبي ﷺ " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول "(٣٠٢) ثم حكم الناظم على هذه المعتقدات الفاسدة التهوكات العفنة الباطلة بقوله (فتلك) الأمور حقيقتها أنها (وساوس الشيطان) أي مما يلقيه الشيطان على بعض النفوس والقلوب ، ليفسد عقيدتها ويضعف سيرها إلى الله تعالى ، وقد كنت كتبت في القصيدة أولا (فتلك شريعة الشيطان) ولما قرأتها على فضيلة شيخنا الشيخ عبدالرحمن الجاسر رحمه الله تعالى استوقفني وقال :ـ لو كتبت وساوس الشيطان لكان هذا أبلغ في المعنى وأدخل في الذم ، فمباشرة غيرتها إلى ما قاله فضيلة شيخنا ، رحمه الله تعالى وأجزل له الجر والمثوبة وغفر له في الدنيا والآخرة المغفرة الكاملة ، وجعل قبره روضة من رياض الجنة وعامله بكرمه وجوده وفضله وإحسانه ، هو وعامة علماء الأمة من أهل السنة والجماعة ، ثم أمرك الناظم بالعزيمة والمضي في المر وأن لا تهتم بتلك الأطروحات الإبليسية والوساوس الشيطانية ، فقال (واعزم) أيها الموحد (عزيمة مؤمن متوكل) يعلم تفاهة هذه الأمور وأن لا شيء منها يملك سعدا ولا نحسا ، وأن أزمة الأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له ، (ومعلق للقلب بالرحمن) رغبة ورهبة وتكلا ورجاء وخشية ، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن الله تعالى هو وحده مالك الملك ومقدر الأقدار ، واعلم بارك فيك أنه (لا لن يضرك يا فتى إلا الذي كتب الإله بسالف الأزمان) فلماذا الخوف والوجل ، ولماذا تعليق الأمور ببومة أو مكان أو يوم أو شهر أو نحوها ، والأمر كله لله ، فالله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات

(٣٠٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (٢٢٢٢).

والأرض بخمسين ألف سنة ، وأن كل يقدر الله تعالى حتى العجز والكيس كما ورد في الحديث ، فإن ضرك وأصابكم الخير فاعلم أنه بفضل الله تعالى ، وإن أصابك الضر فاعلم أن الله تعالى هو مقدر كل شيء ، وسيأتي الكلام على هذه المسألة بتفصيل أوسع في الكلام على مراتب القدر إن شاء الله تعالى ، والله ربنا أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

واحذر ذوات الروح لا ترسم لها   صورا بأي طريقة ببنان

فتكون ممن ناله درك الشقا   فالشرك والتصوير مرتضعان

واطمس معالمها فذلك سنة   ثبتت عن المعصوم من عدنان

أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن مسألة التصوير من المسائل العقدية في مجملها ، وذلك لأن النبي ﷺ بين أن من جملة أبواب الشرك التصوير ، ولأن هذه المسألة مهمة ، فلا بد من بيانها بالتفصيل ، وذلك في عدة فروع :ـ

الفرع الأول :ـ أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن التصوير لا يخلو من حالتين :ـ إما تصوير شيء لا روح فيه كالشجر والماء والثمار والجبال والبيوت ونحوها ، وإما تصوير شيء له روح كالإنسان أو الحيوان .

فأما الأول : فلا كلام لنا فيه إذ هو كلمة عموم أهل العلم ، ولا أعلم فيه خلافاً ، إلا خلافاً شاذاً .والذي يدل على جواز تصوير ما لا روح فيه عدة أمور:

منها : قوله - ﷺ - ((من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)) (٣٠٣) . فدل ذلك على أن ما لا روح فيه أصلاً لا بأس بتصويره ، وإنما الوعيد منصب على ما له روح .

---

(٣٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، بَابُ بَيْعِ التَّصَاوِيرِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا رُوحٌ، وَمَا يُكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ (٢٢٢٥)، وفي كتاب اللباس، بَابُ مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُلِّفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ (٥٩٦٣)، وفي كتاب التعبير،

ومنها : قوله - ﷺ - ((إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم : أحيوا ما خلقتم)). (٣٠٤) فدل ذلك على أن ما لا حياة فيه لا يدخل في هذا الوعيد، وإنما الوعيد منصب على ما تحله الحياة الحيوانية.

ومنها : قول جبريل عليه والصلاة السلام للنبي - ﷺ - ((فمر برأس التمثال يقطع فيصير كهيئة الشجرة)). (٣٠٥)رواه أبو داود ، وأصله في مسلم (٣٠٦)

فدل ذلك على أن الصورة على هيئة الشجرة لا محظور فيها ، والعلة في ذلك أنها ليست بذات روح ، فقسنا عليها جميع ما لا روح فيه .

ومنها : أن تصوير ما لا روح فيه لا يؤدي إلى المحظور الذي من أجله حرمت الصورة

بَابُ مَنْ كَذَبَ فِي حُلُمِهِ (٧٠٤٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١١٠).

(٣٠٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، بَابُ التِّجَارَةِ فِيمَا يُكْرَهُ لُبْسُهُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ (٢١٠٥)، وفي كتاب بدء الخلق، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (٣٢٢٤)، وفي كتاب النكاح، بَابُ هَلْ يَرْجِعُ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا فِي الدَّعْوَةِ (٥١٨١)، وفي كتاب اللباس، بَابُ عَذَابِ المُصَوِّرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ (٥٩٥١)، بَابُ مَنْ كَرِهَ القُعُودَ عَلَى الصُّورَةِ (٥٩٥٧)، بَابُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ (٥٩٦١)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٧٥٥٧)، (٧٥٥٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١٠٧)، (٢١٠٨).

(٣٠٥) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٨٠٤٥)، (٨٠٧٩)، (١٠١٩٣)، أبو داود في سننه في كتاب اللباس، باب في الصور (٤١٥٨)، والنسائي في سننه، في كتاب الزينة، ذكر أشد الناس عذابا (٥٣٦٥)، وفي السنن الكبرى (٩٧٠٨)، ومعمر بن راشد في جامعه (١٩٤٨٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٩٤٥)، (٦٩٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٥٨٥٣)، (٥٨٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٥٧٦)،

من طريق: يونس بن أبي إسحاق، وأبو إسحاق السبيعي، عن مجاهد، قال: عن أبي هريرة، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الشيخين، وأبو إسحاق وإن كان يدلس إلا أنه متابع من ابنه يونس عن مجاهد، والله أعلم.

(٣٠٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١١٢).

ومنها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاءه رجل يسأله فقال : " إني رجل أصور هذه الصور ، فأفتني فيها " فقال له : ادن مني ، فدنا منه حتى وضع يده على رأسه ، وقال " أنبئك بما سمعت من رسول الله - ﷺ - ، سمعت من رسول الله - ﷺ - يقول ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم)) ، ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما " فإن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له " (٣٠٧) متفق عليه .

ووجه الشاهد منه أمران : الأول : أنه قال " يجعل له بكل صورة صورها نفس " فدل ذلك على أن الوعيد مقصور على ما له نفس

ويبينه الوجه الثاني : وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما : " فاصنع الشجر وما لا نفس له " ، وهو قول صحابي لم يخالف نصاً ، ولم يخالفه صحابي آخر ، فهو حجة على القول الراجح كما تقرر في الأصول .

فدلت هذه الأدلة على جواز تصوير ما لا روح فيه ، كما هو قول جماهير أهل العلم وهو اختيار شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله، والله أعلم .

الفرع الثاني :ـ وأما إذا كانت الصورة لما له روح فهذا لا يخلو من ثلاث حالات :

الحالة الأولى : إما أن تكون من الصورة التي لها ظل ، وذلك كأن يأتي الإنسان إلى حجرٍ مثلاً ، أو خشبةٍ ، أو صلصالٍ ، أو زجاجٍ ونحوه ، ثم يصيغه على هيئة شيء له روح ، فهذا النوع محرم بالإجماع فيما أعلم ، والله أعلم ، وذلك كما يفعله المشركون بأصنامهم ، فإن أصلها كانت صخوراً لا تشكيل فيها ، ثم أخرجوها على هيئة الآدميين ، وكما فعله عبَّاد العجل ، فإنهم عمدوا إلى الذهب والفضة والجواهر ، فصاغوها على هيئة عجل له خوار ، ففتنوا به أمة الثيران .

فهذا النوع لا يتوقف أحد في تحريمه ، بل هو أساس شرك العالم .

---

(٣٠٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، بَابُ بَيْعِ التَّصَاوِيرِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا رُوحٌ، وَمَا يُكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ (٢٢٢٥)، وفي كتاب اللباس، بَابُ مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُلِّفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ (٥٩٦٣)، وفي كتاب التعبير، بَابُ مَنْ كَذَبَ فِي حُلُمِهِ (٧٠٤٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١١٠).

ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } [نوح: ٢٣] قال : " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت "(٣٠٨).

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس : أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة ، فصورهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبَّ إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يستسقون المطر ، فعبدوهم " (٣٠٩)

وفي الصحيح أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله - ﷺ - كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال عليه الصلاة والسلام ((أولئك إذا مات فيهم الرجل أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة)) (٣١٠)

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور ، وفتنة التماثيل " (٣١١)اهـ .

---

(٣٠٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابٌ {وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ} [نوح: ٢٣] (٤٩٢٠).

(٣٠٩) ضعيف

أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٣/ ٣٠٣).

فيه ابن حميد، شيخ المصنف، وهو ضعيف

(٣١٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابٌ: هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ (٤٢٧)، بَابُ الصَّلاَةِ فِي البِيعَةِ (٤٣٤)، وفي كتاب الجنائز، بَابُ بِنَاءِ المَسْجِدِ عَلَى القَبْرِ (١٣٤١)، وفي كتاب المناقب، بَابُ هِجْرَةِ الحَبَشَةِ (٣٨٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ (٥٢٨).

(٣١١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ١٨٤).

قلت : بل وسائر الأدلة الآتية - إن شاء الله - يدخل فيها هذا النوع دخولاً أولياً ، فلا نطيل فيه ، وذلك لعدم المخالف فيه، والله أعلم .

الفرع الثالث :ــ وأما الحالة الثانية : ما يسمى اليوم بتصوير الرسم ، وهو أن يعمد الإنسان إلى خرقةٍ ، أو جدارٍ ، أو ورقةٍ ونحوها ، فيرسم بيده صورة من ذوات الأرواح ، وهذا النوع من الصور لا ظل له ، فهذا النوع أيضاً محرم لكنه أخف تحريماً من النوع قبله ، لكن يشتركان في أن كلاً منهما محرم ، والدليل على تحريمه جميع الأدلة الآتية - إن شاء الله - في الحالة الثالثة ، فإنه يدخل فيها دخولاً أولياً.

ومن أدلته النصية : ما رواه مسلم - رحمه الله - في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان لنا ستر فيه تمثال طائر ، وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال لي رسول الله - ﷺ - ((حولي هذا)) (٣١٢)

ومثله ما في صحيح البخاري عنها رضي الله عنها أنها قالت : ((دخل عليَّ رسول الله - ﷺ - وقد سترت سهوةً لي بقرام فيه تمثال فلما رآه هتكه وتلون وجهه ، وقال يا عائشة : أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذي يضاهون بخلق الله))، (٣١٣)

ومن المعلوم أن هذا التمثال الذي كان في القرام لم يكن له ظل ، وإنما هو مما خُط باليد، وقد فعل به النبي - ﷺ - ذلك، ثم أخبر بوعيد من فعل ذلك ، فهذا يدل على حرمة تصوير ذوات الأرواح بالرسم باليد.

ومن الأدلة النصية أيضاً : أنه - ﷺ - لما فتح الله عليه مكة دخل الكعبة فرأى فيها صوراً ، ومن هذه الصور صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وهما

---

(٣١٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١٠٧).

(٣١٣) أخرجه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ مَا وُطِئَ مِنَ التَّصَاوِيرِ (٥٩٥٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١٠٧).

يستقسمان بالأزلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((قاتلهم الله لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط)) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده ، (٣١٤)

وزاد الهيثمي في المجمع ((فجعل يبل ثوباً بالماء ويمحو تلك الصور))، (٣١٥) وصححه الألباني - رحمه الله تعالى - وأصله في الصحيح .

فلم يقرها - ﷺ - مما يدل على عدم جوازها ، وهي مما رسم باليد ولا ظل لها ، وعلى كل حال فهذا النوع محرم في قول جماهير أهل العلم ، ولا عبرة بالمخالف ، بل وينكر عليه خلافه هذا ؛ لأن المسألة هنا خلافية قد نصر الدليل الصحيح أحد طرفيها ، وليست هي من المسائل التي يسوغ فيها الخلاف - أعني المسائل الاجتهادية - .

الفرع الرابع :ـ الحالة الثالثة : التصوير بالآلة ، وهو المعروف بالتصوير الفوتوغرافي ، وهو بيت القصيد من هذه الكتابة فأقول : -

قبل أن نبدأ في سياق الأدلة المبينة لحكمه ينبغي أن ننتبه لأمرٍ مهم جداً وهو أن الصورة الفوتوغرافية تدخل في مسمى الصورة لغةً وعرفاً .

---

(٣١٤) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٣٠٩٣)، (٣٤٥٥).

من طريق: أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، به.

وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحج، بَابُ مَنْ كَبَّرَ فِي نَوَاحِي الكَعْبَةِ (١٦٠١)، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} (٣٣٥٢)، وفي كتاب المغازي، بَابٌ: أَيْنَ رَكَزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ يَوْمَ الفَتْحِ (٤٢٨٨)،

(٣١٥) ضعيف

مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي (٨٨٩٣)،

أخرجه الطيالسي في مسنده (٦٥٧)، وابن أبي الجعد في مسنده (٢٨٢٠)، وابن أبي شيبة في مسنده (١٦٢)، وفي مصنفه (٢٥٢١٢)، (٣٦٩١٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٩٢١)، والطبراني في المعجم الكبير (٤٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٩٠٣).

من طريق: ابن أبي ذئب، عن عبد الرحمن بن مهران، عن عمير، مولى ابن عباس، عن أسامة بن زيد، به.

ففيه: عبد الرحمن بن مهران، وهو مجهول، وباقي إسناده فرجاله ثقات، رجال الشيخين، والله أعلم.

فأما تسميتها صورة لغةً فلأن الصورة في اللغة هي الشكل ، والصورة الفوتوغرافية يقال لها : شكل ، فإذاً هي صورة لغة .

وأما عرفاً : فلأن هذا هو ما تعارف عليه الناس فيما بينهم من غير نكير ، فالكل يطلق على الصورة الفوتوغرافية " صورة " ويسمي آخذها " مصوراً " ، بل ويقول أهل العرف : ذهبنا للمصور ، فأخذ لنا صورة ، ويقول أصحاب الدوائر الحكومية في شروطهم للمقبولين : لابد من صورة شمسية أو ملونة مقاسها كذا في كذا ، وهذا أمر مشهور معروف لا ينكره - إن شاء الله أحد - . فثبت بذلك أن الصورة الفوتوغرافية تدخل في مسمى الصورة لغة وعرفاً .

فإذا علمت ذلك فاعلم أنها أيضاً تدخل في مسمى الصورة شرعاً ، وبيان ذلك يأتي في الأدلة إن شاء الله تعالى ، والقول الصحيح في خلاف أهل العلم في هذه المسألة هو القول بتحريم التصوير الفوتوغرافي ، ورجحان هذا القول عندي مما لاشك فيه ، ولا اضطراب ، بل هو في مرتبة غلبة الظن المنزلة منزلة اليقين وذلك لتوافر الأدلة الشرعية الصحيحة الصريحة على رجحانه وتوافقه مع مقاصد الشريعة ، والقواعد الأصولية .ودونك تفصيل الأدلة مخرجة على قواعدها ، فأقول وبالله التوفيق : -

من الأدلة على ذلك : ما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورةٍ صورها نفس يعذب بها في جهنم)) (٣١٦)

فعندنا في الحديث عدة أمور : - الأول : لفظة (كل) فإنها من أقوى صيغ العموم ، فيدخل تحتها كل المصورين ، وقد تقرر في الأصول : أن الأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المخصص ، فيدخل في هذا الوعيد الشديد كل مصور سواء بالنوع الأول ، أو الثاني ، أو الثالث ، فإننا قد تقرر عندنا أن لاقط الصورة الفوتوغرافية يسمى مصوراً عرفاً ، ومن أخرجه من هذا العموم فعليه الدليل ؛ لأنه

---

(٣١٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١١٠).

مخالف للأصل ، وقد تقرر في القواعد أن الدليل يطلب من الناقل عن الأصل لا من الثابت عليه .

الوجه الثاني : - قوله (يجعل له) فإن هذا إثبات ، وقوله (صورة) نكرة ، وقد تقرر في القواعد أن النكرة في سياق الإثبات مطلقة ، وتقرر أيضاً أن المطلق يجرى على إطلاقه ولا يقيد إلا بدليل .فالذي يقيد هذا بالنوع الأول والثاني فقط دون الثالث فإننا نقول له : قد قيدت المطلق فما دليلك على هذا التقييد ؟ فالصورة الفوتوغرافية تدخل في مسمى الصورة لغة وعرفاً ، فلماذا أخرجتها من هذا الإطلاق ؟ الوجه الثالث : قوله (يجعل له بكل صورة) فإن قوله (كل صورة) أيضاً يفيد العموم ، فالعموم الأول في المصورين ، والعموم الثاني في الصور ، فيدخل تحتها الصور الفوتوغرافية ، ومن أخرجها من هذا العموم فعليه الدليل ، والله أعلم .

ومن الأدلة أيضاً : ما رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي الهياج الأسدي أنه قال : قال لي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله - ﷺ - ((أن لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)) (٣١٧)،

فقوله (لا تدع) نهي أو نفي كلاهما بمعنى واحد ، وقوله (صورة) نكرة ، وقد تقرر في القواعد أن النكرة في سياق النهي والنفي تعم ، فيدخل تحت هذا العموم ما يطلق عليه مسمى الصورة ، وقد تقرر لنا أن الصورة الفوتوغرافية تدخل في مسمى الصورة لغة وعرفاً ، فتدخل في هذا النوع شرعاً ، ومن أخرجها منه فعليه الدليل ، ولا أعلم دليلاً شرعياً يخرجها من هذا العموم ، وإنما هو قياسات لا أصل لها ، مع مصادمتها للنصوص الصحيحة الصريحة، فحيث لا دليل فالواجب هو البقاء على الأصل حتى يرد الناقل والله أعلم . فحق الصور الفوتوغرافية أن تطمس إلا ما سيأتي استثناؤه إن شاء الله تعالى والله أعلم.

(٣١٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ الْأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ(٩٦٩).

ومن الأدلة أيضاً : قوله - ﷺ - ((إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورين)) (٣١٨) رواه مسلم ،

فقوله (المصورين) جمع دخلت عليه الألف واللام الاستغراقية ، وقد تقرر في القواعد أن الألف واللام الاستغراقية إذا دخلت على الجمع أو المفرد أفادت العموم ، فيدخل في ذلك كل المصورين ، ومن ذلك آخذ الصور الفوتوغرافية فإنه من جملة المصورين ، وذلك هو مقتضى اللغة والعرف والشرع ، والذي يخرجه من هذا العموم عليه الدليل ولا دليل . إذاً فالبقاء على العموم هو المتعين تعظيماً لكلام الله تعالى ، والله أعلم .

ومن الأدلة أيضاً : ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى ((أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن ثمن الدم ، وثمن الكلب ، وكسب البغي ، ولعن آكل الربا وموكله ، والواشمة والمستوشمة ، ولعن المصور)) (٣١٩)

والشاهد في قول الراوي (ولعن المصور) ، فهو مفرد دخلت عليه الألف واللام الاستغراقية المفيدة للعموم ، فيدخل تحت هذا العموم كل مصور ، فهم ملعونون بلعنة النبي - ﷺ - ، ومن أخرج مصوراً من هذا العموم فعليه الدليل . فالمسألة إذاً خطيرة ، فالواجب الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة النصوح المستجمعة لشروطها من الإقلاع عن الذنب فوراً ، والعزم على عدم العودة ، والندم على ما فات ، والإخلاص ، وأن تكون في زمن الإمكان ، وكل أوقات العمر زمن صالح للتوبة ما لم تطلع الشمس من مغربها ، أو تغرغر الروح ، نسأل الله أن يمنَّ على الجميع بالتوبة الصادقة ، فكلنا ذوو خطأ ، والله أعلم .

ومن الأدلة أيضاً : قوله - ﷺ - ((إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال أو صورة)) (٣٢٠)

---

(٣١٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ عَذَابِ المصَوِّرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ (٥٩٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١٠٩).

(٣١٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، بَابُ مُوكِلِ الرِّبَا (٢٠٨٦)، وباب ثمن الكلب (٢٢٣٨)، وفي كتاب الطلاق، بَابُ مَهْرِ البَغِيِّ وَالنِّكَاحِ الفَاسِدِ (٥٣٤٧)، وفي كتاب اللباس، بَابُ مَنْ لَعَنَ المصَوِّرَ (٥٩٦٢).

فقوله (لا تدخل) نفي ، وقوله (صورة) نكرة ، وقد تقرر أن النكرة في سياق النفي تعم ، فيدخل في ذلك كل صورة ، والصورة الفوتوغرافية تسمى صورة لغة وعرفاً وشرعاً ؛ لأنها داخلة تحت هذا العموم ، والعام يجب أن يبقى على عمومه ، ولا يتعرض له بتخصيص بعض أفراده إلا بدليل ، فأين الدليل الدال على إخراج الصور الفوتوغرافية من هذا العموم ؟ هذا ما لا سبيل إليه ، ولا دليل عليه ، فحيث لا دليل ، فالبقاء على العموم هو المتعين ، والحمد لله على السلامة فلماذا نتكلف التنقل وقد أراحنا الله منه ، والله أعلم .

ومن الأدلة أيضاً : قوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ((إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم)) (٣٢١)

والمراد بالصورة هنا العموم ؛ لأنها - أي الصور - جمعٌ دخلت عليه الألف واللام الاستغراقية ، فيدخل في هذا العموم كل الصور سواءً كان لها ظل ، أو لم يكن ، ومن ذلك الصور الفوتوغرافية .فبالله عليك ما الذي أخرجها من هذا العموم حتى نقول إنها جائزة؟

ومن الأدلة أيضاً : ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن النبي - ﷺ - أنه قال في العنق الذي يخرج من النار يوم القيامة أنه يقول ((إني وكلت اليوم بثلاثة ، بكل

(٣٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (٣٢٢٤)، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} (٣٣٥١)، وفي كتاب اللباس، بَابُ مَنْ كَرِهَ القُعُودَ عَلَى الصُّورَةِ (٥٩٥٧)، (٥٩٥٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١٠٦).

(٣٢١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، بَابُ التِّجَارَةِ فِيمَا يُكْرَهُ لُبْسُهُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ (٢١٠٥)، وفي كتاب بدء الخلق، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (٣٢٢٤)، وفي كتاب النكاح، بَابُ هَلْ يَرْجِعُ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا فِي الدَّعْوَةِ (٥١٨١)، وفي كتاب اللباس، بَابُ عَذَابِ المُصَوِّرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ (٥٩٥١)، بَابُ مَنْ كَرِهَ القُعُودَ عَلَى الصُّورَةِ (٥٩٥٧)، بَابُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ (٥٩٦١)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٧٥٥٧)، (٧٥٥٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١٠٧)، (٢١٠٨).

جبارٍ عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين)) (٣٢٢) قال الترمذي : حديث حسن غريب صحيح ،

وله شاهد عند الإمام أحمد من حديث عطية العوفي . ووجه الدلالة منه : أنه جعل هذا الوعيد عاماً على كل مصور ، ولم يستثن أي مصور ، ولا نوعاً من الصور ؛ لأن الألف واللام الداخلة على الجمع تفيد العموم ما لم تتقدم قرينة عهد ، ولا قرينة هنا ، والأصل هو البقاء على العموم حتى يرد التخصيص . واللاقط للصور الفوتوغرافية مصور لغة وعرفاً ، فيدخل في هذا العموم شرعاً ، ومن أخرجه فعليه الدليل ، والله يتولانا وإياك .

ومن الأدلة أيضاً: ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله - ﷺ - ((أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله)) (٣٢٣) ،

وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قال الله تعالى ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة)) (٣٢٤)

ومن المعلوم أن ما يخرج في الصورة الفوتوغرافية مطابق تماماً لما هو الواقع ففيه المضاهاة ظاهرة، بل أظهر من المضاهاة بالتصوير بالنحت ، أو الرسم باليد

---

(٣٢٢) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٨٤٣٠)، والترمذي في سننه، في أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار (٢٥٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٩٠٤) وفي البعث والنشور (٥٢٤).

من طريق: سليمان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الشيخين.

(٣٢٣) أخرجه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ مَا وُطِئَ مِنَ التَّصَاوِيرِ (٥٩٥٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١٠٧).

(٣٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ نَقْضِ الصُّوَرِ (٥٩٥٣)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٧٥٥٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١١١).

، فإن هذه قد تختلف في أشياء عن الحقيقة .أما الصورة الفوتوغرافية فإن المضاهاة فيها واضحة ظاهرة ، فتكون أولى بالنهي .وإن لم يسلم لنا ذلك فنقول : إن التصوير ليس تحريمه من أجل المضاهاة فقط ، بل لعللٍ أخرى سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى ، وهي متحققة في الصور الفوتوغرافية ، والله أعلم .

ومن الأدلة أيضاً : قوله - ﷺ - ((الصورة الرأس ، فإذا قطع فلا صورة)) (٣٢٥) أخرجه البيهقي ، وصححه الإمام الألباني رحمهما الله تعالى .

فهذا بيان نبوي فاصل لحقيقة الصورة ، فقال (الصورة) وهذا لفظ عام ، ثم بينها بقوله (الرأس) ، والصور الفوتوغرافية داخلة في هذا العموم ؛ لأنها يظهر فيها الرأس ، فالمعتبر في الصورة الرأس . فانظر يرعاك الله إلى الصور الفوتوغرافية المنتشرة في هذا الزمن هل فيها رأس أو لا ؟ الجواب : هذا مما لاشك فيه ، فإذاً هي صورة لهذا الحديث الصحيح.

ومن الأدلة أيضاً : قول جبريل للنبي - ﷺ - ((إنا - أي الملائكة - لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة)) (٣٢٦)

---

(٣٢٥) ضعيف.

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٥٨٠)

من طريق: أبو علي الروذباري، أنا إسماعيل بن مُحَمَّد الصفار، عن مُحَمَّد بن علي، عن سهل بن بكار، عن وهيب بن خالد، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، به.

وهذا إسناد ضعيف، أبو علي الروذباري لم يوثقه معتبر.

وأخرجه أبو بكر الإسماعيلي في معجم الشيوخ (٢٩١) من طريق عدي بن الفضل، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به مرفوعا.

وهذا إسناد ضعيف جدا، فيه عدي بن الفضل وهو متروك.

(٣٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (٣٢٢٥)، بَابُ إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الأُخْرَى شِفَاءً (٣٣٢٢)، وفي كتاب المغازي، باب (٤٠٠٢)، وفي كتاب اللباس، باب التصاوير (٥٩٤٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ (٢١٠٤)، (٢١٠٥)، (٢١٠٦)، (٢١٠٧).

وهذا العموم يدخل فيه الصورة الفوتوغرافية ؛ لأنها صورة لغة وعرفاً ، فهي صورة شرعاً ، والعام يبقى على عمومه إلا بدليل ، والله أعلم .

فهذه الأدلة تفيد إفادة قطعية إن شاء الله تعالى حرمةَ الصور الفوتوغرافية إلا ما استثناه الدليل كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفرع الخامس :ـ واعلم رحمك الله تعالى أنه قد دلت القواعد الشرعية العامة على صحة هذا القول وبيانها كما يلي : -

القاعدة الأولى : قاعدة سد الذرائع المفضية إلى الممنوع.فإن المنهيات في الشريعة قسمان : منهي عنه لذاته ، ومنهي عنه لأنه وسيلة إلى المحرم ، فتصوير النحت والرسم محرم لذاته ، والتصوير الفوتوغرافي محرم أيضاً ، لكن هل هو محرم لذاته كصاحبيه ؟ أو هو محرم لأنه وسيلة إلى المحرم ؟ وعلى كلا القولين فهو حرام ، فإنك إذا نظرت إلى هذه الصور الفوتوغرافية بعين العدل والإنصاف وجدت أن الناس قد توسعوا فيها توسعاً بعيداً ، بل بعضها بلغ مرتبة التعظيم ، كصور الملوك ورؤساء البلد في بعض الأقطار ، فإنها قد وضعت في كل مكان في الوزارات ، والإدارات الحكومية ، والمؤسسات العامة والخاصة ، وكأنها أصبحت شعاراً لتعظيم الولاة ، وأن من لا يعلقها فإنه مغموز عليه ، متهم في ولائه لولاة الأمر ، وهذا ليس هو الميزان الشرعي في تعامل الرعية مع الراعي ، فإن طاعة الولاة أمر عقدي مهم قد سطره أهل السنة والجماعة في كتبهم ، وليس من ذلك تعظيم صورهم . ومن ذلك صور الأموات فإن بعض الناس إذا مات له أب ، أو أخ ، أو صاحب ، علق صورته ، وجعل عليها شيئاً من السواد ، فكلما رآها تجددت أحزانه ، بل وبعضهم إذا وقع في مصيبة فإنه يقف أمام الصورة يخاطبها وكأنها تراه وتسمعه ، وهذه طامة لا مخرج منها إلا بسد هذا الباب سداً محكماً كما اقتضته الأدلة ، فالقول بتحريم التصوير الآلي متوافق تماماً مع قاعدة سد الذرائع المفضية إلى ما هو ممنوع ، والله أعلم .

القاعدة الثانية : اتقاء المتشابهات .

ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله - ﷺ - ((الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ... الحديث)) (٣٢٧) متفق عليه .

فالقاعدة في المتشابهات هو اتقاؤها بمعنى تركها واجتنابها ، والتصوير الفوتوغرافي إن سلمنا أنه ليس من الحرام البيّن فلا أقل من أن يكون من قسم المتشابهات التي ندبنا نبينا - ﷺ - إلى اتقائها استبراءً لديننا وعرضنا ، وهذا لا يكون إلا بالقول بالمنع من الصور الفوتوغرافية ، فإن كانت من الحرام البيّن فلا كلام ، وإن كانت من قسم المتشابه ، فقد اتضح حكمها ولله الحمد والمنة .إذاً القول بالمنع من الصور الآلية متوافق مع قاعدة اتقاء المتشابهات أتم موافقة ، والله أعلم .

القاعدة الثالثة : الخروج من خلاف العلماء .فإنه قد تقرر أن فعل ما اتفق عليه العلماء أولى من فعل ما انفرد به أحدهم ما أمكن ، وهذا لا يتم إلا إذا قلنا بالمنع من الصور الفوتوغرافية ، ففي تركها مطلقاً خروج من خلاف العلماء ، والله أعلم .

القاعدة الرابعة : قاعدة حفظ المال : فإن الشريعة الإسلامية جاءت بحفظ الضروريات الخمس وهي : الدين ، والعقل ، والنسل ، والمال ، والنفس . وقد دلت الأدلة على أن إنفاق المال فيما لا طائل من ورائه ، ولا فائدة تجنى منه ، لا يجوز .وهذه الصور الفوتوغرافية لا تخلو من حالات : أما أن تتخذ للتعظيم فهي محرمة ، وإما أن تتخذ للذكري فهي كذلك وإما أن تدعو إليها الضرورة ، فيجوز زمنها ما تندفع به الضرورة ، وإما أن لا يكون ثمة مقصد لمتخذها .فنقول : هذا تضييع للمال فيما لا طائل من ورائه ، ولا فائدة تحته ، وقد دلت الأدلة على أنه لا يجوز ، فتركه واجب ولا يتم ذلك إلا بالقول بمنع هذه الصور ؛ لأنه قد تقرر في

(٣٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ (٥٢)، وفي كتاب البيوع، بَابٌ: الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ (٢٠٥١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب المساقاة، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ (١٥٩٩).

القواعد أن ما لا يتم ترك الحرام إلا به، فتركه واجب ، وفعله محرم .فالقول بمنع مثل هذه الصور متوافق مع قاعدة حفظ المال كل الموافقة والله أعلم .

والخلاصة : أن القول الراجح في الصور بالآلة التحريم ، إما تحريم مقاصد ، وإما تحريم وسائل ، والله ربنا أعلى وأعلم .

الفرع السادس :ــ وبعد استقراء الأدلة وجدنا أن الشريعة الإسلامية - زادها الله شرفاً ورفعةً - حرمت التصوير لذوات الأرواح بأنواعه لعدة أمور :-

منها : كون تصوير ذوات الأرواح مفضٍ إلى تعظيمها ، والغلو فيها وربما جر ذلك إلى عبادتها ، ولاسيما إذا كانت الصور لمن يحبهم الناس ، ويعظمونهم ، سواءً كان ذلك التعظيم تعظيم علم وديانة ، أو تعظيم سلطانٍ ورياسة ، أو تعظيم صداقة وقرابة ، فمثل هؤلاء تكون الفتنة بتعليق ، أو نصب صورهم في المجالس ونحوها من أعظم وسائل الشرك والضلال .

ومنها : أن فيها مضاهاة لخلق الله تعالى ، وتشبيه فعل المخلوق بفعل الخالق سبحانه

ومنها : أن صناعة صور ذوات الروح المحرمة واتخاذها فيه مشابهة واضحة بفعل من كانوا يصنعون الصور والتماثيل ، سواءً كان المصور قاصداً التشبه بأولئك أم لا ، فمجرد صناعته للصورة ، أو استعمالها على وجهٍ محرمٍ بنصبٍ ، أو تعليق ، أو نحو ذلك يكون حاله شبيهاً بحال المشركين ومقلديهم الذين كانوا يصنعون الصور ويضعونها في معابدهم تقديساً وتعظيماً لها . ومعلوم أن من مقاصد الشريعة قطع دابر المشابهة بالكفار والمشركين فيما كان من عبادتهم وعاداتهم .

والأحاديث في ذلك متواترة تواتراً معنوياً ، وقد استوفاها الشيخ تقي الدين أبو العباس في كتابه الكبير " اقتضاء الصراط المستقيم " والله أعلم .

ومنها : كون صور ذوات الروح مانعة من دخول الملائكة ، وفيها تبذير ، وإضاعة للمال إلا فيما أخرجته الضرورة ، فهذا مما يبين لك جلياً إن شاء الله تعالى رجحان القول بالتحريم ، والله أعلم .

الفرع السابع :ـ إذا ثبت لك ذلك فأقول : إنه مما عمت به البلوى في هذه الأزمنة تصوير ما تدعو إليه ضرورة التعريف بالنفس، كبطاقة الأحوال، والرخصة والشهادة ، ونحوها ، فهذا مما عمت به البلوى ، ولا مخرج للإنسان منه ، فحينئذٍ تقدر الضرورة بقدرها ، فيباح منها القدر الذي تندفع به الضرورة وقد كتب لي بعض الأحبة أنه يوجد في بلاد الغرب التعريف بالنفس عن طريق البصمة ، وأنها أضبط من التعريف بالصورة . فقلت : إذا ثبت هذا فهو شيء حسن ، لكني لا أعلمه مستخدماً في ديارنا ، فإذا أثبته ولي الأمر ، فالضرورة حينئذٍ إلى التصوير مندفعة ، لكن إذا لم يقر في البلاد ، ولم يأذن به ولي الأمر ، فنبقى على التصوير الآلي إلى ارتفاع الضرورة، والله يرفعها عاجلاً لا آجلاً ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ومن جملة الضرورات أيضاً : التصوير الجنائي ، وهو استخدام الصورة في محال الجريمة ، والكشف عن مرتكبيها ، وهذا داخل تحت قاعدة " الضرورات تبيح المحظورات " ، وقاعدة " لا محرم مع الضرورة " وقاعدة " الضرورات تقدر بقدرها " ، بل إن استخدام هذه الصور في بعض الحالات الجنائية واجب ؛ لأنه لا تكشف الجريمة ، وتؤخذ الحقوق لأصحابها إلا بذلك ، وقد تقرر في القواعد أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وعلى ذلك فقس ، فما دعت إليه الضرورة أو الحاجة المنزلة منزلة الضرورة من هذه الصور الآلية فإنه يجوز منها ما تندفع به الضرورة ، والله ربنا أعلى وأعلم .

فقول الناظم (واحذر) أيها المؤمن الموحد (ذوات الروح لا ترسم لها صورا بأي طريقة ببنان) أي سواء أكانت عن طريق النحت أو الرسم باليد أو عن طريق الآلة الحديثة ، (فـ)ـإنك إن فعلت هذا (تكون ممن ناله درك الشقا) أي ممن تحقق في حقه الوعيد الشديد الوارد في هذه المسألة على المصورين ، وأنت إن تأملت الزواجر الواردة في هذه المسألة لعلمت يقينا حرص الشريعة الكامل على إقفال هذا الباب وسده السد المحكم ، فمن ذا يرضى بأن يلج هذه المهالك الخطيرة

، والشريعة سدت هذا الباب لأن التصوير هو باب الشرك الأكبر ، فقال الناظم عفا الله عنه في هذا (فالشرك والتصوير مرتضعان) أي أنهما أخوان ارتضعا من ثدي واحدة ، فمتى ما وقعت الفتنة بالتصوير حلت الطامة بوقوع الشرك في الأمة ، فإن قلت :ـ وكيف التعامل مع هذه الصور ؟ فأقول :ـ قد بينه لك الناظم بقوله (واطمس معالمها) حتى لا تكون صورة ، لا سيما الرأس ، ولا يكفي مجرد قطعه بخط يفصل الرقبة عن الرأس مع بقاء الرأس ظاهرا ، لا ، هذا ما يكفي ، بل لا بد من إزالة الرأس أو طمسها بالكلية ،وهو أحسن ، (وذلك) أي طمسها وإخفاء معالمها حتى لا تكون داخلة في مسمى الصورة (سنة ثبتت عن المعصوم من عدنان) ﷺ ، ويشير الناظم إلى حديث علي رضي الله عنه في أمر النبي ﷺ له بأن لا يدع صورة إلا طمسها ولا قبرا مشرفا إلا سواه (٣٢٨)، وقد تقدم ذكره ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

وزر القبور زيارة شرعية وهي التي جمعت ثلاث معاني

أن تدعون لميت بخصوصه أو تدعون لكل من هو فاني

أو تقصدن تذكرا للموت أو ترجو الثواب بسنة العدناني

إلا النساء فما لهن زيارة لحديث حبر الأمة الرباني

وأجز زيارة كافر لا للدعا بل لارتداع القلب عن عصيان

أقول :ـ هذه الأبيات تتكلم عن أحكام زيارة القبور وما يحل منها وما يحرم ، والكلام عليها في فروع :ـ

الفرع الأول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن مما استحبه الشرع ورغب فيه زيارة القبور ، وقد وردت به الأدلة الصحيحة الصريحة،

(٣٢٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ الْأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ(٩٦٩).

فعن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكراً " (٣٢٩) رواه مسلم

ولأحمد والنسائي " ونهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً " (٣٣٠)

وعن عائشة رضي الله عنه أنها قالت كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول " السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد "(٣٣١) رواه مسلم

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول " السلام عليكم أهل الديار - وفي لفظ -

---

(٣٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٩٧٧)، وفي كتاب الصيد والذبائح، بَابُ بَيَانِ مَا كَانَ مِنَ النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَبَيَانِ نَسْخِهِ وَإِبَاحَتِهِ إِلَى مَتَى شَاءَ (١٩٧٧).

(٣٣٠) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٠٥٢)،

من طريق: أبو جناب، عن سليمان بن بريدة،

والنسائي في سننه، في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور (٢٠٣٣)، وفي السنن الكبرى (٢١٧١)

من طرق: أبي فروة، عن المغيرة بن سبيع، حدثني عبد الله بن بريدة،

كلاهما –سليمان، وعبد الله– عن أبيهما برية بن الحصيب الأسلمي ﷺ، به.

فالسند الأول ضعيف، ففيه: أبو جناب، يحيى بن أبي حية الكلبي، وهو ضعيف، ضعفه أهل العلم لكثرة تدليسه.

أما السند الثاني: فإسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات.

قلت: (سيد) والحديث له شواهد من حديث أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك وابن عباس ﷺ عند أحمد في المسند ومالك في الموطأ وأبو يعلى والطبراني وغيرهم، والله أعلم.

(٣٣١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا (٩٧٤).

السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية "(٣٣٢) رواه مسلم ،

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر النبي ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه ، فقال "السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنت سلفنا ونحن بالأثر " (٣٣٣) رواه أحمد والترمذي وهذا لفظه وقال :ـ حديث حسن غريب،

فهذه الأدلة وغيرها تفيدك أن السنة هي زيارة القبور ، والله أعلم .

الفرع الثاني :ـ واعلم رحمك الله تعالى أنه لما دخل في زيارة القبور ما لا يحل شرعا من الأقوال والأفعال ، اضطر أهل السنة رحمهم الله تعالى أن يقسموا هذا الباب إلى قسمين ، إلى زيارة سائغة مشروعة ، وإلى زيارة زائغة شركية ممنوعة ، وبينوا رحمهم الله تعالى أن الزيارة الشرعية ، هي ما كان فيها قصد الزائر ثلاثة أمور :ـ تذكر الموت والآخرة ، والدعاء للموتى والسلام عليهم ، وإحياء السنة بالزيارة ، فهذه المقاصد الثلاث هي التي يسميها أهل العلم بالزيارة الشريعة ، وأما ما عداها من المقاصد فهو داخل تحت دارة الزيارة البدعية ،

وقد سئل ابن تيمية رحمه الله تعالى عن المشروع في زيارة القبور ؟ فقال (الجواب : أما زيارة القبور : فهي على وجهين : شرعية وبدعية ، فالشرعية: مثل الصلاة على الجنازة والمقصود بها الدعاء للميت كما يقصد بذلك الصلاة على جنازته كما كان النبي صلى الله عليه و سلم يزور أهل البقيع ويزور شهداء أحد ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا ك [السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا

---

(٣٣٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا (٩٧٥).

(٣٣٣) ضعيف

أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر (١٠٥٣) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٦١٣).

من طريق: أبي كدينة، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس، به.

ففيه: قابوس بن أبي ظبيان، وهو ضعيف، لا يحتج به،

لا سيما وقد ضعف الترمذي الحديث فقال: حديث ابن عباس حديث غريب.

إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم] (٣٣٤)

وهكذا كل ما فيه دعاء للمؤمنين من الأنبياء وغيرهم : كالصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم والسلام كما في الصحيح عنه أنه قال : [إذا سمعتم المؤذن فقولوا : مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة (٣٣٥)

(وما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) (٣٣٦)

وأما الزيارة البدعية : وهي زيارة أهل الشرك من جنس زيارة النصارى الذي يقصدون دعاء الميت والاستعانة به وطلب الحوائج عنده فيصلون عند قبره ويدعون به فهذا ونحوه لم يفعله أحد من الصحابة ولا أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا استحبه أحد من سلف الأمة ، وأئمتها بل قد سد النبي صلى الله عليه و سلم باب الشرك في الصحيح أنه قال في مرض موته : [لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا ، قالت عائشة رضي الله

---

(٣٣٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا (٩٧٤).

(٣٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَسْأَلُ لَهُ الْوَسِيلَةَ (٣٨٦).

(٣٣٦) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٠٨١٥)، وأبو داود في سننه، في كتاب المناسك، باب زيارة القبور (٢٠٤١)، وابن راهويه في مسنده (٥٢٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٠٩٢)، (٩٣٢٩)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١٧٨)، وفي السنن الصغير (١٧٦٩)، وفي السنن الكبرى (١٠٢٧٠)، وفي الشعب (١٤٧٩)،

من طريق: عبد الله بن يزيد المقرئ، عن حيوة بن شريح، عن أبي صخر، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، به.

فإسناده وإن كان صحيحًا، إلا أن فيه عبد الله بن يزيد المقرئ، وهو مع ثقته له أفراد، وقد قال أبو يعلى الخليلى : ثقة ، حديثه عن الثقات محتج به ، و يتفرد بأحاديث

وفيه: أبو صخر، حميد بن زياد، وهو وإن كان صدوقًا يحسن حديثه، إلا أنه يهم، وباقي السند رجاله ثقات،

وقد وقعت واسطة بين يزيد بن عبد الله بن قسيط وبين أبي هريرة، كما عند الطبراني في الأوسط، وهو أبو صالح، وهو وهم، فيزيد يروي عن أبي هريرة بدون واسطة، والله أعلم.

عنها ولولا ذلك لأبرز قبره لكن كره أن يتخذ مسجدا وقال قبل أن يموت بخمس : إن من كان قبلكم كانوا تخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك] (٣٣٧)

فالزيارة الأولى من جنس عبادة الله والإحسان إلى خلق الله وذلك من جنس الزكاة التي أمر الله بها ، والثانية : من جنس الإشراك بالله والظلم في حق الله وحق عباده) (٣٣٨)

وقال رحمه الله تعالى (زيارة قبور المسلمين على وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية.فالزيارة الشرعية: أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت؛ كما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له؛ فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه، قال الله تعالى في المنافقين: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة: ٨٤] فنهى نبيه عن الصلاة عليهم والقيام على قبورهم لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهو كافرون، فلما نهى عن هذا وهذا لأجل هذه العلة وهي الكفر دل ذلك على انتفاء هذا النهي عند انتفاء هذه العلة.ودل تخصيصهم بالنهي على أن غيرهم يصلى عليه ويقام على قبره؛ إذ لو كان هذا غير مشروع في حق أحد لم يخصوا بالنهي ولم يعلل ذلك بكفرهم، ولهذا كانت الصلاة على الموتى من المؤمنين والقيام على قبورهم من السنة المتواترة؛ فكان النبي - ﷺ - يصلى على موتى المسلمين وشرع ذلك لأمته، وكان إذا دفن الرجل من أمته يقوم على قبره ويقول: ((سلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل)) (٣٣٩). رواه أبو داود وغيره.

---

(٣٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ اتِّخَاذِ المَسَاجِدِ عَلَى القُبُورِ (١٣٣٠)، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١٣٩٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ (٥٢٩)، (٥٣٠).

(٣٣٨) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٦- ٣٢٨).

(٣٣٩) حسن

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف (٣٢٢١)، وأحمد في الزهد (١/ ١٠٦)، وفي فضائل الصحابة (١/ ٤٧٥)، والبزار في مسنده (٤٤٥)، والحاكم في المستدرك (١٣٧٢)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٠)، وفي السنن الكبرى (٧٠٦٤)، وفي السنن الصغرى (١١٢٢)،

وكان يزور قبور أهل البقيع والشهداء بأحد ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم)) (٣٤٠)

والأحاديث في ذلك صحيحة ومعروفة؛ فهذه الزيارة لقبور المؤمنين مقصودها الدعاء لهم.

وهذه غير الزيارة المشتركة التي تجوز في قبور الكفار، كما ثبت في ((صحيح مسلم)) وأبي داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة؛ أنه قال: أتى رسول الله - ﷺ - قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، ثم قال: ((استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي؛ فزوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة)) (٣٤١)

فهذه الزيارة التي تنفع في تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافراً، بخلاف الزيارة التي يقصد بها الدعاء للميت؛ فتلك لا تشرع إلا في حق المؤمنين.

وأما الزيارة البدعية؛ فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج، أو يطلب منه الدعاء والشفاعة، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء؛ فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي - ﷺ -، ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبي - ﷺ - ولا عند غيره، وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك) (٣٤٢)

من طريق: عبد الله بن بحير، عن هانئ، مولى عثمان، عن عثمان بن عفان، به.

ففيه: هانئ البربري، مولى عثمان بن عفان، وهو صدوق، وباقي إسناده صحيح

(٣٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا (٩٧٤).

(٣٤١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٩٧٦).

(٣٤٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٥- ١٦٦).

فتبين من كلام أبي العباس رحمه الله تعالى أن أهل السنة رحمهم الله تعالى يقسمون زيارة القبور إلى هذين القسمين في كلمه رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

الفرع الثالث :ــ أقول :ــ اعلم رحمك الله تعالى أن العلماء اتفقوا - فيما نعلم - على منع زيارة النساء للقبور إذا كانت إحداهن تخرج متبرجة متزينة متطيبة أو خشي عليها الفتنة بخروجها لبعد المقابر عن الديار أو كان المقابر يؤمها بعض الفساق للاستتار بفسقهم ونحو ذلك مما يخشى عليها أو بها الفتنة، هذا ما لا نعلم فيه خلافاً، واتفق أهل العلم رحمهم الله تعالى - فيما نعلم - على أن المرأة ممنوعة من الإكثار من الزيارة للقبور إذا كان تكرار زيارتها يدخلها في وصف الزوارات للقبور، ولكن اختلفوا فيما إذا يخشى عليها أو بها شيء من الفتنة ولم تكن من المكثرات للزيارة على أقوال:- فقيل بالتحريم وقيل بالكراهة وقيل بالإباحة والقول الصحيح والرأي الراجح المليح في ذلك هو القول بالحرمة مطلقاً واختار هذا القول الشيرازي وهو قول للمالكية ورواية عند الحنابلة وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، ونسب هذا القول للسيوطي والسندي وابن حجر الهيثمي وصديق حسن خان، واختاره سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وسماحة الوالد الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز، وهو الذي تفتي به اللجنة الدائمة في الديار السعودية عصمها الله من كل شر وبلاء، وهو اختيار الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في جزئه المفيد:- (جزء في زيارة النساء للقبور) وهو الذي نراه راجحاً ولاشك عندنا في رجحانه إن شاء الله تعالى والدليل على رجحانه عدة أمور :-

منها :- أنه ﷺ ((لعن زوارات القبور)) (٣٤٣) رواه أحمد والترمذي وقال:- حديث حسن صحيح، وصححه كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة الألباني رحم الله الجميع رحمة واسعة،

---

(٣٤٣) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٨٤٤٩)، (٨٤٥٢)، (٨٦٧٠)، والترمذي في سننه في أبواب الجنائز، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء (١٠٥٦)، وابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (١٥٧٦)، والطيالسي في مسنده (٢٤٧٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥٩٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٣١٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٢٠٤)،

ووجه الاستدلال به أن يقال:- قوله ((لعن)) واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى وهذا لا يكون إلا في أمرٍ محرم شديد التحريم وهو علامة على أن الأمر الملعون عليه من جملة الكبائر، فدل ذلك على تحريم زيارة المرأة للقبور وقوله ((زوارات)) اعلم أنه بضم الزاي لا بفتحها، كذا قال كثير من أهل العلم فعلى هذا لا تكون الصيغة للمبالغة كما فهمه بعض أهل العلم رحم الله الجميع رحمة واسعة، بل يكون معناها جمع زائرة فقوله ((زوارات)) بالضم جمع زائرة، وكذا نص أئمة اللغة فقال ابن منظور في اللسان (وامرأة زائرة من نسوة زُور) فقوله (زُور) هو بعينه جمع زائرة، وقال الجوهري (نسوة زُوَّرْ) ا.هـ. وقال الفيروز آبادي (الزائر والزائرون كالزُّوَّار والزُّور) ا.هـ. فيكون معنى ((زوارات القبور)) أي اللاتي يزرن القبور من غير تعرض للإقلال أو الإكثار، فبان بذلك أن اللعن منصب على من زارت القبور، والله أعلم .

ومنها :- حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال ((لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)) (٣٤٤) رواه أحمد في المسند والترمذي في سننه وحسنه وكذلك حسنه البغوي في شرح السنة،

من طريق: أبي عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، به.

ففيه: عمرو بن أبي سلمة، وهو صدوق يحسن حديثه، وباقي السند رجاله ثقات.

(٣٤٤) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٣٠)، (٢٦٠٣)، (٢٩٨٤)، (٣١١٨)، والترمذي في سننه في أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا (٣٢٠)، وابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (١٥٧٥)، وأبو داود في سننه في كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور (٣٢٣٦)، والنسائي في سننه في كتاب الجنائز، التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (٢٠٤٣)، وفي السنن الكبرى (٨١٢١)، والطيالسي في مسنده (٢٨٥٦)، وابن الجعد في مسنده (١٥٠٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٩)، (١١٨١٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١٧٩)، (٣١٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٧٢٥)، والحاكم في المستدرك (١٣٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٢٠٦).

من طريق: مُحَمَّد بن جحادة، عن أبي صالح، عن ابن عباس، به.

ففيه: باذام ، و يقال باذان ، أبو صالح ، مولى أم هانىء بنت أبي طالب، وهو ضعيف لا يحتج به، وليس بأبي صالح السمان المعروف بالراوية عن أبي هريرة،

لكن الفقرة الأولى تحسن بشواهدها، والله أعلم

قلت:- وإسناده إما حسن لذاته أو صحيح لغيره،

فهو على كل حال مما يحتج به ووجه الشاهد منه كما قررناه سابقاً من أن اللعن لا يكون إلا على فعلٍ محرم شديد التحريم، فاللعن يفيد التحريم، بل إفادته للتحريم أبلغ من مجرد إفادة صيغة النهي المجردة له، والله أعلم .

ومنها :- حديث أم عطية رضي الله عنها قالت ((نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا)) (٣٤٥) وهو في الصحيح، والشاهد منه قوله ((نهينا)) وهنا عدة قواعد لابد من تخريج الحديث عليها ليتم به الاستدلال على المطلوب وهي كما يلي :-

الأولى :- لقد تقرر في القواعد أن الصحابي إذا قال أُمِرْنا بكذا أو نُهِينَا عن كذا فإن له حكم الرفع، لأن الأعم الأغلب أن الآمر والناهي هو النبي ؟، وقد صرحت بذلك في بعض روايات الحديث .

الثانية :- لقد تقرر في القواعد أن النهي المجرد عن القرينة يفيد التحريم وقولها ((نهينا)) نهي مجرد عن القرينة الصارفة فهو إذاً يفيد التحريم .

الثالثة :- لقد تقرر في القواعد أن العبرة فيما رواه الراوي لا فيما رآه إذا كان رأيه مخالفاً لظاهر الحديث، فقولها ((نهينا عن اتباع الجنائز)) هذا هو روايتها وقولها ((ولم يعزم علينا)) هذا هو رأيها، والعبرة فيما روت لا فيما رأت فالحجة في روايتها لا في رأيها فانتبه لهذا .

الرابعة :- لقد تقرر في القواعد أن القياس الأولوي حجة، فإذا كان النساء منهياتٍ عن اتباع الجنائز فلأن تكون منهية عن الزيارة من بابٍ أولى، فإن الأجر في اتباع الجنائز أعظم منه في الزيارة ولقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بقوله (ومطلق الاتباع أعظم من مصلحة الزيارة لأن في ذلك الصلاة عليه التي هي أعظم من مجرد الدعاء ولأن المقصود بالاتباع الحمل والدفن والصلاة فرض على الكفاية وليس شيء من الزيارة فرضاً على الكفاية - إلى أن قال - فإذا كانت

(٣٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ اتِّبَاعِ النِّسَاءِ الجَنَائِزَ (١٢٧٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ نَهْيِ النِّسَاءِ عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ (٩٣٨).

النساء منهيات عما جنسه فرض على الكفاية ومصلحته أعظم إذا قام به الرجال فما ليس بفرضٍ على أحد أولى) (٣٤٦) أ.هـ. وهذا واضح .

الخامسة :- لقد تقرر في القواعد أن الإخبار بالتأثيم ليس بشرطٍ في التحريم، أي ليس كل حرام في الشريعة لابد أن يقرن بعقوبة خاصة، وإلا لما كان محرماً، فإن الحرام دركات كما أن الواجب درجات، فالتحريم يستفاد من مجرد النهي، وقد استفدنا ذلك من قولها ((نهينا عن اتباع الجنائز)) وهذا كافٍ في فهم التحريم فقولها ((ولم يعزم علينا)) لا ينقض التحريم السابق لأن التعزيم في التحريم ليس بشرط فيه وقد أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله في قوله (وقولها ((ولم يعزم علينا)) إنما نفت وصف النهي وهو النهي المؤكد بالعزيمة وليس ذلك شرطاً في اقتضاء التحريم، بل مجرد النهي كافٍ ولما نهاهن انتهين) ا.هـ. ويوضح هذا القاعدة السادسة والله أعلم.

السادسة :- لقد تقرر في القواعد أنه لا عبرة بالظن البين خطؤه وقولها ((ولم يعزم علينا)) ظن قد بان خطؤه إذ أنه قد وردت العزيمة في التحريم وهو هذا اللعن المؤكد وأي عزيمة غير هذه العزيمة فأم عطية رضي الله عنها وأرضاها لم تشهد العزيمة في ذلك النهي وقد دلت أحاديث لعن الزائرات على العزيمة فهذا اجتهاد منها رضي الله عنها قد عورض بالنص المرفوع والنص مقدم على كل قول والله أعلم .

السابعة :- لقد تقرر في القواعد أن المثبت مقدم على النافي وقولها ((ولم يعزم علينا)) نفي لهذه العزيمة وأحاديث لعن زائرات القبور إثبات لهذه العزيمة، فدار الأمر بين نافٍ لها ومثبت لها والمثبت مقدم على النافي لأن معه زيادة علم خفيت على النافي

الثامنة :- لقد تقرر في القواعد أن من حفظ حجة على من لم يحفظ وقولها ((ولم يعزم علينا)) نفي لحفظها هذه العزيمة، وأحاديث لعن زائرات القبور فيه إثبات

(٣٤٦) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٧).

من رواتها أنهم حفظوا هذه العزيمة فهم حفظوها وهي لم تحفظها ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

التاسعة :- قاعدة سد الذرائع، فإننا قد قررنا بالدليل أن زيارة النساء للقبور محرمة تحريماً قد لعن فاعله، ومن المعتاد من الشريعة أنها إذا حرمت شيئاً فإنها تمنع جميع الطرق التي توصل إلى هذا الشيء ولا جرم أن ذلك من كمالها - زادها الله شرفاً ورفعة - وبناءً عليه فتحريم اتباع الجنائز على النساء إنما هو من باب سد الذرائع المفضية إلى المحرم، فلما كان تشييع الجنازة وحملها وإيصالها للمقبرة من ذرائع الزيارة الممنوعة سدت الشريعة هذا الباب ونهى النبي ﷺ النساء عن اتباع الجنائز والله تعالى أعلى وأعلم .

وأما حديث ((فزوروها فإنها تذكر الموت)) (٣٤٧) فهو عام مخصوص بأحاديث نهي النساء عن زيارة القبور والإخبار باللعن، وقد تقرر في القواعد أن الخاص مقدم على العام .فتبين لك بذلك أن المرأة لا يجوز لها زيارة القبور ، فإن قلت :ـ أوليس في منع زيارتهن مفسدة ؟ فأقول :ـ إن سلمنا أن في النهي مفسدة في حقها فلا جرم أن القول بزيارتها مفسدته أعظم ، فقد علل أهل العلم ذلك بأن المرأة لو أجيز لها زيارة القبور لأخرجها هذا إلى الجزع وشدة الحزن والتصرف بما لا يليق من شق الجيب ولطم الخد والدعاء بدعوى الجاهلية والنياحة ، ولكن هذا الأمر ليس في كل النساء ، وإنما هو صادر من بعضهن ، ولكن لو علق الحكم بمن يصدر منها ذلك لكان هذا تعليقا للحكم بما هو خفي وغير منضبط ، فلما كانت هذه الحكمة خفية وغير منضبطة ، علق الحكم بالوصف الظاهر المنضبط الذي لا يخفى على أحد وهو وصف الأنوثة ، فالأنثى لا يجوز لها زيارة القبور ، لأن الحكمة إن كانت خفية أو منتشرة أو غير منضبطة ، فإن الحكم يناط بالوصف الظاهر المنضبط ، وهذا من كمال الشريعة ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّلَ الْإِذْنَ لِلرِّجَالِ بِأَنَّ ذَلِكَ يُذَكِّرُ بِالْمَوْتِ وَيُرَقِّقُ الْقَلْبَ، وَيُدْمِعُ الْعَيْنَ، هَكَذَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ. وَمَعْلُومٌ

(٣٤٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٩٧٦).

أَنَّ الْمَرْأَةَ إذَا فُتِحَ لَهَا هَذَا الْبَابُ أَخْرَجَهَا إلَى الْجَزَعِ وَالنَّدْبِ وَالنِّيَاحَةِ، لِمَا فِيهَا مِنْ الضَّعْفِ، وَكَثْرَةِ الْجَزَعِ، وَقِلَّةِ الصَّبْرِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِتَأَذِّي الْمَيِّتِ بِبُكَائِهَا، وَلِافْتِتَانِ الرِّجَالِ بِصَوْتِهَا، وَصُورَتِهَا. كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: " فَإِنَّكُنَّ تَفْتِنَّ الْحَيَّ، وَتُؤْذِينَ الْمَيِّتَ " وَإِذَا كَانَتْ زِيَارَةُ النِّسَاءِ مَظِنَّةً وَسَبَبًا لِلْأُمُورِ الْمُحَرَّمَةِ فِي حَقِّهِنَّ، وَحَقِّ الرِّجَالِ، وَالْحِكْمَةُ هُنَا غَيْرُ مَضْبُوطَةٍ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحَدَّ الْمِقْدَارُ الَّذِي لَا يُفْضِي إلَى ذَلِكَ، وَلَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ نَوْعٍ وَنَوْعٍ. وَمِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ أَنَّ الْحِكْمَةَ إذَا كَانَتْ خَفِيَّةً، أَوْ غَيْرَ مُنْتَشِرَةٍ عُلِّقَ الْحُكْمُ بِمَظِنَّتِهَا، فَيَحْرُمُ هَذَا الْبَابُ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ) (٣٤٨)

وقد تقرر عند أهل العلم رحمهم الله تعالى أنه إن تعارض مفسدتان روعي أشدهما بارتكاب أخفهما ، وتقرر أنه إن تعارض مصلحتان روعي أعلاهما بتفويت أدناهما ، والله أعلم .

الفرع الرابع :ـ واختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في حكم زيارة قبر الكافر ، والقول الصحيح جواز زيارة قبره لا للدعاء والاستغفار له ، بل لمجرد أخذ العبر والاتعاظ بحاله ، وزجر القلب عن فعله ، وقد قلنا في كتابنا تنوير الصدور في التحذير من فتنة القبور (اعلم رحمك الله تعالى أن زيارة قبر المشرك جائزة في أصح قولي أهل العلم رحمهم الله تعالى إلا أن قبر المشرك لا يزار بقصد الدعاء والاستغفار له وإنما يزار بقصد الاعتبار والاتعاظ بحاله وبقصد تذكر الآخرة فقط، قال تعالى {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}[التوبة: ١١٣]

وأما دليل الجواز فما رواه مسلم في صحيحه عنه ﷺ أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال ((استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يؤذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت)) (٣٤٩)

---

(٣٤٨) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٥٦).

(٣٤٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٩٧٦).

ووجه الدلالة منه واضحة، فأمه ﷺ ماتت على الشرك وقد نهي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لأي مشركٍ ولو كان ذا قربى، ومع ذلك فقد أذن الله عز وجل له في زيارة قبرها، فدل ذلك على جواز زيارة قبر المشرك، ولا يقال:- إن هذه الزيارة خاصة بأمه ﷺ فقط لأن المتقرر في القواعد أن الخصائص لا تثبت إلا بدليل، وتقرر في القواعد أيضاً أن كل حكمٍ ثبت في حقه ﷺ فإنه يثبت في حق أمته تبعاً إلا بدليل الاختصاص، ولأنه ﷺ قال بعد الإذن له بزيارتها ((فزوروا القبور فإنها تذكر الموت)) وهذا خطاب عام للأمة وقد ورد على سبب خاص وقد تقرر في القواعد أن صورة السبب تدخل دخولاً أولياً في عموم الخطاب، ولأن قوله ((القبور)) جمع دخلت عليه الألف واللام وقد تقرر في القواعد أن الألف واللام الاستغراقية إذا دخلت على الجمع أفادته العموم، وقد تقرر في القواعد أن الأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المخصص وقبور المشركين داخلة في هذا العموم، ومن خصصها فإنه مطالب بالدليل لأنه مخالف للأصل وقد تقرر في القواعد أن الدليل يطلب من الناقل عن الأصل لا من الثابت عليه، ولأنه ﷺ قال ((فإنها - أي زيارة القبور - تذكر الموت)) وهذه العلة أكسبت الحكم العموم، وقد تقرر في القواعد أن العلة قد تعمم الحكم وقد تخصصه وهنا قد عممته لأن تذكر الموت حاصل بزيارة قبور الكفار ويستفاد الجواز أيضاً من عموم قوله ﷺ ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)) (٣٥٠) "رواه مسلم"

وهذا العموم يدخل فيه قبور المسلمين وقبور الكفار لأن العظة والاعتبار وتذكر الآخرة الذي قد عللت به زيارة القبور كما أنه حاصل بزيارة قبور المسلمين فهو حاصل أيضاً بزيارة قبور الكفار، واختار هذا جمع من المحققين كابن حزم والنووي وشيخ الإسلام أبي العباس رحمه الله تعالى كما في الفتاوى فإنه قال (وتجوز زيارة الكافر لأجل الاعتبار دون الاستغفار له) (٣٥١)ا.هـ.

---

(٣٥٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٩٧٦).

(٣٥١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦٥).

قلت:- لقد بينا كيفية الاستدلال على جواز زيارة قبر المشرك من حديث زيارته ﷺ لقبر أمه وفرعنا ذلك على القواعد المقررة عند أهل العلم وأزيد ذلك تقعيداً فأقول:- إن جواز زيارة قبر أمه ﷺ حكم ثبت لواحدٍ من المشركين في الشريعة، وقد تقرر في القواعد أن الحكم إذا ثبت في حق واحدٍ فإنه يثبت في حق الجميع إلا بدليل الاختصاص، فحيث ثبت شرعاً جواز زيارة قبرها وهي مشركة فهذا يثبت في حق عموم قبور الكفار إذ لا دليل على تخصيص قبر أمه بذلك، ونقول أيضاً:- إن النبي ﷺ قال ((فزوروا القبور فإنها تذكر الموت)) واكتفى بذلك ولم يقل:- إلا قبر مشرك، فلو كانت زيارة قبور الكفار ممنوعة لبين ذلك وقرنه بالحكم لأنه سيتطرق لأذهانهم أن الحكم في الزيارة عام، فلو كانت زيارة قبر الكافر ممنوعة لبين لهم ذلك فلما لم يبينه دل على أنه أراد منهم أن يفهموا أن الحكم عام لأن المتقرر في القواعد أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، ونقول أيضاً:- إن زيارته ﷺ لقبر أمه سبب خاص لقوله ((فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة)) لكن قوله ((القبور)) عام، فعندنا سبب خاص وعندنا لفظ حكم عام، فأيهما يقدم على الآخر خصوص السبب أم عموم الحكم؟ هذا ما تجيب عنه القاعدة التي تقول:- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتعميماً للفظ الحكم قلنا بجواز زيارة قبر كل كافر، لكن كما ذكرنا سابقاً أن قبور الكفار لا تزار لأجل الاستغفار لهم أو الدعاء لهم وإنما تزار لأجل الاعتبار وأخذ العظة وتذكر الموت والآخرة ولمعرفة عظيم قدر نعمة الله علينا أن لم يقبض أرواحنا ونحن كحالهم على الكفر أو الشرك) والله أعلم .

الفرع الخامس :ـ في بيان يعض الصور الممنوعة المرفوضة شرعا حال زيارة القبور والتي كثرت في هذه الأزمنة وعمت البلوى بها ، وهي كما يلي :ـ

منها :ـ الطواف بالقبر .

ومنها :ـ دعاء الأموات والاستغاثة بهم في تفريج الكربات وكشف الملمات وإغاثة اللهفات .

ومنها :ـ الصلاة عندها ، إلا صلاة الجناة على القبر إن فاتته الصلاة في المسجد .

ومنها :ـ الركوع أو السجود لها .

ومنها :ـ الذبح عندها .

ومنها :ـ النذر لها .

ومنها :ـ أخذ ترابها للتبرك به .

ومنها :ـ تعفير الوجوه بترابها .

ومنها :ـ التمسح بالسياج المنصوب عليها وحولها .

ومنها :ـ قراءة القرآن عندها .

ومنها :ـ طول الوقوف صامتا بلا حركة كالوقوف عند العظماء والوجهاء ونحوهم .

ومنها :ـ وضع الورود والأغصان الرطبة عليها .

ومنها :ـ إيقاد الشموع عندها .

ومنها :ـ العكوف في فنائها الليالي ذوات العدد .

ومنها :ـ طلب المدد منها .

ومنها :ـ تحديد يوم إحيائها والاجتماع عندها .

ومنها :ـ الصدقة في المقابر .

ومنها :ـ تحديد أيام معينة لزيارتها معتقدا زيارتها في هذا اليوم بعينه دون غيره .

ومنها :ـ كثرة الشكوى حال الزيارة للميت ، وكأن الحي يريد حلا من هذا الميت .

ومنها :ـ رش الماء على القبور القديم كما يفعله بعض الزائرين ظنا منهم أنه ينفع الميت ، وإنما هو بدعة قبيحة منكرة .

ومنها :ـ تعليق عريضة الشكوى بين فتحات السياج المنصوب على القبر ، أو رميها على قبر الميت .

ومنها :ـ تنويم المريض في فناء بعض الأموات طلبا لشفائهم ، لا سيما بعض الأمراض التي الطب يده عنها ، وهذا أمر واقع وليس بخيال .

ومنها :ـ رفع الصوت بالبكاء والنحيب وشق الجيوب ولطم الخدود والدعاء بدعوى الجاهلية .

ومنها :ـ الرجوع إلى الوراء (القهقرى) حال الفراغ من الزيارة احتراما للميت أن لا يوليه ظهره .

ومنها :ـ زيارته ببعض الهدايا وكأنه يزور بعض الأحياء .

ومنها :ـ تقبيل القبر أو السياج الموضوع عليه .

ومنها :ـ وضع اليد على القبر حال مخاطبة الميت .

ومنها :ـ جلب الأطعمة في المقبرة للأكل عند قبر ميتهم اعتقادا منهم أن هذا مما يؤنسه ويدخل السرور عليه .

ومنها :ـ طلب الشفاعة من الأموات .

ومنها :ـ اعتقاد فضيلة بعض الأدعية والأذكار عند زيارة الأموات ، حاشا ما وردت به الأدلة الصحيحة الصريحة . وبالجملة أيها الأحباب ، فصور الباطل كثيرة ، وقد أفردنا لها كتابا ، وهو كتابنا (تنوير الصدور في التحذير من فتنة القبور) وقد ذكرنا فيه أغلب ما يتعلق بهذه المسألة ، والله أعلم . ثم نرجع إلى القصيدة فنقول :ـ قول الناظم (وزر القبور) كما وردت به الأدلة الشريعة الصحيحة الصريحة ، ولكن لا بد وأن تكون زيارتك لها (زيارة شرعية) لا بدعية ولا شركية ، ثم بين لك هذه الزيارة الشرعية بقوله (وهي) أي هذه الزيارة الشرعية ، هي (التي جمعت ثلاث معاني) أي ثلاثة أمور ، الأول :ـ (أن تدعون لميت بخصوصه) أي لميتك أنت وحده في هذه المقبرة ، فلا تدعو لغيره من جملة المقبورين معه في هذه المقبرة ، (أو تدعون لكل من هو فاني) أي أن تعم الأموات معه بالدعاء . والثاني بينه بقوله (أو تقصدن) بزيارتك للمقبرة (تذكرا للموت) وأنه نهاية الدنيا ونهاية المطاف في هذه الحياة ، والثالث بينه بقوله (أو

ترجو الثواب بـــ)ـاتباعك (سنة العدناني) أي النبي ﷺ ، فإن زيارة القبور سنة مؤكدة ، ثم بين حكم الزيارة للمرأة فقال (إلا النساء فما لهن زيارة) للقبور لثبوت النهي الأكيد عن زيارتهن للقبور ، (لحديث حبر الأمة الرباني) أي ابن عباس رضي الله عنهما فإنه حبر الأمة وترجمان القرآن ببركة دعاء النبي ﷺ له في قوله " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل "(٣٥٢)

والمراد بالحديث هنا أي قول ابن عباس رضي الله عنهما :ـ لعن النبي صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ، (٣٥٣).. وقد تقدم

---

(٣٥٢) صحيح لغيره

أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٩٧)، (٢٨٧٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٢٢٣)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٠٣٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٨٠)، والبزار في مسنده (٥٠٧٥)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٥٥)، والحاكم في المستدرك (٦٢٨٠)،

من طريق: عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به.

فإسناد حسن، ففيه عبد الله بن عثمان وهو صدوق يحسن حديثه،

ولكن الحديث أصله في الصحيحين أيضًا بلفظ: اللهم علمه الكتاب، وفي لفظ: اللهم فقه، من طريق: عبيد الله بن أبي يزيد، وعكرمة، -كلاهما- عن ابن عباس، به.

أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ» (٧٥)، وفي كتاب العلم، بَابُ وَضْعِ الماءِ عِنْدَ الخَلاَءِ (١٤٣)، وفي كتاب المناقب، بَابُ ذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٣٧٥٦)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٧٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٢٤٧٧).

(٣٥٣) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٣٠)، (٢٦٠٣)، (٢٩٨٤)، (٣١١٨)، والترمذي في سننه في أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا (٣٢٠)، وابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (١٥٧٥)، وأبو داود في سننه في كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور (٣٢٣٦)، والنسائي في سننه في كتاب الجنائز، التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (٢٠٤٣)، وفي السنن الكبرى (٨١٢١)، والطيالسي في مسنده (٢٨٥٦)، وابن الجعد في مسنده (١٥٠٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٩)، (١١٨١٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١٧٩)، (٣١٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٧٢٥)، والحاكم في المستدرك (١٣٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٢٠٦).

من طريق: مُحَمَّد بن جحادة، عن أبي صالح، عن ابن عباس، به.

الكلام عليه ، ثم بين حكم زيارة قبر الكافر فقال :ـ (وأجز) بالدليل الصحيح الصريح (زيارة) قبر الـ(ـكافر) ولكن (لا للدعا) والاستغفار له ، (بل) حيث قلنا بجواز زيارة قبره فنعني بها الاتعاظ و (لارتداع القلب عن عصيان) فقط ، لأننا منهيون عن الدعاء والاستغفار لهم بعد موتهم على الكفر ، كما قال تعالى {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } [التوبة: ١١٣] والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة:ـ

لا تغلون هديت في قبر ولا رجل فتلك مصائد الشيطان

إن الغلو بلية قد أهلكت أمما مضوا في غابر الأزمان

لا ترفعن القبر فوق الشبر لا تفعل كفعل معظمي الصلبان

أقول :ـ هذه الأبيات تتكلم عن الغلو وما أحدثه في الأمة من الفساد العريض والبلاء المستطير ، والكلام عليه سيكون في فروع :ـ

الفرع الأول :ـ عرف أهل العلم الغلو بأنه مجاوزة الحد في الشيء ، فمن تجاوز الحد في أمر من الأمور فقد غلا فيه ، وهذا التجاوز له طريقان :ـ إما تجاوز إلى جفاء وتفريط ، وإما تجاوز إلى تعد وتفريط ، فمن فرط في الواجب عليه شرعا فقد وقع في الغلو لكن من جهة التفريط ، ومن زاد وتعدى وأساء وتجاوز الحد فقد وقع في الغلو ، ولكن من جانب الإفراط ، وطريق السلامة من الغلو هو السير على منهج الوسطية ، والله المستعان.

الفرع الثاني :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن الغلو هو البلية الكبرى التي أوجبت أغلب الفساد في البر والبحر ، فهو الطامة الخطيرة التي أفسدت العقائد والأعمال ، فلا تجد في الأعم الأغلب فسادا في البلاد والعباد إلا وتجد أن الغلو هو البذرة

ففيه: باذام ، و يقال باذان ، أبو صالح ، مولى أم هانيء بنت أبي طالب، وهو ضعيف لا يحتج به، وليس بأبي صالح السمان المعروف بالراوية عن أبي هريرة،
لكن الفقرة الأولى تحسن بشواهدها، والله أعلم

الأولى في هذا الفساد ، فهل بالله عليك وقع الشرك في بني آدم إلا بسبب الغلو في الأولياء والصالحين ، كما في البخاري عن ابن عباس في قول الله تعالى:{وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } [نوح: ٢٣] قال :ـ (هذه أسماء رجالٍ صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت) (٣٥٤).

وقال ابن القيم : ((قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم)) (٣٥٥)أ.هـ .

وهذا الأمر لا يزال يقع فيه الكثير من بني آدم من تعظيم قبور الأولياء والصالحين وشهرة الأمر تغني عن ضرب المثال له ، فالسبب إذًا هو الغلو في الصالحين ،

ولذلك قال الإمام المجدد - رحمه الله تعالى - في كتاب التوحيد : ((باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين)) ، وقال أيضًا : ((باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله تعالى)) (٣٥٦) ، وقال أيضًا : ((باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده)) (٣٥٧) وهل بالله عليك عطلت صفات الله تعالى وأسماؤه إلا بسبب الغلو في جاني النفي ، فلا يزالون ينفون وينفون وينفون حتى وقعوا في بسبب الغلو في النفي يما وقعوا فيه ، وهل مثلت صفات الله تعالى بصفات خلقه إلا بسبب الغلو في جاني الإثبات والغلو في قياس الغائب على الشاهد ، وهل وقع القدرية فيما وقعوا فيه من إنكار القدر إلا بسبب الغلو في جانب إثبات قدرة العبد واختياره ، وهل وقع الجبرية فيما وقعوا فيه من إنكار قدرة العبد واختياره إلا بسبب الغلو في جانب إثبات القدر ، وهل طيف حول القبور وذبح لها تعبدا وتقربا ونذر لها واستغيث بأصحابها من دون الله تعالى إلا بسبب الغلو في أصحابها ،

---

(٣٥٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ} [نوح: ٢٣] (٤٩٢٠).

(٣٥٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ١٨٤).

(٣٥٦) كتاب التوحيد (١/ ٣٠).

(٣٥٧) كتاب التوحيد (١/ ٣٢).

وهل وقع الرافضة فيما وقعوا فيه من القدح والسب في خيار الأمة إلا بسبب الغلو ، وهل رفعوا آل البيت عن مرتبة البشرية إلى مرتبة الإلهية إلا بسبب الغلو ، وهكذا يستمر مسلسل الأحداث الفاسدة والعقائد السامجة ، وكله بسبب الغلو ، وهل وقع أهل التكفير فيما وقعوا فيه إلا بسبب الغلو في جانب تكفير الأعيان ، وهل دمرت البلاد بتلك الأحداث الإرهابية التفجيرية إلا بسبب الغلو الذي أهلكوا به الحرث والنسل ، وهل ، وهل ، وهل ، وكل فساد في الأرض إنما سببه الخطير هو الغلو ، فلا تتساهل بهذا الأمر ، ولذلك فلا مخرج من هذه الأزمة العقدية الخطيرة والفادحة القبيحة الكبيرة إلا بالاعتدال وسلوك منهج الوسطية ، والذي لا زلنا ولله الحمد نقرره وندعوا الناس له ، فلا مخلص ولا مخرج من تلك الزوابع التي تجري على الأمة ، ولا من تلك البلايا التي تفتك بدين الأمة وعقيدة الأمة ومقدرات الأمة إلا بالاعتدال وسلوك منهج الوسطية ، والله أعلم .

الفرع الثالث :ـ وحيث كان الأمر بهذه الفداحة وأمر الغلو وأثره في الأمة بهذا القبح والنكد فلا غرابة أن ترد الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة تحذر منه وتبين كبير خطره ، قال الله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } [المائدة: ١٧١] وقال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ }[المائدة: ٧٧] ،

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والغلو ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين » (٣٥٨) ، رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ،

---

(٣٥٨) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٥١)، (٣٢٤٨)، وابن ماجه في سننه، في كتاب المناسك، باب قدر، حصى الرمي (٣٠٢٩)، والنسائي في سننه في كتاب مناسك الحج، باب: التقاط الحصى (٣٠٥٧)، وفي السنن الكبرى (٤٠٤٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٩٠٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٤٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢٤٢٧)، وابن الجارود في المنتقى (٤٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٦٧)، وابن الأعرابي في معجمه (٥١٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٨٧١)، والحاكم في المستدرك (١٧١١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطعون » ، قالها ثلاثا (٣٥٩)، رواه مسلم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله» (٣٦٠) ، رواه البخاري ،

والمراد هذا الحديث ، أي : لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية ، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربي ، وقولوا : عبد الله ورسوله ، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه ، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له ، وكل ذلك من الغلو في الدين ،

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى (قوله: (إياكم والغلو في الدين) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد.. والنصارى أكثر غلواً في الاعتقاد والعمل من سائر الطوائف) (٣٦١)

وروى أبو يعلى في مسنده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (لا تُشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا

من طريق: عوف الأعرابي، عن زياد بن الحصين، عن أبي العالية الرياحي، عن ابن عباس، به.
فإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم،
(٣٥٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٢٦٧٠).
(٣٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} (٣٤٤٥).
(٣٦١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٠٦).

على أنفسهم، فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} [الحديد: ٢٧] (٣٦٢)

فمن تأمل هذه الأدلة في التحذير من الغلو باسمه والتنصيص عليه علم قطعا حرمته ، وأنه أساس البلاء في هلاك الأمم الماضية ، ومن سار على منهجهم في الغلو فلن يلاقي إلا مثل مصيرهم ، والله المستعان .

الفرع الرابع :ـ وقد ورد التحذير الخاص في الغلو في القبور والأولياء والصالحين ، وهذه مسألة خطيرة جدا ، فنبه الشارع عليها أشد التنبيه ،

فمن ذلك حديث أبي مرثدٍ الغنوي قال:- قال رسول الله ﷺ ((لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها))(٣٦٣)

وهذا نهي وقد تقرر في القواعد أن النهي يفيد التحريم، ولم يصب من جعل العلة في النهي النجاسة، بل العلة الصحيحة عن النهي عن الصلاة في المقابر وإلى القبور إنما هو لسد ذريعة الشرك وعن عائشة أن أم سلمة ذكرت للرسول صلى الله عليه وسلم كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية وذكرت له حسنها وما فيها من التصاوير فقال ((أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)) (٣٦٤)

---

(٣٦٢) ضعيف

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب في الحسد (٤٩٠٤)، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٩٤)،

من طريق: عبد الله بن وهب، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، عن سهل بن أبي أمامة، عن أنس، به.

ففيه: سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، وهو مجهول، فلم يوثقه إ لا ابن حبان، وابن حبان رحمه الله منهجه معروف في توثيق المجاهيل.

(٣٦٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ (٩٧٢).

(٣٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابٌ: هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ (٤٢٧)، بَابُ الصَّلاَةِ فِي البِيعَةِ (٤٣٤)، وفي كتاب الجنائز، بَابُ بِنَاءِ المَسْجِدِ عَلَى القَبْرِ (١٣٤١)، وفي كتاب المناقب، بَابُ هِجْرَةِ الحَبَشَةِ (٣٨٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ (٥٢٨).

وعن أبي عبيدة قال:- آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ ((أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))" (٣٦٥) رواه أحمد في المسند بسند صحيح"

ومن صلى عند القبور فلاشك أنه قد اتخذها مسجداً،

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ((إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد))"(٣٦٦) رواه ابن خزيمة وابن حبان بسندٍ حسن"

---

(٣٦٥) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٦٩١)، (١٦٩٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٩٥٠)، وابن زنجويه في الأموال (٤٢٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٥)، وأبو يعلى في مسنده (٨٧٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٧٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٧٤٩)، وفي المعرفة (١٨٥٨٧).

من طريق: إبراهيم بن ميمون، عن سعد بن سمرة بن جندب، عن أبيه، عن أبي عبيدة، به.

ففيه: سعد بن سمرة، وثقه النسائي، وابن حبان،

والمتن له شواهد أيضًا في الصحيحين، وغيرهما، والله أعلم

(٣٦٦) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٤٤)، (٤١٤٣)، ابن أبي شيبة في مسنده (٢٧٢)، وفي مصنفه (١١٨١٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٢٥)، (٦٨٤٧)، والبزار في مسنده (١٧٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣١٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٨٩)، والشاشي في مسنده (٥٢٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٤١٣).

من طريق: زائدة بن قدامة، عن عاصم، عن شقيق،

وأخرجه أحمد في مسنده (٤٣٤٢)، والبزار في مسنده (١٧٨١).

من طريق: قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة السلماني،

كلاهما – شقيق، وعبيدة- عن عبد الله بن مسعود، به.

فالسند الأول: ضعيف، ففيه قيس بن الربيع الأسدى، وهو إلى الضعف أقرب، إلا أن ابن عدي قال: عامة روايته مستقيمة، وباقي إسناده فصحيح ورجال ثقات رجال الشيخين،

والسند الثاني: فيه عاصم بن بهدلة، وهو صدوق يحسن حديثه،

وبمجموع السندين يصحح الخبر، بل أقل أحواله أن يحسن، والله أعلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ((نهى أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها))"(٣٦٧) رواه أبو يعلى في مسنده بإسنادٍ صحيح"

وعن أنس رضي الله عنه قال ((نهى النبي ﷺ عن الصلاة إلى القبور))" (٣٦٨) رواه ابن حبان"

فهذه النصوص الصحيحة الصريحة تفيد إفادة قطعية النهي الأكيد والوعيد الشديد على من صلى عند هذه القبور، والمراد أي الصلاة ذات الركوع والسجود وأما صلاة الجنازة على القبر إذا فاتت في المسجد فهذا له دليله الخاص، فتكون صلاة الجنازة مخصوصة من النهي وقد تقرر في القواعد أن العام يبنى على الخاص، فالنهي عن الصلاة عند القبور إنما علته سد ذريعة تعظيمها ولا يمكن أن يقال غير ذلك لمن عرف مقاصد الشريعة، وهذا يعتبر من الوسائل الشركية التي سدت الشريعة أبوابه ولذلك فالصحيح المعتمد بالدليل أن الصلاة ذات الركوع والسجود في المقبرة باطلة وكذلك تبطل على الصحيح من قولي العلماء في المسجد الذي فيه

---

(٣٦٧) صحيح

أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور، وتجصيصها، والكتابة عليها (١٥٦٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٠٢٠).

من طريق: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن القاسم بن مخيمرة، عن أبي سعيد، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال مسلم.

(٣٦٨) ضعيف، معلول بالإرسال

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦٩٨)، (٢٣١٥)، (٢٣١٨)، (٢٣٢٢)، (٢٣٢٣)، وأبو يعلى في مسنده (٢٧٨٨)، وابن الأعرابي في مسنده (٢٢٧٣) والطبراني في المعجم الأوسط (٥٦٣١).

من طريق: حفص بن غياث ، عن الأشعث ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك، به.

هذا الإسناد إن كان ظاهره الصحة، إلا أنه معل بالإرسال،

قال الترمذي رحمه الله: سألت مُحَمَّدا عن هذا الحديث ، فقال: حديث الحسن عن أنس خطأ. وروى ابن عون ، عن الحسن ، عن أنس قال: رآني عمر وأنا أصلي إلى قبر. (علل الترمذي١/ ٧٨).

قلت: (سيد) وقد رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٥٨٧) عن أنس ﷺ من قوله موقوفا عليه بلفظ «أنه كره أن يصلى على الجنازة في المقبرة»، والإسناد ثابت إليه.

قبر أي داخل أسواره قبر وسواء كان القبر في قبلته أو عن يمينه أو عن شماله أو في مؤخرته، ويجب على الصحيح إزالة هذا المسجد عن كان قد بني على القبر ويجب نبش القبر وإخراجه من المسجد إن كان المسجد هو السابق، أي أن الأخير منهما هو الذي يزال، وكل ذلك سد لذريعة الشرك وإغلاق لأبوابه، لكن الأمر قد تفاقم وعباد القبور يكرهون هذه النصوص الكراهة المطلقة ويصفون من يعتمدها بالأوصاف القبيحة، ولا عبرة بذلك فالحق لابد أن يعرف ولابد أن يصدع به وإن غضب من غضب والله المستعان . وعن جابر رضي الله عنه قال ((نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه)) (٣٦٩) وهذا النهي لا شك أنه للتحريم لأن القاعدة تقول:- النهي المطلق عن القرائن يفيد التحريم، وعن أبي الهياج الأسدي رحمه الله تعالى قال:- قال لي علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه :- ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ((ألا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا صورة إلا طمستها))" (٣٧٠) رواه مسلم هو والذي قبله" وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ((لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج))" (٣٧١) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن" وقال الإمام مسلم في صحيحه:- حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو قال حدثنا ابن وهب

---

(٣٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ (٩٧٠).

(٣٧٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ الْأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ(٩٦٩).

(٣٧١) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٣٠)، (٢٦٠٣)، (٢٩٨٤)، (٣١١٨)، والترمذي في سننه في أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا (٣٢٠)، وابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (١٥٧٥)، وأبو داود في سننه في كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور (٣٢٣٦)، والنسائي في سننه في كتاب الجنائز، التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (٢٠٤٣)، وفي السنن الكبرى (٨١٢١)، والطيالسي في مسنده (٢٨٥٦)، وابن الجعد في مسنده (١٥٠٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٩)، (١١٨١٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١٧٩)، (٣١٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٧٢٥)، والحاكم في المستدرك (١٣٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٢٠٦).

من طريق: مُحَمَّد بن جحادة، عن أبي صالح، عن ابن عباس، به.

ففيه: باذام ، و يقال باذان ، أبو صالح ، مولى أم هانيء بنت أبي طالب، وهو ضعيف لا يحتج به، وليس بأبي صالح السمان المعروف بالراوية عن أبي هريرة،

لكن الفقرة الأولى تحسن بشواهدها، والله أعلم.

قال أخبرني عمرو بن الحارث -ح- وحدثني هرون بن سعيد الأيلي قال:- حدثنا ابن وهبٍ قال حدثني عمرو بن الحارث (في رواية أبي الطاهر) أن أبا علي الهمداني حدثه (في رواية هرون) أن ثمامة بن شفي حدثه قال كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا» (٣٧٢)

وقال أبو داود في سننه:- حدثنا أحمد بن صالح قال حدثنا ابن أبي فديك قال أخبرني عمرو بن عثمان ابن هاني عن القاسم قال ((دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت يا أمه، اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا وطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء)) (٣٧٣)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت ((نهى رسول الله ﷺ أن يبنى على القبر وأن يجصص))"(٣٧٤) رواه الإمام أحمد وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام معروف"

فهذه الأدلة تفيد الإفادة القوية النهي عن البناء على القبور والكتابة عليها وإسراجها ومن ذلك تسجيتها بالحرير والديباج وأعظم من ذلك زخرفتها وترصيعها بالذهب والفضة وأعظم من ذلك أن يجعل لزيارتها مناسك محددة كما هو متقرر عند

---

(٣٧٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ الْأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ (٩٦٨).

(٣٧٣) ضعيف

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر (٣٢٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (٤٥٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٧٥٨) وفي دلائل النبوة له (٢٦٣/٧).

من طريق: ابن أبي فديك، عن عمرو بن عثمان بن هانئ، عن القاسم، عن عائشة، به.

ففيه: عمرو بن عثمان بن هانئ المدني، وهو مجهول،

(٣٧٤) ضعيف جدًا

أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٥٥٥)، (٢٦٥٥٦).

من طريق: ابن لهيعة، حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن ناعم، مولى أم سلمة عن أم سلمة، به.

ففيه علتان: العلة الأولى: ضعف ابن لهيعة.

العلة الثانية: الإرسال، لأن ناعم مولى أم سلمة ذكره عن النبي ﷺ، فقد قال عبد الله بن أحمد: قال أبي: ليس فيه أم سلمة.

بعض القبور التي تعظمها الرافضة وأعظم من ذلك الركوع أو السجود لها ودعاؤها من دون الله تعالى والبدع يجر بعضها بعضاً حتى تهوي بصاحبها في الحفر العميقة والبلايا العظيمة التي لا مخرج له منها إلا أن يتداركه الله برحمته ويوفقه للتوبة النصوح قبل الممات وإلا إن مات على هذا الشرك فإنه مع إخوانه المشركين في النار خالداً مخلداً فيها أبداً لا يموت فيها ولا يحيى، نعوذ بالله من ذلك فهذه الذرائع الأربع لابد لمن رام النجاة من فتنة القبور أن يحذر منها غاية الحذر، وما وقع عباد القبور فيما وقعوا فيه إلا لأنهم اخترقوا هذه المحاذير الأربع التي جاءت الشريعة بسدها السد المطلق، وتساهلوا فيها حتى أوصلهم ذلك التساهل إلى عبادتها من دون الله تعالى، فالشريعة نهت عن الغلو في القبور وهؤلاء قد غلو فيها والشريعة نهت عن اتخاذها مساجد وهؤلاء قد اتخذوها مساجد، والشريعة نهت عن الصلاة عندها وهؤلاء يصلون عندها ويركعون ويسجدون عندها والشريعة نهت عن البناء على القبور وهؤلاء يبنون عليها الأبنية الفاخرة والمطرزة بالياقوت والذهب والفضة ويجعلون لها باباً للدخول وباباً للخروج، والشريعة نهت عن إسراجها وهؤلاء يزخرفون بناءها بالإضاءة المختلفة حتى يكون منظرها جذاباً للزبائن المهاوييس فكيف ترجى لهم السلامة وهم قد وقعوا في هذه المخالفات وتنكبوا عن طريق الهدى، وإن يروا طريق الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا، قد امتلأت قلوبهم بالشرك والوثنية وخلت من التوحيد، وجعلوا هذه القبور مفزعاً في الكربات ومعاذاً في المهلكات، ومقصداً للدعوات، تقربوا لها بالذبائح والنذور يرجون منها إغاثة اللهفات وتفريج الملمات، ومن يضلل الله فماله من هاد وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، فباتت عيونهم عن الحق عمياء وأضحت أرض توحيدهم من التوحيد جرداء، فطمس الشرك نور بصائرهم، فاعتقدوا أن الشرك هو حقيقة تعظيم الأولياء ومحبتهم، فأسألك اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تهدي قلوبهم وأن تكفيهم شرور أنفسهم وأن تردهم إلى الحق رداً جميلاً وأن توفقهم إلى التوبة النصوح قبل الممات .والله أعلم .

الفرع الخامس :ـ وإن الغلو ليس خطره في باب العقيدة فقط ، لا ، بل إن خطره الداهم حتى في أمور التعبد والعمل ، فإن العبادة مبناها على الوسطية والاعتدال ،

فلا إفراط ولا تفريط ، وقد وردت الأدلة محذرة من أمر الغلو حتى في باب العبادات ،

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بُيوت أزواج النبي - ﷺ - ، يسألون عن عبادة النبي - ﷺ - ، فلما أخْبِروا كأنَّهم تَقَالُّوها ، قالوا : فأينَ نَحنُ مِن رسول الله - ﷺ - ، وقد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ؟ قال أحدُهم : أمَّا أنا فأصَلِّي اللَّيلَ أبدًا ، وقال الآخرُ : وأنا أصُومُ الدَّهرَ ولا أُفْطِرُ ، وقالَ الآخرُ : وأنا أعْتَزِلُ النِّساءَ ولا أتَزَوَّجُ أبدًا ، فجاءَ رسولُ الله - ﷺ - إليهم ، فقال: «أنتم الذين قُلتم كذا وكذا ؟ أمَا والله ، إنّي لأخْشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصُومُ وأفْطِرُ ، وأصَلِّي وأرْقُدُ ، وأتَزَوَّجُ النِّساءَ ، فَمَن رغِبَ عَنْ سُنَّتِي فليس مِنِّي». (٣٧٥) أخرجه البخاري ومسلم.

وأخرجه النسائي ، وهذا لفظه : أنَّ نَفرًا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال بعضهم : لا أتَزَوَّجُ النساء، وقال بعضهم : لا آكُلُ اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، وقال بعضهم : أصومُ ولا أفْطِرُ ، فبلغ ذلك رسولَ الله - ﷺ - ، فحَمِدَ الله وأثْنَى عليه ، ثم قال : «ما بَالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا ؟ لكني أصلِّي وأنامُ ، وأصومُ وأفطِرُ ، وأتَزَوَّجُ النساءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مني». (٣٧٦)

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : صَنَعَ رسولُ الله - ﷺ - شيئًا فرَخَّصَ فيه ، فتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ ، فبَلَغَ ذلك رسُولَ الله - ﷺ - ، فَخَطَبَ ، فَحَمِدَ الله وأثْنَى عليه، ثمَّ

---

(٣٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (١٤٠١).

(٣٧٦) صحيح

أخرجه النسائي في سننه في كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل (٣٢١٧)،

من طريق: عفان بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، به.

قال: «ما بالُ أقْوَامٍ يَتَنَزَّهونَ عن الشيء أصْنَعُهُ ، فوَاللهِ إنّي لأعْلَمُهُم بِاللهِ ، وأشَدُّهُم لهُ خَشْيَةً» (٣٧٧). أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : بَعَثَ رسولُ الله - ﷺ - إلى عُثْمانَ بْنِ مَظْعُونٍ : «أرَغْبَةً عَن سُنَّتي ؟» فقال : لا ، والله يا رسول الله ولكن سُنَّتَكَ أطْلُبُ ، قال : «فإنّي أنامُ ، وأصَلّي ، وأصُومُ ، وأفْطِرُ ، وأنْكِحُ النِّسَاءَ ، فاتَّقِ الله يا عُثمانُ ، فإنَّ لأهْلِكَ عليك حقًّا ، وإنَّ لِنَفْسِكَ عليك حقًّا ، فَصُم وأفْطِر ، وصَلِّ ونَمْ».(٣٧٨) أخرجه أبو داود.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : «أخْبِرَ رسولُ الله - ﷺ - : أنّي أقُولُ :والله لأصُومَنَّ النَّهارَ ، ولأقُومَنَّ اللَّيلَ ما عِشْتُ ، فقالَ رسولُ الله - ﷺ - : «أنت الَّذي تَقُولُ ذلك ؟» فقلت له : قد قلتُه ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قال : «فإنك لا تَسْتطيعُ ذلك ، فَصُمْ وأفْطِرْ ، ونَمْ ، وقُمْ ، وصُمْ من الشَّهرِ ثلاثَةَ أيَّامٍ ، فإنَّ الحَسَنَةَ بعشْرِ أمثالها ، وذلك مِثْلُ صيام الدَّهر» ، قُلْتُ : إنّي أطِيقُ أفْضَلَ من ذلك ، قال : «فصُمْ يومًا أفطِرْ يومَينِ» ، قلت : فإنّي أطيقُ أفضلَ من ذلك ، قال : «فصُم يومًا وأفطِر يومًا ، فذلك صيام دَاودَ عليه السلام ، وهو أعدلُ الصيام» - (٣٧٩)

---

(٣٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، بَابُ مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالعِتَابِ (٦١٠١)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي العِلْمِ، وَالغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالبِدَعِ (٧٣٠١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ عِلْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ خَشْيَتِهِ (٢٣٥٦).

(٣٧٨) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٣٠٨)، وأبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة (١٣٦٩) وابن أبي الدنيا في النفقة على العيال (٤٩٣)

من طريق: ابن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة،

ففيه مُحَمَّد بن إسحاق، وهو صدوق يحسن حديثه.

(٣٧٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا} (٣٤١٨)،

وفي رواية : أفضَلُ الصيام - قُلتُ : فإني أطيقُ أفضلَ من ذلك ، فقال رسول الله - ﷺ - : «لا أفْضَلَ من ذلك». (٣٨٠)

زاد في رواية ، قال عبد الله بن عمرو ، لأنْ أكونَ قبلتُ الثَّلاثة الأيام التي قالَ رسولُ الله - ﷺ - ، أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي».(٣٨١)

وفي رواية أخرى : قال : قال لي رسول الله : «ألَمْ أخْبَرْ أنك تَصومُ النهار ، وتقوم الليل ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله ، قال : «فلا تَفْعَلْ ، صُمْ وأفطِرْ ، ونَم وقُم ، فإنَّ لِجسدِك عليك حقًا ، وإنَّ لِعَينِكَ عليك حقًا ، وإنَّ لزوجِك عليك حقًا ، وإنَّ لزَوْرِك عليك حقًا ، وإنَّ بحَسْبِك أن تصُومَ من كل شهر ثلاثة أيام ، فإنَّ لك بكُلِّ حسَنَةٍ عشرَ أمثالها ، فإذًا ذلك صيامُ الدَّهر». فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ ، قلتُ : يا رسول الله : إنِّي أجدُ قُوَّةً ، قال: «صُمْ صيامَ نبي الله داود عليه السلام ، لا تَزِدْ عليه». قلت : وما كان صيام داود ؟ قال : «نصف الدهر». فكان عبدُ الله يقول بعدَ ما كَبرَ : يا لَيْتَني قَبِلْتُ رُخصَةَ النبي - ﷺ –(٣٨٢)

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان للنبي - ﷺ - حصيرٌ ، وكان يُحَجِّرُهُ باللَّيل فيُصلي فيه ، ويَبْسُطُهُ بِالنَّهار ، فَيَجْلِس عليه ، فجعل النَّاسُ يَثُوبُونَ إلى النَّبي - ﷺ - ، يُصَلُّونَ بصلاته ، حتَّى كَثُرُوا ، فأقبَلَ ، فقال : «يا أيُّها النَّاسُ ، خُذُوا من الأعمال ما تطيقون ، فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتَّي تَملُّوا ، وإنَّ أحَبَّ الأعمال إلى الله ما دَامَ وإن قلَّ».(٣٨٣)

زاد في رواية : «وكان آلُ محمَّدٍ إذا عَمِلُوا عَملاً أثبَتُوه».(٣٨٤)

---

(٣٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، باب صوم الدهر (١٩٧٦)،

(٣٨١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام، بَابُ النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ، وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ، وَإِفْطَارِ يَوْمٍ (١١٥٩).

(٣٨٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، بَابُ حَقِّ الجِسْمِ فِي الصَّوْمِ (١٩٧٥)، وفي كتاب النكاح، بَابٌ: لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ (٥١٩٩).

(٣٨٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ الجُلُوسِ عَلَى الحَصِيرِ وَنَحْوِهِ (٥٨٦١).

(٣٨٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (٧٨٢).

وفي رواية قال : إنَّ رسولَ الله - ﷺ - سُئلَ ، أيُّ العَمَلِ أحبُّ إلى الله ؟ قال : «أدْوَمُهُ وإنْ قَلَّ».(٣٨٥)

زادَ في رواية «واكْلَفُوا من الْعَمَلِ ما تُطيقون».(٣٨٦)

وفي رواية أنَّ رسول الله - ﷺ - قال : «سَدِّدُوا وقاربُوا ، واعلموا أنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ أحَدَكُم عَمَلُهُ الجَنَّةَ ، وأنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإنْ قلَّ».(٣٨٧)

زاد في أخرى : «وأبشِرُواقالوا : ولا أنتَ يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتَغَمَّدَني اللهُ بِمَغْفِرَةٍ ورَحْمَةٍ»(٣٨٨) هذه روايات البخاري ومسلم.

وللبخاري قالت : كان أحبُّ الأعمال إلى الله الَّذي يدومُ عليه صاحبُهُ. (٣٨٩)

ولمسلم : كان أحبُّ الأعمال إلى الله أدومَها وإن قلَّ. (٣٩٠)

وكانت عائشة إذا عَمِلتِ العمل لَزِمَتْهُ. (٣٩١)

وفي رواية الترمذي : كان أحب العمل إلى رسول الله - ﷺ - ما ديم عليه. (٣٩٢)

---

(٣٨٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (٧٨٢)، في كتاب صفة القيامة، بَابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى (٢٨١٨).

(٣٨٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، بَابُ التَّنْكِيلِ لِمَنْ أَكْثَرَ الوِصَالَ (١٩٦٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلة المسافرين، بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِ اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَوِ الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أَوْ يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ (٧٨٥).

(٣٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ (٦٤٦٤).

(٣٨٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ (٦٤٦٧).

(٣٨٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ (٦٤٦٢).

(٣٩٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ الجُلُوسِ عَلَى الحَصِيرِ وَنَحْوِهِ (٥٨٦١)، وفي كتاب الرقاق، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ (٦٤٦٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (٧٨٢)، (٧٨٣).

(٣٩١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (٧٨٣).

(٣٩٢) حسن

أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الأدب، باب (٢٨٥٦).

وفي أخرى له قال : سُئِلَتْ عائِشةُ وأمُّ سَلَمَة : أيُّ العمل كان أحبَّ إلى رسولِ الله - ﷺ - ؟ قالتا : ما دِيمَ عَلَيْهِ وإنْ قَلَّ. (٣٩٣)

وفي رواية أبي داود : أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال : «اكْلَفوا من العمل ما تُطيقون ، فإنَّ الله لا يَملُّ حتَّى تَملُّوا ، وإنَّ أحبَّ العملِ إلى الله أدومُهُ وإن قلَّ ، وكان إذا عمل عملاً أثبته».(٣٩٤)

وفي أخرى له قال : سألتُ عائشةَ : كيف كان عملُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ هل كان يَخُصَّ شيئًا من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عَملُه دِيمةً ، وأيُّكم يستطيع ما كان رسول الله - ﷺ - يستطيع ؟.(٣٩٥)

من طريق: هارون بن إسحاق الهمداني عن عبدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، به.

ففيه: هارون بم إسحاق، وهو صدوق يحسن حديثه، وباقي إسناده ثقات رجال الشيخين

(٣٩٣) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٠٤٣)،(٢٦٤٧٩)، والترمذي في سننه في أبواب الأدب، باب (٢٨٥٦)، وأبو يعلى في مسنده (٤٥٧٣)، (٦٩٠٥).

من طريق: مُحَمَّد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي صالح، قال: سئلت عائشة، وأم سلمة، ....

ففيه: مُحَمَّد بن فضيل، وهو صدوق، يحسن حديثه.

(٣٩٤) حسن

أخرجه حمد في مسنده (٢٤١٢٤)، أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، أبواب قام الليل، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة (١٣٦٨)، والنسائي في سننه، في كتاب القبلة، المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة (٧٦٢)، وفي السنن الكبرى (٨٤٠)، والحميدي في مسنده (١٨٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٦٢٦)،

من طريق: ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي سلمة، عن عائشة ﵂، به.

ففيه: مُحَمَّد بن عجلان، وهو صدوق، يحسن حديثه،

وأصله في الصحيحين كما تقدم، والله أعلم.

(٣٩٥) صحيح

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، أبواب قام الليل، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة (١٣٧٠)،

من طريق: جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عائشة، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين،

وقد أخرجه الشيخان:

وفي رواية النسائي. قالت : كان لرسول الله - ﷺ - حصيرةٌ يَبْسُطُها ، ويحتجرها بالليل ، فيُصلي فيها ، ففَطِنَ له النَّاس ، فصلَّوْا بصلاتِهِ ، وبينهم وبينه الحصيرة ، فقال : «اكلَفُوا مِنَ العَملِ ما تُطيقون ، فإنَّ الله تبارك وتعالى لا يمل حتَّى تملُّوا ، فإنَّ أحبَّ العمل إلى الله أدْوَمُهُ وإن قَلَّ ، ثُمَّ ترك مُصَلاَّه ذلك. فما عاد له حتى قبضَه الله عزَّ وجلَّ ، وكان إذا عَمِلَ عملاً أثْبَتَهُ» (٣٩٦)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لَنْ يُدْخِلَ أحدًا منكم عَمَلُه الجَنَّةَ». قالوا : ولا أنتَ ؟ قال : «ولا أنا ، إلا أنْ يتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِفَضلٍ ورَحْمَةٍ». (٣٩٧) هذا للبخاري –

وزاد مسلم «ولكن سَدِّدُوا».(٣٩٨) في بعض طُرقه

وفي أخرى لمسلم. قال : قال رسول الله - ﷺ - : «قاربوا وسدِّدُوا ، واْعْلَمُوا أنهُ لن يُنجِيَ أحدًا منكم عملُهُ». قالوا : ولا أنت ؟ قال : «ولا أنا ، إلا أن يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ برحمَةٍ منه وفَضل».(٣٩٩)

وللبخاري مثلُها ، إلى قوله «برحمةٍ» وزادَ «سَدِّدُوا وقاربُوا ، واغْدُوا ورُوحُوا ، وشيئًا من الدُّلْجةِ ، والقَصْدَ القَصْدَ تبلُغُوا».(٤٠٠)

أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، بَابٌ: هَلْ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الأَيَّامِ (١٩٨٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (٧٨٣).

(٣٩٦) حسن

أخرجه النسائي في سننه في كتاب القبلة، المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة (٧٦٢).

من طريق: ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي سلمة، عن عائشة، به.

ففيه مُحَمَّد بن عجلان، ، وهو صدوق، يحسن حديثه،

وأصله في الصحيحين كما تقدم، والله أعلم.

(٣٩٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ (٦٤٦٧).

(٣٩٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى (٢٨١٦).

(٣٩٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى (٢٨١٦).

وفي أخرى للبخاري وللنسائي قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إنَّ هذا الدِّين يُسْرٌ ، ولنْ يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غَلَبَه ، فَسَدِّدُوا وقاربوا ، أبْشِرُوا ، واسْتَعِينُوا بالغُدوةِ والرَّوْحَة ، وشيءٍ من الدُّلْجةِ» (٤٠١) .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : دخل رسول الله - ﷺ - المسجد ، فإذا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بين السَّاريتين ، فقال : ما هذا الحبلُ ؟ قالوا : حَبلٌ لزينبَ ، فإذا فَترتْ تعلَّقتْ به ، فقال النبي - ﷺ - : «لا ، حُلُّوهُ ، لِيُصلِ أحَدُكُم نَشاطَهُ ، فإذا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ» (٤٠٢) هذه رواية البخاري.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كانت عِندي امرأةٌ من بَني أسَدٍ ، فدخلَ عليَّ رسولُ الله - ﷺ - فقال : «مَنْ هَذِهِ ؟» قُلْتُ : فُلانة ، لا تنامُ من الليل ، تذكُرُ من صَلاَتِها ، قال : «مَهُ ، عليكم من الأعمال ما تُطيقون ، فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا ، وكان أحبُّ الدِّين ما داوم عليه صاحبُهُ» (٤٠٣) ، أخرجه البخاري.

وعن أبي جحيفة - رضي الله عنه - قال : آخى النبي - ﷺ - بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدَّرْداء ، فرأى أمَّ الدَّرْداء مُتَبَذِّلَةً ، فقال لها : ما شأنُك ؟ فقالتْ : أخوكَ أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء ، فصنعَ له طعامًا ، فقال له : كُلْ ، فإني صائمٌ ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكُلَ ، فأكل ، فلما كان الليلُ ذهب أبو الدرداء يقومُ ، فقال : نم ، فنام ، ثمَّ ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل ، قال : سلمانُ : قُم الآن ، فصلَّيَا ، فقال له سلمانُ : إنَّ لربِّكَ عليك حقًا ، وإنَّ لِنَفسكَ عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقّا ، فأعْطِ كلَّ ذي حقٍّ

---

(٤٠٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ (٦٤٦٣).

(٤٠١)أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٩)، والنسائي في سننه في كتاب الإيمان وشرائعه، باب الدين يسر (٥٠٣٤).

(٤٠٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، باب (١١٥٠).

(٤٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، باب (١١٥١)،

حقَّهُ ، فأتى النبي - ﷺ - ، فذكرَ ذلك له ، فقال النبي - ﷺ - : «صَدَقَ سلمانُ»(٤٠٤) أخرجه البخاري، والترمذي.

وعن حنظلة بن الربيع الأسيدي - رضي الله عنه - وكان من كُتَّاب رسول الله - ﷺ - قال : لَقيَنِي أبو بكر ، فقال : كيف أنتَ يا حنظَلَةُ ؟ قال : قُلتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ قالَ : سبحان الله ! ما تَقُولُ ؟ قال : قُلْتُ : نكونُ عند رسولِ الله - ﷺ - ، يُذكِّرُنا بالنَّار والجنَّةِ حتَّى كأنَّا رأيَ عَيْنٍ ، فإذا خرجنا من عند رسول الله - ﷺ - ، عافَسْنا الأزْواج والأولاد ، والضَّيْعات ، ونسينا كثيرًا ، قال أبو بكر - رضي الله عنه - : فوالله إنَّا لَنَلْقَي مثل هذا ، فانطَلَقْتُ أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت : نَافَقَ حنظَلَةُ يا رسول الله. فقال رسول الله - ﷺ - : «وما ذاك؟» قلتُ : يا رسول الله نكون عندك تُذكِّرُنا بالنار والجنة حتى]كأنَّا رأيَ عَيْنٍ ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضَّيْعاتِ ، ونَسينا كثيرًا. فقال رسولُ الله - ﷺ - : «والذي نفسي بيده ، لو تَدومُونَ على ما تكونون عندي ، وفي الذِّكرِ ، لصافَحَتْكم الملائكة على فُرُشِكُم ، وفي طُرُقِكم ، ولكن يا حنظلةُ ساعَةً وساعَةً - ثلاث مِرار -» (٤٠٥).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كانت مولاةٌ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خُبِّر عنها : أنها تَقوم الليل ، وتَصومُ النَّهار ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لكُلِّ عاملٍ شِرَّةٌ ، ولكل شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فمن صارت فترته إلى سُنَّتِي فقد اهتدى ، ومن أخطأ فقد ضَلَّ».(٤٠٦)

---

(٤٠٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتب الصوم، بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ (١٩٦٨)، وفي كتاب الأدب، بَابُ صُنْعِ الطَّعَامِ وَالتَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ (٦١٣٩).

وأخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب (٢٤١٣).

(٤٠٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا (٢٧٥٠).

(٤٠٦) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٤٧٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢١٨٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٦٧٤).

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : «لن يُنْجِيَ أحدَكُم عَمَلُهُ». قالوا : ولا أنت ؟ قال : «ولا أنا إلا أنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله برحمة منه ، فسدِّدُوا ، وقارِبوا ، واغْدوا ، ورُوحوا ، وشيئًا من الدُّلْجة والقصد القَصد القصدَ ، تَبْلُغوا ، وإنَّ أحبَّ الأعْمالِ إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبُهُ ، وإن قلَّ ، فاكْلَفوا من العمل ما تُطيقون ، فإنَّ الله لا يملُّ حتى تَملُّوا». (٤٠٧)

فهذه الأدلة هي والله العظيم برد اليقين على القلوب ، فمن عمل بمقتضاها فقد أفلح ونجا من هوة الغلو المؤدي إلى الإفراط أو التفريط ، وكلها من الأدلة الدالة على لزوم منهج الوسطية والاعتدال في العقيدة والعمل ، والمتقرر بإجماع أهل السنة والجماعة أن الدين مبناه على الوسطية والاعتدال لا على التفريط والإفراط، والله المستعان وعليه التكلان.

قال الناظم (لا تغلون) أيها الموحد (في قبر) من القبور حتى في قبر نبينا صلى الله عليه وسلم ، (ولا) تغلون (في رجل) من الأنبياء أو الأولياء والصالحين (فتلك) أي الغلو في مثل هذه الأمور (مصائد الشيطان) التي صاد بها القلوب والعقول ، وأفسد بها العقائد والأعمال ، (إن الغلو بلية) وطامة وداهمة (قد أهلكت أمما مضوا في غابر الأزمان) أي في سالف الدهور ، فأنت لو تأملت التاريخ من أوله لوجدت أن سبب هلاك الأمم هو الغلو في الدين ، وأن سبب الوقوع في الشرح وحبائل المخالفة هو الغلو في الدين وفي الحديث " فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " (لا ترفعن القبر فوق الشبر) لأن رفع بناء القبور من الأمور الموجبة للوقوع في حبائل الغلو في هذا القبر ، والذي بدوره يؤدي إلى عبادته ، (لا تفعل) أيها المسلم المؤمن الموحد (كفعل معظمي الصلبان) وهم النصارى فإنهم كانوا إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، فهلكوا بسبب ذلك ، فنسأل الله تعالى أن يعصمنا

من طريق: منصور، عن مجاهد، عن جعدة بن هبيرة، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٤٠٧) لم أقف عليه من حديث معاذ بن جبل

لكن أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وقد تقدم، والله أعلم.

وإخواننا من الوقوع في حبائل الغلو ، إنه ولي هذا والقادر عليه ، والله يا أخي الكريم ما نجونا بفضل عقولنا ولا بفضل علومنا ، ولا بحولنا ولا بقوتنا ، وإنما نجونا من الغلو بمحض توفيق وفضل من الله تعالى ، فالله تعالى هو المتفضل علينا بالهداية إلى منهج الوسطية والاعتدال ، ونسأله جل وعلا الثبات على هذا الصراط المستقيم والنهج الحكيم القويم إلى أن نلقاه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له الدنيا والآخرة :ــ

لا تقرنن مع الدعاء وسيلة فالأصل فيه المنع دون تواني

إلا إذا دل الدليل فجائز كالوصف والأسماء للرحمن

أو بالدعاء من الذي هو صالح إن كان حيا حاضرا شرطان

وكذا بذكر الحال والعمل الذي هو قربة لله كالإيمان

أن التوسل بالنبي لدى الأولى سلفوا على سنن الهدى نوعان

بدعائه وقد انتهى بوفاته وكذا بطاعته مدى الأزمان

أقول :ــ هذه الأبيات تتكلم عن التوسل وأحكام التوسل وأنواع التوسل المشروع والممنوع، والكلام عليها في فروع:ــ

الفرع الأول :ــ التوسل في اللغة هو التقرُّب، يقال: توسّل إليه: تقرَّب إليه، ووسَل إليه: قَرُب منه، والواسل: اسم فاعل من وسل، هو المتقرِّب، والوسيلة هي: السبب والطريق الذي يوصل إلى الله سبحانه وتعالى، والذي يوصل إلى الله طاعتُه سبحانه وهي الوصول إليه فالتوسل في اللغة: مأخوذ من الوسيلة، والوسيلة في اللغة: هي ما يتقرب بها إلى الغير، قال في القاموس : الوسيلة والواسلة هي: المنزلة عند الملك والدرجة والقربة، وقيل في الوسيلة: هي أن يعمل عملاً يتقرب به إلى الله تعالى.

وأما التوسل في الشرع: فهو التقرب إلى الله تعالى بطاعته، أي: اتباع ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبكل عمل يحبه الله ورسوله. بالطريقة التي شرعها على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، والله أعلم .

الفرع الثاني :ـ فإن قلت :ـ وما القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في هذا الباب ؟ فأقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن القاعدة المعتمدة عند أهل السنة في باب التوسل تقول : (الأصل في التوسل التوقيف على الدليل الشرعي الصحيح الصريح) وبيانها أن يقال أن المتقرر عند أهل الإسلام أن باب التعبد لله تعالى باب توقيفي على الدليل ، فلا يجوز إثبات شيء منها إلا إذا أثبته الدليل فما أثبته الدليل مها أثبتنها وما نفاه منها نفيناه وما لم يثبته ولم ينفه فالأصل عدمه من المعلوم أن باب التوسل من أبواب العبادات فهو عبادة لأن مبناه على أنك تتقرب إلى الله تعالى باتخاذه الوسيلة المعينة المحبوبة له جل وعلا ، وحيث كان عباده فالأصل فيه التوقيف تفريعاً على القاعدة في العبادات ، وبناءً عليه فلا يجوز لك أيها الأخ المبارك أن تتوسل بشيء وتعتقد من جملة ما يتوسل به إلا وعليه دليل من الكتاب أو صحيح السنة ، وما لا دليل عليه فأحذره ، فليس باب التوسل مفتوحاً للشهوات وآراء الرجال والهوى والأحاديث الضعيفة أو الموضوعة أو الأذواق ، بل هو باب توقيفي على الدليل فما ورد الدليل بجواز التوسل به فيجوز التوسل به ، وما لم يرد على جوازه دليل فقف منه موقف المنع لأن الأصل في باب التوسل التوقيف على الدليل الشرعي الصحيح والله أعلم .

الفرع الثالث :ـ فإن قلت :ـ وهل لفظ الوسيلة الوارد في الكتاب والسنة يختلف معناه أم هو معنى واحد ؟ فأقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن لفظ الوسيلة يختلف باختلاف الإطلاق : فالوسيلة في كتاب الله تعالى يراد بها التقرب إليه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وطاعة رسله وهي الوسيلة العامة التي يطالب بها كل أحد وذلك كما في قوله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: ٣٥]

فابتغاء الوسيلة إليه يراد بها التقرب له بالعمل بما يرضيه وبالمناسبة فإنه لم يرد لفظ الوسيلة في القرآن إلا في هذا الموضع فقط.

وأما الوسيلة في كلام النبي ﷺ يراد بها المنزلة التي في الجنة التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، كما في قوله ﷺ (ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فنم سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة) (٤٠٨) رواه مسلم.

وفي حديث جابر مرفوعا (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته حلت له شفاعتي) (٤٠٩) حديث صحيح .

وأما الوسيلة في كلام الصحابة فإنما يراد بها طلب الدعاء فقط ، فإذا وجدت في كلامهم أنهم كانوا يتوسلون بكذا وكذا ،فاعلم أن المراد بذلك أنهم يطلبون منه أن يدعو لهم ،

وذلك كما في حديث أنس أنهم كانوا إذا قحطوا يقول عمر رضي الله عنه (اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قم يا عباس ، فيقوم فيدعو فيسقون) (٤١٠)

فقوله (كنا نتوسل بنبيك) إي كنا نطلب الدعاء منه . وقوله (وإنا نتوسل بعم نبيك) أي ونحن الآن نطلب منه أن يدعو لنا ،فهذه الإطلاقات الثلاث للفظ الوسيلة يجب التفريق بينها ، فإن من فرق بينها فقد أحكم بذلك شيئا كثيرا من مسائل هذا الباب الشائك الذي ضلت فيه أقوام وزلت فيه أقدام والله أعلم.

---

(٤٠٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَسْأَلُ لهُ الْوَسِيلَةَ (٣٨٤).

(٤٠٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ النِّدَاءِ (٦١٤)، وفي كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} (٤٧١٩).

(٤١٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، بَابُ سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الِاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا (١٠١٠)، وفي كتاب المناقب، بَابُ ذِكْرِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧١٠).

الفرع الرابع :ـ فإن قلت :ـ وما الأشياء التي أثبت الدليل الشرعي الصحيح الصريح جواز التوسل بها ؟ فأقول :ـ لقد أثبت الدليل الشرعي الصحيح الصريح جواز التوسل بعدة أشياء:

الأول : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى قال الله تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠]

الثاني : التوسل بالصفات ، وله أدلة كثيرة وذلك كما في حديث الاستخارة (اللهم إني أستخيرك بعلمك الغيب وأستقدرك بقدرتك ...... الحديث) (٤١١)

ومنه دعاء سليمان عليه السلام {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } [النمل: ١٩]

ومنه حديث بريدة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : الله إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال (لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب) (٤١٢) رواه أبو داود والترمذي ولابن ماجه بإسناد صحيح، وغير ذلك من الأدلة.

الثالث : التوسل إلى الله تعالى بذكر الحال ، ومنه قوله تعالى عن نوح عليه السلام " {قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ

---

(٤١١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَوُّعِ مَثْنَى مَثْنَى (١١٧١)، وفي كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاسْتِخَارَةِ (٦٣٨٢)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ القَادِرُ} (٧٣٩٠).

(٤١٢) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٩٥٢)، (٢٢٩٦٥)، (٢٣٠٤١)، والترمذي في سننه في أبواب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ (٣٤٧٥)، وأبو داود في سننه في باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء (١٤٩٣)، وابن ماجه في سننه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (٣٨٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٣٦٠)، (٣٥٦٠٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٦١٩)، والروياني في مسنده (٧٦١٩)، وابن حبان في صحيحه (٨٩١)، (٨٩٢)، والطبراني في الدعاء (٢٣٦٦)، والحاكم في المستدرك (١٨٥٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣٦٦).

من طريق: مالك بن مغول، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، به.

وإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين.

الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١١٧، ١١٨] وقوله تعالى عنه أيضا" {رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ} [القمر: ١٠، ١١] وقوله تعالى عن موسى {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: ٢٤]،

ومنه الحديث المشهور في السير أنه ﷺ قال لما طرده أهل الطائف (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ..... الحديث).(٤١٣)

الرابع : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الحي الحاضر القادر،

ودليله حديث أنس في الصحيح أن رجلا دخل المسجد من نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وجاع العيال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال (اللهم أغثنا) ثلاثا قال أنس فلا والله ما في السماء من سحاب ولا قزعة حتى خرجت من وراء سلع سحابة سوداء ثم توسطت السماء فأمطرت فلا والله ما رأينا الشمس أسبوعا كاملا ..... الحديث) (٤١٤)

ومنه حديث أنس في طلب عمر رضي الله عنه من العباس أن يدعو للمسلمين (٤١٥) ،

---

(٤١٣) ضعيف

أخرجه الطبراني في الدعاء (١٠٣٦)، وفي المعجم الكبير (١٨١)، والبغدادي في الجامع لأخلاق الراوي والسامع (١٨٣٩).

من طريق: مُحَمَّد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، به.

ففيه: عنعنة مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار، وهو وإن كان صدوقًا يحسن حديثه، إلا أنه مدلس، ولم يصرح بالتحديث،

ثم إنه لم يروي هذا المتن غيره وقد انفرد به عن سائر الرواة، والله أعلم.

(٤١٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي الخُطْبَةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ (٩٣٣)، بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي المَسْجِدِ الجَامِعِ (١٠١٣)، بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي خُطْبَةِ الجُمُعَةِ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِ القِبْلَةِ (١٠١٤)، بَابُ رَفْعِ الإِمَامِ يَدَهُ فِي الِاسْتِسْقَاءِ (١٠٣١)، بَابُ مَنْ تَمَطَّرَ فِي المطَرِ حَتَّى يَتَحَادَرَ عَلَى لِحْيَتِهِ (١٠٣٣)، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٥٦٥)، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٥٨٢)، كتاب الأدب، بَابُ التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ (٦٠٩٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة الاستسقاء بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ بِالدُّعَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ (٨٩٥).

(٤١٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، بَابُ سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الِاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا (١٠١٠)، وفي كتاب المناقب، بَابُ ذِكْرِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧١٠).

وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ، ولم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية ،

وكذا فعل معاوية رضي الله عنه لما أصابهم القحط في الشام فإنه أمر يزيد بن الأسود أن يتقدم الناس ويدعو (٤١٦) ،

ومنه أيضا أمر النبي ﷺ من لقي أويساً القرني أن يطلب منه أن يدعو له (٤١٧)،

ومنه أيضا حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له أن يرد الله تعالى عليه بصره (٤١٨)،

ومنه أيضا طلب أم سليم منه ﷺ أن يدعو لأنس (٤١٩) ،

والأدلة على ذلك كثيرة شهيرة.

الخامس : التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ،

ودليله حديث ابن عمر في توسل الثلاثة من بني إسرائيل الذين انطبقت عليهم الصخرة ، وسدت عليهم باب الغار فقال بعضهم لبعض (إن الله تعالى لن ينجيكم

---

(٤١٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٧٠)،

(٤١٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٥٤٢).

(٤١٨) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٢٤٠)، (١٧٢٤١)، والترمذي ي مسنده في أبواب الدعوات، باب (٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الحاجة (١٣٨٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٣٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤١٩- ١٠٤٢١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢١٩)، والطبراني في الدعاء (١٠٥٠)، والحاكم في المستدرك (١١٨٠)، (١٩٠٩)، (١٩٢٩)، (١٩٣٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٣٥).

من طريق: أبي جعفر المديني، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف،

ففيه: أبو جعفر الخطمي، عمير بن يزيد بن عمير، وهو صدوق يحسن حديثه،

قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي.

قلت: وصححه أبو زرعة (علل ابن أبي حاتم ٥/ ٣٨٥)، وقال ابن ماجه: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح.

(٤١٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ بِكَثْرَةِ المَالِ مَعَ البَرَكَةِ (٦٣٧٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٤٨٠).

من أمر هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم) فتوسل الأول ببره بوالديه، وتوسل الثاني بعفته وخوفه من الله تعالى ، وتوسل الثالث بأمانته وحفظ عهده وفي آخره (فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) (٤٢٠) متفق عليه.

السادس : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله ﷺ ، كما قال تعالى {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران: ١٩٣].الآيات، وقوله تعالى {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٦]

وهذا السادس يدخل في الأمر الخامس لأنه من جملة الأعمال الصالحة فالأعمال الصالحة من أعظم ما يتوسل به العبد ، فهذه الوسائل الست هو التي دل الدليل الشرعي الصحيح الصريح على جواز التوسل بها والله أعلم .

الفرع الخامس :ــ فإن قلت :ــ وما أقسام التوسل بالأسماء والصفات ؟ فأقول :ــ التوسل بالأسماء والصفات قسمان : توسل عام وتوسل خاص ، والمراد بالتوسل العام أي أن تقول اللهم أني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى ، هكذا على وجه العموم ، فهذا جائز كما مضى بلا شرط ، والمراد بالتوسل الخاص أن تتوسل باسم معين أو صفة معينة ، فيشترط حينئذٍ مناسبة الاسم والصفة للسؤال ، فإذا سألت الرزق فتوسل باسم الله الرزاق والكريم والجواد و المعطي ونحوها ، وإذا سألت المغفرة والرحمة فتوسل باسمه الرحمن الرحيم الغفور الودود التواب الرؤوف ونحوها ، وإذا سألت هلاك ظالم فتوسل باسمه الجبار والقوي والمهيمن والعزيز والقدير ونحوهما ، وكذلك يقال في الصفات ، فلا بد أن يكون الاسم أو الصفة المتوسل بها مناسبة لسؤالك الذي تريد أن يحققه الله لك ، والله أعلم .

---

(٤٢٠) أخرجه البخاري في صحيح في كتاب البيوع، بَابُ إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا لِغَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَرَضِيَ (٢٢١٥)، وفي كتاب الإجارة، بَابُ مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ (٢٢٧٢)، وفي كتاب المزارعة، بَابُ إِذَا زَرَعَ بِمَالِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ صَلاَحٌ لَهُمْ (٢٣٣٣)، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ (٣٤٦٥)، وفي كتاب الأدب، بَابُ إِجَابَةِ دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ (٥٩٧٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ (٢٧٤٣).

الفرع السادس :ـ فإن قلت :ـ وما حكم التوسل بالنبي ﷺ ؟ فأقول : التوسل بالنبي ﷺ أنواع :

الأول : التوسل به بمعنى طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وتصديقه فيما أخبر وألا يعبد الله إلا بما شرع ، فهذا حقيقة دين الإسلام وزبدة رسالة الشريعة التي بعث بها ﷺ .

الثاني : التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه فهذا جائز في حياته فقط وأما بعد وفاته فلا يجوز ، وقد قدمنا الأدلة على جوازه في حياته ، وأما الدليل على عدم الجواز بعد وفاته فلأنه لا يملك حينئذ لنفسه نفعاً ولا ضراً وفاقد الشيء لا يعطيه ، ولأن الصحابة كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعباس مع أنه ﷺ كان مدفوناً بجوارهم في حجرة عائشة فعدم إتيانهم لقبره وسؤاله إجماع منهم على عدم الجواز ولأنه صلى الله عليه وسلم قال (أشتد غضب الله تعالى على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وقال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) (٤٢١)

---

(٤٢١) حسن بشواهده

أخرجه أحمد في مسنده (٧٣٥٨)، والحميدي في مسنده (١٠٥٥)، وأبو يعلى في مسنده (٦٦٨١)، والبيهقي في المعرفة (٧٨٢٢)

من طريق: حمزة بن المغيرة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة،

ففيه: حمزة بن المغيرة، وهو مجهول، فلم يوثقه إلا ابن حبان، وقال فيه ابن معين: لا بأس به،

وشيخه: سهيل بن أبي صالح، وهو صدوق، وإن كان قد تغير بآخره،

وقد روي مرسلًا

أخرجه مالك في الموطأ (٨٥)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٤٠). من طريق: زيد بن أسلم عن عطاء، عن النبي ﷺ،

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٨٧)، من طريق: معمر،

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٤)، (١١٨١٩) من طريق: مُحَمَّد بن عجلان،

كلاهما – معمر، ومُحَمَّد بن عجلان– عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ، مرسلًا.

وفي الباب عن عمر موقوفًا، والله أعلم.

قلت: (سيد) والحديث أخرجه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ بلفظ «قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»

وقصده للدعاء عنده من اتخاذه من اتخاذه عيداً ووثناً ومسجداً فهو باب مفض إلى ذلك فلا بد من سده ، فحيث لم يفعله أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة السلف فلا يجوز فعله إذ لو كان ذلك مما يجوز لنبهوا عليه ،

وفي المختارة أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يجيئ إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيدعو فنهاه وقال : ألا أحدثك حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال (لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني) (٤٢٢)

فطلب الدعاء منه بعد مماته من الشرك الأكبر المخرج من الملة ، فإنه لا يدعى إلى الله تعالى ، وأما دعاء الأموات أياً كانوا فإنه من الشرك الأكبر ، نعوذ بالله منه .

الثالث : التوسل إلى الله بجاهه أو بذاته ، وهذا لا يجوز لا لأنه لا جاه له عند الله ، نعوذ بالله من قول ذلك ، بل هو أعظم الخلق عند الله جاهاً وأعلاهم منزلة ، لكن قد قدمت لك أن الأصل في التوسل التوقيف على الدليل ، ولم يأت الدليل الشرعي الصحيح في جواز التوسل بذلك ، بل ولا يعرف عن أحد من الصحابة في ذلك حرف واحد ، وكل ما يروى في التوسل بجاهه فكذب مختلق موضوع لعن الله

---

(٤٢٢) حسن بشواهده

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٢)، (٧٥٤٣)، (١١٨١٨)، وأبو يعلى في مسنده (٤٦٩)، وضياء الدين المقدسي في المختارة (٤٢٨)

من طريق: جَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عن عَلِي بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عن أبيه الحسين بن علي، عن جده علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ به.

وإسناده ضعيف، ففيه: جعفر بن إبراهيم، وشيخه علي بن عمر، مجهولان

إلا أنه روي من حديث أبي هريرة

أخرجه أحمد في مسنده (٨٨٠٤)، وأبو داود في سننه في كتاب المناسك، باب زيارة القبور (٢٠٤٢)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨٠٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٦٥)،

من طريق: عبد الله بن نافع، أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين.

واضعه وعامله بما توعد به الكاذبين على نبيه ﷺ فبان بذلك أن التوسل به ثلاثة أنواع ، نوع جائز وهو الأول بل هو حقيقة الدين ، لكن قلت جائز بالنسبة للنوعين قبله فقط وإلا فهو أوجب الواجبات وأعظم المطلوبات المتحتمات ، ونوعان ممنوعان . والله أعلم .

الفرع السابع :ـ فإن قلت :ـ وكيف توجه قول الأعمى (اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ﷺ) (٤٢٣)

فإن بعض المبتدعة يستدل به على جواز التوسل بجاه النبي وﷺ وبدعائه بعد مماته ؟ فأقول: لا إشكال في هذا الحديث أبدًا لكن يجب أن تفهم أولا : أنه لا يمكن أبدًا أن تتعارض النصوص الشرعية التي ثبتت صحتها ، ولا يمكن أن يكون فيها ما يدعو إلى نهي عنه أبدا ، فيجب عليك أن تعتقد ذلك وما ورد عليك مما تتوهم فيه مخالفة أو معارضة فعليك بالاستعانة بالله تعالى في كشفه ثم بسؤال أهل العلم الراسخين في بيانه ، وهذا الحديث قد وردت فيه روايات يبين بعضها بعضًا ويفسر بعضها بعضًا ففي جامع الترمذي إن هذا الأعمى قال: (اللهم إني أسالك وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ في الرحمة لي اللهم شفعه في) (٤٢٤)

---

(٤٢٣) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٢٤٠)، (١٧٢٤١)، والترمذي ي مسنده في أبواب الدعوات، باب (٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الحاجة (١٣٨٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٣٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤١٩– ١٠٤٢١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢١٩)، والطبراني في الدعاء (١٠٥٠)، والحاكم في المستدرك (١١٨٠)، (١٩٠٩)، (١٩٢٩)، (١٩٣٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٣٥).

من طريق: أبي جعفر المدني، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف،

ففيه: أبو جعفر الخطمي، عمير بن يزيد بن عمير، وهو صدوق يحسن حديثه،

قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي.

قلت: وصححه أبو زرعة (علل ابن أبي حاتم ٥/ ٣٨٥)، وقال ابن ماجه: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح.

(٤٢٤) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٢٤٠)، (١٧٢٤١)، والترمذي ي مسنده في أبواب الدعوات، باب (٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الحاجة (١٣٨٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٣٧٩)،

وقد تقدم لك أن التوسل في عرف الصحابة يراد به طلب الدعاء من الغير ولذلك ففي روية في جامع الترمذي وسنن ابن ماجه أن هذا الأعمى قال للنبي ﷺ (ادع الله أن يعافيني فقال له إن شئت دعوت وإن شئت صبرت ، قال : فادعه) (٤٢٥)

فهذا يبين أن هذا التوجه المذكور في حديث السؤال إنما يراد به طلب الدعاء منه ، لا أنه توسل بذاته أو بجاهه كما قد فهمه بعض الغالطين ، ويوضح ذلك لفظ النسائي فإن الأعمى قال للنبي ﷺ (ادع الله أن يكشف لي عن بصري .... الحديث.) (٤٢٦) وفي المسند أن ذلك الأعمى قال : ادع الله أن يعافيني ،

والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤١٩– ١٠٤٢١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢١٩)، والطبراني في الدعاء (١٠٥٠)، والحاكم في المستدرك (١١٨٠)، (١٩٠٩)، (١٩٢٩)، (١٩٣٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٣٥).

من طريق: أبي جعفر المدني، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف،

ففيه: أبو جعفر الخطمي، عمير بن يزيد بن عمير، وهو صدوق يحسن حديثه،

قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي.

قلت: وصححه أبو زرعة (علل ابن أبي حاتم ٥/ ٣٨٥)، وقال ابن ماجه: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح.

(٤٢٥) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٢٤٠)، (١٧٢٤١)، والترمذي ي مسنده في أبواب الدعوات، باب (٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الحاجة (١٣٨٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٣٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤١٩– ١٠٤٢١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢١٩)، والطبراني في الدعاء (١٠٥٠)، والحاكم في المستدرك (١١٨٠)، (١٩٠٩)، (١٩٢٩)، (١٩٣٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٣٥).

من طريق: أبي جعفر المدني، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف،

ففيه: أبو جعفر الخطمي، عمير بن يزيد بن عمير، وهو صدوق يحسن حديثه،

قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي.

قلت: وصححه أبو زرعة (علل ابن أبي حاتم ٥/ ٣٨٥)، وقال ابن ماجه: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح.

(٤٢٦) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٢٤٠)، (١٧٢٤١)، والترمذي ي مسنده في أبواب الدعوات، باب (٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الحاجة (١٣٨٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٣٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤١٩– ١٠٤٢١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢١٩)، والطبراني في الدعاء (١٠٥٠)، والحاكم في المستدرك (١١٨٠)، (١٩٠٩)، (١٩٢٩)، (١٩٣٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٣٥).

من طريق: أبي جعفر المدني، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف،

فهذا الحديث كحديث عمر السابق (اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك .... الحديث.) (٤٢٧) فهذان الحديثان شيء واحد . فالتوجه المذكور والتوسل الوارد غنما يراد به طلب الدعاء من النبي ﷺ وسؤال الشفاعة منه وهو حي وهذا أمر لا تنازع فيه بل قد ذكرنا أن حديث الأعمى من جملة الأدلة على جوازه ويوضح ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلاً عنه ، فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء لما عدلوا عن التوسل به بعد موته إلى التوسل بعمه العباس رضي الله عنه ، وهذا واضح إن شاء الله تعالى والله أعلم .

الفرع الثامن :ـ فإن قلت :ـ وهل ثبت في زيادة قبره ﷺ على وجه الخصوص شيء من السنة ؟ فأقول :ـ لا ، لم يثبت عن النبي ﷺ حديث واحد في زيارة قبره ولا قبر غيره على وجه الخصوص شيء ،

وما يروى في ذلك فإنما هو موضوع أو شديد الضعف باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، كقولهم : (من زارني وزار قبر أبي الخليل في عام واحد ضمنت له الجنة) قال أبو العباس عنه : كذب على رسول الله ﷺ (٤٢٨)أهـ

وقال النووي : باطل ليس هو مروياً عن النبي ﷺ ولا يعرف في كتابٍ صحيح ولا ضعيف بل وضعه بعض الفجرة (٤٢٩) أهـ

ومن ذلك قولهم : (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) ولا يصح من أساسه بل هو شديد الضعف بمرة ويقرب أن يكون موضوعاً ،

ففيه: أبو جعفر الخطمي، عمير بن يزيد بن عمير، وهو صدوق يحسن حديثه،

قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي.

قلت: وصححه أبو زرعة (علل ابن أبي حاتم ٥/ ٣٨٥)، وقال ابن ماجه: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح.

(٤٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، بَابُ سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الِاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا (١٠١٠)، وفي كتاب المناقب، بَابُ ذِكْرِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧١٠).

(٤٢٨) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٤٢).

(٤٢٩) المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٧).

ومن ذلك قولهم: (من حج فلم يزرني فقد جفاني) وهذا الحديث لا أصل له بل هو من المكذوبات والموضوعات كما قاله ابن عبدالهادي في الصارم المنكي .(٤٣٠)

والخلاصة أن التوسل الممنوع : هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة ، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض ، منها :ـ التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك ، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة . ومنها :ـ التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها ، والبناء عليها ، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك ، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد ، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر . ومنها :ـ التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم.

ومنزلتهم عند الله ، وهذا محرم ، بل هو من البدع المحدثة ؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به . قال تعالى : {آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ} [يونس: ٥٩] ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم ، كما قال الله تعالى : {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: ٣٩] ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم : قال أبو حنيفة رحمه الله : ((يكره أن يقول الداعي : أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)) (٤٣١) .قاله صاحب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة .والله أعلم.

*ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

إن التبرك أمره وقف على　　نص الدليل الواضح التبيان

فامنعه جزما دون نص يا فتى　　بالذات والأزمان أو بمكان

أقول :ـ هذه الأبيات تتكلم عن حكم التبرك ، والكلام عليها في فروع :ـ

(٤٣٠) الصارم المنكي (١/ ٨٦).

(٤٣١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١/ ٥١).

الفرع الأول :ــ اعلم رحمك الله تعالى أن التبرك : هو طلب البركة ورجاؤها واعتقادها .

واعلم رحمك الله تعالى أن القاعدة المتقررة فيه تقول (الأصل في التبرك التوقيف على ورود الدليل) بمعنى أنه لا يجوز اعتقاد البركة أو تسويغ طلبها من شيء إلا وعلى ذلك دليل صحيح صريح ، والدليل على ذلك هو أن وجود البركة في مكانٍ أو زمانٍ أو شخصٍ من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالعقل ، وقد تقرر في القواعد أن أمور الغيب مبناها على التوقيف ، مع ما سيأتي من الأدلة في قيد الأسئلة عن التبرك - إن شاء الله تعالى - ، والله أعلم .

الفرع الثاني :ــ واعلم رحمك الله تعالى أن التبرك إما أن يكون بالذات أو بالزمان أو بالمكان ، وفيه عندنا علاوة على القاعدة الأم جمل من القواعد منبثقة من تلك القاعدة التي قدمنا الكلام عليها ، وهذه القواعد تقول :ــ

القاعدة الأولى :ــ الأصل في التبرك بالذوات التوقيف على النص الشرعي الصحيح الصريح .

القاعدة الثانية :ــ الأصل في التبرك بالأزمنة التوقيف على الدليل الشرعي الصحيح الصريح.

القاعدة الثالثة :ــ الأصل في التبرك بالأمكنة التوقيف على الدليل الشرعي الصحيح الصريح .

القاعدة الرابعة :ــ الأصل في صورة طلب البركة مما ثبتت بركته بالدليل التوقيف على النص .

ومعنى هذه القواعد واضح إن شاء الله تعالى ونزيده وضوحا فنقول :ــ إن الله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ، كما قال تعالى {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [القصص: ٦٨]

فالله تعالى لما خلق الأعيان والأزمنة والأمكنة جعل لكل منها صفات على ما تقتضيه حكمته وفضله جل وعلا ، ومن جملة تلك الصفات وضع البركة فيها ،

وتلك البركة أمر غير مدرك بالعقول ولا بالشهوات ولا بالأهواء ، لأنه أمر غيبي ،

والمتقرر أن الأصل في الأمور الغيبية وقفها على الأدلة ، وبناء عليه :ـ فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن هذا هذه الذات مباركة إلا بدليل ، لأن إدراك البركة فيها ليس مرده العقل ، بل مرده الدليل ، والأصل استواء الذوات ، فمن اعتقد أن في ذات من الذوات أو عين من الأعيان بركة ، دون غيرها من الذوات والأعيان فإنه مخالف للأصل ، والمتقرر أن الدليل يطلب من الناقل عن الأصل لا من الثابت عليه ، ولأنك تثبت بهذا الاعتقاد أن الله تعالى قد اختار وضع البركة في هذه العين ن وهذا الاختبار الصادر من الله تعالى أمر غيبي لا يدرك إلا بالوحي ، فأين الدليل الدال على وجود البركة في هذه العين والذات المعينة دون غيرها ؟ وكذلك الأمكنة ،

فالأصل فيها استواؤها ، فمن فضل مكانا في الأرض على مكان آخر واعتقد أن في هذا المكان بعينه دون غيره بركة ، فإنه مطالب بالدليل الدال على هذا الأمر ، لأنه يعتقد أمرا خلاف الأصل ، والمتقرر أن مخالف الأصل عليه الدليل ، وكذلك يقال في الأزمنة ، فغن الأصل استواؤها ، قمن اعتقد البركة في زمان دون زمان فغنه مطالب بالدليل الدال على هذا الاعتقاد ، فإن جاءنا من يعتقد البركة في الذات المعينة ، والمكان المعين ، والزمان المعين بالدليل الدال على وجود البركة فيها فأهلا وسهلا ، وعلى العين والرأس واعتقاده هذا مقبول ومعتمد ، لأنه بناه على الدليل الشرعي الصحيح الصريح ، وأما إن كان لا برهان عنده ولا دليل يعضد قوله وإنما هي التخرصات والظنون الكاذبة والاعتقادات التي لا خطام لها ولا زمام فلا أهلا ولا سهلا ، واعتقاده هذا مردود عليه ومضروب به في وجهه ، ولا كرامة ، وإنك إذا نظرت نظرة بسيطة إلى تلك الأمكنة والذوات والأزمنة التي يعتقد الكثير من الناس أن فيها بركة ، لوجدتها لم تبن على الحق ولا على الدليل ولا على الهدى ، وإنما بنيت على النقول الواهية والتخرصات الكاذبة والأهواء المتعفنة ، والظنون الفاسدة ، فيقال لهم :ـ لا يحل لأحد أن يعتقد بركة في ذات ذون ذات إلا بدليل ن ولا يحل لأحد أن يعتقد بركة في زمان دون زمان ، أو مكان

دون ماكن إلا بدليل ، فباب التبرك ليس مفتوحا لمن هب ودب وتخرص وكذب ، لا ، وألف لا ، بل هذا الباب مقرون بثبوت الدليل ، فما ثبتت الأدلة بان فيه بركة أثبتنا البركة فيه ، وما لم يأت الدليل بأن فيه بركة فلا يجوز لنا ولا لعقولنا ولا لأهوائنا أن تثبت فيه البركة ، ولو أن الناس اعتمدوا هذه الأصول الطيبة المقررة عند أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم لأراحوا واستراحوا من كثير من البدع والخرافات والمحدثات التي أفسدت عليهم عقيدتهم وخلخلت بنيان دينهم وإيمانهم ، ولكن لله الأمر من قبل ومن بعد ، ثم اعلم أن الأمر الذي وردت الأدلة بثبوت البركة فإنه لا يجوز أن نتجاوز به الصورة التي ورد بها ، فليس طلب البركة مما ثبت به النص من الأبواب المفتوحة ، لا ، بل لا يحل لنا ولا لغيرنا أن نطلب البركة فيما ثبتت الدالة بأن فيه بركة إلا على مقتضى الصورة التي ورد بها الدليل ، كما في بركة القرآن مثلا ، فبركته في هدايته وتلاوته وتدبره والعمل به وتضعيف أجور الأمة بقراءته وأنه الخير والبر والشفاء والفرقان ، فالقرآن مبارك ، كما وصفته الأدلة بذلك ، ولكن ومع ثبوت البركة فيه فإنه لا يجوز لأحد أن يضعه على صدره طلبا للبركة ، لأن هذه الصورة في طلب البركة من القرآن لم ترد ، ولا يحل لأحد أن يفتحه للفأل كما يفعله بعض الجهال ، لأن طلب البركة من القرآن بهذا الفعل لم يرد به الدليل ، ولا يحل لأحد أن يعلقه على صدره أو في سيارته مثلا لطلب بركته في الحفظ ، فإن هذه الصورة من طلب البركة بالقرآن لم يرد بها النص ، وكذلك بركة ماء زمزم ، فإن الدليل أثبت أن فيه بركة ، ولكن بركته في شربه ، فلا يجوز مثلا غسل الثياب به اعتقادا أن الثياب ستحل فيها بركة ماء زمزم ، لأن هذه الصورة في طلب البركة من ماء زمزم لم يرد بها الدليل ، ولا يحل لأحد أن يغسل به متاعه اعتقاد أن المتاع ستحل فيه البركة ، لأن هذه الصورة في طلب البركة من ماء زمزم لم يرد بها الدليل ، وهكذا ، في كل الأمور التي ثبتت فيها البركة ، فلا تظنن يا أخي بارك الله تعالى فيك أن المهم ورود الدليل بأن هذه العين مباركة أو هذا الزمان مبارك ن أو هذا المكان مبارك ، لا ، هذا لا يكفي ، بل لا بد من أمر آخر يضم إليه ، وهو أنه لا يجوز لك أن تتجاوز الصورة الواردة في طلب البركة من هذا المر الذي أن فيه بركة ، وبناء عليه :ـ فإن أردت النجاة في هذا الباب فلا بد أن تعمد هذين الأصلين

:ـ الأول :ـ أنك لا تطلب البركة إلا فيما ثبت النص بأن فيه بركة ، الثاني :ـ أن تكون صورة طلب البركة من هذا الأمر متفقة مع الصورة الشرعية التي وردت بها الأدلة ، فما لم يثبت الدليل بأنه فيه بركة ، فطلب البركة منه بدعة ، وتجاوز الصورة الشرعية في طلب البركة مما وردت الأدلة بإثبات البركة فيه بدعة أيضا، ولا مخلث من هذه المحدثات والبدع إلا باعتماد هذين الأصلين ، فلا تعتقد وجود البركة في ذات إلا بدليل ، ولا تطلب البركة من هذه الذات إلا على وفق ما ورد به الدليل ، ولا تعتقد وجود البركة في زمان إلا بدليل ، ولا تطلب البركة في هذا الزمان إلا على وفق ما ورد به الدليل ، ولا تعتقد وجود البركة في مكان إلا بدليل ، ولا تطلب البركة في هذا المكان إلا على وفق ما ورد به الدليل ، فإنك إن فعلت هذا نجوت مما أحدثه كثير من الناس في هذا الباب العقدي المهم ، فانتبه لهذا الكلام واحفظ هذا التأصيل فلعلك لا تظفر به بهذا الوضوح في مكان آخر ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الفرع الثالث :ـ واعلم رحمك الله تعالى أن من المسائل المهمة في هذا الباب أيضا أن تفرق بين نوعي البركة ، وأقسم بالله العلي العظيم أنها من مهمات المسائل في هذا الباب ، فأرجوك يا حبيبي أن ترعي لي سمع قلبك ، وأن تفهم ما أقول ، وذلك أن أهل العلم رحمهم الله تعالى قد قسموا وجود البركة فيما ثبت به الدليل إلى قسمين :ـ إلى بركة ذاتية منتقلة ، وإلى بركة معنوية لازمة ، فأما البركة الذاتية فيراد بها تلك البركة التي تنتقل إلى ما لامسها ، فمن لامس شيا له بركة ذاتية فإن البركة تنتقل إلى ما مسها به ، وأما البركة المعنوية فغنها تلك البركة التي لا تفارق محلها ، وبالجملة فلا نعرف شيئا فيه بركة ذاتية منتقلة ـ باعتبار هذه الأمة ـ إلا بركة نبينا ﷺ ، فإنه رجل مبارك ، وبركته ذاتية منتقلة ، بمعنى أنكل شيء مسه جسده الطاهر الشريف فإنه تكون فيه بركة ، ولا نعرف في الحقيقة بركة ذاتية إلا تلك الذات المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فالبركة العينية لا تكون إلا في ذات النبي ﷺ ، فذاته ﷺ ذات مباركة ، ولذلك فقد ثبت في الأحاديث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبركون بعرقه وثيابه ووضوئه وبقية شرابه ﷺ ، لأن ذاته ﷺ ذات مباركة ، وبركتها تنتقل لما لا مسها ، وهذا باتفاق أهل السنة رحمهم الله تعالى ، بل ويجوز على قول أهل السنة رحمهم الله تعالى التبرك

بآثاره ولو بعد مماته ﷺ ، ولكن اتفق أهل العلم رحمهم الله تعالى على أن آثاره كلها قد فقدت ، فلم يبق منها شيء ، وأما ما يذاع هنا وهناك من أن من أثر النبي ﷺ فهو كذب وافتراء يراد به ابتزاز أموال الناس وإفساد عقيدتهم ، واتفق عامة أهل السنة رحمهم الله تعالى على أنه ليس في الأمة من بركته بركة ذاتية منتقلة غيره ﷺ ، فليس شيء من أجزاء الأرض بركته بركة ذاتية منتقلة ، ولم يبق في الأمة إلا ما بركته بركة معنوية لازمة ، أي أنها لا تنتقل عن محلها ، كبركة رمضان ، وعاشوراء ، وعشر ذي الحجة ، وغيرها مما ثبتت فيه البركة من الأزمنة ، وكبركة المسجد الحرام ومسجد المدينة ، ومسجد بيت المقدس ، وماء زمزم ، وبركة القرآن ونحوها مما ثبتت فيه البركة بالدليل الصحيح الصريح ، فبركة هذه الأشياء إنما هي بركة معنوية لازمة ، لا ذاتية منتقلة ، وقد أوجب الخلط بين نوعي البركة فسادا كبيرا في الاعتقاد ، وبدعا كثيرة لا عد لها ولا حصر ، فالواجب على أهل العلم أن يبينوا للناس الفرق بين هذين النوعين ،ولعلنا نفرد فيها رسالة خاصة إن شاء الله تعالى ، والمهم هنا أن تعلم أن الأصل في باب التبرك بالأعيان والأزمنة والأمكنة التوقيف على الأدلة ، وما قرر أهل العلم رحمهم الله تعالى ذلك إلا ليسدوا باب البدع والإحداث ، وباب الشرك والوثنية ، فسد هذا الباب من أهم المهمات ، والله يتولانا وإياك .

الفرع الرابع :ـ فإن قلت :ـ وما حكم طلب البركة مما لم تثبت فيه البركة بالدليل ؟ فأقول :ـ هذا أمر محرم لا يجوز ، بل هو في حقيقته من الشرك ، ولكنه يكون أحيانا شركا أكبر ، وأحيانا يكون شركا أصغر ، فإن كان يعتقد أن الله تعالى هو واضع البركة في هذا الأمر ، وأن الله تعالى هو خالقها ومقدرها ، ولكن ملامسة هذا الشيء من جملة الأسباب التي تثمر البركة ، فهذا الاعتقاد من جملة الشرك الأصغر ، وذلك لأمرين :ـ الأول :ـ لأنه اعتقد سببا ما ليس بسبب لا شرعا ولا قدرا ، والمتقرر أن من اعتقد سببا ليس عليه دليل لا من الشرع ولا من القدر فقد وقع في الشرك الأصغر ، وأما إن كان يعتقد أن هذا الشيء هو الذي يوجب البركة بذاته ، وأنه هو الذي يضفي البركة على من لامسه لذاته ، فيعتقد أنه هو الفاعل والواضع للبركة ، فهذا من الشرك الأكبر ، لأنه اعتقد أن ثمة من يتصرف في هذا الكون مع الله تعالى ، وهو شرك في توحيد الربوبية ، وعلى ذلك يخرج حكم طلب

البركة من الأشجار أو الأحجار ونحوها ، فيقال :ـ طلب البركة من بعض الأشجار أو الأحجار محرم وشرك ، قال تعالى {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [النجم: ١٩، ٢٠] ، وهذا إنكار من الله تعالى على عباد هذه الأوثان ، وهم عبدوها لينالوا شفاعتها وأن تقربهم إلى الله زلفى ويتبركون بها فأنكر الله تعالى عليهم ذلك وهو إنكار يتضمن النهي عن الاعتقاد في هذه الأوثان ، ويدخل في ذلك ضمنًا النهي عن التبرك بالأشجار والأحجار وأنه شرك ، فاللات يقاس عليه التبرك بالقبور ، والعزى ومناة يقاس عليه التبرك بالأشجار والأحجار ،

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفرٍ وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال - عليه الصلاة والسلام - : ((الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: ١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم)) (٤٣٢) رواه الترمذي بسندٍ صحيح ، وهذا دليل واضح في النهي الأكيد عن طلب البركة من الأشجار والأحجار وأنه شرك ، لكن إن قلت : هل هو شرك أصغر أم شرك أكبر ؟ أقول : هذا على حسب اعتقاد طالب البركة منها ، فإن كان يعتقد أنها تعطيه البركة بذاتها وأن لها تصرفًا خفيًا بذلك فهذا شرك أكبر منافٍ لأصل الإسلام ، ولو مات صاحبه عليه فإنه من الخالدين أبدًا في النار - والعياذ بالله - ، وأما إن كان يجعلها سببًا فقط في تحصيل البركة

---

(٤٣٢) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢١٨٩٧)، (٢١٩٠٠)، والترمذي في أبواب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٢١٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٢١)، والحميدي في مسنده (٨٧١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٣٧٥)، وعبد الرزاق ي التفسير (٩٣١)، والطيالسي في مسنده (١٤٤٣)، والشافعي في السنن المأثورة (٤٠٠)، والمروزي في السنة (٣٧ – ٤٠)، وأبو يعلى في مسنده (١٤٤١)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٢٩٠ – ٣٢٩٤)، وابن بطة في الإبانة (٧١٠)، والبيهقي في المعرفة (٣٢٩)،

من طريق: الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، به.

وإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين، ولم أقف له على علة، ولم أقف على أحد من أهل العلم تكلم فيه، والله أعلم

فهذا شرك أصغر لأنه اعتقد سببًا ما ليس بسبب شرعًا ولا قدرًا ولأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر ، والله أعلم

الفرع الخامس :ــ اعلم رحمك الله تعالى أن قد ورد الدليل بذلك ، فذاته ﷺ ذات مباركة ، فيجوز طلب البركة من ذاته وآثاره ، وذلك قد صحت به النصوص الكثيرة :

فمن ذلك : تبرك الصحابة بفضل وضوئه وبنخامته كما في الصحيح في حديث صلح الحديبية : (ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجلٍ منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه)(٤٣٣) .

ومن ذلك : تبركهم بالماء الذي غمس فيه يده ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ؟ أنه قال : ((كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناءٍ إلا غمس يده فيه فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيه)) (٤٣٤) .

ومن ذلك : التبرك بشعره ﷺ ،

ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى فنحر ثم قال للحلاق : ((خذ)) وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس .(٤٣٥)

ومن ذلك : التبرك بعرقه ﷺ ،

ففي صحيح مسلم عن أنسٍ رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه ، قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتت فقيل

---

(٤٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشروط، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (٢٧٣١).

(٤٣٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ قُرْبِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّاسِ وَتَبَرُّكِهِمْ بِهِ (٢٣٢٤).

(٤٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، بَابُ بَيَانِ أَنَّ السُّنَّةَ يَوْمَ النَّحْرِ أَنْ يَرْمِيَ، ثُمَّ يَنْحَرَ، ثُمَّ يَحْلِقَ وَالِابْتِدَاءِ فِي الْحَلْقِ بِالْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مِنْ رَأْسِ الْمَحْلُوقِ (١٣٠٥).

لها : هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك ، قال : فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي ﷺ فقال : ((ما تصنعين يا أم سليم)) فقالت : يا رسول الله نرجوا بركته لصبياننا . قال : ((أصبت)) .(٤٣٦)

وقد ورد الدليل الصحيح بإثبات جواز التبرك بفضل طيبه وبثيابه وبفضل شربه ، فهذه الأدلة تفيد إفادة قطعية أن ذاته ؟ مباركة ، وهذا الذي نعرفه من الأدلة ، ويبقى ذات غيره من الإنس على حالها لا يجوز ادعاء البركة فيها ، ولذلك فالضابط عندنا يقول : لا يجوز التبرك بذات أحدٍ إلا بذاته ﷺ ، والله أعلم .

الفرع السادس :ـ فإن قلت :ـ هل يجوز التبرك بآثار النبي ﷺ من لباسٍ وشعرٍ بعد وفاته ﷺ أم أن ذلك مخصوص بحياته فقط ؟ فأقول :ـ بل يجوز ذلك حتى بعد وفاته ﷺ وذلك لأن الصحابة والتابعين كانوا يتبركون بهذه الأشياء بعد وفاته - عليه الصلاة والسلام –

فقد ثبت في الصحيح أن أسماء كانت عندها جبة النبي ﷺ تغمس في الماء ويسقى لمن به عين أو وجع فيبرأ - بإذن الله تعالى - ، وقد كانت هذه الجبة عند عائشة - رضي الله عنها – (٤٣٧)

وفي صحيح البخاري من حديث عبدالله بن عثمان بن موهب رحمه الله تعالى أن أم سلمة كان عندها شيء من شعرات النبي ﷺ في جلجلٍ من فضة ، فإذا أصاب أحدهم وجع يأتيها بإناءٍ فيه ماء فتخضخض له الشعر فيه فيشربه فيشفى - بإذن الله تعالى –(٤٣٨) ، والحديث في البخاري وغيره .

---

(٤٣٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ طِيبِ عَرَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ (٢٣٣١).

(٤٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَى الرَّجُلِ، وَإِبَاحَتِهِ لِلنِّسَاءِ، وَإِبَاحَةِ الْعَلَمِ وَنَحْوِهِ لِلرَّجُلِ مَا لَمْ يَزِدْ عَلَى أَرْبَعِ أَصَابِعَ (٢٠٦٩).

(٤٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الشَّيْبِ (٥٨٩٦).

ويقول محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى - : ((عندنا شعرة من شعر النبي ؟ أصبناها من أنس ، أو من قبل أهل أنس)) (٤٣٩)

وعلى ذلك جرى عملهم من غير نكير ، وهذا دليل على جواز التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته إلا أنه ينبغي أن تعلم أن هذه الآثار قد فقدت كلها في أزمنة متقدمة فما بالك بزمننا هذا، فكل من يدعي أن عنده شيء من شعره أو ثيابه أو نعليه أو خاتمه فإنه كاذب في هذه الدعوى ، وإنما مراده إفساد الاعتقاد ونشر البدعة وانتهاب الأموال ، فانتبه لهذا الأمر ولا يغرنك الذين لا يستحون على وجوههم من مثل هذه الدعاوى البينة البطلان الظاهرة الزيف ، والله أعلم .

الفرع السابع :ـ فإن قلت :ـ نحن نعلم أن المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى فيها بركة ، فما المراد ببركة هذه الأماكن ؟ فأقول :ـ إن بركة هذه الأماكن معناه مضاعفة الأجر للمتعبد فيها وما يحصل له من الأمن كما قال تعالى عن المسجد الحرام : ؟ ومن دخله كان آمنًا ؟ فبركتها بركة معنوية أو نقول بركة لازمة ليست بمنتقلة ولا بمتعدية ، أي أنها ليست بركة ذاتية كبركة ذات النبي ؟ ، بل هي بركة لازمة معنوية ، وبناءً عليه فإن من يتمسح بأستار الكعبة ظنًا منه أن البركة ستنتقل إلى بدنه فإنه أتي من قبل جهله وقلة فهمه ، وفعله هذا بدعة ، وكذلك من يقبل أعمدة المسجد الحرام أو مسجد المدينة ، ويتمسح بمقام إبراهيم أو يقبله أو يمسح عليه بيديه ثم يضعهما على وجهه وصدره ظنًا منه أنه بذلك قد انتقلت البركة إليه فإنه ضال مبتدع مخطئ ، وكذلك من يستلم الحجر الأسود أو الركن اليماني بيديه ثم يمرها على صدره ووجهه أو على وجه صغير معه وصدره ، كل ذلك من البدع المنكرة ، لا إنكارًا لبركة البقعة ولكن لأن بركة هذه البقعة بركة لازمة معنوية لا ذاتية منتقلة ، وكذلك من يتمسح بالأعمدة أو الفرش الموضوعة في الروضة الشريفة ظنًا أن بركة هذه الروضة ستنتقل إليه إذا فعل ذلك ، فإنه ليس على الصراط المستقيم في هذا الفهم ، وكذلك ما يفعله بعض الحجاج أو المعتمرين من أنهم يغسلون متاعهم ونقودهم وثيابهم التي عليهم بماء زمزم ظنًّا منهم أنها بذلك ستحلها البركة ، فهذا ليس بصحيح ؛ لأن بركة ماء

---

(٤٣٩) لم أقف عليه.

زمزم في شربه فقط ، والمقصود أن بركة هذه الأماكن المذكورة في السؤال إنما هي بركة لازمة معنوية لا أنها بركة ذاتية منتقلة ، والله أعلم .

الفرع الثامن :ـ فإن قلت :ـ وهل يجوز إطلاق لفظ (تبارك) على غير الله تعالى ؟ فأقول :ـ لا يجوز ذلك ؛ لأن واضع البركة هو الله تعالى ، فلا يقال : تباركت علينا يا فلان ، ولا يقال : فلان بارك بحضوره هذا المشروع ، أو بارك هذا الحفل ، كل ذلك من الإطلاقات المحرمة ، والله أعلم .

الفرع التاسع :ـ ويدخل في ذلك ما أحدثه كثير من العامة من أخذ شيء من تراب القبر للتبرك به، وهذا يعتقده من يعظم أصحاب القبور التعظيم الزائد على الحد المشروع، فيعتقدون أن الجسد الذي حل في هذا القبر جسد مبارك، وأن هذه البركة قد انتقلت إلى أجزاء التراب الذي عليه فتجدهم يأخذون شيئا من ترابه ليتبركوا به، أي يضعونه في بيوتهم رجاء لبركة أو يغسلون به مريضهم رجاء حلول الشفاء أو يسقون بمائه دوابهم رجاء حفظها وعافيتها إن كانت مريضة أو غير ذلك بل وربما تطاول بهم الغلو حده إلى بيعه بالأثمان الباهظة، كما يفعله بعض سدنة القبور المجاورين لها، فإنهم يأخذون شيئاً من تراب القبر أو مما جاوره ويبيعونه على الزائرين وذلك بعد سرد القصص المكذوبة المختلقة في منافع هذا التراب، وهذا كله من المحدثات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، بل هي من سخافة العقول والاستهزاء بها، وقد تصل في بعض صورها إلى الشرك الأكبر، وذلك فيما إذا اقترن معها اعتقاد أن الميت هو الذي يضفي البركة بذاته أو اقترن معها اعتقاد أن الميت يشفع لمن أخذ من تراب قبره فيأخذ هذا المسكين التراب ليشفع له الميت، وهذا هو الشرك الأكبر، وأما إذا اعتقد أن الله هو واضع البركة ولم يقترن مع الأخذ طلب الشفاعة من الأموات فهو شرك أصغر وبدعة قبيحة ومحدثة منكرة وذلك لأنه لم يثبت عن رسول الله - ﷺ - أنه أخذ شيئاً من تراب القبور، ولا ثبت عن أحد من أصحابه أنهم كانوا يأخذون من تراب قبره أو قبر صاحبيه ولا ثبت عن أحد من أئمة الدين من التابعين وتابعيهم وسادات السلف من الأئمة الأربعة ومن عاصرهم أنهم كانوا يأخذون شيئاً من تراب القبور للتبرك بها، وهذا يفيدك أنه إحداث في الدين وبدعة وكل إحداث في الدين فهو رد، فاحذروا أيها المسلمون

من ذلك فإنه قادح في التوحيد ومخل بعقيدة المسلم فإن قلت حتى ولو كان الميت أحد الصالحين الكبار فأقول: نعم حتى ولو كان نبياً من الأنبياء، فلا يجوز ذلك لأن ذلك لا أصل له، ولأنه ذريعة للاعتقادات الباطلة المفضية للشرك والوثنية ولو كان خيراً لسبقنا له من هم أحرص منا على العلم والهدى، ولو كان ذلك من الشرع لوجب على النبي - ﷺ - بيانه بقوله أو بفعله أو بإقراره بل إنه عدم جواز ذلك بالترك الدائم لأن المتقرر أن كل فعل توفر سببه على عهد النبي - ﷺ - ولم يفعله اختياراً فإن المشروع تركه، وكذلك بين لنا عدم جوازه بالأدلة الناهية عن الغلو في القبور وأصحابها، ولأن بركة المسلم الواردة في حديث ((إن من الشجر شجرة لما بركته كبركة المسلم)) (٤٤٠) ونحو ذلك، إنما هي البركة المعنوية اللازمة أي بركة عمل، وهذه البركة لازمة لمحلها لا تنتقل عنه، فإذا مات الولي الصالح ودفن في قبره فإن بركته لا تنتقل إلى التراب لأنها من البركة المعنوية اللازمة، والذين يأخذون من تراب قبور الصالحين والأولياء ظنوا أن بركتهم بركة ذاتية منتقلة وهذا خطأ فادح، وهو الذي أوجب الوقوع في هذه المحدثات والبدع وبه تعلم أن السبب هو الجهل بالسنة والبعد عن الشرع، فالله الله يا طلاب العلم بنشر العلم الشرعي المؤصل، ولابد من الوصول إلى أهل هذه البدع أو الاتصال بهم بالوسائل الحديثة المتاحة لتصل لهم كلمة الحق ويرتفع عنهم الجهل ولا يجوز يا طلاب العلم أن يشغلنا عن ذلك تجارة ولا وظيفة ولا زوجة ولا أولاد والمقصود: أن أخذ تراب القبر للتبرك به، أو التبرك به وهو في مكانه كل ذلك من المحدثات والبدع

ولقد أخطأ العالم القاضي عياض رحمه الله تعالى لما قال: إن تربة قبر النبي - ﷺ - أفضل من الكعبة، ورد عليه هذا القول كثير من أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، فلا يجوز أيها المسلمون أن يؤخذ من تراب القبر شيء للتبرك به لعدم النقل، ولأن القاعدة المتقررة عند أهل السنة أن الأصل في التبرك بالأعيان أو الأزمان أو الأمكنة التوقيف، أي أنه لا يجوز لك أن تعتقد في شيء أنه مبارك إلا بدليل، ولا يجوز لك أن تتبرك بشيء إلا وعلى ذلك دليل شرعي صحيح صريح،

---

(٤٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار (٥٤٤٤)، انفرد البخاري بهذا اللفظ، إلا أن له ألفاظ أخرى في الصحيحين.

ولا بد أن تفرق بين البركة الذاتية المتنقلة كبركة النبي - ﷺ - وبين البركة المعنوية الملازمة كبركة المساجد الثلاثة، ولو نظرت في القرآن كله من أوله إلى آخره لما وجدت دليلاً يدل على جواز التبرك بتراب القبور ولا مطابقةً و لا تضمناً و لا التزاماً، ولو نظرت في السنة من أولها إلى آخرها - أعني السنة الصحيحة - لما وجدت دليلاً صحيحاً يدل على جواز التبرك بتراب القبر لا مطابقةً ولا تضمناً ولا التزاماً، ولو نظرت في عمل السلف الصالح من القرون المفضلة ومن جاء بعدهم من أئمة الدين المقتدى بهم لما وجدت أحداً أجاز التبرك بتراب القبور، فبالله عليك من أين جاءت هذه البدعة؟ أقول: لقد جاءت هذه المحدثة لما ضعف ميزان الإتباع وارتفع مؤشر الابتداع وازداد الجهل بالدين ومن تحسين شياطين الجن والإنس وذلك لما ضعف المصلحون في إبلاغ الشريعة على الوجه الصحيح ورضي بعضهم بالحياة الدنيا واطمأن بها وبالجملة فأخذ شيء من تراب القبور للتبرك به محدثة وبدعة فهو رد على فاعليه لأن كل إحداث في الدين عقيدة أو شريعة فهو رد وأنت خبير بأن إثبات جواز ذلك لابد فيه من نص من الشارع وأما الأهواء والآراء وعمل الآباء والأجداد أو أهل القرية أو عمل الأكثر أو الاستحسانات الباردة السامجة التي ما أنزل الله بها من سلطان فإن ذلك كله لا مدخل له في باب سن الأحكام وتشريعها نسأله جل وعلا أن يفقهنا في ديننا وأن يعيذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

الفرع العاشر :ـ فإن قلت :ـ وما معنى البركة في قول النبي ﷺ " إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم " ؟ فالجواب :ـ أن المراد بهذه البركة أي البركة المعنوية اللازمة ، فكل مسلم فيه بركة إيمان وسلامة اعتقاد وصحة عمل ، وتختلف تلك البركة باختلاف قوة الإيمان والتوحيد والعمل ، وعلى ذلك أيضا قول أسيد بن حضير رضي الله عنه لما نزلت آية التيمم بسبب مقامهم للبحث عن عقد عائشة

رضي الله عنها وليس معهم ماء وليسوا على ماء ، فلما نزلت آية التيمم قال أسيد رضي الله عنه " ما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر ،(٤٤١)

والمراد بالبركة هنا بركة العمل لا البركة الذاتية المنتقلة ، فانتبه لهذا ، وعلى ذلك قول البعض لمن زاره :ـزارتنا البركة ، فإن كان يقصد البركة الذاتية فهذا لا يجوز ، وإن كان يقصد بركة الإيمان والتوحيد والعمل فلا حرج ، والله أعلم.

الفرع الحادي عشر :ـ وهنا نقل طيب عن صاحب فتح المجيد ونقل في شرحه عن الشيخ الغنيمان ، وهذا النقل في مسألة مهمة جدا ، وهي أنه قد ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتبركون بآثار النبي ﷺ ، فهل يقاس عليه غيره من الأولياء والصالحين ؟

فقال في فتح المجيد(وأما ما ادعاه بعض المتأخرين من أنه يجوز التبرك بآثار الصالحين فممنوع من وجوه: منها: أن السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ، لا في حياته ولا بعد موته، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وأفضل الصحابة أبو بكر و عمر و عثمان و علي رضي الله عنهم، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ فيمن شهد له بالجنة، وما فعله أحد من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين وأهل الأسوة، فلا يجوز أن يقاس على رسول الله ﷺ أحد من الأمة، وللنبي ﷺ في حال الحياة خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره.ومنها: أن في المنع عن ذلك سداً لذريعة الشرك كما لا يخفى)

ثم شرحه الشيخ الغنيمان حفظه الله تعالى بقوله (يقول بعض المتأخرين مثل الإمام النووي رحمه الله وغيره: قد جاءت بعض الأحاديث التي فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوزع شعره على صحابته للتبرك به، وكذلك كان إذا توضأ سارعوا إلى فضلة وضوئه يتبركون بها، و إذا تفل أو تنخم صلوات الله وسلامه

---

(٤٤١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التيمم (٣٣٤)، كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} (٤٦٠٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحيض، بَابُ التَّيَمُّمِ (٣٦٧).

عليه أحب كل واحد منهم أن تكون بيده حتى يدلك بها وجهه؛ تبركاً به صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك إذا أمكن أحدهم أن يأخذ شيئاً من ثيابه التي تلي جسده أخذها، وبعض الصحابيات التي لها صلة بالرسول ﷺ كان إذا عرق تأخذ عرقه وتضعه في الطيب؛ لأن عرقه صلوات الله وسلامه عليه أحسن من الطيب، والمقصود أن هذا شيء مشهور ومعروف، فكانوا إذا جاءوا إلى مثل هذه القضايا قالوا: هذا فيه جواز التبرك بالصالحين وبآثارهم، والمؤلف هنا يقول: هذا خطأ من وجوه: الوجه الأول: أن هذا خاص بالنبي ﷺ، بدليل أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يفعلوا هذا مع أحد منهم، فما فعلوه مع أبي بكر ولا مع عمر ولا مع عثمان ولا مع علي ، ولا مع غيرهم من سادات الصحابة، وهم أعلم برسول صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

الوجه الثاني: أنه لا يجوز أن يقاس غير الرسول ﷺ عليه، وهذا لا يقول به من يعرف رسول الله ﷺ، فلا يجوز أن يقاس آحاد الناس على رسول الله ﷺ في هذا، بل ولا يجوز أن يدان به، وهذا قياس مع الفارق البعيد جداً، فإذا جاء القياس مع الفارق فهو قياس باطل غير معتبر شرعاً.

الوجه الثالث: أن هذا فيه سد للذرائع كما قال المؤلف، وهي قاعدة معروفة في الشرع، والمعنى: أننا لو أجزنا ذلك لجر هذا إلى ما لا يجوز، ولصار طريقاً إلى الشرك وإلى سؤاله والتوسل به، وما أشبه ذلك، وكل ما كان وسيلة إلى ما هو محرم فممنوع.

وهناك أيضاً وجه رابع لم يذكره المؤلف وهو: أن الصلاح أمر لا يعرف إلا من قبل الوحي؛ لأنه في القلب وليس للإنسان إلا الظاهر، فيجوز أن يكون في الباطن غير ما هو في الظاهر، ويجوز أن يتبدل في آخر حياته ويتغير، بخلاف الذين أخبر الله جل وعلا -كالصحابة- أنه رضي عنهم؛ فإن الله لا يخبر جل وعلا عن شيء يتبدل ويتغير.

فإذا قال قائل: هذا من التبرك بالصالحين قلنا: هذا أمر مظنون غير متيقن، وإنما هو من باب الظن، وباب الظن لا يجوز أن تبنى عليه الأحكام في مثل هذا، إلى غير ذلك من الأوجه التي تمنع ذلك، وكل وجه من هذه الأوجه يكفي في منع ذلك.

والخلاصة: أن التبرك بالآثار ومماسة الجسد وما أشبه ذلك خاص برسول الله ﷺ، فهو من خصائصه لا يجوز أن يقاس عليه أحد من الناس.

وأما والذين استدلوا بفعل ابن عمر ، ففعل ابن عمر كان اتباع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس من هذا الباب، وإنما هو اتباع آثاره، يعني: كان يتتبع الأثر الذي صلى فيه الرسول فيصلي فيه، والمكان الذي جلس فيه فيجلس فيه، وما أشبه ذلك؛ لأنه كان يرى أن هذا سنة، وأنه اتباع للرسول ﷺ، فليس من باب التبرك، وإنما الكلام في التبرك بما لامس جسد رسول الله ﷺ أو انفصل عنه، وهذا شيء معروف عند الصحابة رضوان الله عليهم حتى أنه جاءت الأحاديث فيه إلى حد التواتر) (٤٤٢) إهـ النقل ،

والخلاصة أنه لا يجوز القياس في هذه المسألة ، لأنه قياس مع الفارق ، والقياس في مصادمة النص باطل ، ولأنه قياس صادم إجماع الصحابة والأئمة المعلوم من الدين بالضرورة ، والله أعلم .

الفرع الثاني عشر :ــ فإن قلت :ــ وهل يجوز التبرك بآثار النبي ﷺ المكانية ؟

فالجواب :ــ هو ما قاله الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه الطيب (هذه مفاهيمنا) وهو كتاب نافع جدا ، فقال فيه حفظه الله تعالى (وأما آثاره المكانية كمكانٍ سار فيه، أو بقعةٍ صلى فيها، أو أرض نزل بها فلم يعرف دليل شرعي يومئ أو يشير إلى أن بركة بدن الرسول قد تعدت إلى هذا المكان، فيكون مباركاً يشرع التبرك به، ولذا لم يكن يفعل هذا صحابته في حياته ولا بعد مماته، فما سار فيه رسول الله أو نزل فيه فلا يجوز التبرك به؛ لأن هذا وسيلة إلى تعظيم البقاع التي لم يشرع لنا تعظيمها، ووسيلة من وسائل الشرك، وما تتبع قوم آثار أنبيائهم إلا ضلوا وهلكوا. قال المعرور بن سويد الأسدي؛ خرجت مع أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهباً، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين! مسجد صلى فيه رسول الله هم يأتون يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم،

(٤٤٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان (٢/ ٢٦٧- ٢٦٩).

فيتخذونها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض، ولا يتعمّدها. أخرجه سعيد بن منصور في "سننه"، وابن أبي شيبة في "المصنف" ومحدث الأندلس محمد بن وضاح القرطبي في "البدع والنهي عنها"، بإسناد صحيح. (٤٤٣)

فهذا قول الخليفة الراشد، الذي قال رسول الله (: (إن الله - عز وجل - جعل الحق على قلب عمر ولسانه)

أخرجه أحمد عن ابن عمر بإسناد صحيح، ورواه من طريق أخرى عن ابن عمر (٤٤٤)

ورواه أحمد وأبو داود عن أبي ذر، (٤٤٥)

---

(٤٤٣) صحيح

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٥٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٧٣٤)، وابن وضاح في البدع (١٠١).

من طريق: أبي معاوية، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، به.

إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٤٤٤) صحيح بمجموع طرقه

أخرجه أحمد في مسنده (٥١٤٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٧٥٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٩٢١)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٩٥)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٤٨٩) من طريق: نافع بن أبي نعيم، وهو صدوق.

وأخرجه أحمد في مسنده (٥٦٩٧)، وأبو يعلى في معجمه (٢٤٢) من طريق: خارجة بن عبد الله الأنصاري، وهو صدوق.

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٤٧)، من طريق: إبراهيم بن أبي عبلة، وهو ثقة.

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٨٩)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٤٨٥) من طريق: الضحاك بن عثمان، وهو صدوق

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٣٣٠)، وابن المقرئ في معجمه (٢١٢) من طريق: مالك بن أنس،

كلهم – نافع بن أبي نعيم، وخارجة، وابن أبي عبلة، والضحاك، ومالك– عن نافع، عن ابن عمر، به.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٤٧)، من طريق: عبيد الله بن عمر، عن نافع، قال: قال أبو هريرة، وإسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٤٤٥) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢١٢٩٥)، (٢١٤٥٧)، (٢١٥٤٢)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل عمر (١٠٨)، وابو داود في سننه في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تدوين العطاء (٢٩٦٢)، وابن أبي

ورواه أحمد عن أبي هريرة ورواه جمع عن هؤلاء وغيرهم من الصحابة.

ولا شك أن قول عمر السالف في النهي عن تتبع الآثار من الحق الذي جعله الله على لسان عمر رضي الله عنه.

قال ابن وضاح رحمه الله (وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي ما عدا قباء وأحداً)

قال ابن وضاح: (فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين، فقد قال بعض من مضى: كم من أمرٍ هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكراً عند من مضى،ومتحبب إليه بما يبغضه عليه، ومتقربٍ إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة) (٤٤٦)، (٤٤٧)اهـ.

فانظر إلى كلامه المتين: وكانت وفاة ابن وضاح سنة ٢٨٦من الهجرة ، والمقصود من هذا أن السلف سلف الأئمة كانوا ينكرون التبرك بالآثار المكانية، وينكرون تحريها والتعلق بها رجاء بركتها، ولم يخالف في ذلك إلا ابن عمر - رضي الله عنهما -، فقد كان يتتبع الأماكن التي صلى فيها رسول الله (فيصلي حيث صلى، ونحو ذلك. وما نقل نقل مصدق عن غير ابن عمر من الصحابة أنه كان يفعل مثل ما فعل ابن عمر في الآثار المكانية.وابن عمر ما كان يطلب بركة المكان،ولكنه يطلب تمام الاقتداء بكل ما فعله رسول الله (في جميع أحواله، حتى إنه أراد الصلاة في كل مكانٍ صلى فيه رسول الله (، وكان يتتبع ذلك ويعلمه،وما كان فعله - فيما يظهر - قصداً للتبرك بالبقعة كما يفهمه المتأخرون، وإنما قصد تمام الاقتداء، ولم يفعله غيره من صحابة المصطفى (، ولم يوافقوه، بل إن أباه نهى الناس عن تتبع الآثار المكانية، وقوله مقدم على رأي ابنه عند الخلاف باتفاق،

شيبة في مصنفه (٣١٩٦٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٤٩)، والبزار في مسنده (٤٠٥٩)، والحاكم في المستدرك (٤٥٠١)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٤٩٠)، وغيرهم

من طريق: مكحول، عن غضيف بن الحارث، رجل من أيلة، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، وغضيف بن الحارث مختلف في صحبته، والراجح أنه تابعي ثقة، والله أعلم.

(٤٤٦) البدع لابن وضاح (٢/ ٨٨)

(٤٤٧) هذه مفاهيمنا (١/ ٢٢١، ٢٢٢).

وهو خلاف لا يقوم في مقابلة اتفاق عمل الصحابة على ترك ما فعله ابن عمر - رضي الله عنه-، ولا شك أن الصواب، والحق مع عمر - رضي الله عنه - وبقية الصحابة، وهو الحري بالاتباع، الفاصل عند النزاع، والله أعلم. هذه جمل من مسائل التبرك ما أحببنا خلو الكتاب منها ن ونرجع الآن إلى شرح المنظومة فنقول :ـ قوله (إن) القاعدة المتقررة عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في باب التبرك تقول :ـ إن (التبرك أمره وقف على نص الدليل الواضح التبيان) أي الصحيح في سنده، والصريح في متنه ، لأنه من الأبواب الغيبية ، والمتقرر أن الأبواب الغيبية لا مدخل للعقول فيها ، وبما أنه باب مبناه على التوقيف (فامنعه جزما) بلا تردد ، (دون نص) أي إن لم يرد على جواز التبرك الدليل (يا فتى) من الفتوة وهي القوة والشدة ، فإن لم يرد على جواز التبرك دليل من الشرع فلا بد من منعه هذا التبرك بهذا الأمر سواء أكان هذا التبرك (بالذات) لأن الأصل في التبرك بالذوات التوقيف على النص ، (والأزمان) لأن الأصل في التبرك بالأزمنة التوقيف على النص ، (أو بمكان) لأن الأصل في التبرك بالأمكنة التوقيف على النص ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

وتؤثر الأسباب ليس بذاتها   لكن بتقدير من الرحمن

أقول :ـ وهذا هو الحق عند أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، ومن باب التوضيح فإننا نرى لزاما علينا أن نبين جملا من القواعد المقررة في باب الأسباب عند أهل السنة حتى يكون عندك فهم في باب الأسباب ، فنقول وبالله تعالى التوفيق :ـ

القاعدة الأولى :ـ (الأسباب الشرعية مبناها على التوقيف على الدليل الصحيح الصريح) أقول :ـ من المعلوم أن السبب من جملة الأحكام الوضعية ، وهي قسم من أقسام الحكم الشرعي وحيث كان ذلك كذلك فإن السبب الشرعي، أي الذي يترتب عليه حكم شرعي لا يؤخذ إلا من الشارع، فواضع السبب هو الشارع، لأن السبب حكم وقد قال تعالى {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام: ٥٧]وقال تعالى {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [القصص: ٧٠]

والألف واللام في قوله(الحكم) تفيد الاستغراق فيدخل فيها الحكم التكليفي والحكم الوضعي، والسبب من الأحكام الوضعية وقال تعالى {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٨٨]، وقال تعالى{أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ } [الأنعام: ٦٢]، وقال تعالى {ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [غافر: ١٢]، والآيات في هذه المعنى كثيرة،

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله - ﷺ - : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (٤٤٨) «"متفق عليه"

ولمسلم »من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد (٤٤٩)

« وبناءً عليه فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن هذا سبب لهذا إلا وعلى هذه السببية دليل شرعي صحيح صريح، هذا هو الذي ندين الله تعالى به، فتشريع الأسباب من حقوقه الخاصة جل وعلا، والقاعدة في ذلك تقول: (الأسباب الشرعية مبناها على التوقيف على الدليل الصحيح الصريح) وهي متفرعة عن قاعدتنا التي شرحناها سابقاً بأدلتها وفروعها وهي التي تقول: (الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة) فمن أثبت أن هذا الشيء سبب لهذا الشيء فإنه مطالب بالدليل المثبت لصحة دعواه لأن الأصل عدم السببية، ومخالف الأصل عليه الدليل، وهذه القاعدة في الأسباب مفيدة جداً ، ونضرب لك جملا من فروعها فنقول

-:

فمنها: التمائم، وهي المعلقات التي يعتقد فيها أنها تجلب الخير أو تدفع الشر، وهي مما عمت به البلوى في هذه الأزمنة، فمنها ما يعلق على الأولاد يتقون به العين ومنها ما يعلق على البهائم حسنة المنظر يدفعون بها عنها الحسد- كما يزعمون- ومنها ما يعلق في البيوت وفي السيارات وفي أماكن العمل أو الرقبة أو الساعد

---

(٤٤٨) أخرجه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ (٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ (١٧١٨).

(٤٤٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ (١٧١٨).

ونحوها، وتكون من الخيوط أو الحلق النحاسية أو من الودع البحرية ونحو ذلك ومن يعلق ذلك يعتقد أنها سبب من جملة الأسباب التي يستجلب بها الخير ويستدفع بها الشر، فحيث كان يعتقد أنها سبب، فإنه مطالب بالدليل المثبت لهذه السببية، فأين هو؟ فإننا لا نعلم دليلاً يثبت أن تعليق التميمة مما يدفع الضرر ولأهمية هذه المسألة فقد قرر علماء الاعتقاد رحمهم الله تعالى، أن من اعتقد سبباً ما ليس بسبب شرعاً ولا قدراً فإنه قد وقع في الشرك الأصغر، وإن اعتقد أن السبب هو الفاعل بذاته فقد وقع في الشرك الأكبر، بل قد وردت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة العامة والخاصة بفصل هذه المسألة وأنها ممنوعة المنع المؤكد فمن ذلك قوله تعالى {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر: ٣٨] وقوله تعالى {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس: ١٠٧]، وقد شهد النص بأنها شرك

وذلك فيما رواه أبو داود في سننه قال: حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الأعمش عن عمرو ابن مره عن يحيى ابن الجزار عن ابن أخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود عن زينب امرأة عبدالله عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - »إن الرقى والتمائم والتولة شرك (٤٥٠) «"إسناده جيد"

---

(٤٥٠) حسن بالمجموع.

أخرجه أبو داود في سننه (٣٨٨٣) وابن ماجة في سننه كتاب الطب باب تعليق التمائم (٣٥٣٠) وأحمد في المسند (٣٦١٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٢) والخلال في السنة (١٤٩٤) وابن حبان في صحيحه (٦٠٩٠) وأبو يعلى في مسنده (٥٢٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٠٣) وفي المعجم الأوسط له (١٤٤٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠٤، ٧٥٠٥، ٨٢٩٠).

كلهم من طرق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنها، وكلها لا تخلوا من مقال فيما علمت إلا أنها تحسن بمجموع هذه الطرق. والله أعلم بالصواب.

وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٨٤) وآنظر أيضا السلسلة الصحيحه (١/ ٦٤٨، حديث رقم ٣٣١)

وقوله (التمائم) جمع دخلت عليه الألف واللام المفيدة للاستغراق فيفيد العموم فيدخل فيه كل ما يسمى تميمة،

وروى مسلم في صحيحه بسنده من حديث أبي بشير الأنصاري - رضي الله عنه - أنه كان مع النبي - ﷺ - في سفر فأرسل رسولاً »أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وترٍ أو قلادة إلا قطعت (٤٥١)

« وفي الحديث: رأى النبي - ﷺ - رجلاً وفي يده حلقة من صفرٍ فقال» ما هذا؟« قال: من الواهنة فقال: »انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً (٤٥٢)

ولكن قد أعل بعض أهل العلم هذا الحديث بالوقف على ابن مسعود رضي الله عنه ليس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال الإمام أبو بكر محمد بن موسى الحازمي هذا الحديث يروى موقوفا ومرفوعا والموقوف أحفظ، كذلك يرويه الأعلام. (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٢٣٨).

(٤٥١) أخرجه البخار في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَا قِيلَ فِي الجَرَسِ وَنَحْوِهِ فِي أَعْنَاقِ الإِبِلِ (٣٠٠٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، بَابُ كَرَاهَةِ قِلَادَةِ الْوَتَرِ فِي رَقَبَةِ الْبَعِيرِ (٢١١٥).

(٤٥٢) ضعيف.

أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الطب باب تعليق التمائم (٣٥٣١) وأحمد في مسنده (٢٠٠٠٠) وابن حبان في صحيحه (٦٠٨٥، ٦٠٨٨) والبزار في مسنده (٣٥٤٥، ٣٥٤٧) والروياني في مسنده (٧٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٥٩، ١٦٢، ١٧٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٠٩) وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/ ١٠٥٥).

كلهم من طرق عن الحسن البصري عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا به.

وهذا إسناد ضعيف، فإن الحسن بن أبي الحسن البصري لم يسمع من عمران بن حصين رضي الله عنه.

قال ابن معين : لم يسمع من عمران بن حصين . وقال ابن المديني و أبو حاتم : لم يسمع منه (أي من عمران)، و ليس يصح ذلك من وجه يثبت .

وقال ابن المديني : سمعت يحيى . يعنى القطان . و قيل له : كان الحسن يقول : سمعت عمران بن حصين، قال : أما عن ثقة فلا .

وقال أحمد : قال بعضهم عن الحسن : حدثنا أبو هريرة ، وقال بعضهم عن الحسن : حدثني عمران بن حصين ، إنكارا على من قال ذلك .

آنظر (تهذيب الكمال) (جامع التحصيل) في ترجمة الحسن بن أبي الحسن البصري.

وفي الحديث: من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له.(٤٥٣)

صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٠٠٠)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الطب، باب تعليق التمائم (٣٥٣١)، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٠٣٤٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٤٦٠)، والخلال في السنة (١٦٢٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٠٨٥)، (٦٠٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٩١)، (٤١٤)، وابن بطة في الإبانة (١١٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٠٩).

من طريق: مبارك بن فضالة، ويونس، ومعمر، ومنصور، وصالح بن رستم، كلهم عن الحسن البصري، عن عمران بن حصين، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٤٥٣)ضعيف.

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٤٠٤) وابن وهب في جامعه (٦٦٢) وابن حبان في صحيحه (٦٠٨٦) وأبي يعلى في مسنده (١٧٥٩) والطحاوي في شرح معاني الأثار (٧١٧٢) والحاكم في المستدرك (٧٥٠١، ٨٢٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٠٥).

من طريق حيوة بن شريح عن خالد بن عبيد المعافري عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

وهذا إسناد ضعيف، خالد بن عبيد المعافري لم أجد فيه جرحا ولا تعديلا ولم أجد من روى عنه إلا حيوة بن شريح، فهو إلا الجهالة أقرب والله أعلم.

ومشرح بن هاعان، لا يتحمل تفرد، وثقة ابن معين وقال أحمد معروف، وقال ابن حبان في " الثقات " : يخطىء ويخالف، ثم قال في "الضعفاء" : يروى عن عقبة مناكير لا يتابع عليها، فالصواب ترك ما انفرد به. (آنظر تهذيب التهذيب ١٠ / ١٥٥).

وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٣٤) من طريق الوليد بن الوليد، ثنا ابن ثوبان، عن أبي سعيد، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

وهذا إسناد ضعيف جدا فيه الوليد بن الوليد بن زيد العنسي (آنظر ترجمته في لسان الميزان ٨/ ٣٩٣).

والحديث ضعفه الشيخ الألباني آنظر السلسلة الضعيفة.

ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٤٠٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٧٥٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٧١٧٢)، والروياني في مسنده (٢١٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٠٨٦)، والحاكم في المستدرك (٧٥٠١)، (٨٢٨٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٠٥).

من طريق: حيوة بن شريح، عن خالد بن عبيد، عن مشرح بن هاعان، أنه قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، به.

فيه: خالد بن عبيد المعافري، وهو مجهول، وشيخه مشرح بن عاهان، مجهول أيضًا.

وفي رواية: من تعلق تميمة فقد أشرك. (٤٥٤)

« ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً وفي يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ}(٤٥٥)

ولأحمد في المسند عن رويفع أن النبي - ﷺ - قال له» يا رويفع لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه"(٤٥٦)

ونقل ابن حجر رحمه الله قول ابن حبان في مشرح، فقال: يخطئ، ويخالف، ثم قال في " الضعفاء " : يروى عن عقبة مناكير لا يتابع عليها ، فالصواب ترك ما انفرد به . (تهذيب التهذيب ١٠ / ١٥٥).

(٤٥٤)ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٤٢٢) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٥٦٣) والحاكم في المستدرك (٧٥١٣) من طريق عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

وهذا إسناد فيه دخين الحجري لم يوثقه إلا يعقوب بن سفيان وذكره ابن حبان في الثقات، فلا أدري أيتحمل مثل هذا الحديث في العقائد أم لا، فالله أعلم.

ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٤٢٢)، والحارث في مسنده (٥٦٣)، والحاكم في المستدرك (٧٥١٣)،

من طريق: يزيد بن أبي منصور ، عن دخين الحجري ، عن عقبة بن عامر الجهني، به.

ففيه: يزيد بن أبي منصور، وهو مجهول، ولم يوثقه إلا ابن حبان، وهو متساهل في توثيق المجاهيل.

(٤٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٢٠٤٠).

(٤٥٦) إسناده جيد

مختلف في إسناده.

فقد أخرجه أحمد في المسند (١٦٩٩٥)، (١٦٩٩٦) من طريق عبد الله بن لهيعة عن عياش بن عباس عن شييم بن بيتان عن رويفع بن ثابت به.

وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٧٥٢) من طريق أصبغ بن الفرج، عن ابن وهب، عن حيوة بن شريح، عن عياش بن عباس، أن شييم بن بيتان، أخبره أنه، سمع رويفع بن ثابت الأنصاري ...... الحديث.

وأخرجه النسائي كتاب الزينة باب عقد اللحية (٥٠٦٧) والسنن الكبرى له (٩٢٨٤) من طريق ابن وهب، عن حيوة بن شريح، وذكر آخر قبله، عن عياش بن عباس القتباني، أن شييم بن بيتان، حدثه أنه، سمع رويفع بن ثابت ﷺ....... الحديث.

« فهذه الأدلة تفيدك إفادة قطعية حرمة تعليق التمائم وأنه لا يصلح اعتقاد سببيتها في دفع ضر أو جلب خير لأن الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف، فلو لم يرد دليل بمنعها لما جاز اعتقاد سببيتها فكيف وقد وردت الأدلة بالمنع منها وأنها شرك، ولذلك فالمتقرر عند أهل العلم أن من علق التميمة فلا يخلو من حالتين:- إن كان يعتقد أن التميمة هي التي تجلب الخير أو تدفع الشر بذاتها بدون قدر الله تعالى فهذا قد وقع في الشرك الأكبر، وأما إن كان يعتقد أن الله تعالى هو الذي بيده وحده دفع الشر وجلب الخير ولكن التمائم مجرد سبب لتحقيق ذلك فهذا قد وقع في الشرك الأصغر لأنه اعتقد سبباً ما ليس بسبب ولأنه وسيلة للشرك الأكبر، ووسائل الشرك الأكبر شرك أصغر، والتمائم محرمة كلها سواءً من القرآن أو من غير القرآن، وهي التي تسمى بالتمائم الشركية، فالشركية حرام بالاتفاق، وأما التمائم من القرآن فقد حصل فيها نوع خلاف قديم، ولكن الأرجح، بل الحق الذي لا ينبغي القول بغيره القول بالمنع، وذلك لعموم الأدلة والأصل هو البقاء على الأصل حتى يرد الناقل، وسداً لذريعة تعلق القلب بها، وسداً لذريعة التمائم الشركية وسداً لذريعة إهانة القرآن وقد فصلنا في هذه المسألة أكثر في كتابنا (إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤال وجواب) والمقصود هنا أن نقول إنه لم يأت دليل على سببية التمائم لدفع البلاء أو رفعه وحيث لا دليل فالأصل المنع، لأن الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف على الدليل الشرعي الصحيح الصريح والله أعلم. تعريف الطلاب بأصول الفقه في سؤال وجواب ٢ - (ج ١ / ص ١٣٥)

قال ابن حبان: في مشاهير علماء الأمصار (ص: ١٩٦) شييم بن بيتان البلوى من رهط رويفع بن ثابت البلوى ممن جالسه.

وأخرجه أحمد أيضا في المسند (١٧٠٠٠) وأبو داود في سننه كتاب الطهارة باب ما ينهى عنه أن يستنجى به (٣٦) والطبراني في المعجم الكبير (٤٤٩١) والبيهقي في السنن الكبرى (٥٣٤) من طريق المفضل بن فضالة عن عياش بن عباس أن شييم بن بيتان أخبره أنه سمع شيبان القتباني(قلت المحقق: شيبان هذا مجهول) يقول: استخلف مسلمة بن مخلد رويفع بن ثابت الأنصاري، على أسفل الأرض قال: فسرنا معه ....الحديث.

قال الإمام النووي: في المجموع شرح المهذب (١/ ٢٩٢) فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد وَغَيْرِهِ عَنْ رُوَيْفِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ

وقال ابن مفلح: في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ١٥٤) وَمَتْنُ هَذَا الْحَدِيثِ صَحِيحٌ وَهَذِهِ الْأَسَانِيدُ الثَّلَاثَةُ جَيِّدَةٌ وَفِي ابْنِ لَهِيعَةَ كَلَامٌ مَشْهُورٌ وَلَيْسَ بِالْعُمْدَةِ هُنَا وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَلَمْ يُخَالِفْهُ.

ومنها: أن بعض الناس إذا نزل المطر فإنه ينسب هذا الخير النازل إلى نوء كذا وكذا، وهذه النسبة لا تخلو من ثلاث حالات، إن كان يعتقد أن النوء الفلاني هو الموجد والمحدث لهذا المطر فهذا شرك أكبر والعياذ بالله تعالى، وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو وحده المقدر الموجد والمحدث لهذا المطر ولكن النوء الفلاني سبب من أسباب هذا الخير فهذا شرك أصغر، لأنه اعتقد سبباً ما ليس بسبب شرعاً ولا قدراً ولأنه وسيلة للشرك الأكبر، فلا يجوز اعتقاد سببية ظهور النوء الفلاني في حصول هذا الخير لأن الأصل في الأسباب التوقيف على الدليل، وأين الدليل الدال على هذه السببية ؟ فإننا لا نعلم دليلاً يدل على ذلك،

بل قد ورد الدليل المانع من ذلك كما في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله - ﷺ - صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل فلما سلم، أقبل علينا بوجهه وقال »هل تدرون ماذا قال ربكم ؟« قالوا: الله ورسوله أعلم، قال »أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب. (٤٥٧)

« والكفر هنا يتنوع باختلاف الاعتقاد في هذه النسبة فإن كانت نسبة إيجاد وإحداث فشرك أكبر وإن كانت نسبة سبب فشرك أصغر وذلك لأن الأصل في الأسباب التوقيف، فما لم يدل الشرع على سببيته، فإنه ليس بسبب وإن اعتقده بعض الناس سبباً، فإن السبب الشرعي إنما يستفاد من الشارع، وأما الحالة الثالثة: فهي نسبة توقيت، فهي جائزة لا بأس بها إلا إذا كانت موهمة فتترك سداً للذريعة والله أعلم.

ومنها: وضع المصحف في السيارة يقصد حمايتها، فهذا لا يجوز لأنه لم يأت دليل يدل على أن وضع المصحف في السيارة من جملة الأسباب التي تدفع الضرر عن الموضع التي هي فيه، بل ورد الدليل المانع من ذلك وهو ما سقناه لك في الفرع الأول، لأنه نوع تميمة، فحيث لم يأت دليل يثبت هذه السببية فالأصل منعها لأن الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف على الدليل الشرعي الصحيح. تعريف الطلاب بأصول الفقه في سؤال وجواب ٢ - (ج ١ / ص ١٣٧)

(٤٥٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ (٧٣).

ومنها: الدعاء عند القبر معتقداً أن الدعاء قريباً منه من أسباب إجابة الدعاء وهذا طامة كبيرة جداً، وأعني أن يدعو الله لنفسه، أما إذا دعا صاحب القبر من دون الله فهذا لا يختلف أهل العلم في أنه وقع في الشرك الأكبر، ولكن الكلام هنا على من قصد القبر ليدعو الله لنفسه ويظن أن الدعاء عند القبر من أسباب الإجابة وهذا ظن خاطئ باتفاق العلماء، فإننا لا نعلم عن أحد من العلماء، أنه قال إن الدعاء عند القبر أفضل منه في المساجد، فهذه السببية لا أساس لها ولا أصل لها من الصحة بل هي وسيلة من وسائل الشرك لأن صاحبها يعتقد سبباً ما ليس بسبب شرعاً ولا قدراً، والأصل في إثبات الأسباب الشرعية التوقيف على الأدلة وليس إثبات الأسباب مرده الهوى وموروثات الآباء والأجداد وما كان عليه الأسلاف ولا مرده العادات والتقاليد والمذاهب، بل لا يؤخذ السبب إلا من الأدلة، فما أثبتته الأدلة وجعلته سبباً فهو السبب وما لا فلا وألف لا، فأين بالله عليك الدليل الدال على أن الدعاء عند القبر من أسباب الإجابة؟ فوالله إنا لا نعلم دليلاً في الدنيا يدل على ذلك، بل الأدلة متوافرة على المنع منه، فإنه هذا أمر محدث،

وفي الحديث وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة في ضلالة، (٤٥٨)

وهو أمر لم يفعله النبي - ﷺ - ولا فعله أحد من أصحابه ولا أحد من التابعين ولا أحد من سلف الأمة وأئمتها، مع أنه كانت تنزل عليهم المصائب وتحل بهم الفتن والدواهي من الحروب والفقر والاختلاف والقحط والأمراض ونحو ذلك، ومع ذلك فلم يكن أحد منهم يأتي لقبر النبي - ﷺ - أو لقبر أحد من أصحابه الذين ماتوا فيدعو عنده هذا ما لم يحصل أبداً، ومن نقل عن أحدٍ أنه كان يفعل ذلك أو يقر عليه من فعله فقد كذب وافترى إثماً كبيراً،

وفي صحيح البخاري من حديث أنس »أنهم كانوا إذا قحطوا في المدينة استسقى عمر بالعباس فيقول: اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا يا عباس قم فادعه، فيقوم فيدعو فيسقون. (٤٥٩)

---

(٤٥٨) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧).

« فالدعاء للنفس عند القبر من البدع المذمومة والقبائح المنكرة ومن الوسائل الشركية ولاشك فحيث لم يأت على سببية دليل من الكتاب والسنة فإن الأصل عدم سببيته، لأن الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف على الأدلة الشرعية والله أعلم.

ومنها: تعليق استحباب فعل عبادة شرعية بسبب معين، سواءً كان زمانياً أو مكانياً، ذلك لا يثبت إلا بدليل، كاعتقاد سببية ابتداء النكاح لاستحباب قراءة الفاتحة فإنه بدعة لأنه لم يثبت بذلك دليل فالأصل عدم سببيته، وكاعتقاد سببية حلول شهر رجب لصيامه أو لقيام بعض لياليه ونحو ذلك فإن ذلك كله بدعة لأن الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف، وكاعتقاد سببية مرور ذكر الميت لاستحباب قراءة الفاتحة على روحه فإنه بدعة ولاشك، لعدم ورود الدليل والأسباب مبناها على التوقيف، وكاعتقاد سببية حلول اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول لاستحباب الاحتفال بالمولد النبوي، فإنه من البدع لأنه لم يثبت أن حلول هذا اليوم سبب للاحتفال، ولا اعتداد بفعل الأكثر، فإن الحق لا يعرف بالكثرة وإنما الحق يعرف بموافقة الأدلة الصحيحة الصريحة، وكاعتقاد جواز صرف شيء من التعبدات للولي بسبب ظهور الكرامة على يديه، فإن هذا شرك أكبر، ولم يأت دليل يثبت أن ظهور الكرامة على يد الولي من الأسباب الموجبة لصرف شيء من التعبدات له، والأسباب الشرعية مبناها على التوقيف، فضلاً عن الأدلة الكثيرة والتي تدل على أن العبادة حق صرف لله تعالى لا يجوز صرفها لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح، فضلاً عن صرف شيء منها لحجرٍ أو شجرٍ ونحو ذلك، وبالجملة فكل البدع القولية والعملية والتي يعلقها أصحابها بحلول أسباب معينة، تدخل تحت هذه القاعدة، فيقال لهم: إنكم تربطون هذه العبادة الشرعية بسبب، والأصل أن الأسباب الشرعية مفتقرة في ثبوتها للأدلة الشرعية الصحيحة الصريحة، فأين الدليل على إثبات هذه السببية؟وحيث لا دليل عليها -أي على هذه السببية- فالأصل عدمها لأن القاعدة المتقررة عند أهل السنة قاطبة:- أن الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف على الدليل الشرعي الصحيح الصريح والله أعلم.

---

(٤٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، بَابُ سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الِاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا (١٠١٠)، وفي كتاب المناقب، بَابُ ذِكْرِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧١٠).

ومنها: الاعتقاد في النذر، فإن بعض الناس -هداه الله تعالى- يظن أنه بالنذر يحصل له المطلوب ويندفع عنه المكروه المرهوب، فهو يظن أن النذر من الأسباب التي يستجلب بها الخير ويستدفع بها الشر، وهذا دليل الجهل بالكتاب والسنة، فإن هذه السببية لم يأت دليل على إثباتها، أي لم يرد دليل من الكتاب ولا من السنة يفيد أن النذر من جملة الأسباب التي ينال بها الخير ويدفع به الضر، فحيث لا دليل يثبت هذه السببية فالأصل عدمها، لأن الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف على الدليل، فلا يجوز لك البتة أن تعتقد أن النذر سبب للشفاء ولا أن النذر سبب للنجاح ولا لقدوم الغائب ونحو ذلك، بل إنه قد ورد الدليل الشرعي الصحيح الصريح بنفي كون النذر من أسباب تحصيل الخير،

وذلك فيما رواه الشيخان من حديث ابن عمر أن النبي - ﷺ - نهى عن النذر وقال »إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل.(٤٦٠)

« وهذا اعتقاد فاشٍ في كثير من الناس يجب على طلبة العلم تصحيحه فإن قيل لك: ولماذا لا يجوز اعتقاد سببية النذر لجلب الخير؟ فقل: للدليل الأثري والنظري فأما الأثري فللحديث السابق آنفاً وأما النظري فلأن ربط الشيء بالشيء على وجه السببية مفتقر إلى دليل من الشارع، وحيث لا دليل فالأصل المنع لأن الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف على إثبات الشارع وهذا واضح والله أعلم.

ومنها: أن بعض الناس ولا سيما في مصر الحبيبة، إذا أراد أحدهما أن يفارق الآخر فإنه يقول: (لا إله إلا الله) ويقول الآخر راداً عليه (محمداً رسول الله) ويزعمون أن قول ذلك من أسباب الحفظ في هذا السفر أو في هذا الخروج وهذه سببية لا نعلم لها دليلاً بخصوصها من الكتاب ولا من السنة نعم هو -أي ذكر الشهادتين- مشروع بالأصل والإطلاق ولكن هنا يذكرونه على صفةٍ مخصوصة وبقصد مخصوص وهذا مما لا دليل عليه، وقد بلغنا نبينا - ﷺ - كل الشرع ولم نجد ذكر ذلك في شيء من الأدلة، فلو كان ذلك مشروعاً لفعله النبي - ﷺ - ولو

---

(٤٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ إِلْقَاءِ النَّذْرِ العَبْدَ إِلَى القَدَرِ (٦٦٠٨)، (٦٦٠٩)، وفي كتاب الأيمان والنذور، بَابُ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ (٦٦٩٢)، (٦٦٩٣)، (٦٦٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب النذر، بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا (١٦٣٩)، (١٦٤٠).

مرة واحدة ليبين للأمة مشروعيته فلما لم يفعله دل على أنه ليس من الشرع لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، فإن هذا الشيء لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أحد من أصحابه ولا أحد من سلف الأمة وأئمتها بل لا نعلمه عن أحدٍ يعتد به حتى في القرون المتأخرة، وإنما هو شيء فعله هؤلاء استحساناً وتقليداً وإلا فلا أصل له في الشرع والأصل في العبادات الوقف والأصل في الأحكام الشرعية الوقف على الدليل والأصل في الأسباب الشرعية الوقف على الدليل، وأنا لا أتكلم على أصل الشهادة فإنها قاعدة الدين وإنما أتكلم عن إخراجها بهذا الوصف المخصوص وبهذا القصد المخصوص فهو الذي لا دليل عليه والله أعلم.

ومنها: أن العلماء رحمهم الله تعالى قرروا أن الأصل في العبادات الإطلاق، وأن المتابعة شرط من شروط صحة أي عبادة، أي أن نوقع العبادة كما أوقعها النبي - ﷺ - وذكروا رحمهم الله تعالى أن المتابعة يدخل تحتها، المتابعة في الجنس والسبب والصفة والزمان والمكان والقدر، وهي جهات التعبد الست، وبناءً عليه فمن جاء بعبادة لا جنس لها في الشرع فهي رد على صاحبها ومن اخترع سبباً لا دليل عليه ورتب عليه شيئاً من التعبدات فإنه رد عليه، ومن اخترع صفة لعبادة لا دليل عليها فهي رد عليه، ومن ربط عبادة بزمان أو مكان لا دليل عليه فهو رد عليه، ومن حدد مقداراً بقصد التعبد بهذا التحديد وهو لا دليل عليه فإنه رد عليه، فلا تصح العبادة إلا إذا استوفيت هذه الجهات كلها، والمقصود أن مما نص عليه أهل العلم (السبب) أي الاتفاق في السبب، فلا يجوز مخالفته - ﷺ - في أي شيء حتى في السبب فأي عبادة قوليه أو فعليه ربطت بسبب لا دليل عليه فهي وسببها رد على صاحبها لأنه أحداث في الدين ما ليس منه والمتقرر في القواعد أن كل أحداث في الدين فهو رد، كما قال - ﷺ - »من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد(٤٦١) أي ما ليس منه جنساً وما ليس منه سبباً وما ليس منه زماناً وما ليس منه مكاناً وما ليس منه صفة وما ليس منه مقدار كل ذلك رد على صاحبه

(٤٦١) أخرجه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ (٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ (١٧١٨).

لأن العبادة لا تقبل إلا بالإخلاص والمتابعة والله أعلم، والفروع على هذه القاعدة كثيرة ولعل فيما مضى فيه كفاية إن شاء الله تعالى وخلاصته أمران:-

الأول: أن واضع الأسباب هو الشارع.

الثاني: أن الأصل المتقرر في الأسباب أنها موقوفة على الأدلة والله ربنا أعلى وأعلم.

القاعدة الثانية :ـ (الأسباب مؤثرة لا بذاتها) أقول :ـ انقسم الناس في مسألة تأثير الأسباب إلى ثلاثة أقسام على وجه الإجمال، الفرقة الأولى:- معطلة الأسباب وهم الذين قالوا إن الأسباب لا تأثير لها البتة، فالأسباب وإن حصل عند حدوثها أثر، إلا أنها لا دخل لها فيه أبداً وإنما هذا الأثر حصل عندها لا بها، فإذا رمى أحد زجاجة بحجر فانكسرت، فإن هذا الانكسار لا علاقة بينه وبين إصابة الحجر مطلقاً، بل الله تعالى أوجد الانكسار عند ارتطام الحصاة بالزجاج قدراً، بحيث أنه حتى لو قدرنا عدم حصول هذه الرمية لوجد الانكسار، وهذا هوس في العقل، وقدح في الشرع، ومناقضة للمنقولات وللقضايا الحسيات وللمعقولات المتقررات ولو عرض على بهيمة لما قبلته، وحق الواحد من هؤلاء أن يركل في بطنه وظهره عدة ركلات قوية صباحاً ومساءً فإذا تألم قيل له: إن الألم حصل عند الركلة لا بها، وما أشد فرح القاتل بهذا المذهب، فإنه سيقول: إن موت الجني عليه حصل عند رمية الرصاصة لا بها،وبالجملة فهذا المذهب مرفوض تماماً وقابلهم طائفة ثانية يقال لهم: مشركة الأسباب، وهم الذين غلوا في إثبات السبب حتى جعلوه هو المؤثر بذاته، أي أن الله تعالى لا شأن له في خلق الأثر ولا تقديره وإنما السبب ذاته هو الذي أوجد هذا الأثر بنفسه وهذا شرك في الربوبية لأنهم يعتقدون خالقاً مدبراً ومؤثراً ومتصرفاً في هذا الكون غير الله تعالى. فالفرقة الأولى فرطت في الربط بين السبب وأثره فقالت لا رابطة بينهما مطلقاً، أي ليس بينهما مطلق الرابطة، والفرقة الثانية غلت وتجاوزت الحد في إثبات تأثير الأسباب حتى جعلوه هو المؤثر بذاته فجعلوا له التأثير المطلق، وكلاهما على طرفي نقيض، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم والحق هو الوسط ولم يفز به إلا أهل الوسطية، الخيار العدول، أهل السنة والجماعة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى وأعلى الله

منارهم وسدد خطاهم وغفر لأمواتهم وثبت أحياءهم وجمعنا بهم في الجنة، فإنهم توسطوا كعادتهم بين الفرقتين، فقالوا: لا نعطي السبب التأثير المطلق ولا نسلبه مطلق التأثير، بل هو مؤثر بجعل الله له مؤثراًَ، أي أن التأثير الذي أكتسبه هذا السبب ليس ذاتياً بل بجعل الله له مؤثراً،فالرابط بين الأسباب وآثارها هو الله جل وعلا، فإذا شاء الله بحكمته وعلمته وعدله ورحمته أن يمضي أثر السبب أمضاه، وإذا شاء أن لا يمضيه ما أمضاه، لأنه سبحانه بيده الأمر كله أوله وآخره، وسره وعلانيته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره جل وعلا فالسبب عند أهل السنة مؤثر ولكن لا بذاته وإنما بتقدير الله تعالى، وهم في هذا المذهب وسط بين هاتين الفرقتين، وبيان ذلك أن قول أهل السنة (السبب مؤثر) فيه رد على معطلة الأسباب الذين نفوا تأثير السبب، وقولهم رحمهم الله تعالى (ولكن لا بذاته وإنما بجعل الله مؤثراً) رد على مشركة الأسباب فلم يعطلوا السبب عن أثره ولم يعطوه التأثير المطلق الذاتي.والله أعلم .

القاعدة الثالثة :ـ (كل من اتخذ سببًا لم يدل عليه شرع ولا قدر فشرك أصغر وإن اعتقده الفاعل بذاته فشرك أكبر) أقول : وهذه القاعدة مهمة أيضًا في باب الأسباب وآثارها .وبيانها أن يقال : إن المتقرر في القواعد أنه لا خالق إلا الله تعالى ، وقد ذكرنا سابقًا أن الأسباب لابد لها من آثار .وبناءً عليه : فمن اعتقد أن هذا الشيء سبب لهذا الشيء ، فإن دعواه هذه موقوفة على إثباتها بأحد دليلين ، إما بدليل الشرع وإما بدليل القدر أي التجربة ، فإذا أثبت هذه الدعوى بأحد هذين الدليلين قبلنا كلامه واعتقدنا سببية هذا الشيء لهذا الشيء ، وأما إذا لم يكن هناك دليل يثبت صدق الدعوى لا من الشرع ولا من القدر فإن كلامه مردود عليه مضروب به في وجهه ولا كرامة له ، بل ونقول له : إن اعتقادك هذا شرك أصغر ؛ لأنك تدخلت فيما هو من خصائص الله تعالى ، فالله تعالى هو الذي يربط بين الأسباب وآثارها ، فلابد لاعتقاد سببية شيء لشيء من دليل شرعي أو قدري ، وأما أن يزعم أحد سببية شيء لشيء بلا دليل ، فهذا تدخل فيما هو من فعل الله تعالى وإقحام للنفس فيما قد اختص الله به ، وأقل أحواله أن يكون شركًا أصغر ، وهذا هو معنى قولنا : ((من اعتقد سببًا لم يدل عليه شرع ولا قدر فشرك أصغر)) وبناءً عليه : فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن هذا الشيء سبب لهذا الشيء إلا بالدليل

وإلا لكان واقعًا في هذا المحظور العظيم ، ويزداد الأمر سوءًا على سوء إذا كان يعتقد أن السبب هو الفاعل بذاته ، وهذا هو الشرك الأكبر المخرج عن الملة بالكلية ، وهو اعتقاد مشركة الأسباب الذين ذكرناهم في القاعدة الأولى ، وهذا هو معنى قولنا : ((وإن اعتقده الفاعل بذاته فشرك أكبر)) ، وذلك كمن يعتقد أن التمائم هي التي تجلب الخير وتدفع الشر بذاتها ، وكمن يعتقد أن الرقية تدفع المرض بذاتها ، أو اعتقد أن الأنواء هي التي أنزلت المطر بذاتها ، أو اعتقد أن هذا الشيء الذي تبرك بهو هو الذي يفيض البركة عليه بذاته ، كل ذلك من الشرك الأكبر الذي يخرج من الإسلام بالكلية ، فهذه بعض الأمثلة على هذه القاعدة ، وخلاصتها أن يقال

أولاً : من اعتقد سببًا قد دل على سببيته الشرع فلا شيء عليه .

ثانيًا : من اعتقد سببًا قد دل على سببيته القدر فلا شيء عليه .

ثالثًا : من اعتقد سببًا لم يدل عليه شرع ولا قدر فشرك أصغر .

رابعًا : من اعتقد في سبب أنه هو الفاعل بذاته فشرك أكبر ، والله أعلى وأعلم .

القاعدة الرابعة :ـ (الالتفات إلى الأسباب مطلقًا شرك في الشرع ، وعدم الالتفات لها مطلقًا قدح في الشرع ، والأخذ بها مع كمال التوكل على الله هو حقيقة الشرع) أقول : لقد اشتملت هذه القاعدة على ثلاث فقرات :

الفقرة الأولى : وهو شأن مشركة الأسباب الذين لا ينظرون إلا إلى السبب ؛ وذلك لاعتقادهم أنه هو المؤثر بذاته ، وقد علمت أن هذا الاعتقاد شرك في توحيد الربوبية لاعتقاد أن ثمة خالقًا ومتصرفًا في هذه الكون غير الله تعالى ، فهذه نظرة متطرفة جائرة قد تعلقت قلوب أصحابها بالمخلوق العاجز الضعيف وانصرفت عن التعلق بالخالق القوي القادر من كل وجه ، فخابوا الخيبة المطلقة وخسروا الخسران المبين ، نعوذ بالله منهم ومن حالهم .

الفقرة الثانية : وهو شأن معطلة الأسباب الذين صرفوا نظرهم الصرف المطلق عن تحصيل الأسباب اعتمادًا على القدر ، فتركوا العمل والسعي اتكالاً على ما

كتب وسبق به القلم ؛ وذلك لأنهم ظنوا أنه لا تأثير للأسباب في المسببات أبدًا ، فحيث لا تأثير لها فلماذا يتعبون أنفسهم في تحصيلها ، وهذا الاعتقاد قدح في الشرع ؛ لأن الشرع قد رتب الآثار على أسبابها وربط الكون بعضه ببعض ، وأمرنا بتحصيل الأسباب الشرعية والقدرية ، فأمرنا بالعمل الصالح لأنه سبب لدخول الجنة ، وأمرنا بالجهاد حتى لا تكون فتنة ، وقال لنا : ؟ {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥]، وغير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ، فيأتي هؤلاء الأغبياء الحمقى ويقولون : إنه لا تأثير للأسباب ، فأي قدح في الشرع أعظم من ذلك ، وأي تعطيل للأدلة التي تثبت الأسباب أعظم من ذلك ، فهاتان الفرقتان الضالتان قد تاهتا في باب الأسباب ، ففرقة زلت بها القدم في مهاوي الشرك ، وفرقة زلت بها القدم في القدح في الشرع ، وعصم الله أهل السنة والجماعة - رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى - فتوسطوا بين المذهبين فقالوا : نأخذ بالأسباب ونتوكل أولاً وآخرًا على الله تعالى وهو الفقرة الثالثة : فجمعوا بين الأمرين فسعوا في تحصيل الأسباب مع اعتماد قلوبهم الاعتماد المطلق على ربهم جل وعلا ، فلا هم اعتمدوا على الأسباب الاعتماد المطلق كما فعل مشركة الأسباب ولا هم عطلوا الأسباب وتركوا تحصيلها الترك المطلق كما فعل معطلة الأسباب ، بل أخذوا بالأسباب وسعوا في تحصيلها وتوكلوا على الله حق التوكل ، وهذا هو الصراط المستقيم والنهج القويم ، بل ما صدق في دعوى التوكل من ترك تحصيل الأسباب ، فإنه لو كان صادقًا لأخذ بها ، فالأخذ بالأسباب من تمام التوكل على الله تعالى .

فهذا سيد المتوكلين - عليه الصلاة والسلام - قد دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، وظاهر يوم أحد بين درعين ، وقد تواترت الأدلة التواتر المعنوي بحرصه ؟ على الأخذ بأذكار الصباح والمساء ، وذلك أخذًا بأسباب الحفظ ، وثبت عنه أنه كان يحرص أن يضع بين يديه العنزة لتكون سترة له أخذًا بأسباب حفظ صلاته من القطع أو نقص الأجر ، وكان في بداية أمره ؟ مستخفيًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم ولا يصلي إلا في الشعاب بأصحابه أخذًا بأسباب حفظ بيضة المسلمين ، وهاجر هو وأبو بكر ليلاً مستخفيين أخذًا بأسباب السلامة من العدو ، واستأجر في سفر الهجرة عبدالله بن الأريقط هاديًا خريتًا أخذًا بأسباب الاهتداء للوجهة

الصحيحة وعدم الضياع ، ولما أدركهم سراقة أمره ؟ بإخفاء خبرهم ووعده تاج كسرى بن هرمز أخذًا بأسباب الاحتماء من العدو ومن كيده ، واتخذ خاتمًا من فضة نقشه محمد رسول الله أخذًا بأسباب قبول وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله وهي المكاتبة ، لأنه قيل له إن الروم لا يقرأون الكتاب إلا إذا كان مختومًا ، واتخذ المنبر ليخطب عليه أخذًا بأسباب إبلاغ الصوت لمن كان بعيدًا ، وبنى حجر نسائه حول المسجد أخذًا بأسباب الاستتار عن الأعين ، وباع واشترى أخذًا بأسباب تحصيل المعاش، وكان يتسحر ويأمر به أخذًا بأسباب التقوية على الصيام، وأفطر يوم عرفة وأظهر فطره للناس ليتقوى على الاجتهاد في الدعاء ، وأفطر في سفر من أسفار الجهاد وأظهر فطره للناس ليتقوى على مواجهة العدو وقتالهم ، وكان يتخول الصحابة بالموعظة في الأيام أخذًا بأسباب عدم إملالهم أي لئلا تدخل السآمة في قلوبهم من المواعظ ، وآخى بين المهاجرين والأنصار في بداية الهجرة ليرسخ أخوة الإيمان في القلوب ولإزالة الوحشة من النفوس وليكسر حاجز العوائد وليكتسب بعضهم من بعض عاداته وتقاليده وليخفف على المهاجرين ألم الفقر والغربة وفراق الأهل والأولاد والأوطان وغير ذلك ، فهذه المؤاخاة أخذًا بأسباب هذه المصالح كلها .

والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر ، وكلها بمجموعها تثبت هذه القضية المهمة ، وهو وجوب الأخذ بالأسباب واعتماد القلب على الله تعالى ، وهذا هو حقيقة الشرع ، فالشرع جاء بالأمر بتحصيل الأسباب وجاء بالأمر بالتوكل على الله تعالى ، فلا تنافي بينها ، بل هما متلازمان متآلفان يكمل أحدهما الآخر ، فمن أخذ بالأسباب فقط فقد قصر ، ومن توكل فقط فقد قصر ، ومن أخذ بالأسباب وتوكل فهو المؤمن الصادق والموحد الموفق ، والله يحفظنا وإياك ، فهذه قواعد الأسباب عند أهل السنة مع شيء من شرحها ، والله أعلى وأعلم .

فقول الناظم (وتؤثر الأسباب)هذا فيه رد على مذهب معطلة الأسباب ، وقوله (ليس بذاتها) رد على مذهب المشركية في الأسباب ، (لكن) أي أن السبب اكتسب تأثيره من الله تعالى ، فالله تعالى هو خالق السبب والأثر ، ولذلك قال الناظم (لكن بتقدير من الرحمن) والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

لا تسألن بوجه ربك حاجة   إلا دخولك جنة بأمان

أقول :ـ قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد (باب لا يسأل بوجه الله تعالى إلا الجنة) (٤٦٢) ثم روى بعد ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة " رواه أبو داود (٤٦٣).

ولكنه حديث ضعيف فإن فيه سليمان بن معاذ التميمي ، وقد ضعفه ابن معين ، وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان ، والنسائي ،

وقال الشيخ ابن باز في تعليقه على كتاب التوحيد (الحديث في سنده بعض الضعف ولكن ترجمة المؤلف اجتهاداً منه من باب الحيطة والكمال وإلا فقد جاءت أحاديث في السؤال بوجه الله غير الجنة) (٤٦٤)

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى (هذا الباب عقده الشيخ رحمه الله في "كتاب التّوحيد" لأنّ تعظيم صفات الله سبحانه وتعالى من تعظيم الله، وتعظيمُها من التّوحيد، لأنه تعظيمٌ لله سبحانه وتعالى، وأمّا عدمُ تعظيمِها فإنّه تنقُّصٌ للتّوحيد، لأنّه تنقُّصٌ لله عزّ وجلّ) (٤٦٥)

وقال رحمه الله تعالى في الإرشاد (ومن احترام أسماء الله تعالى أنه لا يسأل بوجه الله تعالى إلا الجنة؛ إجلالا له وإكراما له وتعظيما له .

---

(٤٦٢) كتاب التوحيد (١/ ٥٨).

(٤٦٣) ضعيف جدًا

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى (١٦٧١)، وابن منده في الرد على الجهمية (١/ ٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨٨٩) وفي شعب الإيمان له (٣٢٥٩).

من طريق: يعقوب بن إسحاق الحضرمي، عن سليمان بن معاذ التميمي، حدثنا ابن المنكدر، عن جابر، به.

ففيه: سليمان بن معاذ التيمي، وهو منكر الحديث.

(٤٦٤) التعليقات البازية (١/ ٧٨).

(٤٦٥) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٢٦).

عن جابر رضي الله عنه؛ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) . (٤٦٦) رواه أبو داود .فلا يسأل بوجه الله تعالى ما هو حقير من حوائج الدنيا، وإنما يسأل به ما هو غاية المطالب، وهو الجنة، أو ما هو وسيلة إلى الجنة مما يقرب إليها من قول أو عمل) (٤٦٧) والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

واحذر من العمل المراد به الريا وعليك بالإخلاص للرحمن

أقول :ـ الكلام على هذا البيت في فروع :ـ

الفرع الأول :ـ المراد بالرياء هو التصنع بالعبادة للخلق لا لله تعالى ، بمعنى أن يفعل العبد العبادة ويجملها ويحسنها لا لنظر الله تعالى وإرادة التعبد له جل وعلا ، وإنما لإرادة المدح والثناء من الناس .

الفرع الثاني :ـ وقد أجمع أهل العلم على تحريم الرياء ، وقد وصفته الأدلة بأنه شرك ، وقد وردت الأدلة الكثيرة تحرمه وتذم فاعله ، وقد جعلته الشريعة من جملة محبطات الأعمال ، والمتقرر أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه ، قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [هود: ١٥، ١٦] وقال تعالى {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: ٢، ٣] وقال تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة: ٥] وقال تعالى {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر: ١٤] وقال

---

(٤٦٦) ضعيف جدًا

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى (١٦٧١)، وابن منده في الرد على الجهمية (١/ ٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨٨٩) وفي شعب الإيمان له (٣٢٥٩).

من طريق: يعقوب بن إسحاق الحضرمي، عن سليمان بن معاذ التميمي، حدثنا ابن المنكدر، عن جابر، به.

ففيه: سليمان بن معاذ التيمي، وهو منكر الحديث.

(٤٦٧) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (١/ ١٤٨).

النبي ﷺ " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " (٤٦٨) متفق عليه ،

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " (٤٦٩)

وقال عليه الصلاة والسلام " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " فسئل عنه فقال " الرياء " (٤٧٠)

وقال عليه الصلاة والسلام " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال" ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : "الشرك الخفي يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل " (٤٧١) رواه أحمد،

---

(٤٦٨) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الوحي (١)، وفي كتاب الإيمان، بَابٌ: مَا جَاءَ إِنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالحِسْبَةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى (٥٤)، وفي كتاب العتق، بَابُ الخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ فِي العَتَاقَةِ وَالطَّلاَقِ وَنَحْوِهِ، وَلاَ عَتَاقَةَ إِلَّا لِوَجْهِ اللَّهِ (٢٥٢٩)، وفي كتاب المناقب، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ (٣٨٩٨)، وفي كتاب النكاح، بَابُ مَنْ هَاجَرَ أَوْ عَمِلَ خَيْرًا لِتَزْوِيجِ امْرَأَةٍ فَلَهُ مَا نَوَى (٥٠٧٠)، وفي كتاب الأيمان والنذور، بَابُ النِّيَّةِ فِي الأَيْمَانِ (٦٦٨٩)، وفي كتاب الحيل، بَابٌ فِي تَرْكِ الحِيَلِ، وَأَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فِي الأَيْمَانِ وَغَيْرِهَا (٦٩٥٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ» ، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ (١٩٠٧).

(٤٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ (٢٩٨٥).

(٤٧٠) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٦٣٠)، (٢٣٦٣١)، (٢٣٦٣٦)، وإسماعيل بن جعفر في أحاديثه (٣٨٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٤٣٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤١٢)

من طريق: عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الشيخين.

(٤٧١) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١١٢٥٢)، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة (٤٢٠٤)، وحنبل بن إسحاق في الفتن (٣٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٨١)، والحاكم في المستدرك (٧٩٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤١٣).

والرياء شرك السرائر لما روى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال : خرج علينا رسول الله ؟ فقال : ((أيها الناس إياكم وشرك السرائر...)) (٤٧٢) الحديث بلفظ الحديث السابق ...والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدا ، والله أعلم .

الفرع الثالث :ـ فإن قلت :ـ وما الفرق بينه وبين التسميع المذكور في قوله: ((ومن سَمَّعَ سَمَّعَ الله به)) (٤٧٣)،

فأقول : السمعة من الرياء إلا أنها تختص بما من شأنه أن يسمع من الأقوال والرياء بما يرى من الأفعال ، فالرياء غالبًا يكون في الأفعال والسمعة تكون في الأقوال كقراءة القرآن وتعليم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل مدح الناس وثنائهم فقط أو لنيل منصب دنيوي ، والله أعلم .

الفرع الرابع :ـ فإن قلت :ـ وهل الرياء يبطل العمل ؟ فأقول :ـ هذا فيه تفصيل ذكره ابن رجب وغيره من المحققين من أهل العلم وخلاصته أن يقال : إذا كان الرياء من أصل العمل أي هو الباعث على العمل فهذا العمل باطل من أساسه ، وأما إذا كان الرياء ليس من أصل العمل ولكنه طرأ على العمل فهذا لا يخلو إما أن يجاهده ويبعده عن نفسه ولا يرضى به ولا يأنس أو يسترسل معه فهذا الطروء لا يؤثر على العمل ، بل صاحبه يؤجر على هذه المدافعة كما قال تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت: ٦٩] ، وإما أن يرضى به وتقبله نفسه ويعمل من أجله ويسترسل معه فهذا لا يخلو : إن كان

من طريق: كثير بن زيد، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن أبي سعيد، به.

فيه: كثير بن زيد، وهو وإن كان صدوقًا إلا أنه يخطئ، وشيخه ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد، مجهول، ونقل عن البخاري أنه قال: منكر الحديث.

(٤٧٢) صحيح

أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٤٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٧٢).

من طريق: سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، ولم أقف له على علة.

(٤٧٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ (٦٤٩٩)، وفي كتاب الأحكام، بَابُ مَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ (٧١٥٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ (٢٩٨٦).

العمل لا يصح أوله إلا بصحة آخره كالصلاة فإنه يبطلها كلها ، أي في أي جزء وقع فيه الرياء الذي استرسل به ورضيته نفسه فإنه يكون مبطلاً لها جميعها ، وإن كان لا يتعلق صحة آخره بصحة ما بعده فهذا لا يبطل الرياء منه إلا ما قابله فقط وذلك كرجل تصدق بصدقتين إحداهما لم يداخله الرياء فيها والثانية داخله الرياء فيها فلا يبطل إلا ما داخله الرياء ، وكرجل صام يومًا تطوعًا بإخلاص ، ولكنه داخله الرياء في اليوم الثاني ، فلا يبطل إلا ما داخله الرياء ، فهذا هو خلاصة الجواب ، والله أعلم .

الفرع الخامس :ـ فإن قلت :ـ وكيف يشتد خوف النبي ﷺ علينا من الرياء أشد من خوفه علينا من فتنة المسيح الدجال ، مع عظم فتنته وكبر خطره ؟ فأقول : العلة في ذلك والله أعلم هي ما يلي :

الأول : أن فتنة الدجال فتنة ظاهرة تعرف بعلامات ظاهرة ، وأما الشرك الخفي فإنه شيء خفي في القلوب لا يطلع عليه إلا علام الغيوب.

الثاني: أن فتنة الشرك الخفي خطرها على الأمة أجمع من لدن النبي ؟ أي من عهده إلى آخر الدنيا ، فخطره عام على الأمة كلها ، وأما الدجال فإن فتنته تكون في آخر الزمان ، وقد فني أكثر الأمة ولم يبق منها إلا القليل ، فالرياء فتنة تبتلى بها عامة الأمة ، وأما الدجال ففتنته يبتلى بها بعض الأمة .

الثالث: أن الدجال عدو منفصل يمكن التحرز منه فإن المدينة ومكة حرام عليه ، وقراءة أوائل سورة الكهف عصمة منه ، أما الشرك الخفي فإن مصدره النفس التي بين جنبيك وهي عدو ملازم لا ينفك عنك إلا ما شاء الله تعالى ، ولاشك أن خطر العدو الباطني الملازم الذي يعسر التحرز منه أعظم من خطر العدو المنفصل الذي لا يشق التحرز منه ، والله أعلم.

الفرع السادس :ـ والمتقرر عند أهل العلم رحمهم الله تعالى أن الأعمال بنياتها والأمور بمقاصدها ، وهي من أصول الإسلام العظيمة وقواعده الكبيرة المتفق عليها ، وبيناها أن يقال :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن الأعمال وإن اتفقت في صورها في الظاهر إلا أنها تختلف اختلافا كبيرا في بواطنها وذلك على حسب ما

يقوم في قلب العامل من النية والعزم والقصد ، فالأعمال تتفاوت في ثوابها وقبولها بحسب النوايا ، ولذلك قال أهل العلم رحمهم الله تعالى إن هذه القاعدة هي الميزان للأعمال الباطنة ، فكل الأعمال في الباطن فإن ميزانها النية ، فمن كان الباعث له على العمل إرادة وجه الله تعالى والدار الآخرة ، فعمله مقبول مأجور عليه ،

ومن كان الباعث له على العمل مقاصد أخرى غير هذا ، فعمله حابط مردود عليه ، ولذلك قال الناظم رحمه الله تعالى (بها) أي بالنية ، والباء هنا سببية (الصلاح) أي صلاح العمل ، وذلك إن كانت نية طيبة سليمة شرعا (والفساد للعمل) أي إن كانت فاسدة طالحة ، فالنية الصالحة شرعا تفيد صلاح العمل والثواب عليه ، وإن كانت فاسدة فإنها تفيد فساد العمل والعقاب عليه فالعمل في الظاهر تابع للنية في الباطن صلاحا وفسادا ، وكمالا ونقصا ، وهذا يفيدك أن نظر الشرع إنما يكون على النوايا والبواطن قبل النظر في الظواهر ، لأن العمل الظاهري تابع للنية في الباطن ، والمتقرر أن التابع تابع ، فمن كان قصده صالحا كان العمل التابع له صالحا ، ومن كان قصده في الباطن فاسدا ، كان عمله في الظاهر فاسدا ، لأن التابع في الوجود تابع في الحكم، وهذا صورة من صور تلازم الباطن والظاهر ، فالعمل في الظاهر فرع عن النية في الباطن ، فمن صح له أصله صح له فرعه ، ومن فسد أصله فسد فرعه ولابد ، واعلم رحمك الله تعالى أنك وإن استطعت أن تفلت من مراقبة الناس في الباطن ، فإنك لا تستطيع أن تفلت من مراقبة الله تعالى لأنه جل وعلا لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، والسر عنده علانية ، وهو العليم بما في الصدور ، وهو الذي يعلم السر وأخفى ، فالنية عنده جل وعلا واضحة بادية ، فليقبل العبد على تصحيحها ، وليكن همه الدائم مراقبتها ، وليكن على حذر منها ، فإنها عمل الباطن ، ومن المعلوم أن عمل الباطن من أعظم ما يكون مجاهدة ، لأنه دائما يتفلت على صاحبه ، فتصحيح النية مطلب عزيز لا يوفق له إلا من أراد الله تعالى بهم خيرا ، والإخلاص شرط قبول العمل ، فمن عمل بلا إخلاص فعمله مردود عليه ، مضروب به في وجهه ، وإنما يتقبل الله من المتقين ، فهذه القاعدة تطلعك على شرط قبول الأعمال في الباطن ، وهو سلامة النية من التشريك ، والله المستعان .

الفرع السابع :ـ فإن قلت :- وما الأشياء التي تعينني على الإخلاص لله تعالى ، بما أنه مطلب عزيز وعسير إلا على من يسرره الله عليه ، فما المعين عليه ؟ فأقول :- لقد قرر أهل العلم رحمهم الله تعالى أسبابا وأشياء إن راعاها العبد في العمل، فإنه سيعان على الإخلاص إن شاء الله تعالى وهي كما يلي :ـ

الأول :- كثرة دعاء الله تعالى بأن يجعل عمله خالصا لوجهه الكريم ، فإن الدعاء سلاح المؤمن ، وهو أعظم ما يحقق هذا الأمر ، فعلى العبد أن يلح على ربه جل وعلا بصدق وتفان أن يعينه على تحقيق أعلى مراتب الإخلاص ، وليتحر أوقات الإجابة التي ورد بها الدليل كالدعاء في ساعة الإجابة يوم الجمعة ، وفي السجود ، وفي ثلث الليل الآخر ، وفي السفر ، وفي الأزمنة الفاضلة كرمضان والعشر الأواخر منه ويوم عرفة ونحو ذلك ، وفي الأمكنة الفاضلة كمكة والمشاعر والمدينة ، فلابد من الإلحاح في الطلب ، وأن يكون هو ديدنك دائما ، فلرب دعوة صادقة يعلم الله تعالى من قلب صاحبها الصدق تكون سببا لسعادته في دنياه وأخراه ، وقال بعض السلف (إن العبد ليبلغ بدعائه ما لا يستطيعه بعمله) فالدعاء الدعاء أيها المسلمون ، لاسيما الدعاء بالإخلاص ،

ولذلك قال النبي ﷺ ((إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء)) ثم يقول ((اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك)) (٤٧٤)

وأعظم الطاعة الإخلاص في الأعمال ، فمن فتح له باب الدعاء بالإخلاص في العمل فقد فتح له باب عظيم من أبواب الخير والبر والتوفيق ، فأوصيكم ونفسي المقصرة بهذا الأمر فإنه آكد ما يحقق لك هذا المطلوب الأعظم ، والذي هو الإخلاص في الأعمال .

الثاني :- أن يستشعر العبد قبل العمل وفي أثنائه أن الله تعالى مطلع على ما يكنه صدره وعالم به ، وأنه لا يخفى عليه ، فكيف يراعي نظر الناس ويهمل نظر الرب جل وعلا ، فإن محط نظر الناس هو ما يظهر من العمل ، ومحط نظر

---

(٤٧٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ (٢٦٥٤).

الرب هو ما يدور في الباطن من النوايا ، فكيف يقبل العبد على تصحيح ما هو محط الناس رغبة فيهم أو رهبة منهم ، ولا يقبل على تصحيح ما هو محط نظر الرب ، رغبة فيما عنده من الثواب ورهبة مما عنده من العقاب ؟ هذا تناقض عجيب ، ولكن كما قال تعالى {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ} [النساء: ١٠٨]، فهو يستخفي من ذم الناس بتصحيحه لما هو محط نظرهم - وهو الظاهر - ولا يستخفي من ذم الله تعالى بتصحيح ما هو محط نظره - وهو الباطن - ثم يرجو العبد بعد ذلك ثواب الله تعالى وعظيم نواله ، وهذا لا يكون أبدا ، ولذلك فإن من بواعث الإخلاص في القلب أن لا يراقب العبد نظر الناس أبدا ، وإنما يراقب ويستشعر نظر الرب جل وعلا ، كما قال النبي ﷺ في مرتبة الإحسان ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) (٤٧٥)

وأنا ضامن إن شاء الله تعالى لمن راعى هذا الأمر والذي قبله أن يكون في يوم من الأيام ممن يضرب به المثل في الإخلاص في الأعمال .

الثالث :- أن يعلم أن الإخلاص من فروض الشرع في العمل ، وأنه شرط في قبولها ، وأنها لا يصح إلا به وأن تعبه الذي تعبه في العمل لن تكون له ثمرة في الآخرة ولا في الدنيا إلا بالإخلاص ، بل إن عمله الذي فعله بلا إخلاص في الحقيقة وبال وعقوبة عليه ، ولذلك أريد منك أن تسأل نفسك أيها الأخ الكريم :- ما الذي جعلك تأتي للمسجد ؟ فلا جرم أنك ستقول :- طاعة لله تعالى فيما أمر به ، فأقول لك :- فالدافع لك على المجيء هو امتثال الأمر ، فاذكر كذلك أن الإخلاص مما أمرك الله تعالى به ، فكما أنك أفلحت في القيام بواجب الظاهر وهو الحرص على العمل طاعة لله تعالى وامتثال أمره ، فعليك كذلك أن تفلح في تحقيق المأمور في الباطن وهو الإخلاص ، فكلاهما أنت مأمور به ، وكلاهما أنت مسئول عنه ، ومحاسب عليهما جميعا ، بل إن الحساب على أمر الباطن أشد وأعظم وأنكى ، فإن أردت أن تصلي ، فذكر نفسك دائما أنك مأمور بالصلاة ومأمور بالإخلاص فيها ، وإن أردت أن تزكي ، فاستشعر أنك مأمور بالزكاة ومأمور بالإخلاص فيها ، وإن أردت أن تصوم ، فاستشعر أنك مأمور بأمرين :- بالصيام وبالإخلاص في الصيام

---

(٤٧٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

وإن أردت أن تحج أو تعتمر فاستشعر أنك مأمور بأمرين :- بالحج والعمرة ، وبالإخلاص فيهما وهكذا في سائر الأعمال ، فلا تأخذ الأمر بالعمل في الظاهر بمعزل عن استشعار الأمر بالإخلاص في الباطن ، فانتبه لهذا الأمر فإنه مهم جدا ، والغفلة عنه هي التي أوجبت الفساد لكثير من الأعمال ، قال تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة: ٥]فانظر كيف بين أنهم مأمورون بأمرين :- أن يعبدوا الله ، وهذا هو الأمر الأول ، ثم قال {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة: ٥] أي العمل ، وهذا أمر ثان ، وهو الأمر بالإخلاص في العبادات ، وقال تعالى {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر: ١٤]، فبين الله تعالى أن العبد مأمور بالعبادة ، وبالإخلاص في العبادة ، وهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فذكر أيها الحبيب نفسك دائما أنك مأمور بالإخلاص في العبادة كما أنك مأمور بالعبادة ، فمن استشعر هذا وكان هو همه فإنه من المفلحين الرابحين المقبولة أعمالهم ، والله المستعان .

الرابع :- أن تذكر نفسك دائما بعقوبة من عمل لغير الله تعالى أو شرك في نية التعبد ، أو راقب الناس في عمله ، فإن الرياء عقوبته وخيمة في الدنيا والآخرة ، وتذكير النفس بهذه العقوبة قد يكون من الزواجر لها عن النوايا الفاسدة في العمل ، قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [هود: ١٥، ١٦] وهذا كاف في زجر القلوب عن العمل لغير الله علام الغيوب ،

واسمع إلى هذا الحديث الذي يشيب منه الرأس وترتاع لهوله الأفئدة ، قال النبي ﷺ ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي

النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ)) (٤٧٦).

فإن من تأمل هذا الحديث حق التأمل فإنه يتبين له مدى عظيم أمر النية ، فإن هذه الأعمال المذكورة في الحديث هي من أكبر الأعمال العبادية وكان الواجب أن يرتفع بها صاحبها إلى أعلى الدرجات ، إلا أنها خسفت به في أسفل سافلين ، فكيف هذا ؟ إنه فساد الباطن ، هو الذي أوجب له ذلك ، وإلا فلو كانت هذه الأعمال الطيبة الكبيرة مقرونة بنية صالحة ، فناهيك عن الخير الذي سيكون لصاحبها ، ولكن لما تخلفت النية عنها صارت شوما ووبالا وعذابا وعقوبة على فاعلها ، فلو تدبر العبد هذه العقوبة لكفى بها زاجرة والمهم الذي أريد قوله هنا هو أن من دواعي الإخلاص وأسبابه تذكير النفس بعقوبة الرياء ومغبته الخامس :- تنبيه النفس وإقناعها دائما بأن الخلق عن بكرة أبيهم لا يملكون لها نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا قنطيرا ولا قطميرا ، ولن ينفعها مدحهم وإن مدحوها إلى يوم القيامة إن كان الله تعالى غاضبا عليها ، ولن يضرهم ذمهم لها وإن ذموها إلى يوم القيامة إن كان الله تعالى راضيا عنها ، فالخلق ليس بيدهم شيء ، فكيف يقبل القلب على مراءاتهم بالعمل، تحسبا لنفعهم من مدح أو شهرة ؟ وهم لا يملكون هذا ، فلابد من قطع القلب عن النظر إلى الخلق، أقنع نفسك دائما أنهم ليسوا بشيء ، فلا يملكون ثوابا ولا عقابا ولا جنة ولا نارا ، فلماذا أراقبهم في أعمالي ، فهذا الأمر من أنفع ما يكون في قطع التصنع للناس في الأعمال ، لأن العبد لم يراقب الناس في العمل إلا رجاء شيء منهم ، إما جلب منفعة أو دفع مضرة ، فإن كان العبد جازما بأن الله تعالى وحده هو المالك للنفع والضر والثواب والعقاب ، وأن المخلوقين لا يملكون من ذلك شيئا ، فلا يمكن أن يلتفت القلب لأحد منهم ، وإنما سيكون سابحا في طلب مرضاة ربه جل وعلا ومراقبا له وحده ، وهذا هو حقيقة الإخلاص .

---

(٤٧٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ (١٩٠٥).

السادس :- أن يعلم العبد علم اليقين بأن الجزاء والحساب يوم القيامة لا يكون على الدعاوى ، وإنما يكون على حقائق الأعمال ، بالنظر إلى بواطنها والبواعث عليها ، فالحساب يوم القيامة على السرائر والظواهر تبع لها ، كما قال تعالى {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق: ٩]، فالأحكام في الدنيا على الظواهر والسرائر تبع لها ، وأما في الآخرة فهو بالعكس ، فالحساب يوم القيامة لن يكون على دعواك بأنك قد صليت أو زكيت أو حججت واعتمرت أو بررت بوالديك أو تصدقت أو صمت ونحو هذه الدعاوى ، لا ، فالأمر أعظم وأشد من ذلك ، لأن هذا اليوم هو يوم فضيحة البواطن ، فالحساب لن يكون على ما أظهرته من العمل وتصنعت به للعباد ، بل سيكون على نيتك في هذه الأعمال والسريرة التي دفعتك للعمل ، فأعد للسؤال جوابا ، وللجواب صوابا ، فلو أن العبد تذكر هذا قبل العمل وفي أثناء العمل ، وحال هجوم داعي الرياء عليه ، لكان الحال تغيرت والقلوب صفت من هذه القذارة ، أعني قذارة الرياء والتصنع للخلق .

السابع :- أن يقبل العبد على التعرف على الله تعالى بمقتضى أسمائه وصفاته فإن ذلك يورث رجاءه وحده وخوفه وحده ، فإن من عرف الله تعالى عرف أنه المستحق لأن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يوحد بإرادة العمل فلا يشرك معه فيه غيره ، ولذلك فالعارفون بالله تعالى هم المحققون لمقامات الإخلاص ، وأما الجاهلون به جل وعلا فهم المقبلون على تصحيح ظواهر الأعمال لإرضاء الخلق ، فمن أراد الإخلاص حقا فليتعرف على الله تعالى بمقتضى دراسة العقيدة على منهج سلف الأمة ، الثامن :- الحرص الكامل على إخفاء الأعمال ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وأعني بها تلك النوافل التي ليس من السنة فعلها في الجماعة ، فعلى العبد الحريص على أعماله أن تكون أعماله التطوعية في السر لا في العلن فيكون نوافله القبلية والبعدية في البيت ما استطاع إلى ذلك سبيلا ،

كما قال النبي ﷺ ((أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)) (٤٧٧)

وقيام الليل يكون في الخفاء بعيدا عن الأعين والذكر في الصباح والمساء يكون في الخفاء بينك وبين نفسك بلا جهر به ، وهكذا في سائر الأعمال التطوعية ، فإن هذا أدعى للإخلاص وأبعد عن الرياء ، وهكذا كان دأب سلف الأمة كما سيأتينا شيء من صور حرصهم على تحقيق الإخلاص إن شاء الله تعالى .

التاسع :- المجاهدة والمدافعة والصبر واحتساب الأجر في ذلك ، فإن الله تعالى يقول {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت: ٦٩] وأعظم المجاهدة مجاهدة الشيطان وما يلقيه على القلب والروح من النوايا الفاسدة والبواعث الخبيثة ، أعظم المجاهدة مجاهدة النفس الأمارة بالسوء ، ومجاهدة الهوى ، فأمامك أعداء كثر ، إبليس ، والدنيا ونفسك والهوى ، فلابد من إعداد العدة والحذر الكامل ، والمواجهة القوية والصبر والمصابرة والاستعانة بالله تعالى ، ومن صدق مع الله تعالى فلن يخذله ولن يخيبه ، ومن التجأ إليه فلن يسلمه لعدوه ، والله المستعان .

العاشر :- الحرص على الاطلاع على سير سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة الهدى ، وكيف كانوا يحرصون على تحقيق الإخلاص ، وكيف كانوا يعانون في تحقيقه الأمور الصعاب والمشقة الكبيرة ، فإنهم خير سلف لأمتهم ، فعلى العبد أن يقرأ ما دونه العلماء في ذلك ، لعله أن يقتدي بهم ، وأن يكونوا خير أسوة له في تحقيق مراتب الإخلاص ، فإن من عاش مع سلف الأمة فإنه سيفوز بما فازوا به من المراتب العليا والمنازل السامية ، فهذه بعض الأمور المعينة على الإخلاص لعلك تعيد قراءتها بين الفينة والأخرى لتحفظها وتعمل بها فتكون خير معين لك على تحقيق هذا المطلوب الكبير والمقصد العظيم ، والله أعلم .

---

(٤٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، بَابُ صَلاَةِ اللَّيْلِ (٧٣١)، وفي كتاب الأدب، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لِأَمْرِ اللَّهِ (٦١١٣)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ (٧٢٩٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ، وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ (٧٨١).

الفرع الثامن :ـ وإن خير من ننقل كلامه في بيان هذه القاعدة هم سلف الأمة وأئمتها ، فإن سلف الأمة رحمهم الله تعالى لهم القدح المعلى والمنزلة العليا في تحقيق مراتب الإخلاص ، فلابد أن نتعرف على منهجهم في هذه المسألة ، وأنا أذكر لك طرفا من أحوالهم في مجاهدة أنفسهم على تحقيق الإخلاص ، وهي وإن كانت طويلة بعض الشيء ، إلا أن فيها أكبر العبرة وأعظم العظة لمن أراد الله تعالى به خيرا ،

فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه نستمد العون والفضل :- قال الزبير بن العوام رضي الله عنه (من استطاع أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل) (٤٧٨)

وعن أبي العالية رحمه الله تعالى قال (قال لي أصحاب محمد ﷺ :- لا تعمل لغير الله فيكلك الله إلى من عملت له) (٤٧٩)

وسئل حمدون القصار رحمه الله تعالى :- ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال (لأنهم تكلموا لعز الإسلام ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق) (٤٨٠)

وعن بديل العقيلي قال (من أراد بعمله وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه وأقبل بقلوب العباد إليه ، ومن عمل لغير الله تعالى صرف عنه وجهه ، وصرف قلوب العباد عنه (٤٨١)،

وقال محمد بن القاسم رحمه الله (صحبت محمد بن أسلم رحمه الله تعالى فلم أره يصلي ركعتين إلا يوم الجمعة ، وسمعته كذا وكذا مرة يحلف ويقول :- لو قدرت أن

---

(٤٧٨) صحيح.

أخرجه أحمد في الزهد (٧٧٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٦٢٥)، (٣٤٧٥١)، وأبو داود في الزهد (١١٢) وابن المبارك في الزهد (١١٠٩) والبغوي في مسند ابن الجعد (٦٨٢) ووكيع ابن الجراح في الزهد (٢٥٢).

من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن الزبير بن العوام به.

(٤٧٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٣٨٤)، وهناد بن السري الزهد (٢/ ٤٣٥).

(٤٨٠) أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة (١٢٢/٤).

(٤٨١) أخرجه ابو نعيم في الحلية (٣/ ٦٢).

أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت ، خوفا من الرياء ، وكان رحمه الله تعالى يدخل بيتا ويغلق عليه الباب يصلي ويبكي ولا ندري ما ذا يصنع في هذا البيت حتى سمعنا ابنا له صغيرا يحكي بكاءه ، وكان رحمه الله تعالى إذا أراد أن يخرج بعد هذا القيام والبكاء الطويل غسل وجهه وبدل ثيابه واكتحل حتى لا يرى عليه أحد طول السهر واحمرار العين بالبكاء) (٤٨٢)

الله أكبر ، هكذا كان سلف الأمة ،

وقال الحسن رحمه الله تعالى (أدركت أقواما ما كان أحدهم يستطيع أن يعمل عملا فيعلنه ، لأنهم علموا أن أحرز العملين من الشيطان عمل السر ، وإن أحدهم ليكون عنده الزوار وإنه ليصلي خلف الوجه ولا يعلم به زواره) (٤٨٣)

وعن الحسن قال (إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها ، فإذا خشي أن تسبقه أو تغلبه قام من المجلس) (٤٨٤)

وكان بعض السلف رحمهم الله تعالى إذا دخل عليهم أحد وهم يقرءون القرآن من المصحف بادروا بتغطيته ،

وعن نُسير قال (ما تطوع الربيع بن خثيم في مسجد الحي إلا مرة) (٤٨٥)

وكان بعض السلف رحمهم الله تعالى يبكون إن عرض لهم على الفراش ما يبكيهم من تأمل أو خاطرة ، فتبتل الوسادة فلا تدري زوجة أحدهم عن بكائه ، لأنها لا تسمع له شهقة أو عبرة .

وأتى أبو أمامة رضي الله عنه المسجد فرأى رجلا يبكي وهو ساجد، فقال له (أنت أنت، لو كان هذا في بيتك) (٤٨٦)

---

(٤٨٢) أخرجه ابو نعيم في الحلية (٩/ ٢٣٨).

(٤٨٣) أخرجه أحمد في الزهد (١٤٧٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥١٩٤).

(٤٨٤) أخرجه أحمد في الزهد (١٤٧٧).

(٤٨٥) لم أقف عليه.

(٤٨٦) حسن.

وكان أبو العالية رحمه الله تعالى قد تعلم القراءة والكتابة فما علم به أهله الذين يعيش بينهم ، وما رأوا في ثوبه مدادا - أي الحبر الذي يعمر به القلم ليكتب - قط

وقال الربيع رحمه الله تعالى (كل ما لا يراد به وجه الله تعالى يضمحل) (٤٨٧)

وكان ابن أبي ليلى يصلي من الليل ، فإن دخل الداخل نام على فراشه ، يوهمه بأنه كان نائما (٤٨٨) .

قال الذهبي رحمه الله تعالى (ينبغي للعالم أن يتكلم بحسن نية وحسن قصد ، فإن أعجبه كلامه فليصمت ، فإن أعجبه صمته فليتكلم ، ولا يفتر عن محاسبة نفسه ، فإنها تحب الظهور) (٤٨٩)

وقال أحمد رحمه الله تعالى (ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له) (٤٩٠)

وكان بعض السلف رحمهم الله تعالى يخفون الصدقة على الفقير فكانوا لا يخرجونها إلا في الليل ويضعونها عند باب الفقير ويعرضون ، فلا يدري الفقير من ذا جاء بها ، حتى يموت أحدهم فتنقطع ، فيعلم أنها من فلان . وكانوا رحمهم الله تعالى يكرهون المدح والثناء أشد كراهة من أي شيء آخر ، فلا يرضون أن يمدحهم أحد في مجالسهم ، وكانوا ينهون عنه أشد النهي .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى (من استوحش من الوحدة ، واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء) (٤٩١)

أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١٥٦).

من طريق إسماعيل بن عياش قال: حدثني مُحَمَّد بن زياد قال: رأيت أبا أمامة أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو ربه، فقال أبو أمامة: «أنت، أنت، لو كان هذا في بيتك».

وهذا إسناد حسن، من أجل إسماعيل بن عياش وهو صدوق في أهل بلده، وإسماعيل حمصي ومُحَمَّد بن زياد حمصي.

(٤٨٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٥٧٧)، ابن سعد في الطبقات (٦/ ١٨٦).

(٤٨٨) أخرجه أحمد في الزهد (٢١١١)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥١)، والبيهقي في الشعب (٢٩٤٢).

(٤٨٩) لم أقف عليه.

(٤٩٠) لم أقف عليه.

(٤٩١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٩).

وكان الحسن رحمه الله تعالى يعظ الناس مرة ، فانتحب رجل ، فالتفت إليه الحسن وقال (أما والله ليسألنك الله عن هذا ، ماذا أردت به) (٤٩٢)

قال الإمام أحمد رحمه الله في رواية ابنه حنبل (أحب لكل من عمل عملاً من صلاة أو صيام أو صدقة أو أي نوع من أنواع البر أن تكون النية متقدمة في ذلك العمل قبل فعله) (٤٩٣)

وقال الفضيل بن زياد (سألت أبا عبد الله - يعني أحمد - عن النية في العمل فقلت :- كيف النية ؟ فقال :- يعالج نفسه ، إذا أراد عملاً لا يريد به الناس) (٤٩٤) أ. هـ

وقد صنف أبو بكر بن أبي الدنيا مصنفاً سماه (كتاب الإخلاص والنية)

وقال يحي بن أبي كثير (تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل) (٤٩٥)

وعن زبيد اليامي قال (إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب)

وعنه أنه قال (انوي في كل شيء تريده الخير حتى خروجك إلى الكناسة) (٤٩٦) ا.هـ.

وعن داود الطائي أنه قال (رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيراً وإن لم ينصب) (٤٩٧)

---

(٤٩٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٠٥).

(٤٩٣) لم أقف عليه.

(٤٩٤) لم أقف عليه.

(٤٩٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٧٠).

(٤٩٦) أخرجه الدينوري في المجالسة (٣٥٣٣).

(٤٩٧) أخرجه الذهبي سير أعلام النبلاء (٧/٤٢٢)، والأنساب (٣/٢٤٧-٢٤٨).

وقال أيضاً (والبر همة التقي ولو تعلقت جميع جوارحه بحب الدنيا لردته نيته يوماً إلى أصله) ا.هـ. وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى (ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي لأنها تتقلب عليّ) (٤٩٨) ا.هـ .

وعن يوسف بن أسباط أنه قال (تخليص النية من فسادها أشد على العالمين من طول الاجتهاد) (٤٩٩)

وقيل لنفيع بن جبير ألا تشهد الجنازة ؟ فقال: كما أنت يا أخي قال :- فتفكر قليلاً ثم قال :- إمض ، (٥٠٠)

قلت :- أنه وقف هنيه حتى يستحضر النية وهذا من عظيم الفقه .

وقال مطرف بن عبد الله (صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية) (٥٠١)

وقال بعض السلف (من سره أن يكمل له عمله فليحسن نيته فإن الله تعالى يأجر العبد إذا حسنت نيته حتى باللقمة) (٥٠٢)

وقال ابن المبارك (رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية) (٥٠٣)

وقال ابن عجلان (لا يصلح العمل إلا بثلاث :- التقوى لله ، والنية الحسنة ، والإصابة) (٥٠٤)

---

(٤٩٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/٥، ٦٢).

(٤٩٩) أخرجه الدينوري في المجالسة (١٩٤٦) و (٣٤٢٤) .

(٥٠٠) أخرجه الدينوري في المجالسة (٣٥٣٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ٣٠٦).

(٥٠١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/١٩٩).

(٥٠٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٣).

(٥٠٣) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٣).

(٥٠٤) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٣).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى (إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك) (٥٠٥)

وقال أيضاً في قوله {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: ٧]، قال :- أخلصه وأصوبه ، فقيل له :- يا أبا علي : ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال (إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً والخالص ما كان لله عز وجل والصواب إذا كان على السنة) (٥٠٦) ا.هـ .

فكان السلف رحمهم الله تعالى حريصين أشد الحرص على تصحيح النية وأن لا تكون إلا لله تعالى ، فكانوا لا يقولون قولاً ولا يعملون عملاً إلا بعد استحضار نيته فجعلت البركة في أقوالهم وأعمالهم وأعمارهم ، فغدت أقوالهم نوراً يستضاء بها في الظلمات وحكماً تسير بها الركبان وتأنس بها القلوب والأرواح ، وصارت أعمالهم مثلاً يقتدى بها من بعدهم ، فضربوا أروع الأمثلة في الأعمال لأنهم قبل ذلك ضربوا أروع الأمثلة في تحقيق نياتها وتصحيحها ، فلم يكن السلف يوقعون العمل كيفما اتفق ، لا ، وإنما كانت أعمالهم صادرة عن نيات تنبعث من القلوب الزكية الصافية ، التي امتلأت خشية وإيماناً وتقوى ، وتضلعت من علوم الكتاب والسنة ، وهذا هو الفيصل بيننا وبين القوم ، فإن الصيام هو الصيام في الصورة والظاهر ولكن القلوب والبواعث تختلف ، والصلاة هي الصلاة ولكن القلوب والبواعث تختلف وهكذا في سائر أعمال البر ، فالنية أجرها عظيم وخطر فسادها جسيم ، فالله الله في تصحيحها ، والله الله في مراقبتها وعدم الغفلة عنها ، ويوضح هذا أن الحساب يوم القيامة إنما يكون على السرائر قال تعالى {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق: ٩]، فالأعمال كالجسد والنية كالروح ولا خير في جسد بلا روح والأعمال صور والنيات حقائق ، ولا خير في صورة بلا حقيقة ، والأعمال فروع والنية أصول وجذور ولا يستقيم الفرع بلا أصل وجذر ولذلك فإننا نستثقل التعبدات لأننا لم نستحضر نية التعبد فيها.والله ربنا أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

---

(٥٠٥) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٣).

(٥٠٦) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٣).

لا تقسمن على الإله تحجرا   ولتحسنن الظن بالمنان

أقول :ــ قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد (باب ما جاء في الإقسام على الله تعالى) ثم روى حديث جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله - عز وجل - : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان ؟ إني قد غفرت له ، وأحبطت عملك » (٥٠٧) رواه مسلم ،

وفي حديث أبي هريرة : أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته ... (٥٠٨)

قال الشيخ صالح آل الشيخ كلاما متينا في بيان الحال في هذه الترجمة ، أنقله بطوله لما فيه من الخير والنفع ،

قال حفظه الله تعالى (الإقسام على الله يكون على جهتين : جهة يكون فيها التكبر والتجبر ، ورفعة هذا المتألي نفسه حتى يجعل له على الله حقا ، وهذا مناف لكمال التوحيد ، وقد ينافي أصله ، وصاحبه متوعد بالعقاب الذي جاء في مثل هذا الحديث ، فهذا يتألى على الله - جل وعلا - أن يحكم بما اختاره هو من الحكم ، فيقول : والله لا يحصل لفلان كذا ، تكبرا واحتقارا للآخرين ، فيريد أن يجعل حكم الله كحكمه تأليا واستكبارا على الله أن يفعل الله - جل وعلا - ما ظنه هو ، فهذا التألي والاستكبار نوع تحكم في أمر الله - جل وعلا - وفي فعله ، وهذا لا يصدر من قلب معظم لله - جل وعلا .

والجهة الثانية : أن يقسم على الله - ﷻ - لا على جهة التألي ، ولكن على جهة أن ما ظنه صحيح في أمر وقع له ، أو في أمر يواجهه ، فهذا يقسم على الله أن يكون

---

(٥٠٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَقْنِيطِ الْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى (٢٦٢١).

(٥٠٨) كتاب التوحيد (١/ ٦٤).

وحديث أبي هريرة ﷺ،

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في النهي عن البغي (٤٩٠١) وأحمد في المسند (٨٢٩٢) وابن حبان في صحيحه (٥٧١٢) وابن المبارك في الزهد (٩٠٠) والبزار في مسنده (٩٤١٨).

كذا في المستقبل على جهة التذلل والخضوع لله لا على جهة التألي ، وهذا هو الذي جاء فيه الحديث : « ومن عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » (٥٠٩) ؛

لأنه أقسم على الله ، لا على جهة التعاظم والتكبر والتألي ، ولكن على جهة الحاجة والافتقار إلى الله ، فحين أقسم أقسم محتاجا إلى الله ، وأكد ذلك بالله وبأسمائه من جهة ظنه الحسن بالله - جل وعلا - فهذا جائز ، ومن عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ؛ لأنه قام في قلبه من العبودية لله والذل والخضوع ما جعل الله - جل وعلا - يجيبه في سؤاله ، ويعطيه طلبته ورغبته .

وأما الحال الأولى فهي حال المتكبر المترفع الذي يظن أنه بلغ مقاما بحيث يكون فعل الله - جل وعلا - تبعا لفعله ، فتكبر واحتقر غيره ، فبهذا التفصيل يتضح ما جاء في هذا الباب من الحديث) (٥١٠)

والخلاصة أننا ننزل الأحاديث الناهية عن الإقسام على الله تعالى على حالة التحجر على الله تعالى أن لا يفعل إلا هذا الأمر من باب التكبر والغطرسة ، وننزل الأحاديث المجيزة لذلك على حالة الافتقار إلى الله تعالى وإحسان الظن به أن لا يخذل عبدا افتقر إليه والتجأ إليه ، وانطرح بين يديه ،والله أعلم.

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وعفر له في الدنيا والآخرة :ـ

إياك سب الريح فهي مسبة لمقدر الريح العظيم الشان

واسأل إلهك خيرها ولتستعذ من شرها واسكت عن الهذيان

---

(٥٠٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، بَابُ الصُّلْحِ فِي الدِّيَةِ (٢٧٠٣)، وفي كتاب الجهاد والسير، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مِنَ المؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢٨٠٦)، وفي كتاب التفسير، بَابُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ} (٤٥٠٠)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ} (٤٦١١)، ومسلم في صحيحه في كتاب القسامة، بَابُ إِثْبَاتِ الْقِصَاصِ فِي الْأَسْنَانِ، وَمَا فِي مَعْنَاهَا (١٦٧٥).

(٥١٠) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١/ ٥٧٢).

أقول :ـ عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تسبُّوا الرّيح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنّا نسألُك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شرّ هذه الرّيح وشرّ ما فيها وشرّ ما أُمرت به" (٥١١) صحّحه الترمذي.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى في شرح كتاب التوحيد عند قول الشيخ محمد رحمه الله تعالى (باب النهي عن سب الريح) قال :ـ

(هذا الباب من جنس الأبواب السابقة التي فيها النّهي عن سبّ الدهر، والنّهي عن قول: "لو" وغير ذلك، والنّهي عن التنجيم، كلّ ما فيه إضافة الأشياء إلى غيرِ الله عزّ وجلّ فإنّه منهيٌّ عنه، لأنّ الأُمور كلّها بيد الله سبحانه وتعالى، وهو خالقُها ومدبِّرها فتُضاف إليه سبحانه وتعالى ولا تُضاف إلى غيره لا إضافة سبّ ولا إضافة مدح، لأنّ في هذا تنقُّصاً لله عزّ وجلّ وإسناد الأمور إلى غيرِه.

وكما سبق: أنّه إذا اعتقد أنّ هذه الأشياء تصنع هذه الأشياء أو تُحدثها؛ فهذا شركٌ أكبر، لأنّه شركٌ في الرّبوبيّة. وإنْ كان لا يعتقد ذلك، بل يعتقد أنّ الله هو الخالق المدبِّر، وإنّما نسب هذه الأشياء إلى هذه المخلوقات من باب أنّها أسبابٌ فقط: فهذا يكون محرَّماً ويكونُ من الشرك الأصغر، حتى إنّ ابن عبّاس- كما سبق- جعل قولَ الرجل: "كانت الريح طيِّبة، وكان الملاّح حاذقاً"، جعل هذا من اتّخاذ الأنداد لله عزّ وجلّ، وفسّر به قولَه تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢٢]، فرُكّاب السفينة إذا خرجوا من البحر ولم يحصل عليهم مكروه ونسبوا هذا إلى حِذْق الملاّح أو إلى طيب الريح التي وجّهت سفينتَهم فإنّ ذلك من اتّخاذ الأنداد

---

(٥١١) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢١١٣٩)، والترمذي في سننه في أبواب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح (٢٢٥٢)، وعبد بن حميد في مسنده (١٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٢١٩)، وعبد بن حميد في مسنده (١٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٠٣)، (١٠٧٠٤)، (١٠٧٠٧)، والحاكم في المستدرك (٣٠٧٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٦٩)،

من طريق: حبيب بن أبي ثابت، عن ذر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن أبي بن كعب، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، رجال الصحيحين، لا سيما وقد قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح.

لله عزّ وجلّ، لأنّ الواجب: أن يشكُروا الله عزّ وجلّ، لأنّه هو الذي سخّر الريح وهو الذي سخّر الملاّح وعلّمه ووفّقه، فتُنسب الأشياء إلى مصدرها وهو الله سبحانه وتعالى. هذا هو التّوحيد. أما نسبة الأشياء إلى غيرِه فهذا شركٌ إمّا أكبر وإمّا أصغر. والواجب على المسلمين أن يتنبّهوا لذلك، لأنّه يكثُر على الألسنة الآن مدح الأشياء وأنّه بفضلها حصل كذا وكذا، بفضل الطبِّ بفضل كذا وكذا، بفضل تضافُر الجهود، بفضل المجهودات الفلانية حصل كذا وكذا، والله لا يُذكر أبداً، ولا يُثنى عليه في هذه الأُمور، وهذا خطأٌ كبيرٌ في العقيدة، ويُخشى على مَنْ قالَه من الشّرك الأكبر، هو لا يسلم من الشرك: إمّا الشرك الأصغر وإمّا الشرك الأكبر. أو يَنسب الأشياء إلى الظّواهر الطبيعيّة، كما يقولون من نِسبة الأمطار إلى المناخ، أو المنخفض الجوي، أو إلى الرّياح، أو ما أشبه ذلك؛ كلّ هذا من سوء الأدب مع الله سبحانه وتعالى. نعم؛ الله جعل للأشياء أسباباً، ولكن مَن هو الذي خلق الأسباب ومَن هو الذي سخّرها وأودع فيها الأسرار؟ هو الله سبحانه وتعالى، فالواجب: أن تُسند الأُمور إلى الله عزّ وجلّ، هذه عقيدة المسلم دائماً وأبداً، وهذا هو التّوحيد.

إلاّ الأُمور التي من أفعال الإنسان مثل الطاعات ومثل الكفر والمعاصي والفُسوق والتعدِّي على النّاس؛ فهذه تُنسب إلى المخلوق لأنّها أفعالُه وجنايَتُه، وهو محاسَبٌ عليها، وإنْ كان الله قدّرها سبحانه وتعالى، ولكن الذي فعلها وقام بها المخلوق باختياره وإرادته، فيذمّ عليها، ويعاقَبُ عليها، أو يُثاب عليها إن كانت صالحة، فهي من ناحية القدَر تنسب إلى الله، أمّا من ناحية الفعل فهي تُنسب إلى المخلوق، وهو الذي فعلها وهو الذي قام بها باختياره وإرادته ومشيئَته، وهو يعاقَب أو يُثاب على أفعاله، لا على قدر الله) (٥١٢) إهـ كلامه .

قلت :ـ والمؤمن الصادق يجب عليه أن ينزه لسانه عن سب من لا ستحق السب ، فإن السب من جملة آفات اللسان التي يجب على المؤمن الابتعاد عنها ، والأصل في النهي الوارد في الحديث هو التحريم ، ولا صراف له عن بابه إلى الكراهة ،

قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى (لما كان سب الريح وغيرها من المخلوقات نقص في الإيمان وضعف في التوحيد نبه المؤلف على ذلك وجعله في كتاب

---

(٥١٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٣٦، ٢٣٧).

التوحيد ليعلم المؤمن أن سائر المعاصي مما ينقص التوحيد والإيمان فالمعاصي تنقص الإيمان وتضعف التوحيد .وسب الريح من جملة المعاصي لأنها مخلوق مدبر ترسل بالخير والشر فلا يجوز سبها والواجب على المسلم أن يسأل الله خيرها ويستعيذ من شرها) (٥١٣)

قلت :ــ وسب الريح يكون بشتمها ولعنها ، والخلاصة من هذا أن يقال :ــ إن سب الريح حرام ، وسبب الحرمة عدة أمور :ــ

الأول :ــ النهي الوارد في الحديث .

الثاني :ــ أن المتقرر أن سب الصنعة سب لمقدرها وصانعها وخالقها ، فسب الريح أذية لله تعالى .

الثالث :ــ أن الريح خلق من خلق الله تعالى لا تملك نفعا ولا ضرا إلا بإذن الله تعالى ، فمباشرتها بالسل هو في حقيقته سب لمن لا يستحق السب ، وسب من لا يستحق السب حرام .

الرابع :ــ أن العبد لا يسب الريح إلا لظنه أنها هي التي أتت بالشر والضرر ، وهذا اعتقاد فاسد ، فسدا لذريعة فساد العقيدة حرمت الشريعة سبها .والله أعلم .

فإن قلت :ــ وما المخرج الشرعي من هذا ؟ فأقول :ــ المخرج قد بينه لنا النبي ﷺ ، وهم أنك إن رأيت من الريح أمرا تكرهه ، فما عليك إلا أن تسأل الله تعالى من خسرها ن وتستعيذ بالله تعالى من شرها ، واسكت عن الكلام الذي يفسد عليك دينك ويكدر عليك صفو عقيدتك من السب والشتم الذي لا يجنى من ورائه إلا التقحم في الإثم والمخالفة ، والله أعلم .

*ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وعفر له في الدنيا والآخرة :ــ

لا تقرنن مع الدعاء مشيئة   واعزم دعاءك يا أخا العرفان

(٥١٣) التعليقات البازية على كتاب التوحيد (١/ ٧٩).

أقول :ـ اعلم يا أخي المبارك وفقك الله تعالى لكل خير وزادك علما وعملا أنه لا يجوز أن يقرن الدعاء بالمشيئة ، فلا يجوز أن تقول : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ونحو ذلك ، وذلك لدليل الأثر والنظر :

فأما الأثر ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له)) (٥١٤) ،

وقد تقرر في الأصول أن النهي المجرد عن القرينة الصارفة يفيد التحريم ، فهو نص صحيح صريح في المنع من تعليق الدعاء بالمشيئة .

وأما النظر فلأن تعليقه بالمشيئة منافٍ لإعظام الرغبة والجد والعزم في المسألة ؛ لأن فيه نوع استغناء عن المدعو والمدعو به ، ولأنه موهم بعجز الله وفقره فكأنه يقول : ولا ألح عليك بذلك ، بل إذا شئت فافعل وهذا فيه سوء أدب مع الله تعالى ؛ ولأن الله تعالى لا يكرهه أحد على إجابة سؤالك ما لم يكن هناك شدة إلحاح وإعظام رغبة ،

ولذلك ففي رواية البخاري : ((فإن الله لا مكره له)) (٥١٥)

ولمسلم : ((ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له)) (٥١٦)

فكان من حسن الأدب مع الله تعالى ألا يعلق الدعاء بالمشيئة لسعة فضله جل وعلا وكبير إحسانه وجوده وكرمه ، ولأنه تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه فلا تنقص خزائنه جل وعلا بالعطاء ولو اجتمع الأولون والآخرون على مختلف أصنافهم

---

(٥١٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابُ لِيَعْزِمِ المسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ (٦٣٣٩)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٧٤٧٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر، والدعاء، بَابُ الْعَزْمِ بِالدُّعَاءِ وَلَا يَقُلْ إِنْ شِئْتَ (٢٦٧٩).

(٥١٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابُ لِيَعْزِمِ المسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ (٦٣٣٩)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٧٤٧٧).

(٥١٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر، والدعاء، بَابُ الْعَزْمِ بِالدُّعَاءِ وَلَا يَقُلْ إِنْ شِئْتَ (٢٦٧٩).

وجاء بكل أدعيتهم فإنه لا ينقص ذلك من خزائنه شيئًا فلم التعليق حينئذٍ ، والله أعلم .

وأما قوله ﷺ : ((طهور إن شاء الله)) (٥١٧)،

فهذا ليس من باب الدعاء وإنما من باب الخبر ، أي هو يخبر أن هذا المرض سيكون لك كفارة وطهور ، والأخبار المستقبلية أو الغيبية لابد من تعليقها بالمشيئة والمنهي عنه هو تعليق الدعاء بالمشيئة ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

لا تنسبن إلى الزمان مسبة   فالدهر مخلوق بلا سلطان

أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن سب الدهر محرم وجريمة وفاعله مستحق للعقوبة البليغة التي تردعه عن مثل هذه الأقوال ،

ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)) (٥١٨) ،

وفي رواية : ((لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)) (٥١٩)،

فدل ذلك على أن سب الدهر من الألفاظ التي لا تجوز فالتخلص منه واجب واستعمالها منافٍ لكمال التوحيد ، ولأن سابه يعود على الله بالإيذاء لأنه هو مصرف الدهر ومجري الليالي والأيام ومقدر ما فيها من الحوادث ، وسب

---

(٥١٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦١٦)، وفي كتاب المرضى، بَابُ عِيَادَةِ الأَعْرَابِ (٥٦٥٦)، و بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمَرِيضِ، وَمَا يُجِيبُ (٥٦٦٢)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٧٤٧٠).

(٥١٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب وما يهلكنا إلا الدهر(٤٨٢٦)، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر (٦١٨١)، (٦١٨٢)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦).

(٥١٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦).

المخلوق سب لخالقه ، ولأن سب الدهر سب لما لا يستحق السب لأن الدهر خلق مسخر لا يملك نفعًا ولا ضرًا ، ومن سب من لا يستحق السب عاد سبه إليه ، ولأن سبه متضمن للشرك فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع أو أنه المحدث لهذا الضر والنفع ، ولأنه مناف للاعتقاد الصحيح وهو أن الزمن يُفْعَلُ فيه لا أنه هو الفاعل بذاته ولا أنه سب لما يقع فيه من الحوادث فسبه محض اعتداءٍ وتسلط وقلة أدبٍ وجرأة على مقام الربوبية .

ومثال ذلك قول شاعر الجاهلية :

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحدًا وأنت والد سوءٍ تأكل الولد

ومنه أيضًا قول بعضهم :

قبحًا لوجهك يا زمان فإنه وجهٌ له في كل قبح برقع

ومنه قول بعضهم : هذا زمان كالح ، أو زمان أسود . وقول بعضهم إذا أصابه مكروه : ليه يا زمن .

ومنه قول الدهرية {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤] ونحو ذلك من العبارات ، وكل ذلك حرام وقادح في التوحيد ، وقد يكون سبه شركًا أكبر وذلك إذا قام في قلبه اعتقاد أن الدهر هو الفاعل لهذا الشيء بذاته استقلالاً ، وقد يكون شركًا أصغر إذا اعتقد أن الدهر سبب في هذه الحوادث ، وإذا لم يعتقد ذلك فهو محرم فقط وكبيرة من كبائر الذنوب ، وعلى كل حالٍ فالواجب على المسلم كف لسانه وحفظه عن مثل هذه الأقوال التي لا خير فيها ، بل هي مما يفتح عمل الشيطان ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

لا تقرنن مشيئة الهادي إلى سبل الهدى بمشيئة الإنسان

أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أنه لا يجوز للإنسان أن يقرن مشيئة المخلوق بمشيئة الخالق ، فهذا القول لا يجوز وهو نوع من أنواع شرك الألفاظ وهو شرك أصغر.

ودليل ذلك حديث قتيلة : (أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت) رواه النسائي وصححه.(٥٢٠)

---

(٥٢٠) ضعيف، معل بالانقطاع

أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٠٩٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٤٦٩٦)، (١٠٧٥٦)، (١٠٧٥٧)، وفي المجتبى (٣٧٧٣)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٤٠٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٤٠٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٨)، (٨٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٥)، (٧)، والحاكم في المستدرك (٧٨١٥)، وابن المقرئ في معجمه (٨١٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٨١٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٥٨١١).

كلهم من طريق: معبد بن خالد ، عن عبد الله بن يسار ، عن قتيلة،

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٣٢٦٥)، (٢٣٣٤٧)، (٢٣٣٨١)، (٤٩٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٥٥)، والطيالسي في مسنده (٤٣١)، وابن ابي شيبة في مصنفه (٢٦٦٩٠)، (٢٩٥٧٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٦٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى(٥٨١٠)، وفي الأسماء والصفات (٢٩٤).

كلهم من طريق: شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة، به.

فالمدار فيه على عبد الله بن يسار،

واختلف عليه: أولًا: رواه عنه معبد بن خالد، وهو ثقة،

رواه عن معبد مسعر بن كدام، وعبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، فالأول ثقةٌ ثبت، والثاني صدوق،

ثانيًا: تابع منصورُ بنُ المعتمر معبدَ بنَ خالد، ومنصور ثقةٌ ثبت، وهو أجل في القلب من معبد بن خالد،

لكن خالف منصورٌ معبدَ فرواه عن عبد الله بن يسار عن حذيفة به،

فظاهر الإسناد الصحة، لكنه معلولٌ بالانقطاع،

فعبد الله بن يسار فيه أمران:

الأمر الأول: لم يوثقه إلا النسائي، وهو متساهل في التوثيق، وتابعه ابن حبان، وهو متساهل جدًّا في تو ثيق المجاهيل،

الأمر الثاني: لم يسمع عبد الله بن يسار من حذيفة، فقد سئل يحي بن معين عن عبد الله بن يسار ألقي حذيفة؟ قال لا أعلمه. جامع التحصيل (ص: ٢١٨)،

فهنا اتضح الأمر وهو أن سبب الانقطاع أن عبد الله بن يسار لم يلقى حذيفة ﷺ،

هذا، وقد رجح البخاري رحمه الله طريق منصور على طريق معبد،

وله أيضًا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت . فقال : ((أجعلتني لله ندًا قل ما شاء الله وحده)) . (٥٢١)

ولابن ماجه عن أبي الطفيل قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله ، قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مررت على نفرٍ من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ؟ فقال : ((هل أخبرت بها أحدًا)) ؟ قلت : نعم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ((أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا

فقد قال الترمذي: سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال : هكذا روى معبد بن خالد ، عن عبد الله بن يسار ، عن قتيلة . وقال منصور : عن عبد الله بن يسار ، عن حذيفة ، قال محمد : حديث منصور أشبه عندي وأصح. العلل الكبير(٢٥٣/١).

وقد ذكره الدارقطني في العلل (١٥/ ٤٢٠).

(٥٢١) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣٩)، (١٩٦٤)، (٢٥٦١)، (٣٢٤٧)، وابن ماجه في سننه (٢١١٧)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٥٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٦٩١)، (٢٩٥٧٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٠٠٥)، (١٣٠٠٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٦٧)، وابن المقرئ في معجمه (٤٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٨١٢) وفي الأسماء والصفات (٢٩٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤٢).

كلهم من طريق: الأجلح الكندي، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، به. بلفظ: «جعلتني لله عدلا، ما شاء الله وحده»

ففيه: أجلح بن عبد الله بن حجية الكندي،

والمدار عليه، وهو إلى الضعف أقرب، قد ضعفه غير واحد، وأنكروا حديثه،

قال فيه أحمد: فقد روى أجلح غير حديث منكر، وقال أبو حاتم: لين ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به، قال يحيى بن سعيد القطان: فى نفسى منه شيء، (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٣٤٧). وقال السعدي الأجلح مفتري. (الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ١٣٦)،

وقد ذكر ابن عدي هذا الحديث في ترجمة الأجلح، في (الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ١٤٠).

وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا : ما شاء الله وحده)).(٥٢٢)

فهذه الأدلة فيها النهي عن قرن مشيئة الله تعالى بمشيئة أحد من الخلق ، وعلة النهي عن هذا القول لأن فيه عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق جل وعلا بحرف الواو المقتضي للتشريك والمساواة بين المعطوف والمعطوف عليه ، والمشروع في ذلك أن يقول العبد : ما شاء الله وحده ، وإن قال : ما شاء الله ثم شئت فلا بأس ، فهذان اللفظان لا محظور فيهما ، والله أعلم .

(فائدة) ومن باب إتمام الكلام على هذه المسألة أحب أن أنقل لك قاعدة قررناها في كتابنا القواعد المذاعة في مذهب أهل السنة والجامعة ، يتفرع عليها هذا الكلام ، فقلنا هناك (القاعدة الخامسة والخمسون :ـ لا يقرن مع الله غيره في أمور العبادة والمشيئة ويجوز ذلك في غيرها وهذا هو معتقد الموحدين أن أمور العبادة حق محض لله تعالى ليس لأحد فيه شرك أو واسطة ، قال تعالى {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: ٣]

وقال تعالى {مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة: ٥]

فكل ما يتعبد به فهو لله وحده لا شريك له لا يصرف لا إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل ، فالدعاء والذبح والنذر والتوكل والخشية والرجاء والإنابة والسجود ، ونحو ذلك كله حق لله تعالى فمن صرفه لغير الله فقد أشرك به - نعوذ بالله من الشرك وأهله - .

---

(٥٢٢) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٦٩٤)، وابن ماجه في سننه (٢١١٨)، وابن أبي شيبة في مسنده (٦٥٢)، والدارمي في سننه (٢٧٤١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٤٣)، والحاكم في المستدرك (٥٩٤٥)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٧٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٢١٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٢)، وفي دلائل النبوة (٧/ ٢٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٥٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٩٥٤).

كلهم من طريق: عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن الطفيل بن سخبرة، أخي عائشة لأمها، به.

رواه عن عبد الملك بن عمير جماعة من الثقات، منهم: شعبة، وحماد بن سلمة، وأبو عوانة، وعبيد الله بن عمرو،

وهذا الحديث: إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين، ولم أقف على أحدٍ تكلم فيه، والله أعلم

فإذًا إذا ذكرت أمور العبادة فإنها لا يذكر إلا الله فقط ولا يذكر معه غيره ، فنقول : ندعو الله ، ونسجد لله ، ونتوكل على الله ، لا تقول ندعو الله والرسول أو نسجد لله وللقبر أو نتوكل على الله وعليك وهكذا ، فهذا لا يجوز ؛ لأنها من أمور العبادة وأمور العبادة لا يقرن مع الله فيها غيره ولذلك وردت الآيات والأحاديث تدل على ذلك كما سيذكر في التفريع - إن شاء الله تعالى - ، هذا في أمور العبادة الخالصة لله تعالى ، وأما في غيرها من الأمور فيجوز أن يقرن معه فيها غيره بـ(واو) الجمع وذلك في المحبة مثلاً ، فنقول : نحن نحب الله والرسول ، فهذا لا بأس به ؛ لأن محبة الرسول محبةٌ لله ومحبة الله محبةٌ للرسول ، أما محبة التعبد فهذه خاصة بالله تعالى ، وكذلك في الطاعة ، فنقول : نحن نطيع الله والرسول ، وفي الرضى ، فنقول : نحن نريد أن نرضي الله والرسول وهكذا ، فهذه ليست حقًا محضًا لله تعالى ، بل هي حق لله تعالى والرسول – ﷺ - ، إذا علمت هذا فإليك بعض الأمثلة على هذه القاعدة حتى تتضح أكثر :

فمنها : قال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } [التوبة: ٥٩]

فانظر كيف قال { مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } فقرن اسمه مع اسم الرسول – صلى الله عليه وسلم - في الإتيان ، وهو الإعطاء الشرعي من التحليل والتحريم فالحلال ما أحله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه فهو مبلغ عن الله تعالى .

ومثل ذلك قوله تعالى في نفس الآية { سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ } فقرن اسمه باسم رسوله فالإيتاء ليس عبادة محضة لله تعالى على هذا التقرير ، لكن لما جاء أمر العبادة أفرد اسمه ولم يقرن به غيره ، وذلك كما في هذه الآية قال { وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ } والحسب هو الكافي ، فالله تعالى هو الكافي وحده كما قال {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } [الزمر: ٣٦]

ولم يقرن اسم الرسول معه في هذا الأمر ؛ لأنه عبادة وهذا واضح .

ومنها : قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } [النور: ٥٢]

ففي هذه الآية ذكر ثلاثة أشياء ذكر الطاعة ، والخشية ، والتقوى ، فقرن اسمه باسم رسوله بـ(واو) العطف في أمر الطاعة ؛ لأن الطاعة حق لله تعالى وحق للرسول ، وطاعة أحدهما مستلزمة لطاعة الآخر ، كما قال تعالى {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [المائدة: ٩٢]

وقال{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠]

أما في أمر الخشية والتقوى فلم يقرن معه أحد ، بل قال { وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ } فالخشية والتقوى حق خالص لله تعالى لا يشرك معه فيه غيره .

ومنها : قوله تعالى {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ } [آل عمران: ٣٢] فقرن اسمه مع اسمه في أمر الطاعة مما يدل على أن الطاعة تكون لله وللرسول كما مضى .

ومنها : قوله – ﷺ - : ((من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت)) (٥٢٣)

فالحلف عبادة فلا يجوز أن يقرن مع الله تعالى فيه غيره .

ومنها : قوله تعالى{والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين} فقرن اسمه مع اسم رسوله في أمر الرضى مما يدل على أن الواجب هو إرضاء الله وإرضاء رسوله باتباع ما أمر الله ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

ومنها : قوله – ﷺ - : ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . . .)) الحديث (٥٢٤)،

---

(٥٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب كيف يستخلف (٢٦٧٩)، وكتاب المناقب، باب أيام الجاهلية (٣٨٣٦)، وكتاب الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (٦١٠٨)، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، (٦٦٤٦)، (٦٦٤٨)، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، (٧٤٠١)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٦٤٦)

(٥٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٦)، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان (٢١)، كتاب الأدب، باب الحب في الله (٦٠٤١)، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل

فقرن اسمه مع اسمه في المحبة فالواجب هو محبة هذا ومحبة هذا فالمحبة حق لكليهما .

ومنها : ما رواه قتيلة أن يهوديًا أتى النبي – ﷺ - فقال : (إنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي – ﷺ - إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت) رواه النسائي وهو حديث صحيح . (٥٢٥)

والهوان على الكفر (٦٩٤١)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

(٥٢٥) ضعيف، معل بالانقطاع

أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٠٩٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٤٦٩٦)، (١٠٧٥٦)، (١٠٧٥٧)، وفي المجتبى (٣٧٧٣)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٤٠٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٤٠٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٨)، (٨٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٥)، (٧)، والحاكم في المستدرك (٧٨١٥)، وابن المقرئ في معجمه (٨١٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٨١٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٥٨١١).

كلهم من طريق: معبد بن خالد ، عن عبد الله بن يسار ، عن قتيلة،

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٣٢٦٥)، (٢٣٣٤٧)، (٢٣٣٨١)، (٤٩٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٥٥)، والطيالسي في مسنده (٤٣١)، وابن ابي شيبة في مصنفه (٢٦٦٩٠)، (٢٩٥٧٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٦٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى(٥٨١٠)، وفي الأسماء والصفات (٢٩٤).

كلهم من طريق: شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة، به.

فالمدار فيه على عبد الله بن يسار،

واختلف عليه:

أولًا: رواه عنه معبد بن خالد، وهو ثقة،

رواه عن معبد مسعر بن كدام، وعبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، فالأول ثقةٌ ثبت، والثاني صدوق،

ثانيًا: تابع منصورُ بنُ المعتمر معبدَ بنَ خالد، ومنصور ثقةٌ ثبت، وهو أجل في القلب من معبد بن خالد،

لكن خالف منصورٌ معبدَ فرواه عن عبد الله بن يسار عن حذيفة به،

فظاهر الإسناد الصحة، لكنه معلولٌ بالانقطاع،

فعبد الله بن يسار فيه أمران:

الأمر الأول: لم يوثقه إلا النسائي، وهو متساهل في التوثيق، وتابعه ابن حبان، وهو متساهل جدًّا في تو ثيق المجاهيل،

وكذلك قوله – ﷺ - لما قال له رجل : (ما شاء الله وشئت) . قال : ((أجعلتني لله ندًا ، قل : ما شاء الله وحده)) رواه النسائي،(٥٢٦)

فهذه المشيئة حق لله تعالى فلا يجوز أن يقرن مع الله فيها غيره كائنًا من كان ، ولعل القاعدة تكون قد اتضحت وبانت معالمها ، ولا يبقى عندنا فيها إلا إشكال واحد فقط وهو : أن بعض الناس يجوز التوكل على الأولياء والصالحين ويحتج بقوله تعالى{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ٦٤]

الأمر الثاني: لم يسمع عبد الله بن يسار من حذيفة، فقد سئل يحيى بن معين عن عبد الله بن يسار ألقي حذيفة؟ قال لا أعلمه. جامع التحصيل (ص: ٢١٨)،

فهنا اتضح الأمر وهو أن سبب الانقطاع أن عبد الله بن يسار لم يلقى حذيفة ﷺ،

هذا، وقد رجح البخاري رحمه الله طريق منصور على طريق معبد،

فقد قال الترمذي: سألت مُحَمَّدا عن هذا الحديث فقال : هكذا روى معبد بن خالد ، عن عبد الله بن يسار ، عن قتيلة . وقال منصور : عن عبد الله بن يسار ، عن حذيفة ، قال مُحَمَّد : حديث منصور أشبه عندي وأصح. العلل الكبير(١/٢٥٣).

وقد ذكره الدارقطني في العلل (١٥/ ٤٢٠).

(٥٢٦) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣٩)، (١٩٦٤)، (٢٥٦١)، (٣٢٤٧)، وابن ماجه في سننه (٢١١٧)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٥٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٦٩١)، (٢٩٥٧٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٠٠٥)، (١٣٠٠٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٦٧)، وابن المقرئ في معجمه (٤٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٨١٢) وفي الأسماء والصفات (٢٩٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤٢).

كلهم من طريق: الأجلح الكندي، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، به. بلفظ: «جعلتني لله عدلا، ما شاء الله وحده»

ففيه: أجلح بن عبد الله بن حجية الكندي،

والمدار عليه، وهو إلى الضعف أقرب، قد ضعفه غير واحد، وأنكروا حديثه،

قال فيه أحمد: فقد روى أجلح غير حديث منكر، وقال أبو حاتم: لين ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به، قال يحيى بن سعيد القطان: في نفسي منه شيء، (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٣٤٧). وقال السعدي الأجلح مفتري. (الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ١٣٦)،

وقد ذكر ابن عدي هذا الحديث في ترجمة الأجلح، في (الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ١٤٠).

والحسب هو الكافي ، فقال : فقد جعل المؤمنين حسب الرسول كما أن الله حسبه ، فالله تعالى والمؤمنون يكفون رسول الله – ﷺ - مما يدل على جواز التوكل على الأولياء والصالحين .

وهذا الكلام ليس بصواب ، فإن المراد من هذه الآية ليس كما فهمه هذا الغالط ، بل المراد أن الله يكفي رسوله ويكفي المؤمنين ، فالله تعالى هو حسب الطائفتين كلتيهما الرسول والمؤمنين ، فيكون التقدير : حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين ، وذلك أنه لو كان المراد هو ما ذكره هؤلاء الغالطين لكان الرسول أولى بالحسب من المؤمنين ؛ لأن منزلته أعظم عند الله منهم ، لكن ليس هذا هو المراد وإنما المراد هو ما ذكرناه فالله تعالى حسب الرسول وحسب من اتبع الرسول من المؤمنين وهذا أسلوب معروف في اللغة . وعليه قول الشاعر : (فحسَبك والضحاكَ سيفُ مهند) ،أي أن سيفا مهندا حسبك أنت وحسب الضحاك ، وكذلك تقول العرب : حسبك وزيدًا درهم ، أي أن الدرهم حسبك أنت وحسب زيد ، فلا إشكال في هذه الآية ، بل هي من الفروع على هذه القاعدة وهو أن الحسب عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ، فالتوكل عبادة له وحده لا شريك له سبحانه ، ولم يقرن معه فيه غيره)والله تعالى أعلى وأعلم .

* ثم الناظم عفا الله تعالى وعفا عنه في الدنيا والآخرة :ـ

أثبت صفات الرب إثباتا   بلا تكييف أو تحريف أو بهتان

فالله ليس كمثله شيء ولا   كفؤ له وتعالى ذو السبحان

إياك والتعطيل والتمثيل في   أوصافه فتكون ذا خسران

فأمر آيات الصفات كما أتت   في السنة الغراء والقرآن

واحذر سؤال الكيف عن أوصافه   وأجب بقول العالم الرباني

قل نعرف المعنى ونجهل كيفها   والسؤل يحرم يا أخا العرفان

لا تأخذن بقول جهم إنه   قد أنكر الرب العظيم الشان

لا تحصر الأسماء في عدد وقد دلت على الأوصاف للرحمن

بتطابق وتضمن ولازم فاجن الثمار براحة وأمان

والقول في بعض الصفات كقولنا في بعضها والذات يا إخواني

أقول :ـ هذه الأبيات تتكلم عن عقيدة أهل السنة والجامعة رحمهم الله تعالى في باب الأسماء والصفات ، وقد ذكر الناظم رحمه الله تعالى جملا من القواعد في هذا الباب المهم ، والتي تبين لك كيفية الطريقة التي كان أهل السنة والجماعة يتعاملون بها مع نصوص الصفات ، وحتى لا يكون الكلام درجا غير مفهوم فأنا أستأذنك أيها القارئ الكريم في أن نقيد هذا الباب في قواعد كثيرة ، نأخذها قاعدة قاعدة مع شيء من الكلام عليها حتى يتضح هذا الباب وضوحا لا خفاء فيه فأقول وبالله تعالى التوفيق ومنه أستمد العون والفضل :ـ

القاعدة الأولى :ـ (أسماء الله تعالى وصفاته مبناها على التوقيف)، فلا يجوز لنا أن نثبت لله تعالى إلا ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ في صحيح سنته ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، لأن الله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] ، ولا ننفي في هذا الباب إلا ما نفاه الله تعالى عن نفسه في محكم كتابه ، أو نفاه غنه نبيه ﷺ في صحيح سنته ، مع إثبات كمال الضد ، وأما ما لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيه ولا إثباته ، فالواجب علينا التوقف فيه ، ونجعله داخلا تحت قاعدة ما لم يرد فيه دليل بخصوصه ، والتي ستأتي إن شاء الله تعالى ، فباب أسماء الله تعالى وصفاته لا يجوز التخوض فيها بلا دليل ولا براهن ولا حجة ظاهرة ، بل الواجب أن يكون هذا الباب وقفا على ما ورد به الدليل نفيا وإثباتا ، فلا مدخل للعقول ولا للأهواء ولا للرغبات والاستحسانات السامجة ولا للمذاهب الباطلة ولا للقواعد الفاسدة مدخل في هذا الباب ، فإن الخطر كل الخطر أن ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا أو متوهمين بأهوائنا ، وقد ذكرنا في أول هذا الشرح المبارك بإذن الله تعالى أن من الأصول الكبيرة العظيمة الطيبة التي تبنى عليها عقيدة أهل السنة رحمهم الله تعالى هو وجوب التسليم لأدلة الكتاب والسنة ، وعدم إقحام العقل في باب الغيبيات ، فلا تسلم قدم العبد في هذا الباب إلا إن منعه عقله من الخوض

والتفكير في كنهه وحقيقته ، وسلم للدليل ، وجعله هو القائد في هذا الباب ، بل وفي كل باب ، فلا سلامة للعبد في دينه إلا إن حكم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ومنع عقله من الخوض فيما هو من أبواب الغيب ، وباب الصفات من الأبواب الغيبية التي لا بد وأن تبنى على الدليل في كل مصادرها ومواردها ، وهذا هو الله العظيم طريق السلامة في هذا الباب ، وإنه ما ضل من ضل في هذا الباب وغيره إلا لأنه أقحم عقله العاجز الضعيف في استكشاف ما هو من الغيب ، وهذه القاعدة متفق عليها بين علماء أهل السنة والجماعة ، وهي أم القواعد في هذا الباب العقدي الكبير ، والذي زلت فيه الأقلام وتاهت فيه الأفهام بسبب أنها تلقته على غير قواعد أهل السنة والجماعة ، وإنما تلقته على قواعد اليونان التالفة الفاسدة الكاسدة ، والتي هي في منطوقها ومضمونها ولوازمها بنيت أصلا على مخالفة المنقول ومناقضة المعقول ، فمن اعتمدها في هذه الأبواب الغيبية فوالله إنه في ضلال مبين ، وهاوية سحيقة بعيدة عن الحق والهدى ، والسلامة كل السلامة قصر هذا الباب على ما ورد به الكتاب والسنة ، وأن لا نفهم الأدلة الواردة فيه إلا على مقتضى ما فهمه أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ،

والخلاصة التي ذكرتها في هذه القاعدة تقول :ـ باب الأسماء والصفات مبناه على التوقيف ، فما أثبت الدليل فيه أثبتناه ، وما نفاه الدليل نفيناه ، وما لم يأت الدليل لا بنفيه ولا بإثباته فهو موقوف على الاستفصال ، حتى يتميز حقه من باطله ، فيقبل الحق ويرد الباطل ، فلا تخلط بين المسائل ، والذي أريد إثباته هنا هو أن باب الأسماء والصفات من جملة الأبواب التوقيفية على ورود الدليل ، فلا نتعدى القرآن والحديث ، فهذا الباب لا نزال بخير معه مادام موقوفاً على النص الصريح الصحيح ، وأما إذا تجاوزنا به حد النص ، فناهيك عن الاضطراب والفساد الذي سيحصل ، فما سلم في دينه في هذا الباب إلا من وقف حيث وقف النص ، ودار مع النص حيث دار ، وهذا هو ما قرره أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في هذا الباب فهو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة الدين قاطبة لم يخالف في ذلك أحد منهم ، فإن قلت : لماذا كان باب الأسماء والصفات من الأبواب التوقيفية على ورود النص ؟ فأقول : لأن هذا الباب من الأبواب الغيبية ، وقد تقرر عند

عامة العلماء أن الأبواب الغيبية موقوفة على ورود الدليل ، وبيان ذلك : أن الله تعالى لما خلق هذا العقل جعل له حدوداً وطاقات ، فلا يزال تفكيره سليماً مادام داخلاً في حدوده وقدراته ، وأما إذا أقحمه فيما ليس له فيه مجال ، و تعدينا به حدوده وطاقاته فإنه لن يعود إلا بالحيرة والضلال والشكوك والتيه ، والأبواب الغيبية ليست داخلة في حدود ومدركات العقول ما لم تهتد بنور النصوص ، مدارها على النص ، أعني مدار أبواب الغيب ، وباب الأسماء والصفات من الأبواب الغيبية فصار مبناها على التوقيف أيضاً ، فلذلك قال أهل السنة : باب الأسماء والصفات توقيفي على الدليل الصحيح الصريح . ولذلك فنحن نقول : إن من أسمائه جل وعلا الله والرحمن والرحيم والقدير والكريم والولي والحميد والخبير والبصير والجبار والمهيمن والعليم والمتكبر ، كل ذلك لأن الدليل جاء بها ، ولكن ليس من أسمائه الناصر ولا القديم ولا الماجد ولا الخالد لأن هذه الأسماء لم يرد في إثباتها لله جل وعلا دليل ، وباب الأسماء من الأبواب التوقيفية على الدليل ، ولذلك فإن أهل السنة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى يقولون : إن من الإلحاد في أسماء الله تعالى أن يسمى الله تعالى بما لم يسمي به نفسه ، ويمثلون لذلك بتسمية النصارى له بالأب وتسمية الفلاسفة له بالعلة الموجبة أو الفاعلة أو العقل الفعال أو صاحب الفيوضات ، كل ذلك لا يجوز لأنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه الكريم أو سماه به رسوله ﷺ في صحيح سنته ، وما عدا ذلك فلا ، وكذلك نقول في صفاته أيضاً : فإننا نثبت لله جل وعلا العلو والاستواء والوجه واليد والرجل والعين والسمع والبصر والمجيء والإتيان يوم القيامة والنزول إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ، كل ذلك لأن الدليل أثبته ، وما أثبته الدليل فإنه يجب إثباته ، فهذا الأمر المهم هو أعظم ما يجب فهمه في باب الأسماء والصفات فاشدد عليه يديك ولا تعد عيناك عنه لحظة واحدة فاجعله دائماً في تقريراتك ودروسك العامة والخاصة ، حتى تتربى الأمة بسائر طوائفها على هذا الأصل المهم العظيم ، فما أعظمه وما أجمله وما أيسره وأسهله ، وأوضحه ، بل إنك تجد أنه متوافق مع الفطرة كل الموافقة ، فضلاً عن كونه من علو الأدب مع فاطر السماوات والأرض الذي له الحمد كله والشكر كله ، وإني أرجو منك بارك الله فيك أن تعيد قراءة هذا الأمر مرة ثانية من أوله ، قبل الانتقال إلى الأمر

الثاني ، أسأله جل وعلا باسمه الأعظم أن يشرح صدرك ويهدي قلبك ويرفع ذكرك وييسر أمرك ويزيدك توفيقاً على توفيقك ، وأن يعيذك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فهذا الباب العقدي المهم مبناه على التوقيف ، وذلك لأنه من أمور الغيب ، وقد تقرر أن أمور الغيب مبناها على التوقيف على دلالة الكتاب والسنة ، ولأن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى قد أجمعوا على ذلك ، وقد تقرر في القواعد أن الإجماع حجة شرعية يجب قبولها واعتمادها والمصير إليها وتحرم مخالفتها ، ولأن العقل لا يستقل بمعرفة ما يجب إثباته لله تعالى من الأسماء والصفات على وجه التفصيل ، وإن كان العقل له مدخل في إثبات صفات الكمال على وجه الإجمال والعموم ، إلا أن تفاصيل هذه المسائل لا مدخل له فيها ، فصار العقل لا هداية له في هذا الباب إلا إن كان مقتفيا درب النصوص من الكتاب والسنة ، فمن أثبت لله تعالى اسما لا دليل عليه أو صفة لا دليل عليها فقد قال على الله تعالى بغير علم ، وقفا ما ليس له به علم ، وقد قال تعالى في سياق المحرمات " {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]

" وقال تعالى " {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦] " والبشرية مفتقرة إلى بعثة الرسل وإنزال الكتب التي تعرفها تفاصيل هذا الباب ، لأنه مبني على الوحي ، فما أثبته الدليل أنه من الأسماء والصفات فهو منها ، وما لم يثبته الدليل ولم يصح به النص فإنه لا حق لأحد أن يثبته ، وعلى ذلك عدة فروع :ـ

الأول :ـ القول الصحيح أن القديم ليس من أسمائه جل وعلا ، لأن مبنى إثبات الأسماء لله تعالى على التوقيف ، ولا نعلم دليلا ثابتا من الكتاب والسنة الصحيحة يفيد أن هذا الاسم من جملة ما يسمى الله تعالى به ، وحيث لا دليل فلا حق لأحد أن يطلق على الله تعالى ما لم يصح به النص ، ولأن المتقرر أن أسماء الله تعالى كلها حسنى ـ كما سيأتي ـ وحسنها لما تتضمنه من صفات الكمال ونعوت الجلال والكمال المطلق من كل وجه ، واسم القديم لا حسن فيه ، ولا يتضمن صفة كمال ، فيكون خارجا عن كونه من أسماء الله تعالى ، لأنه يتضمن صفة القدم ، والقدم

ليس كمالا ، ولأن اسم الله تعالى (الأول) يغني عنه ، كما قال الله تعالى هو الأول والآخر " وقال النبي ﷺ " أنت الأول فليس قبلك شيء " (٥٢٧)

وأما الأسماء التي لا دليل عليها فدعك منها ، فإن من الأدب الواجب مع الله تعالى أن لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ في صحيح سنته ، وما عدا ذلك فليس من الحق في صدر ولا ورد ، والله الموفق والهادي .

الثاني :ـ القول الصحيح أن الدهر ليس من أسماء الله تعالى ، لأن أسماء مبنية على التوقيف ، ولا دليل يفيد أن من أسمائه الدهر ، وأما حديث " يسب الدهر وأنا الدهر " (٥٢٨)

فإن نسبة الدهرية إلى الله تعالى إنما هي نسبة تصريف وتدبير لا نسبة تسمية ، بدليل أنه فسر في آخر الحديث هذه النسبة بقوله " وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار (٥٢٩)"

فالله تعالى يطلق عليه أنه الدهر لا إطلاق تسمية بهذا الاسم ، وإنما لأنه تعالى هو الذي يصرف هذا الدهر وهو الذي يقدر ما يكون فيه من الأمور فهو الدهر ، أي أن النسبة هنا نسبة تصريف وتقليب وتدبير ، والدهر هو مجموع هذه الليالي والأيام وما يكون فيها ، وهي كلها وهي المدبرة ـ بفتح الدال ـ والله تعالى هو الذي يدبرها ، فكيف بالله عليك يكون المدبر ـ بكسر الدال ـ هو عين المدبر ـ بفتح الدال ـ ؟ هذا لا يكون أبدا ، فبان لك بهذا أن إطلاق الدهرية على الله تعالى ليست من باب إطلاق التسمية ، وإنما هي من باب إطلاق التصريف والتقليب

---

(٥٢٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٣٧١٣).

(٥٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب وما يهلكنا إلا الدهر(٤٨٢٦)، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر (٦١٨١)، (٦١٨٢)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦).

(٥٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب وما يهلكنا إلا الدهر(٤٨٢٦)، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر (٦١٨١)، (٦١٨٢)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦).

والتدبير ، ولأن أسماء الله تعالى كلها حسنى ، لأنها تتضمن صفات كمال ونعوت جمال وجلال من كل وجه ، والدهر لا يتضمن صفة كمال ، فدل هذا على أنه خارج عن كونه من أسماء الله تعالى ، والله الموفق والهادي .

الثالث :ـ القول الحق أن اسم (الساتر) ليس من أسمائه جل وعلا ، لعدم ورود الدليل به على كونه اسما ، وأسماء الله تعالى مبناها على التوقيف ، ولا حق لأحد أن يقول :ـ هو اسم لورود إطلاقه على الله تعالى بلفظ (الستير) فإن الواجب هو إطلاق الاسم الوارد كما ورد ، ولا يطلق على الله تعالى باسم الفاعل منه ولا اسم المفعول ، بل يطلق الاسم كما هو ، فلا نقول (يا ساتر) من باب التسمية ، بل نقول يا ستير ، لورود هذا لاسم في قوله " إن الله حيي ستير "(٥٣٠) والله الموفق والهادي .

---

(٥٣٠) ضعيف، معل بالانقطاع

اختلف في وصله وإرساله:

أولًا: المتصل:

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٩٧٠)، والنسائي في المجتبى (٤٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٥٧)، وفي الآداب (٥٧٤)، وفي الأسماء والصفات (١٥٧)، وفي شعب الإيمان (٧٣٩٣)،

كلهم من طريق: أبي بكر بن عياش، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن صفوان بن يعلى بن أمية، عن أبيه، به.

ففيه: أبو بكر بن عياش، وهو وإن كان ثقة ألا أنه لما كبر ساء حفظه، وشيخه عبد الملك بن أبي سليمان صدوق يهم في حديثه

ثانيًا: المنقطع:

أخرجه أبو داود في سننه (٤٠١٢)، والنسائي في المجتبى (٤٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٥٦).

ثلاثتهم من طريق: زهير، عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي،

وأخرجه أحمد في مسنده (١٧٩٦٨)، وهناد بن السري في الزهد (٢/ ٦٢٨)، ووكيع في الزهد (٣٨٧).

ثلاثتهم من طريق: ابْنُ أَبِي لَيْلَى،

وهو مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى، وهو إلى الضعف أقرب، فهو سيء الحفظ،

كلاهما: – ابن أبي ليلى، وعبد الملك بن أبي سليمان– عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ يَعْلَى بْنَ أُمَيَّةَ، به.

ففي كلا الإسنادين عبد الملك بن أبي سليمان، وهو وإن كان صدوقًا إلا أنه يهم في الحديث، ويخطئ، والمدار عليه في السند الأول المتصل، والسند الأول المرسل، ففي السند الأول رواه عنه من هو سئ الحفظ وهو أو بكر بن عياش على الاتصال،

الرابع :ـ لقد أطلق النصارى اسم (الأب) على الله تعالى وهو إطلاق فاسد ، لأنه لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنة الصحيحة ، ولأنه إطلاق يعبر عن عقيدتهم الفاسدة في الله تعالى وفي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، لأنهم يقولون :ـ إن الله ثالث ثلاثة ، وهم الأب أي الله تعالى ، والابن وهو عيسى عليه السلام ، وروح القدس ، وهو جبريل عليه السلام ، وهذا كله من الشرك ، بل هو من أعظم الشرك وأخسه وأقذره ، فهذا الإطلاق على الله تعالى لا يصح ، قال تعالى " {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [الإخلاص: ٣] " وقال تعالى " {مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} [الجن: ٣] " وقال تعالى " {أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الصافات: ١٥١، ١٥٢] " والله الموفق والهادي .

الخامس :ـ الصوفية يسمون الله تعالى بصاحب الفيوضات ، وهو إطلاق خاطئ ، لأنه تسمية لله تعالى بما لم يسم به نفسه في كتابه ، ولا سماه به نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح سنته ولا هو ما تكلم به سلف الأمة وأئمتها ، وإنما هو اختراع من مخترعاتهم ، فحيث لم يرد بجواز إطلاقه النص ، فلا نقول به ، لأن باب الأسماء والصفات من الأبواب التوقيفية على الدليل من الكتاب وصحيح السنة ، والله الموفق .

السادس :ـ الفلاسفة يطلقون على الله تعالى ويسمونه بالعقل الفعال ، وهذا لا يصح ، لعدم ورود هذا الإطلاق لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام سلف الأمة ولا نعرفه منقولا عن أحد من أهل العلم رحمهم الله تعالى ، وإنما هو من موروثات الفلاسفة الذين لا عقل لهم ولا فهم يهديهم لطريق الحق والهدى ، فهذا الإطلاق لا نقبله ، لأن باب الأسماء والصفات من الأبواب التوقيفية على النص ، ولا نص يفيد جواز هذا الإطلاق ، والله الموفق .

السابع :ـ والحق أن المهين ليس من أسماء الله تعالى ، وأما قوله تعالى " {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ } [الحج: ١٨] " فإنه من باب إطلاق الخبر لا من باب

لكن تابعه زهيرُ بنُ معاوية على الإرسال ، بإسقاط صفوان بن يعلى، بين عطاء ويعلى بن امية، وعطاء لم يسمع من يعلى وزهير أوثق من أبي بكر بن عياش، وأجل، ومما يؤيد طريق الإرسال متابعة ابن أبي ليلى لعبد الملك بن سليمان بإسقاط صفوان من السند، وإن كان ابن أبي ليلى قد سبق الكلام على ضعفه، فلا يفرح به، بل هو يزيد الحديث ضعفًا، والله أعلم.

إطلاق الاسم ، فالله تعالى يكرم من يشاء ويهين من يشاء ، ولكن لا يجوز لنا أن نشتق له من أفعاله اسما ونطلقه عليه من باب التسمية ، وسيأتينا قاعدة خاصة فيما يطلق على الله تعالى ، ولكن المهم هنا هو أن تعلم أن المهين ليس من أسماء الله تعالى ، لعدم الدليل الدال على صحة إطلاقه على كونه اسما ، وإنما ورد الدليل بصحة إطلاقه على كونه خبرا عن فعل من أفعال الله تعالى ، وأسماء الله تعالى مبناها على التوقيف ، والله الموفق .

الثامن :ــ القول الصحيح أنه ليس من أسمائه جل وعلا (الفرد) لأنه لم يثبت به الدليل ، والحديث الوارد في هذه المسألة ضعيف لا يحتج به، وحيث لم يرد بإثباته دليل ، فإننا لا نسمي الله تعالى به ، لأن المتقرر أن أسماء الله تعالى مبناها على التوقيف ، ويستعاض عن هذا الاسم الذي لم يثبت باسم ثابت وهو اسم الله تعالى (الواحد) أو (الأحد) فكلها من الأسماء الثابتة لله تعالى ، والله الموفق .

التاسع :ــ والحق أن المغني ليس من أسماء الله تعالى ، وإنما من أسمائه الغني ، ومن صفاته الغنى المطلق ، وأما المغني فإنه من جملة أفعاله جل وعلا ، ولا نعلم دليلا يصح في إثبات كونه اسما من أسماء الله تعالى الحسنى ، وأما وروده في حديث التعداد لأسماء الله تعالى الحسنى ، فإنه لا يفيد أنه من أسماء الله تعالى لأن الحديث الوارد فيها ضعيف لا تقوم به الحجة ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، والمهم أن تعرف هنا أن المغني يصح إطلاقه على الله تعالى على أنه من جملة أفعاله جل وعلا ، لا على أنه من جملة أسمائه الحسنى ، فانتبه لهذا بارك الله فيك والله الموفق والهادي .

العاشر :ــ والحق أن النافع والضار والمانع والمميت والمحصي والمعز والمذل والرافع والخافض كل لا يجوز إطلاقه عل الله تعالى من باب إطلاق الاسمية إنما يطلق على الله تعالى من باب الخبر عن فعل من أفعاله جل وعلا ، لأنه لم يرد الدليل الشرعي بصحة تسمية الله تعالى بها ، والحديث في تعداد أسماء الله تعالى الوارد في السنة ضعيف لا تقوم به الحجة ، وباب التسمية مبناها على التوقيف ، فإذا قلت :ــ الله تعالى هو النافع وهو الضار وهو المميت والمحصي ، فلا تعتقد أنها من الأسماء ، ولكن قلها على أنها من جملة ما يخبر بها عن الله تعالى ،

والمتقرر أن باب الأخبار أوسع من باب التسمية ، أي ليس كل خبر عن فعل من أفعال الله تعالى يشتق له منه اسما ، كما سيأتي في قاعدة خاصة إن شاء الله تعالى ، والله الموفق والهادي .

الحادي عشر :ـ والحق أن الرشيد ليس من أسماء الله تعالى الحسنى ، لعدم ورود الدليل به ، وباب الأسماء والصفات مبناه على التوقيف ، والله أعلم .

الثاني عشر :ـ والأقرب إن شاء الله تعالى أن الطيب ليس من الأسماء الحسنى ، وإنما هو صفة من صفاته جل وعلا ، وأما الحديث الذي استدل به الفريق الأول ، وهو ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يا أيها النَّاسُ ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الأمر سَلِينَ فَقَالَ: ({يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [المؤمنون: ٥١]) وَقَالَ : ({يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢]) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)(٥٣١)

فالجواب أن هذا الحديث ليس فيه إثبات الطَّيِّبِ من أسماء الله تعالى ، بل فيه إثباته من الصفات، وفرقٌ بين الأمرين يدل عليه السياق ؛ فالحديث مسوق أصلا لمقصد آخر ، وهو الحث على أكل الحلال واجتناب الحرام ، فبدأ بإثبات وصف الطيب له سبحانه للتقديم بين يدي ما يحبه الله وما يرضاه ويحله ، وسياقه لفظ طيب من غير أل التعريف قرينة على ذلك ، فأسماء الله تعالى غالبا ما تساق معرفة للدلالة على الاستغراق ، وأما قوله إن الله طيب فالمقصود وصف الله تعالى بالطيب ، وليس تسميته به ، فالتسمية قدر زائد على الوصف المجرد ، وباب الصفات والأخبار أوسع من باب الأسماء ، والمسألة فيها خلاف ، ولكن ما قررته لك هو الأقرب إن شاء الله تعالى .

(٥٣١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٥).

الثالث عشر :ـ والحق أن الباعث والمبدي والمعيد لا تطلق على الله تعالى من باب التسمية ، ولكنها تطلق على الله تعالى من باب الخبرية عن فعل من أفعاله جل وعلا ، ومن أثبتها اسما فإنما يستدل بالحديث الوارد في تعداد أسماء الله تعالى وقد ذكرنا لك أنه من الأحاديث الضعيفة ، فقد ضعفه شيخ الإسلام ابن تيمية وجمع من أهل العلم رحمهم الله تعالى ، والمتقرر أن باب الأخبار عن أفعاله جل وعلا أوسع من باب التسمية ، والمتقرر أنه ليس كل خبر عن فعل من أفعاله لا بد وأن يشتق له منها اسما ، والله الموفق والهادي .

الرابع عشر :ـ والحق أن البديع ليس من أسمائه جل وعلا ، ولكنه مما يخبر به عن الرب جل وعلا ، كما قال تعالى " {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [البقرة: ١١٧] " ولكنه هنا من باب الخبرية عن فعل من أفعاله جل وعلا ، فالله تعالى هو البديع المبدع ، أما تسميته بذلك فلا نعلم لها من الكتاب أو السنة الصحيحة ما يثبتها وأما زيادة الترمذي على حديث " إن لله اسما من أحصاها دخل الجنة "(٥٣٢)

فأصل الحديث في الصحيح ، ولكن الزيادة الوارد في تعداد أسماء الله تعالى الحسنى لم تصح (٥٣٣)

---

(٥٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه ف كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين (٢٧٣٦)، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد (٦٤١٠)، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا (٧٣٩٢)، ومسلم في صحيحه كتاب كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧).

(٥٣٣) ضعيف من كل طرقه

أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٨٦١) من طريق: عبد الملك بن مُحَمَّد الصنعاني، عن زهير بن مُحَمَّد التميمي عن موسى بن عقبة عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة،

ففيه: عبد الملك بن مُحَمَّد الصنعاني، وهو ضعيف لين الحديث، ضعفه غير واحد، وشيخه متكلم فيه،

وأخرجه الترمذي في سننه (٣٥٠٧)، وابن حبان في صحيحه (٨٠٨)، والطبراني في الدعاء (١١١)، وابن منده في التوحيد (٢٢٩)، (٣٦١)، والحاكم في المستدرك (٤١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦)، وفي الدعوات (٢٩٣)، وفي السنن الكبرى (١٩٨١٧)، وفي شعب الإيمان (١٠١)

من طريق: الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، به.

وقد صرح كثير من علماء السلف رحمهم الله بضعفها كالداودي وابن كثير وابن حجر وابن الوزير وغيرهم(٥٣٤).

بل صرح شيخ الإسلام بأن هذه الزيادة ليست عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ ، بل ذكره الوليد عن سعيد بن عبد العزيز أو عن بعض شيوخه (٥٣٥).

فهذه الزيادة إذا _ والأمر كذلك_ لا يعتمد عليها في إثبات أسماء لله تعالى لم ترد في النصوص الشرعية . فليس الرشيد ولا الصبور ولا البديع(على إطلاقه) من أسماء الله لأنها لم ترد بها النصوص الشرعية ، حتى وأن وردت في تعداد أسماء الله في هذه الزيادة وقد ورد بديع السموات والأرض مقيدا في النصوص. ومن هنا -والله أعلم- أن المبدع ليس من الأسماء الحسنى لعدم الدليل فيما أعلم ، وما جاء في معناه من النصوص (وهو البديع) لم يأت على هيئة الاسم وإن كان يصح الإخبار به عن الله لكون الله هو الخالق البديع المبدع كما في قوله تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [البقرة: ١١٧] ومن المعلوم أن باب الإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء .

الخامس عشر :ـ وقد ذكر أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى أن المنتقم ليس من أسماء الله تعالى الحسنى ، وإنما هو من جملة ما يخبر به عن الله تعالى من

ففيه: الوليد بن مسلم، وقد انفرد بذكر الأسماء وسردها، ولم يتابعه على ذلك أحد من الأثبات عن شعيب، ومع ذلك الوليد لا يتحمل هذه الزيادة،

وقد ضعف الحديث الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٢) ابن الأعرابي في معجمه (١٦٩١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠)

من طريق: خالد بن مخلد القطواني، عن عبد العزيز بن حصين الخراساني، عن أيوب السختياني، وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، به.

ففيه: عبد العزيز بن حصين الخراساني، وهو ضعيف، ضعفه غير واحد من أهل العلم، منهم: ابن معين، وأبو حاتم، وأبو زرعة، حتى أن أبا حاتم أنكر حديثه. (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٣٨٠)

(٥٣٤) آنظر انظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢١٥- ٢١٩) فقد أفاد وأجاد رحمه الله في الكلام على هذا الحديث، وعلى طرقه وذكر من ضعفه وذكر من صححه.

(٥٣٥) آنظر مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٠)، (٨/ ٩٦)، (٢٢/ ٤٨٢)،

الأفعال ، فمن أفعاله جل وعلا أنه ينتقم ممن تحقق فيه الوصف الداعي للانتقام على ما تقتضيه حكمته وعدله جل وعلا ، كما قال تعالى " {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الأعراف: ١٣٦] " وقال تعالى " {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة: ٢٢] " .

السادس عشر :ـ لا يجوز تسمية الله تعالى بالماكر ولا المخادع ولا بالكائد ولا بالمستهزئ ولا بالساخر ، لأنها لا دليل عليها ، ولأنها تشعر بالذم ، وإنما هي من جملة الصفات التي هي بكمال باعتبار ونقص باعتبار ، فتثبت لله تعالى حال كمالها وتنفى عن الله تعالى حال نقصها ، فقوله تعالى " ومكروا ومكر الله " هذا من باب الوصف بالمكر من باب الجزاء والمقابلة ، وقوله " {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢] " هذا من باب الوصف بالمخادعة من باب الجزاء والمقابلة ، وقوله " {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٥، ١٦] " هذا من باب الوصف بالكيد الجزائي لا الكيد الابتدائي ، لأن الكيد من باب الجزاء والمقابلة كمال يوصف الله تعالى به ، وأما الكيد ابتداء من غير سبب يوجبه ولا علة تقتضيه فهو نقص ، فينزه الله تعالى عنه ، وقوله " {سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ} [التوبة: ٧٩] " هذا وصف لله تعالى بالسخرية من باب الجزاء والمقابلة ، وقوله " {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } [البقرة: ١٥] " هذا من باب الوصف بالاستهزاء من باب الجزاء والمقابلة ، وسيأتي قاعدة خاصة في هذا الأمر إن شاء الله تعالى ، والمهم أن هذه الإطلاقات لا يراد بها التسمية ، وإنما يراد بها الوصف ، ولا يراد بها أيضا الوصف المطلق ، وإنما يراد بها الوصف من باب الجزاء والمقابلة ، والمتقرر أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء ، فليس كل ما صح إطلاقه صفة على الله تعالى يصح إطلاقه اسما عليه ، أي أن كل اسم من أسمائه فإنه لا بد وأن يتضمن صفة كمال ، ولكن ليس كل صفة من صفاته يشتق له منها اسما ، هذا ما قرره أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، والله أعلم .

السابع عشر :ـ واختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في تسمية الله تعالى بالمسعر ، فقال البعض :ـ إنه من جملة أسماء الله تعالى الحسنى ، وقال بعضهم :ـ لا ، ليس هو من الأسماء ، بل هو مما يطلق على الله تعالى على أنه من جملة أفعاله جل وعلا ، وإطلاق الأفعال لا يستلزم منه اشتقاق الأسماء ، وقال بعضهم :ـ بل هو

من جملة أسمائه جل وعلا ، لورود الدليل الدال على أنه من جملة الأسماء ، وذلك في حديث أَنَسٍ قَالَ :ـ غلا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعِّرْ لَنَا فَقَالَ " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ " قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، (٥٣٦)

فقوله " إن الله هو المسعر " هذا التركيب يستفاد منه ثبوت الاسم لله تعالى ، فمن أسمائه جل وعلا (المسعر والقابض والباسط والرازق) فقوله " إن الله هو المسعر " هو كقوله تعالى " وهو الغفور الرحيم " فالتركيب واحد ، فمن استخرج اسما من هذا التركيب ، ومنعه من هذا التركيب فإنه مطالب بالدليل الدال على هذا التفريق ، والحق إن شاء الله تعالى أنه من جملة الأسماء ، فحيث ثبت الدليل بكونه اسما ، فإننا نقول به ، فإن قلت :ـ وما الصفة التي تضمنها هذا الاسم ؟ فأقول :ـ صفة التسعير ، ونقول فيها ما نقوله في عامة صفاته العليا جل وعلا ، بل هي دليل على ثبوت أفعاله الاختيارية ، وأنه الفعال لما يريد ، وأن له المشيئة النافذة والقدرة الكاملة ، وأنه جل وعلا المالك لكل شيء ، والمدبر لكل شيء ، وأنه الكامل في حكمته وعدله الكمال المطلق ، وأن الخلق كلهم تحت هيمنته وسلطانه ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه جل وعلا ، وأنه الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ، فلا يجوز أن يفهم منها ما يفهم من تسعير العباد ، لأنها من الصفات المضافة إلى الله تعالى ، فيقال فيها ما يقال في سائر صفاته جل وعلا ، والله أعلم .

الثامن عشر :ـ لقد ذكر بعض الأصحاب رحمهم الله تعالى أن الأفضل أن يقول العبد (شهر رمضان) ولا يقول (رمضان) وعللوا هذا بأن رمضان من جملة

---

(٥٣٦) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٢٥٩١)، (١٤٠٥٧)، والترمذي في سننه (١٣١٤)، وابن ماجه في سننه (٢٢٠٠)، وأبو داود في سننه (٣٤٥١)، والدارمي في سننه (٢٥٨٧)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٣٥)، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٦١)، (٣٨٣٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١١١)، وفي السنن الكبرى (١١١٤٤)، وفي المعرفة والسنن (١١٦٥٥).

كلهم من طريق: حماد بن سلمة، عن قتادة، وثابت، وحميد، عن أنس، به.

والأسانيد إليهم صحيحة، وقد صححه الترمذي فقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ولم أقف على أحد من أهل العلم تكلم فيه.

أسمائه جل وعلا ، كذا ذكروا ، ولكن الحق أن هذا ليس بشيء ، بل الصحيح أنه يجوز أن يقول (رمضان) مفردا من غير قوله (شهر) بل قد ورد في السنة هذا الأمر كما في قوله ﷺ " من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " (٥٣٧)

ونحن نقول :ـ إن اسم (رمضان) ليس من أسماء الله تعالى لأن المتقرر في القواعد عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أن الأسماء والصفات مبناها على التوقيف ، أي على ورود الدليل الشرعي الصحيح الصريح ، وهذا الاسم لا نعلم له دليلا يثبت في كونه من أسمائه جل وعلا ، وكل ما ورد في السنة في هذه المسألة فهو مما لا يصح ، بل هو موضوع ، والله الموفق والهادي .

التاسع عشر :ـ والصحيح أن اسم الهادي ليس من جملة الأسماء الحسنى ، ولكنه يطلق على الله تعالى من باب إطلاق الأخبار عن فعل من أفعاله جل وعلا ، فهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، فالهادي يصح إطلاقها على الله تعالى من باب إطلاق الخبر عن فعل من أفعاله جل وعلا ، ولكن لا تطلق على الله تعالى من باب إطلاق التسمية ، لأنه لم يأت دليل يفيد أنه من أسمائه ، بل ورد الدليل بكونه من جملة أفعاله ، والمتقرر أنه ليس كل فعل من أفعاله لا بد وأن يشتق منه اسما ، لأن باب الأخبار أوسع من باب الأسماء ، ونحن إن قلنا (والله هو الموفق والهادي) إنما نقولها من باب الخبرية عن فعل من أفعاله لا من باب التسمية ، فانتبه لهذا ، والله المستعان ، ولعل القاعدة بهذه الفروع قد اتضحت ، فباب الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى من الأبواب التوقيفية على النص ، فلا يجوز أن نثبت لله تعالى منها إلا ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو أثبته له رسوله ﷺ في صحيح سنته ،

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى (وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

---

(٥٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من صام رمضان، إيمانا واحتسابا (٣٨)، كتاب الصوم، باب من صام رمضان، إيمانا واحتسابا ونية (١٩٠١)، كتاب صلاة التراويح باب فضل ليلة القدر (٢٠١٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح (٧٦٠).

تكييف ولا تمثيل بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك أقوال رسله ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل) (٥٣٨)

وقال رحمه الله تعالى: (فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل ونفوا عنه التمثيل فأتوا بإثبات مفصل ونفي مجمل ، فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات كان معطلا ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلا والمعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما) (٥٣٩)

وقال أيضا (والذي اتفقت عليه الرسل وأتباعهم ما جاء به القرآن والتوراة من أن الله موصوف بصفات الكمال وأنه ليس كمثله شيء فلا تمثل صفاته بصفات المخلوقين مع إثبات ما أثبته لنفسه من الصفات ولا يدخل في صفاته ما ليس منها ولا يخرج منها ما هو داخل فيها) (٥٤٠)

وقال رحمه الله تعالى (وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير بكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد : لا في أمائه ولا في آياته فان الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى : {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: ١٨٠]

وقال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت: ٤٠] (٥٤١)

---

(٥٣٨) آنظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ١٤٨).

(٥٣٩) آنظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ١٤٨، ١٤٩).

(٥٤٠) آنظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ١٦٥).

(٥٤١) آنظر مجموع الفتاوى (٣/ ٣، ٤).

وقال رحمه الله تعالى (بَلْ مَذْهَبُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ . وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ . فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ الصِّفَاتِ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ؛ فَالنَّافِي مُعَطِّلٌ وَالْمُعَطِّلُ يَعْبُدُ عَدَمًا . وَالْمُشَبِّهُ مُمَثِّلٌ وَالْمُمَثِّلُ يَعْبُدُ صَنَمًا . وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إثْبَاتٌ بِلَا تَمْثِيلٍ وَتَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ . وَقَوْلُهُ : { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ) (٥٤٢)

وقال رحمه الله تعالى (فالذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فإنه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله)(٥٤٣)

والنقول عن أبي العباس رحمه الله تعالى في هذه المسألة كثيرة جدا ، وبما قرره أبو العباس هنا قد قال عامة أهل السنة والجماعة ، فقد اتفق سلف الأمة وأئمتها أن باب إثبات الأسماء والصفات ليس بابا مفتوحا أما الأهواء والشهوات والرغبات وخلجات النفوس ، ولا مفتوحا أمام الأمر ويات الواهية والنقولات العاطلة ، ولا أمام الأذواق والكاشفات والرؤى والأحلام ، بل هو باب توقيفي على آية من كتاب الله تعالى ، أو سنة صحيحة من سنن المصطفى ﷺ ،

قال الزهري رحمه الله تعالى (من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم)(٥٤٤)،

أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت

---

(٥٤٢) آنظر مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣٢).

(٥٤٣) آنظر شرح العقيدة الأصفهانية (١/ ٢٤، ٢٥).

(٥٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا بصيغة الجزم في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته) (٩/ ١٥٤).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى (ولا يوصف الله تعالى بشيء أكثر مما وصف به نفسه)(٥٤٥)

وقال نعيم بن حماد رحمه الله تعالى (من شبه الله بشيء من خلقه كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه) (٥٤٦)

وقال الشافعي رحمه الله تعالى (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله ، على مراد رسول الله) (٥٤٧)

وقد ذكر اللالكائي رحمه الله تعالى طرفا كبيرا من أخبارهم وأقوالهم في هذه المسألة.

والخلاصة :ـ أن السلف رحمهم الله تعالى متفقون على أن باب الأسماء والصفات من الأبواب التوقيفية على الدليل ، لا نتجاوز القرآن والحديث ، فهذه القاعدة التي نقررها لك الآن أصل مهم جدا في هذا الباب ، فلا بد من فهمها والتنبيه عليها وتذكير النفس بها ، والله ربنا أعلى وأعلم .

القاعدة الثانية من قواعد هذا الباب :ـ ((كل ما أثبته الدليل لله تعالى من الأسماء والصفات فالواجب إثباته ، وكل ما نفاه الدليل فالواجب نفيه وإثبات كمال ضده ، وما لم يأت فيه دليل بخصوصه فإننا لا نثبت لفظه ولا ننفيه ونستفصل في معناه ، فإن أريد به الحق قبلناه ، وإن أريد به الباطل رددناه)

أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن مذهب أهل السنة في باب الأسماء والصفات مجمل في ثلاثة مذاهب :ـ مذهب في الإثبات ومذهب في النفي ، ومذهب فيما لم يرد فيه دليل بخصوصه ، فأما مذهبهم في الإثبات :ـ فإنهم يثبتون لله تعالى ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ في صحيح سنته من غير تكييف ولا تحريف ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، بل يعتقدون أن الله تعالى ليس كمثله

(٥٤٥) آنظر المحنة لحنبل (١/ ٦٨).

(٥٤٦) آنظر الذهبي في العلو (١/ ١٢٦)، والعرش (٢/ ٣٠٥).

(٥٤٧) آنظر لمعة الاعتقاد (١/ ٧).

شيء وهو السميع البصير ، وأما في النفي فإنهم رحمهم الله تعالى ينفون عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه في كتابه أو نفاه عنه رسوله ﷺ في صحيح سنته ، ويثبتون له كمال ضد الصفة المنفية ، وسيأتي لها مزيد بيان إن شاء الله تعالى ، وأما فيما لم يرد فيه دليل بخصوصه ، فإنهم لا يثبتون اللفظ ولا ينفونه ، ولكنهم يستفصلون في المعنى فإن أريد به الحق قبلوه ، وإن أريد به الباطل ردوه ، وكلامنا هنا سيكون على القسم الثالث ، لأنه هو الذي يحتاج إلى توضيح ، فأقول وبالله تعالى التوفيق ، ومنه أستمد العون والفضل :ـ . اعلم رحمنا الله وإياك أن المبتدعة في هذا الباب قد تكلموا بألفاظ لا وجود لها بلفظها في القرآن ولا في السنة ولا في كلام السلف الصالح ، وذلك كلفظ الجهة والحيز والجسم والمكان .

وبنوا على هذه الألفاظ معتقداتهم في أسماء الله وصفاته ، فحرفوا الكلم عن مواضعه بسبب هروبهم من هذه الألفاظ ، فيقول الأشاعرة مثلاً لو أثبتنا له العلو لأستلزم ذلك أن يكون في جهة وهي ممتنعة على الله تعالى . ويقول المعتزلي مثلاً : لو أثبتنا الصفات لله تعالى لأستلزم وصفه بالجسمية ، وهي ممتنعة على الله تعالى فلما كثر جدالهم بهذه الألفاظ على عوام المسلمين نظر أهل السنة إليها بنظرين : فنظروا إلى ألفاظها بنظرة ونظروا إلى معانيها بنظرة ، فقالوا : إن هذه الألفاظ التي لم يرد لها دليل بخصوصها لا من القرآن ولا من السنة ولا عن سلف هذه الأمة ، هذه الألفاظ لنا فيها مذهبان ، مذهب في ألفاظها ومذهب في معانيها ، فأما مذهبنا في ألفاظها فإننا نتوقف فيها فلا نتكلم بها نفياً ولا إثباتاً ، أي لا نثبت ألفاظها ولا ننفيها ، فلا نقول : الله في جهة ، ولا نقول : ليس في جهة ، وكذلك لا نقول : الله له جسم ، ولا نقول : ليس له جسم ، وكذلك لا نقول : الله في حيز ولا نقول : ليس في حيز ، وكذلك لا نقول : الله في مكان ولا نقول : ليس الله في مكان ، فلا نثبت شيئاً من هذه الألفاظ و لا ننفيه ، وذلك لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة ولا في كلام السلف لا نفيه ولا إثباته ، وما لم يرد إثباته ولا نفيه في القرآن والسنة وكلام السلف فلا حق لأحدٍ أن يثبته أو ينفيه ، فهذا بالنسبة لذهب أهل السنة في ألفاظها وأعيده مختصراً فأقول : نتوقف في ألفاظها فلا نثبتها ولا ننفيها. ونمسك ألسنتنا عن الخوض فيها ، فهذا بالنسبة لمعتقدنا في هذه الألفاظ . وأما

بالنسبة لمعانيها ، فقبل أن أبين لك مذهب أهل السنة فيها أحب أن أقدم لك مقدمة مهمة جداً لفهم حقيقة هذه الألفاظ ، وهي كما يلي :

أعلم رحمنا الله وإياك أن هذه الألفاظ لها معانٍ فالجهة لها معانٍ والمكان له معانٍ والجسم له معانٍ والحيز له معانٍ ، وهذه المعاني التي تحملها هذه الألفاظ ليست باطلاً محضاً لترد مطلقاً ولا حقاً محضاً لتقبل مطلقاً ، بل فيها حق وباطل ، وقد تقرر عند السلف رحمهم الله تعالى أن ما أحتمل الحق والباطل ، فإنه لفظ مجمل ، فلا يردونه مطلقاً لأن فيه حقاً والحق لا يرد ولا يقبلونه مطلقاً لأن فيه باطلاً والباطل لا يقبل ، إذاً لا بد من أن يتميز حق هذه المعاني من باطلها ، ولا يمكن ذلك إلا بالاستفصال، والأمر اد به طلب التفصيل من المتكلم بهذه الألفاظ فبالإستفصال يزول الإشكال ويتضح المقال، فإذا بين المعنى الحق فإنه يقبل وإذا قصد المعنى الباطل فإنه يرد ، وهذا شأن جميع الألفاظ المجملة ، وهذا هو الميزان الحق الذي به توزن هذه الألفاظ ، فإن الضلال في كثير من الأبواب إنما حصل بسبب هذه الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً ، ولكن على مذهب أهل السنة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى فلا ضلال ولا حيرة ولا شكوك ، بل هو العدل والإنصاف مع الموافق والمخالف ، فأهل السنة رحمهم الله تعالى يعطون كل ذي حقٍ حقه ، ويرحمون الخلق ويقولون الحق ، حتى يتضح لك الأمر أكثر أضرب لك بعض الأمثلة هي غالب ما يقرره أهل السنة رحمهم الله تعالى ، فأقول وبالله التوفيق :

منها : لجهة ، لأهل السنة فيها نظران ، نظر من ناحية لفظها ونظر من ناحية معناها ، فأما لفظها ، فأما لفظها فيتوقفون فيه فلا يثبتونه ولا ينفونه ، ولا يتكلمون به ، فلا يقولون : الله في جهة ولا يقولون : الله ليس في جهة ، وأما معناها فيستفصلون فيه ، فإن كان المتكلم بها يريد جهة سفل فهذا ممتنع باطل لأن السفل نقص والله تعالى منزه عن كل نقصٍ ، وإن كان يريد جهة علو محيطة بالله تعالى فهذا ممتنع باطل أيضاً لأن الله تعالى لا يحيط به شيء من لعظمته وكبره جل وعلا ، وإن كان يريد جهة علو غير محيطة بالله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته فهذا حق وصدق وبه جاءت الأدلة ولكن نقول : الله في العلو المطلق ،

كما نطقت بذلك النصوص الكثيرة المتواترة المتنوعة من الكتاب والسنة . وهذا واضح .

ومنها : المكان ، فإن لأهل السنة فيه نظران ، نظر من ناحية لفظه ونظر من ناحية معناه ، فأما لفظه فيتوقفون فيه فلا يثبتونه ولا ينفونه ، أي لا يقولون : الله في مكان ، ولا يقولون : ليس الله في مكان ، لأنه لفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيه ولا إثباته ، وأما معناه فإنهم يستفصلون فيه ، فإن كان المتكلم به يقصد مكان سفلٍ فهذا ممتنع باطل لأن السفل نقص والله منزه عن النقص ، وإن كان يقصد مكان علوٍ محيط بالله تعالى فهو باطل ممتنع على الله كل الامتناع لأن الله تعالى لا يحيط به شيء ، وإن كان يقصد به مكان علو غير محيط على ما يليق بجلاله وعظمته فهذا حق وصدق يجب إثباته لله تعالى ولكن لا نطلق عليه لفظ المكان وإنما نقول : الله مستوٍ على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته ، ولا نغتر بالألفاظ المجملة التي بها يدخل أهل الأهواء على النصوص تحريفاً وتعطيلاً.

ومنها : الجسم ، فإن لأهل السنة رحمهم الله تعالى في هذا اللفظ نظرين ، نظر من ناحية لفظه ونظر من ناحية معناه ، فأما من ناحية لفظه فإنهم يتوقفون فيه فلا يثبتونه ولا ينفونه ، أي لا يقولون : الله له جسم ، ولا يقولون : ليس لله جسم ، فاللفظ يتوقفون فيه ولا يتكلمون به نفياً أو إثباتاً ، وأما معناه فإنهم يستفصلون فيه ، فإن كان المتكلم بهذا اللفظ يقصد الجسم المعهود في حقنا من كونه أجزاء وأبعاض يفتقر بعضها إلى بعض ، فهذا باطل ممتنع على الله كل الامتناع ، وهو مذهب الممثلة ، الذين يعتقدون أن صفات الله تعالى كصفاتنا ، وقد قال سبحانه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١] فهذا المعنى باطل لا يجوز إضافته إلى الله جل وعلا ، وأما إن كان المتكلم به يقصد الذات الإلهية الكاملة من كل وجه الموصوفة بصفات الكمال والجمال والمنعوتة بنعوت الجلال على ما يليق بالله جل وعلا ، فهذا حق لا ريب فيه ولكن لا نقول هذا جسم ، وإنما نقول : الله له ذات وصفات ، كما بذلك أهل السنة والجماعة رحم الله أمواتهم وثبت أحيائهم .

ومنها : الحيز ، فإن أهل السنة رفع الله قدرهم في الدنيا والآخرة ، لهم فيه نظران : نظر من ناحية لفظه ونظر من ناحية معناه ، فأما من ناحية لفظه فقالوا : نتوقف

فيه ، فلا نثبته ولا ننفيه ولا نتكلم به نفياً ولا إثباتاً ، أي لا نقول : الله في حيز، ولا نقول : ليس الله في حيز ، وأما معناه فإنهم يستفصلون فيه فإن كان المتكلم به يقصد أن الله تعالى يحوز الأشياء أوهي تحوزه ، فهذا باطل ممتنع كل الامتناع ، أي أن الأشياء داخلة في ذات الله تعالى ، أو أنه جل وعلا داخل في الأشياء حالٌّ فيها ، فهذا الضلال بعينه والتعطيل بعروقه وهو مذهب أهل الحلول والاتحاد الذين يقولون ـ لعنهم الله ـ إن الله تعالى داخل في الأشياء وهي داخلة فيه ، هو حال فيها وهي حالة فيه وهذا المذهب كفر بلا شك ، لأنه مفضٍ إلى تعطيل الخالق جل وعلا ، وأما إن كان المتكلم به يقصد أن الله تعالى منحاز عن المخلوقات بمعنى منفصل عنها كل الانفصال فليس فيه شيء منها وليس فيها شيء منه فهذا حق وصدق وهو الذي يجب اعتقاده ولكن نقول بما قال أهل السنة أن الله تعالى فوق السموات مستوٍ على عرشه بائن من خلقه ليس فيه شيء منهم وليس فيهم شيء منه ، وبهذا قد تحرر الحق هذه الألفاظ الأربعة أعني لفظ الجهة والمكان والحيز والجسم ، وبه يتضح ذلك الأمر إن شاء الله تعالى ، وأعيده لك ملخصاً : فأقول : مذهبنا في الإثبات إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ في سنته إثباتاً بلا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف . ومذهبنا في النفي نفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى لله عليه وسلم في سنته مع اعتقاد كمال الضد .ومذهبنا فيما لم يرد فيه دليل بخصوصه أننا من ناحية لفظه نتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه ومن ناحية معناه فإننا نستفصل فيه فإن أريد به الباطل رددناه والله ربنا أعلى وأعلم ولعل الأمر قد أتضح لك بحول الله وقوته وأستغفر الله تعالى وأتوب عليه .

القاعدة الثالثة من قواعد هذا الباب :ـ (كل ما ورد في النصوص نفيه عن الله تعالى فالواجب فيه النفي وإثبات كمال الضد) أقول وبالله التوفيق :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة رحمهم الله تعالى متفقون على أن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فإنه جل وعلا لم ينفه نفيا محضا ، أي نفيا لا يتضمن ثبوتا ، بل لم ينفه جل وعلا إلا لأنه متصف بكمال ضده ، فما نفاه الله تعالى عن نفسه فالواجب علينا فيه أمران :ـ الأول :ـ أن ننفي هذه الصفة المنفية ، لأن نفيها مما أخبر به الدليل ، وما أخبر الدليل فالواجب على التصديق به ، فكما أننا صدقناه فيما أخبر به من

إثبات الصفات ، فكذلك يجب علينا أن نصدقه فيما أخبر به من نفي بعض الصفات ، فأخبار الشارع فرض على الجميع تصديقها ، وعدم معارضتها لا برأي ولا بمذهب ولا بقاعدة ولا بخرافة ولا بعقل ولا بذوق ولا بمكاشفة ولا بالأحلام والرؤى ولا بالعادات والتقاليد ولا بموروثات الآباء والأجداد المعارضة لما جاء به الشرع ، فما أثبته النص فالواجب علينا إثباته ، وما نفاه النص فالواجب علينا نفيه ، وهل نقف عند النفي فقط ؟ الجواب :ــ لا ، بل لا بد أن نتعداه إلى ما بعده ، وهو الواجب الثاني :ـ وهو إثبات كمال ضد الصفة المنفية ، فانظر إلى الصفة المنفية فانفها ، وانظر إلى الصفة التي تضادها فأثبتها ، وذلك حتى لا يكون نفيك من النفي المحض ، وقد أجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى على أن الله تعالى لا يوصف بالنفي المحض ، أي النفي الذي لا يتضمن ثبوتا ، بل لا يوصف الله تعالى إلا بالنفي الذي يتضمن ثبوتا ، وبالمثال يتضح ما نريد إثباته لك هنا :ـ

الأول :ـ قال تعالى " {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦] " وقال " {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩] " فالصفة المنفية هنا صفة الظلم ، فما الواجب عليك فيها ؟ الجواب :ـ الواجب علي فيها أمران :ـ الأول :ـ أن أنفي هذه الصفة فأقول (الله لا يظلم) ولا أسكت ، بل أقرن مباشرة بالواجب الثاني وهو :ـ إثبات كمال ضد الظلم ، وضد الظلم العدل ، فأقول (الله لا يظلم ، لكمال عدله جل وعلا) فقولك :ـ لا يظلم ، هذا هو الواجب الأول ، وقولك :ـ لكمال عدله ، هو الواجب الثاني .

الثاني :ـ قال تعالى " {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق: ٣٨] " فهنا صفة منفية ، وهي صفة اللغوب ، وهو العجز والإعياء والتعب والضعف ، فما الواجب عليك فيها ؟ تقول :ـ الواجب علي فيها أمران :ـ أولا :ـ أن أنفي عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه هنا ، فأقول (الله تعالى لا يصيبه التعب ولا الإعياء ولا العجز ولا الضعف) أي لا يصيبه (اللغوب) وهل هذا كاف ؟ الجواب :ـ لا ، بل لا بد أن أقرنه بالواجب الثاني ، وهو :ـ إثبات ضد اللغوب ، فما الصفة التي هي ضد اللغوب ؟ الجواب :ـ هي كمال القدرة والقوة ، فأقول (الله تعالى لا يصيبه اللغوب لكمال قدرته وقوته جل وعلا) وهنا أكون قد حققت مذهب أهل السنة رحمهم الله تعالى في هذا النفي .

الثالث :ـ قال تعالى " {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ } [البقرة: ٢٥٥] " فهنا صفتان منفيتان ، وهما صفة النوم والسنة ، والأمر اد بالسنة أي مقدمات النوم ، فالله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ، فالواجب عليك أن تنفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه في القرآن ، وهو هنا قد نفى صفة النوم والسنة ، فتقول (الله تعالى لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) ولا تقف عند هذا الحد ، بل لا بد أن تتعداه إلى تحقيق الواجب الثاني ، وهو :ـ أن تثبت لله تعالى كمال ضد الصفة المنفية ، وهو هنا كمال الحياة وكمال القيومية ، فتقول (الله تعالى لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لكمال حياته وكمال قيوميته جل وعلا) وبهذا تكون قد حققت مذهب أهل السنة في هذا النفي ، والله أعلم .

الرابع :ـ قال تعالى " ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدا " فهنا نفيان عن الرب تعالى ، وهما نفي الزوجة والولد ، فالواجب نفيهما عنه جل وعلا ، وما ذلك إلا لكماله تعالى عن كل أحد ، فهو الغني بذاته جل وعلا عن كل أحد ، وهذا هو الواجب في النفي .

الخامس :ـ قال تعالى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " فالله تعالى هنا ينفي عن نفسه أن يعذ قوما بلا إرسال رسول يبين لهم ما يحذرون ، وما هذا إلا لكمال رحمته بعباده وكمال عدله جل وعلا.

وعلى ذلك فقس والله أعلى وأعلم .

القاعدة الرابعة من قواعد هذا الباب :ـ (الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار تثبت لله تعالى حال كمالها وتنفى عن الله تعالى حال نقصها) اعلم رحمك الله تعالى وبارك فيك وأجزل لك الأجر والمثوبة أن الصفات لا تخلو من ثلاثة حالات :

الأول : إما صفات كمال من كل وجه ، أي من حيث نظرت إليها وجدتها كمالاً كالحياة والعلم والسمع والبصر والقوة والقدرة والعلو ونحوها فهذه يجب إثباتها لله مطلقاً ، أي في كل الأحوال وسائر الأزمنة لأنها كمال من كل وجه ولا نطيل في هذا القسم لأنه واضح .

الثاني : صفات هي نقص من كل وجه أي من حيث أتيتها وجدتها نقصاً ، كالغدر والظلم والخور واللغوب والغش ونحو ذلك ، فهذه الصفات تنفى عن الله مطلقاً أي في كل الأحوال ، مع إثبات كمال ضدها ، كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى ، فهذان القسمان واضحان وفهمهما يسير فصفات الكمال المطلق تثبت لله تعالى على وجه الإطلاق ، وصفات النقص المطلق تنفى عن الله على وجه الإطلاق .

الثالث : صفات هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ، أي أنك إذا رأيتها من وجه وجدتها كمالاً ، وإذا نظرت لها من وجهٍ وجدتها نقصاً ، فالمذهب في هذا النوع من الصفات أنها تثبت لله حال كمالها وتنفى عن الله حال نقصها .

فلا تثبت لله مطلقاً ولا تنفى عنه مطلقاً ، بل تثبت له وتنفى عنه في حال دون حال ، فإذا كانت كمالاً أثبتناها وإذا كانت نقصاً نفيناها ويمثل لها بصفة المخادعة فإنها ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ، ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها القسم الثاني ، بل هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ، فالمخادعة ابتداءً بلا موجبٍ ولا مقتضٍ صفة نقص فتنفى عنه جل وعلا ، أي أن الله تعالى لا يوصف بالمخادعة ابتداءً ، وأما المخادعة باعتبار الجزاء والمقابلة جزاءً وفاقاً فإنها كمال لأنها تدل على كمال علم الله تعالى وتمام قدرته جل وعلا فيوصف الله بها ولذلك فإنك لا تجد المخادعة مضافة إلى الله تعالى ابتداءً وإنما تجدها مضافة إليه من باب الجزاء والمقابلة كقوله تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢]،

ومثال آخر : صفة الكيد ، فإن هذه الصفة ليست من الكمال المطلق حتى تلحق بالقسم الأول ولا من النقص المطلق حتى تلحق بالقسم الثاني ، بل هي كمال من وجه ونقص من وجه ، فيقال فيها ما قد قيل في القسم الثالث فنثبتها لله حال كمالها وننفيها عنه حال نقصها ، فإذا نظرنا إلى صفة الكيد ابتداءً بلا موجبٍ ولا سبب يقتضيه وجدناه نقصاً فننزه الله تعالى عنه ، لأنه حينئذٍ نوع من الظلم والله تعالى منزه عن الظلم ، وأما الكيد باعتبار الجزاء والمقابلة أي جزاءً وفاقاً ومعاملة بالمثل ، ومن باب الجزاء من جنس العمل فإنه كمال لأنه دليل على كمال علم الله تعالى وتمام قدرته على المقابلة بالمثل ، فيوصف الله تعالى حينئذٍ ، فالكيد ابتداءً

نقص لا يوصف الله به ، والكيد من باب الجزاء والمقابلة كمال يوصف الله به ، ولذلك فإنك لا تجدها في القرآن مضافة إلى الله تعالى إلا من باب الجزاء ، كما في قوله تعالى:{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٥، ١٦] ، ومثال آخر: صفة المكر فإن هذه الصفة ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ولا من قبيل النقص حتى نلحقها بالقسم الثاني ، بل هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ، فيقال فيها ما قررناه في القسم الثالث وهو أننا نثبتها لله حال كمالها وننفيها عنه حال نقصها ، فالمكر ابتداءً نقص ننزه الله عنه ، والمكر من باب الجزاء والمقابلة كمال فيوصف الله به ولذلك فإنك لا تجد المكر مضافاً في القرآن لله تعالى إلا من باب الجزاء والمقابلة كقوله تعالى ({وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال: ٣٠] وكقوله تعالى {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: ٥٠]

ومثال آخر : صفة الاستهزاء ، فإن هذه الصفة ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها بالقسم الثاني ، بل هي كمال باعتبار ونقص باعتبار فهي نقص باعتبار الابتداء ، فننزه الله عنها ، وهي كمال باعتبار الجزاء والمقابلة فيوصف الله بها ، وذلك كقوله تعالى ({وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [البقرة: ١٤، ١٥]

ومثال آخر : صفة السخرية ، فإنها ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها بالقسم الثاني ، فالسخرية ابتداءً نقص فينزه الله تعالى عنها ، والسخرية من باب الجزاء والمقابلة كمال فيوصف الله بها وذلك كما في قوله تعالى ({الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة: ٧٩]

ومثال آخر : صفة النسيان ـ فإن هذه الصفة ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نصف الله بها على وجه الإطلاق ولا من قبيل النقص حتى ننفيها عنه على وجه

الإطلاق ، بل هي من الكمال باعتبار ومن النقص باعتبار آخر ، وبيان ذلك أن يقال : إن النسيان له في لغة العرب معنيان !

المعنى الأول : النسيان بمعنى الغفلة والذهول عن الشيء ، فتجد الرجل منا يضع مفتاحه أو نظاراته في مكان ، ثم ينساه ، أي غفل وذهل عنه ، بل قد يكون أحياناً في يده وهو يبحث عنها ، فهذا النسيان بهذا المعنى نقص فينزه الله عنه وهو النسيان المنفي في قوله تعالى ({وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } [مريم: ٦٤] وفي قوله تعالى ({لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى } [طه: ٥٢] وهذا النسيان مبناه على انقطاع التفكير وعزوب المعلوم عن القلب ، وهذا نقص لا يليق بالخالق الكامل في ذاته من كل وجه والكامل في صفاته من كل وجه والكامل في أفعاله من كل وجه

المعنى الثاني : النسيان بمعنى الترك عن علمٍ وعمدٍ جزاءً ومقابلة للمتروك ، فهذا الترك في لغة العرب يسمى نسياناً ، وهذا النسيان بهذا الاعتبار كمال فيوصف الله تعالى به وهو المثبت في قوله تعالى {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } [التوبة: ٦٧]

وفي قوله تعالى ({فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ} [السجدة: ١٤]

وفي قوله تعالى {كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه: ١٢٦] فلا نقص في هذا النسيان بوجهٍ من الوجوه لأن ما نثبته لله تعالى من الصفات فلله أعلاها وغايتها ونهايتها وكمالها المطلق ، وخلاصة الكلام : أن النسيان بمعنى الغفلة والذهول عن الشيء نقص فلا يوصف الله تعالى به ، والنسيان بمعنى الترك عن علمٍ وعمدٍ جزاءً ومقابلة كمال فيوصف الله تعالى به والله أعلم .

ومثال آخر : صفة الأسف ، فإنها ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ، ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها بالقسم الثاني بل هي كمال باعتبار ونقص باعتبار، وبيان ذلك أن يقال : إن الأسف له في لغة العرب معنيان :

المعنى الأول : الحزن ومنه قوله تعالى ({وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا } [الأعراف: ١٥٠] وهو ضعف في النفس يعتريها لعدم تحمل الأمر الوارد ، وهو نوع من النقص في البشر فالأسف بهذا الاعتبار نقص في ينزه الله عنه .

المعنى الثاني : الأسف بمعنى الغضب ومنه قوله تعالى {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: ٥٥]أي أغضبونا ، فالأسف بهذا المعنى كمال يوصف الله تعالى به ، وبناءً على ذلك فالأسف بمعنى الحزن نقص لا يوصف الله به ، والأسف بمعنى الغضب كمال يوصف الله به ولعل الأمر الثاني قد أتضح إن شاء الله تعالى ، وخلاصته أن يقال : إن الصفات إن كانت من قبيل الكمال المطلق فإنها تثبت لله على وجه الإطلاق ، وإن كانت من قبيل النقص المطلق فإنها تنفى عن الله على وجه الإطلاق وإن كانت من قبيل الكمال والنقص والمقيد ، فإنها تثبت لله تعالى كمالها وتنفى عنه حال نقصها ، فإذا أتقنت ذلك الأمر لان لك ذلك الباب إن شاء الله تعالى أسأله جل وعلا باسمه العظيم أن ينفع بك ويجعلك مباركاً حيثما كنت ، ويرزقك الاستقامة على منهج أهل السنة والله أعلى وأعلم .

القاعدة الخامسة من قواعد هذا الباب :ـ (إثبات أهل السنة والجماعة لأسماء الله تعالى وصفات بريء من التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل والإلحاد) : أي ومن الأمور التي يتضح بها اعتقاد أهل السنة والجماعة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى في باب الأسماء والصفات أن تعلم رحمنا الله وإياك أن إثبات أهل السنة للأسماء والصفات بريء من خمسة محاذير ،

المحذور الأول : محذور التحريف ، والتحريف لغة هو التغير ، وهو تغير النص لفظاً أو معناً ، وقد قسمه أهل العلم رحمهم الله تعالى إلى قسمين تحريف ألفاظ وتحريف معانٍ ، ويقصدون بتحريف الألفاظ تغييرها في الظاهر إما بزيادة حرف أو تغيير حركة ، وقد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير ، فصار تحريف الألفاظ عندنا نوعان : تحريف للفظ يتغير معه المعنى وتحريف للفظ لا يتغير معه المعنى ، ومثال الأول : تحريف اليهود لقوله تعالى {وَقُولُوا حِطَّةٌ} [البقرة: ٥٨]فقالوا ـ لعنهم الله تعالى ـ "حنطة " فزادوا النون وتغير معها المعنى تماماً ، فإن قوله تعالى {وَقُولُوا حِطَّةٌ} [البقرة: ٥٨] أي حط عنا ذنوبنا ، فأتى الملاعين ذلك وقالوا " حنطة " وهم بذلك يكونون قد حرفوا اللفظ تحريفاً تغير معه المعنى ، ومثال آخر : ما زاده الجهمية في قوله تعالى ({الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]) فقالوا (

استولى) فزادوا اللام ، ومع هذه الزيادة تغير المعنى ، فاليهود زادت نوناً والجهمية زادوا لاماً ، وفي ذلك يقول أبن القيم في الكافية الشافية

نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان

ومثال آخر : وهو أن المبتدعة أرادوا أن يحرفوا قوله تعالى {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤]

وذلك بنصب الاسم الأحسن ، لتنفي صفة الكلام عنه جل وعلا ، وهذا تحريف للفظ يتغير معها المعنى ، ومثال آخر : في قوله تعالى ({صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } [الفاتحة: ٧]) فيقرأها بعضهم (أنعمتُ) بالضم ، فهذا تحريف تغير معه المعنى ، فهذه بعض الأمثلة على التحريف اللفظي الذي يتغير معه المعنى ، وأما التحريف اللفظي الذي لا يتغير معه المعنى ، فكأن يقرأ أحد قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فينصب لفظ (الْحَمْدِ) ، فهذا تحريف لفظي لكن لم يتغير معه المعنى ، وكأن ينصب لفظ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) فيقرأ (رَبَّ الْعَالَمِينَ) فهذا تحريف للفظ لكن لم يتغير معه المعنى ، وأما النوع الثاني : أعني تحريف المعنى فهو أن ينصبَّ التغيير على المعنى ، بأن يسلب المعنى الصحيح ويقحم في اللفظ معناً أجنبي ، واللفظ على ما هو عليه لم يتغير في الظاهر لا بزيادة حرف ولا بتغيير حركة ، ولكن الذي غير هو المعنى وذلك بتحريف المبتدعة لقوله تعالى {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤] فقالوا : الأمر اد بها النعمة أو القدرة ، فاللفظ لم يتعرضوا له ولكن التغيير حصل في المعنى ، وكتحريفهم لقوله ﷺ (ينزل ربنا) (٥٤٨) فقالوا : ينزل أمره أو رحمته أو ملك من الملائكة ، فاللفظ أبقوه على ما هو عليه ولكنهم حرفوا معناه ، وهذا الأمر أعني التحريف المعنوي هو غالب ما وقعت فيه فرق الأمة المخالفة لأهل السنة والجماعة ، وأما حكم التحريف فهو حرام ولا شك وقد يصل بصاحبه إلى اكفر .

(٥٤٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وكتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٦٣٢١)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

فهذه بالنسبة للمحذور الأول وهو محذور التحريف . والله أعلم .

المحذور الثاني : محذور التعطيل ، والتعطيل لغة هو التفريغ والإخلاء ومنه قوله تعالى {وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ} [الحج: ٤٥]وشرعاً : إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات إنكاراً كلياً أو جزئياً ، وقد قسمه أهل العلم إلى قسمين تعطيل كلي ، كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الأسماء كلها والصفات كلها ، وتعطيل جزئي كتعطيل المعتزلة والأشاعرة فإن المعتزلة يثبتون الأسماء وينكرون الصفات والأشاعرة يثبتون الأسماء ولا يثبتون من الصفات إلا سبعاً فقط وهي الحياة والكلام والبصر والسمع والإرادة والعلم والقدرة ويحرفون الباقي ، وحكم التعطيل حرام وقد يصل بصاحبه في بعض صوره إلى الكفر ، فإثبات أهل السنة للأسماء والصفات لا تعطيل فيه فإن قلت : فما الفرق بين التحريف والتعطيل ؟ فأقول : الفرق بينهما أن يقال : كل تحريف تعطيل وليس كل تعطيل تحريف ، وبيان ذلك : أن اللفظ الشرعي نزل بمعنىً ، والتعطيل هو تفريغ اللفظ عن معناه الصحيح ، فإن أقحم فيه معنىً آخر فهو التحريف ، فالتحريف درجة زائدة عن التعطيل ، فالمبتدعة عطلوا أولاً وحرفوا ثانياً ، وزيادة في الإيضاح أضرب لك بعض الأمثلة :

فمنها :قوله تعالى {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤] فإن هذا النص نزل بإثبات اليدين لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، فيأتي المحرف ويقول : ليس الأمر اد به ذلك فهذا تعطيل ، ثم يقول : إنما الأمر اد بهما النعمة أو القدرة وهذا تحريف .

ومنها : قوله تعالى ({وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } [الفجر: ٢٢]) فإن هذا النص فيه إثبات صفة المجيء لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، فيأتي المحرف ويقول: هذا النص لا يراد به ذلك ، فهذا تعطيل ، ثم يقول : بل الأمر اد به مجيء أمره وهذا تحريف .

ومنها : قوله ﷺ: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) (٥٤٩)

فهذا النص فيه إثبات صفة النزول إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر على ما يليق بجلاله وعظمته ، فيأتي المحرف فيقول : ليس الأمر اد به ذلك فهذا تعطيل ، ثم يقول : إنما الأمر اد به نزول أمره أو رحمته أو ملك من الملائكة وهذا تحريف . وهكذا ، فإذا فرغ اللفظ من معناه الصحيح فقط فهو التعطيل ، وإذا أقحم فيه معنىً آخر فهو التحريف ، وبناءً عليه فالتحريف أعظم أثماً وأشد جرماً وأكبر خطراً من التعطيل ، فهذا بالنسبة للمحذور الثاني وهو محذور التعطيل .

المحذور الثالث : محذور التمثيل ، وهو إثبات مماثل ، ومعناه أن يعتقد العبد أن صفات الله تعالى كصفات خلقه ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وهو محرم وقد يصل بصاحبه إلى الكفر .

المحذور الرابع : محذور التكييف وهو حكاية كيفية الصفة ، ومعناه أن يكيف صفات الله تعالى ، نعوذ بالله من ذلك فإثبات أهل السنة لصفات الله تعالى إثبات بريء من التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل ، وهذا من نعمة الله تعالى ، وهذا من خصائص أهل السنة والجماعة ، فإن من سواهم من الفرق قد وقعوا في صفات الله تعالى تحريفاً وتعطيلاً وتكييفاً وتمثيلاً ، فأستعذ بالله من هذه المذاهب الضالة والآراء المعتلة ، وألزم جادة الحق وأنج مع أهل النجاة ، عافانا الله وإياك من كل بلاءٍ وفتنة. فإن قلت : فما الفرق بين التكييف والتمثيل ؟ فأقول : سأذكر لك فرقين خذ أيهما شئت :

الأول : كل تمثيل فهو تكييف وليس كل تكييفٍ تمثيلاً ، أي أن دائرة التمثيل أضيق من دائرة التكييف

الثاني : أن تقول : التكييف حكاية كيفيه الصفة غير مقرونة بمماثل ، وأما التمثيل فهو حكاية كيفية الصفة مقرونة بمماثل وبناءً عليه فأقول : كل من التكييف

---

(٥٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وكتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٦٣٢١)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

والتمثيل حكاية لكيفية الصفة ولكن إن كانت هذه الصفة تحاكي صفة أخرى فهو تمثيل أي مثلت شيئاً بشيء ، وإن كانت من نسج الخيال فهي تكييفٌ والله أعلم .

المحذور الخامس : محذور الإلحاد ، والإلحاد لغة : الميل ، ومنه اللحد في القبر لأنه ميل عن سن القبر، ومنه الملحد لأنه مائل عن الحق ، واصطلاحاً : الميل عن ما يجب اعتقاده في أسماء الله تعالى وآياته ، وقد قسمه أهل العلم إلى قسمين إلحاد في الأسماء وإلحاد في الآيات ، فأما الإلحاد في الأسماء فأنواع:ـ

فمن ذلك : إنكارها جملة أو إنكار شيء منها ، كما فعله الجهمية .

ومن ذلك : إنكار ما تضمنته من الصفات كما فعله المعتزلة .

ومن ذلك : تسمية الله جل وعلا بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له أباً ، وتسمية الفلاسفة له بالعلة الموجبة أو العقل الفعال أو صاحب الفيوضات ونحو ذلك .

ومن ذلك : أن تشتق من أسمائه أسماء لبعض المعبودات من دونه ، كاشتقاق العزى من العزيز ، واشتقاق اللات من الإله ، وهكذا ، فهذا هو الإلحاد في الأسماء ، وهو حرام وقد يصل بصاحبه إلى الكفر ، قال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف: ١٨٠]

وأما الإلحاد في الآيات فقسمان : إلحاد في الآيات الكونية وإلحاد في الآيات الشرعية ، فأما الإلحاد في الآيات الكونية فاعتقاد أن ثمة خالقاً أو مصرفاً أو مدبراً لها مع الله تعالى ، قال تعالى {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } [سبأ: ٢٢]، وأما الإلحاد في الآيات الشرعية فبالتكذيب بها وإنكارها وتحريفها وتعطيلها وإخراجها عن مدلولاتها التي نزلت بها وعصيان أحكامها ، كل ذلك من الإلحاد في الآيات ، وهو حرام أيضاً وقد يصل بصاحبه إلى الكفر، قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [فصلت: ٤٠] وبهذا يكون قد

انتهينا من المحاذير الخمسة ، وهي باختصار : التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل والإلحاد ، فإثبات أهل السنة للأسماء والصفات لا تحريف فيه ولا تعطيل فيه ولا تكييف فيه ولا تمثيل فيه ولا إلحاد فيه ، جعلنا الله وإياك من الذين شرح الله صدورهم لموافقة الحق والله تعالى أعلى وأعلم .

القاعدة السادسة :ـ (أهل السنة والجماعة يثبتون الأسماء والصفات لله تعالى إثباتا بلا تمثيل وينزهون الله عن مماثلة خلقه تنزيها بلا تعطيل) أي من الأمور المعينة على فهم منهج أهل السنة في باب الأسماء والصفات أن تعرف منهج المخالفين لهم في هذا الباب وقد خالفهم في هذا الباب طائفتان ، الممثلة والمعطلة ، فأما الممثلة فقالوا : نحن نثبت لله الأسماء والصفات ولكن على وجهٍ يماثل صفات المخلوقات ، وهذا المذهب فيه حق وباطل ، فأما الحق فهو إثباتهم للأسماء والصفات ، والباطل هو اعتقادهم مماثلتها لصفات المخلوقات ، وأما المعطلة فقالوا : نحن ننزه الله تعالى عن مماثلة المخلوقات ، تنزيهاً ننفي معه الأسماء والصفات وهذا المذهب أيضاً فيه حق وباطل ، فأما الحق فهو قولهم : ننزه الله عن مماثلة المخلوقات، والباطل هو نفي الأسماء والصفات ، وأقول لك بارك الله فيك : لو جمعت الحقين للذين مع هاتين الطائفتين لصارا هما مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء الصفات ، فالحق الذي مع الممثلة : هو إثبات الأسماء والصفات ، والحق الذي مع المعطلة هو تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات ، فتكون صياغته هكذا : نثبت لله الأسماء والصفات وننزهه عن مماثلة المخلوقات ، ولعلك بهذا قد تصورت مذهبهم في هذا الباب ، فهم أحق بالحق ، وغيرهم أحق بالباطل . ونزيدك إيضاحاً ونقول : إن أهل التمثيل أخذوا بالأدلة التي تثبت الصفات وتركوا الأخذ بالأدلة التي تنفي مماثلة الله بالمخلوقات ، وأهل التعطيل عكسوا الأمر فأخذا بالأدلة التي تنفي مماثلة الله للمخلوقات وتركوا الأخذ بالأدلة التي تثبت الصفات ، فكلاً من الطائفتين أخذ بطرف من الأدلة وترك الآخر ، وأما أهل السنة رحمهم الله تعالى فإنهم أخذوا بكل الأدلة ، فأخذوا بالأدلة التي تثبت الأسماء والصفات ، فأثبتوا لله الأسماء والصفات ، وأخذوا بالأدلة التي تنفي مماثلة الله للمخلوقات فقالوا بمدلولها ، فهم أسعد بموافقة النصوص من غيرهم ، وهذه هي المتابعة المطلقة ، وهي التي أختص بها أهل السنة رحمهم الله تعالى وأما غيرهم من الطوائف فإنما عندهم مطلق المتابعة أي

بعضها ، وإن شئت أن نعبر عن مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات بعبارة أخرى فيها مجانبة لكلا المذهبين الضالين فنقول : إثباتنا لا تمثيل فيه وتنزيهنا لا تعطيل فيه ، فالأول رد على أهل التمثيل والثاني رد على أهل التعطيل ، وإن شئت أن تعبر بما هو خير من ذلك الخبرية المطلقة فعليك بقوله تعالى(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورى: من الآية١١) فهو خير الكلام على الإطلاق فإنه على وجازته يغني عن هذه التطويلات فقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) رد على أهل التمثيل ، وقوله تعالى (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) رد على أهل التعطيل . والله تعالى أعلى وأعلم.

القاعدة السادسة من قواعد هذا الباب :ـ ((صفات الله تعالى الثبوتية تنقسم إلى ذاتية وفعلية) اعلم رفع الله نزلك في الدنيا والآخرة أن أهل السنة رحمهم الله تعالى قد قسموا صفات الله تعالى إلى قسمين : صفات ذاتية وصفات فعليه ، وفرقوا بينهما بقولهم : كل صفة ملازمة للذات لا تنفك عنها أزلاً وأبداً فهي صفة ذات ، وسموها صفة ذات لملازمتها للذات وعدم انفكاكها عنها وذلك كالحياة والعلم والقوة والسمع والبصر والقدرة والوجه واليدين والعين ونحو ذلك فكل هذه الصفات صفات ذات لأنها لا يتصور أصلاً انفكاكها عنه جل وعلا ، وأما الصفات الفعلية هي التي يفعلها متى شاء ، أي هي متعلقة بالمشيئة فمتى ما شاء فعلها ومتى ما شاء لم يفعلها فلأنها متعلقة بالمشيئة سميت فعلية ، لأن فعله جل وعلا راجع إلى مشيئته ، على ما يقتضيه علمه وحكمته ، وذلك كالغضب ، والفرح والرضا والنزول إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ، وكذلك صفة الاستواء فإنهما صفة فعلية ، ونحو ذلك فهذه الصفات كلها فعلية ، وقد يجتمع في صفة واحدة الأمران جميعاً فتكون ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار ، كصفة الكلام ، فإنها باعتبار أصلها صفة ذات أي لم يزل الله تعالى وصوفاً بالكلام على ما يليق بجلاله وعظمته ، وأما باعتبار آحاد الكلام فإنها صفة فعل ، ولذلك قال أهل السنة أعلا الله قدرهم في الدنيا ، ورفع درجاتهم في الجنة أن كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد ، فبالنظر إلى أصل الكلام فهو صفة ذات وبالنظر إلى آحاده فهو صفة فعل ، وهذا هو الفرق المشهور ـ أعني الفرق الذي ذكرته آنفاً بين صفات الذات وصفات الفعل ، وأعيد مختصراً فأقول : كل صفة ملازمة فهي صفة ذات ، وكل صفة تفعل

بالمشيئة فهي صفة فعل والله أعلم . وهناك فرق آخر وهو قولهم : كل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فهي صفة ذات ، وكل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها فصفة فعل ومبنى فهم هذا الفرق أن تعرف الصفة وتعرف نقيضها ، فإن كان نقيضها لا يتصف الله به فهي صفة ذات وإن كان يتصف الله به فهي صفة فعل وأضرب لك بعض الأمثلة فأقول :.

منها : صفة الحياة ، هل هي صفة ذات أم فعل ؟ أقول : أعرف أولاً نقيض الحياة فما هو ؟ بالطبع ستقول : الموت ، فهل يصح اتصاف الله بالموت ؟ بالطبع ستقول : لا، إذاً الحياة صفة ذات لأن نقيضها وهو الموت لا يجوز على الله تعالى وكل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فصفة ذات .

ومنها : العلم ، هل هو من صفات الذات أم الفعل ؟ أقول : لابد أولاً أن تعرف نقيض العلم ، فما هو نقيضه ، بالطبع ستقول : الجهل فأقول : فهل يصح أن يوصف الله بالجهل ؟ بالطبع ستقول لا ، فأقول : إذاً فالعلم صفة ذات لأن نقيضها الجهل وهو لا يجوز على تعالى ، وكل صفة لا يصح اتصاف الله تعالى بنقيضها فصفة ذات .

ومنها : العلو ، هل هو من صفات الذات أن الفعل ؟ أقول : لابد أولاً أن تعرف نقيض العلو ، فما هو نقيضه ؟ بالطبع ستقول : نقيضه السفل فأقول : وهل يصح أن يوصف الله بالسفل ؟ فستقول : لا ، فأقول : إذاً فالعلو صفة ذات لأن نقيضه السفل ولا يصح اتصاف الله به ، وكل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فصفة ذات .

ومنها : صفة السمع ، هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ أقول : لابد أولاً أن تعرف نقيض السمع ، فما نقيضه ؟ فستقول : نقيض السمع الصمم ، فأقول : وهل يصح أن يوصف الله بالصمم ؟ بالطبع ستقول : لا ، فأقول : فالسمع إذاً صفة ذات لأن نقيضه الصمم ولا يصح اتصاف الله به ، وكل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فصفة ذات .

ومنها : البصر ، هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ فأقول : لابد أولاً أن تعرف نقيض البصر ، فما هو نقيض البصر ؟ فستقول : نقيض البصر العمى ، فأقول : هل يصح وصف الله تعالى بالعمى ؟ بالطبع لا ، فأقول :فالبصر إذاً صفة ذات لأن الله تعالى لا يصح اتصافه بنقيضها وكل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فهي صفة ذات.

ومنها : الغضب ، هل هو من صفات الذات أم الفعل ؟ فأقول : لابد أن تعرف أولاً ما نقيض صفة الغضب ؟ فستقول : نقيضها الرضا فأقول : وهل يصح اتصاف الله بالرضا ؟ فستقول : نعم ، قال تعالى {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: ١٠٠]فأقول : فالغضب إذاً من صفات الفعل لأن نقيضها الرضا وهو من صفاته جل وعلا ، وكل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها فهي صفة فعل . وأقول : لو عكست الأمر وقلت : والرضا أيضاً من صفات الأفعال لأن الله يصح أن يتصف بنقيضها وهو الغضب .

ومنها : صفة النزول إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ، هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ أقول : لابد أولاً أن تعرف ما نقيضها ؟ فستقول : نقيضها عدم النزول ، والله تعالى ليس موصوفاً بالنزول أزلاً وأبداً بل في وقت دون وقت فحيث صح اتصاف الله تعالى بنقيضها فتكون صفة فعل لأن كل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها فهي من صفات الأفعال .

ومنها : صفة الانتقام ، هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ وكأني بك تقول : بل هي من صفات الفعل تخريجاً على هذه القاعدة وبناءً عليه يتحرر عندنا هذان الفرقان الصحيحان بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية ، وهما باختصار :.

الأول / أن صفات الذات هي الصفات الملازمة للذات التي لا تنفك عنها أزلاً وأبداً . وصفات الفعل هي التي تتعلق بالمشيئة .

الثاني / أن كل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها في صفة ذات وكل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها فهي صفة فعل . والله أعلى وأعلم .

القاعدة السابعة من قواعد هذا الباب :ـ (أسماء الله تعالى أعلام ونعوت) اعلم يرحمك الله تعالى أن كل أسم من أسماء الله تعالى فإنه يتضمن صفة من صفات الكمال ونعتاً من نعوت الجلال والجمال على الوجه اللائق به جل وعلا ، فيجب عليك أن تؤمن بالاسم علماً على الله تعالى ، وتؤمن أيضاً بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم ، ولذلك فكل أسمائه جل وعلا حسنى ومن حسنها تضمنها لصفات الكمال ، فالقدير اسمه والقدرة صفته ، والعزيز اسمه والعزة صفته ، والقوي اسمه والقوة صفته ، والسميع اسمه والسمع صفته ، والبصير اسمه والبصر صفته ، والعلي اسمه والعلو صفته ، والجبار اسمه والجبروت صفته والكبير اسمه والكبر صفته ، والعظيم اسمه والعظمة صفته ، والمِلِكُ اسمه والمِلْكُ صفته ، والقدوس اسمه والقداسة صفته ، والمهيمن اسمه والهيمنة صفته ، والغفور اسمه والمغفرة صفته ، والرحمن والرحيم اسمه والرحمة صفته ، والسلام اسمه والسلامة من كل عيب ونقص على وجه الإطلاق هي صفته ، والمتكبر اسمه والكبرياء صفته ، والخالق اسمه وفعل الخلق صفته ، والمصور اسمه والتصوير الذي هو التكوين والخلق والتشكيل صفته ، والحكيم اسمه والحكمة صفته ، والعليم اسمه والعلم صفته ، والحي اسمه والحياة صفته ، والقيوم اسمه والقيومية صفته ، فهو جل وعلا القائم بنفسه والقائم بغيره ، والرقيب اسمه والرقابة صفته ، والحفيظ اسمه والحفظ صفته ، والصمد اسمه والصمدية صفته ، وهكذا في سائر أسمائه جل وعلا ، فكل اسم منها يدل على صفةٍ من صفات الكمال والجمال والجلال ، فلا يتم الإيمان بأسماء الله تعالى إلا بالإيمان بها اسماً له جل وعلا ، والإيمان بما تضمنتها من الصفات ، وهذا مذهب أهل السنة رفع الله نزلهم في الدنيا والآخرة ، ورحم أمواتهم وثبت أحياءهم وكفاهم الله عز وجل شر الأشرار وكيد الفجار ، فإن قلت : وهل هناك من أنكر ما تضمنته الأسماء من الصفات ؟ فأقول : نعم ، وهم المعتزلة أتباع واصل بن عطاء ، فإن هؤلاء يؤمنون بالاسم وينفون ما تضمنه من الصفة ، فيقولون : عليم بلا علم ، وقدير بلا قدرة ، وسميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر ، وعظيم بلا عظم ، وقوي بلا قوة ، وهكذا في سائر الأسماء ومذهبهم هذا باطل كل البطلان لأنه مخالف للمنقول ومناقض للمعقول ، والجواب عنه له موضع آخر ،

وإنما المقصود إجابة السؤال فقط ، إذا علمت هذا فنتم الكلام على هذا الفصل المهم بهذه المسألة المهمة : فأقول وبالله التوفيق :

أعلم رحمك الله تعالى أن من مقتضيات الإيمان بالاسم أيضاً إذا كان صيغته متعدية أن تؤمن بأثر الصفة التي تضمنها ذلك الاسم وأن تتعبد الله جل وعلا بمقتضى هذا الأثر ومثال ذلك اسمه الرقيب فيؤمن به اسماً وتؤمن بصفة الرقابة المطلقة وتؤمن أيضاً بأثر هذه الصفة وهو أنه لا يخفى على رقابته شيء في الأرض ولا في السماء قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [آل عمران: ٥] فهو الرقيب على كل شيء جل وعلا فعلى العبد أن يستشعر هذه الرقابة فإنه باستشعارها يزجر نفسه الأمارة بالسوء عن الوقوع في المآثم ولذلك فإن العبد لا يقع في شيء من المعاصي إلا بعدم استحضاره لهذه الرقابة .

مثال آخر : (الغفور) فتؤمن به اسماً لله جل وعلا وتؤمن بالصفة التي تضمنها وهي صفة المغفرة وتؤمن بالأثر لهذه الصفة وهو أن العبد لا يجوز له أن يقنط من مغفرة الله فإذا وقعت فيه هفوة وتدنست نفسه بمقارفة شيء من الآثام فإنه يتذكر أن من أسماء ربه جل وعلا الغفور وأن من صفاته المغفرة فتشرح نفسه للتوبة ويبادر بها ولا يجد الشيطان على نفسه مدخلاً ليبعث فيها اليأس من روح الله قال تعالى {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣]

ومثال آخر : (الكبير) فتؤمن به اسماً لله جل وعلا وتؤمن بالصفة التي تضمنها وهي الكبر المطلق ولا بد من انطباع أثر هذه الصفة على نفس المؤمن وهو يعلم أنه لا شيء أكبر من الله فالله جل وعلا أكبر من كل شيء وهذا يثمر للعبد ألا ينصرف قلبه لغير الله ولا يتعلق قلبه بالمخلوق كائناً من كان ولذلك جعل قول (الله أكبر) مفتاح الصلاة ليذكر العبد نفسه أنه بين يدي ربه جل وعلا الذي هو أكبر الأشياء فلا يلتفت قلبه في عبادته لشيء آخر ويا ليت قلوبنا تتعود على التعبد لله بآثار أسمائه وصفاته

ومثال آخر : (السميع) فتؤمن به اسماً لله جل وعلا وتؤمن أيضاً بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم وتؤمن أيضاً بأثر هذه الصفة وهي أن الله تعالى يسمع كل شيء

فلا يخفى على سمعه شيء جل وعلا ، فهو يسمع دبيب النمل على الأرض ، ولقد كانت خوله تجادل النبي ﷺ في زوجها في حجرة عائشة رضي الله عنها وهي معهم وتقول : إنه كان يخفى عليّ بعض حديثها فأنزل الله تعالى من فوق سبع سماوات ({قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١]) (٥٥٠)

وهذا يثمر في نفس المؤمن أن يحذر كل الحذر من التفوه بشيء يوجب غضب الله عز وجل وسخطه ، لأنه يعلم أن الله تعالى سميع ذو سمع كامل تام لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه .

ومثال آخر : (الحكيم) فتؤمن به اسماً لله تعالى وتؤمن بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم وهي الحكمة وتؤمن بأثرها وهو الاعتقاد الجازم الذي لا ريب فيه أنه جل وعلا الحكيم الحكمة المطلقة ، فلا يفعل الفعل إلا وله فيه الحكمة البالغة والغاية المحمودة ولا يشرع تشريعاً إلا وله فيه المصالح العظيمة والعوائد الجميلة المتوافقة مع الفطر السليمة كل الموافقة ولا يقدر شيئاً إلا لحكمة ، فله في كل أفعاله وأحكامه وأقداره الحكمة البالغة والمصلحة الكاملة علمها من علمها وجهلها من جهلها ، غير أني أقول إنه لا يعلم الحكمة والمصالح في أفعاله وأحكامه وأقداره على وجه التفصيل إلا هو جل وعلا وإن كان أهل العلم لهم إدراك لبعض ذلك ، فالحمد لله الحكيم ، وهذا يثمر في نفس المسلم أن إذا أصابه شيء من أقدار الله تعالى في نفسه أو ولده أو ماله الرضى والتسليم والصبر وعدم التسخط ، لأنه

---

(٥٥٠) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٤١٩٥)، وابن ماجه في سننه باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٨)، في كتاب الطلاق، باب الظهار (٢٠٦٣)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب الطلاق، باب الظهار (٥٦٢٥)، كتاب التفسير، سورة المجادلة (١١٥٠٦)، وفي المجتبى (٣٤٦٠)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٧٣١)، (٢٢٠٩)، وعبد بن حميد في مسنده (١٥١٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٢٥)، وأبو يعلى في مسنده (٤٧٨٠)، والحاكم في المستدرك (٣٧٩١)، والأجري في الشريعة (٦٦١)، (٦٦٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٥)، وفي السنن الصغرى له (٢٧٣١)، وفي السنن الكبرى له (١٥٢٤٢)، (١٥٢٤٣)، وفي معرفة السنن له (١٤٩٦٩).

كلهم من طريق: الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات، ولم أقف على أحدٍ من أهل العلم تكلم فيه،

هذا، وقد رواه عن الأعمش جمعٌ غفير من الثقات، الأثبات، منهم: جرير، أوبو معاوية، وفضيل بن عياض، وغيرهم.

يعلم أن ربه حكيم في أفعاله ، ويثمر أيضاً اطمئنان القلب وراحة النفس وهدوء البال من جهة الحكمة في أحكامه جل وعلا ،فيعتمد المسلم على الحكمة الأصلية وهي أنه أمر الله تعالى ولا يأمر إلا بما فيه مصلحة ولا ينهى إلا عن ما فيه مفسدة ، وهكذا ، وخلاصة هذا الفصل أن الذي يجب عليك ليكون إيمانك بأسماء الله تعالى كاملاً أن تؤمن بثلاثة أشياء :

الأول : أن تؤمن بها اسماً لله جل وعلا .

الثاني : أن تؤمن بما تضمنته من الصفات .

الثالث : أن تؤمن بالأثر المتعدي للصفة إن كان لها أثر متعدٍ

وتمام ذلك التعبد لله تعالى بمقتضى أسمائه وصفاته جل وعلا وتقدس أسمه وتعالت عظمته ، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على الأمر سلين والحمد لله رب العالمين والله ربنا أعلى وأعلم .

القاعدة الثامنة من قواعد هذا الباب:ـ (أسماء الله تعالى مترادفة من حيث الذات متباينة من حيث الصفات) أقول :ـ لقد سمى الله تعالى القرآن العظيم بأسماء كثيرة :ـ فسماه بالكتاب وبالقرآن وبالنور وبالهدى وبالذكر وبالشفاء وبالموعظة ، فأنت إذا نظرت إلى هذه الأسماء وجدت أنها جميعها تدل على شيء واحد وهو هذا القرآن لكن إذا نظرت إلى دلالاتها وجدتها مختلفة ، فالكتاب يفيد أنه مكتوب والقرآن يفيد أنه مقروء والهدى يفيد أنه ما يهتدى به والذكر يفيد أنه ما يتذكر به ، والشفاء يفيد أنه مما يستشفى به ، والموعظة يفيد أنه مما يُوعَظُ ويُتَّعَظُ به ، فإذا نظرنا إلى هذه الأسماء من حيث دلالتها على شيء واحد وهو هذا القرآن وجدناها متفقة مترادفة ، وإذا نظرنا من حيث صفاتها التي وصفت هذا القرآن وجدنا أن كلاً منها يصف القرآن بصفةٍ أخرى غير الصفة التي يثبتها الاسم الأول ، فهي ـ أي هذه الأسماء ـ من هذا الاعتبار متباينة ، إذاً فينتج عندنا أن أسماء القرآن مترادفة من حيث دلالتها على شيء واحد وهو القرآن ، ومتباينة من حيث النظر إلى صفاتها ، فهي مترادفة من حيث الذات متباينة من حيث الصفات ، وهذا واضح ، فإن قلت : ما الذي تريد إثباته ؟ فأقول أنتظر قليلاً حتى يتضح لك الأمر

أكثر بضرب مثالٍ ثانٍ ، وهو : أسماء يوم القيامة : فإن الأدلة قد سمّت هذا اليوم بأسماء كثيرة ، فهو يوم القيامة ويوم البعث ويوم القارعة ويوم الصاخة ويوم التغابن ويوم الحسرة واليوم الآخر ويوم الواقعة ويوم الطامة وغير ذلك ، فإذا نظرت إلى هذه الأسماء من حيث دلالتها جميعها على يوم واحد وجدتها مترادفة ، فيوم القيامة هو يوم الصاخة ويوم الصاخة هو يوم التغابن ويوم التغابن هو يوم الطامة ويوم الطامة هو يوم الحسرة ويوم الحسرة هو يوم البعث ويوم البعث هو اليوم الآخر ، فكلها أسماء ليوم واحد فهي باعتبار دلالتها على هذا اليوم مترادفة متفقة ، لأنه ليس كل اسم منها يدل على يوم خاص ، بل كلها تدل على يوم واحد ولكن إذا نظرت إلى صفات هذه الأسماء ، وجدت أن كل اسم منها يتضمن صفة لا يدل عليها الاسم الآخر فالقارعة لأنه يقرع القلوب والصاخة لأنه يصخ الأذان والواقعة لأنه واقع لا محالة ماله من دافع ، والحسرة لأنه قضي الأمر على حين بغتةٍ وغفلة ، والتغابن لحصول التغابن العظيم فيه وهكذا ، فإذا نظرت إلى صفات هذه الأسماء وجدتها متباينة ، فيتضح من ذلك أن لك في هذه الأسماء نظرين ، نظر من ناحية دلالتها على ذات واحدة ، ونظر من ناحية دلالتها على صفات مختلفة ، فهي مترادفة باعتبار النظر إلى الذات أي ذات ذلك اليوم الآخر ، ومتباينة باعتبار النظر إلى ما تضمنته من الصفات ، لأن كل اسم منها يصف ذلك اليوم بصفةٍ غير صفة الاسم الآخر ، والخلاصة أن أسماء يوم القيامة مترادفة من حيث الذات ومتباينة من حيث الصفات ، فإن قلت : وما الذي تريد إثباته بهذين المثلين ؟ فأقول : أنتظر حتى يتضح لك الأمر أكثر بضرب مثالٍ ثالث ، وهو أسماء النبي ﷺ ، فهو أحمد ومحمد والعاقب والحاشر ونبي الرحمة ونبي الملحمة والمقفي وغير ذلك مما ثبت له من أسماء ، فإذا نظرت إلى هذه الأسماء وجدت أنها متفقة من وجه ومتباينة من وجه ، فهي متفقة باعتبار دلالتها على ذات واحدة وهي ذات النبي ﷺ وذاته واحدة لا تتعدد ، فهذه الأسماء الكثيرة مترادفة باعتبار دلالتها على ذاته ﷺ ، ولكن إذا نظرت إلى صفة كل اسم منها وجدت أن كل اسم منها يصف هذه الذات بصفةٍ غير صفة الاسم الآخر ، فالمقفي أي أنه لا نبي بعده ونبي الملحمة أي أنه مبعوث بالسيف ، ونبي الرحمة أي أنه بعث رحمة للعالمين ، وأحمد أي أنه كثير الحمد ، وهكذا فهذه الأسماء إذا نظرنا إلى دلالتها على ذاتٍ

واحدة وجدناها مترادفة وإذا نظرنا إلى دلالتها على صفاتٍ مختلفة وجدناها متباينة ، فإذاً يصدق عليها قولنا : أسماؤه ﷻ مترادفة من حيث الذات ومتباينة من حيث دلالتها على الصفات فإن قلت : وما الذي تريد إثباته بهذه الأمثلة الثلاثة ؟ فأقول : أنتظر حتى يتضح لك الأمر أكثر بضرب مثالٍ رابع ، فإننا نكتب في تيسير الاعتقاد فلا بد من التيسير التام والتوضيح الذي يزيل كل لبس وجهالة ، والمثال الرابع : هو أسماء السيف ، فإن العرب قد سمت السيف بأسماء كثيرة ، فسمته بالسيف والمهند والبتار والقاطع وغير ذلك ، وهذه الأسماء باعتبار دلالتها على ذاتٍ واحدة وهي ذات السيف مترادفة ، ولكن كل اسم منها يدل على صفة مختلفة عن الصفة التي يدل عليها الاسم الآخر، فهذه الأسماء إذا نظرنا إلى صفاتها فهي متباينة وإذا نظرنا إلى دلالتها على ذاتٍ واحدة فهي مترادفة ، فإذاً يصدق عليها قولنا : أسماء السيف مترادفة من حيث الذات ومتباينة من حيث الصفات ، فإذا فهمت هذه الأمثلة ، فإني أريد منك أن تجيب عن هذا السؤال الذي يقول: هل أسماء الله تعالى مترادفة أم متباينة ؟ كأني بك ستقول : هي مترادفة من حيث دلالتها على ذات الباري جل وعلا ومتباينة من حيث دلالتها على الصفات ، فالعزيز والحكيم مترادفة من حيث أنها اسم لذاتٍ واحدة لكن بالنظر إلى صفتيهما يختلفان ، لأن العزة ليست هي الحكمة ، وكذلك نقول : الغفور والقوي مترادفة من حيث دلالتها على ذاتٍ واحدة ، لكن بالنظر إلى صفتيهما يختلفان لأن المغفرة ليست هي القوة ، وكذلك نقول : السميع والبصير مترادفة من حيث دلالتها على ذاتٍ واحدة ، ولكن بالنظر إلى صفتيهما يختلفان لأن السمع ليس هو البصر وكذلك نقول : العلي والقدير مترادفان من حيث إنهما اسم لذات واحدة ، لكن بالنظر إلى صفتيهما يختلفان لأن العلو ليس هو القدرة ، وكذلك نقول : العليم والمتكبر مترادفان من حيث دلالتهما على ذات واحدة ، ولكن بالنظر إلى صفتيهما يختلفان ، لأن العلم ليس هو الكبرياء ، وكذلك نقول : الجبار والرحيم مترادفان من حيث أنهما اسم لذات واحدة ، ولكن بالنظر إلى صفاتهما يختلفان لأن الجبروت ليس هو الرحمة ، وهكذا في سائر أسماء الله تعالى فإذا نظرت إلى أنها جميعها تدل على ذات الله تعالى فإنها مترادفة وإذا نظرت إلى أن كل اسم منها يدل على صفةٍ غير صفة الاسم الآخر فإنها متباينة ، وبناءً عليه ، فليس مذهب أهل السنة أن نقول :

هي مترادفة مطلقاً ، وليس مذهبهم أن نقول هي متباينة مطلقاً ، بل مذهبهم في ذلك أن نقول : هي مترادفة من حيث الذات متباينة من حيث الصفات ، وأظن الأمر قد اتضح إن شاء الله تعالى ، وأرجو منك بارك الله فيك أن تعيد قراءة هذا الفصل مرة ثانية لينكشف عنك ما عساه أن يكون فيه لبس بعد معرفتك لما أريد إثباته والله يتولانا وإياك وهو أعلى وأعلم .

القاعدة التاسعة من قواعد هذا الباب :ـ (الأصل في الكلام الحقيقة فلا يجوز الانتقال عن الحقيقة إلى المجاز إلا بالقرينة الصارفة) ولكن بشرط ، وهو أن تكون الحقيقة متصورة أصلاً ، أي أنك مثلاً إذا قلت : رأيت أسداً قد أمتطى صهوة المنبر يخطب ، فإن عقلك وفهمك لا يمكن أبداً أن يحمل هذا الكلام على حقيقته لأنك تعرف حقيقة الأسد وأنه لا يمكن أن يفعل ذلك فعرفت أن الأمر اد المجاز ، لكن بالله عليك لما صرف المبتدعة صفات الله تعالى من حقائقها إلى مجازاتها ، هل كانوا يعرفون حقيقة هذه الصفة حتى يتيقنوا أنه لا يراد بها الحقيقة ؟ هل كانوا يعلمون حقيقة الوجه حتى يصرفوه إلى الثواب ؟ هل كانوا يعلمون حقيقة اليد حتى يصرفوها إلى النعمة والقدرة ؟ هل كانوا يعلمون حقيقة العين حتى يصرفوها إلى العلم ؟ بالطبع لا ، إذاً كيف يصرفون الكلام من حقيقته التي لم يتصوروها أصلاً ولم يعرفوا كيفيتها إلى المجاز ويقولون : أنه لا يمكن أن يريد الحقيقة ، أي حقيقة هي التي يفرون منها ؟ أن القوم قوم بهت أهل أهواء وشهوات ، يتحكمون في الأدلة بأهوائهم وشهواتهم كما يتحكم الصبي بالكرة تحت يده ، فيحذفون من الدليل ما لا يريدون ويدخلون في دلالته ما يريدون بلا حياء ولا خوف ولا برهان ، وإنما هي العقول العفنة والأهواء المنتنة ، فانتبه لهذا الأمر الانتباه التام ، وأعيد لك بعبارة أسهل ومثال جديد وهو : لو سمعت أحداً يقول : لقد رأيت أسداً قد حمل حقيبته وذهب إلى مدرسته ، فبالله عليك هل ستفهم من لفظ الأسد أنه الحيوان المفترس ؟ بالطبع لا ، ولو قلت لك : لماذا لا تحمل الكلام على أنه الأسد الحقيقي ؟ فستقول لي بك ثقةٍ لأنني أعرف حقيقة الأسد وأنه لا يمكن أن يحمل حقيبة ويذهب إلى المدرسة ، إذا أنت حملت الكلام على المجاز لأنك تصورت حقيقة الأسد وأنه لا يمكن صدور ذلك الفعل منه ، إذاً لابد أن تعرف الحقيقة أولاً حتى ننظر هل يمكن حمل الكلام عليها أم يكون الأمر اد هو المجاز ؟ وهؤلاء المبتدعة

لما زعموا أن آيات الصفات لا يراد بها حقائقها هل بالله عليك كانوا يعرفون كيفيات هذه الحقائق حتى يقرروا أنه لا يمكن أن يراد حقائقها ؟ الجواب لا ، إذاً كيف يفرون من حقيقة لا يعرفونها ويحاربونها وهم لم يتصوروها أصلاً ؟ هذا والله هو الذي لا ينتفض منه عجبي ، لكن يزول الإشكال إذا علمت انهم لا يفهمون من هذه الآيات إلا ما يفهمونه من صفات البشر ، فلا يفهمون من العين إلا أنها كأعيننا ولا يفهمون من الوجه إلا أنه كوجوهنا ولا يفهمون من الاستواء إلا أنه كاستوائنا وهكذا ، فلما قامت هذه المفاهيم في رؤوسهم أرادوا أن يفروا منها ظناً منهم أن هذه المفاهيم الباطلة هي الأمر اد من هذه الآيات فترقوا بذلك ولله الحمد من الجهل البسيط إلى الجهل الأمر كب ، فجمعوا جهلاً على جهل وغباء على غباء وحمقاً على حمق ، وبناءً عليه فإذا سمعت مبتدعاً يقول : لا يمكن أبداً أن يوصف الله بأن له وجهاً ، فاسأله أولاً : ماذا تعني بالوجه ؟ فإنه وإن خادع وزخرف القول فسينتهي به الأمر إلى الاعتراف بأنه لا يفهم من صفة الوجه إلا الوجه المعهود في المخلوق ، وحينئذٍ فبين له الآيات التي فيها قطع دابر المماثلة بين الخالق والمخلوق ، فإن أذعن ورجع فالحمد لله وإلا فهو شيطان في مسلاخ إنسان وحمار في بدن آدمي والله يعصمنا وإياك من زلل القول ونعوذ به من مناهج أهل الأهواء والله أعلم .

وخلاصة هذا الفصل أن تعلم أنه لا يجوز الانتقال من حقيقة الكلام إلى مجازه إلا إذا دلت القرينة على ذلك بشرط أن تكون الحقيقة معلومة لك أولاً وأما إذا كانت من عالم الغيب الذي أستأثر الله تعلمه فالواجب عليك أن تبقى على الحقيقة . والله أعلى وأعلم.

القاعدة الحادية عشرة من قواعد هذا الباب :ـ (أسماء الله تعالى لا تحصر في عدد معين) وهذا هو الذي جرى عليه أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في الجمع بين حديثين شريفين صحيحين ، وهما ما رواه أحمد في المسند بسنده أن النبي ﷺ " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ

عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا قَالَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا " (٥٥١)

فإن قوله ﷺ " أو استأثرت به في علم الغيب عندك "

دليل على أن هناك أسماء له جل وعلا ، لا يعلمها أحد ، لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى به في علم الغيب عنده ، لحكمة يعلمها الرب جل وعلا ، وهذه الأسماء التي استأثر الله تعالى في علم الغيب عنده لا ندري عن عددها على وجه التحديد ، مما يدل على أن أسماء الله تعالى لا تحصر في عدد معين ، والحديث الثاني :ـ قوله ﷺ " إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة "(٥٥٢) فإن بعض الناس قد يفهم من هذا الحديث أن أسماء الله تعالى محصورة في هذا العدد ، وهذا ليس بصحيح ، بل إن الأمر اد من هذا الحديث حصر الثواب في هذا العدد ، أي أن الجنة لها أسباب كثيرة لدخولها ، ومن أسبابها أن يحصر المكلف من أسمائه جل وعلا هذا المقدار ، وهذا كقول القائل :ـ إن عندي مائة بيت من حفظها أعطيته كذا وكذا ، فهذا لا يفيد أنه ليس عنده من الأبيات الشعرية إلا هذا المقدار ، لا ، بل هذا يفهم منه أن من أراد الثواب فليحفظ من أبياته هذا المقدار ، وكقول القائل :ـ إن عندي تسعة وتسعين لغزا ، من حلها حلا صحيحا فله هذه الجائزة ، فهذا التركيب في اللغة ، لا يفهم أهل العربية أنه ليس عنده إلا هذه

---

(٥٥١) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٣٧١٢)، (٤٣١٨)، وابن أبي شيبة في مسنده (٣٢٩)، وفي مصنفه (٢٩٣١٨)، والبزار في مسنده (١٩٩٤)، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٩٧)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢)، والحاكم في المستدرك (١٨٧٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٣٥٢)، وفي الدعاء له (١٠٣٥)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١٨٤)، وفي القضاء والقدر له (٣٥٩).

كلهم من طريق: فضيل بن مرزوق، نا أبو سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، به.

فإسناده حسن، فإن رجاله كلهم ثقات خلا فضيل بن مرزوق، فهو صدوق له أوهام.

(٥٥٢) أخرجه البخاري في صحيحه ف كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين (٢٧٣٦)، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد (٦٤١٠)، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا (٧٣٩٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧).

الألغاز فقط ، بل قد تكون عنده مئات الألغاز ، وكذلك نقول في قوله ﷺ في هذا الحديث " إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " فإنه لا يريد به حصر جميع أسماء الله تعالى ، لأن هذا الكلام والفهم يرده الحديث الأول ، وهو أن هناك من الأسماء ما قد استأثر الله تعالى في علم الغيب فلا يعلمه أحد ، ولكن الأمر اد أن من أراد سلوك أحد أسباب دخول الجنة ، فليحفظ هذا المقدار من أسمائه جل وعلا ، والمتقرر أن الجمع بين الأدلة واجب ما أمكن ، والمتقرر أنه لا تعارض بين الأدلة الصحيحة ،إن نظر الناظر فيها بالعقل السليم الصريح ، فإن قلت :ـ وما الأمر اد بإحصائها ؟ فأقول :ـ الظاهر والله تعالى أعلم أنه يريد به الإحصاء على وجه الإطلاق ، وهو إحصاء العدد حفظا ،

وإحصاؤها إيمانا ، وإحصاؤها عملا مقتضاها ، ومعناه التعبد لله تعالى بها وبآثارها ، والله أعلم .

القاعدة الثانية عشرة من قواعد هذا الباب :ـ (صفات الله تعالى معلومة من جهة المعاني على حسب وضعها اللغوي ، ومجهولة باعتبار كيفياتها وما هي عليه في الواقع) أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى وبارك فيك وفي فهمك وعلمك وعملك أن أهل السنة رفع الله قدرهم في الدنيا وأعلا منازلهم في الجنة ينظرون إلى صفات الله تعالى من جهتين ، من جهة معانيها ومن جهة كيفياتها ، فأما معانيها فإنهم يعلمونها ولا يجهلونها ، ومن نسبهم إلى الجهل به فهو جاهل بحقيقة مذهبهم ، بل هم يعلمونها وذلك لأنها نزلت بلسانٍ عربي مبين فوجب علينا حملها على معانيها المتقررة عندنا في هذا اللسان العربي ، ولأن الله تعالى أمرنا بتدبر القرآن ، فقال : (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)(صّ: من الآية٢٩) وقال (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)(النساء: من الآية٨٢) وغالب آياته في الأسماء والصفات ففهمنا بذلك انه يمكن تدبره وتفهمه وتعقله إذ كيف يأمرنا بتدبر ما لا يمكن فهم معناه أصلاً، فبان بذلك أن معاني الصفات معلومة ، فالوجه ما تحصل به المواجهة ، والاستواء المعدى بعلى معناه العلو والاستقرار ، والنزول هو التدلي من أعلى إلى أسفل هذا معناه في اللغة ، والعلم هو إدراك ما من شأنه أن يعلم ، والبصر رؤية الأشياء ، والسمع إدراك الأصوات ، وهكذا سائر الصفات ، فإن قلت : فمن من الطوائف قال إنها لا تعلم

معانيها ؟ فأقول : هؤلاء هم المفوضة أي الذين يفوضون علم معاني الصفات لله تعالى ، فيقولون : نحن لا نعلم المعنى ، فلا نعلم معنى الوجه ولا نعلم الاستواء ولا نعلم معنى النزول ولا نعلم معنى السمع ولا نعلم معنى البصر ، وهكذا وقول هؤلاء هو شر أقوال أهل البدع كما قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، وقد سماهم في الحموية بأهل التجهيل، (٥٥٣)

والمقصود أن أهل السنة رحم الله أمواتهم وثبت أحياءهم يعلمون معاني الصفات وأما كيفياتها فإنهم يفوضون علمها إلى الله تعالى ، وكذلك فإنهم يقولون في سياق مذهبهم في الأسماء والصفات(ولا تكييف) فهم لا يعملون ألسنتهم في شيء من كيفية صفات الله تعالى ، ويقولون : لا يعلم كيف الله إلا الله تعالى ، فلا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح ولا أحد من الخلق ، وذلك لأن كيفية الشيء لا تعلم إلا بثلاثة أمور لا رابع لها :

الأول : أن تعلم بالرؤية ، وهذا منتف في حق كيفية صفات الله تعالى لأن أحداً لم يره جل وعلا ، وهذا بالاتفاق ، فقد اتفق العلماء رحمهم الله تعالى أن الله تعالى لا يرى في الدنيا يقضه ، وإنما اختلفوا في رؤية النبي ﷺ ،

والصواب الذي عليه الأكثر أنه لم يره لحديث (نور أنى أراه)(٥٥٤)

والذين قالوا إنه رآه كأبن عباس وغيره، لم يقولوا إنه رآه بعيني رأسه وإنما أطلقوا في مكان وقيدوا في مكان، فقالوا : رآه ، وقالوا رآه بفؤاده (٥٥٥)، فيحمل المطلق على المقيد ،

وأما قوله تعالى (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) (لنجم:١٣) فالمراد به جبريل عليه السلام وقد صح في ذلك الحديث:

---

(٥٥٣) آنظر الفتوى الحموية الكبرى (١/ ٢٨٥).

(٥٥٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام: «نور أنى أراه» ، وفي قوله: «رأيت نورا» (١٧٨).

(٥٥٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى}، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (١٧٦).

فعن أبي إسحاق الشيباني قال : سالت زر بن حبيش عن قوله تعالى (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) فقال : حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح، (٥٥٦)

وكذلك في حديث مسروق عن عائشة، (٥٥٧)

والمقصود أن الطريق الأول من طرق معرفة الكيفية وهو رؤية الشيء قد انتفى ، الثاني : رؤية نظيره ، فإذا رأيت النظير عرفت صفات الشيء الغائب ، لأنك قد رأيت مثيله ، وهذا أيضاً منتفٍ عن صفات الله تعالى لأنه جل وعلا ليس كمثله شيء "[الشورى ١١] ولم يكن له كفواً أحد " فليس لله تعالى نظير ولا مثيل ولاسمي ولا كفؤ حتى نستدل برؤية صفاته على صفات ربنا جل وعلا وتقدس عن ذلك فالطريق الثاني انتفى أيضاً .

الثالث : إن يخبرك الصادق عن الكيفية ، والأمر اد بالصادق في هذا المبحث النبي ﷺ ولم يثبت عنه حرف واحد في كيفية شيء من صفات ربنا جل وعلا وإنما أخبرنا بالصفة ولم يخبرنا عن كيفية الصفة ، فوجب الوقوف حيث النص ، فإنه يسعنا ما قد وسع صحابة الحبيب ﷺ ورضي عنهم فإنهم كانوا يسمعون هذه النصوص ولم يكونوا يتكلفون السؤال عن الكيفية ولو كان السؤال عنها من الخير لسبقونا غليه ، فإنهم كانوا أحرص على الخير والهدى ممن بعدهم وهذا لا شك فيه ، وبناءً عليه فنقول : كيف تعرف كيفية صفات الله تعالى ونحن لم نره ، وليس له مثيل ولا ند ولا نظير يستدل به عليه ولم يخبرنا الصادق ﷺ عن الكيفية ، فحيث انتفت هذه الطرق كلها ينتفي معها العلم بالكيفية ، وحيث انتفى العلم بها لم يبقى إلا

---

(٥٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (٣٢٣٢)، وكتاب تفسير القرآن باب {فكان قاب قوسين أو أدنى} «حيث الوتر من القوس» (٤٨٥٦)، (٤٨٥٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى (١٧٤).

(٥٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (٣٢٣٥)، كتاب تفسير القرآن باب قوله: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب} (٤٨٥٥)، ومسل في صحيحه في كتب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى} ، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (١٧٧).

تفويضها إلى الله تعالى ، وهذا هو ما نريد إثباته هنا ، وهو أمر مهم جداً ، وأعيده مختصراً فأقول : أهل السنة رحمهم الله تعالى يعلمون المعاني ويجهلون الكيفيات . فإن قلت : ما العمل إذا سألني أحد عن كيفية صفة من صفات الله تعالى ، فقال : لي مثلاً : كيف وجه الله ؟ أو قال : كيف استواء الله تعالى ؟ أو قال : كيف نزول الله تعالى ؟ فما الرد عليه ؟ فأقول : الرد عليه يكون بعدَّةِ أمور :.

الأول : أن تبين له حقيقة قوله هذا وأنه قول مبتدع وسؤال مخترع لم يسبقه إليه إلا المخالفون لمنهج الصحابة والسلف الصالح ، وأنه هاوية إلى التمثيل ، ومزلق وخيم من مزالق الابتداع ومدخل شيطاني واسع على القلوب والعقول ، فيجب سده وإحكام إغلاقه بالأقفال الثقيلة وأعظم ذلك الإمساك وحبس اللسان والجنان عن التفكير والتلفظ بهذا السؤال الذي لا طائل من ورائه إلا الحيرة والشكوك والتيه والحسرة والخيبة .

الثاني : أن تقول له ما قاله الإمام مالك لما سأله سائل عن كيفية الاستواء ، قال به: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) (٥٥٨)

وهذا الجواب الحكيم صالح لإجابة كل من سأل عن كيفية الصفات ، فمن سألك عن كيفية الوجه تقول : الوجه معناه معلوم وكيفه مجهول والإيمان به واجب السؤال عنه بدعة ، ومن سألك عن كيفية النزول فتقول : النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، ومن سألك عن كيفية البصر فقل : البصر معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وهكذا في سائر الصفات ، فهي معلومة من ناحية معناها ، ومجهولة من ناحية كيفياتها والإيمان بها واجب لورود الأدلة بها وما صح به النقل وجب تصديقه إن كان خبراً والعمل به إن كان طلباً ، والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه لا يعرف عن الصحابة

(٥٥٨) آنظر عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١/ ٨، ٩)، والعلو للذهبي (٤٥٥).

ولا التابعين ولا تابعيهم ، فهو من المحدثات التي يصدق عليها قوله ﷺ (وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله).(٥٥٩)

الثالث : أن تبين له بياناً شافياً كافياً أنه لا يمكن أبداً أن تعلم كيفية شيء إلا إذا علمت ذاته ، ونحن لا نعرف كيف الله في ذاته وبناءً عليه فلا يمكن أيضاً أن نعرف كيفية صفاته ، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فما لم تُعلم ذاته فإنه لا تُعلم صفاته ، فإثباتنا للذات إثبات وجود لا إثبات كيفية ، وكذلك إثباتنا للصفات فإنه إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكيف تسألُني عن كيفية صفة الله تعالى وأنا وأنت أصلاً نشترك في عدم العلم بكيفية ذاته فإذا كنا نجهل كيف الله في ذاته فإنه من باب أولى أن نجهل كيفية صفاته .

الرابع: أن تقول له : وكيف تسألني عن كيفية شيء لم أره وليس له نظير يستدل به عليه ، ولم يخبرني الصادق ﷺ عن كيفية شيء من صفاته فكل طرق العلم بالكيفية هنا منتفية فلا مطمع أبداً في العلم بذلك ، فاتق الله تعالى وخف عقابه وأسلك سبيل سلفك الأوائل ، وقف حيث وقفوا ، وأحذر من التعدي والإفراط والخوض فيما لا طائل من ورائه ولا ثمرة تجنى منه ، وأشتغل بما خلقت له ودع ما لا شأن لك به ، والله يحفظنا وإياك . وخلاصة هذا الفصل أن تعلم أن أهل السنة والجماعة يعلمون معاني الصفات ويفوضون علم كيفياتها لله تعالى ، والله تعالى أعلى وأعلم .

القاعدة الثانية عشرة من قواعد هذا الباب :ـ (الواجب في كل نصوص الصفات :ـ لإثبات الصفة التي يدور حولها النص ونفي مماثلتها لصفات المخلوقين وقطع الطمع في التعرف على كيفية هذه الصفة) أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى وحفظنا وإياك من الأهواء المضلة والآراء المعتلة والأفكار المختلة أن باب الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أصول لابد منها في كل صفة، ولا تتم السلامة في اعتقاد هذه الصفة إلا باستكمال هذه الأصول الثلاثة، فهي متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر وعليها يدور باب الأسماء والصفات، فلابد من حفظها وإتقانها ومعرفة أدلتها والوقوف في وجه من يعارض فيها، وهي كما يلي :

(٥٥٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧).

الأصل الأول : الاعتقاد الجازم والإيمان الراسخ أن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته التي أضافها إليه، كما قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١]فلابد من تطهير القلب والعقل من خبث التمثيل، وتصفية النفس من شوائبه التصفية المطلقة، وقد نبه القرآن على ذلك في أكثر من آية فمنها الآية السابقة، ومنها قوله تعالى في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [الإخلاص: ٤]

أي ليس له كفواً لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته وأفعاله جل وعلا ومنها قوله تعالى فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ [النحل ٧٤] وقوله تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢٢]وقوله تعالى {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } [مريم: ٦٥] فيجب أن ننزه قلوبنا عن محذور التمثيل، ونعتقد الاعتقاد الراسخ الثابت أن الله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته وليس كمثله شيء في أسمائه وليس كمثله شيء في صفاته وليس كمثله شيء في أفعاله، لأن له الكمال المطلق من كل وجه وأنه لا يعتريه النقص في شيء من صفاته بوجه من الوجوه، بل ولا يمكن أن نتصور أصلاً أن يتطرق إلى صفاته شيء من النقص، وهذا ما نعتقده بقلوبنا وننطقه بألسنتنا وندرسه لطلابنا ونسأله جل وعلا أن يثبتنا على هذا الاعتقاد إلى الممات .

الأصل الثاني : الإيمان التام بما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ في سنته فيجب علينا أن نثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأن ننفي عنه جل وعلا ما نفاه عن نفسه في كتابه أو نفاه لعنه رسوله ﷺ في سنته مع إثبات كمال الضد، أي كمال ضد الصفة المنفية، وهذا الأصل لا يؤخذ مفرداً بل لابد أن يكون مقروناً بالأصل الذي قبله وإلا لما سلم العبد في باب الأسماء والصفات ولذلك بدأ الله تعالى بنفي المماثلة أولاً ثم بإثبات الصفات ثانياً فقال {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١]فهذا يحقق الأصل الأول، وقوله بعد ذلك {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]يحقق الأصل الثاني، ثم ننتقل بعد ذلك للأصل الثالث وهو :

الأصل الثالث : قطع الطمع في إدراك كيفية هذه الصفات فإن المتقرر عند أهل الحق أنه لا يمكن أبداً أن تعرف كيفيات صفات الله تعالى، ذلك لأن كيفية الشيء لا

تعرف إلا برؤيته وقد اتفق أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن الله لا يرى بعيني اليقظة في الدنيا، قال عليه الصلاة والسلام ((وتعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت)) "رواه مسلم في صحيحه" (٥٦٠)

واختلفوا في رؤية النبي لربه ليلة الإسراء والصواب أنه لم يره بعيني رأسه كما في حديث:- يا رسول الله هل رأيت ربك فقال: ((نور أنى أراه)) (٥٦١)

فرؤيته جل وعلا في الدنيا ممتنعة فهذا الطريق أعني طريق الرؤية قد انعدم، وتعرف كيفية الشيء أيضاً برؤية نظيره حتى يستدل بصفات المشاهد على صفات الشيء الغائب، وهذا أيضاً معدوم لأنه جل وعلا لا مثيل له في صفاته حتى يستدل به على صفاته جل وعلا كما قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١]فهذا الطريق انعدم أيضاً، وتعرف كيفية الشيء أيضاً بإخبار الصادق عنها، والنبي لم يخبرنا عن كيفية شيء من ذلك وإنما أخبرنا بالصفة ولم يخبرنا عن كيفية هذه الصفة، فأخبرنا أن له وجهاً ولم يخبرنا عن كيفيه هذا الوجه، وأخبرنا أن له يداً ولم يخبرنا عن كيفية هذه اليد وهكذا في سائر الصفات لربنا جل وعلا، فوجب الوقوف على حد الخبر، فبان بذلك أن طرق العلم بالكيفية قد انعدمت كلها فكيف تعرف كيفية صفات الله جل وعلا ؟ وبناء عليه فلابد من قطع الطمع في معرفة كيفية ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات، فهذه الأصول الثلاثة هي التي يقوم عليه باب الأسماء والصفات، نفي المماثلة ، وإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه ، وقطع الطمع في معرفة الكيفيات، فإذا استجمع العبد هذه الأصول الثلاثة في كل صفة فقد أتى بما أوجبه الله تعالى عليه في هذه الصفة، فمثلاً قوله تعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧] أولاً:- يجب عليك إثبات هذا الوجه، وثانياً:- يجب عليك أن تعتقد أنه وجه يليق بجلاله وعظمته لا يماثل وجوه المخلوقين، وثالثاً:- أن تقطع الطمع في معرفة كيفية هذا الوجه، ومثال آخر:- قوله تعالى {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤]أولاً:- يجب عليك إثبات هاتين اليدين، وثانياً:- أن تعتقد أنهما يدان

---

(٥٦٠) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (١٦٩).

(٥٦١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام: «نور أنى أراه» ، وفي قوله: «رأيت نورا» (١٧٨).

تليقان بجلاله وعظمته لا تماثل شيئاً من أيدي المخلوقين، وثالثاً:- أن تقطع الطمع في معرفة كيفية هذه اليد، ومثال آخر:- قوله تعالى {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } [طه: ٣٩] أولاً:- يجب عليك إثبات العين، وثانياً:- أن تعتقد أنها لائقة بالله تعالى لا تماثل شيئاً من أعين المخلوقين، وثالثاً:- أن تقطع الطمع في إدراك كيفية هذه العين، ومثال آخر:- قوله تعلى { وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر: ٢٢] أولاً:- يجب عليك الإيمان بهذا المجيء، وثانياً:- أن تعتقد أنه مجيء يليق بجلاله وعظمته لا يماثل شيئاً من مجيء المخلوقين، وثالثاً:- أن تقطع الطمع في معرفة كيفية هذا المجيء، ومثال آخر :- قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه: ٥] أولاً:- يجب عليك أن تؤمن بهذا الاستواء، وثانياً:- أن تعتقد أنه استواء يليق بجلاله وعظمته لا يماثله شيء من استواء شيء من المخلوقين وثالثاً:- أن تقطع الطمع في معرفة كيفية هذا الاستواء، وهكذا في سائر الصفات، فيجب عليك في كل صفة ثلاثة أمور:- الأول:- أن تثبتها، الثاني:- أن تنفي مماثلتها لشيء من صفات الخلق الثالث:- أن تقطع الطمع في معرفة كيفية هذه الصفة، والله أعلم .

القاعدة الثالثة عشرة من قواعد هذا الباب :ـ (الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في المسميات) أي أنه ليس كل شيئين اتفقا في اسمهما يتفقان في مسماهما وهذا صحيح بالنقل والعقل والحس، فأما النقل فإننا نجد أن الله تعالى يسمي نفسه بأسماء يطلقها على بعض عباده وليس المسمى كالمسمى، ويصف نفسه بصفات ويصف عباده بها وليس الموصوف كالموصوف فقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨]وقال عن خلقه {فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } [الإنسان: ٢] وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير، وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٤٣] وقال عن نبيه {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨] وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم، وقال تعالى {وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: ٢٢٥] وقال عن عبده إسحاق {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} [الصافات: ١٠١] وليس الحليم كالحليم، وقال تعالى عن نفسه {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام: ٩٦] وقال عن بعض عباده {يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ } [يوسف: ٨٨] وليس العزيز كالعزيز، وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨] وقال عن بعض عباده أنهم قالوا {نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ } [النمل: ٣٣]وقال عن قوم هود {مَنْ

أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} [فصلت: ١٥] وليست القوة كالقوة، وقال تعالى {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: ١٠] وليست اليد كاليد، وقال تعالى {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: ٣٩] وقال تعالى {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} [الأحزاب: ١٩] وليست العين كالعين، وقال تعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧] وقال تعالى {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [طه: ١١١] وليس الوجه كالوجه وهكذا في آيات كثيرة جداً، تتفق في الأسماء، ولكن ليس المسمى كالمسمى وتتفق فيها أسماء الصفات ولكن ليس الموصوف كالموصوف فالاتفاق في مجرد الاسم لا يستلزم الاتفاق في الصفة، ويوضحه أيضاً الوجه العقلي:- وهو أن المتقرر عند عامة العقلاء أن الصفات والمعاني تختلف بختلاف من أضيفت إليه فإن أضيفت إلى الخالق صارت لائقة به وإن أضيفت إلى المخلوق صارت مناسبة لحاله، ذلك لأن الصفات المذكورة في الكتاب والسنة لم تذكر مطلقة وإنما ذكرت مضافة إما إلى الخالق وإما إلى المخلوق، وتختلف الصفة باختلاف المضاف إليه فلا يمكن أبداً أن تتفق الصفات مع اختلاف الإضافات إلا عند المهاويس المجانين الذين لا نقل عندهم ولا عقل وأما أصحاب العقول السليمة التي لم تتلوث بعفن علم الكلام فإنها تقضي قضاء جازماً بأن الصفة تختلف باختلاف الإضافات والعبرة إنما هو بالعقول السليمة الصريحة فهذه قاعدة لابد من حفظها أعني قولهم " الصفة تختلف باختلاف المضاف إليه " ويوضح ذلك أيضا الدليل الحسي وهو:- أننا نجد في المحسوسات التي نراها أشياء قد اتفقت في أسمائها واختلفت في كيفياتها وهذا لا يكابر فيه إلا من طمس الله عقله فإننا نرى أن للفيل وجهاً وللبعوض وجهاً، فهل بالله عليك يكون وجه الفيل كوجه البعوض للاتفاق في اسم الوجه؟ بالطبع لا، فإذا كان ذلك في المخلوقات فيما بينها مع أنه يجمعها وصف أنها مخلوقة فهل يكون ذلك لازم بين الخالق الكامل من وجه والمخلوق الضعيف العاجز الفقير المسكين؟ ونحن نعلم أن الشمس توصف بالإضاءة والشمعة توصف بالإضاءة فهل تكون إضاءة الشمس كإضاءة الشمعة للاتفاق في وصف الإضاءة؟ بالطبع لا، ونحن نرى أن النملة توصف بالوجود والسماء توصف بالوجود فهل يكون وجود السماء كوجود النملة للاتفاق في اسم الوجود؟ بالطبع لا فالأمر واضح جداً بل هو كشمس النهار ولكن عميت عنها عيون الخفافيش فقول أهل السنة هذا أعني قولهم: الاتفاق في الأسماء

لا يستلزم الاتفاق في المسميات، قول صحيح بالنقل والحس والعقل، وأقسم بالله العظيم أنه صحيح كل الصحة فإن قلت: وما الداعي إلى تقرير هذه المقدمة؟ فأقول:- تتضح أهمية هذه القاعدة إذا عرفت أن المبتدعة من الممثلة والمعطلة قد قلبوا هذه القاعدة فقالوا: الاتفاق في الأسماء يستلزم الاتفاق في المسميات، وهذه قاعدة باطلة كل البطلان وهي التي أوقعت أهل التمثيل في التمثيل وأهل التعطيل في التعطيل فإن الممثلة لما رأوا أن أسماء صفات الله متفق مع أسماء صفاتنا قالوا: إذاً الصفة كالصفة وأما المعطلة فإنهم نتج عندهم أيضاً ما نتج عند إخوانهم الممثلة لكنهم خافوا من هذه النتيجة لأنهم لا يريدون تشبيه الله بخلقه فلم يجدوا بداً من تعطيل صفات الله تعالى ليفروا من هذه النتيجة التي قامت في رؤوسهم بسبب هذه القاعدة القبيحة الذميمة فهذه القاعدة بدون حرف (لا) باطلة كل البطلان وبإثبات هذه الحرف صحيحة كل الصحة وبما أن العقيدة الواسطية قد ذكر الشيخ فيها كثيراً من الصفات فلابد من تقريرها قبل البدء في شرح هذه الصفات لتكون من باب التأصيل قبل التفريع، ويتضح الأمر أكثر بالمقدمة السادسة

القاعدة الرابعة عشرة من قواعد هذا الباب :ـ (كل معطل فهو ممثل ، وكل ممثل فهم معطل) اعلم رحمك الله تعالى أن القاعدة المتقررة عند أهل السنة أن كل ممثل معطل وكل معطل ممثل وبيان ذلك أن يقال إن الممثل لما اعتقد أن صفات الله تعالى كصفات خلقه فإنه يكون بذلك قد وقع في ثلاثة أنواع من التعطيل :- الأول:- أنه عطل النصوص العامة التي تقطع دابر المماثلة بين الخالق والمخلوق عن دلالتها الصحيحة كقوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١]والممثل عطلها عن دلالتها الصحيحة وكقوله تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ } [النحل: ٧٤] والممثل قد عطلها عن معناها الصحيح لأنه قد ضرب لله أمثالاً وكقوله تعالى{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤] والممثل قد عطلها عن معناها الصحيح لأنه جعل لله مكافئاً في صفاته وكقوله تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} [البقرة: ٢٢] والممثل قد عطلها عن معناها الصحيح لأنه قد جعل لله أنداداً أي أشباه ونظراء في صفاته فهذه النصوص العامة التي تنفي مماثلة الله بخلقه قد عطلت عن معانيها الصحيحة عند الممثلة فهذا هو التعطيل الأول، وهو تعطيل النصوص العامة التي تقطع دابر المماثلة بين الخالق والمخلوق، الثاني:- أنه عطل نصوص الصفات الخاصة عن

معانيها الصحيحة التي نزلت لإثباتها كقوله تعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧] فهل بالله عليك هذه الآية قد نزلت لإثبات وجه كوجه المخلوق أم لإثبات وجه لائق بجلال الله وعظمته؟ لاشك أنه الثاني والممثل لا يفهم منها إلا الأول فهو بذلك قد عطلها أي أخرجها عن دلالتها الصحيحة التي نزلت لها إلى معاني أخرى لا تدل عليها، وكقوله تعالى {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤] فهل هذه الآية تفيد اليد الحقيقية على ما يليق بجلال الله وعظمته أم أنها تفيد يداً كيد المخلوق؟ لاشك أنه الأول والممثل لا يفهم منها إلا أنها يد كيد المخلوق فيكون بذلك عطل نصوص إثبات اليد عن معانيها الصحيحة وكقوله تعالى {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } [طه: ٣٩] فهل هذه الآية تثبت عيناً حقيقية لائقة بالله جل وعلا أم أنها تفيد عيناً كعين المخلوق؟ لاشك أنه الأول ولكن الممثل لا يفهم منها إلا عيناً كعين المخلوق فيكون بذلك قد عطلها عن معناها الصحيح وهكذا في كل آيات الصفات وهي كثيرة جداً فقد عطل النصوص المثبتة للوجه عن دلالتها الصحيحة وعطل النصوص المثبتة لليدين عن دلالتها الصحيحة وعطل النصوص المثبتة للعينين عن دلالتها الصحيحة وعطل النصوص المثبتة للاستواء عن دلالتها الصحيحة وعطل النصوص المثبتة للرحمة والرضى والكراهة والبغض عن معانيها الصحيحة وعطل النصوص المثبتة للمجيء والإتيان عن معانيها الصحيحة وعطل نصوص العلو عن دلالتها الصحيحة وعطل نصوص الكلام عن دلالتها الصحيحة وعطل نصوص الأصابع والقدم والساق عن دلالتها الصحيحة وهكذا ذلك لأن هذه النصوص لم تنزل لإثبات صفات تماثل صفات المخلوقات وإنما نزلت لإثبات صفات حقيقية على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه جل وعلا وهذا الممثل لا يفهم منها إلا المماثلة فهو بهذا الاعتقاد الباطل قد عطل النصوص الخاصة المثبتة للصفات فعنده الآن تعطيلان تعطيل عام وتعطيل خاص وهناك أيضاً تعطيل ثالث:- وهو أنه إذا اعتقد أن صفات الله كصفات خلقه فإنه يكون بذلك قد عطل الله تعالى عن كماله الواجب فإنه يجب علينا وجوب عين أن نعتقد الاعتقاد الجازم أن كل صفة أثبتها الله تعالى له فله أكملها وغايتها ونهايتها ومن المعلوم أن صفات المخلوقات ناقصة فإذا قال: إن صفة الخالق كصفة المخلوق فإنه بذلك يكون قد عطل الله تعالى عن كماله الواجب له في ذاته وصفاته فإن وجه المخلوق ناقص وسمعه ناقص وبصره ناقص

وهكذا فإذا قال وجه الخالق كوجه المخلوق فقد عطل الوجه عن كماله الواجب وإذا قال سمع الله كسمع المخلوق فقد عطل السمع عن كماله الواجب وإذا قال بصر الله كبصر المخلوق فقد عطل البصر عن كماله الواجب فإذا قال ذلك في كل صفات الله تعالى فإنه يكون بذلك قد عطل الله تعالى عن كماله الواجب له جل وعلا وتقدس وتنزه عن كل نقص في ذاته أو صفاته أو أسمائه أو أفعاله {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. فهذا بالنسبة لقول أهل السنة " كل ممثل معطل " وأما قولهم: " وكل معطل ممثل " فبيان ذلك أن يقال: إن المعطل إذا سألته لماذا عطلت الله عن صفاته؟ لبادر بقوله لأن إثبات هذه الصفات يستلزم مماثلة الله بخلقه فهو مثل أولاً وأراد أن يفر من هذا التمثيل فعطل أي أنه لم يصعد إلى درجة التعطيل إلا بعد أن صعد درجة التمثيل فمثل أولاً ثم عطل ثانياً بل إن الحجة أعني الشبهة التي يستدل بها على التعطيل إنما هي خوف التمثيل وهذا واضح، ويقال أيضاً: إن بعض المعطلة عنده غلو في التعطيل فمنهم من نفى الأسماء والصفات جميعاً كالجهمية ومنهم من نفى الإثبات فلا يصف الله تعالى إلا بالنفي فقط، ومنهم من سلب عن الله النقيضين فيقول: لا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا سميع ولا أصم ولا يتكلم وليس بأخرس وهكذا، فهؤلاء بهذا التعطيل قد وقعوا في تمثيل الله تعالى بالمعدومات الممتنعات فهم فروا من شيء ووقعوا في شر منه مع ما يلزمهم من تعطيل النصوص والتكذيب بها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم إنا نبرأ إليك من تمثيل الممثل وتعطيله ومن تعطيل المعطل وتمثيله ونعوذ بوجهك الكريم أن نقع في شيء من ذلك ونسألك اللهم باسمك الأعظم الثبات إلى الممات ونعوذ بك من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن والله أعلم .

القاعدة الخامسة عشر من قواعد هذا الباب (الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات) وبيانها أن يقال: إنه قد انعقد الاتفاق أن لله تعالى ذاتاً لا تماثل الذوات وأن إثباتنا للذات إثبات وجود لا إثبات تكييف فهاهنا ثلاثة أمور :- الأول :- أن لله ذاتاً .الثاني :- أنها لا تماثل الذوات .الثالث :- أن إثبات الذات إنما هو إثبات وجود لا إثبات تكييف . وهذه الأمور الثلاثة تفيدنا عدة أمور لازمة ولا يعارض فيها إلا

المعاند ولا سبيل لنا على القلوب لأن القلوب وهدايتها من خصائص علام الغيوب -:

الأمر الأول:- إذا كنا نؤمن بأن لله ذاتاً فلابد لزاماً أن نؤمن أن لهذه الذات صفات ذلك لأنه لا يتصور ذات بلا صفات فمن أثبت الذات وأنكر الصفات فقد كابر المعقولات وخالف المحسوسات وعارض المنقولات المسلمات لأن نفي الصفات يستلزم نفي الذات، وليس هناك ذات مطلقة عن الصفات أي ذات بلا صفات هذا إنما يكون في ذهن الأحمق الأخرق الذي لا يفقه ولو ادعى أنه من العقلاء فالدعاوى لابد لإثباتها من البينة ولذلك فإن قول بعض المبتدعة بنفي النقيضين مفضي إلى نفي الذات أصلاً ونفي الذات حقيقته نفي وجود الله تعالى وهذا كفر أكبر مخرج عن الملة بالكلية بل هو أعظم كفراً من كفر المشركين فإن المشركين كانوا يعتقدون أن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت وإنما كانوا يشركون في توحيد العبادة ولكن هؤلاء القرامطة الغلاة ينفون عن الله تعالى النقيضين فيقولون لا حي ولا ميت ولا سميع ولا أصم ولا متكلم ولا أخرس ولا فوق ولا محايث ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه وهكذا وقولهم هذا يستلزم نفي الوجود أصلاً لأن هذه صفات المعدوم الممتنع فانظر كيف تجر البدع أصحابها إلى هذه المهاوي العقيمة والحفر العميقة التي لا مخرج لهم منها إلا بالتوبة النصوح والرجوع إلى مذهب السلف والمقصود أن الإنسان إذا اعتقد أن لله ذاتاً فلابد لزاماً أن يؤمن أن له صفات لأنه لا تكون الذات إلا بصفات بل إن الذات هي مجموع الصفات والله المستعان .

الأمر الثاني:- إذا كنا نؤمن بأن ذات الله تعالى لا يماثلها شيء من الذوات فلابد لزاماً أيضاً أن نعتقد أن صفات هذه الذات لا يماثلها شيء من الصفات ذلك لأن اختلاف الذوات يؤدي إلى اختلاف الصفات فما تقوله في الذات فقله في الصفات لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فلا يمكن أبداً ولا يتصور أصلاً أن تختلف الذوات وتتفق الصفات فإذا كنا نؤمن أن لله ذات تخصه لا تماثل شيئاً من الذوات فيجب علينا أيضاً أن نؤمن أن لله صفاتاً تخصه لا تماثل الصفات وأي عاقل في الدنيا يقول: إن ذات الله كذاتي؟ هذا ما لم نسمعه ولم نقرأه أبداً، فالخلاف

بين أهل القبلة ليس في الذات وإنما الخلاف وقع في الصفات بل حتى الممثلة يؤمنون أن الله تعالى له ذات ليست كالذوات ولكنهم يقولون له صفات كالصفات وهذا تناقض صريح وتهافت واضح لا ترضاه العقول السليمة والفطر المستقيمة فضلاً عن النقول الصحيحة الصريحة، ولذلك فيقال للمثل: هل أنت تقر بأن لله ذات؟ فسيقول: نعم فقل له: إن الكلام في الصفات كالكلام في الذات فإذا كانت ذاته جل وعلا لا يماثلها شيء من الذوات فيلزمك - إن كنت عاقلاً تدري ما تقول - أن تكون صفات هذه الذات لا يماثلها شيء من الصفات فإنك ترى صفات الفيل تختلف عن صفات الجمل وسبب ذلك اختلاف ذاتيهما، فاختلاف ذاتيهما أدى إلى اختلاف صفتيهما، وصفات زيد تختلف عن صفات عمرو وسبب ذلك اختلاف ذاتيهما فاختلاف ذاتيهما أدى إلى اختلاف صفتيهما، وصفات الفرس تختلف عن صفات الذباب وسبب ذلك اختلاف ذاتيهما، فاختلاف ذاتيهما أدى إلى اختلاف الصفات فيما بينهما مع أنهما يجمعهما وصف أنها مخلوقة فكيف بالله عليك لا يكون ذلك لازماً فيما بين الخالق الكامل من كل وجه وبين المخلوق الضعيف من كل وجه؟ هذا مالا يكون أبداً، بل الذي ندين الله تعالى به ونعتقده بقلوبنا ونقوله بألسنتنا وندرسه لتلاميذنا أن لله صفاته الخاصة به كما أن له ذاته الخاصة به، ذلك لأن الكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات، والله المستعان .

الأمر الثالث:- إذا كنا نؤمن أن إثباتنا لذات الله تعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات تكييف فكذلك نقوله في صفات هذه الذات، أن إثباتنا لصفات هذه الذات أيضا هو إثبات وجود لا إثبات تكييف، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فنحن إذا قلنا: إن لله ذات فكلامنا هذا يفيد إثبات وجود هذه الصفات على ما يليق بجلاله وعظمته، لأن الكلام فيهما - أي الذات والصفات - واحد لا يختلف ومتفق لا يفترق، فما تقوله في ذات الله تعالى قله في صفاته، ولا نعني بذلك أن ذات الله تعالى أو صفاته لا كيفية لها في الحقيقة والواقع - حاشا وكلا - ونعوذ بالله من ذلك، بل المنفي هنا إنما هو علمنا بهذه الكيفية، أي الكيفية المزعومة لأنه لا يعلم كيف ذات الله ولا كيف صفاته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن من دونهم من الأولياء والصالحين، فلا يعلم كيف الله إلا الله جل وعلا، فقول أهل السنة (من غير تكييف) أي من غير حكاية لكيفية شيء من هذه الصفات، وقولهم (بلا كيف

) أي من غير ادعاء علم شيء من كيفية الصفات فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا بل الأمر مبناه على التسليم {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧] والمقصود أنه كما أن إثباتنا لذات الله تعالى إثبات وجود لا إثبات تكييف فكذلك إثباتنا لصفاته جل وعلا أيضاً إثبات وجود لا إثبات تكييف لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات والله المستعان .

الأمر الرابع:- إنه من المعلوم المتقرر عند أهل السنة وغيرهم أن ذات الله تعالى لا يعلمها إلا الله تعالى، فإذا كان ذلك كذلك فيجب أيضاً من باب الملازمة بين الذات والصفات أن يقال:- إن صفات هذه الذات لا يعلمها إلا الله تعالى، لأن الكلام فيهما واحد، فيصفه كل شيء لا تعلم إلا إذا علمت ذاته ، فالجهل بالذات مفضي إلى الجهل في الصفات، أي في الكيفية، وبناء عليه فإذا قال لك الجهمي {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] كيف استوى ؟ فقل له: أولاً أخبرني أنت كيف الله في ذاته أي كيف ذاته جل وعلا؟ فبالطبع سيقول: لا أعلم كيف هو في ذاته، فإذا قال ذلك فقل له: وأنا أيضاً لا أعلم كيف هو في ذاته ، فإذا كنا مشتركين في عدم العلم بالذات فكيف تطالبني أن أبين لك كيفية استوائه وأنا لا أعلم أصلاً كيف هو في ذاته، فإن الجهل بكيفية الذات يقتضي الجهل بكيفية الصفات، فكيفية الصفة تابعة للذات فمن علم الذات عرف كيفية الصفات، ومن جهل الذات جهل كيفية الصفات ونحن بالاتفاق لا نعلم كيف الله في ذاته فمن باب أولى أن لا نعلم كيفية صفاته لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فنحن لا نعرف كيفية وجهه لأننا نجهل كيفية الذات ولا نعلم كيفية يديه لأننا نجهل كيفية ذاته ولا نعلم كيفية استوائه لأننا لا نعلم كيفية ذاته، ولا نعلم كيفية مجيئه وإتيانه ونزوله إلى السماء الدنيا لأننا أصلاً لا نعلم كيفية ذاته، وهكذا في سائر الصفات، فإذا قيل لك وما العلاقة بين الذات والصفات؟ فقل : العلاقة بينهما هذه القاعدة التي تقول: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات والله المستعان .

الأمر الخامس:- إذا تقرر لنا أن الكلام في الصفة كالكلام في الذات فاعلم رعاك الله تعالى ووفقك لكل خير وجنبك كل شر وبلاء وفتنة، أننا نؤمن الإيمان الجازم ونعتقد الاعتقاد الراسخ الذي هو أعظم رسوخاً من الجبال الرواسي أن الله تعالى

كامل الكمال المطلق من كل وجه في ذاته جل وعلا وذاته جل وعلا لها الكمال المطلق، أي غاية الكمال ونهاية الكمال على ما يليق بجلاله وعظيم كبريائه وسلطانه عز وجل، هذا قولنا في الذات والكلام في الصفات كالكلام في الذات وبناء عليه فيلزمنا أن نقول أيضاً: أن الصفات التي نثبتها لهذه الذات هي الصفات الكاملة من كل وجه، أي أن لها الكمال المطلق فلا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، فكما أن لذاته الكمال المطلق فكذلك أيضاً لصفاته الكمال المطلق، فلله تعالى الذات الكاملة المتصفة بالصفات الكاملة، وصفات الجلال المطلق والجمال المطلق والعظمة المطلقة المتناهية من كل وجه، فاستوائه له الكمال المطلق لأن ذاته لها الكمال المطلق، ووجهه جل وعلا له الكمال والجمال والبهاء المطلق، لأن ذاته جل وعلا لها الكمال والجمال والبهاء المطلق، ونزوله إلى السماء الدنيا له الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه لأن ذاته جل وعلا لها الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، وهكذا في سائر صفاته، ولا يمكن أن يقال غير هذا ونعوذ به جل وعلا أن نعتقد أو نقول غير هذا فانظر إلى بركة هذه القاعدة فالله الله في حفظها واستذكارها دائماً وتعليمها للطلبة والناشئة فإنها أحد الأسباب التي يتحقق بها تعظيم الله جل وعلا، وتعظيمه عز وجل من مقاصد الشريعة التي جاءت بإثباتها، والله يحفظك ويرعاك ويجعل الجنة مأوانا ومأواك وهو أعلى وأعلم .

القاعدة السادسة عشرة من قواعد هذا الباب :- (الكلام في بعض الصفات كالكلام في بعض) وهي أيضًا قاعدة نافعة جداً وقد رأينا بركتها على أنفسنا وطلابنا فأحب أن أتحفك بها لأني أحب لك ما أحبه لنفسي وقال عليه الصلاة والسلام ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))"متفق عليه".(٥٦٢) وبيانها أن يقال: أن باب الصفات باب واحد و القول فيه متفق لا يفترق ومؤتلف لا يختلف وواحد لا يتعدد، فما تقوله في صفة فإنه ينجر على جميع الصفات فالقول في صفة الوجه هو بعينه القول في صفة الاستواء واليدين والعينين وهكذا في سائر

---

(٥٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٤٥).

الصفات، وهذه القاعدة رد قوي على الأشاعرة الذين لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً فقط وهي: الحياة والكلام والبصر والسمع والإرادة والعلم والقدرة، ويحرفون الباقي، وإنك إذا سألتهم عن سبب ردهم للباقي أجابك بجوابين لا ثالث لهما، الأول: يقولون أن إثبات ما عدا هذه السبع يفضي إلى تمثيل الله تعالى بخلقه فأنت تراهم هنا قد حرفوا ما حرفوه من الصفات بحجة المماثلة فيقال لهم: إن القول في بعض الصفات كالقول في بعض فإذا كان ما نفيتموه من الصفات يستلزم التمثيل فكذلك يقال أيضاً فيما أثبتموه يستلزم التمثيل، لأنكم تفرون من إثبات الوجه لأن المخلوق له وجه، وتفرون من إثبات اليد لأن المخلوق له يد، وتفرون من إثبات الاستواء لأن المخلوق له استواء وتفرون من إثبات العين لأن المخلوق له عين، وهكذا، ولكنكم تثبتون الحياة، فبالله عليكم أليس المخلوق له حياة، وتثبتون الكلام والمخلوق له كلام، وتثبتون السمع والبصر والإرادة والقدرة والعلم والمخلوق له سمع وبصر وإرادة وقدرة وعلم، فتكونون بذلك قد وقعتم في نفس المحذور الذي من أجله فررتم من إثبات باقي الصفات، وهذا تناقض ظاهر فإما أن تثبتوا الجميع فتلحقوا بركب أسيادكم أهل السنة وإما أن تنفوا الجميع فتلحقوا بركب إخوانكم المعتزلة، أما أن تثبتوا البعض وتنفوا البعض فهذا هو عين التناقض، فإن قالوا: نحن نثبت الصفات السبع على الوجه الذي يليق به جل وعلا فنقول لهم: وكذلك أثبتوا بقية الصفات على الوجه الذي يليق بالله جل وعلا، واستريحوا وأريحوا، وإن قالوا: إن إثباتنا لهذه الصفات السبع لا يقتضي تمثيل الله بخلقه فنقول لهم: وأيضاً إثبات بقية الصفات لا يقتضي تمثيل الله بخلقه، وهكذا، فما كان جوابهم فيما نورده عليهم في صفاتهم فهو جوابنا عليهم فيما نفوه من الصفات لأن القول في كل الصفات قول واحد لا تختلف، فإذا كان ما أثبتموه لا يقتضي تمثيل الله بخلقه فكذلك ما نفيتموه لا يستلزم تمثيل الله بخلقه فكذلك ما أثبتموه أيضاً -على فهمكم هذا- يستلزم تمثيل الله بخلقه، ويقال لهم أيضاً:- إن أخوانكم المعتزلة والجهمية ينكرون عليكم إثباتكم هذه الصفات السبع لأنهم ينكرون الصفات كلها، ويوردون عليكم شبهاً في إثباتكم لهذه السبع وأنتم تقومون بالرد عليهم دفاعاً عن مذهبكم في إثبات هذه السبع فما كان جوابكم عليهم دفاعاً عن مذهبكم فهو بعينه جوابنا عليكم فيما نفيتموه، وفي ذلك

يقول أبو العباس فيما أثبتموه رحمه الله تعالى في التدمرية (فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته)(٥٦٣)

قلت:- لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعض، وهذا باتفاق أهل السنة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى، ونحن نقول :- إن إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ في سنته حق على حقيقته على ما يليق بجلاله وعظمته لا يقتض تمثيلاً ، لأننا نثبته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأما جوابهم الثاني فهم يقولون:- إن الصفات التي نثبتها قد اقتضى العقل ثبوتها والصفات التي نفيناها لم يقتض العقل ثبوتها، فإذا قالوا ذلك فقل لهم:- لنا على ذلك أجوبه :-

الأول :- أن باب الصفات باب توقيفي على الدليل ولا مدخل للعقول فيه .

الثاني :- أن العقول متفاوتة أشد التفاوت فما ترونه بعقولكم أنه ليس بثابت يراه غيركم أنه ثابت، فبأي عقل نزن الكتاب والسنة، ذلك لأن العقل لا يعرف تفاصيل ما يجب إثباته لله مما نفي عنه، فأنتم ترون أن العقل يثبت الأسماء فقط وينفي سائر الصفات، والجهمية يرون أن العقل يقضي بنفي الكل الأسماء والصفات، والفلاسفة يرون أن العقل ينفي كل إثبات ولا يثبت إلا النفي فقط، والقرامطة غلاةٌ غلاة يرون أن العقل هو نفي النقيضين، فالعقول متفاوتة فأي عقل نعتمده ونتزل الكتاب والسنة عليه ؟ .

الثالث :- سلمنا أن دليل العقل انتفى فإن انتفاءه لا يدل على انتفاء ما أثبته الدليل النقلي فإن النقل دليل مستقل بذاته لا يعرض على العقل، فالصفات التي نفيتموها قد جاءت بها الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة فيجب إثبات ما أثبته النقل، فلا تقف حيث وقف العقل بل قف حيث وقف النقل .

الرابع :- أننا لا نسلم أصلاً أن العقل عاجز عن إثبات كثير مما نفيتموه من الصفات، فإن العقل السليم يعرف طريق إثبات ذلك، فمثلاً إكرام الطائعين بأنواع الإكرام وإدخالهم الجنة وإعدادها بأنواع النعيم المقيم واللذة الأبدية دليل على

---

(٥٦٣) آنظر العقيدة التدمرية (١/ ٢١).

محبتهم ورحمتهم، وإهانة الكافرين وتعذيبهم بأنواع العذاب وإدخالهم النار دليل على بغضهم والغضب عليهم، وإمساك السماوات والأرض أن تزولا وإمساك الجبال دليل على القوة الكاملة، وهكذا في صفات كثيرة والله المستعان، والمقصود: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض فتأمل هذه القاعدة العظيمة وتدبرها حق تدبرها تجدها برد اليقين على الفؤاد، وهذا هو شأن الحق، فإنه ينزل على القلوب المحبة له كالسلسبيل العذب البارد في القيظ الحار الجاف والله يتولانا وإياك.

القاعدة السابعة عشرة من قواعد هذا الباب :ـ (الأصل في الكلام الحقيقة فلا يجوز الانتقال عن الحقيقة إلى المجاز إلا بالقرينة الصارفة) ولكن بشرط ، وهو أن تكون الحقيقة متصورة أصلاً ، أي أنك مثلاً إذا قلت : رأيت أسداً قد أمتطى صهوة المنبر يخطب ، فإن عقلك وفهمك لا يمكن أبداً أن يحمل هذا الكلام على حقيقته لأنك تعرف حقيقة الأسد وأنه لا يمكن أن يفعل ذلك فعرفت أن الأمر اد المجاز ، لكن بالله عليك لما صرف المبتدعة صفات الله تعالى من حقائقها إلى مجازاتها ، هل كانوا يعرفون حقيقة هذه الصفة حتى يتيقنوا أنه لا يراد بها الحقيقة ؟ هل كانوا يعلمون حقيقة الوجه حتى يصرفوه إلى الثواب ؟ هل كانوا يعلمون حقيقة اليد حتى يصرفوها إلى النعمة والقدرة ؟ هل كانوا يعلمون حقيقة العين حتى يصرفوها إلى العلم ؟ بالطبع لا ، إذاً كيف يصرفون الكلام من حقيقته التي لم يتصوروها أصلاً ولم يعرفوا كيفيتها إلى المجاز ويقولون : أنه لا يمكن أن يريد الحقيقة ، أي حقيقة هي التي يفرون منها ؟ أن القوم قوم بهت أهل أهواء وشهوات ، يتحكمون في الأدلة بأهوائهم وشهواتهم كما يتحكم الصبي بالكرة تحت يده ، فيحذفون من الدليل ما لا يريدون ويدخلون في دلالته ما يريدون بلا حياء ولا خوف ولا برهان ، وإنما هي العقول العفنة والأهواء المنتنة ، فانتبه لهذا الأمر الانتباه التام ، وأعيد لك بعبارة أسهل ومثال جديد وهو : لو سمعت أحداً يقول : لقد رأيت أسداً قد حمل حقيبته وذهب إلى مدرسته ، فبالله عليك هل ستفهم من لفظ الأسد أنه الحيوان المفترس ؟ بالطبع لا ، ولو قلت لك : لماذا لا تحمل الكلام على أنه الأسد الحقيقي ؟ فستقول لي بك ثقةٍ لأنني أعرف حقيقة الأسد وأنه لا يمكن أن يحمل حقيبة ويذهب إلى المدرسة ، إذا أنت حملت الكلام على المجاز لأنك

تصورت حقيقة الأسد وأنه لا يمكن صدور ذلك الفعل منه ، إذاً لابد أن تعرف الحقيقة أولاً حتى ننظر هل يمكن حمل الكلام عليها أم يكون الأمر اد هو المجاز ؟ وهؤلاء المبتدعة لما زعموا أن آيات الصفات لا يراد بها حقائقها هل بالله عليك كانوا يعرفون كيفيات هذه الحقائق حتى يقرروا أنه لا يمكن أن يراد حقائقها ؟ الجواب لا ، إذاً كيف يفرون من حقيقة لا يعرفونها ويحاربونها وهم لم يتصوروها أصلاً ؟ هذا والله هو الذي لا ينتفض منه عجبي ، لكن يزول الإشكال إذا علمت انهم لا يفهمون من هذه الآيات إلا ما يفهمونه من صفات البشر ، فلا يفهمون من العين إلا أنها كأعيننا ولا يفهمون من الوجه إلا أنه كوجوهنا ولا يفهمون من الاستواء إلا أنه كاستوائنا وهكذا ، فلما قامت هذه المفاهيم في رؤوسهم أرادوا أن يفروا منها ظناً منهم أن هذه المفاهيم الباطلة هي الأمر اد من هذه الآيات فترقوا بذلك ولله الحمد من الجهل البسيط إلى الجهل الأمر كب ، فجمعوا جهلاً على جهل وغباء على غباء وحمقاً على حمق ، وبناءً عليه فإذا سمعت مبتدعاً يقول : لا يمكن أبداً أن يوصف الله بأن له وجهاً ، فاسأله أولاً : ماذا تعني بالوجه ؟ فإنه وإن خادع وزخرف القول فسينتهي به الأمر إلى الاعتراف بأنه لا يفهم من صفة الوجه إلا الوجه المعهود في المخلوق ، وحينئذٍ فبين له الآيات التي فيها قطع دابر المماثلة بين الخالق والمخلوق ، فإن أذعن ورجع فالحمد لله وإلا فهو شيطان في مسلاخ إنسان وحمار في بدن آدمي والله يعصمنا وإياك من زلل القول ونعوذ به من مناهج أهل الأهواء والله أعلم .

وخلاصة هذا الفصل أن تعلم أنه لا يجوز الانتقال من حقيقة الكلام إلى مجازه إلا إذا دلت القرينة على ذلك بشرط أن تكون الحقيقة معلومة لك أولاً وأما إذا كانت من عالم الغيب الذي أستأثر الله تعلمه فالواجب عليك أن تبقى على الحقيقة . والله أعلى وأعلم

فهذه جمل من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في باب الأسماء والصفات ، والتي لا بد من فهمها وإتقانها والإيمان بها ، فإن من فهمها وأتقنها لانت له المسائل في هذا الباب وعرف حقيقة ما قرره أهل السنة والجماعة

رحمهم الله تعالى في كتبهم مما يخص أسماء الله تعالى وصفاته ، والله ربنا أعلى وأعلم .

ونرجع إلى شرح ألفاظ المنظومة فنقول :ـ قوله (أثبت) أمر بالإثبات (صفات الرب) أي وأسماؤه أيضا (إثباتا بلا تكييف) وهو حكاية كيفية الصفة (أو تحريف) وهو لغة التغيير ، واصطلاحا :ـ تغيير النص لفظا أو معنى ، (أو بهتان) وهو أن تقول على الله تعالى بلا علم ، فالتقول على الله تعالى بلا لعم داخل في حد البهتان ، (فالله) تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١] كما قال تعالى{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] ، (ولا كفؤ له) كما قال تعالى{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤] فالله تعالى ليس كمثله شيء ولا كفؤ له ولا سمي له ولا ند له لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في تشريعه وحكمه جل وعلا ، (وتعالى) الله عما يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا لأنه (ذو السبحان) أي النزاهة والقداسة والعظمة ، كما قال تعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] فسبح نفسه عما يصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على الأمر سلين لسلامة ما قالوه من العيب والنقص ، وحمد نفسه لأنه المستحق للحمد الكامل المطلق ذاتا ووصفا ، فالله تعالى هو المحمود لذاته والمحمود لأسمائه وصفاته ، والمحمود في أفعاله وأحكامه جل وعلا ، (إياك والتعطيل) أي واحذره الحذر الكامل ، وهو لغة التفريغ والإخلاء ، وشرعا :ـ إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات إنكارا كليا أو جزئيا ، وهو حرام بكل صوره وأشكاله ، وقد يصل بصاحبه في كثير صوره إلى الكفر والعياذ بالله تعالى ، (و) احذر كذلك (التكييف) وتقدم معناه (في أوصافه) أي في أوصاف الله تعالى ، فإن التعطيل والتكييف من المحاذير التي يجب الحذر منها في هذا الباب ، كما تقدم الكلام على ذلك ، قال السلف :ـ من أنكر ما وصف الله تعالى بنفسه فقد كفر ، ومن مثل صفات الله تعالى بصفات خلقه فقد كفر ، وقالوا :ـ المعطل يعبد عدما ، والممثل يعبد صنما ، والموحد يعبد إلها واحدا صمدا لا مثيل له ، ولذلك فإن الأخسرين أعمالا هم الذين أدخلوا التعطيل والتمثيل في باب الأسماء والصفات ، ولذلك قال الناظم (فتكون ذا خسران) أي إنك إن عطلت ما

ثبت به النص من الأسماء والصفات ، أو مثلت شيئا من صفات الله تعالى بصفات خلقه فلا جرم أنك ستكون ذا خسران ، لأنك خالفت مقتضى النص ، ومقتضى العقل ، ومقتضى الفطرة السليمة ، ومقتضى ما قرره سلف الأمة وأئمتها في هذا الباب ، وهذه المخالفة هي عين الخسارة ، لأنها تخرج العبد من دائرة الفرقة الناجية إلى دائرة أهل الهلاك والبوار ، من أهل البدع المتوعدين بالنار ، كما قال ﷺ عن الفرق :ـ" كلها في النار إلا واحدة " فإن قلت :ـ وما المخرج من هذا ؟ فأقول :ـ هو اعتماد طريق السلامة في هذا الباب ، وهو قول السلف (أمروها كما جاءت بلا كيف) وقد نظمها صاحب هذه القصيدة بقوله (فأمر آيات الصفات كما أتت في السنة الغراء والقرآن) وهذه الكلمة الطيبة قد اتفق على مدلولها أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، أي لا يتعرض لها بالتأويل، بل يؤمن بها، والإيمان بها يتضمن الإيمان بألفاظها وبمعانيها فإن ما لا معنى له لا يقال فيه: بلا كيف ، قال الوليد بن مسلم رحمه اللَّه : سئل مالك ، والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان الثوري رحمهم اللَّه عن الأخبار الواردة في الصفات فقالوا جميعا : أَمِروها كما جاءت بلا كيف ،(٥٦٤)

وقال الأوزاعي : سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث - أي التي جاءت في الصفات - فقالا : أمروها كما جاءت . رواه الخلال في كتاب السنة ، (٥٦٥)

وقد نقل هذه الرواية أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ثم قال (والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم ، والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ، (٥٦٦)

ونقل الشيخ أيضاً عن أبي سليمان الخطابي أنه قال في رسالته المشهورة في " الغنية عن الكلام وأهله " : فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في

---

(٥٦٤) صحيح

أخرجه الالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٩٣٠)، والآجري في الشريعة (٧٢٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٥٥)، والذهبي في العرش (١٧٢).

(٥٦٥) آنظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٩)، وعزاه للخلال في السنة للخلال، ولم أقف عليه.

(٥٦٦) آنظر الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (١/ ٣٠١).

الكتاب والسنة ، فأن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها)(٥٦٧)

فقولهم رضي الله عنهم: أمروها كما جاءت، رد على المعطلة؛ وقولهم: بلا كيف، رد على الممثلة ، وكما قال الإمام سفيان بن عُيَيْنة رحمه الله تعالى: (كلُّ ما وصَفَ اللهُ تعالى به نفسهُ في القرآن فقراءته ؛ تفسيرُه لا كيفَ ، ولا مِثْل)(٥٦٨)

وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :(آمنتُ باللهِ ، وبما جاءَ عن اللهِ على مرادِ اللهِ ، وآمنتُ برسول الله وبما جاء عن رسولِ اللهِ على مُراد رَسُولِ الله) (٥٦٩)

وقال الإمام مالك بن أنس - إمام دار الهجرة- رحمه الله : (إياكُم والبِدَع) قيل : وما البدع؟ قال : (أَهلُ البِدَعِ هُم الذينَ يتكلمونَ في أَسماء اللهِ وصفاتِهِ وكلامِه وعلمه وقُدرتِه ، ولا يَسْكُتونَ عمَا سَكَت عَنهُ الصحابةُ والتابعونَ لهم بإِحسان) (٥٧٠)

وسألهُ رجل عن قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } كيف استوى؟ فقال : (الاستواءُ غيرُ مجهولٍ ، والكيفُ غيرُ معقول ، والإيمانُ به واجبٌ ، والسؤالُ عنهُ بدعة ، وما أراكَ إلا ضالا) وأمر به أن يُخرج من المجلس) (٥٧١)

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى (لا ينبغي لأَحد أَن ينطقَ في ذات الله بشيء ؛ بل يصفهُ بما وصفَ به نفسهُ ، ولا يقول فيه برأيه شيئا ؛ تبارك الله تعالى رَبُّ العالمين)(٥٧٢)

ولما . سُئل- رحمه الله- عن صفة النزول ، فقال : (ينزلُ بلا كيف)، (٥٧٣)

---

(٥٦٧) آنظر الفتوى الحموية الكبرى (١/ ٣٦٢)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٨).

(٥٦٨) آنظر العرش (٢٧٥)، والعلو (٥٩١) للذهبي.

(٥٦٩) آنظر لمعة الاعتقاد (١/ ٧).

(٥٧٠) آنظر الحجة في بيان المحجة (١/ ١١٤) لقوام السنة الإمام الأضبهاني، والغنية عن الكلام وأهله للخطابي (١/ ٣٧)، عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١/ ٢١)، وذم الكلام وأهله للهروي (٨٧٢).

(٥٧١) آنظر عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١/ ٨، ٩)، والعلو للذهبي (٤٥٥).

(٥٧٢) آنظر أصول البزدوي (١/ ٣)، وكشف الأسرار عن أصول البزدوي (١/٧، ٨).

وقال الحافظ الإمام نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله : (مَنْ شبه اللهَ بخلقهِ فقد كَفَر ، ومَن أنكر ما وصَفَ به نَفسَه فقد كَفر ، وليس ما وصفَ به نفسَه ولا رسُولهُ تَشبيها) (٥٧٤)

وقال بعض السلف (قَدَمُ الإسلامِ لا تَثبتُ إلَّا على قنطرة التسليم)(٥٧٥)

لذا فإنهُ من سلك مسلك السلف في الحديث عن ذات الله تعالى وصفاته ؛ يكون ملتزما بمنهج القرآن في أَسماء الله وصفاته سواء كان السالك في عصر السَّلف ، أَو في العصور المتأخرة . وكلُّ من خالف السَّلف في منهجهم ؛ فلا يكون ملتزما بمنهج القرآن ، وإن كان موجودا في عصر السَّلف ، وبين أَظهر الصحابة والتابعين ، وبالجملة :ـ فمراد سلف الأمة رحمهم الله تعالى هو التحذير من الدخول في مهاوي الردى من تمثيل صفات الله تعالى بصفات خلقه ، (واحذر) أيها السني الموفق (سؤال الكيف عن أوصافه) أي لا تقل :ـ كيف وجه الله ، كيف عين الله ، كيف استواء الله ، احذر الحذر الكبير من هذا السؤال الفاسد الشيطاني ، (و) إن سألك أحد عن كيفية شيء من صفات الله تعالى (أجب بقول العالم الرباني) وهو الإمام مالك رحمه الله تعالى ، (قل نعلم المعنى ونجهل كيفها والسؤل يحرم يا أخا العرفان) وذلك أن رجلا جاء إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى فقال ـ يا إمام {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]كيف استوى ، فأطرق الإمام رحمه الله تعالى حتى علاه الرحضاء ـ أي العرق ـ ثم رفع رأسه فقال :ـ الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق، ولا أراك إلا مبتدعا ، فأمر به فأخرج،(٥٧٦)

---

(٥٧٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٥٦).

(٥٧٤) آنظر الذهبي في العلو (١/ ١٢٦)، والعرش (٢/ ٣٠٥).

(٥٧٥) آنظر شرح السنة للبغوي (١/ ١٧١). وشرح الطحاوية (١/ ٣٤١).

(٥٧٦) آنظر عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١/ ٨، ٩)، والعلو للذهبي (٤٥٥).

ويروى هذا الجواب عن شيخه ربيعة الرأي،(٥٧٧)

ويروى عن أم سلمة، بل ويروى مرفوعا ، ولكن لا يصح،(٥٧٨)

والمعروف أنه من جواب ربيعة أو مالك ، وقد اعتمد أهل السنة رحمهم الله تعالى هذا الجواب في كل ما يرد عليهم من أسئلة الكيف عن شيء من صفات الله تعالى ، فإن تكلم أحمق فاجر مبتدع في شيء في كيفيات صفات الله تعالى فالطمه بهذا الجواب وأخرجه من المجلس إن استطعت وإلا فاخرج أنت ، فهذا الجواب ليس خاصا بالسؤال عن كيفية صفة الاستواء فقط ، لا ، بل هو عام في كل ما كان من هذا الجنس ، فمن سألك عن كيفية يد الله تعالى فأجبه بهذا الجواب ، ومن سألك عن كيفية عين الله أو وجه الله أو نزول الله تعالى فأجبه بهذا الجواب ، ونشرح قول الإمام مالك بشيء من الكلام فنقول :ـ قوله (الاستواء غير مجهول) أي أنه معلوم المعنى باعتبار اللغة العربية ، فإن أهل السنة رحمهم الله تعالى مجمعون على أن معاني الصفات معلومة ، كما قررناه سابقا في قاعدة خاصة ، فالاستواء في لغة العرب معلوم معناه ، وسيأتي تفصيل أكثر عند الكلام على صفة الاستواء ، وكذلك نقول في الوجه فمعناه معلوم في لغة العرب ، والنزول معناه معلوم في لغة العرب ، والرحمة والرضا والغضب والمقت وغيرها من صفات الله تعالى فإنن نعلمها باعتبار المعاني على حسب الوضع اللغوي ، والذي يقوض المعنى

---

(٥٧٧) آنظر عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١/ ٨، ٩)، والعلو للذهبي (٤٥٥).

(٥٧٨) ضعيف جدًا

أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦٦٣)، وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (٢٣)، وابن بطة في الإبانة (١٢٠)، وابن قدامة في صفة العلو (١/ ١٠٩)، والذهبي في العلو (١٨١).

كم طريق: أبي كنانة مُحَمَّد بن أشرس الأنصاري عن أبي عمير الحنفي ، عن قرة بن خالد ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة، به.

فإسناده ضعيف جدًا ففيه: مُحَمَّد بن أشرس، وهو ضعيف، وشيخه مجهول، وأم الحسن مجهولة،

هذا، وقد قال الذهبي: هَذَا الْقَوْلُ مَحْفُوظٌ عَنْ جَمَاعَةٍ كَرَبِيعَةِ الرَّأْيِ وَمَالِكٍ الإِمَامِ وَأَبِي جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيِّ، فَأَمَّا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فَلا يَصِحُّ لأَنَّ أَبَا كِنَانَةَ لَيْسَ بِثِقَةٍ وَأَبُو عُمَيْرٍ لَا أَعْرِفُهُ العلو للعلي الغفار (ص: ٨١)،

وقال ابن تيمية: وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. الفتاوى (٥/٣٦٥).

ليس من أهل السنة ، بل هو من طائفة المفوضة الذين يقولون نحن لا نعلم المعنى ، ومن نسب أهل السنة إلى الجهل بالمعنى فقد أخطأ أو كذب ، فأهل السنة يعلمون المعاني ويتكلمون فيها ، وقوله (والكيف غير معقول) أي أن كيفية الاستواء المضاف إلى الله تعالى لا يعلمه أحد ، ولا هو داخل تحت مدركات العقول ، لأنه من الغيب ، وكيفيته لا يمكن العلم بها إلا بالنظر إليها أو برؤية مماثل لها أو بإخبار الصادق عنها ، وكلها منتفية ، فكيف نعلم كيفية استوائه إذا كنا لم نره ، وليس له مثيل في استوائه حتى نستدل به عليه ولم يخبرنا النبي ﷺ عن كيفية استوائه ؟ فنحن نقف عند العلم بالمعنى فقط ، وأما الكيفية فإننا نفوض العلم بها إلى الله تعالى ، فنقول :ـ لا يعلم كيفية استواء الله تعالى إلا الله تعالى فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، والواجب كف العقول عن التخوض في باب الكيفيات لأنها من أمور الغيب التي لا بد فيها من الدليل ، ولم يأت الدليل ببيان كيفية الاستواء ، فلا يسعنا إلا أن نقول {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا } [آل عمران: ٧] وهذا ليس خاصا بكيفية صفة الاستواء فقط ، بل هو عام في كل كيفيات صفات الله تعالى ، فالوجه نعلم معناه على حسب الوضع اللغوي ولكننا نجهله باعتبار الكيفية ، واليد نعلم معناها باعتبار الوضع اللغوي ولكننا نجهلها باعتبار الكيفية ، والنزول والرضا والرحمة والغضب والأصابع وغيرها من صفات الله تعالى نعلمها من جهة معانيها فقط ، ولكننا نجهلها باعتبار كيفياتها ، فمعاني الصفات معلومة ، وكيفياتها غير معقولة ، وقول السلف رحمهم الله تعالى (بلا كيف) وقولهم (والكيف غير معقول) لا يريدون به نفي ذات الكيفية ، لا ، والعياذ بالله ، لأن من نفى الكيفية فهو معطل جاحد ، بل السلف رحمهم الله تعالى مجمعون على أن لصفات الله تعالى كيفية ، ولكنهم ينفون علمهم بهذه الكيفية ، فهو يؤمنون بأن لها كيفية ، ومجمعون على نفي العلم بهذه الكيفية ، فلا بد وأن تفرق بين نفي الكيفية ، ونفي العلم بالكيفية ، فالسلف لا ينفون الكيفية بل ينفون علمهم بهذه الكيفية ، وقوله (ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ) أي أن حجة الله تعالى على عباده قد قامت بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، كما قال تعالى {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } [النساء: ١٦٥] ووظيفة الرسل تبليغ ما أوحي إليهم من الدين والشرائع ، كما قال تعالى{ {يَاأَيُّهَا

الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٦٧] وقد قام النبي ﷺ بواجب البلاغ خير قيام وأتم قيام ، فما ترك عليه الصلاة والسلام شيئا مما أوحي إليه به إلا وقد بلغه ، فما مات إلا وقد بلغ البلاغ المبين وأتم الله تعالى به النعمة والدين ، كما قال تعالى{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] وفي رواية لهذه الكلمة عن الإمام مالك أنه قال (والإيمان به واجب) (٥٧٩)

لأنه خبر عن الله تعالى ، ومن أصدق الله قيلا ، ومن أصدق من الله حديثا ، (والسؤال عنه بدعة) أي السؤال عن الكيفية ، هذا بدعة لأنه سؤال لم يرد لا عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة الكرام ، ولا عن أحد من التابعين ، ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل أجمع السلف رحمهم الله تعالى على تحريم السؤال عن شيء من كيفيات صفات الله تعالى ، فهذا السؤال محدث في عقيدة الأمة ، فهو رد ، لأن المتقرر أن كل إحداث في الدين عقيدة أو شريعة فهو رد ، فهو سؤال تعنت ومكابرة وقلة أدب ، لما فيه من الجرأة على الله تعالى ، ولما فيه من البحث عن أمور من الغيب قد استأثر الله تعالى بها ، ولما فيه من مخالفة منهج السلف ، ولما فيه من إقحام العقول فيما لم تخلق له وليس هو من مدركاتها ، والله تعالى أعلى وأعلم .ثم نرجع إلى شرح ما تبقى من أبيات القصيدة فنقول :ـ قوله (لا تأخذن) أيها السني المتبع (بقول جهم) المبتدع ، ونريد به الجهم بن صفوان الترمذي ، من أهل خراسان ومولى لبني راسب، تتلمذ على الجعد بن درهم وكان كاتباً للحارث بن سريح ، الذي أثار الفتن ضد الدولة الأموية في خراسان، وكان جهم يقرأ سيرته ويدعو إلى توليته ، ويحرض الناس على الخروج معه وفي سنة ١٢٨هـ وقعت معركة بين جيش أمير خراسان ـ نصر بن سيار ـ وجيش الحارث بن سريح، وكان جهم بن صفوان في جيش الحارث، فطعنه رجل في فمه فقتله، وقيل بل اسر وأوقف بيت يدي سلم بن أحوز فأمر بقتله ، وكان يعتمد في عقيدته في الله تعالى على ما قرره الجعد بن درهم ، وكان يعتقد في الله تعالى اعتقادات

---

(٥٧٩) آنظر عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١/ ٨، ٩)، والعلو للذهبي (٤٥٥).

باطلة ، وكان مؤدى اعتقاده أنه ليس فوق السموات عرش ، ولا رب يعبد ولا إله يصلى له ويسجد ، فوق ل الجهم بن صفوان حقيقته تعطيل الرب جل وعلا عن الوجود ، فهو ينفي أسماء الله تعالى وصفاته ، ويقول بخلق القرآن ، وينفي قدرة العبد في باب القدر فهو رأس الجبرية ، وقوله في حقيقة الإيمان أنه مجرد المعرفة بالله تعالى ، فمن عرف الله تعالى مطلق المعرفة فهو مؤمن ، ويقول بفناء الجنة والنار ، ويقول بأن علم الله تعالى علم حادث ، إلى مقالات أخر يشيب منها مفرق الرأس ، فنفي الصفات أخذها الجهم من الجعد ومن الفلاسفة، والسمنية ، وذلك أن الجهم كان فصيح اللسان ولم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم فكلم السمنية فقالوا له: صف لنا ربك عز وجل الذي تعبده، فدخل البيت ولم يخرج ثم خرج إليهم بعد أيام فقال: هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء ، قال أبو العباس رحمه الله تعالى (فَإِنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ الْجَهْمِيَّةُ الَّذِينَ اتَّفَقَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ شَرِّ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ عَنْ الِاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً . وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ يُقَالُ لَهُ : جَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ ، فَضَحَّى بِهِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَوْمَ أَضْحَى ، فَإِنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : ضَحُّوا أَيُّهَا النَّاسُ يَقْبَلْ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ ، فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ ، إنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إبْرَاهِيمُ خَلِيلًا ، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ عُلُوًّا كَبِيرًا ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ ، فَشَكَرُوا ذَلِكَ . وَأَخَذَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنْهُ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَقَتَلَهُ بِخُرَاسَانَ سَلَمَةُ بْنُ أَحْوَزَ ، وَإِلَيْهِ نُسِبَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ الَّتِي تُسَمَّى مَقَالَةَ الْجَهْمِيَّةِ ، وَهِيَ نَفْيُ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى) (٥٨٠)

وقال رحمه الله تعالى (ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَ الْمِائَةِ الْأُولَى الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَأَتْبَاعُهُ الَّذِينَ عَطَّلُوا حَقِيقَةَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا ، وَسَلَكُوا مَسْلَكَ إخْوَانِهِمْ الْمُعَطِّلَةِ الْجَاحِدِينَ لِلصَّانِعِ وَصَارَ أَغْلَبُ مَا يَصِفُونَ بِهِ الرَّبَّ هُوَ الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ الْعَدَمِيَّةُ ، وَلَا يُقِرُّونَ إلَّا بِوُجُودٍ مُجْمَلٍ ، ثُمَّ يَقْرُنُونَهُ بِسَلْبٍ يَنْفِي الْوُجُودَ) (٥٨١)

---

(٥٨٠) آنظر الفتاوى الكبرى (٥/ ٢٩).

(٥٨١) آنظر الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٣٧).

والكلام في شأن هذا الرجل ليس مما نشرف به ، ولكن المقصود التنبيه على بعض أخباره حتى يعلم أنه من أقطاب الفسق والزندقة والضلال والفجور ، من الذين أحدثوا في عقيدة الأمة ما لا نزال نعايش آثاره القبيحة السيئة ، عليه من الله تعالى ما يستحق ، ولأن أقوال الجهمية أتباع الجهم بن صفوان قد بلغت من القبح والمخالفة المبلغ الكبير ، فقد ذهب عامة أهل السنة ـ لا سيما ـ المتأخرين إلى إخراجهم عن دائرة فرق الأمة ، وحكموا بكفرهم ، وخروجهم عن الملة الإسلامية ، وقد أفتى بكفرهم خمسمائة عالم من علماء أهل السنة ،

كما قال ابن القيم في النونية :ـ

ولقد تقلد كفرهم خمسون في   عشر من العلماء في البلدان

وخمسون في عشرة خمسمائة ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى (وقد كان سلف الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود كما قال عبد الله ابن المبارك والبخاري وغيرهما)(٥٨٢)

وقال رحمه الله تعالى (المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن ؛ فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب وحقيقة قولهم جحود الصانع ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله ؛ ولهذا قال عبد الله بن المبارك : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية وقال غير واحد من الأئمة إنهم أكفر من اليهود والنصارى)(٥٨٣)

ولذلك قال الناظم عن الجهم بأن حقيقة قوله جحد وجود الله تعالى فقال (قد أنكر الرب العظيم الشان) فأنكر وجوده بإنكار صفاته وأسمائه ،

---

(٥٨٢) آنظر الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٧٧).

(٥٨٣) آنظر الفتاوى الكبرى (١٢/ ٤٨٥).

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى (السلف والأئمة مطبقون على تكفير الجهمية حين كان ظهور مخالفتهم للرسول مشهورا معلوما بالاضطرار لعموم المسلمين)(٥٨٤)

وقال رحمه الله تعالى (ولهذا كان السلف والأئمة يتكلمون في تكفير الجهمية النفاة بما لا يتكلمون به في تكفير غيرهم من أهل الأهواء والبدع) (٥٨٥)

والله المستعان على بيان الحق ورد كيد المعتدين .وهو أعلى وأعلم ، ثم تكلم الناظم بعد ذلك على جمل من القواعد التي شرحتها وبينتها في سياق القواعد ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة.

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا ولآخرة :ـ

وكلامه تحت المشيئة وهو من   حرف وصوت جل عن نقصان

أقول :ـ أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى يؤمنون الإيمان القطعي الجازم بأن الله تعالى يتكلم متى شاء كيفهما شاء وبما شاء جل وعلا ، وأن كلامه جل بحرف وصوت يسمعه من يشاء ، وأن كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد ، فهذه ثلاث عقائد قد اتفقت عليها كلمة أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، وقد وردت عليها الأدلة الكثيرة المتواترة ، قال تعالى :{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) وقال تعالى{مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ} [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧]وقال تعالى{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام: ١١٥] وقال تعالى {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } [الأعراف: ١٤٣] وقال تعالى{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً} وقال تعالى{وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأعراف: ٢٢] وقال تعالى{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } [التوبة: ٦] وقال تعالى (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الأمر سَلِينَ) (القصص:٦٥) وقال تعالى {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ

---

(٥٨٤) آنظر بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٢٤).

(٥٨٥) آنظر درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٧).

حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١]
وكل آية فيها : (وقال الله) فإنها دليل على إثبات هذه الصفة ،

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)(٥٨٦)

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس في قصة جلوس جويرية بعد الفجر إلى تعالي النهار فقال النبي ﷺ (قد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بما قلت لوزنتهن ، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ومداد كلماته ورضا نفسه وزنة عرشه) (٥٨٧)

والشاهد قوله " ومداد كلماته "

وثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال : (من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل عن منزله ذلك) رواه مسلم (٥٨٨)

فدل ذلك على أن الله موصوف بالكلام وأنه ليس بمخلوق إذ لا تصح الاستعاذة بمخلوق فلما استعاذ بكلمات الله التامات دل ذلك على أنها ليست بمخلوقه ،

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار .... الحديث) (٥٨٩)

---

(٥٨٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب: من نوقش الحساب عذب (٦٥٣٩)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٧٤٤٣)، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (١٠١٦).

(٥٨٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٢٧٢٦)،

(٥٨٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٧٠٨).

والشاهد منه " يقول الله " وكذلك " فينادي بصوت " فإن فيه أن كلام الله تعالى بصوتٍ.

وروى أبو يعلى الموصلي عن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يحشر الله العباد أو قال : يحشر الناس حفاة عراة غرلاً ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان) ورواه الإمام أحمد في المسند أيضاً،(٥٩٠)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً (إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى يا جبريل أني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن ربكم يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء فيوضع له القبول في الأرض وإن الله

---

(٥٨٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب {وترى الناس سكارى} (٤٧٤١)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}، ولم يقل: ماذا خلق ربكم (٧٤٨٣)،

قلت: وقد انفرد البخاري رحمه الله بذكر قوله (فينادي بصوت)، أما ما اتفقا عليه –البخاري ومسلم- فليس فيه ذكر الصوت، كما أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب باب قصة يأجوج، ومأجوج (٣٣٤٨)، كتاب الرقاق باب قوله عز وجل: {إن زلزلة الساعة شيء عظيم}(٦٥٣٠)،ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين (٢٢٢).

(٥٩٠) حسن بشواهده

أخرجه البخاري معلقا بصيغة التمريض ليس بالجزم (٩/ ١٤١) قال: ويذكر عن جابرٍ عن عبْد الله بن أُنَيْسٍ، به.

وأخرجه موصولا في خلق أفعال العباد (٩٧٠)، وفي الأدب المفرد (٩٨/١)، وابن أبي شيبة في مسنده (٨٥١)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٤٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٠٣٤)، وفي السنة (٥١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٣١)، والروياني في مسنده (١٤٩١)، والحاكم في المستدرك (٨٧١٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣١)، (٦٠٠)، وغيرهم.

من طريق القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن مُحَمَّد بن عقيل، عن جابر عن، عبد الله بن أنيس، رضي الله عنهما.

فسنده ضعيف، لكنه يحسن بحديث البخاري الذي قبله –وهو أقواها-، وبغيره،

ففيه: القاسم بن عبد الواحد بن أيمن وهو مجهول، وشيخه عبد الله بن مُحَمَّد بن عقيل، صدوق في حديثه لين، والله أعلم.

تعالى إذا بغض عبداً نادى يا جبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل فينادي جبريل إن ربكم عز وجل يبغض فلاناً فأبغضوه ...الحديث) (٥٩١)

والشاهد منه إثبات المناداة من الله تعالى ،

وعن جابر رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : (هل من رجل يحملني إلى قومه ؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل .... الحديث) رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح،(٥٩٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على سائر خلقه) حديث حسن بطرقه وشواهده،(٥٩٣)

---

(٥٩١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٩)، كتاب الأدب باب المقة من الله تعالى (٦٠٤٠)، كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة (٧٤٨٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده (٢٦٣٧).

(٥٩٢) صحيح

أخرجه أحمد في مسند• (١٥١٩٢)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية (٢٠١)، وأبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في القرآن(٤٧٣٤)، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب النعوت، باب كلمات الله سبحانه وتعالى (٧٦٨٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٥٨٢)، والدارمي في سننه (٣٣٩٧)، وفي الد على الجهمية (٢٨٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٦٨٤٧)، والحاكم في المستدرك (٤٢٢٠)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٥٥٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٩)، وفي دلائل النبوة (١٣/ ٤١٣)، وفي شعب الإيمان (١٦٦).

كلهم كم طريق: إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله، به.

وإسناده صحيح ورجاله ثقات، رجال الشيخين ولم أقف له على علة.

(٥٩٣) ضعيف

أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٢٩)، والدارمي في الرد على الجهمية (٢٨٨)، (٣٤٠)، وأبو يعلى في معجمه (٢٩٤)، وابن بطة في الإبانة (٣٧)، والبيقهي في الأسماء والصفات (٥٠٩)، وفي شعب الإيمان (٢٠١٨).

كلهم من طريق: شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، به.

فإسناده ضعيف لأمرين:

الأول: شهر بن حوشب خلاصة الكلام فيه أنه إلى الضعف أقرب،

والثاني: الإسناد إلى شهر فيه انقطاع بين سعيد بن أبي عروبة وأشعث الحداني، مرة،

وثبت في أحاديث كثيرة قوله ﷺ (ثلاثة لا يكلمهم الله) (٥٩٤)

وإعضالٌ بين سعيد بن أبي عروبة وشهر ثانيًا،

وقد روي مرسلًا، عن شهر عن النبي صلى الله عليه وسل، به، كما عند أبي داود في مراسيله (٥٣٧)، والدارمي في سننه (٣٤٠٠)، وفي الرد على الجهمية (٢٨٧).

هذا، وقدروي عن أبي سعيد الخدري، كما عند الترمذي في سننه (٢٩٢٦)، الدارمي في سننه (٣٣٩٩)، وابن بطة في الإبانة (١، ٢، ٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٦٠)، وفي الاعتقاد (١/ ١٠١)، من طريق: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ عمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، به.

فهو سندٌ ضعيفٌ جدًا، ففيه: مُحَمَّد بن الحسن، وعطية العوفي، وهما ضعيفان، لا سيما مُحَمَّد بن الحسن فمتروك، تَرَكه أَحْمد وَيحيى وَقَالا لَا يُسَوِّي شَيْئا.

فعلى كلٍ: لا يصح الحديث إلى النبي ﷺ، والأحاديث الصحيحة في إثبات كلام الله عز وجل كثيرة متواترة تغني عنه، والله أعلم.

(٥٩٤) ثبت ذلك في أحاديث كثيرة

منها حديث أبي هريرة ﷺ:

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ "

أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب المساقاة بَابُ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنَ المَاءِ (٢٣٥٨) بَابُ مَنْ رَأَى أَنَّ صَاحِبَ الحَوْضِ وَالقِرْبَةِ أَحَقُّ بِمَائِهِ (٢٣٦٩)، كتاب الشهادات، باب اليمين بعد العصر (٢٦٧٢)، كتاب الأحكام بَابُ مَنْ بَايَعَ رَجُلًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا (٧٢١٢)، كتاب التوحيد بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}(٧٤٤٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (١٠٨).

ومنها حديث أبي ذرٍ ﷺ:

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ "

أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (١٠٦).

ومنها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، ﷺ:

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ"

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً (إن الله تبارك وتعالى يقول يا أهل الجنة : فيقولون لبيك وسعديك فيقول (هل رضيتم ...... وفيه فيقول أحل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم أبداً) (٥٩٥)

وروى الإمام أبن خزيمة في التوحيد وعبد الله بن أحمد في السنة والبيهقي في الاعتقاد وفي الأسماء والصفات أيضاً عن ينار بن مكرم وكانت له صحبة أن أبا بكر رضي الله عنه خاطر قوماً من أهل مكة على أن الروم تغلب فارس فغلبت الروم فنزلت {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ } [الروم: ١، ٢] فأتى قريشاً فقرأها عليهم فقالوا كلامك هذا ؟ قال : ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله عز وجل) وهو أثر صحيح.(٥٩٦)

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قصة الإفك (والله ما كنت أظن أن الله تعالى ينزل براءتي وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى .....) متفق عليه ، (٥٩٧)

أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (١٠٧).

وقد وردت أحاديث كثيرة في غير الصحيحين، فيها هذا المعنى بهذا السياق: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ).

(٥٩٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٩)، كتاب التوحيد بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الجَنَّةِ (٧٥١٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ إِحْلَالِ الرِّضْوَانِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا (٢٨٢٩).

(٥٩٦) إسناده جيد

أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١١٦)، (١٢١٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٠٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧٢٦٦)، وابن بطة في الإبانة (٤١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٠)، وابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ١٧٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٤٦٤).

كلهم من طريق: عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، عن نيار بن مكرم الأسلمي، به.

فإسناده يحسن لأن فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، وإن كان الكلام في ضعفه هو الراجح، إلا أن روايته عن أبيه تحسن، لا سيما وقد قال البيهقي وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ (الأسماء والصفات ١/٥٨٥).

(٥٩٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب حديث (٤١٤١)، كتاب التفسير، بَابُ {لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ، بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} إِلَى قَوْلِهِ: {الكَاذِبُونَ} (٤٧٥٠)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ

وروى الإمام أحمد في الزهد وابنه عبد الله في السنة وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف والحاكم في المستدرك عن فروة بن نوفل الأشجعي قال (كنت جاراً لخباب فخرجنا يوماً من المسجد وهو آخذ بيدي فقال : " يا هناه ، تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه يعني القرآن " وهو أثر صحيح ، (٥٩٨)

فأنت ترى توافر هذه الأدلة من الكتاب والسنة والأثر على إثباتها ، وأما الإجماع فقد أجمع أهل السنة قاطبة على إثبات هذه الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، ولا تزال الكتب العقدية التي ألفها أهل السنة مليئة بتدوين هذه العقيدة ، ونقل الإجماع على إثباتها ، بل ودل العقل الصريح على إثباتها أيضاً وبيان ذلك أن يقال : إن الكلام من حيث هو صفة كمال لأن نقيضها نقص وهو البكم والخرس ، وهذه الصفة أعني البكم والخرس لو اتصف بها المخلوق الضعيف العاجز كانت نقصاً بيناً فكيف يصلح إثباتها لمن له الكمال المطلق سبحانه ؟ وقد تقرر عند أهل السنة أن كل كمال في المخلوق لا يقص فيه فالله أحق أن يوصف به لأنه واهب الكمال ومعطيه ، ومعطي الكمال أولى بالكمال ، فلما كان يلزم من نفى الكلام عنه وصفه بالنقص الذي هو منزه عنه وجب إثباتها على ما يليق بجلاله وعظمته ولذلك فإن من الأدلة المثبتة لبطلان إلهية الأصنام والأحجار وسلب الكلام عنها كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام{قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} [الأنبياء: ٦٣] وقال تعالى عنه{مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ} [الصافات: ٩٢] فلو

يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ} (٧٥٠٠)، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الماهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ الكِرَامِ البَرَرَةِ» (٧٥٤٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب بَابٌ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ (٢٧٧٠).

(٥٩٨) صحيح

أخرجه أحمد في الزهد (١٩٢)، (١١٢٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٠٩٨)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١١١)، والدارمي في الرد على الجهمية (٣١٠)، والآجري في الشريعة (١٥٧)، والحاكم في المستدرك (٣٦٥٢)، وابن بطة في الإبانة (١٩)، (٢٠)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٥٥٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٣)، (٥١٤)، وفي شعب الإيمان (١٨٦٣).

كلهم من طريق: منصور ، عن هلال بن يساف ، عن فروة بن نوفل، عن خبابٍ، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال مسلم.

كان الله تعالى لا يوصف بأنه متكلم لرد هؤلاء الكفرة على هذه الحجج على بطلان تعبدهم لتلك الآلهة بأنها لا تتكلم بأن ربك الذي تأمرنا بعبادته أيضا لا يتكلم ، بل وقد دل الدليل الفطري أيضاً على إثباتها لله تعالى ، وهو أن الفطر السليمة التي لم تتلوث بعفن علم الكلام المذموم ولا بقواعده المخالفة للمعقول والمناقضة للمنقول فإن هذه الفطر تعتقد أحقية الله تعالى بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص ، وصفة الكلام من الكمال فوجب إثباته لله تعالى ، وهذا ما نعتقده بقلوبنا وننطقه بألسنتنا ولله الحمد والمنة ونسأله جل وعلا أن يثبتنا عليه إلى يوم لقاه ليجزينا به الجزاء الأوفى ، وأما قول أهل السنة بأن كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد ، فإنهم يعنون بذلك أن أصل صفة الكلام من جملة الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى لا أزلا ولا أبدا، وأما باعتبار أفراد الكلام وآحاد الكلام فإنه صفة فعلية ، فإن قيل لك :ـ هل الكلام صفة ذاتية أو فعلية ، فقل :ـ هو من صفات الذات باعتبار أصله ، ومن صفات الفعل باعتبار أفراده وآحاده ، والله ربنا أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

والله ينزل دون كيف يا فتى نحو السماء إذا مضى الثلثان

فيقول هل من سائل فأجيبه هل من منيب طالب الغفران

أقول :ـ الكلام على هذه الأبيات في مسائل :ـ

(المسألة الأولى) يؤمن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل نزولا يليق بجلاله وعظمته ، ليس كنزول المخلوقين ، بل هو نزول خاص به سبحانه ، فليس كمثله شيء في نزوله ، كما أنه ليس كمثله في ذاته جل وعلا .

(المسألة الثانية) وهذه الصفة قد ثبتت بالسنة المتواترة والإجماع ، فأما من السنة ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال : «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا ، حين يبقَى ثُلُثُ الليلِ الآخِرُ ، فيقول : من يَدعُوني

فأَستجيبَ له ؟ مَن يَسْأَلُني فأُعْطِيَهُ ؟ مَن يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ ؟»(٥٩٩) أخرجه البخاري ، ومسلم .

وفي رواية لمسلم : «إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يُمهِلُ حتى إِذَا ذَهَبَ ثُلُث الليل الأَوَّلِ، نَزَلَ إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل مِنْ مُستَغْفِرٍ ؟ هل مِن تائِبٍ ؟ هل من دَاعٍ ؟ حتى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ»(٦٠٠).

وفي أخرى : «إِذَا مَضى شَطْرُ ، أو ثُلُثَاهُ ، يَنْزِلُ اللهُ تَبارَكَ وتعالى إلى السماءِ الدنيا ، فيقولُ : هل من سائِلٍ فَيُعْطَى ؟ هل من دَاعٍ فَيُستَجَابَ لَه ؟ هل من مُستَغفِرٍ فَيُغْفَرَ لَهُ ؟ حتى يَنفَجِرَ الصُّبْحُ»(٦٠١).

وفي أخرى له قال : «يَنْزِلُ الله تعالى إلى السماءِ الدُّنيا كُلَّ لَيلةٍ حين يَمضي ثُلُثُ الليلِ الأولُ ، فيقول : أَنَا الملكُ ، أنا الملكُ ، مَنْ ذَا الذي يدعوني ... الحديث» إلى آخره، وقال : «حتى يُضيءَ الفَجْرُ».(٦٠٢)

وفي أخرى له نحوه ، وفي آخره : «ثم يقولُ : مَنْ يُقْرِضُ غير عَدِيم ولا ظَلُومٍ»(٦٠٣).

وفي أخرى نحوه ، وفيه : «ثم يَبْسُطُ يَدَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى ، ويقول : مَنْ يُقْرِضُ ... وذكر الحديث»(٦٠٤)

---

(٥٩٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وكتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٦٣٢١)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

(٦٠٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

(٦٠١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

(٦٠٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

(٦٠٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

وقلنا بأنه متواتر لأنه قد رواه عن النبي ﷺ ثمانية وعشرون صحابي ، وهذا يعني أن النبي ﷺ قال هذا القول (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) غير مرة ،

وهو عليه الصلاة والسلام أفصح الناس وابلغهم وانصحهم، وقد بلغ ما انزل إليه أتم البلاغ، وبينه أحسن البيان وأوضحه، وهو أحسن خلق الله تنزيها لله وتعظيما له، فقال في اكثر من مرة (ينزل ربنا) و إثباته ﷺ لربه هذه الصفة لا يتنافى مع تنزيهه له سبحانه، وليس أحد بأعلم بالله من رسول الله ﷺ ، وقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى على إثبات هذه الصفة ، قال أبو العباس عن حديث النزول (وَقَدْ رَوَاهُ أَهْلُ الصِّحَاحِ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ ، وَأَحَادِيثُ النُّزُولِ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهَا أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ نَفْسًا مِنْ الصَّحَابَةِ بِمَحْضَرِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ وَالْمُسْتَمِعُ لَهَا مِنْهُمْ يُصَدِّقُ الْمُحَدِّثَ بِهَا وَيُقِرُّهُ ، وَلَمْ يُنْكِرْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَرَوَاهُ أَئِمَّةُ التَّابِعِينَ وَعَامَّةُ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ مِنْ الْأَئِمَّةِ ، رَوَوْا ذَلِكَ وَأَوْدَعُوهُ كُتُبَهُمْ وَأَنْكَرُوا عَلَى مَنْ أَنْكَرَهُ) (٦٠٥)

ونحن نؤمن بأن معنى النزول معلوم في لغة العرب ، ولكننا نكل العلم بكيفيته إلى الله تعالى ، لأن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الذات ، ونحن لا نعلم كيف هو الله تعالى في ذاته ، فإذا كنا نجهل كيفية ذاته ، فمن باب أولى أن نجهل كيفية صفاته ، فلا يعلم كيف يزل الله تعالى إلا الله تعالى ، ولذلك قال الناظم (والله ينزل دون كيف) أي لا يجوز لأحد أن يتخيل كيفية نزول الله تعالى ، ولا حق لأحد أن يعارض ما صحت به الأدلة لمجرد أن عقله العاجز الضعيف لم يتحمل إثباتها ، فهذا دليل على عجز عقلك وضعفه ، ولا طريق للسلامة في هذا الباب إلا إن اعتمدنا قاعدة عدم إقحام العقل في مسائل الغيب ، وأن الغيب موقوف على النص ، ونحن نثبت صفة النزول إثبات وجود لا إثبات تكييف ، فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآراءنا ولا متوهمين بأهوائنا ، وقد عارض بعضهم إثباتها بأن ثلث الليل لا يرتفع عن الأرض فيلزم منه أن يكون الله تعالى نازلا فيكل حين ،

---

(٦٠٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

(٦٠٥) أنظر الفتاوى الكبرى (٦/ ٦١٣).

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ومن هنا يظهر عما ذكره ابن حزم وغيره في حديث النزول حيث قال النبي صلى الله عليه و سلم "ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر"(٦٠٦) فقالوا:ـ قد ثبت أن الليل يختلف بالنسبة إلى الناس فيكون أوله ونصفه وثلثه بالمشرق قبل أوله ونصفه وثلثه بالمغرب قالوا فلو كان النزول هو النزول المعروف للزم أن ينزل في جميع أجزاء الليل إذ لا يزال في الأرض ليل قالوا أو لا يزال نازلا وصاعدا وهو جمع بين الضدين ، وهذا إنما قالوه لتخيلهم من نزوله ما يتخيلونه من نزول أحدهم وهذا عين التمثيل ثم إنهم بعد ذلك جعلوه كالواحد العاجز منهم الذي لا يمكنه أن يجمع من الأفعال ما يعجز غيره عن جمعه وقد جاءت الأحاديث بأنه يحاسب خلقه يوم القيامة كل منهم يراه مخليا به ويناجيه لا يرى أنه متخليا لغيره ولا مخاطب لغيره وقد قال النبي صلى الله عليه و سلم إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى علي عبدي فكل من الناس يناجيه والله تعالى يقول لكل منهم ذلك ولا يشغله شأن عن شأن وذلك كما قيل لابن عباس كيف يحاسب الله تعالى الخلق في ساعة واحدة فقال كما يرزقهم في ساعة واحدة ، ومن مثل مفعولاته التي خلقها بمفعولات غيره فقد وقع في تمثيل المجوس القدرية فكيف بمن مثل أفعاله بنفسه أو صفاته بفعل غيره وصفته ، يقال لهؤلاء أنتم تعلمون أن الشمس جسم واحد وهي متحركة حركة واحدة متناسبة لا تختلف ثم إنه بهذه الحركة الواحدة تكون طالعة على قوم وغاربة عن آخرين وقريبة من قوم وبعيدة من آخرين فيكون عند قوم عنها ليل وعند قوم نهار وعند قوم شتاء وعند قوم صيف وعند قوم حر وعند قوم برد فإذا كانت حركة واحدة يكون عنها ليل ونهار في وقت واحد لطائفتين وشتاء وصيف في وقت واحد لطائفتين فكيف يمتنع على خالق كل شيء الواحد القهار أن يكون نزوله إلى عباده ونداه إياهم في ثلث ليلهم وإن كان مختلفا بالنسبة إليهم وهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن ولا

---

(٦٠٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وكتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٦٣٢١)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

يحتاج أن ينزل عن هؤلاء ثم ينزل على هؤلاء بل في الوقت الواحد الذي يكون ثلثا عند هؤلاء وفجرا عند هؤلاء يكون نزوله إلى سماء هؤلاء الدنيا وصعوده عن سماء هؤلاء الدنيا فسبحان الله الواحد القهار سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على الأمر سلين والحمد لله رب العالمين

ويقال لهؤلاء كما قيل للرازي وأمثاله هل حكم الحس والخيال والعقل الذي به تعلم الجسمانيات مقبول في الربوبية أم مردود فإن كان مقبولا بطل قوله كله حيث أثبت حيا عالما قادرا لا يتحرك ولا يسكن ولا يقرب ولا يبعد ولا يفعل بنفسه فعلا وزعمت مع ذلك أنه غير عاجز ولا مقيد ولا ممنوع وإن كان مردودا بطل ما ضربته من الأمثال في رد حقيقة ما أخبر به عنه الصادق المصدوق الذي هو أعلم به منك ومن أمثالك) (٦٠٧)

قال الآجري رحمه الله تعالى في كتاب الشريعة (باب الإيمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ... قال محمد بن الحسين رحمه الله : الإيمان بهذا واجب ، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول : كيف ينزل ؟ ولا يردد هذا إلا المعتزلة .وأما أهل الحق فيقولون : الإيمان به واجب بلا كيف ، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ : أن الله عز وجل ، ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد وكما قبل العلماء منهم ذلك ، كذلك قبلوا منهم هذه السنن ، وقالوا : من ردها فهو ضال خبيث ، يحذرونه ويحذرون منه) (٦٠٨)

وقال الحفظ ابن عبدالبر رحمه الله تعالى (قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: (وأما قوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث: "ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى

---

(٦٠٧) أنظر بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩).

(٦٠٨) أنظر الآجري في الشريعة (٣/ ١١٢٦).

سماء الدنيا"(٦٠٩) فقد أكثر الناس في التنازع فيه، والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويصدقون بهذا الحديث، ولا يكيفون، والقول في كيفية النزول، كالقول في كيفية الاستواء والمجيء، والحجة في ذلك واحدة، وقد قال قوم من أهل الأثر أيضاً: إنه ينزل أمره وتنزل رحمته، وروى ذلك عن حبيب كاتب مالك. وغيره. وأنكره منهم آخرون، وقالوا: هذا ليس بشيء، لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبداً في الليل والنهار، وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمراً قال له: كن فيكون في أي وقت شاء) اهـ ، (٦١٠)

وقال الصابوني رحمه الله تعالى عقيدة أهل الحديث (سمعت الأستاذ أبا منصور ، على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول: سئل أبو حنيفة عنه فقال : ينزل بلا كيف وقال بعضهم : ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف ، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق، بالتخلي والتملي، لأنه - ﷻ - منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق ، كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات المخلوقين، فمجيئه وإتيانه ، ونزوله ، على حسب ما يليق بصفاته ، من غير تشبيه وكيف) (٦١١)

وقال ابن خزيمة رحمه الله تعالى (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ

---

(٦٠٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وكتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٦٣٢١)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

(٦١٠) لم أقف على كلامه، بعد البحث.

(٦١١) آنظر عقيدة السلف أصحاب الحديث (١/ ١٦).

النبي لم يصف لنا كيفية النزول ، وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح إن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا أنه ينزل إليه إذ محال في لغة العرب أن يقول نزل من أسفل إلى أعلا ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلا إلى أسفل)(٦١٢)

وكلام السلف رحمهم الله تعالى في ذلك لا يكاد يحصر .

(المسألة الثالثة) إن قيل :ــ هل صفة نزول الرب جل وعلا من صفات الذات أم الفعل ؟ فأقول :ــ بل هي من جملة صفات الفعل ، وذلك بإجماع أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، لأنها متعلقة بالمشيئة ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) إن قيل :ــ ماذا قال أهل البدعة في هذه الصفة ؟ مع بيان الجواب على ذلك ؟ فأقول :ــ إن المبتدعة أبعدهم الله تعالى قد أبت نفوسهم قبول وصف الله تعالى بهذه الصفة ورأوا بأفهامهم الفاسدة وعقولهم الكاسدة أن إثبات ذلك لله تعالى يوجب اتصافه بالنقص ففروا من إثباتها إلى تحريفها وتعطيلها فقالوا : إن إضافة النزول إلى الله تعالى إضافة مجازية لا حقيقة وإنما الذي ينزل أمره أو رحمته أو ملك من الملائكة ، وأما الله تعالى فإنه منزه عن النزول ، وهذا هو شأنهم في سائر الصفات التي لا تتوافق مع مذاهبهم وعقولهم ، فقال أهل السنة جوابنا على ما قلتموه من عدة أجوبة :ــ

الأول : أن فهمكم هذا مخالف لما فهمه السلف وأجمعوا عليه فهو باطل لأنه مخالف للحق وما خالف الحق فهو باطل .

الثاني : أنه صرف للفظ عن دلالته الظاهرة إلى شيء آخر بلا دليل أو قرينة صارفة وقد تقرر أن الأصل هو البقاء على الأصل والظاهر حتى يرد الناقل .

الثالث : أنكم جعلتم في الكلام شيئاً محذوفاً والأصل عدم الحذف ، وعدم التقدير، ومخالف الأصل عليه الدليل .

---

(٦١٢) آنظر التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٨٩).

الرابع : أن أمر الله ورحمته نازلة بالليل والنهار فلم قيدتم نزولهما في هذا الوقت فقط ؟ إن هي إلا أهواء أتبعتموها أنتم وأسلافكم ما نزل الله بها من سلطان .

الخامس : هل يتصور بالله عليكم أن يقول الأمر والرحمة والملك ، من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفر فأغفر له ، فهل يمكن أن يصدر هذا الكلام من أحدٍ إلا الله عز وجل ، فهو الذي يعطي السائلين ويجيب الداعين ويغفر للمستغفرين فالقوم أصلاً لم يفكروا بعقولهم في عواقب تحريفهم هذا وإنما همهم كيف الفرار من إثبات هذه الصفة فقط فوقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ذلك والله أعلم .

(المسالة الخامسة) إن قيل :ـ هل يصح إطلاق القول بأنه ينزل بذاته ؟ فأقول :ـ فيه خلاف بين أهل العلم ، والمهم أولا أن نؤمن بأن من صفات الله تعالى أنه ينزل إلى السماء الدنيا كما يليق بجلاله وعظمته ، وفعل النزول مضاف إلى الله تعالى ، وهو من جملة أفعاله التي يفعلها باختياره ومشيئته جل وعلا ، فالذي ينزل هو نفسه سبحانه ، فليس هذا النزول نزول غيره كما قاله أهل البدع ، من أنه نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته ، والواجب صيانة هذه الصفة وغيرها عن التمثيل والتعطيل والتحريف والتكييف والإلحاد ، فالذي ينزل هو الله تعالى ، لأن صفة النزول في الأحاديث قد أضيفت إلى الله تعالى وهي مما لا يقوم بذاته ، وقد تقرر في قواعد أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن الله تعالى إذا أضاف إلى نفسه الكريمة أمرا لا يقوم بذاته فإن هذا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، فالنزول المضاف إلى الله تعالى هو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، فحيث كان الأمر كذلك فلا داعي أن نقول إنه ينزل بذاته ، لأن المعروف عند أهل السنة هو أن الفعل إن أضيف إلى فاعله فإنه يكون هو الذي يقوم به بنفسه ، ولذلك فإنه لما كان زيادة (بذاته) لا داعي لها ، لأن المعنى معروف عند أهل اللسان بدونها ، ولأنه لفظ لم يرد بخصوصه في الأدلة ، فرأى بعض أهل السنة أن الأسلم هو الاقتصار على ما ورد به النص ، ولكن لما خاض أهل البدع في هذه الصفة وفسروها بأنه نزول الأمر أو الرحمة أو الملك ، وكثر الكلام في هذا ، احتاج بعض أهل السنة رحمهم الله تعالى أن يبينوا أن النزول لا يراد به ما يقوله أهل البدع ، بل لا يراد به إلا نزول الله تعالى بذاته ، فزادوا هذه الكلمة من باب

التوضيح والبيان والرد على أهل البدع ، كما زادوا في عقيدتهم في القرآن قولهم (منزل غير مخلوق) لما كثر خوض أهل البدع في القول بخلق القرآن ، فلم يكتف أهل السنة رحمهم الله تعالى بما كانوا يكتفون به في العهد الأول ، من قولهم (القرآن كلام الله) فلما كانت العقيدة صافية كانوا يكتفون بقولهم :ـ القرآن كلام الله ، ولكن لما خاض أهل البدع في هذه المسألة ، وخيف على العامة من الانزلاق وراء هذه الشبه زادوا قولهم (منزل غير مخلوق) وعلى هذا فأقول :ـ الأصل عدم إطلاق كلمة (بذاته) ما دام الأمر ظاهرا ، ولكن إن احتيج إلى زيادتها لكثرة التحريف والتعطيل والكلام بالباطل في هذه الصفة فلا حرج في ذلك إن شاء الله تعالى ، فتكون زيادتها من باب العلاج عند نزول الداء ، وإلا فالأصل عدم زيادتها ، والاقتصار على أن نقول :ـ ينزل ربنا في ثلث الليل الآخر نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته ، من غير تحريف ولا تعطيل،ومن غير تكييف ولا تمثيل ، لأن الله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] ،

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى (وقد أجمع على ذلك الصحابة رضي الله عنهم ، على أن المراد ينزل ربنا بذاته ، والدليل على إجماعهم : أنه لم يأت عنهم حرف واحد يقولون : إن المراد ينزل شيء آخر غير الله ، وهم يقرؤون هذا الحديث ، فإذا قرأت ولم يرد عنهم أنهم قالوا إن المراد ينزل رحمة من رحمته أو ملك من ملائكته ، عُلم أنهم اثبتوا نزوله بذاته ، لكن لا حاجة إلى أن يقولوا : (بذاته) لم يظهر في زمنهم محرِّفة ، قالوا : إن الأمر اد ينزل أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته ، حتى يحتاجوا إلى القول (ينزل بذاته) لكن لما حدث هؤلاء المحرفون احتاج أئمة المسلمين إلى أن يقولوا : (ينزل بذاته)، ولكل داء دواء يناسبه ، إذن ينزل ربنا عز وجل نزولاً حقيقياً) (٦١٣)

والخلاصة أن الأصل عدم إطلاقها إلا عند الحاجة لها من باب الرد على أهل البدع ، والله أعلم .

(المسألة السادسة) هل يصح لنا أن نقول :ـ إنه يخلو منه العرش وقت التنزل ؟ الحق في هذه المسألة هو السكوت عنها ، فنقول بما ورد به الدليل ونسكت عما

(٦١٣) أنظر مؤلفات العثيمين العقيدة السفارينية (١/ ٢٥٧).

سكت عنه الدليل ، وإن حديث النزول قد سمعه الصحابة وأئمة السلف الذين هم أكبر منا علوما وأعمق منا فهما وأحرص منا على العلم والهدى ، فلو كان استكشاف هذا الأمر مما يتعلق بالتعبد ومما له نفع في دين العبد لكان الصحابة ـ والله العظيم ـ أحرص منا على ذلك ، لكنهم ما نقل عنهم رضي الله تعالى عنهم في ذلك حرف واحد ، ومضى عصر الصحابة من غير سؤال عن هذا الأمر ، هل يخلو منه العرش أو لا يخلو ، ثم جاء بعدهم التابعون ، وساروا على ما سار عليه سلفهم الأوائل ، ولكن لما كثر الخوض في صفات الله تعالى ، وقل الورع ، وضعف ميزان العلم في القلوب كثر الكلام في مثل تلك الأمور التي لم يأت النص لا بإثباتها ولا بنفيها ، وتجازوا ما اقتصرت النصوص عليه ، وما وردت به ، فنتج من ذلك مثل هذه الكلمات التي ليس في الأدلة ما يثبتها ولا ما ينفيها ، وبناء عليه فأقول :ـ لا يجوز الخوض في هذه المسألة ، ونحن إنما قيدناها لبيان الحق فيها ، والواجب علينا فقط أن نؤمن بما ورد به النص ، فنقول :ـ الله تعالى فوق خلقه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته ، ونقول مع ذلك :ـ نؤمن بأنه جل وعلا ينزل إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله وعظمته ، فنؤمن بالأمرين جميعا ، مع العلم الكامل بأن صفات الله تعالى من علوه واستوائه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا لا تماثل صفات المخلوقات ، وأنه جل وعلا القادر على كل شيء ، وأكبر من كل شيء ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهذا هو الواجب علينا ، فلماذا ندخل في إشكالات وخيالات لم نؤمر بها ، فضلا عن أنها ستكون سببا في إنكار ما وردت به الأدلة ، لماذا نقحم عقولنا في متاهات لا نرجع منها بالسلامة في العاجل ولا في الآجل ، وقد قدمنا لك أن طريق السلامة في باب الصفات أن لا نأخذها إلا من الكتاب والسنة ، وأن نفهم النصوص الواردة فيها على مقتضى فهم أهل السنة ، وأن لا نقحم عقولنا في باب الغيبيات ، والله يا إخواني لن نستفيد من طرق هذه الأسئلة الغريبة على عقيدة الأمة إلا التيه والخسارة والإشكالات التي لا جواب عنها ، فالله الله أيها الأحبة بالابتعاد عنها والحذر والتحذير منها ، وأن نقتصر على ما ورد به النص ، وأن نفهم النص كما فهمه أهل السنة ، وأن نحجم عقولنا عن الخوض فيما هو من أمور الغيب ، فلا ندخل في أمور الغيب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، وإنما نبني الأمر

على قدم التسليم والإيمان وأن نقول كما قال ربنا{آمنا به كل من عند ربنا} ، والخلاصة أن الواجب علينا الإيمان بما ورد به النص من إثبات النزول وإثبات أنه فوق العرش ، ولا تتعارض تلك الصفتان في حق من وسع كرسيه السموات والأرض ، لا يمكن أبدا أن يتعارض نزله واستواؤه على عرشه وهو الذي يطوي السماء يوم القيامة فيأخذها بيمينه ، ويطوي الأرض فيأخذها بيده الأخرى ، كيف تتعارض تلك الصفتان في حق من يضع السموات يوم القيامة على إصبع ، والأرضين على إصبع والجبال على أصبع ، والماء والثرى على إصبع ، ثم يهزهن فيقول :ـ أنا الملك ، كيف تتعارض تلك الصفتان في حق من قال {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧] (٦١٤) فالله ينزل إلى السماء الدنيا وهو مستو على عرشه ،

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى (والقول الثالث ـ وهو الصواب المأثور عن سلف الأمة وأئمتها ـ : إنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه . وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض، بحيث يبقى السقف فوقهم،بل الله منزه عن ذلك) (٦١٥)

ولكن ومع ذلك فالواجب السكوت عن هذه الأسئلة التي لا طائل من ورائها ولا ثمرة تجنى من البحث فيها ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له :ـ

ونرى الإله حقيقة يوم القيـــــــــــــامة مرتين ورؤية بعيان

---

(٦١٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}(٤٨١١)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (٧٤١٤)، (٧٤١٥)، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ} (٧٤٥١)، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ (٧٥١٣)، ومسلم في صحيحه كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٢٧٨٦).

(٦١٥) آنظر مجموع الفتاوى (٥/ ٤١٥).

فنراه يوم الحشر في عرصاته   ونراه بعد دخولنا بجنان

أقول :ـ الكلام على هذه الأبيات في مسائل :ـ

(المسألة الأولى) اعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى قد قسموا رؤية الله تعالى يوم القيامة إلى قسمين :ـ الأول :ـ الرؤية بعد دخول الجنة ، الثانية :ـ رؤية الله تعالى في العرصات قبل دخول الجنة ، فأما الرؤية الأولى فقد أجمع على إثباتها أهل السنة والجماعة بالأدلة المتواترة من الكتاب والسنة ، وقد أفردها بعض أهل السنة بمؤلف خاص ، وقد دل عليها الكتاب والسنة والإجماع ، قال الله تبارك وتعالى{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس: ٢٦] وقد ورد تفسير هذه الزيادة عن النبي ﷺ بأنها رؤية الله تعالى ،

وذلك فيما رواه مسلم والترمذي وغيرهما من حديث صهيب الرومي - رضي الله عنه - : أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «إذا دخل أهلُ الجنّةِ الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدُكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيِّضْ وجوهَنا ؟ ألم تُدخلْنا الجنةَ وتنجِّنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجابَ ، فما أُعْطوا شيئا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم تبارك وتعالى». زاد في رواية : ثم تلا هذه الآية : {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس: ٢٦]،(٦١٦)

وقال النسائي في سننه :ـ أخبرنا أحمد بن سليمان نا عفان بن مسلم نا حماد بن سلمة أنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال قرأ رسول الله - ﷺ - هذه الآية : {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} قال " إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند ربكم موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيء أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم " (٦١٧)

---

(٦١٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١٨١).

(٦١٧) صحيح

أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٧١٨)، (١١١٧٠)،

قال الحفظ ابن رجب رحمه الله تعالى في الجامع (وقد ثبت في " صحيح مسلم " عنِ النَّبيِّ - ﷺ - تفسيرُ الزِّيادةِ بالنَّظرِ إلى وجهِ الله - عز وجل - في الجنة ، وهذا مناسبٌ لجعلِه جزاءً لأهلِ الإحسّانِ ؛ لأنَّ الإحسانَ هو أنْ يَعبُدَ المؤمنُ ربّه في الدُّنيا على وجهِ الحُضورِ والأمراقبةِ ، كأنّه يراهُ بقلبِهِ وينظرُ إليه في حال عبادتِهِ ، فكانَ جزاءُ ذلك النَّظرَ إلى الله عياناً في الآخرة. وعكس هذا ما أخبرَ الله تعالى به عَنْ جَزاءِ الكُفَّار في الآخرةِ : {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين: ١٥]، وجعلَ ذلك جزاءً لحالهم في الدُّنيا ، وهو تراكُم الرَّانِ على قُلوبِهم ، حتّى حُجِبَتْ عن معرفتِهِ ومُراقبته في الدُّنيا ، فكان جزاؤُهم على ذلك أنْ حُجِبوا عن رُؤيته في الآخرة). (٦١٨)

ومن الأدلة على رؤيته جل وعلا في الجنة قوله تعالى {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة: ٢٢، ٢٣]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الصواعق (فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محله وعداه بحرف إلى التي إذا اتصل بها فعل النظر كان من نظر العين ليس إلا ووصف الوجوه بالنضرة التي لا تحصل إلا مع حضور ما يتنعم به)(٦١٩)

ولذلك قلنا في المنظومة (ونرى الإله حقيقة) والأمر اد بالحقيقة هنا أي أن هذه الرؤية هي رؤية العين حقيقة على الكيفية التي يريدها الله تعالى .

ومن الأدلة عليها :ـ قوله تعالى عن الكفار{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين: ١٥]، فلما خص أهل الكفر بالاحتجاب عنهم فلا طريق لهم إلى رؤيته ، علمنا أن أهل الإيمان ليسوا بمحجوبين عنها ، إذ لو كان أهل الإيمان محجوبون كالكفار لما كان لتخصيص الكفار بالحجب فائدة ، وهذا واضح في إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة .

من طريق: عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح.

(٦١٨) آنظر جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٦).

(٦١٩) آنظر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ١٩٤).

ومن الأدلة :ـ عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - :قال : كُنَّا عند رسولِ الله -ﷺ- ، فنظرَ إلى القمر ليلةَ البدر ، وقال : إنكم سترَونَ ربكم عيانا ، كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا ، ثم قرأ : {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} [ق: ٣٩] متفق عليه .(٦٢٠)

وهو نص في إثبات الرؤية ، وبقد قرر أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن التشبيه هنا ليس من باب تشبيه الأمر ئي بالأمر ئي ، معاذ الله ، ولكنه من باب التشبيه وضوح الرؤية بوضوح الرؤية .

ومنها :ـ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - :أن ناسا سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- : قالوا : «يا رسولَ الله ، هل نرى ربَّنا يومَ القيامة ؟ قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- : هل تضَارُّونَ في القمر ليلةَ البدر؟ قالوا : لا يا رسولَ الله ، قال : هل تضارُّونَ في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا قال رسول الله : فإنَّكم ترونه كذلك» وهو في الصحيح .(٦٢١)

ومنها :ـ وعن صهيب الرومي - رضي الله عنه - : أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدُكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيِّضْ وجوهَنا ؟ ألم تُدخلْنا الجنةَ وتنجِّنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجابَ ، فما أُعْطوا شيئا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم تبارك وتعالى». زاد في رواية : ثم تلا هذه الآية : {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس: ٢٦] أخرجه مسلم . (٦٢٢)

---

(٦٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة بَابُ فَضْلِ صَلاَةِ العَصْرِ (٥٥٤)، بَابُ فَضْلِ صَلاَةِ الفَجْرِ (٥٧٣)، كتاب التفسير بَابُ قَوْلِهِ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ}(٤٨٥١)، كتاب التوحيد بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٣٤)، (٧٤٣٥) ،(٧٤٣٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا (٦٣٣).

(٦٢١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، كتاب الرقاق، باب بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ (٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٢)، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

(٦٢٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١٨١).

ومنها :ـ ما رواه مسلم عَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ » .(٦٢٣)

ومنها :ـ ما رواه مسلم في الصحيح قال :ـ وحدثني سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حدثني حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدري أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « نَعَمْ ». قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا " (٦٢٤)

ومنها :ـ عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز و جل يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه قال " يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر مخليا به " قلت بلى قال " فالله أعظم " قلت يا رسول الله فكيف يحيى الله الموتى وما آيته في خلقه قال " أبا رزين أما مررت بوادي أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا ثم مررت به محلا ثم مررت به يهتز خضرا" قال قلت بلى قال " فكذلك يحيى الله تبارك وتعالى الموتى وذلك آيته في خلقه " ... ورواته ثقات .(٦٢٥)

---

(٦٢٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير بَابُ قَوْلِهِ: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} (٤٨٧٨)، بَابُ {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ} (٤٨٧٩)، كتاب التوحيد بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٤٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١٨٠).

(٦٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٣)،

(٦٢٥) ضعيف

أخرجه أخرجه أحمد في مسنده (١٦١٨٦)، (١٦١٩٢)، (١٦١٩٨)، وابن ماجه في سننه (١٨٠)، وأبو داود في سننه (٨٣٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٥٩)، والطيالسي في مسنده (١١٩٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٤٨)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٣٩)، والأجري في الشريعة (٦٠٥)، والدارقطني في الرؤية (١٨٦)، وابن بطة في الإبانة (١١)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٨٣٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠٧٠).

ومنها :ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :ـ قَالَ : قَالَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم : أَتَانِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بِالْجُمُعَةِ وَهِيَ كَالمرآةِ الْبَيْضَاءِ فِيهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ الْجُمُعَةُ قَالَ : قُلْتُ : وَمَا الْجُمُعَةُ ؟ قَالَ : لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، قَالَ : قُلْتُ : وَمَا لَنَا فِيهَا : قَالَ : تَكُونُ عِيدًا لَكَ وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى تَبَعًا لَكَ قَالَ : قُلْتُ : وَمَا لَنَا فِيهَا ؟ قَالَ : لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله فِيهَا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هَوَ لَهُ قَسَمٌ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، أَوْ لَيْسَ لَهُ بِقَسَمٍ إِلاَّ ادَّخَرَ لَهُ عِنْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ : أَوْ يَتَعَوَّذُ بِهِ مِنْ شَرٍّ هُوَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِلاَّ صُرِفَ عَنْهُ مِنَ الْبَلاَءِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ قَالَ : قُلْتُ : وَمَا هَذِهِ النُّكْتَةُ فِيهَا ، قَالَ : هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ عِنْدَنَا سَيِّدُ الأَيَّامِ وَنَحْنُ نَدْعُوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ الْمَزِيدِ ، قَالَ : قُلْتُ : لِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لأَنَّ رَبَّكَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ هَبَطَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْجَوْهَرِ ، ثُمَّ جِيء بِالنَّبِيِّينَ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا ثُمَّ تُحَفُّ الْمَنَابِرُ بِكَرَاسِيَّ مِنْ نُورٍ ، ثُمَّ يَجِيءُ بِالشُّهَدَاءِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا ، وَيَنْزِلُ أَهْلُ الْغُرَفِ فَيَجْلِسُونَ عَلَى ذَلِكَ الْكَثِيبِ ، ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ثُمَّ يَقُولُ : سَلُونِي أُعْطِكُمْ فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا ، فَيَقُولُ : رِضَائِي أَحِلُّكُمْ دَارِي وَأُنالُكُمْ كَرَامَتِي فَسَلُونِي أُعْطِكُمْ ، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا ، فَيُشْهِدُهُمْ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمَ قَالَ : فَيُفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ قَالَ : وَذَالِكُمْ مِقْدَارُ انْصِرَافِكُمْ مِنَ الْجُمُعَةِ ، قَالَ : ثُمَّ يَرْتَفِعُ وَيَرْتَفِعُ مَعَهُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ ، قَالَ : وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ وَهِيَ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ لَيْسَ فِيهَا قَصْمٌ ، وَلاَ فَصْمٌ ، أَوْ دُرَّةٌ حَمْرَاءُ ، أَوْ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ فِيهَا غُرَفُهَا وَأبوابُهَا مُطَّرِدَةٌ ، رفيعًا أَنْهَارُهَا ، وَثِمَارُهَا مُتَدَلِّيَةٌ ، قَالَ :

كلهم من طريق: يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن أبي رزين العقيلي، به.

ففي إسناده وكيع بن عدس، أو حدس، وهو مجهول، وقد تفرد به عن أبي رزين العقيلي، ولم يتابعه أحد ، وكذا لم يروه عنه إلا يعلى ابن عطاء، وإن كان قد وثق من بعض أهل العلم إلا أن له مفاريد لا يتابع عليها، فقد قال ابن المديني: له أحاديث لم يروها غيره ، و رجال لم يرو عنهم غيره ، منهم و كيع بن عدس ، و أهل الحجاز لا يعرفونه ، و إنما روى عنه قوم بواسط.(تهذيب التهذيب ١١/ ٤٠٤).

فَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ بِأَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا إِلَى رَبِّهِمْ نَظَرًا وَيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً .... وهو حديث صحيح . (٦٢٦)

ومنها :ـ ما فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ اِبْنِ مَاجَهْ مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " بَيْنَا أَهْل الْجَنَّة فِي نَعِيمهمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُور فَرَفَعُوا رُءُوسهمْ فَإِذَا الرَّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقهمْ ، فَقَالَ السَّلَام عَلَيْكُمْ يَا أَهْل الْجَنَّة . قَالَ وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ } [يس: ٥٨] فَيَنْظُر إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْء مِنْ النَّعِيم

---

(٦٢٦) ضعيف من كل طرقه

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٥١٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٦١)، والدارمي في الرد على الجهمية (١٤٥)، والأجري في الشريعة (٦١٢)، والدارقطني في الرؤية (٥٩- ٦٣)، وابن بطة في الإبانة (٢٤)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٩٢).

كلهم من طريق: عثمان بن عمير، عن أنس ﷺ، به.

فإسناده ضعيف لقوة الضعف في عثمان بن عمير بن أبي حميد، فقد ضعفه فكلمة أهل العلم كتفقة على ضعفه

وأخرجه أبو نعيم في الفتن (١٨٢٠)، وأبو يعلى ف مسنده (٤٠٨٩)،

كلاهما من طريق: يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، به.

وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبان الرقاشي، وأهل العلم يضعفون حديثه.

وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٤٤)، (١٨٦)، والدارقطني في الرؤية (٦٥)،

كلاهما من طريق: مُحَمَّد بن شعيب، عن عمر، مولى غفرة، عن أنس بن مالك،

فالإسناده ضعيف، لضعف عمر بن عبد الله، فهو ضعيف جدًا وكثير الإرسال،

وقد روي من عدة طرقٍ غير هذه لكن لا تسلم من مقال، إما لضعف راوٍ، أو إرسال، أو غير ذلك من العلل، لكن هل يحسن بمجموع هذه الطرق، أو لا؟

إلا أن النفس تميل إلى ضعفه لأسباب:

منها: أين أصحاب أنس المعروفين بالرواية عن أنس من هذا الحديث؟

ثانيًا: عدم وجوده في المصادر العاليه فهو مظنة علة،

ثالثًا: قد جاء مختصرًا، ومطولًا، وفيه زيادات، ليست في الأحاديث الثابتة،

رابعًا: تفرد الضعفاء بروايته عن أنس بن مالك،

مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِب عَنْهُمْ وَيَبْقَى نُوره وَبَرَكَته عَلَيْهِمْ فِي دِيَارهمْ " (٦٢٧)

والأدلة من السنة كما ذكرت لك قد بلغت مبلغ التواتر ، وقد انعقد إجماع أهل العلم من أهل السنة والجماعة على الإيمان بهذه الرؤية ، فرؤية الله تعالى في الجنة حق يجب الإيمان بها والتسليم للأدلة الواردة في إثباتها ، ومن أنكرها فإنه حري بأن يحرم منها يوم القيامة جزاء وفاقا ، وقد قررها أهل العلم في كتبهم العقدية ، وانعقد عليها إجماع أصحاب النبي ﷺ ، وإجماع التابعين من بعدهم ، وإجماع الأئمة من أهل السنة والجماعة ، حتى صار الإيمان بها من جملة المعلوم من الدين بالضرورة ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (المسلمون في رؤية الله على ثلاثة أقوال فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عياناً) (٦٢٨)

وقال رحمه الله تعالى (ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله يرى في الآخرة، وأنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه) (٦٢٩)

وقال رحمه الله تعالى (فهذا قول جماهير أهل الإيمان بالرسل وسلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أن الله يرى في الآخرة عيانا كما يرى الشمس والقمر) (٦٣٠)

---

(٦٢٧) ضعيف جدًا

أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٤)، والآجري في الشريعة (٦١٥)، وابن المقرئ في معجمه (٢٤٢)، والدارقطني في الرؤية (٥١)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٨٣٦)، والبيهقي في البعث (٤٤٨)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٧٤).

كلهم من طريق: عبد الله بن عبيد الله العباداني، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، عن مُحَمَّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، به.

ففي إسناده: أبو عاصم عبد الله بن عبيد الله العباداني، وهو ضعيفٌ لين الحديث، وشيخه: الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي منكر الحديث،

وقد أورده العقيلي في ترجمة أبي عاصم عبد الله بن عبيد الله العباداني، وقال: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به.

(٦٢٨) آنظر مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ١٤٨).

(٦٢٩) آنظر الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٣٠).

وقال رحمه الله تعالى (وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقد ذكر الإمام أحمد وغيره من الأئمة العالمين أقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار ومتفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه ولم يتنازعوا في ذلك) (٦٣١)

واعلم رحمك الله تعالى أن الحق هو تكفير من أنكر وجحد هذه الرؤية ، فمن قال :ـ إن المؤمنين لا يرون ربهم بعد دخول الجنة فهو كافر إن كان عالما بالأدلة ، وأما إن كان جاهلا فإنه لا بد من تعريفه بالأدلة أولا ، فإن عرفها وأصر كفر ، وهو قول جمهور سلف الأمة ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر فان كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عرف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الإسلام فان أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر)(٦٣٢)

(المسألة الثانية) وأما الرؤية الثانية ، فهي الرؤية في عرصات يوم القيامة ، وقد أجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى على أنها ثابتة في حق أهل الإيمان ، فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة في العرصات ، أي قبل دخول الجنة ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (والذي يجب على كل مسلم اعتقاده :هو أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة، في عرصة القيامة) (٦٣٣)

ومع هذا الإجماع من أهل السنة على إثبات هذه الرؤية ، فقد ثبتت في السنة الصحيحة ،

وذلك فيما رواه مسلم في الصحيح قال :ـ حدثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِى عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ الليثي أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ

---

(٦٣٠) آنظر درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٣٢).

(٦٣١) آنظر دقائق التفسير (٢/ ١٢٥)، منهاج السنة النبوية (٢/ ٣١٦).

(٦٣٢) آنظر مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦).

(٦٣٣) آنظر مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٥).

نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ». قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.قَالَ « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ التي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ التي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظهري جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وأمتي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِى جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ ». قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِىَ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أي رَبِّ اصْرِفْ وجهي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِى رِيحُهَا وأحرقني ذَكَاؤُهَا فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِى رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ أي رَبِّ قدمني إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لاَ تسألني غَيْرَ الذي أَعْطَيْتُكَ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ أي رَبِّ وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ.فَيَقُولُ

لاَ وَعِزَّتِكَ. فَيُعْطِى رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ أي رَبِّ أدخلني الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ أي رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ تَمَنَّهْ. فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأماني قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ ». قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ وَأَبُو سَعِيدٍ الخدري مَعَ أَبِى هُرَيْرَةَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا. حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا حَفِظْتُ إِلاَّ قَوْلَهُ ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَشْهَدُ أَنِّى حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَوْلَهُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ. (٦٣٤)

قلت :ــ ووجه الشاهد منه قوله ﷺ " وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ " وهو ظاهر الدلالة على إثبات هذه الرؤية .

ومن الأدلة عليها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :ــ إِنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « نَعَمْ ». قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ

---

(٦٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، كتاب الرقاق، باب بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ (٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٢)، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

تَعْبُدُ. فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ قَالُوا عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ مَاذَا تَبْغُونَ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. - قَالَ - فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا.قَالَ فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا. .. الحديث بطوله ، (٦٣٥)

وهذا هو موضع الشاهد منه ، وهو ظاهر الدلالة على أن أهل الإيمان يرون ربهم في عرصات يوم القيامة ، فإن قيل لك :ــ ما الدليل على رؤية الله تعالى يوم القيامة في العرصات ؟ فقل :ــ دليلنا عليها السنة الصحيحة وإجماع أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم . فهذه رؤيتان ، قد آمن بهما أهل السنة والجماعة ، رؤية الله تعالى بعد دخول الجنة ، ورؤية الله تعالى في عرصات يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

---

(٦٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٣)،

(المسألة الثالثة) إذا علمت هذا فاعلم بارك الله تعالى فيك ووفقك لكل خير وزادك توفيقا وعلوا ورفعة في الدنيا والآخرة ، أن الرؤية في الجنة من خصائص أهل الإيمان ، فلا يشاركهم في هذه الرؤية أحد من الناس ، فالكفار والمنافقون لا حظ لهم في هذه الرؤية ، لأنها وقف على أهل الجنة خاصة ، والجنة لا يدخلها إلا أهل الإيمان ، فالجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وقد أجمع أهل السنة وتواترت الأدلة على أن هذه الرؤية خاصة بأهل الإيمان ، فلا كلام لأحد فيها ، وأما الرؤية الثانية ، وأعني بها الرؤية في العرصات فهل هي أيضا خاصة بأهل الإيمان فقط ، أو يشاركهم فيها غيرهم من أهل الموقف في العرصات ؟ هذه المسألة فيها موضع اتفاق ، وموضع خلاف ، فاتفق أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى على أن المؤمنين يرون ربهم في العرصات ، كما أسلفت النقل عن أبي العباس رحمه الله تعالى ، فالمؤمنون لا خلاف في أنهم يرونه جل وعلا في العرصات ، ولكن بقي الخلاف في طائفتين :ـ في أهل النفاق وأهل الكفر ، لأن الناس يوم القيامة ثلاثة أقسام :ـ أهل إيمان ظاهرا وباطنا ، وأهل كفر ظاهرا وباطنا ، وأهل إيمان في الظاهر فقط لا في الباطن ، وهم المنافقون ، فهل الرؤية في العرصات من خصائص أهل الإيمان كالرؤية بعد دخول الجنة ، أم أنها عامة لكل أهل الموقف ، أم ماذا ؟ هذه المسألة فيها خلاف بين أهل السنة ، وهذه المسألة في حد ذاتها ليست من المسائل الكبار التي يوجب الخلاف فيها الخروج من دائرة أهل السنة ، إلا في حق من أنكرها مطلقا ، فمن أنكر الرؤية في العرصات أصلا فقال :ـ لا يراه أحد أصلا ، فهو من أهل البدع ولا جرم في ذلك ، ولكن من آمن بأصل الرؤية في العرصات ،وآمن أن المؤمنين يرون ربهم في العرصات ، ولكن زاد عليهم أهل النفاق ، أو زاد عليهم أهل الكفر فلا حرج في هذا الخلاف ، فليس هو من الخلاف بالكبير الذي يبدع صاحبه أو يفسق ، أو يتهم بالسوء ، وليست تلك المسألة من المسائل التي يوالى ويعادى عليها ، ولا يحل أن تكون سببا للفرقة واختلاف القلوب ، لأن الخلاف فيها ثابت عن أهل السنة ، وقد نبه على هذا الأمر أبو العباس رحمه الله تعالى في رسالته إلى أهل البحرين ، كما في الفتاوى ، والمهم أن أهل العلم رحمهم الله تعالى قد اختلفوا في هذه المسألة على ثلاثة أقوال ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (والأقوال الثلاثة في رؤية الكفار :ـ

أحدها:ـ أن الكفار لا يرون ربهم بحال ، لا المظهر للكفر ولا المسر له ، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم .

الثاني :ـ أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب ، وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك ، وهذا قول أبى بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة ، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه سبحانه وتعالى لهم في الموقف الحديث المشهور .

الثالث :ـ أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب ، كاللص إذا رأى السلطان ، ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم ، وهذا قول أبى الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل وأبى سهل بن عبدالله التستري) (٦٣٦)

قلت :ـ فصارت الأقوال في المسألة ثلاثة :ـ فقيل يراه أهل الموقف كلهم ، مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم ، وقيل :ـ بل لا يراه إلا المؤمنون والمنافقون فقط ، وقيل :ـ بل لا يراه إلا المؤمنون فقط ، ولكل أدلته ، ولا نحب الإطالة في هذه المسألة ،كما جرت عادتنا في كل كتبنا ، وإنما المهم عندنا أن نذكر القول الراجح بدليله ، وبعد النظر في الأدلة وجدت أن هذه المسألة من أمور الغيب ،والتي لا مدخل للعقول فيها ، وإنما مآل إثباتها النص ، فما أثبته النص منها أثبتناه ،وما نفاه نفيناه ، وبناء على ذلك ، فالأصل أن الكفار محجوبون عن رؤية ربهم ، كما قال تعالى{كلا إنهم عن ربهم عن يومئذ لمحجوبون} وهذا حجب عام مطلق ، فالكفار لا حظ لهم في الرؤية في العرصات ، وبقي عندنا المؤمنون والمنافقون ، فالراجح أنهم يرونه في العرصات ، ولكنه جل وعلا يحتجب عن المنافقين ولا يراه بعد ذلك إلا أهل الإيمان باطنا وظاهرا ، وهذا القول هو القول الوسط في هذه المسألة ، وهو الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة الصريحة ، فالكفار لا يرونه في العرصات مطلقا ، والمؤمنون والمنافقون يرونه فيها ، ولكن يحتجب عن المنافقين وتبقى الرؤية في العرصات مستمرة لأهل الإيمان ، وهذا هو عين العدل ، فالمؤمنون لا يحتجب

(٦٣٦) آنظر رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم (١/ ٢).

عنهم في العرصات لأنهم آمنوا به باطنا وظاهرا ، وأما أهل النفاق الاعتقادي فإنهم رأوه في أول الأمر لأنهم آمنوا به أول الأمر ولكنهم أضمروا في قلوبهم النفاق والكفر ، فرأوه لإيمانهم في الظاهر واحتجب عنهم لكفرهم في الباطن ، وأما الكفار باطنا وظاهرا فإنهم لا يستحقون رؤيته أصلا ، لا في أول الأمر ولا في آخره ، لأنهم لم يؤمنوا به أصلا ،

وعلى ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه :ـ " حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ التي رَأَوْهُ فِيهَا.قَالَ فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ التي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا. .." (٦٣٧)

وقد ذكرناه سابقا . فقوله " حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر " قوله " من بر " أي أهل الإيمان باطنا وظاهرا ، وقوله " وفاجر " أي أهل النفاق ، كما بينه آخر الحديث ، فأثبت أن المؤمنين والمنافقين من هذه الأمة يرونه في العرصات ، ثم يسجد له أهل الإيمان باطنا وظاهرا ، ولا يستطيع أهل النفاق السجود ، فالمنافقون كانوا يسجدون له في الدنيا اتقاء ورياء ، كما هو مصرح به في هذا الحديث ، فلا يستطيعون السجود له في العرصات إذا كشف لهم عن ساقه ، وهذا صريح فيما رجحناه من أن الذي يراه في العرصات إنما هو المؤمنون والمنافقون فقط ،

ومن الأدلة عليه أيضا حديث أبي هريرة الطويل والذي ذكرته سابقا ، والشاهد منه هو قول النبي ﷺ " وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في

---

(٦٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٣)،

صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ التي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ التي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ " فقوله "وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها " (٦٣٨)

دليل على أنهم يرونه يوم القيامة في العرصات ، أعني المنافقين ، والمسألة غيبية ، فلا نثبت منها إلا ما أثبته النص ، فالراجح في هذه المسألة إن شاء الله تعالى هو ما قاله ابن خزيمة وغيره من أهل السنة من أن الرؤية في العرصات تكون لأهل الإيمان والنفاق من هذه الأمة ، والمسألة محتملة كما قلت ، والخلاف فيها ثابت عن أهل السنة ، والمهم فيها عدة أمور :ـ الأول :ـ أنه يجب عليك أن تؤمن الإيمان الجازم أن المؤمنين يرون ربهم بعد دخول الجنة ، وهي رؤية خاصة بأهل الجنة ، الثاني :ـ أن تؤمن الإيمان الجازم بأن المؤمنين يرون ربهم في العرصات ، فهاتان المسألتان لا خلاف بين أهل السنة والجماعة فيهما ، الثالث :ـ أن الخلاف بين أهل السنة في رؤية الكفار والمنافقين في العرصات ليست من كبار المسائل التي تكون سببا للتلاعن والعداوة والولاء والبراء ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،وهو أعلى وأعلم .

(المسألة الرابعة) إشكال وجوابه ، وهو أننا قد أثبتنا أن المؤمنين يرون ربهم في العرصات ، ولكنهم بعد ذلك إذا رأوه في الجنة يأتيهم من النعيم والسرور والفرح والحبور أمر عظيم ، بل رؤية الله تعالى في الجنة أعلى نعيم الجنة على الإطلاق ، والعادة قد جرت أن من رأيته مرة ثانية لا يقوم في قلبك ما يقوم في رؤيتك له أول مرة ، ففرح أهل الجنة والحبور والسرور واللذة والنعيم الذي يأتيهم بسبب رؤية الله تعالى في الجنة كأنه يدل على أنهم ما رأوه قبل ذلك ، لأنهم لو كانوا رأوه قبل ذلك لأصابهم في رؤيته أول مرة ما أصابهم في رويته ثاني مرة ، فإنه لو حدثت مثلا عن عالم كبير تسمع كلامه ولا تعرف صورته ، ثم رأيته أول مرة ، وعرفت صورته ، ثم رأيته مرة ثانية ، فهل سيقوم في قلبك المعاني التي قامت بقلبك في

---

(٦٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، كتاب الرقاق، باب بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ (٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٢)، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

رؤيته أول مرة ؟ الجواب :ـ لا ، فالرؤية الثانية أخف من الرؤية الأولى ، وأهل الإيمان قد رأوا ربهم في العرصات ، ثم يرونه بعد دخول الجنة ، لكن ما يصيبهم من النعيم واللذة والحبور في رؤيته الأمر ة الثانية أعظم ، بل لا يقاس بما يصيبهم برؤيته أول مرة ، فكيف الحال في هذا ؟ أقول :ـ لا إشكال ولله الحمد والمنة في شيء من ذلك ، فالأدلة وردت بالرؤيتين جميعا ، ونحن نؤمن بهما جميعا ، ولا ننكر ما وردت به الأدلة وصحت به النصوص ، ولا نعرض الأمر على عقولنا ، ولا نسمح لأنفسنا أصلا أن تورد أي إشكال على النصوص الثابتة الصحيحة ، وإن انقدح في أذهاننا ما يوجب الإشكال فمباشرة ولله الحمد نتهم ضعفنا وعجز عقولنا ، وقصورنا في الفهم والعلم والبحث ، وهذه المسألة واضحة عندنا وضوح الشمس ، والجواب عن الإشكال الوارد من عدة وجوه :ـ

الأول :ـ إن الله تعالى قد أراد من كل رؤية أمرا ، فأراد من رؤية العرصات مجرد التعريف فقط ، وأراد جل وعلا من الرؤية الثانية كمال النعيم واللذة والحبور وكمال السرور ، فنحقق من كلا الرؤيتين ما أراده الله تعالى ،

ولذلك ورد في حديث أبي هريرة (٦٣٩) وأبي سعيد(٦٤٠) رضي الله عنهما قول النبي صلى الله تعالى وسلم " فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون " فهو دليل على أن رؤية العرصات رؤية تعريفية .

الثاني :ـ أن الله تعالى إنما أراد من رؤية العرصات مطلق الأمن ومطلق النعيم ، وأراد من رؤيتهم له في الجنة النعيم المطلق والأمن المطلق واللذة المطلقة ، فالمقصود بالرؤيتين مختلف .

الثالث :ـ أن الرؤية في العرصات كما قررنا ليست خاصة بأهل الإيمان فقط ، بل يراه أهل الإيمان والمنافقون ، وأما الرؤية في الجنة فإنها رؤية خاصة بأهل

---

(٦٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، كتاب الرقاق، باب بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ (٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٢)، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

(٦٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٣)،

الإيمان ، ولا جرم أن العادة قد جرت أن ما يناله العبد في الرؤية الخاصة ، أعظم مما يناله في الرؤية العامة .

الرابع :ـ أن الرؤية في العرصات تكون في حال حلول الأهوال والخوف الشديد بالناس ، فالقلوب منزعجة والعقول مضطربة بسبب شدة الأهوال في العرصات ، وأما الرؤية في الجنة فإنها تكون في حال الأمن الكامل فالقلوب آمنة والعقول مطمئنة ، والناس في النعيم والحبور واللذة ، ومن المعلوم أن العين والقلب في حال الخوف والهول لا ترى الأمر على ما هو عليه ، ألا ترى أن الناس يوم القيامة يحشرون حفارة عراة غرلا ، الرجال والنساء جميعا ، فلا يكون هو الواحد منهم أن يرى سوأة غيره ، وذلك بسبب شدة الخوف وعظم الأهوال ،

ولذلك لما قالت عائشة :ـ يا رسول الله ، الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى عورة بعض ؟ فقال :ـ يا عائشة ، الأمر أعظم من ذلك ، (٦٤١)

فرؤية الله تعالى في العرصات تكون حال الهول والخوف الكبير ، وأما في الجنة فالحال مختلفة ، فلما اختلفت الحال اختلف الأثر ، وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى ، والمهم أن الدليل أثبت الرؤيتين جميعا ، والحال كما وردت به الأدلة ، ولا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، ولكن فيما لو أشكل على أحد الجمع بين الرؤيتين ، فيقال له ما قلناه في هذه المسألة ، والله ربنا أعلى وأعلم .

(المسألة الخامسة) ماذا قال أهل البدع في الرؤية ، وهل أثبتوها ، وبماذا استدلوا ، وكيف الجواب عما قالوه ؟ والجواب أن يقال :ـ أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم لم يؤمنوا بالرؤية ، لا برؤية العرصات ولا برؤية الله تعالى بعد خول الجنة ، وحرفوا الأدلة الواردة في الرؤية بأنها مجرد رؤية الثواب ، فهم مجمعون على تحريف الأدلة وإخراجها عن مدلولاتها الصحيحة ، ولهم في ذلك عدة أدلة ، فقالوا :ـ قال تعالى في محكم كتابه {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] فهذا نفي للإدراك الذي هو الرؤية ، كذا قالوا ، فيفهم أهل البدع

(٦٤١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر؟ (٦٥٢٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، باب بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢٨٥٩).

من هذه الآية أنها نفي للرؤية ، فقال أهل السنة : إن المنفي في هذه الآية ليس الرؤية وإنما هو الإدراك ، ومن المعلوم أن الإدراك أمر يعقب الرؤية فهي تفيد أنه يرى ولكنه لا يدرك رؤية كما أنه يعلم ولكن لا يحاط به علماً ، فكل إدراك رؤية وليس كل رؤية إدراكاً ، أولا ترى إلى قوله تعالى {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشعراء: ٦١] فاثبت الرؤية ونفى الإدراك ، فالإدراك أمر زائد على الرؤية ، ففي الحقيقة أن هذه الآية دليل لنا لا لهم ، لأنه لما نفى الإدراك علمنا أن هناك رؤية إذ لو لم يكن هناك رؤية أصلاً لما نفى الإدراك ، وأضرب لك مثالاً : أنت ترى السماء لكن هل تدركها كلها ؟ الجواب لا ، فعندك رؤية بلا إدراك ، ومثال آخر : أنت ترى الأرض لكن هل تدركها كلها ؟ الجواب لا فعندك رؤية بلا إدراك ، فالله تعالى وله المثل الأعلى يرى ولكن لا يدرك وذلك لكمال كبره وعظمته وعزته جل وعلا ، فالمعتزلة فهموا أن معنى الإدراك هو الرؤية وهذا خطأ وضلال بل الإدراك هو الإحاطة ، فلا حجة لأحدٍ في مخالفة ما ثبت به النص ، ولأن فهمهم للآية هذا فهم مبني على مخالفة فهم سلف الأمة ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في العقيدة والعمل فإنه باطل ، والله أعلم .

واستدلوا على نفي الرؤية أيضا :ـ بقول الله تعالى لموسى لما سأله أن يراه ، فقال الله تعالى له{لَنْ تَرَانِي} [الأعراف: ١٤٣] ففهموا من النفي هنا أنه نفي يفيد التأبيد ، أي لن تراني لا في الدنيا ولا في الآخرة ، كذا قالوا ، ولبئس ما قالوا ، وأجاب أهل السنة رحمهم الله تعالى بعدة أجوبة :ـ

الأول : أن (لن) لا تفيد النفي المؤبد حتى وإن قرنت بلفظ الأبد ، بدليل قوله تعالى عن اليهود {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [البقرة: ٩٤، ٩٥] ومع ذلك فإنهم يتمنونه في الآخرة إذا دخلوا النار كما في قوله تعالى{وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف: ٧٧]وخلاصة هذا الوجه هو أن نفي الرؤية في ذلك الوقت لا يلزم منه انتفائه مطلقاً وإنما هذا شيء قاله بعض صناديد المعتزلة ولذلك قال ابن مالك :

(ومن يرى النفي بـ (لن) مؤبدا فقوله أردد وسواه فاعضدا)

الثاني : أن الله تعالى قال {لَنْ تَرَانِي} [الأعراف: ١٤٣] ولم يقل : إني لا أرى أولست بمرئي ، أو لا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر ، بل قال {لَنْ تَرَانِي} [الأعراف: ١٤٣] ففي ذلك دليل على أنه يرى ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر عن رؤيته .

الثالث : أن الله تعالى بين السبب في عدم رؤيته وهو عدم تحمل النفس ذلك بدليل أنه تعالى لما تجلى للجبل حصل للجبل ما حصل من الاندكاك فأعلمه الله تعالى بذلك أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف ؟ فهذا دليل على أن المانع ضعف القوى البشرية عن رؤيته ولذلك فإن هذه القوى تضاعف في الجنة حتى يتمكن أهلها من رؤيته كما ثبتت بذلك الأدلة .

الرابع : أنه لو كانت رؤيته تعالى محال لما كان كليم الله تعالى يتكلف السؤال عنها لأنه أعلم الناس بربه في زمانه فلا يتصور منه أن يسأل ما لا نجوز على الله تعالى فلما سألها موسى علم بذلك أنها مما يمكن ولكن ثمة مانع وهو الضعف البشري ، فلا يمكن أن يكون هؤلاء المتهوكون الحمقى أشد تنزيهاً وأعلم بالله من كليمه ورسوله الكريم .

الخامس : أنه تعالى تجلى للجبل ، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته ؟ لكن الله تعالى أعلم موسى بأن الرؤية الآن لا تمكن.

السادس : سلمنا جدلاً أن هذه الآية فيها شيء من النقاش فلا تعدو بذلك أن تكون من المتشابه وقد تقرر في الأصول أن المتشابه يرد إلى المحكم والأدلة المثبتة للرؤية من الكتاب والسنة كثيرة وتأيدت بالإجماع القطعي الذي يكفر من خالفه ، فإذا قدروا على الدخول على هذه الآية فهل بالله عليك يقدرون على كل الأدلة المثبتة للرؤية ؟ بالطبع لا إلا مع العناد والاستكبار ، وهذا التسليم جدلي ، وإلا فالآية من المحكم كما سبق في الأجوبة .

السابع :ـ أن فهم أهل البدع من هذه الآية النفي المؤبد ، هو في حقيقته فهم بني على خلاف فهم سلف الأمة وأئمتها ، فإن عامة الصحابة والتابعين من أئمة أهل السنة والجماعة يفهمون من هذا النفي أنه نفي للرؤية في الدنيا فقط ، لا أنه نفي للرؤية في الآخرة ، ففهم أهل البدع فهم مخالف لفهم سلف الأمة ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في العقيدة والعمل فإنه باطل ، والله تعالى أعلى وأعلم .

واستدلوا أيضا على نفي الرؤية بأن الشيء لا يرى إلا في جهة ، والجهة ممتنعة على الله تعالى ، وهذا كلام باطل ، وتهوس وخرق في الاستدلال ، ورد للأدلة الصحيحة الصريحة بمجرد الهوى والخيالات الباطلة وبالألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل ، وإبطال للمحكم بالمتشابه ، وهذا ليس هو طريق الراسخين في العلم والفهم ، بل هو طريق الذين في قلوبهم زيغ وهوى ،

والمهم أن أهل السنة رحمهم الله تعالى ردوا على أهل البدع في استدلالهم هذا بأن لفظ الجهة من الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل ، والتي لا ترد مطلقا ولا تقبل مطلقا بل هي موقوفة على الاستدلال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد ، فإن كانوا يريدون بها جهة سفل فإنه باطل ، لأن السفل نقص ، والله تعالى منزه عن النقص ، وإن كانوا يردون بها جهة علو محيطة بالله تعالى فهو باطل ، لأن الله تعالى لا يحيط به شيء ، وإن كانوا يريدون بها جهة علة غير محيطة بالله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، فهو حق ، فالله تعالى يرى في الآخرة ، وهو في جهة العلو جل وعلا على ما يليق به عز وجل ، والمهم أن لفظ الجهة من الألفاظ المحدثة التي لم ترد بخصوصها لا في كتاب الله تعالى في صحيح السنة ولا في كلام الصحابة ولا في كلام السلف رحمهم الله تعالى ، فهل بالله عليك يجوز أن ترد ما قضت به النصوص المتواترة من رؤيته جل وعلا في الآخرة من أجل مراعاة لفظ بدعي محدث ؟ هل هذا من العدل والإنصاف مع الأدلة ؟ لا والله ، ولكنه الهوى والتعصب والتربي على موائد حمقى أهل الكلام اليوناني ، من الذين لا دليل يقودهم للحق ولا عقل يزجرهم عن رد النصوص ، ونقول أيضا :ـ إنهم أهل البدع لم يتصوروا ولم يقم في عقولهم من النصوص المثبتة لرؤية الله

تعالى في الجنة إلا ما يفهمونه من رؤية المخلوق للمخلوق ، وهذا ضلال ، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء ، ولأن الأمر غيبي ، والمتقرر أن أمور الغيب مبناها على الدليل ، والدليل لم يتكلم عن كيفية الرؤية ، وإنما تكلم عن وقوعها وأنها من أعظم نعيم الجنة ، فلا يجوز أن يفهم من تلك النصوص الواردة فيها إلا ما فهمه أهل السنة منها ، حتى ولو سلمنا أن إثبات رؤيته في الآ[خة يلزم منها أنه في جهة ، فأين الدليل الدال على أن الجهة ممتنعة على الله تعالى ، وقد وصف نفسه جل وعلا بأنه في العلو ، وأشار له أعلم الخلق به ﷺ لما كان في خطبة عرفات ويقول :ــ ألا هل بلغت ؟ فيقولون :ــ نعم ، فيرفع سبابته وينكتها إليهم ويقول :ــ اللهم اشهد ،(٦٤٢)

وكذلك نحن نرفع أيدينا في الدعاء إلى الله تعالى ، والمصلي يشير بسبابته عند التشهد إشارة للتوحيد ، فجمع بين النطق بالشهادة ورفع أصبعه إلى جهة ، والأدلة في هذا المعنى كثيرة ، فليست الجهة بكل معانيها ممتنعة على الله تعالى كما يقول أهل البدع ، بل منها ما هو حق ، ومنها ما هو باطل ، فرؤية الله تعالى يوم القيامة في الجنة لا تتنافى مع وصفه بأنه في العلو المطلق ، لأنه جل وعلا ليس كمثله شيء في جميع نعوته ، وليس أهل الهواء والبدع بأعلم بالله من رسول الله ﷺ ولا بأعلم من صحابته الكرام ، ولا بأعلم من سلف الأمة وأئمتها ، ألا فتبا لأهل البدع وسحقا وبعدا .

ومما استدلوا به على نفي الرؤية أيضا :ــ نفيها لأن إثباتها يستلزم وصف الله تعالى بالجسم ، لأن الأشياء لا ترى إلا إذا كانت جسما ، والجسمية ممتنعة على الله تعالى ، وهذا الاستدلال من جنس الذي قبله ، فإنه رد لما ثبتت به الأدلة المتواترات من أجل مراعاة تلكم الترهات والسخافات والتفاهات التي هي إلى الهذيان وقلة الأدب أقرب منها إلى أن تكون أدلة عقلية يجب مراعاتها ، فإن لفظ

---

(٦٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم بَابٌ: لِيُبَلِّغِ العِلْمَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ (١٠٥)، كتاب الحج، بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى (١٧٤١)، كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٤٤٠٣)، (٤٤٠٦)، كتاب الحدود بَابٌ: ظَهْرُ المُؤْمِنِ حِمًى إِلَّا فِي حَدٍّ أَوْ حَقٍّ (٦٧٨٥)، كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٧٠٧٨)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}(٧٤٤٧)، ومسلم في صحيه في كتاب الإيمان، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ (١٦٧٩).

الجسم من الألفاظ البدعية التي لم يرد لها ما يدل عليها بخصوصها نفيا ولا إثباتا ، فأما لفظه فلا نثبته ولا ننفيه ، وأما معناه فنستفصل فيه فإن أريد به الحق قبلناه وإن أريد به الباطل رددناه ، فهل تقصدون بالجسم الذي تنفونه عن الله تعالى ما هو لكم من أجسامنا ؟ هل تقصدون بالجسم ما هو أجزاء وأبعاض في حقنا مفتقر بعضها إلى بعض ؟ إن كنتم تريدون هذا المعنى فهو حقيقة مذهب أهل التمثيل ، وهذا يرده قول الله تعالى{ليس كمثله شيء} [الشورى ١١]وقوله تعالى{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [الإخلاص: ٤] أم تريدون بالجسم تلك الذات الكاملة من كل وجه الموصوفة بنعوت الجمال والجلال والكمال المطلق من كل وجه ، فإن كنتم تريدون هذا المعنى بقولكم (الجسم) فهو حق وصدق يجب الإيمان به ،ولكن نحن نؤمن به ولا نطلق عليه لفظ الجسم ، بل نطلق عليه اسم الذات والصفات ، ومن قال لكم إن هذا المعنى ممتنع على الله تعالى ، حتى تنفوا من أجله الرؤية ، ولكن البلية التي وقعتم فيها هي أنكم أصلا لا تفهمون من ذات الله تعالى ولا من صفاته إلا ما تفهمونه من صفات المخلوقات المحدثات ، لأن اتفاق الأسماء عندكم يستلزم اتفاق الصفات ، وهذه هي بليتكم في الحقيقة ، وهي أنكم وقعتم في تمثيل صفات الله تعالى بصفات خلقه ، ثم أردتم أن تفروا من هذا المحذور الذي قام في عقولكم العفنة وأفرزته قواعدكم المنتنة ، فهجمتم على ما أثبتته الأدلة المتواترة لله تعالى من الأسماء والصفات نسفا وتحريفا وإنكارا وتعطيلا ، لأنكم أول الأمر فهمتموها على فهم مخالف لفهم سلف الأمة ، فأنمت مثلتم أولا ثم عطلتم ثانيا ، فالله تعالى يرى في الآخرة ، على الكيفية التي تليق به جل وعلا ، وليس قولكم بلزوم الجسمية بمانع لنا من إثباتها والإيمان بها ، لأن الجسمية لفظ أفرزته عقولكم وأملته عليكم شياطينكم فأوقعتم أنفسكم بسببه في متاهات لا مخرج لكم منها إلا بالرجوع إلى فهم السلف والنهل من معينهم الصافي الذي لا شوب فيه ولا كدر ، ولكن لن تفعلوا هذا ، بل أنتم رضيتم بتلك الترهات والسخافات التي تسمونها قواعد وأصول ، وجعلتموها حاكمة على النصوص ، وحرفتم من أجلها كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وتسمونها معقولات وأصول وقواعد وهي لا تساوي عندنا ضرطة عجوز جائع ، ولكنه الهوى والتعصب والضلال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والخلاصة أن جميع ما استدلوا به هو في الحقيقة لا دليل فيه ، فضلا عن كونه دليلا عليهم مع التحقيق لا لهم ، والحق الذي يجب الإيمان به ، والحق الذي ندين الله تعالى به ، والحق الذي ندعو عامة المسلمين له ، هو وجوب الإيمان بأن الله تعالى يرى في الآخرة ، يراه أهل الإيمان في الجنة ، رؤية حقيقية على الكيفية والصفة التي يريدها الله تعالى ، كما نطقت بذلك الأدلة النيرات ، والنصوص العاطرات المتواترات ، وأيدته فهوم أهل السنة المشرقة والخالية من عفن علم الكلام المذموم التافه ، والله يتولانا وإياك لما فيه الخير والرفعة والصلاح .

(المسألة السادسة) هل رؤية الله تعالى في الدنيا ممكنة ؟ أقول :ـ اعلم أرشدك الله تعالى أن الله تعالى لن يراه أح في الدنيا رؤية عيان في اليقظة ، هذا لا يمكن ، وأجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى أن أحدا لم ير الله تعالى رؤية بعين اليقظة ،

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ وهو يحذر من فتنة الدجال «إنَّه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كلّ من كَره عمله -أو يقرؤه كلُّ مؤمن -وقال: تعلَّموا أنَّه لَنْ يَرى أحدُ منكم ربَّه حتى يموتَ» (٦٤٣)

فقوله " لن يرى " هذا نفي ، وقوله " أحد " نكرة ، فهو نكرة في سياق النفي ، وقد تقرر في قواعد الأصول عند الأئمة الفحول أن النكرة في سياق النفي تعم ، فيدخل في ذلك كل أحد ، ولو كانت الرؤيا في الدنيا ممكنة لنال زمام شرفها موسى عليه الصلاة والسلام لما سأل الله تعالى أن يراه ، فقال تعالى عنه {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى (وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها ولم يتنازعوا إلا في رؤية النبي صلى الله عليه و سلم وحده) ، قلت :ـ وإنما اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في النبي ﷺ ، فهل رأى ربه ليلة أسري به أو

(٦٤٣) أخرجه مسلمٌ في صحيح في كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، باب ذكر ابن صياد (١٦٩).

لا ؟ على قولين ، والخلاف فيها قديم ، وليست تلك المسألة من المسائل التي يضلل فيها المخالف ، فانتبه لهذا ،

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(كما اختلف الصحابة رضي الله عنهم والناس بعدهم في رؤية النبي - ﷺ - ربه في الدنيا، وقالوا فيها كلمات غليظة؛ كقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمداً رأى ربه؛ فقد أعظم على الله الفرية. ومع هذا؛ فما أوجب هذا النزاع تهاجراً ولا تقاطعاً) (٦٤٤)

أقول :ـ فذهب بعض أهل العلم إلى أنه النبي ﷺ قد رأى ربه ليلة أسري به ، وقال جمع بأنه لم يره ، وقد حجبه عن رؤيته النور الذي هو حجابه جل وعلا ، كم قال النبي ﷺ " حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، (٦٤٥)

وهذا القول الأخير هو قول أكثر أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، والقول الصحيح في هذه المسألة إن شاء الله تعالى هو أنه لم يره بعيني رأسه يقظة ، وقد جمع أبو العباس رحمه الله تعالى بين كلام الصحابة وبعض الأئمة في هذه المسألة جمعا طيبا

فقال رحمه الله تعالى (وأما الرؤية: فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنّه قال: "رأى محمد ربه بفؤاده(٦٤٦) مرتين" وعائشة أنكرت الرؤية. (٦٤٧) فمن الناس

---

(٦٤٤) أنظر الفتاوى الكبرى (٦/ ٥٠٢).

(٦٤٥) أخرجه مسلم في صحيح في كتاب الإيمان بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ (١٧٩)

(٦٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى}، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (١٧٦).

(٦٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (٣٢٣٥)، كتاب تفسير القرآن باب قوله: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع

من جمع بينهما، فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد. والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة، ومقيدة بالفؤاد؛ تارة يقول: رأى محمد ربّه. وتارة يقول: رآه محمد. ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول رآه بفؤاده. ولم يقل أحدٌ إنه سمع أحمد يقول رآه بعينه. لكنّ طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق، ففهموا منه رؤية العين؛ كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس، ففهم منه رؤية العين. وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدلّ على ذلك. بل النصوص الصحيحة على نفيه أدلّ؛ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّك ؟ فقال: "نور أنى أراه) (٦٤٨) إهـ كلامه رحمه الله تعالى (٦٤٩)

بما قاله أبو العباس أقول ، وقال رحمه الله تعالى (وأما ليلة المعراج فليس في شيء من الأحاديث المعروفة أنه رآه ليلة المعراج لكن روي في ذلك حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث رواه الخلال من طريق أبي عبيد وذكره القاضي أبو يعلى في إبطال التأويل) (٦٥٠)

والخلاصة أن النبي صلى الله عليه لم ير ربه بعين اليقظة ليلة أسري به ، والله أعلم .

(المسألة السابعة) هل رؤية الله تعالى في المنام ممكنة ؟ أقول :ـ الحق في هذه المسألة هو أن الله تعالى يرى في المنام ، أي بعين القلب لا بعين الرأس يقظة ، فالرؤية المنامية ممكنة ، ولكن لا بد من فهم أمرين في هذه المسألة :ـ أحدهما :ـ هو أنه يجب أن يعلم الرائي أن ما رآه ليس هو حقيقة ما وصف الله تعالى به نفسه

الشمس وقبل الغروب} (٤٨٥٥)، ومسلم في صحيحه في كتب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى} ، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (١٧٧).

(٦٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام: «نور أنى أراه» ، وفي قوله: «رأيت نورا» (١٧٨).

(٦٤٩) أنظر الفتاوى الكبرى (٦/ ٥٠٩).

(٦٥٠) أنظر منهاج السنة (٥/ ٣٨٤).

، فإن كيفية صفات الله تعالى لا يعلمها إلا الله تعالى ، والرؤية المنامية تختلف عن رؤية اليقظة ، أي لا يلزم أن كل ما تراه في منامك يكون في بعينه صورته في اليقظة ، من قال هذا ؟ فإني لا أظن عاقلا يقوله ، بل القرآن أثبت أن يوسف رأى أباه وأمه وإخواته يسجدون له على صورة الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ، فهل أبوه يكون في الظاهر والحقيقة شمسا ، أو أمه هي بعينها في الظاهر هذا القمر أو إخوته هو بأعيانهم هذه الكواكب ؟ الجواب لا ، بل يوسف عليه الصلاة والسلام رأى السنين العجاف على صورة بقر عجاف ، ورأى سنين الخصب على هيئة البقر السمان ، فهل حقيقة السنة العجفاء في الخارج بقرة هزيلة ؟ الجواب لا ، وهل السنة الخصبة في الخارج والحقيقة على صورة البقرة ؟ والجواب ، لا ، ولكنها رؤية منامية ، والمتقرر عند عامة العقلاء أن الصورة المنامية قد تختلف في الحقيقة عن الصورة في الظاهر ، فالله تعالى قد يرى في المنام ، ولكن ليس على ما هو عليه في الحقيقة جل وعلا ، بل يرى الإنسان أن شيئا كبيرا جدا يخاطبه ، أو يرى نورا ساطعا نحو السماء أو يرى شيئا كبيرا على كرسي كبير ونحو ذلك فيستقر في قلبه أنه الله تعالى ، فنقول :ـ نعم ، رأيت الله ، ولكن لا بد وأن تؤمن أن ما رأيته ليس هو عين ذات الرب وصفاته على الحقيقة والواقع ، هذا أولا ، وأما ثانيا :ـ فلا بد من التنبيه على أن رؤية الله تعالى تختلف باختلاف قوة الإيمان به من ضعفه ، وصحة الإيمان من فساده ، وسلامة الاعتقاد فيه من عطبه ، وكمال الاستقامة على طاعته من عدمها ، فليست رؤية أهل الإيمان الكامل والعقيدة السليمة الصحيحة كرؤية أهل البدع والمخلطين في العقيدة ، وليست رؤية أهل الطاعة والتقرب والاستقامة كرؤية أهل المعصية ، فإن فهمت هذين الأمر ين فالحق في هذه المسألة هو أن رؤيته جل وعلا في المنام ممكنة ،

وعلى ذلك يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى (وإذا كان كذلك فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه فهذا حق في الرؤيا ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلا ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقا أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك وإلا كان بالعكس قال بعض المشايخ إذا رأى العبد ربه في صورة كانت تلك الصورة

حجابا بينه وبين الله وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم وما أظن عاقلا ينكر ذلك فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره وهذه مسألة معروفة وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم إنكار رؤية الله والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام ولكن لعلهم قالوا لا يجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة كسائر ما يرى في المنام فهذا مما يقوله المتجهمة وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى وإنما ذلك بحسب حال الرائي وصحة إيمانه وفساده واستقامة حاله وانحرافه وقول من يقول ما خطر بالبال أو دار في الخيال فالله بخلافه ونحو ذلك إذا حمل على مثل هذا كان محملا صحيحا فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها ، بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها فالله تعالى أجل وأعظم) (٦٥١)

وقال رحمه الله تعالى (ومما يشبه المثال العلمي رؤية الرب تعالى في المنام فإنه يرى في صور مختلفة يراه كل عبد على حسب إيمانه ولما كان النبي ﷺ أعظم إيمانا من غيره رآه في أحسن صورة وهي رؤية منام بالمدينة كما نطقت بذلك الأحاديث المأثورة عنه) (٦٥٢)

وقال رحمه الله تعالى (وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه فإذا كان إيمانه صحيحا لم يره إلا في صورة حسنة وإذا كان في

(٦٥١) آنظر بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٧٣، ٧٤).

(٦٥٢) آنظر منهاج السنة (٥/ ٣٨٤).

إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق) (٦٥٣)

وأما تشكيك بعض أهل العلم في ذلك ونفيه ، فإنه منتهى علمه ، والمتقرر أن عدم العلم ليس علما بالعدم ، والله تعالى أعلى وأعلم . ولعل هذه البحوث كافية في شرح هذه الأبيات ، وإن كنا قد استطردنا قليلا ، ولكنه استطراد لا يخلو إن شاء الله تعالى من الفوائد ، والله ربنا أعلى وأعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

وصفات ربك باعتبار ثبوتها ودوامها أقسامها نوعان

ذاتـــــية كالعلم أو فعلية وهي التي تنفك في الأحيان

أقول :ـ لقد تقدمت لنا قاعدة تقول :ـ صفات الله تعالى الثبوتية إما صفات ذاتية وإما صفات فعلية ، ولا أرى أن نعيد الكلام هنا ، قال العلماء :ـ (وأما الصفات الثبوتية : فيمكن تقسيمها إلى ذاتية وفعلية : فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها وهي نوعان : عقلية وخبرية .فالعقلية كالقدرة والعلم ، والخبرية - وهي التي لا تعرف إلاّ بالسمع - كالوجه واليدين ، وأما الصفات الفعلية ، فهي التي تتعلق بمشيئته واختياره ، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها (وقد تسمى الاختيارية ، أو الأفعال الاختيارية) ، وهي نوعان أيضاً :

عقلية وخبرية : فالأولى كالخلق والرزق ، والثانية كالمجيء والنزول والاستواء .وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام فإنه فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئته واختياره ، يتكلم متى شاء بما شاء كما قال سبحانه {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] إهـ كلامه .

---

(٦٥٣) آنظر الفتاوى الكبرى (٣/ ٣٩٠).

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى (ومعلوم أن الإجماع على تنزيه الله تعالى عن صفات النقص متناول لتنزيهه عن كل نقص من صفاته الفعليه وغير الفعليه وأنت وجميع الطوائف تقسمون الصفات إلى صفات ذاتية وصفات فعليه ومتفقون على تنزيهه عن النقص في هذا وفي هذا) (٦٥٤)

وقال أئمة الدعوة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (ويصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من الصفات الذاتية، كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد) والخلاصة :ـ أن صفات الله تعالى الثبوتية تنقسم إلى قسمين :ـ إلى صفات ذاتية ، وإلى صفات فعلية ، وفرقوا بينهما بقولهم : كل صفة ملازمة للذات لا تنفك عنها أزلاً وأبداً فهي صفة ذات ، وسموها صفة ذات لملازمتها للذات وعدم انفكاكها عنها وذلك كالحياة والعلم والقوة والسمع والبصر والقدرة والوجه واليدين والعين ونحو ذلك فكل هذه الصفات صفات ذات لأنها لا يتصور أصلاً انفكاكها عنه جل وعلا ، وأما الصفات الفعلية هي التي يفعلها متى شاء ، أي هي متعلقة بالمشيئة فمتى ما شاء فعلها ومتى ما شاء لم يفعلها فلأنها متعلقة بالمشيئة سميت فعلية ، لأن فعله جل وعلا راجع إلى مشيئته ، على ما يقتضيه علمه وحكمته ، وذلك كالغضب ، والفرح والرضا والنزول إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ، وكذلك صفة الاستواء فإنهما صفة فعلية ، ونحو ذلك فهذه الصفات كلها فعلية ، وقد يجتمع في صفة واحدة الأمران جميعاً فتكون ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار ، كصفة الكلام ، فإنها باعتبار أصلها صفة ذات أي لم يزل الله تعالى وصوفاً بالكلام على ما يليق بجلاله وعظمته ، وأما باعتبار آحاد الكلام فإنها صفة فعل ، ولذلك قال أهل السنة أعلا الله قدرهم في الدنيا ، ورفع درجاتهم في الجنة أن كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد ، فبالنظر إلى أصل الكلام فهو صفة ذات وبالنظر إلى آحاده فهو صفة فعل ، وهذا هو الفرق المشهور ـ أعني الفرق الذي ذكرته آنفاً بين صفات الذات وصفات الفعل

---

(٦٥٤) آنظر درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٨٩).

، وأعيد مختصراً فأقول : كل صفة ملازمة فهي صفة ذات ، وكل صفة تفعل بالمشيئة فهي صفة فعل والله أعلم .

وهناك فرق آخر وهو قولهم : كل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فهي صفة ذات ، وكل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها فصفة فعل ومبنى فهم هذا الفرق أن تعرف الصفة وتعرف نقيضها ، فإن كان نقيضها لا يتصف الله به فهي صفة ذات وإن كان يتصف الله به فهي صفة فعل وأضرب لك بعض الأمثلة فأقول :ـ

منها : صفة الحياة ، هل هي صفة ذات أم فعل ؟ أقول : أعرف أولاً نقيض الحياة فما هو ؟ بالطبع ستقول : الموت ، فهل يصح اتصاف الله بالموت ؟ بالطبع ستقول : لا، إذاً الحياة صفة ذات لأن نقيضها وهو الموت لا يجوز على الله تعالى وكل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فصفة ذات .

ومنها : العلم ، هل هو من صفات الذات أم الفعل ؟ أقول : لابد أولاً أن تعرف نقيض العلم ، فما هو نقيضه ، بالطبع ستقول : الجهل فأقول : فهل يصح أن يوصف الله بالجهل ؟ بالطبع ستقول لا ، فأقول : إذاً فالعلم صفة ذات لأن نقيضها الجهل وهو لا يجوز على تعالى ، وكل صفة لا يصح اتصاف الله تعالى بنقيضها فصفة ذات .

ومنها : العلو ، هل هو من صفات الذات أن الفعل ؟ أقول : لابد أولاً أن تعرف نقيض العلو ، فما هو نقيضه ؟ بالطبع ستقول : نقيضه السفل فأقول : وهل يصح أن يوصف الله بالسفل ؟ فستقول : لا ، فأقول : إذاً فالعلو صفة ذات لأن نقيضه السفل ولا يصح اتصاف الله به ، وكل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فصفة ذات .

ومنها : صفة السمع ، هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ أقول : لابد أولاً أن تعرف نقيض السمع ، فما نقيضه ؟ فستقول : نقيض السمع الصمم ، فأقول : وهل يصح أن يوصف الله بالصمم ؟ بالطبع ستقول : لا ، فأقول : فالسمع إذاً صفة ذات لأن نقيضه الصمم ولا يصح اتصاف الله به ، وكل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فصفة ذات .

ومنها : البصر ، هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ فأقول : لابد أولاً أن تعرف نقيض البصر ، فما هو نقيض البصر ؟ فستقول : نقيض البصر العمى ، فأقول : هل يصح وصف الله تعالى بالعمى ؟ بالطبع لا ، فأقول :فالبصر إذاً صفة ذات لأن الله تعالى لا يصح اتصافه بنقيضها وكل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فهي صفة ذات.

ومنها : الغضب ، هل هو من صفات الذات أم الفعل ؟ فأقول : لابد أن تعرف أولاً ما نقيض صفة الغضب ؟ فستقول : نقيضها الرضا فأقول : وهل يصح اتصاف الله بالرضا ؟ فستقول : نعم ، قال تعالى {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩] فأقول : فالغضب إذاً من صفات الفعل لأن نقيضها الرضا وهو من صفاته جل وعلا ، وكل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها فهي صفة فعل . وأقول : لو عكست الأمر وقلت : والرضا أيضاً من صفات الأفعال لأن الله يصح أن يتصف بنقيضها وهو الغضب .

ومنها : صفة النزول إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ، هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ أقول : لابد أولاً أن تعرف ما نقيضها ؟ فستقول : نقيضها عدم النزول ، والله تعالى ليس موصوفاً بالنزول أزلاً وأبداً بل في وقت دون وقت فحيث صح اتصاف الله تعالى بنقيضها فتكون صفة فعل لأن كل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها فهي من صفات الأفعال .

ومنها : صفة الانتقام ، هل هي من صفات الذات أم الفعل ؟ وكأني بك تقول : بل هي من صفات الفعل تخريجاً على هذه القاعدة وبناءً عليه يتحرر عندنا هذان الفرقان الصحيحان بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية ، وهما باختصار :.

الأول / أن صفات الذات هي الصفات الملازمة للذات التي لا تنفك عنها أزلاً وأبداً . وصفات الفعل هي التي تتعلق بالمشيئة .

الثاني / أن كل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها في صفة ذات وكل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها فهي صفة فعل . والله أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

أثبت علو الرب فوق الخلق لا   تصغي لقول التائه الحيران

أقول :ـ يؤمن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن الله تعالى موصوف بالعلو المطلق ، فالله تعالى له العلو المطلق في ذاته ، فذات الله تعالى في العلو المطلق ، وقد دل على هذه الصفة العظيمة الكبيرة الكتاب والسنة وكلام الصحابة وإجماع أهل السنة والعقل والفطرة والحس ، فأما دلالة الكتاب والسنة فمن عدة أوجه ، وهذه الأوجه مما أفادنا به ابن القيم رحمه الله تعالى ، وهذه الوجه كما يلي:ـ

منها :ـ التصريح بالفوقية مقرونة بأداة (من)المعينة لفوقية الذات نحو: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: ٥٠] ومنها:ـ التصريح بالعروج إليه نحو {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج: ٤] وقول النبي ﷺ: "فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم".

ومنها: التصريح بالصعود إليه كقوله {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: ١٠].

ومنها: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٨] وقوله {يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥]وقال تعالى{وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠]

ومنها :ـ التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرا وشرفا كقوله {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥]وهو {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } [سبأ: ٢٣]{ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١]

ومنها:ـ التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر: ١] {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ} [النحل: ١٠٢] وهذا يدل على شيئين: على أن القرآن ظهر منه لا من غيره وأنه الذي تكلم به لا غيره الثاني: على علوه على خلقه وأن كلامه نزل به الروح الأمين من عنده من أعلى مكان إلى رسوله.

ومنها:ـ التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض كقوله {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ} [الأعراف: ٢٠٦] وقوله {وَلَهُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} [الأنبياء: ١٩] ففرق بين من له عموما ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصا وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: "إنه عنده على العرش".

ومنها:ـ التصريح بأنه سبحانه في السماء وهذا عند أهل السنة على أحد وجهين إما أن تكون (في) بمعنى (على) وإما أن يراد بالسماء العلو لا يختلفون في ذلك ولا يجوز حمل النص على غيره.

ومنها:ـ التصريح بالاستواء مقرونا بأداة (على) مختصا بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات مصاحبا في الأكثر لأداة "ثم" الدالة على الترتيب والمهلة وهو بهذا السياق صريح في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العلو والارتفاع ولا يحتمل غيره البتة.

ومنها:ـ التصريح برفع الأيدي إلى الله سبحانه كقوله ﷺ: "إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا".(٦٥٥)

---

(٦٥٥) معلولٌ بالوقف

اختلف في رفعه ووقف،

أولًا: الموقوف

أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٧١٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٥٥٥)، (٣٤٦٧٧)، والحاكم في المستدرك (١٨٣٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠١٣).

من طريق: سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، به.

فسليمان التيمي ثقة ثبت روى له الجماعة، والسند إليه ثابتٌ صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين، كحميد، ويزيد بن هارون، ومعاذ بن معاذ، ويحي بن سعيد، في آخرين.

ثانيًا: الرفع

أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٧١٥)، والترمذي في سننه (٣٥٥٦)، وأبو داود في سننه (١٤٨٨)، وابن ماجه في سنه (٣٨٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٨٧٦)، والبزار في مسنده (٢٥١١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٥٥)، (١٠١٤)، وفي السنن الكبرى (٣١٤٦)،

من طريق: جعفر بن ميمون، عن أبي عثمان، عن سلمان، عن النبي ﷺ، به.

ففيه: جعفر بن ميمون وإن كان مخلفٌ في توثيقه وتجريحه، إلا أن الراجح فيه الضعف.

وكما في حديث أنس في استسقاء النبي ﷺ على المنبر.(٦٥٦)

ومنها:ـ التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا (٦٥٧) والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى أسفل.

ومنها:ـ الإشارة إليه حسا إلى العلو كما أشار إليه من هو أعلم به وما يجب له ويمتنع عليه من أفراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في أعظم مجمع على وجه الأرض يرفع أصبعه إلى السماء ويقول: اللهم اشهد(٦٥٨) ليشهد الجميع أن الرب الذي أرسله ودعا إليه واستشهده هو الذي فوق سماواته على عرشه.

ومنها:ـ التصريح بلفظ (الأين) الذي هو عند الجهمية بمنزلة متى في الاستحالة ولا فرق بين اللفظين عندهم البتة فالقائل: "أين الله" ومتى كان الله عندهم سواء

وقد روي مرفوعًا، وهو وهم أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٦١٣٠)، والحاكم في المستدرك (١٩٦٢)

من طريق: سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، به.

إلا أن في السند إلى سليمان التيمي مُحَمَّد بن الزبرقان، وهو وإن كان صدوقًا إلا أنه يخطئ، ويهم، وقد خالف الثقات الذين رووه على الوقف عن سليمان التيمي، وانفرد برفعه، وهو وهم منه.

(٦٥٦) أخرجه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي الخُطْبَةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ (٩٣٣)، بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي المَسْجِدِ الجَامِعِ (١٠١٣)، بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي خُطْبَةِ الجُمُعَةِ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِ القِبْلَةِ (١٠١٤)، بَابُ رَفْعِ الإِمَامِ يَدَهُ فِي الِاسْتِسْقَاءِ (١٠٣١)، بَابُ مَنْ تَمَطَّرَ فِي المطَرِ حَتَّى يَتَحَادَرَ عَلَى لِحْيَتِهِ (١٠٣٣)، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٥٦٥)، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٥٨٢)، كتاب الأدب، بَابُ التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ (٦٠٩٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة الاستسقاء بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ بِالدُّعَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ (٨٩٥).

(٦٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وكتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٦٣٢١)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله}(٧٤٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (٧٥٨).

(٦٥٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم بَابٌ: لِيُبَلِّغِ العِلْمَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ (١٠٥)، كتاب الحج، بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى (١٧٤١)، كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٤٤٠٣)، (٤٤٠٦)، كتاب الحدود بَابٌ: ظَهْرُ المُؤْمِنِ حِمًى إِلَّا فِي حَدٍّ أَوْ حَقٍّ (٦٧٨٥)، كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٧٠٧٨)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}(٧٤٤٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ (١٦٧٩).

كقول أعلم الخلق به وأنصحهم لأمته وأعظمهم بيانا عن المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلا بوجه "أين الله" في غير موضع.

ومنها:ـ شهادته التي هي أصدق شهادة عند الله وملائكته وجميع المؤمنين لمن قال: "إن ربه في السماء" بالإيمان وشهد عليه أفراخ جهم بالكفر وصرح الشافعي بأن هذا الذي وصفته من أن ربها في السماء إيمان فقال في كتابه في باب عتق الرقبة المؤمنة وذكر حديث الأمة السوداء التي سودت وجوه الجهمية وبيضت وجوه المحمدية فلما وصفت الإيمان قال: "أعتقها فإنها مؤمنة"(٦٥٩) وهي إنما وصفت كون ربها في السماء وأن محمدا عبده ورسوله فقرنت بينهما في الذكر فجعل الصادق المصدوق مجموعهما هو الإيمان.

ومنها:ـ إخباره سبحانه عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبر به من أنه سبحانه فوق السموات فقال {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا} [غافر: ٣٦، ٣٧] فكذب فرعون موسى في إخباره إياه بأن ربه فوق السماء وعند الجهمية لا فرق بين الإخبار بذلك وبين الإخبار بأنه يأكل ويشرب وعلى زعمهم يكون فرعون قد نزه الرب عما لا يليق به وكذب موسى في إخباره بذلك إذ من قال عندهم إن ربه فوق السموات فهو كاذب فهم في هذا التكذيب موافقون لفرعون مخالفون لموسى ولجميع الأنبياء ولذلك سماهم أئمة السنة "فرعونية" قالوا: وهم شر من الجهمية فإن الجهمية يقولون: إن الله في كل مكان بذاته وهؤلاء عطلوه بالكلية وأوقعوا عليه الوصف المطابق للعدم المحض فأي طائفة من طوائف بني آدم أثبتت الصانع على أي وجه كان قولهم خيرا من قولهم.

---

(٦٥٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ (٥٣٧).

ومنها:ـ إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى وبين الله ويقول له موسى: ارجع إلى ربك فسله التخفيف فيرجع إليه ثم ينزل إلى موسى فيأمره بالرجوع إليه سبحانه فيصعد إليه سبحانه ثم ينزل من عنده إلى موسى عدة مرات.(٦٦٠)

ومنها:ـ إخباره تعالى عن نفسه وإخبار رسوله عنه أن المؤمنين يرونه عيانا جهرة كرؤية الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر(٦٦١)

والذي تفهمه الأمم على اختلاف لغاتها وأوهامها من هذه الرؤية رؤية المقابلة والمواجهة التي تكون بين الرائي والأمر ئي فيها مسافة محدودة غير مفرطة في البعد فتمتنع الرؤية ولا في القرب فلا تمكن الرؤية لا تعقل الأمم غير هذا فإما أن يروه سبحانه من تحتهم تعالى الله أو من خلفهم أو من أمامهم أو عن أيمانهم أو عن شمائلهم أو من فوقهم ولابد من قسم من هذه الأقسام إن كانت الرؤية حقا وكلها باطل سوى رؤيتهم له من فوقهم كما في حديث جابر الذي في المسند وغيره: "بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم" ثم قرأ قوله {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس: ٥٨] ثم يتوارى عنهم وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم (٦٦٢)

---

(٦٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (٧٥١٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (١٦٢).

(٦٦١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، كتاب الرقاق، باب بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ (٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٢)، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

(٦٦٢) ضعيف جدًا

أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٤)، والآجري في الشريعة (٦١٥)، وابن المقرئ في معجمه (٢٤٢)، والدارقطني في الرؤية (٥١)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٨٣٦)، والبيهقي في البعث (٤٤٨)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٧٤).

كلهم من طريق: عبد الله بن عبيد الله العباداني، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، عن مُحَمَّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، به.

ففي إسناده: أبو عاصم عبد الله بن عبيد الله العباداني، وهو ضعيفٌ لين الحديث، وشيخه: الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي منكر الحديث،

وقد أورده العقيلي في ترجمة أبي عاصم عبد الله بن عبيد الله العباداني، وقال: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به.

ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية ولهذا طرد الجهمية أصلهم وصرحوا بذلك وركبوا النفيين معا وصدق أهل السنة بالأمرين معا وأقروا بهما وصار من أثبت الرؤية ونفى علو الرب على خلقه واستواءه على عرشه مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فهذه أنواع من الأدلة السمعية المحكمة إذا بسطت أفرادها كانت ألف دليل على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه فترك الجهمية ذلك كله وردوه) (٦٦٣) إهـ كلامه رحمه الله تعالى .

وأما كلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم في العلو فكثر جدا ،

فمن المأثور عن الصحابة رضي الله عنهم في إثبات العلو لله تعالى، ما رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في كتاب "الأسماء والصفات" عن جرير بن حازم قال: سمعت أبا يزيد يحدث قال: لقيت امرأة عمر رضي الله عنه يقال لها: خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها رأسه، حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز. قال: "ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها" ، وقد ذكر هذا الأثر أبو عمر ابن عبد البر في الاستيعاب وقال: رويناه من وجوه. (٦٦٤)

ومن ذلك :ـ ما رواه الإمام أحمد والبخاري والترمذي والنسائي، عن أنس رضي الله عنه قال: كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: "زوجكن أهاليكن

---

(٦٦٣) إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٣).

(٦٦٤) ضعيف

أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٨٦)، والدارمي في الرد على الجهمية (٧٩).

من طريق: جرير بن حازم، عن أبي يزيد المديني، أن عمر، به.

فإسناده ضعيفٌ من وجهين: الأول: ففيه: أبو يزيد المدني، وهو مجهول،

الثاني: الانقطاع، فأبو يزيد لم يدرك عمر بن الخطاب، وقيل: لا يعرف، فهو من الطبقة الرابعة.

وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات" قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.(٦٦٥)

ومن ذلك :ـ ما رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعائشة رضي الله عنها: "كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبا وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين" ورواه ابن سعد في الطبقات، وإسناده صحيح على شرط مسلم.(٦٦٦)

ومن ذلك :ـ ما رواه زر بن حبيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" إسناده صحيح، وقد رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي وبين الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم علية" إسناده صحيح، ورواه البيهقي في كتاب "الأسماء

---

(٦٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} [هود: ٧] ، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} (٧٤٢٠)

وقال الترمذي في سننه في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب (٣٢١٣): هذا حديث حسن صحيح.

(٦٦٦) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٦٢)، وابن حبان في صحيحه (٧١٠٨)، الطبراني في المعجم الكبير (١٠٧٨٣)، والحاكم في المستدرك (٦٧٢٦).

من طريق: عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن ابن أبي مليكة، عن ذكوان، عن عائشة، به.

فإسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيحين، خلا عبد الله بن عثمان بن خثيم، فهو صدوقٌ يحسن حديثه، وهو من رجال مسلم.

قلت: (سيد) وأصل الحديث في البخاري في صحيحه (٤٧٥٣) من طريق ابن أبي مليكة، قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني علي، فقيل: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: «فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكح بكرا غيرك، ونزل عذرك من السماء».

والصفات" من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة فذكره بنحوه، ورواه ابن عبد البر في التمهيد من طريق يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تبارك وتعالى على العرش يعلم أعمالكم" (٦٦٧)

ورواه البيهقي أيضا من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة -وهو المسعودي- عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل - واسمه شقيق بن سلمة- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فذكره بنحوه. (٦٦٨)

ومن ذلك :ـ ما رواه إسحاق بن راهويه، عن عكرمة في قوله تعالى مخبرا عن إبليس أنه قال: {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ

---

(٦٦٧) صحيح

أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٨١)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩٨٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٥١)، (٨٥٢) وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٩)

من طريق: حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود، به.

فإسناده صحيح، ورجاله رجال الشيخين، خلا حماد بن سلمة، فهو من رجال مسلم، لكن عاصم بن بهدلة يحسن حديثه، فهو صدوق.

(٦٦٨) ضعيف

أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٥٢).

من طريق: أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عاصم ابن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود، به.

فإسناده ضعيف لأمرين:

الأول:

ضعف أحمد بن عبد الجبار العطاردي.

الثاني:

عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، اختلط قبل موته.

وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: ١٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من فوقهم.(٦٦٩)

ومن ذلك :ـ قول ابن مسعود رضي الله عنه: " من قال سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر تلقاهن ملك فعرج بهن إلى الله فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن" قال ابن القيم في كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية" أخرجه العسال في كتاب "المعرفة" بإسناد كلهم ثقات.(٦٧٠)

ومن ذلك :ـ قصة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مع امرأته حين وقع على أمته وهي مشهورة. وقد ذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب وقال: رويناها من وجوه صحاح، وذلك أنه مشى ليلة إلى أمة له فنالها، وفطنت له امرأته فلامته فجحدها، وكانت قد رأت جماعه لها فقالت له: إن كنت صادقا فاقرأ القرآن فإن الجنب لا يقرأ القران فقال:

شهدت بأن وعد الله حق ...وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء حق...وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة غلاظ...ملائكة الإله مسومينا

فقالت امرأته: صدق الله وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه، وقد رواها الذهبي في "سير أعلام النبلاء" بإسناده إلى عبد العزيز بن أخي الماجشون، وفيه :ـ أن امرأة عبد الله بن رواحة قالت: له لما جحد خلوته بجاريته، إن كنت صادقا فاقرأ آية من القرآن فقال:

---

(٦٦٩) ضعيف

أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦١).

من طريق: إسحاق بن راهويه، عن إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، به،

ففي إسناده إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف.

(٦٧٠) آنظر إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم (١/ ١٥٩)، ولم أقف له على تخريج.

شهدت بأن وعد الله حق ...وأن النار مثوى الكافرينا

قالت فزدني آية فقال:

وأن العرش فوق الماء طاف...وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام...ملائكة الإله مقربينا

فقالت: آمنت بالله وكذبت البصر، فأتى رسول الله ﷺ فحدثه فضحك ولم يغير عليه.(٦٧١)

ومن ذلك :ـ ما رواه ابن سعد قال :ـ أنبأنا مالك بن إسماعيل النهدي أنبأنا عمر بن زياد، عن عبدالملك بن عمير قال: جاء حسان بن ثابت إلى النبي ﷺ فقال: أسمعك يا رسول الله قال: "قل حقا" فقال:

شهدت بإذن الله أن محمدا... رسول الذي فوق السموات من عل

فقال رسول الله ﷺ: "وأنا أشهد" فقال:

وان الذي عادى اليهود ابن مريم... له عمل من ربه متقبل

فقال "وأنا أشهد"(٦٧٢)

وقد ذكره الذهبي في "سير أعلام النبلاء" وقال في البيت الأخير:

وان الذي عادى اليهود ابن مريم... نبي أتى من عند ذي العرش مرسل. (٦٧٣)

وهكذا هو في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه.(٦٧٤)

وقد ذكر ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية من ذلك نقولا طيبة ، فليراجعها من شاء والله المستعان .

---

(٦٧١) آنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٠١)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٨).

(٦٧٢) آنظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٩)

(٦٧٣) آنظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٩)

(٦٧٤) آنظر ديوان حسان بن ثابت (١/ ١٦٩).

وأما إجماع أهل السنة والجماعة على إثبات علو الله تعالى فقد حكاه غير واحد من أكابر العلماء، من أجلهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقد روى القاضي أبو الحسين في "طبقات الحنابلة" بإسناد إلى أبي العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله الفارسي الإصطخري قال: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروقها، العارفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق. ــ ثم ساق الإمام أحمد أقوالهم في هذه العقيدة إلى أن قال: وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله عز وجل على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد، وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نور ونار وظلمة وما هو أعلم به) (٦٧٥)

وقال أبو عمر ابن عبد البر:(أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } [المجادلة: ٧] هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خلفهم في ذلك أحد يحتج بقوله) (٦٧٦)

(٦٧٥) آنظر طبقات الحنابلة (١/ ٢٨).
(٦٧٦) آنظر التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٩).

وقال أبو عمر الطلمنكي:(وأجمعوا ـ يعني أهل السنة والجماعة ـ على أن لله عرشا وعلى أنه مستو على عرشه، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه) (٦٧٧)

وقال رحمه الله تعالى (فأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } [الحديد: ٤]ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء) (٦٧٨)

ونقل شيخ الإسلام أيضا عن أبي عمر الطلمنكي أنه قال: (وقد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بائن من جميع خلقه، وتعالى الله عن قول أهل الزيغ، وعما يقول الظالمون علوا كبيرا) (٦٧٩)

وروى البيهقي في كتاب "الأسماء والصفات" بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا) (٦٨٠)

وقال قتيبة بن سعيد رحمه الله تعالى (هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة، نعرف ربنا أنه في السماء السابعة على عرشه كما قال ﷻ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[طه: ٥].(٦٨١)

وروى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي بإسناده إلى الحسن بن محمد بن الحارث قال: سئل علي بن المديني وأنا أسمع: ما قول أهل الجماعة؟ قال: يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وأن الله عز وجل فوق السموات على عرشه استوى) (٦٨٢)

وقال أبو بكر الخلال في كتاب السنة: أخبرنا أبو بكر الأمر وذي، حدثنا محمد بن الصباح النيسابوري، حدثنا أبو داود الخفاف سليمان بن داود قال: قال إسحاق بن

---

(٦٧٧) آنظر الفتاوي الكبرى (٥/ ٥١٩).

(٦٧٨) آنظر الفتاوي الكبرى (٣/ ٢٦٠).

(٦٧٩) آنظر الفتاوي الكبرى (٥/ ٥٠١).

(٦٨٠) آنظر الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٤).

(٦٨١) آنظر العلو للذهبي (١/ ١٧٤).

(٦٨٢) آنظر العلو للذهبي (١/ ١٧٥)، لم أقف عليه عند الهروي في مصنفاته.

راهويه: قال الله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[طه: ٥] إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة) (٦٨٣)

وروى الذهبي في كتاب "العلو" بإسناده إلى عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك فقالا: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازا وعراقا ومصرا وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علما، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الشورى: ١١] (٦٨٤).

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب "النقض" على بشر الأمر يسي: (قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته)، وقال أيضا: (إن الله فوق عرشه يعلم ويسمع من فوق العرش، ولا تخفى عليه خافية من خلقه، ولا يحجبهم عنه شيء) . (٦٨٥)

وذكر ابن القيم أيضا في كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية" عن حرب بن إسماعيل الكرماني صاحب أحمد وإسحاق أنه قال: (والماء فوق السماء السابعة، والعرش على الماء، والله على العرش) قال ابن القيم: هذا لفظه في مسائله وحكاه إجماعا لأهل السنة من سائر أهل الأمصار. (٦٨٦)

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (والذي يذهب إليه أهل العلم أن الله عز وجل على عرشه فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلا، وبجميع ما في سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى، يسمع ويرى، لا يعزب عن الله مثقال ذرة في السموات والأرضين وما بينهن إلا وقد

---

(٦٨٣) آنظر العلو للذهبي (١/ ١٧٩)، لم أقف عليه عند الخلال في السنة.

(٦٨٤)آنظر العلو للذهبي (١/ ١٨٨).

(٦٨٥) آنظر العلو للذهبي (١/ ١٩٤)، ولم أقف عليه في الرد على الجهمية للدارمي.

(٦٨٦) آنظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٢/ ٢٣٤).

أحاط علمه به، فهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى، يرفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار). (٦٨٧)

وقال الإمام الزاهد أبو عبد الله بن بطة العكبري شيخ الحنابلة (أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه) .(٦٨٨)

وقال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني (ويعتقد أصحاب الحديث ، ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه ، وعلماء الأمة ، وأعيان الأئمة من السلف ، لم يختلفوا أن الله على عرشه ، وعرشه فوق سمواته) .(٦٨٩)

وقال الحافظ الكبير أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني (طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة ، ومما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت في العرش ، واستواء الله عليه يقولون بها ، ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ، ولا يمتزج بهم ، وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه).(٦٩٠)

وذكر شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية عن علماء المالكية أنهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة ، على أن الله بذاته فوق عرشه،(٦٩١) وكل هذا الكلام منقول بنوع تصرف من كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية ، وهو في الحقيقة كتاب في هذه المسألة ، قد جمع فيه ابن القيم رحمه الله تعالى ما يكفي ويشفي من أنواع الأدلة والنقول عن أهل السنة في إثبات علو الله تعالى ما لو وقف عليه من يريد الحق في هذه المسألة لكفاه وشفاه ،

وأما دليل العقل على إثبات علو الله تعالى فمن وجوه :ـ

---

(٦٨٧) آنظر الشريعة للآجري (٣/ ١٠٧٦).

(٦٨٨) آنظر الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ١٣٦، ١٤١).

(٦٨٩) آنظر عقيدة السلف أصحاب الحديث (١/ ٨).

(٦٩٠) آنظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٦٠)، ولم أقف عليه في مصنفات أبي نعيم.

(٦٩١) آنظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ١٨٢).

الأول : أن ضد العلو السفل أو المحاذاة والسفل نقص والمحاذاة توجب المساواة وهي نقص في حق الله تعالى والله منزه عن النقص فحيث انتفى السفل والمحايثة ثبت العلو وهو المطلوب .

الثاني : أن البشر يستشرفون أن يكونوا في العلو لعلمهم أنها كمال ولذلك تجد عليه القوم من الملوك والأمراء يعلون بنيانهم ويكونون في أعلاه ، ويتشرف أحدهم إذا أجتمع رعيته في الشوارع أن يشرف عليهم من أعلا شرفات قصره ليكلمهم ويأمرهم و ينهاهم ولله المثل الأعلى فهو ملك الملوك وجبار السماوات والأرض العلي الأعلى ، فحيث كان ذلك كمالاً في المخلوق فالخالق أحق أن يتصف به لأن كل كمالٍ ثبت للمخلوق لا نقص فيه فالله أحق بالاتصاف به.

وأما وجه دلالة الفطرة على إثبات العلو فإنه من المعلوم الفطرة السليمة لو تركت على ما هي عليه لنشأت وهي عارفة بان الله تعالى في العلو ، ولكن كثير من فطر الناس قد تلوثت بالملوثات الخارجية ، ولأن العبد أبدا ما إن يقع في ضرورة وضيق من أمره إلا ويجد في قلبه ضرورة ملحة تطلب جهة العلو ، وكل الأيدي في الدعاء في طلب الحاجات من الله تعالى إنما ترفع فطرة إلى جهة العلو ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في اجتماع الجيوش الإسلامية (ذكر محمد بن طاهر المقدسي محدّث الصوفية في كتاب عنه أنه حضر مجلس أبي المعالي الجويني وهو يقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان عليه، وكلاماً من هذا المعنى. فقال: يا شيخ! دعنا من ذكر العرش أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فصرخ أبو المعالي ولطم على رأسه وقال: حيّرني الهمداني حيرني الهمداني) (٦٩٢)

وذلك لأنه احتج عليه بالفطرة ، فلم يجد لحجته جوابا ، فالفطرة أبدا دائما في طلب حاجاتها تطلب جهة العلو ، لأنه قد تقرر فيها أن ربها الذي هو مجيب الدعوات وقاضي الحاجات في العلو ، ولكن أين تسلم الفطرة من قواعد المتكلمين وخزعبلات المتهوكين ممن يسمون أنفسهم بالفلاسفة ، وهم والله العظيم زنادقة قد

---

(٦٩٢) آنظر اجتماع الجيوش الإسلامية (١/ ١٧٤).

طمست أنوار فطرتهم بتلك العلوم اليونانية الفاسدة ، وبتلك القواعد المخالفة للمنقول والمناقضة للمعقول ، ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واعلم رحمك الله تعالى أن كثيرا من أهل البدع يقولون :ـ إن الداعي إذا رفع بصره إلى السماء ليس هذا معناه أن الله تعالى في العلو ، وإنما هذا يفيد أن السماء هي قبلة الدعاء ، كما أن الكعبة هي قبلة الصلاة ، كذا يقول أهل البدع ، وربما رددها بعض الناس تقليدا لهم ،

وفي هذا المعنى يقول الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى (ثَمَّ هناك كلمة عند المتكلمين وطائفة من نُفَاة العلو وهي أنهم يقولون: إنَّ السّماء قبلة الدعاء.إذا قال لهم قائل: فطرة الإنسان أنَّهُ إذا أراد أن يدعو اتَّجَهَ إلى السماء. قالوا: هذا لأنَّ السماء قبلة الدعاء.وهذه الكلمة ربما ردَّدَها بعض المنتسبين إلى السنة قالوا: إنَّ السماء قبلة الدعاء ، وهذا باطل، الكلمة هذه باطلة، فالسماء ليست قبلة الدعاء، فأعظم الدعاء الصلاة، والصلاة سُمِّيَتْ صلاةً لما فيها من دعاء العبادة ودعاء المسألة، ومع ذلك جُعِلَت قبلة الصلاة إلى بيت الله الحرام، فقبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، وهي قبلة الميّت التي يُوَجَّهُ إليها عند احتضاره و يُوَجَّهُ إليها عند دفنه، وهي مكة أو الكعبة التي شرّفها الله تعالى، فإذاً لا يصح قول من يقول: إنَّ السماء قبلة الدعاء، بل المشروع للدَّاعِي أنَّهُ إذا أراد أن يدعو أن يتوجه إلى القبلة، هذا أكمل حالات الدعاء، إذا دعا يتوجه إلى القبلة، ثُمَّ إذا رفع يديه فإنه يرفعها ويتجه ببصره وقلبه إلى القبلة، يتجه بوجهه وببصره إلى القبلة، قد يرفع وجهه إلى السماء، مثل ما حصل فالنّبي ﷺ في بدر رفع يديه شديداً حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فقال له أبو بكر (يا رسول الله مهلاً بعض مناشدتك ربك فإنه منجزٌ لك ما وعدك)(٦٩٣) ورَفْعُ وَجْهِهِ هذا لأجل الإلحاح في طلب الفرج من الله تعالى، وليس لأجل أنَّ السّماء قبلة لأنَّ أكثر دعاء النبي ﷺ لا يرفع فيه وجهه إلى السماء؛ بل في الصلاة وهي دعاء نهى فيها نبينا ﷺ عن رفع البصر إلى السماء) (٦٩٤)

---

(٦٩٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد واليسر بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ (١٧٦٣)

(٦٩٤) آنظر إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (١/ ١٩٢).

قلت :ـ وقد ثبت عنهُ ﷺ في الصّحيح " أنّهُ جعل يُشير بأُصبُعه إلى السّماء - في خُطبته في حجّة الوداع ويُنكّسها إلى النّاس ويقُول اللّهُمّ اشهد"(٦٩٥) وكان مُستشهداً باللّه حينئذٍ لم يكُن داعياً حتّى يُقال: السّماء قبلة الدُّعاء ، ويقال لهم :ـ إن قولكم : إن السماء قبلة للدعاء - لم يقله أحد من سلف الأمة ، ولا أنزل الله به من سلطان ، وهذا من الأمور الشرعية الدينية ، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها ،

قال أهل العلم رحمهم الله تعالى (إن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة ، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة ، وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة ، فمن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة ، أو إن له قبلتين : إحداهما الكعبة والأخرى السماء - فقد ابتدع في الدين ، وخالف جماعة المسلمين)

وقالوا أيضا رحمهم الله تعالى (إن القبلة : هي ما يستقبله العابد بوجهه ، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء ، والذكر والذبح ، وكما يوجه المحتضر والمدفون ، ولذلك سميت " وجهة " ، والاستقبال خلاف الاستدبار ، فالاستقبال بالوجه ، والاستدبار بالدبر ، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى " قبلة " ، لا حقيقة ولا مجازا ، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها ، وهذا لم يشرع ، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى " قبلة " ، لا حقيقة ولا مجازا ، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع ، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه ، بل نهوا عن ذلك)

والمهم أن هذه الكلمة كلمة باطلة ، ولم يقلها أحد من سلف الأمة ، وإنما تفوه بها أهل البدع ليجعلوها طريقا في نفيهم لعلو الله تعالى ، فاحذر منها بارك الله تعالى فيك .

---

(٦٩٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم بَابٌ: لِيُبَلِّغِ العِلْمَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ (١٠٥)، كتاب الحج، بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى (١٧٤١)، كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٤٤٠٣)، (٤٤٠٦)، كتاب الحدود بَابٌ: ظَهْرُ المؤْمِنِ حِمًى إِلَّا فِي حَدٍّ أَوْ حَقٍّ (٦٧٨٥)، كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٧٠٧٨)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}(٧٤٤٧)، ومسلم في صحيه في كتاب الإيمان، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ (١٦٧٩).

وأما دليل الحس :ـ فإننا لا نزال نرفع أيدينا في الدعاء إلى جهة العلو ، وذلك لعلمنا أن ربنا في العلو ، ولا زلنا نرفع السبابة في التشهد إلى جهة العلو ، لعلمنا أن ربنا الذي نوحده في العلو جل وعلا ، والمهم أن الذي نعتقده ونؤمن به الإيمان الجازم القطعي هو أن الله تعالى في العلو المطلق ، وهي العقيدة التي رسخت في قلوبنا وتشبعت بها أرواحنا ، ولا يمكن أبدا ولله الحمد أن يشككنا فيها أحد ممن زاغت فطرته وفسدت علومه واستولت عليه الحيرة ، والحمد لله تعالى على هذا التوفيق والفضل ، ونسأله جل وعلا أن يثبتنا وإخواننا من أهل السنة على هذه العقيدة الطيبة المباركة إلى أن نلقى الله تعالى بها ، والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وقول الناظم غفر الله تعالى له (لا تصغي لقول التائه الحيران) لقد كنت في أول الأمر قد كتبت في المنظومة (لا تصغي لقول أشاعر الشيطان) ولكن نبهني بعض من قرأتها عليهم من أهل العلم أن أبدل هذا إلى ما هو مثبت عندك ، لأن المخالف في مسألة العلو ليسوا هم الأشاعرة فقط ، بل عامة أهل البدع في الأعم الأغلب ينفون صفة العلو ، فلما أبدلناها بقولنا (لا تصغي لقول التائه الحيران) شمل الكلام التحذير من الاستماع لعامة من أنكر صفة العلو ، ولا جرم أن ما قاله أهل العلم أصح مما كنت كتبته ، والمهم أن الناظم هنا يحذرك أيها المسلم السني بعد إيمانك بصفة علو الله تعالى أن تفتح سمع رأسك وقلبك إلى ما تهوك به أهل البدع من تلك الحجج الشيطانية والمقالات الإبليسية في نفي صفة العلو عن الله تعالى ، وقد أنكر علو الله تعالى على خلقه الجهمية المعتزلة والأشاعرة وغيرهم كثير من أهل البدع ، والعلو الذي حابه أهل البدع هو علو الذات ، ولكنهم لا ينازعون في علو القهر وعلو القدر ، وأما علو الذات فهو الذي اشتد نكيرهم له ، وبالغوا في تحريفه حتى أدى ببعضهم أن يقول :ـ الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت ، ومنهم من يقول :ـ الله تعالى حال في كل مكان ، ومنهم من يقول الله هو عين هذا العالم ، فالكل كالعين الواحدة ، بلهو العين الواحدة ، وكل هذه الأقوال من باب محاربة إثبات صفة العلو ، وأعني به علو الذات ، فعلو الذات هو الذي لا يرضاه أهل البدع ، والذي جعلهم ينفون هذه الصفة عدة أمور :ـ

الأول :ـ أنهم يمنعون إضافة الجهة إلى الله تعالى ، فيقولون :ـ لو كان في العلو ، لكان في جهة ،والجهة ممتنعة على الله ، فلا بد من نفي العلو حتى لا يكون الله تعالى في جهة ، وبالله عليك ، أهذا كلام عاقل؟ كيف تطيب نفس الواحد من هؤلاء أن يحرف كلام الله تعالى وما تواتر من النصوص في هذه الصفة من أجل مراعاة لفظ بدعي محدث يحتمل الحق والباطل ؟ فنسأل الله تعالى الهداية والعصمة من الضلال ، فأجاب أهل السنة رحمهم الله تعالى بأن لفظ الجهة لفظ كجمل ، وحيث كان لفظا مجملا فلا بد من أن نطبق عليه قاعدة الإجمال ، فنقول :ـ أما لفظ الجهة فلا نثبته ولا نفيه ، فلا نقول :ـ الله في جهة ، ولا نقول :ـ الله ليس في جهة ، لأنه لفظ لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام السلف لا إثباته ولا نفيه ، وأما معناه فنستفصل فيه ، فنقول :ـ ما الجهة التي تفر منها ؟ هل تعني بهذه الجهة ما هو داخل هذا العالم من جهة السفل والمحايثة أو جهة العلو المحيطة بالله تعالى ، فإن كنت تريد هذا فهذا باطل ، وممتنع ، تعالى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، أم تريد جهة علو غير محيطة بالله تعالى على ما يليق بعظمته وجلاله عز وجل ؟ فهذا المعنى حق ، ونحن نؤمن به ، فالله تعالى في جهة العلو ، ولكن نحن لا نطلق عليه لفظ الجهة لأنه لفظ بدعي محتمل ، ولكننا نعبر عنه بالتعبير الشرعي الوارد في النصوص ونقول فيه (الله تعالى في العلو) ولكن أهل البدع لا يفهمون من معاني الجهة إلا المعاني الباطلة ، فالله تعالى في العلو المطلق ، وإن أطلقتم على العلو اسم الجهة فهذا لا يمنعنا أن نستمر على وصف الله تعالى به .

الثاني :ـ قالوا :ـ لو كان الله تعالى موصوفا بالعلو للزم من ذلك أن يكون جسما محدودا ، والجسمية ممتنعة على الله تعالى ، والحد ممتنع على الله تعالى ، فقال أهل السنة :ـ أولاً: لا يجوز إبطال دلالة النصوص بمثل هذه التعليلات، ولو جاز هذا، لأمكن كل شخص لا يريد ما يقتضيه النص أن يعلله بمثل هذه العلل العليلة.فإذا كان الله أثبت لنفسه العلو، ورسوله صلَّى الله عليه وسلَّم أثبت له العلو، والسلف الصالح أثبتوا له العلو، فلا يقبل أن يأتي شخص ويقول: لا يمكن أن يكون علو ذات، لأنه لو كان علو ذات، لكان كذا وكذا.وثانياً: إن كان ما ذكرتم لازماً لإثبات العلو لزوماً صحيحاً، فلنقل به، لأن لازم كلام الله ورسوله حق، إذ أن الله تعالى يعلم ما يلزم من كلامه. فلو كانت نصوص العلو تستلزم معنى فاسداً، لبينه،

ولكنها لا تستلزم معنى فاسداً.وثالثاً: نقول لهم : ما هو الحد والجسم الذي أجبلتم علينا بخيلكم ورجلكم فيها؟ أتريدون بالحد أن شيئاً من المخلوقات يحيط بالله تعالى؟فإن كنتم تريدون هذا فهذا باطل ومنتف عن الله، وليس بلازم من إثبات العلو لله، وإن كنتم تريدون بالحد أن الله بائن من خلقه غير حال فيهم؟ فهذا حق من حيث المعنى، فالله تعالى في العلو المطلق على سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه ، ليس في خلقه شيء من ذاته جل ولا ، وليس في ذاته شيء من ذوات خلقه ،ولكن لا نطلق لفظة نفياً ولا إثباتاً، لعدم ورود ذلك.

وأما الجسم، فنقول: ماذا تريدون من الجسم؟ أتريدون أنه جسم مركب من عظم ولحم وجلد على ما هو المعهود من أجسامنا؟ فإن كنتم تريدون هذا فهذا باطل ومنتف عن الله، لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. أم تريدون بالجسم ما هو قائم بنفسه متصف بما يليق به من صفات الكمال ونعوت الجمال والعظمة ؟ فإن كنتم تريدون هذا المعنى فهذا حق من حيث المعنى، لكن لا نُطلق عليه لفظة الجسم لا نفياً ولا إثباتاً، لما سبق. فأنت ترى وفقك الله تعالى لكل خير أن أهل البدع يجعلون تلك الألفاظ المحدثة البدعية حاكمة على نصوص الشرع ، فهم ينزلون الأدلة من الكتاب والسنة على تلك الألفاظ المحدثة البدعية ، فما توافق معها من الأدلة أخذوه واعتمدوه ، وما تنافى معها من الأدلة ردوه وحرفوه وعطلوه على دلالته الصحيحة ، فالمعتمد عندهم ليس الأدلة ، وإنما المعتمد عندهم هو تلك الألفاظ التي أفرزتها عقولهم ، وأملتها عليهم شياطين الإنس والجن ، وهذا سبب كبير من أسباب الضلال عند أهل البدع ، وكان الحق والواجب أن تكون الأدلة الشرعية هي الحاكمة على غيرها ، وأن تكون هي الأصل وما سواها ففرع وأن تكون هي الميزان وما سواها فهو الموزون ، وأن تكون هي المهيمنة على ما سواها ، وأن تكون هي المقدم وما عداها فمؤخر ، وأن تكون هي السيد المطاع وما سواها فهو العبد التابع ، ولكن الحال عند أهل البدع منقلبة ، فصارت أدلة الوحيين عندهم ليست إلا ثقلا على قلبوهم بسبب ما فيها من إثبات ما لا ترضاه قواعدهم التي ارتسموها ، وألفاظهم البدعية التي اخترعوها ، فهم في بواطن نفوسهم يكرهون أدلة الشرع لما فيها من إثبات الأسماء والصفات لله تعالى ، والقوم لا يريدون أن يثبتوا لله تعالى اسما ولا صفة ، والمهم :ـ أن تلك الشبه التي

لبس بها أهل البدع إنما هي خيالات لا يحل بسببها أن ينفى عن الله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه من صفة العلو ، فالله تعالى موصوف بالعلو المطلق على ما يليق بجلاله وعظمته جل وعلا ، وعلوه جل وعلا من جملة صفاته الذاتية التي لا تنفك عنه جل وعلا ، فله جل وعلا العلو الكامل في ذاته ،والعلو الكامل في صفاته والعلو الكامل في أسمائه والعلو الكامل في قهره وقدره وسلطانه ، والله يتولانا وإياك وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

ولتؤمنن بالاستواء فقد أتى   في سبع آيات من القرآن

في السجدة الرعد الحديد ويونس   وبطه والأعراف والفرقان

أقول :ـ الكلام على هذه الأبيات في مسائل :ـ

(المسألة الأولى) قوله (ولتؤمنن) أمر بالإيمان ، لأن لام الأمر إن دخلت على الفعل المضارع أفاته الأمرية ، وقوله (بالاستواء) أي باستواء الرب جل وعلا على عرشه ، واعلم رحمك الله تعالى أن الاستواء يختلف معناه باختلاف تعديه ولزومه ، فإن ورد مجردا عن الحرف فيكون معناه النضج والكمال ، كما قال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام{ {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [القصص: ١٤] أي بلغ كماله البشري في القوة ، ومنه قولهم :ـ استوى الطعام ، أي نضج وصار صالحا للأكل ، وإن ورد لفظ الاستواء مقرونا بحرف (الواو) فيكون معناه المساواة في الأمر ، كقولهم :ـ استوى الماء والخشبة ، أي ارتفع ماء البئر حتى ساوى الخشبة ، وكقولهم :ـ استوى الفارسان ، أي تساويا ، وإن كان مقرون بحرف (إلى) فيكون معناه القصد إلى الشيء بالإرادة الكاملة ، ومنه قول الله تعالى{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} [فصلت: ١١] أي قصدها بالإرادة الكاملة على الوجه اللائق به جل وعلا ، ومنه قولهم :ـ استوى الحاج إلى مكة ، أي قصدها ، وإن كان مقرونا بحرف (على) فيكون معناه العلو على الشيء والارتفاع عليه والاستقرار عليه ، فقولهم :ـ استوى على كذا ، أي علا

وارتفع وصعد واستقر على هذا الشيء المستوى عليه ، فهذا بالنسبة لمعاني الاستواء التي تعرفها العرب في كلامها .

(المسألة الثانية) وعليه فأقول :ـ لقد أجمع سلف الأمة وأئمتها رحم الله تعالى أمواتهم أن الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته جل وعلا ، وأجمعوا على أن الاستواء المضاف إلى الله تعالى لائق به وخاص به ، وأنه ليس كاستواء ملوك الدنيا على عروشها ولا كالاستواء على ظهور الفلك والدواب وغيرها ، بل هو استواء خاص به جل وعلا ، ليس كمثله شيء في استوائه جل وعلا ، كما قال تعالى{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى ١١]وقال تعالى{ولم يكن له كفوا أحد} [الإخلاص: ٤] وكما أنه لا مماثل له في ذاته ، فكذلك لا مماثل له في صفاته ، وأما الاتفاق في اسم الاستواء بين الخالق والمخلوق ، فيقال :ـ استوى الخالق ، ويقال :ـ استوى المخلوق ، فإن هذا الاتفاق في اسم الاستواء لا يستلزم الاتفاق في كيفية الاستواء ، لأن المتقرر أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، والمتقرر أن الصفة تختلف باختلاف من أضيفت إليه ، فاختلاف الإضافات يفيد اختلاف المضافات ، فالصفة إن أضيفت إلى الله تعالى فإنه تكون لائقة بجلاله وعمته ،وإن أضيفت إلى المخلوق فإنها تكون مناسبة لعجزه وحاله وضعفه ، كما قررناه في أوائل الكلام على قواعد الأسماء والصفات ، والله الموفق والهادي .

(المسألة الثالثة) واعلم رحمك الله تعالى أن هذه الصفة العظيمة من جملة الصفات الفعلية لله تعالى ، فصفة الاستواء صفة فعل لا صفة ذات ، كما قرره أهل العلم من أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، قال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى (والاستواء صفة فعلية ثابتة لله سبحانه على ما يليق بجلاله كسائر صفاته) (٦٩٦)

وقد ذكرنا أن هذا بإجماع أهل السنة في كتاب الإجماع العقدي .

---

(٦٩٦) أنظر شرح العقيدة الواسطية (١/ ٥٦).

(المسألة الرابعة) وقد ثبتت هذه الصفة بالقرآن والسنة الصحيحة والإجماع ، فأما القرآن :ـ فقد ورد ذكر استواء الله تعالى على عشره في سبع مواضع من كتاب الله تعالى ذكرها لك الناظم بقوله (في سبع آيات من القرآن) الموضع الأول (في السجدة) ويريد به قول الله تعالى{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} [السجدة: ٤] ثم قال عفا الله تعالى عنه (الرعد) أي الآية الواردة في سورة الرعد وهي قوله تعالى{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد: ٢] ثم قال عفا الله تعالى عنه (الحديد) أي الآية التي في سورة الحديد ، ويريد بها قوله تعالى{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤] ثم قال عفا الله تعالى عنه (ويونس) أي والآية التي في سورة يونس ، ويريد بها قوله تعالى{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [يونس: ٣] ثم قال (وبطـــــــه) أي الآية التي في سورة طه ، ويريد بها قوله تعالى{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] قم قال (والأعراف) أي والآية التي في سورة الأعراف ، ويريد بها قوله تعالى { السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤] ثم قال عفا الله تعالى عنه في الموضع الأخير (والفرقان) أي والآية التي في سورة الفرقان ، ويريد بها قوله تعالى {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } [الفرقان: ٥٩] فهذه سبع مواضع ذكر الله تعالى فيها أنه استوى على العرش ، والاستواء هنا ورد مقرونا بحرف (على) وقد تقرر عند العرب أن الاستواء إن كان مقرونا بحرف (على) فإنه يراد به العلو والارتفاع والصعود والاستقرار ، فهذا هو مفنى استواء الرب جل وعلا على عشره ، أي علا عليه وصعد واستقر وارتفع ، وكلام السلف

رحمهم الله تعالى يدور في معنى الاستواء على هذه المعاني الأربعة ، ونحن نقول هذا الكلام من باب الكلام في معاني الصفة لا في كيفيتها ، وأهل السنة رحمهم الله تعالى يفهمون معنى الصفة ، ويكلون على كيفيتها إلى الله تعالى ، بمعنى :ـ أن معنى الاستواء المعدى بحرف (على)معلوم باعتبار وضعه اللغوي في لسان العرب ، وأما كيفية استواء الله تعالى فهذا أمر لا نعلمه ، ونكل علك الكيفية به لله تعالى ، ولا ندخل في الكلام على الكيفية في شيء من صفات الله تعالى ، فالمعاني معلومة والكيفيات مجهولة ، كما قررناه سابقا في القواعد ، وأنت ترى في هذه الآيات أن الله تعالى قد أضاف لنفسه الاستواء ، وأنت خبير بأن هذه الصفة لا تقوم بذاتها ، وقد تقرر في قواعد الإضافات عند أهل السنة والجماعة أن الله تعالى إن أضاف إليه أمرا لا يقوم بذاته فإن هذه الإضافة من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، فإضافة الاستواء له في هذه الآيات السبع دليل على أن الاستواء صفة من صفاته جل وعلا ، وكما أن القرآن دل على صفة الاستواء فقد دلت عليه السنة أيضا ،

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله -ﷺ-: «لما قَضَى اللهُ الخَلْقَ – وعند مسلم : لمَا خَلَقَ اللهُ الخَلقَ - كتب في كتابه ، فهو عنده فوقَ العرش : إنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضبي».متفق عليه ، (٦٩٧) وعند البخاري : «غلبتْ غَضبي» ،

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ في حديث ذكره : « فإن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض

(٦٩٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}(٣١٩٤)، وفي كتاب التوحيد بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ} (٧٤٥٣)، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} (٧٥٥٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ (٢٧٥١).

، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ؛ فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة » (٦٩٨)

وعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - : قال : «أتَى رسولَ اللَّهِ -ﷺ- أعْرَابيٌّ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، جَهِدَتِ الأنفُسُ ، وَضَاعَتِ العِيَالُ ، وَنُهِكَتِ الأمْوالُ ، وَهَلَكَتِ الأنْعَامُ ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ على اللَّهِ ، ونَسْتَشْفِعُ باللهِ عَلَيكَ، قال رسولُ اللَّهِ -ﷺ- : وَيْحَكَ، أَتَدْرِي ما تَقُولُ ؟ وسَبَّحَ رسولُ اللَّهِ -ﷺ- فَمَا زالَ يُسَبِّحُ ، حَتى عُرِفَ ذلك في وجه أصحابِهِ ، ثم قال : إنه لا يُستَشْفَعُ بالله على أحدٍ من خلقه ، شَأنُ الله أعْظمُ من ذلك، ويحكَ ، أتدري مَا اللَّهُ ؟ إن عَرشَهُ على سَمَاوَاتِهِ لَهكَذَا ، وقال بِأصبعِهِ - مثل القُبْةِ عليه - وإنَّهُ لَيَئِطُّ أطِيطَ الرَّحلِ بالرَّاكِبِ» (٦٩٩)

وقد تواتر ذكر الاستواء على العرش في كلام الصحابة والتابعين ، وقد نقل أهل السنة رحمهم الله تعالى هذه العقيدة في كتبهم العقدية ، ونحن مؤمنون بهذه الصفة كما وردت بها الأدلة ، ونعمل معناها على حسب دلالة اللغة ، ولكننا نحجم عقولنا وألسنتنا عن الكلام في أمر الكيفية ، ونعلم علما قاطعا يقينيا أن هذه الصفة لا يلزم من إثباتها لله تعالى على الوجه اللائق به أي نقص ولا أي مانع ولا أي محذور ولا أي لازم فاسد ، بل إن من قام من رأسه شيء من اللوازم الفاسدة في إثبات هذه الصفة أو غيرها فإنما أتي من قلة فهمه وفساد تأصيله ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

---

(٦٩٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب بَابُ دَرَجَاتِ المجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي (٢٧٩٠)، كتاب التوحيد، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ}، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} (٧٤٢٣).

(٦٩٩) ضعيف

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب شرح السنة، باب في الجهمية (٤٧٢٦)، والدارمي في الرد على الجهمية (٧١)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٥)، والبزار في مسنده (٣٤٣٢)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٩)، وأبو عوانة في المستخرج (٢٥١٧)، والآجري في الشريعة (٦٦٧)، والدارقطني في الصفات (٣٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٨٣).

من طريق: وهب بن جرير عن أبيه، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن مُحَمَّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، به.

ففيه: جبير بن مُحَمَّد بن جبير بن مطعم ، وهو مجهول، وأعله الدارقطني في العلل (١٣/ ٤٢٤).

(المسألة الخامسة) وأما أهل البدع فقد أبت عقولهم قبول إثبات هذه الصفة ،وأبت قواعدهم الفلسفية الكلامية المنطقية وصف الله تعالى بهذه الصفة ، فساموا أدلة إثباتها تحريفا وتعطيلا ، فاتفق أهل البدع فيما نعلم من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم على أن الله تعالى لا يجوز وصفه بأنه قد استوى على عرشه ، فصفة الاستواء ممتنعة على الله تعالى ، لا تليق به ، وإنما المراد بالاستواء في الأدلة الاستيلاء ، فمعنى قوله تعالى{الرحمن على العرش استوى} أي استولى ، كذا قالوا ، وكل هذا حتى يفروا من اللوازم الباطلة التي قامت في عقولهم ، بسبب فساد علومهم وانحراف عقيدتهم وتحكيمهم للهوى وفساد فهومهم ، كلهم قالوا :ـ الاستواء ، معناه الاستيلاء ، قال أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى :ـ إن هذا الكلام الفاسد ليس بصحيح ، بل هو باطل كل البطلان ، ووجه فساده من وجوه :ـ

الأول :ـ أنه مخالف لفهم سلف الأمة ولعقيدتها المتفق عليها بين أصحاب النبي ﷺ ، وعليها سائر الأئمة المعتد بقولهم في عقيدة الأمة ، فأهل السنة رحمهم الله تعالى لا يفهمون من نصوص الاستواء إلا أنه صفة حقيقية لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، فما فهمه أهل البدع من هذه النصوص لا جرم أنه فهم باطل ورأي عاطل ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل .

الثاني :ـ أنه خلاف ظاهر الأدلة ، فإن الأدلة تضيف الاستواء إلى الله تعالى إضافة الصفة إلى موصوفها ، فمن فهم منها أمرا آخر فإنه يعد منتقلا عن الظاهر إلى معنى آخر ، وانتقاله هذا لا بد فيه من دليل ، لأن المتقرر أن الأصل هو وجوب البقاء على الظاهر حتى يرد الناقل .

الثالث :ـ أنه حمل للكلام على مجازه مع إمكان حمله على حقيقته ، فحقيقة الكلام هي إثبات صفة الاستواء لله تعالى ، ومجازه أنه يراد به الاستيلاء ، وقد تقرر أن الأصل في الكلام الحقيقة ولا يعدل عنها إلا بقرينة صارفة ، وليس هناك قرينة تدفعنا إلى حمل الكلام على مجازه هنا ، لأن حمله على حقيقته ممكن ولا إشكال فيه ، وحقيقته إثبات صفة الاستواء لله تعالى على الوجه اللائق به جل وعلا ، فحيث لا قرينة تصرفنا من حقيقة الكلام إلى مجازه ، فالواجب هو البقاء على

الحقيقة ، لأن حمل الكلام على مجازه خلاف الأصل ، والمتقرر أن الأصل هو البقاء على الأصل حتى يرد الناقل .

الرابع :ـ أنه خلاف اللغة ، فإن العرب لا تطلق الاستواء على الاستيلاء ، أي أن العرب لا تعرف في لغتها أن الاستواء يأتي ويراد به الاستيلاء ، فتحريف أهل البدع صفة الاستواء إلى الاستيلاء تحريف مخالف للغة العرب ، والنصوص عربية في ألفاظها واستعمالاتها ، فحيث كانت العرب لا تعرف هذا فيكون كلام أهل البدع هنا من التحريف الباطل ، ومن الرأي الكاسد العاطل ، وقد سئل الخليل بن أحمد إمام أهل اللغة والنحو هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى فقال هذا مما لا تعرفه العرب ولا هو جار في لغتها (٧٠٠) سأله عن ذلك بشر المريسي ،

ولكن لا يخفاك وفقك الله تعالى أن غالب أهل البدع من العجم الذين لا يعرفون لغة العرب ، وقد قررنا لك في موضع آخر أن من أسباب الضلال في العقيدة الجهل بلسان العرب .

الخامس :ـ أن هذا التحريف ـ أعني تحريف الاستواء إلى الاستيلاء ـ يوهم معنى فاسدا كل الفساد ، وهو أن معنى الاستيلاء في اللُّغة المُغالبة. فلا تكون أنت مستوليا على الشيء إلا إن كان هناك نوع مغالبة ، والله لا يغلبهُ ولا يعلُوهُ أحد. وهُو الواحد الصّمد، فالله تعالى هو القوي القوة المطلقة الهائلة ، وهو القدير القدرة الكاملة المتناهية ، فكيف يُغَالبُ على عرشه ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، فهذا اللازم من كلامهم فاسد ، فيكون تحريفهم أصلا فاسدا ، لأن المتقرر أن فساد اللازم دليل على فساد الملزوم ، والله أعلم .

السادس :ـ أن هؤلاء الخرقى قد فروا من شيء فوقعوا في نظيره وما هو أقبح منه ، فإنهم فروا من تمثيل الله تعالى بخلقه لو أنهم أثبتوا صفة الاستواء له ، ثم هم بأنفسهم قد جعلوا الاستواء المضاف إلى الله تعالى بعينه كاستواء بشر بن مروان على العراق ، وذلك لأنهم يقولون :ـ إن الاستواء يراد به الاستيلاء لقول الشاعر :ـ

(٧٠٠) آنظر العرش للذهبي (١/ ٢٠٢).

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف أو دم مهراق

فكما أن الاستواء في هذا البيت يراد به الاستيلاء فكذلك عامة النصوص التي فيها أن الله تعالى قد استوى على العرش لا يراد به إلا الاستيلاء ، وهذا هو التمثيل ، لأنهم مثلوا استواء الله تعالى على عرشه كاستواء بشر على العراق ، ففروا من محذور التمثيل الذي قام في رؤوسهم ووقعوا في تمثيل آخر فأي تشبيه بصفات المخلوقين أكبر من هذا وهل يجوز لمسلم أن يشبه صفة الله التي هي الاستيلاء المزعوم بصفة بشر التي هي استيلاؤه على العراق ؟ وصفة الاستيلاء من أوغل الصفات في التشبيه بصفات المخلوقين لأن فيها التشبيه باستيلاء مالك الحمار على حماره ، ومالك الشاة على شاته، ويدخل فيها كل مخلوق قهر مخلوقا واستولى عليه ، وفي هذا من أنواع التشبيه مالا يحصيه إلا الله فإن، زعم أهل البدع بعد ذلك أن الاستيلاء الذي وصفوا الله تعالى به منزه عن مشابهة استيلاء المخلوقين قلنا له نحن نسألك ونطلب منك الجواب بإنصاف ، أيهما أحق بالتنزيه عن مشابهة الخلق ، الاستواء الذي مدح الله به نفسه في محكم كتابه ، وهو في نفس القرآن الذي يتلى ، ولتاليه بكل حرف منه عشر حسنات ، لأنه كلام الله ، أم الأحق بالتنزيه هو الاستيلاء الذي جئتم به من تلقاء أنفسكم من غير استناد إلى وحي ؟ فالله تعالى يقول (استوى) وأنتم تقولون :ـ استولى ، ثم تقولون :ـ استولى استيلاء ليس كاستيلاء المخلوقين ، فصنتم كلامكم عن التمثيل ، وحرفتم كلام الله تعالى ، فأي الكلامين أحق بالتنزيه والصيانة والتعظيم ؟ ولا شك أن الجواب الحق أن اللفظ الوارد في القرآن أحق بالتنزيه والحمل على أشرف المعاني وأكملها من اللفظ الذي جاء به معطل من كيسه الخاص لا مستند له من الوحي ، والله المستعان .

السابع :ـ أن يقال :ـ إن هذا البيت الذي ذكرتموه منتحل مخترع ،وقد نسبه البعض إلى الأخطل النصراني ، فهو بيت منحول على الأخطل النصراني - شاعر العصر الأموي - وقد أنكر العلماء نسبة هذا البيت إلى الأخطل ، وقال بعضهم إنه هكذا :

بشر قد استولى على العراق   من غير سيف ودم مهراق

ولو ثبت عنه كما نقلوه لما كان مقبولا، فإن الأخطل نصراني سيء المعتقد، وهو القائل - يستهزئ بشعائر الإسلام :

ولست بقائم كالعير يدعو قُبيل الصبح حي على الفلاح

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الأضاحي

ولست بسائق عيسا بكورا إلى بطحاء مكة للنجاح

ولكني سأشربها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح

ولو كان الأخطل مسلما لما قُبل منه هذا البيت أيضا فإنه من الموّلدين الذين تأثرت عربيتهم بالعجمة ، فلا يحتج بقوله على تفسير الكلام الرباني ناهيك عن هذا الأمر الخطير الذي هو صفة من صفات الله العلية ، ولكنها الأهواء التي تعصف بصاحبها ، فانظر أيها المنصف كيف يحرفون كلام الله تعالى عن مواضعه ببيت من الشعر لا يعرف قائله ، أو ببيت قاله كافر لا يقبل قوله في الأخبار الدينية ، فكيف يعتمد قوله ويقدم على كلام خيار الأمة من الصحابة والتابعية وأئمة الهدى ، سبحان الله العظيم ، بل ولو سلمنا جدلا أن هذا البيت من أبيات الحجة ، فإننا نمنع أن يكون الاستواء المذكور فيه يراد به الاستيلاء ، بل يراد به العلو والارتفاع والصعود والاستقرار ، كما هو معنى الاستواء عند العرب إن عدي بحرف (على) إذ هو على الحقيقة : الاستواء ، فإن بشراً هذا كان أخا عبد الملك بن مروان ، وقد ولاه أميراً على العراق فاستوى على سرير الملك كعادة الملوك والأمراء : بمعنى علا السرير مستوياً عليه . فأين معنى الاستيلاء والقهر هنا ؟ فلا دليل لأهل البدع أصلا في هذا البيت على ما قالوه ، ويدل لهذا أنَّه لو كان المعنى استيلاء القهر والملك ، لكان بشر منازعاً لأخيه عبد الملك ، الذي كان هو المستولى على العراق حقيقةً ، وإنما كان بشر نائباً عنه ووالياً من جهته ، فلم يبق إلا تفسير استوى هنا بمعنى الجلوس على سرير الإمارة .ثم انظر كيف استدلالهم بهذا البيت الفاسد في مسألة عقدية ، مع أن الواحد من أهل البدع لو أثبتنا عقيدة بخبر آحاد لزمجر وتغير وجهه وقال :ـ إن أمور العقيدة لا تثبت بأخبار الآحاد ، بل لا بد فيها من خبر متواتر ، وهم هنا يثبتون أن الاستواء الوارد في النصوص يراد به

الاستيلاء ليس بخبر آحاد ، بل ببيت من الشعر لا يعرف قائله ، أو أنه بيت لنصراني يعبد الصليب ، سبحان الله ، ما هذا التناقض العجيب عند هؤلاء ، وهذا يفيدك أن القوم أصلا أهل أهواء ، فهم عبيد لأهوائهم ، أهواؤهم تتجارى بهم كما يتجارى داء الكلب بصاحبه ، فلا يترك منه عرق ولا مفصل إلا دخله ، نعوذ بالله تعالى من حالهم .

الثامن :ـ ما قاله أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة عن أصول الديانة ، (وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قول الله تعالى{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] أنه استولى وملك وقهر وأن الله تعالى في كل مكان وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ، لأن الله تعالى قادر على كل شيء ، والأرض لله سبحانه قادر عليها ، وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو تعالى مستو على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، وإذا كان قادرا على الأشياء كلها لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله تعالى مستو على الحشوش والأخلية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها) (٧٠١) وكلامه واضح ، أي أن الاستواء المذكور في الأدلة إنما هو استواء خاص ، وهو استواء الله تعالى على العرش ، فلو كان معناه القدرة والملك والاستيلاء كما يقوله أهل البدع لما كان في تخصيص الاستواء بالعرش أي فائدة ، لأن الله تعالى مالك وقادر على السموات والأرض وجميع الأمكنة ، فهل يصح أن يقال :ـ الله تعالى مستو على كل شيء ؟ لأنه المالك لكل شيء والقادر على كل شيء ، والقاهر لكل شيء ، هل يصح هذا ؟ الجواب :ـ لا ، فحيث لم يصح ، علمنا أن تحريفهم هذا تحريف باطل ، وإنما أتوا به من كيسهم ، والله أعلم .

(٧٠١) أنظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٥٣٣).

التاسع :ـ من المعلوم أنَّه لا يصلح تفسير الاستواء في كل موضع بالاستيلاء . فقوله جلَّ ذكره{ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} [هود: ٤٤] وقوله{فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} [الفتح: ٢٩] وقوله {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} [الزخرف: ١٣] تفسير الاستواء فيها الاستقرار والثبات ، فلا يصلح أن يقال : استولت على الجودي ، ولا يقال : فاستولى على سوقه ، ولا يقال : لتستولوا على ظهوره .فحيث لم يصح تفسير الاستواء هنا بالاستيلاء علمنا بطلان حملهم الاستواء المضاف إلى الله تعالى على الاستيلاء ، ولكن القوم لا يفقهون .

العاشر :ـ أنَّه إذا فُسِّر الاستواء بالغلبة والقهر ، عاد معنى الآية إلى أنَّ اللَّه بعد خلقه العرش غلبه وقهره ، واستولى عليه ، فكأنَّه قد خرج من قبضته . وهذا تأويل باطل تنفر منه العقول .

(المسألة السادسة) وقد أجمع أهل العلم من أهل السنة والجماعة على الإيمان بعرش الله تعالى ، وأصل العرش في اللغة سرير الملك ، وأما عرش الله تعالى فهو محل استوائه جل وعلا ، نعلم معناه ونكل علم كيفيته إلى الله تعالى ، ولكننا نجزم بأنه أكر المخلوقات على الإطلاق ،وبأنه سقف جنة الفردوس ، وبأن الله تعالى قد استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته جل وعلا ، وقد ورد ذكره في القرآن في مواضع كثيرة ، وفي كل منها ذكر لبعض صفات هذا العرش الكبير العظيم ، قال تعالى{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: ٧] فهذه أول صفة ، وهو أنه عرش على الماء على الكيفية التي يريدها الله تعالى .

ومن صفاته أن خلقه متقدم على خلق السموات والأرض، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } [هود: ٧]، فالآية تدل على أن العرش كان موجودا على الماء قبل خلق السموات والأرض، ويؤيد تفسير الآية بهذا المعنى حديث عمران بن حصين- رضي الله عنه- الذي جاء فيه

أن النبي ﷺ قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض"(٧٠٢)

وأما مسألة خلق العرش فقد جاء ذكرها في حديث أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه، قال: "كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء".(٧٠٣)

وقد ذهب طوائف من أهل البدع إلى أن خلق السموات والأرض كان قبل خلق العرش ، وقد رد ابن القيم- رحمه الله- على زعمهم هذا بقوله: "إن هذا لم يقله أحد من أهل العلم أصلا، وهو مناقض لما دل عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين أظهر مناقضة، فإنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وعرشه حينئذ على الماء، وهذه واو الحال، أي: خلقها في هذه الحال، فدل على سبق العرش والماء للسموات والأرض، (٧٠٤)

---

(٧٠٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}(٣١٩١)، وكتاب التوحيد، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ}، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ}، (٧٤١٨).

(٧٠٣) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٦١٨٨)، (١٦٢٠٠)، وابن ماجه في سننه، في كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٦١٢)، والطيالسي في مسنده (١١٨٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٦١٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (٤٦٨)، وابن بطة في الإبانة (١٢٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٠١)، (٨٦٤).

كلهم من طريق: يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن أبي رزين العقيلي، به.

ففي إسناده وكيع بن عدس، أو حدس، وهو مجهول، وقد تفرد به عن أبي رزين العقيلي، ولم يتابعه أحد ، وكذا لم يروه عنه إلا يعلى ابن عطاء، وإن كان قد وثق من بعض أهل العلم إلا أن له مفاريد لا يتابع عليها، فقد قال ابن المديني: له أحاديث لم يروها غيره ، و رجال لم يرو عنهم غيره ، منهم و كيع بن عدس ، و أهل الحجاز لا يعرفونه ، و إنما روى عنه قوم بواسط.(تهذيب التهذيب ١١/ ٤٠٤).

(٧٠٤) آنظر الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ٣٧٥).

وفي "الصحيح" عنه ﷺ: "قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء".(٧٠٥)

ومن صفاته أنه عرش عظيم ، قال تعالى{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } [التوبة: ١٢٩] فهو عرش موصوف بالعظمة .

ومن صفاته أنه عرش مخلوق مربوب مدبر ، قال تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: ٢٢] وهنا وصفه بأنه عرش مربوب ، فهو عرش مخلوق مربوب مدبر ، وحيث كان مخلوقا فهو مفتقر إلى الله تعالى الافتقار الذاتي ، فالعرش مفتقر إلى الله تعالى وجملته مفتقرون إلى الله تعالى ، ومن في السموات ومن في الأرض كلهم مفتقرون إلى الله تعالى الافتقار الذاتي الذي لا ينفك عنهم ، فليس استواؤه عليه من حاجة ، تعالى الله عن ذلك .

ومن صفاته أنه عرش كريم ، قال تعالى{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } [المؤمنون: ١١٦] ووصفه بأنه عرش كريم ،

قال ابن كثير رحمه الله تعالى (ووصفه بأنه كريم، أي: حسن المنظر بهي الشكل، كما قال تعالى{فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ } [لقمان: ١٠]إهـ كلامه . (٧٠٦)

وقال تعالى {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } [غافر: ٧] فوصفه هنا بأنه عرش محمول على طوائف من الملائكة مخلوقون لحمله .

ومن صفات هذا العرش العظيم أن له ظلا ، نعرف معناه ونكل العلك بكيفيته إلى الله تعالى ، ونحجم عقولنا عن ما وراء الغيب ، فالعرش موصوف في الأدلة بأن

---

(٧٠٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٣).

(٧٠٦) آنظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٦).

له ظل ، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله - ﷺ- : «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرا ، أو وَضَع له ، أَظَلَّهُ الله يومَ القيامة تحت ظِلِّ عَرشه ، يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلّه».أخرجه الترمذي .(٧٠٧)

وفي رواية من حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله قال النبي ﷺ " سبعة يظلهم الله في ظل عرشه " وحسنها الحافظ في الفتح.(٧٠٨)

ومن صفات هذا العرش ما دلت الأحاديث عليه من أنه مقبب الشكل، وأنه على هذا العالم المكون من السموات والأرض وما فيهما كهيئة القبة، وهذا ما يدل عليه حديث الأعرابي الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال: "إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا" ، وأشار بأصابعه مثل القبة، (٧٠٩)

---

(٧٠٧) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٨٧١١)، والترمذي في سننه في كتاب البيوع، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِنْظَارِ المُعْسِرِ وَالرِّفْقِ بِهِ (١٣٠٦)، وابن الأعرابي في معجمه (٩٨)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨٧٩)،

من طريق: دَاوُدَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،

فرجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين، خلا داود بن قيس فهو من رجال مسلم.

قال الترمذي رحمه الله: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ،

وتابع زيد بن أسلم الأعمشُ كما عند البيهقي في الشعب (١٠٧٣٦)

(٧٠٨) ضعيف

أخرجه ابن أبي شيبة في العرش (٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٨٤٥)، والذهبي في العلو: (١٩٠).

من طريق: إسماعيل بن إبراهيم التيمي، عن إبراهيم، عن الوليد بن عتبة، عن سلمان.

ففيه إسماعيل بن إبارهيم التيمي، وهو ضعيف الحديث، وقد قال الذهبي رحمه الله: هَذَا مَوْقُوفٌ ضَعِيفُ الإِسْنَادِ. (العلو للعلي الغفار ١/ ٨٤).

قلت: وأورده ابن حجر في الفتح: (٢/ ١٤٤) من طريق سعيد بن منصور في سننه عن سلمان، وحسن إسناده، وتبعه العيني في عمدة القارئ (١٧٧/٥)

وقد ورد بهذا اللفظ عن أبي هريرة، أخرجه والطبراني في المعجم الأوسط (٩١٣١)، وغيره،

وفي سنده جعفر بن مُحَمَّد بن الليث، وقد ضعفه الدارقطني، وقال: كان يتهم في سماعه..

وقد جاء الحديث من طرق أخرى بلفظ: يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله –بدون ذكر العرش–. في الصحيحين، وغيرهما

(٧٠٩) ضعيف

ويؤيد وصف هيئة العرش بهذه الصفة ما جاء في الحديث الآخر: "إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلاها، وفوقه عرش الرحمن" (٧١٠)

فالحديث يبين أن الفردوس أوسط الجنة، وأعلاها، والجنة كما جاء في الحديث الآخر مائة درجة، وما بين كل درجة ودرجة كما بين السموات والأرض، (٧١١)

فكون العرش سقفا للفردوس- الذي هو أوسط الجنة وأعلاها- يدل على أنه مقبب لأن هذه الصفة لا تكون إلا في المستدير.والله أعلم .

ومن صفاته كذلك أنه عرش ذو قوائم ، كما جاء في الحديث الصحيح: "لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش" الحديث. (٧١٢)

وفي إثبات كون العرش مقببا، وأن له قوائم تحمله، رد على من زعم من الفلاسفة أن العرش فلك من الأفلاك، أو أنه الفلك التاسع .

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب شرح السنة، باب في الجهمية (٤٧٢٦)، والدارمي في الرد على الجهمية (٧١)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٥)، والبزار في مسنده (٣٤٣٢)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٩)، وأبو عوانة في المستخرج (٢٥١٧)، والآجري في الشريعة (٦٦٧)، والدارقطني في الصفات (٣٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٨٣).

من طريق: وهب بن جرير عن أبيه، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن مُحَمَّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، به.

ففيه: جبير بن مُحَمَّد بن جبير بن مطعم ، وهو مجهول، وأعله الدارقطني في العلل (١٣/ ٤٢٤).

(٧١٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب بَابُ دَرَجَاتِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي (٢٧٩٠)، كتاب التوحيد، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ}، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} (٧٤٢٣).

(٧١١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب بَابُ دَرَجَاتِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي (٢٧٩٠)، كتاب التوحيد، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ}، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} (٧٤٢٣).

(٧١٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الخصومات، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الإِشْخَاصِ وَالخُصُومَةِ بَيْنَ المُسْلِمِ وَاليَهُودِ (٢٤١٢)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً} (٣٣٩٨)، كتاب التفسير، بَابُ {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} (٤٦٣٨)، كتاب الديات، بَابُ إِذَا لَطَمَ المُسْلِمُ يَهُودِيًّا عِنْدَ الغَضَبِ (٦٩١٧)، كتاب التوحيد، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ}، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} (٧٤٢٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفاضائل، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٣٧٤).

ومما وردت به الأدلة من صفته أنه أثقل المخلوقات، وزنته أثقل الأوزان،. جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال لجويرية: "لقد قلت بعدك أربع كلمات مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته" (٧١٣).

قال ابن تيمية: "فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان" (٧١٤)

فهذه جمل مما ورد في صفة هذا العرش الكبير العظيم الكريم ، فسبحان من خلقه وأبدعه ، ثم استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته ، والله أعلم .

(المسألة السابعة) وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في أول المخلوقات ، على عدة أقوال:

فقيل :ـ إن القلم أول المخلوقات، وأنه أسبق في الخلق من العرش، وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري وابن الجوزي ، وقيل :ـ إن الماء أول المخلوقات، وأنه مخلوق قبل العرش. وهذا القول ذكره ابن جرير ونقله عنه ابن كثير .وذكره أيضا ابن حجر ، وقيل :ـ إن أول شيء خلقه الله عز وجل من خلقه النور والظلمة.وهذا القول ذكره ابن جرير، وعزاه إلى ابن إسحاق .وقيل :ـ إن العرش هو أول المخلوقات. وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير ، وشارح العقيدة الطحاوية ، ونسبه ابن كثير وابن حجر إلى الجمهور، ومال إليه ابن حجر- أيضا ، وهو القول الصحيح إن شاء الله تعالى في هذه المسألة ،

واستدلوا على قولهم هذا بما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا، قال: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء" . (٧١٥)

ففي هذا الحديث تصريح بان التقدير وقع بعد خلق العرش،

---

(٧١٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٧٠٨).

(٧١٤) آنظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥٣).

(٧١٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٣).

وحديث عبادة " إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب " صريح بان التقدير وقع عند أول خلق القلم، فدل ذلك على أن العرش سابق على القلم.(٧١٦)

ومما يؤيد هذا القول- أيضا- حديث عمران بن حصين: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض".(٧١٧)

فالحديث يدل على أن العرش كان موجودا قبل كتابه المقادير. وأما من قال إن القلم مخلوق قبل العرش فقد استدل على ذلك بحديث عبادة " إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب ، قال :ـ وما أكتب؟ قال :أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ... الحديث "

---

(٧١٦) حسن بمجموع طرقه

أخرجه الترمذي في أبواب القدر، باب (٢١٥٥)، وفي كتاب التفسير، بَاب وَمِنْ سُورَةِ ن (٣٣١٩)، وابن أبي الجعد في مسنده (٣٤٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٥)، والشاشي في مسنده (١١٩٢).

من طريق: عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت،به.

وإسناده ضعيف، ففيه: عبد الواحد بن سليم، وهو ضعيف الحديث.

وأخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠).

من طريق: الوليد بن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، عن عبادة بن الصامت، به.

فإسناده ضعيف، ففيه أبو حفصة حبيش بن شريح الشامي وو مجهول، ولم يرو له إلا أبو داود هذا الحديث الفرد.

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٩٢٢)،

من طريق: أيوب أبو زيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، به.

فإسناده ضعيف، ففيه أيوب الحمصي، وهو مجهول، لا سيما وقد قال فيه ابن القطان: لا يعرف حاله.

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٣).

من طريق: ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه عن جده، به.

فإسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة.

هذا، وقد روي من طرقٍ أخر لا تخلوا أسانيدها من مقال،

ولكن بمجموع تلك الطرق كلها، يدل على أن الحديث له أصلٌ، فتنجبر بمجموعها وترقى إلى الحسن، والله أعلم

(٧١٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}(٣١٩١)، وكتاب التوحيد، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ}، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ}، (٧٤١٨).

فقالوا :ـ هذا الحديث صريح في أن القلم هو أول المخلوقات ، وقد أجاب الجمهور عن الاستدلال بهذا الحديث بقولهم :ـ إن قوله "أول ما خلق الله القلم..." إلخ لا يخلو :ـ إما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة- وهو الصحيح- كان معناه أنه عند أول خلقه قال له: "اكتب" كما في اللفظ، "أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب" بنصب "أول" و"القلم "، فعلى هذا تكون الأولية راجعة إلى الكتابة لا إلى الخلق.

وإن كانت جملتين وهو مروي برفع "أول" و"القلم " فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق بهذا الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو(٧١٨) صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم" .وعلى هذا فلا إشكال ولله الحمد والمنة .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (وقد تنازع السلف هل خلق العرش أولا أو القلم على قولين حكاهما الحافظ أبو نعيم العلاء الهمداني وغيره أصحهما أن العرش أولا) (٧١٩)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى (واختلف العلماء هل القلم أو المخلوقات أو العرش على قولين ذكرهما الحافظ أبو يعلى الهمداني أصحهما أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله "قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام عرشه على الماء"(٧٢٠) فهذا صريح أن التقدير وقع قبل خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة هذا) (٧٢١) والله ربنا أعلى وأعلم .

(المسألة الثامنة) أقول :ـ أجمع أهل السنة أن لله تعالى كرسيا ، وأجمعوا على أن العلم بمعناه باعتبار الوضع اللغوي معلوم ، وأجمعوا على أن كيفته على ما هو

---

(٧١٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٣).

(٧١٩) آنظر الصفدية لابن تيمية (٢/ ٧٩).

(٧٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٣).

(٧٢١) آنظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (١/ ٢٠٧).

عليه في الواقع أمر لا يعلمه إلا الله تعالى ، وأن العلم بكيفيته على ما هو عليه من العلم الذي استأثر الله تعالى به ، وأجمعوا على حرمة الخوض في الكيفية ، وأجمعوا على أنه كرسي قد وسع السموات والأرض كما أخبر الله تعالى به هنا ، والمشهور عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أنه موضع القدمين ، أي موضع قدمي الرب جل وعلا ، فليس هو العرش ، وليس هو العلم ، كما قاله بعض السلف ، بل الحق أنه موضع قدمي الرب جل وعلا ، فهو كالمرقاة للعرش ، وأما المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنه قال في تفسير الكرسي هو العلم ، فهذا لا يصح عنه ، بل هو أصلا مخالف حتى للاشتقاق اللغوي ، والمعروف عنه رضي الله عنه أنه يفسر الكرسي بأنه موضع قدمي الرب جل وعلا ،

فقد صح عن ابن عباس موقوفا : (الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى) (٧٢٢) وهذا هو المعروف عن ابن عباس ، وابن مسعود وأبي موسى وأبي هريرة وأبي ذر وناس من الصحابة رضي الله عنهم ، وهو قول عكرمة وسعيد بن جبير وخلق كثير من سلف الأمة وأئمتها ،

وهذا يعني أنَّ الكرسي مخلوق من مخلوقات الله عظيم جداً، جعله الله بهذا العِظَمْ، وأنه وسع السموات والأرض، وأكثر من ذلك ، السموات صغيرة بالنسبة لكرسي الرحمن ، فالسموات على اتساعها وكبرها والأرض على ضخامتها وكبرها ليست بشيء عند الكرسي ،

كما قال النبي ﷺ " ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة " (٧٢٣)

---

(٧٢٢) حسن

أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٣٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٩٠)، (١٠٢١)، والتوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٤٠٤)، وابن بطة في الإبانة (٢٦٩)، والحاكم في المستدرك (٣١١٦)، والدارقطني في الصفات (٣٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٥٨)،

من طريق: عن عمار الدهني ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، به.

فإسناد صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين، خلا عمار بن معاوية الدهني، فهو من رجال مسلم، ويحسن حديثه.

(٧٢٣) ضعيف جدًا

وهذا أصح ما ورد في الكرسي من السنة ،

وبالجملة فالمأثور عن ابن عباس من أن الكرسي هو موضع القدمين هو الذي عليه عامة أهل السنة والحديث؛ فإنهم يذكرون في تفسير الكرسي ما نقل عن ابن عباس وأصحابه، وهو المأثور عن جمهور السلف.

وفي الكرسي أقوال غير معروفة عن السلف ، فقائل يقول :ـ الكرسي هو العلم ، أي علم الله تعالى ، وقد قلنا إن هذا قول ضعيف ، لأنه مخالف للمشهور عن الصحابة وعامة سلف الأمة ، ولأنه مخالف للمعروف من قاعدة أهل السنة أنه ليس من صفات الله تعالى شيء مخلوق ، فعلم الله تعالى صفة من صفاته ، فلا يكون مخلوقا ، وأما الكرسي فهو من جملة ما خلقه الله تعالى ، فلا يصح هذا التفسير ،

وقائل يقول :ـ الكرسي هو العرش ، وهذا ضعيف ، لأنه مخالف للمعروف من مذهب الصحابة من التفريق بين تفسير العرش والكرسي ، فإن المعروف عنهم رضي الله تعالى عنهم أن العرش هو محل استواء الرب جل وعلا ، وأما الكرسي فهو مخلوق عظيم بين يدي العرش ، وهو موضع قدمي الرب جل وعلا ، والمسألة عقدية ، فلابد فيها من الرجوع إلى فهم سلف الأمة ، لأن المتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل فهو باطل ، ولأنه مخالف أصلا للمنقول عنه ﷺ ، كما قدمنا في الحديث السابق ، وهو حديث صححه الحاكم والألباني وجمع من أهل العلم رحمهم الله تعالى ، فإن النبي ﷺ قد فرق بين العرش والكرسي ، وأنا أخرت هذا الجواب لأن البعض يخالفنا في تصحيح الحديث ، والمهم أن التفريق بينهما هو الذي سار عليه أهل السنة من الصحابة والتابعين وسلف الأمة وأئمتها ، وهو المقرر في كتب الاعتقاد ، فالواجب علينا أن نتبعهم في هذا التفسير ، وأن نفرق بينهما كما فرقوا ، فمن قال بأن الكرسي هو العرش فقد خالف النص ، وخالف المعروف عن السلف ، والواجب في مثل هذه المسالة

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٦١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٤٨).
من طريق: إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، به.
فإسناده ضعيفٌ جدًا ففيه: إبراهيم بن هشام بن يحيى، وهو كذاب، متروك، وأبوه مجهول.

أن يتوافق الفهم مع فهم سلف الأمة وأئمتها ، لأنها مسالة عقدية ، والمتقرر في قواعد السلف أن كل فهو يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل فإنه فهم باطل ، ورأي عاطل ، والله أعلم .ولعل ما قلناه في شرح هذين البيتين فيه الكفاية إن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

ومعية الرب الكريم لخلقه حق بدون حلول أو نقصان

فمعية هي للعموم بعلمه وكذا إحاطته بذي الأكوان

ومعية هي للخصوص بنصره وكذالك بالتأييد والسلطان

أقول :ـ الكلام على هذا البيت في مسائل :ـ

(المسألة الأولى) يؤمن أهل السنة رحمهم الله تعالى بأن الله تعالى مع خلقه معية حقيقية تليق بجلاله وعظمته ، وأنه يقال فيها ما يقال في سائر صفاته ، من أنها معية يعلم معناها على حسب الوضع اللغوي ، ولا يخاض في كيفيتها ، فالمعية معلومة المعنى ، ومجهولة الكيف ، ونعلم جزما أنها ليست كمعية المخلوق للمخلوق ، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ولأن مجرد الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، ولأن المعية قد أضيفت في الأدلة إلى الله تعالى ، فلا بد وأن تكون لائقة به جل وعلا ، فلا يفهم منها ما يفهم من معية المخلوق للمخلوق ، لأن المتقرر أن الصفة تختلف باختلاف من أضيفت إليه ، وأن الاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق بعد التقييد والتخصيص والإضافة ، وأن اختلاف الإضافات يفيد اختلاف المضافات ، فالمعية التي نؤمن بها ونثبتها لله تعالى نقول فيها ما نقوله في سائر صفاته جل وعلا ، فهي معية حقيقية ، على ما يليق به عز وجل ، ولا يأتينا أحمق أخرق ويقول :ـ إن قولكم :ـ حقيقية ، قد يكون مدخلا لأهل البدع في اعتقاد الحلول ، لأننا سنقول :ـ دعنا منك ، فإننا نقول في وجهه جل وعلا:ـ وجها حقيقيا يليق بجلاله وعظمته ، ونقول في يديه :ـ يدان حقيقيتان لائقتان بجلاله وعظمته ، ونقول في علوه :ـ علو حقيقي لائق بجلاله وعظمته ، ونقول في أصابعه :ـ أصابع حقيقية لائقة بجلاله وعظمته

وهكذا نقول في سائر صفاته جل وعلا ، والمعية من جملة صفاته التي لا بد وأن نقول فيها ما نقوله في سائر صفاته ، فإن المتقرر عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن باب الصفات باب واحد ، وأن القول فيه قوله واحد ، وأن من فرق فيه القول فقد فرق بين متماثلين ، والمتقرر أن الشريعة لا تفرق بين متماثلين كما أنها لا تجمع بين مختلفين ، فما نقوله في صفة هو بعينه ما نقوله في كل الصفات ، فكما قلنا في كل الصفات أنها صفات حقيقية على ما يليق بجلاله وعظمته ، فلا جرم أننا نقول هذا الكلام بعينه في صفة المعية ، ولا شأن لنا بفهم الأحمق الأخرق المبتدع الذي لا يفهم من صفات الله تعالى إلا ما يفهمه من صفات المخلوقين ، فهذا علته ليست مجرد زيادة كلمة (حقيقية) حتى نحذفها ، بل علته تلك الأصول الفاسدة والقواعد المنطقية التافهة العفنة التي ورثها من أهل الكلام اليوناني المذموم ، والمهم أننا نؤمن الإيمان الجازم ونصدق التصديق القطعي بأن الله تعالى مع خلقه ، وأن من صفاته المعية ، على ما يليق به جل وعلا ، والله الموفق والهادي .

(المسألة الثانية) واعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة رحمهم الله تعالى قد قسموا المعية إلى قسمين :ـ إلى معية عامة ، ومعية خاصة ، ولكل أدلته ، فأما المعية العامة فكقوله تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧] فهذه المعية المذكورة في قوله تعالى{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤] هي المعية العامة ، فالله سبحانه وتعالى قد افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ولذلك أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم تفسير القرآن على أن تفسير الآية هو أنه معهم بعلمه، وقد نقل هذا الإجماع ابن عبد البر، وأبو عمرو الطلمنكي، وابن تيمية ، وابن القيم ، ومن أدلة المعية العامة قوله تعالى{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤] وضابط هذه المعية أنها لا تخص طائفة ولا أفراد معينين ، بل تكون عامة لكل أحد ، وقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن من مقتضياتها العلم الكامل والإحاطه الشاملة والهيمنة الكاملة ، وهذا ليس

تفسيرا لها بكل معانيها ، فإن معية الله تعالى أوسع ، ولكنه من باب تفسير الشيء ببعض مقتضياته ، وذلك لأن أهل البدع ربما دخلوا على بعض أهل السنة من هذا الباب ، وهو أن أهل السنة يفسرون المعية العامة بالعلم ، فيقول أهل البدع :ـ هذا تأويل وتحريف ، فلماذا تنكرون علينا إن فسرنا اليدين بالنعمة والقدرة والجوه بالذات والرحمة بإرادة الثواب ، فيأتي البيان بأن أهل السنة فسروا المعية العامة بالعلم من باب تفسير الشيء بشيء من معانيه ومقتضياته ، فأهل السنة لا يريدون أن المعية العامة هي العلم فقط ، بل يقولون :ـ العلم العام الكامل من جملة مقتضياتها ، لأن من مقتضياتها أيضا الهيمنة الكاملة ، والإحاطة الكاملة ، والقدرة الكاملة ، والمهم أن هذا هو القسم الأول من أقسام المعية ، وهو المعية العامة ،

وأما القسم الثاني فهو المعية الخاصة ، وقد دل عليها قول الله تعالى{وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [المائدة: ١٢] فالمعية هنا معية خاصة ، لو أنهم قاموا بشرطها ، ومنها قوله تعالى {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: ١٢] فالمعية هنا معية خاصة ، ومنه قوله تعالى لما أرسل موسى وهارون إلى فرعون وبيان خوفهما من سطوته وطغيانه {قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ } [الشعراء: ١٥] وقال في الآية الأخرى{إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦] ومنها قوله تعالى{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٥] ومنها قوله تعالى{لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] وضابط هذه المعية أن تكون مقيدة بطائفة أو أفراد معينين ، كالآيات التي فيها إثبات معية الله تعالى للمتقين والمحسنين والصابرين والمؤمنين ، وغيرها ، وقد قرر أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن من مقتضيات المعية الخاصة النصر والتأييد والحفظ ،وهذا كما ذكرت لك من باب تفسير الشيء ببعض مقتضياته ، والأدلة في إثبات المعية كثيرة جدا من الكتاب والسنة ، وقد انعقد على إثباتها إجماع أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، فنحن نؤمن بأن الله تعالى

معنا بالمعية العامة ، وبالمعية الخاصة ، ونؤمن بالعلم بمعناها على حسب لسان العرب ، ونكل العلم بكيفية هاتين المعيتين إلى الله تعالى ، هذا ما يجب علينا فقط ، ولا ندخل في هذا الباب لا متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، ولا نقحم عقولنا فيما هو من الغيب ، ونقف عند ما وقف عليه النص ، ونفهم النصوص في المعية على ما فهمها سلف الأمة ، وندع الخوض والجدال في الدين ، والله تعالى أعلم وأعلم .

(المسألة الثالثة) إن قيل :ـ هل المعية من صفات الذات أم من صفات الفعل ؟ فأقول :ـ قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله تعالى في فتح رب البرية إجابة على هذا السؤال (إن المعيةَ العامةَ من الصفات الذاتية، لأن مقتضياتِها ثابتة لله تعالى أزلاً وأبداً. وأما المعيةُ الخاصة فهي من الصفات الفعليةِ) (٧٢٤)

فلا يقال :ـ إن المعية من صفات الذات مطلقا ، ولا من صفات الفعل مطلقا ، بل لا بد من التفصيل ، وهو أن المعية العامة من صفات الله تعالى الذاتية ، والمعية الخاصة من صفاته الفعلية ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) اعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة متفقون بطلان قول من قال بأن المراد بمعية الله تعالى لخلقه بأن الله تعالى حال في حلقه ، وأنه معهم بذاته ، فهذا القول باطل عند عامة أهل السنة والجماعة ، بل هو في الحقيقة كفر بالله تعالى وردة عن الدين ، ولفظ المعية على كلا الاستعمالين ـ أعني المعية العامة والخاصة ـ ليس مقتضاه أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، وأما استدلال أهل البدع على أن الله تعالى حال بذاته معنا بقوله تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق: ١٦]

فقد أجاب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (إن هذه الآية لا تخلو إما أن يراد بها قربه سبحانه أو قرب ملائكته كما قد اختلف الناس في ذلك ، فإن أريد بها قرب الملائكة)(٧٢٥) فدليل ذلك من الآية قوله { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)

(٧٢٤) آنظر فتح رب البرية لابن عثيمين (١/ ٥٨).
(٧٢٥) آنظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٩).

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق: ١٦، ١٧] ففسر ذلك القرب الذي هو حين يتلقى المتلقيان، فيكون الله سبحانه قد أخبر بعلمه هو سبحانه بما في نفس الإنسان، {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} وأخبر بقرب الملائكة الكرام الكاتبين منه، {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} وعلى هذا التفسير تكون هذه الآية مثل قوله تعالى {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠]

أما إذا كان المراد بالقرب في الآية قربه سبحانه، فإن ظاهر السياق في الآية دل على أن المراد بقربه هنا قربه بعلمه، وذلك لورود لفظ العلم في سياق الآية {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}. إهـ .

ومن استدلالاتهم أيضا على أن الله تعالى حال بذاته استدلالهم بقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤]وهذا استلال عجيب ، وفهم للآية على خلاف فهم سلف الأمة ، فمعنى الآية عند السلف : أي هو إله من في السموات وإله من في الأرض،

قال ابن عبد البر: (فوجب حمل هذه الآية على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير) (٧٢٦)

وقال الآجري: "وقوله عز وجل {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] فمعناه: أنه جل ذكره إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو الإله يعبد في السموات، وهو الإله يعبد في الأرض، هكذا فسره العلماء) وروى الآجري بسنده في تفسيره هذه الآية عن قتادة قوله: (هو إله يعبد في السماء، وإله يعبد في الأرض) (٧٢٧)

ومما استدلوا به أيضا :ـ استدلالهم بقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] ويفهمون من قوله { في الأرض} أنه حال بذاته في

---

(٧٢٦) آنظر التمهيد (٧/ ١٣٤).

(٧٢٧) آنظر الشريعة للآجري (٢/ ١١٠٢).

هذا الكون ، وهذا فهم مخالف لفهم سلف الأمة ، فقد فسرها أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السموات والأرض ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم الأمة في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل ، وهذه علة في أهل البدع كبيرة ، أو جبت لهم الضلال ، وهي الفهم الفاسد ، بل إن الفهم الفاسد هو رأس الضلال أصلا ، فهل امتنع إبليس عن السجود لآدم إلا بسبب الفهم الفاسد والرأي المصادم للنص ، وهل أصر أهل الكفر والشرك على كفرهم وشركهم إلا بسبب الفهم الفاسد ، وهل خرجت الخوارج وترفض الرافضة وتمشعرت الأشاعرة وتجهمت الجهمية إلا بسبب الفهم الفاسد ، وهل أنكر القدر وقدح في السلف الصالح إلا بسبب الفهم الفاسد ، وهل ظهر الفساد العقدي والعلمي إلا بسبب الفهم الفاسد ، فالفهم الفاسد باب من أكبر أبواب الضلال ، نعوذ بالله تعالى منه ، ولذلك فإن أهل السنة رحمهم الله تعالى حموا عقولهم وعلومهم من اقتحام الفهم الفاسد بتقرير تلك القاعدة الطيبة التي تقول (كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في العقيدة والعمل فهو باطل) وبالقاعدة التي تقول (لا يجوز لنا أن نفهم الأدلة إلا على مقتضى فهم سلف الأمة لها) وبذلك سد عليهم بفضل الله تعالى بابا كبيرا من أبواب الضلال ، ألا وهو الفهم الفاسد في الأدلة ، ومن ذلك ما يفهمه أهل الحلول ، من أن معية الله تعالى يلزم منها أن يكون مختلطا بالخلق حالا فيهم ، وهذا من أفسد الفهم ، وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس في اللغة ظاهرها إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى. فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك ، وإن كان فوق رأسك. فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة. ثم هذه (المعية) تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا } [سبأ: ٢]إلى قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤] دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: ٧]إلى قوله {مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧] ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار {لَا تَحْزَنْ

إنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] كان هذا أيضا حقا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع، والنصر والتأييد.وكذلك قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨] كذلك قوله لموسى وهارون {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } [طه: ٤٦] هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد. وقد يدخل على الصبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف؛ أنا معك أو أنا هنا، أو أنا حاضر ونحو ذلك. ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ، ففرق بين المعية ومقتضاها؛ وربما صار مقتضاها من معناها؛ فيختلف باختلاف المواضع. فلفظ (المعية) قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر؛ فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها -وإن امتاز كل موضع بخاصية- فعلى التقدير ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق. حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ، وهذا الكلام مهم جدا في فهم هذا الأمر وفي الرد على أهل البدع . والذي نعنيه هنا هو أن تعلم وفقك الله تعالى أن أهل السنة متفقون على بطلان تفسير معية الله تعالى بأنه معنا بذاته أو حال فينا بذاته ، تعالى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، بل ربنا جل وعلا على عرشه مستو عليه استواء يليق بجلاله وعظمته ، وبائن من خلقه ليس في ذواتهم شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من ذواتهم ، فهو معنا بالمعيتين ، بمعيته العامة ، وبمعيته الخاصة ، على الوجه الذي يليق به ، فالمعية معناها معلوم ، ولكننا نجهل كيفيتها ، والذي نجزم ببطلانه هو أنه ليس معنا بذاته ، والله الموفق والهادي .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

ومع العلو فأثبت القرب الذي   في سنة المعصوم والقرآن

أقول :ـ الكلام على هذا البيت في مسائل :ـ

(المسألة الأولى) اعلم رحمك الله تعالى أنه لا يمكن أن يستشكل العبد شيئا من نصوص الصفات إلا إن كان يسلك في طريق فهم النصوص مسلكا غير مسلك أهل السنة والجماعة ، فأصح المسالك لفهم النصوص الواردة في العقيدة ، وأسلمها

وأزكاها هو ما اعتمده أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، ولذلك فإننا لا نعرف كلمة واحدة عن أحد منهم في مشكلة من مشاكل بعض نصوص الصفات ، وكيف هذا ؟ وما المراد بهذا ؟ ويلوم من كذا ، كذا وكذا ، ونحو هذه العبارات التي تفيد عدم القبول وعدم التسليم للنصوص ، ومن ذلك أن جملة من أهل البدع لا بارك الله فيهم قد قالوا :ـ إن النصوص متعارضة ، لأن هناك نصوصا تصف الله تعالى بالعلو والفوقية ، وهناك نصوص تصف الله تعالى بالمعية والدنو والقرب ، فلو كان الله تعالى في العلو لما كان قريبا ولا معنا ، ولو كان موصوفا بالقرب والمعية لما كان موصوفا بالعلو ، فكيف نجمع بين علو وفوقيته ، وبين قربه ومعيته ؟ وقد كان الناس في العهد الأول في سلامة من مثل هذه الإشكالات التي تفسد ولا تصلح ، وتهدم ولا تبني ، حتى بزغت الجهمية النفاة ، فعاثوا في الأرض بالفساد ، وأكثروا التساؤلات العقيمة على الأدلة ، وتنطعوا في إيراد الإشكالات على موارد النصوص ، حتى كدروا على العامة صفو الدليل ، وأفسدوا المشرب الصافي والمعين الشافي ، ولكن لا يزال أهل السنة والجماعة لهم بالمرصاد ، فكلما تفوه أحمق مبتدع بشبهة إلا ويصفعه عالم من أهل السنة بالجواب الذي يكسر قوله ويهدم بنيان بدعته ويخنقها حتى تموت فلا ترى إلى قلوب العامة سبيلا ، ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، والمهم أن إبراز التعارض بين صفات الله تعالى منهج خطير من المناهج التي سلكها أهل البدع والأهواء ، وما نحن بصدده من جملة هذا الأمر ، فقد أبرزوا للعامة أن هناك تعارضا بين علو الله تعالى وبين معيته ، فإن كان عال فليس معنا ،وإن كان معنا فليس بعال ، وقالوا أيضا :ـ إن هناك تعارضا بين علوه وقربه من خلقه ، فإن كان قريبا فليس بعال ، وإن كان عال فليس بقريب ، فلما سمع أهل السنة رحمهم الله تعالى هذه التهوكات الصادرة من أشباه الأنعام قال لهم أهل السنة جوابا عن شبهتهم :ـ لنا عليكم عدة أجوبة :ـ

الأول :ـ أن المتقرر عند أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة أن النصوص لا يمكن أن تأتي بما يتعارض مع العقول ، فلا يمكن أبدا أن يكون النص معارضا للعقل ، لأن الذي خلق العقل هو الذي أنزل النص ، وهو أحسن قيلا وأصدق حديثا من خلقه ، جل وعلا ، وقد وردت النصوص بوصف الله تعالى بالعلو ، كما قدمنا

طرفا منها ، وفي نفس الوقت وردت نصوص أخرى تصف الله تعالى بالقرب والمعية ، فكلها قد وردت بها النصوص ، وحيث وردت بها النصوص فإننا نعلم قطعا أنها ليست من التناقض ولا من المحال في صدر ولا ورد ، لأن المتقرر أن لا يمكن أبدا أن يتعارض نص ثبتت صحته ، مع عقل ثبتت صراحته ، فحيث وردت بها النصوص فلا يمكن أن تكون إلا حقا ، لأن النصوص لا تجمع بين محالين ، فلو كان علو الله تعالى يتنافى مع قربه ومعيته لما جمعت النصوص بينهما ، ولكن لما جمعت بينهما دل على أنها ليست من المحال في حق الله تعالى ، لأن ما جاءت به النصوص الشرعية فهو الحق الذي لا أحق منه ، والله أعلم .

الثاني :ـ نقول :ـ إن المخلوق العاجز الضعيف يمكن في حقه الجمع بين العلو والمعية في وقت واحد ، ألا ترى أن العرب تقول :ـ ما زلنا نسير والقمر معنا ، فوصفوا القمر بأنه معهم ، مع أنه في العلو ، فكان القمر موصوفا بالعلو والمعية في وقت واحد ، ولله المثل الأعلى ، فإن كان اجتماع العلو مع المعية والقرب متصور في حق المخلوق العاجز الضعيف المربوب المدبر أفلا يكون متصورا في حق الخالق القوي من كل وجه والقادر من كل وجه والذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ بلى ، والله العظيم ، بل من باب أولى وأوجب ، ولكن عقول أهل البدع في أدبارهم ، فلا عن السلف يأخذون ، ولا من النصوص ينهلون .

الثالث :ـ سلمنا جدلا أن العلو مع المعية والقرب ممتنعة في حق المخلوق ، فهل يلزم من امتناعها في حق المخلوق أن تكون ممتنعة في حق الخالق جل وعلا ؟ بالطبع ، لا ، فليس كل ممتنع في حق المخلوق يمتنع في حق الخالق ، إلا عند من مثل صفات الله تعالى بصفات خلقه ، وأما من آمن بأن ما وصف الله تعالى به نفسه ليس كمثله فيه شيء ، فإنه لا يمكن أن يقوم في عقله هذا التعارض بين هذه الصفات ، فلو قلنا :ـ إن العلو مع المعية ممتنع في حق المخلوق فإن هذا لا يلزم منه أن يكون ممتنعا في حق الخالق ، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته ، فهو العلي في قربه ومعيته ، وهو القريب في علوه وفوقيته جل وعلا ، ولا تعارض في شيء من ذلك ولله الحمد والمنة .

الرابع :ـ أن هذا الإشكال المذكور لا يمكن أن يقوم في ذهن أحد إلا في ذهن من مثل صفات الله تعالى بصفات خلقه ، فمن لم يفهم من علو الله تعالى إلا ما يفهمه من علة المخلوقين ، ومن لا يفهم من معيته وقربه جل وعلا إلا ما يفهمه من معية وقرب المخلوقين هو الذي يقوم في ذهنه هذا الإشكال ، ولكن من آمن بأن العلو المضاف إلى الله تعالى ليس كالعلو المضاف للمخلوق ، وأن المعية والقرب المضافة إلى الله تعالى ليست كمعية وقرب أحد من المخلوقات ، بل هو قرب يليق بجلاله وعظمته ومعية تليق بجلاله وعظمته وعلو يليق بجلاله وعظمته ، لو أن العبد آمن بهذه الصفات على هذا الوجه لما كان لمثل هذه الواردات والتساؤلات السامجة التافهة سبيل على عقله وقلبه ، ولكنها آفة تمثيل صفات الله تعالى بصفات مخلوقاته ، فهو لا يفهمون مما هو مضاف من الصفات إلى الله تعالى إلا كما يفهمون من صفات المخلوقات ،تعالى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، وقد قال تعالى{ليس كمثله شيء} [الشورى ١١]وقال تعالى{ولم يكن له كفوا أحد}وقال تعالى{فلا تضربوا لله الأمثال}[النحل ٧٤]وقال تعالى{هل تعلم له سميا}[مريم ٦٥] وقال تعالى{فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون}[البقرة ٢٢] فالله تعالى ليس كمثله شيء ولم يكن له كفوا أحد ولا سمي له لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله جل وعلا ، فلو انتفى من عقول أهل البدع محذور التمثيل لما قام في عقولهم مثل هذه الإشكالات على شيء من الصفات ، والخلاصة :ـ أن هذا الإشكال إنما يقوم في حق من مثل صفات الله تعالى بصفات خلقه ، فهذا الإشكال نتيجة لهذا المعتقد الفاسد في صفات الله تعالى .

(المسألة الثانية) فإن علمت هذا وفقك الله تعالى للهدى وطريق الحق ورزقنا وإياك الثبات على عقيدة السلف فاعلم رحمك الله تعالى أن قرب الله تعالى من خلقه حق قد أثبتته الأدلة من الكتاب والسنة ، وعليه إجماع أهل السنة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، فقد اتفقت كلمة أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى موصوف بالقرب من عباده على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته ، وهذا القرب معلوم المعنى ولكننا لا نعرف كيفيته ، ونؤمن مع ذلك بأنه ليس كالقرب المضاف إلى المخلوقين وإن اتفق معه في الاسم ، لأن المتقرر أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، وقد وردت بإثباته الأدلة :ـ قال تعالى{وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة: ١٨٦] وقال تعالى{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ } [هود: ٦١] وقال تعالى{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } [سبأ: ٥٠].

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - :قال : «كُنَّا مَعَ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- في سفرٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بالتكبير ، فقال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- : أَيُّها النَّاسُ ، أربعوا على أنفسِكم ، إنَّكْم لا تَدْعُونَ أَصَمَّا ، ولا غَائِبا ، إنكم تَدْعُونَ سَمِيعا بَصِيرا ، وهو مَعَكم ، والذي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحدكم من عُنُقِ راحلتِهِ» متفق عليه ، (٧٢٨)

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما- : قال : قال رسول الله ﷺ «الدُّعاءُ : هو العبادة. وقرأ {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠] فقال أصحابُهُ : أَقريبٌ ربُّنَا فنناجِيهِ ، أم بعيد فنُنَاديهِ ؟ فنزلتْ {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } [البقرة: ١٨٦].(٧٢٩)

---

(٧٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ (٢٩٩٢)، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤٢٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٧٣٨٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ (٢٧٠٤).

(٧٢٩)صحيح.

أخرجه أبو داود في سننه أبواب قيام الليل باب الدعاء (١٤٧٩) والترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ومن سورة البقرة (٢٩٦٩) وفي أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ومن سورة المؤمن (٣٢٤٧) وفي أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في فضل الدعاء (٣٣٧٢) وابن ماجة في سننه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٣٨٢٨) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤) والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٠٠) وابن حبان في صحيحه (٨٩٠) وأحمد في المسند (١٨٣٥٢، ١٨٣٨٦، ١٨٣٩١، ١٨٤٣٢، ١٨٤٣٦) وأبي داود الطيالسي في مسنده (٨٣٨) والبزار في مسنده (٣٢٤٣) وابن المبارك في الزهد (١٢٩٨) وفي المسند له (٧١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩١٦٧) وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦٨٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٩٩) والطبراني في الدعاء (١_

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أَنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال : «أَقرَبُ ما يكونُ العبدُ من رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ وَهُو سَاجِدٌ ، فأكثِرُوا الدُّعَاءَ». أخرجه مسلم (٧٣٠)

وعن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - : أَنَّهُ سَمِع رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العبدُ من ربِّهِ في سُجُودِهِ ، وإذا قَامَ يُصَلِّي في ثُلُثِ اللَيْلِ الآخِرِ ، فإن استطَعْتَ أَن تكُونَ مِمَّن يَذكُرُ الله في تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ» ، رواه الترمذي ، وفي رواية :ـ «أَقرَبُ ما يكونُ العبدُ من الرَّبِّ في جوفِ الليل الآخِرِ ، فإن استَطَعتَ ... الحديث»، (٧٣١)

وعنه رضي الله عنه قال : «قلت : يا رسول الله ، هل من ساعة أقرَبُ من الله عز وجل من الأخرى ؟ أو هل من ساعة يُبْتَغى ذِكرُها ؟ قال : نعم ، إن أقرب ما يكون الربُّ عز وجل من العبد جَوفُ الليل الآخر ، فإن استَطعّتَ أن تكونَ ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكُنْ ، فإن الصلاة محضورة مشهُود إلى طلوع الشمس ، فإنها تطلع بين قرني شيطان وهي ساعةُ صلاةِ الكفار فدَع الصلاة حتى ترْتَفِعَ قيدَ رُمح ، ويذهبَ شُعَاعُها ، ثم الصلاة محضورة مشهودة حتى تعتدلَ الشمس اعْتدَالَ الرُّمْحِ بنصف النهار ، فإنها ساعة تُفْتَحُ فيها أبوابُ جهنم وتُسجَرُ ، فدَع الصلاة

---

٧) وفي المعجم الصغير له (١٠٤١) وابن المقرئ في معجمه (٨٦٨) وابن منده في التوحيد (٣٢٠) والحاكم في المستدرك (١٨٠٢) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٠) وفي الدعوات الكبير له (٤) وابن الأعرابي في معجمه (١٢٤٩) وأبي نعيم في الحلية (٨/ ١٢٠) والقضاعي في مسند الشهاب (٢٩، ٣٠).

عن ذر بن عبد الله الهمداني، عن يسيع الكندي، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٧٣٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٤٨٢).

(٧٣١) حسن بالمجموع.

أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الدعوات، باب (٣٥٧٩) وابن خزيمة (١١٤٧) والنسائي في سننه (٥٧٢) والطبراني في مسند الشاميين (٦٠٥) والحاكم في المستدرك (١١٦٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٤٦٦٣) وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٥٥٦).

من طرق تحسن بالمجموع.

وقال الترمذي رحمه الله: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

حتى يفيئَ الفَيْءُ ، ثم الصلاة محضورة مشهودة ، حتى تَغِيبَ الشمس ، فإنها تغيبُ بين قَرْني شيطان وهي صلاة الكفار " (٧٣٢)

وأجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى على أن القريب من جملة أسماء الله تعالى الحسنى ، وأجمعوا على أن القرب صفة من صفاته جل وعلا ،

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أَنَّ رسولَ اللَّهِ -ﷺ- قال : «يقول الله تعالى : أَنا عند ظَنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في مَلأٍ ذكرتُه في مَلأٍ خيرٍ منه ، وإن تَقَرَّبَ إِليَّ شِبْرا تَقَرَّبتُ إليه ذِراعا ، وإن تقرَّب إِليَّ ذِرَاعا اقْتَرَبتُ إليه باعا ، وإن أَتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَة». أخرجه البخاري ومسلم ، (٧٣٣)

ومن هذه الأدلة الصحيحة الصريحة أثبت أهل السنة رحمهم الله تعالى صفة القرب لله تعالى ، على الوجه اللائق به عز وجل ، مع الإيمان الكامل بأن ما يضاف إلى الله تعالى من الصفات ليس كما يفهم من صفات المخلوقات ، لأن الصفة تختلف باختلاف من أضيفت إليه ، ولأن الله تعالى ليس كمثله شيء ، فنؤمن بأنه قريب من عباده من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، والله الموفق والهادي .

---

(٧٣٢) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٠٢٦)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الساعات التي تكره فيها الصلاة (١٢٥١)، والنسائي في سننه كتاب المواقيت باب إباحة الصلاة إلى أن يصلى الصبح (٥٨٤) وفي السنن الكبرى له، كتاب قيام الليل، باب إباحة الصلاة بين طلوع الفجر، وبين صلاة الصبح (١٥٧٣)، وأحمد في مسنده (١٧٠٢٦)، ابن أبي شيبة في المصنف (٧٣٤٤)، كلهم بهذا السياق.

من طريق: يعلى بن عطاء، عن يزيد، عن عبد الرحمن بن البيلماني، عن عمرو بن عبسة، به.

ففيه عبد الرحمن بن البيلماني، وهو ضعيف الحديث، وتلميذه يعلى بن عطاء، له مفاريد لا يرويها غيره، فقد قال ابن المديني رحمه الله: يعلى بن عطاء له أحاديث لم يروها غيره ، و رجال لم يرو عنهم غيره، لكن روي هذا الحديث من طرقٍ أخرى غير هذا السياق، وهي صحيحة، ثابتة.

(٧٣٣) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، في بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، بَابُ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى (٢٦٧٥).

(المسألة الثالثة) اعلم رحمك الله تعالى أن قرب الله تعالى قسمان :ـ قرب عام ، وقرب خاص ، فالقرب العام يقال فيه كما يقال في المعية العامة ، من أنه قرب مقتضاه العلم والإحاطة وكمال القدرة والتدبير وأنه لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه ، وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة للعابدين ، هكذا قال كثير من أهل السنة رحمهم الله تعالى ، مع أن بعض أهل السنة قال :ـ إن القرب الوارد في الأدلة إنما هو القرب الخاص ، والذي من مقتضياته الحفظ والنصر والتأييد والإجابة والإثابة ، وأما القرب العام فإنه لا دليل عليه ، فليس هناك قرب عام من جميع خلقه ، نعم المعية تنقسم إلى قسمين :ـ عامة وخاصة ،وأما القرب فإنه قسم واحد ، وهو القرب الخاص ، وأنا أرى والله تعالى أعلم أن الخلاف هنا لفظي ، لأن من وصف الله تعالى بالقرب العام إنما يقول هو قرب العلم والإحاطة والقدرة والتدبير والاطلاع على كل شيء ، ولا يعني به أن ذات الله تعالى حالة في الخلق ، فهو يرى أن ما ورد من الأدلة في المعية العامة تصلح أن تكون صادقة على القرب العام ، فالخلاف خلاف في العبارة ، لأن من نفى القرب العام لا ينفي كمال العلم ولا كمال الإحاطة ولا كمال القدرة ، ولكن يرفض أن يسميها قربا عاما ، والأولون يجوزون تسميتها بالقرب العام ، فعاد الأمر إلى الخلاف في العبارة ، وأما المضمون فهو متفق عليه ، والذي يسهل عليك فهم القرب العام أن تعرف حقيقة عظمة الرب وإحاطته بخلقه وأن السماوات السبع كخردلة في يد العبد ، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى ثم يهزُّهن ، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ، ويقرب من خلقه كيف شاء ، وهو على العرش سبحانه وتعالى تقدست أسماؤه وعظمت صفاته ، والخلاصة أن قرب الله تعالى من عباده نوعان :ـ قرب عام ، وقرب خاص وكلا القربين يقال فيها :ـ إنه قرب يليق بجلاله وعظمته ، وليس كقرب المخلوق من المخلوق ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) إن قلت :ـ ولماذا لم تستدل بقول الله تعالى{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق: ١٦] على إثبات قرب الله تعالى ؟ فأقول :ـ لقد اختلف سلف الأمة رحمهم الله تعالى في القرب المذكور ، أهو قرب الله تعالى ، أم قرب

الملائكة ؟ على قولين :ـ فقيل إن القرب المذكور في الآية هو قرب الله تعالى ، ويكون ذلك من القرب العام ، وقيل بل هو قرب الملائكة ، واختار هذا القول أبو العباس ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وابن كثير في التفسير ، فإن قال في تفسيره (وقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق: ١٦] يعني: ملائكته تعالى أقربُ إلى الإنسان من حبل وريده إليه. ومن تأوله على العلم فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } كما قال في المحتضر: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: ٨٥] يعني ملائكته. وكما قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] فالملائكة نزلت بالذكر -وهو القرآن-بإذن الله، عز وجل. وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله لهم على ذلك)

واختاره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ، فإنه قال في تفسيره (واختلف المفسرون في قوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ} [ق: ١٦] هل المراد قرب ذاته - جل وعلا - أو المراد قرب ملائكته؟ والصحيح أن المراد قرب ملائكته . ووجه ذلك أن قرب الله تعالى صفة عالية لا يليق أن تكون شاملة لكل إنسان، لأننا لو قلنا: إن المراد قرب ذات الله لكان قريباً من الكافر وقريباً من المؤمن. لأنه قال: {خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ} [الحجر: ٢٦] ، أي إنسان المؤمن والكافر {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ} [ق: ١٦] أي إلى هذا الإنسان الذي خلقناه من حبل الوريد، فإذا قلنا الآية الشاملة، وقلنا أن القرب هنا القرب الذاتي صار الله قريباً بذاته من الكافر، وهذا غير لائق، بل الكافر عدو لله - عز وجل – لكن الراجح ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن المراد بالقرب هنا قرب الملائكة، أي أقرب إليه بملائكتنا، ثم استدل لقوله بقوله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ } [ق: ١٧] فإذ بمعنى حين، وهي متعلقة بالقرب، أي أقرب إليه في هذا الحال حين {يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق: ١٧]) (٧٣٤)

(٧٣٤) آنظر كتاب التفسير سورة ق.

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى (إن هذه الآية لا تخلو إما أن يراد بها قربه سبحانه أو قرب ملائكته كما قد اختلف الناس في ذلك ، فإن أريد بها قرب الملائكة: فدليل ذلك من الآية قوله {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق: ١٦، ١٧] ففسر ذلك القرب الذي هو حين يتلقى المتلقيان، فيكون الله سبحانه قد أخبر بعلمه هو سبحانه بما في نفس الإنسان، {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} وأخبر بقرب الملائكة الكرام الكاتبين منه، {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} وعلى هذا التفسير تكون هذه الآية مثل قوله تعالى {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ } [الزخرف: ٨٠] أما إذا كان المراد بالقرب في الآية قربه سبحانه، فإن ظاهر السياق في الآية دل على أن المراد بقربه هنا قربه بعلمه، وذلك لورود لفظ العلم في سياق الآية {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} [ق: ١٦] إهـ كلامه .فلأن الراجح فيها أن المراد بالقرب هنا قرب الملائكة لم نجعلها من جملة الأدلة الدالة على صفة قربه جل وعلا ، والله أعلم .(٧٣٥)

*ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ــ

وله يدان كريمتان حقيقة   ذاتيتان بمحكم القرآن

أقول :ــ الكلام على هذا البيت في جمل من المسائل :ــ

(المسألة الأولى) يعتقد أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم أن لله تعالى يدين حقيقيتين ذاتيتين لائقتين بجلاله وعظمته ، فأهل السنة يؤمنون بصفة يدي الله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، نعم المخلوق له يدان ، ولكن قد تقرر عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، وأن الاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق بعد التقييد والتخصيص والإضافة ، ولأن الصفات تختلف باختلاف الإضافات ، فما أضيف إلى الله تعالى فغنه يكون لائقا بجلاله وعظمته ، وما أضيف إلى المخلوق

---

(٧٣٥) آنظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٩).

فإنه يكون مناسبا لضعفه وعجزه وحاله ، ولأن اليد لا تقوم بذاتها ، وقد أضافها الله تعالى ، فالله تعالى قد أضاف اليد إلى ذاته وهي لا تقوم بذاتها ، فيكون من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، لأن المتقرر عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أن الله تعالى إن أضاف إلى ذاته الكريمة أمرا لا يقوم بذاته فإن هذه الإضافة من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، وليس من باب إضافة التشريف والتكريم ، فانتبه لهذا ، وأجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى أن صفة اليدين من جملة الصفات الذاتية الملازمة لذات الله تعالى فلا تنفك عنها أزلا ولا أبدا .

(المسألة الثانية) وقد ثبتت تلك الصفة بالكتاب والسنة والإجماع ، قال تعالى{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص: ٧٥]وقال تعالى{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤] وقال تعالى{بِيَدِكَ الْخَيْرُ} [آل عمران: ٢٦]وقال تعالى{بِيَدِهِ الْمُلْكُ } [الملك: ١] وقال تعالى{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: ١٠]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : قال : قال رسول الله - ﷺ- : «إنَّ المُقْسِطِينَ عند الله على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمينِ الرَّحْمنِ - وكلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ - الَّذينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهمْ وَمَا وَلُوا». أخرجه مسلم ، (٧٣٦)

وفي الصحيح عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَطوي الله - عز وجل - السمواتِ يوم القيامة ، ثم يأخُذُهُنَّ بيده اليُمني ، ثم يقول: أنَا الملكُ ، أيْن الجبَّارُون ؟ أينَ المتَكبِّرون ؟ ثم يطوِي الأرض بشِماله ، ثم يقول : أنا الملكُ ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟». هذه رواية مسلم.(٧٣٧)

وفي رواية البخاري قال :«إن الله -عز وجل- يَقبِضُ يومَ القيامةِ الأَرَضينَ ، وتكونُ السموات بِيَمِينِهِ ، ثم يقولُ : أنا الملكُ» (٧٣٨)

---

(٧٣٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ (١٨٢٧).

(٧٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة، والجنة والنار (٢٧٨٨).

(٧٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (٧٤١٢).

وفي الصحيح أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :ـ قال رسول الله ﷺ «احتجَّ آدم وموسى عند ربهما ، فحجَّ آدم موسى، قال موسى : أنتَ آدمُ الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جَنَّتِهِ ، ثم أهْبَطْتَ الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تِبْيَانُ كُلِّ شيء ، وقَرَّبَكَ نَجيا ؟ فَبِكَمْ وجَدْت الله كتب التوارة قبل أن أُخلَقْ ؟ قال موسى : بأربعين عاما ، قال آدم : فهل وجَدْت فيها {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى }؟ [طه: ١٢١] قال : نعم ، قال: أفتلُومُني على أن عَمِلتُ عملا كتَبَه الله عليَّ أنْ أعمله قبل أن يَخْلُقني بأربعين سنة ؟ قال رسولُ الله -ﷺ- : فحجَّ آدمُ موسى عليهما السلام» (٧٣٩)

والشاهد منه أن موسى قال لآدم " وخلقك الله بيده " ،

وفي الصحيح أيضا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- : «ما تصدَّقَ أحد بصدقة من طَيِّب - ولا يقبل الله إلا الطَّيبَ - إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تَمْرَة ، فتربو في كَفِّ الرحمن حتى تكونَ أعظمَ من الجبل، كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّه أو فَصيلَه» (٧٤٠)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسولَ الله -ﷺ- قال : «قال الله عز وجل : يا ابن آدم ، أُنفِقْ أُنفِقْ عليك ،وقال : يدُ الله ملآى ، لا يَغيضُها نفقة، سحَّاء الليل والنهار ، أَرَأَيتم ما أنْفَقَ منذُ خلق السمواتِ والأرضَ ؟ فإنه لم يَغض ما بيده ، وكان عرْشُه على الماء ، وبيده الميزانُ ، يَخفِضُ ويَرفَعُ» (٧٤١)

---

(٧٣٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٢)، بهذا اللفظ، لكن رواه البخاري وغيره بغير هذا اللفظ.

(٧٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا (١٠١٤).

(٧٤١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} (٤٦٨٤) كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}(٧٤١١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ (٩٩٣).

وفي رواية : «وبيده الأخرى الفيض أو القبضُ ، يرفع ويخفض»(٧٤٢) ، أخرجه البخاري ومسلم ،

وفي سنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :ــ قال النبي ﷺ «إنَّ اللهَ حينَ خلقَ الخلقَ كَتَبَ بيدِهِ على نفسه: إنَّ رَحمَتي تَغْلِبُ غَضَبي»(٧٤٣)

واخترت رواية الترمذي لأن فيها قد ذكر موضع الشاهد ، وهو قوله " بيده " ،

وعن مالك بن نضلة - رضي الله عنه - : أَنَّ رسولَ اللَّهِ -ﷺ ــ قال : «الأَيدي ثلاثة : فيدُ الله العليا ، ويدُ المعطي التي تليها ، ويدُ السائل السفلى ، فأعطِ الفضْلَ ، ولا تَعْجِزْ عن نفسك». أخرجه أبو داود. (٧٤٤)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله-ﷺ- : «لَمَّا خَلَقَ الله آدَمَ ، ونفَخَ فيه الرُّوحَ عَطسَ ، فقال : الحمدُ لله ، فَحمِدَ اللهِ بِإِذْنِه ، فقال له رَبُّهُ :

---

(٧٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد بابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ}، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} (٧٤١٩).

(٧٤٣) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٩٥٩٧)، والترمذي في سننه في أبواب الدعوات (٣٥٤٣)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤١٩٩)، والبزار في مسنده (٨٣٧١) .

من طريق: محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة، به.

وفيه محمد بن عجلان، قد قال فيه الحافظ في التقريب: صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة.

إلا أن الروايات الصحيحة كما عن البخاري ومسلم بلفظ: لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده : إن رحمتي تغلب غضبي.

ويلاحظ هنا عدم ذكر اليد، وإن كانت ثابتة بالكتاب والسنة، لكن في هذا الحديث تكون زيادة شاذة زادها ابن عجلان، وهو كما سبق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة

(٧٤٤) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٥٨٩٠)، (١٧٢٣٢)، وأبو داود في سننه في كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف، (١٦٤٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٤٠)، وابن الأعرابي في معجمه (١٢٩٧)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٦٢)، والحاكم في المستدرك (١٤٨٣)،

من طريق: عبيدة بن حميد التيمي، عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو الجشمي، عن أبي الأحوص عوف بن مالك، عن أبيه مالك بن نضلة، به.

ففيه: عبيدة بن حميد التيمي، وهو صدوق يحسن حديثه، وباقي إسناد فرجاله ثقات.

يَرْحَمُكَ اللهُ يا آدَمُ اذْهَبْ إلى أُولئكَ الملائكةِ - إلى مَلإٍ منهم جلُوس- فقُلْ : السلامُ عليكم ، فقال : السلام عليكم ، قالوا : عليك السلام ورحمةُ الله ، ثم رَجَعَ إلى رَبِّهِ ، فقال : إنَّ هذه تَحِيَّتُكَ، وتَحيَّةُ بَنيكَ بينهم، فقال له : الله ، ويَدَاهُ مَقْبوضَتانِ : اخترْ أيَّهما شِئْتَ ، قال : اخْتَرْتُ يَمينَ رَبي ، وكلتا يَدَيْ ربي يَمينٌ مُباركة، ثم بسطها ، فإذا فيها آدم وذُرْيَّتُهُ ، فقال : أي رَبِّ ، ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذُرِّيَّتُك ، فإذا كُلُّ إنْسانٍ مَكتُوبٌ عُمرُهُ بين عَينَيْهِ ، فإذا فيهم رجلٌ أضْوأُهُمْ - أَو مِنْ أَضْوَئِهِم - قال : يا رَبِّ ، مَنْ هذا ؟ قال : هذا ابنُكَ دَاودُ ، كتبتُ له عُمُرَ أربعين سَنة، قال : يا رَبِّ زِد في عُمْرِهِ ، قال : ذلك الَّذي كَتبتُ له ، قال : أي رَبِّ ، فإني قد جَعلْتُ له مِنْ عُمري سِتينَ سَنَة ، قال: أنتَ وَذَاكَ ، قال: ثم سَكَنَ الجَنَّةَ ما شاء الله، ثم أُهْبِطَ منها ، وكان آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ ، فأتَاهُ مَلَكُ الموتِ ، فقال له آدَمُ : قد عَجِلتَ ، قد كُتبَ لي ألفُ سَنَةٍ ، قال : بَلى ، وَلكنَّكَ جَعلتَ لابنكَ داودَ ستين سنة، فَجَحَدَ ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنسيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُه . قال : فَمِنْ يَوْمئِذٍ أُمِرَ بالكتابِ والشُّهودِ» أخرجه الترمذي، (٧٤٥)

وعن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - يرفعه إلى النَّبيِّ -ﷺ- قال : سأل موسى عليه السلام ربَّه : ما أدنَى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أُدْخِلَ أهل الجنَّة الجنةَ ، فيقال له : ادخُل الجنَّة ، فيقول : أي ربِّ كيف وقد نزلَ الناسُ منازلَهم ، وأخذوا أَخَذَاتِهم ؟ فيقال له : أَما ترضى أن يكون لك مثلُ مُلْكِ مَلِك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيتُ ربِّ ، فيقول : لك ذلك ومثلهُ ومثلهُ ومثلهُ ومثلهُ ، فقال في الخامسة : رضيتُ ربِّ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله : «ولك ما اشتهت نَفْسُكَ ، ولذَّتْ عينُكَ ، فيقول : رضيتُ رب ، قال ربِّ : فأعلاهم منزلة : قال :

---

(٧٤٥) حسن

أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب التفسير، (٣٣٦٨)، وابن حبان في صحيحه (٦١٦٧) والحاكم في المستدرك (٢١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٥٢٠) و الأسماء والصفات له (٧٠٨)

من طريق: صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، إلا أن الحارث بن عبد الرحمن يهم في الحديث، ولكن يحسن حديثه، فهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب.

أولئك الذين أردتُ ، غرَستُ كرامتَهم بيدي ، وختمتُ عليها ، فلم ترَ عين ، ولم تسْمع أذُن ، ولم يخْطُرْ على قلْبِ بشر " (٧٤٦)

والشاهد منه قوله " وغرست كرامتهم بيدي " ،

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال :قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- «تكون الأرض يوم القيامةُ خُبْزة واحدة ، يتكافَّؤها الجبَّارُ بيده كما يتكفَّؤ أحدُكم خبزتَه في السَّفَر ، نُزلا لأهل الجنَّة» أخرجه البخاري ومسلم. (٧٤٧)

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : «إنَّ الله - عزَّ وجلَّ- يبْسُطُ يدَهُ باللَّيْلِ ليَتوبَ مُسيءُ النهار ، ويبسُطُ يدَه بالنَّهار ليتُوبَ مُسيء الليلِ، حتى تطْلُعَ الشمسُ من مغرِبها». أخرجه مسلم. (٧٤٨)

وقال أنس بن مالك قال رسول الله خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده فقال لها تكلمي فقالت {قد أفلح المؤمنون}، (٧٤٩)

وأما الإجماع فقد أجمعت كلمة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى على الإيمان بان لله تعالى يدين لائقتين بجلاله وعظمته ، ولا يزال أهل السنة والجماعة يثبتون يدي الله تعالى في كتبهم العقدية ، والله أعلم.

(المسألة الثالثة) أقول :ـ اعلم أرشدك الله تعالى لطاعته أن أهل السنة متفقون على إثبات اليدين لله تعالى ، ومجمعون على أن إحدى هاتيت اليدين يمين في

---

(٧٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٨٩).

(٧٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابٌ: يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ (٦٥٢٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة، بَابُ نُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (٢٧٩٢).

(٧٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ (٢٧٥٩).

(٧٤٩) حسن

أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٤٨٠)، وابن بطة في الإبانة (٢٣١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٩١).

من طريق: علي بن عاصم، عن حميد، عن أنس، به.

ففيه: علي بن عاصم، وهو مختلفٌ في توثيقه، وتجريحه لكن خلاصة القول فيه أنه يحسن حديثه، فقد قال فيه الحافظ في التقريب: صدوق يخطئ.

الخير وفي الاسم أيضا ، ومجمعون على أن اليد الأخرى توصف بأنها يمين ولكن في الخير والعطاء والبركة والإنفاق ، ولكن هل تسمى باسم الشمال ؟ وأنا ذكرت لك تحرير محل النزاع في هذه المسألة ، فالخلاف بين أهل السنة والجماعة إنما هو في اسم اليد الأخرى فقط ، وليس في إثباتها أو أنها يمين في العطاء والخير والبركة ، فانتبه لهذا بارك الله تعالى فيك ، وبه تعلم وفقك الله تعالى أن الخلاف في هذه المسألة بسيط يسير ، وليس الخلاف فيها من جملة الخلاف الموجب للتبديع ولا التضليل ولا التهاجر والتراشق بالتهم ، لأنه قد قال بكل قول أئمة كبار من أهل السنة ، فالخلاف فيها سائغ ، وقد كنت في إتحاف أهل الألباب قلت بأنه يصح إطلاق اسم الشمال عليها ، ولكن توقفت في الجزم بقبول هذا الإطلاق على النظر في حال عمر بن حمزة والذي هو راوي حديث الشمال عن سالم عن ابن عمر ، والذي أو جب الإشكال هو أن هناك أحاديث كثيرة يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم " وكلتا يديه يمين "

وهناك حديث عمر بن حمزة عند مسلم وفيه قوله " ثم يطوي الأرضين فيأخذهن بشماله "(٧٥٠) فكيف يسميها يمنا تارة ، ويسميها شمالا تارة ؟ وفي الحقيقة أنه لا إشكال في ذلك ولله الحمد والمنة وبيانه أن يقال :- لنا عن ذلك جوابان :- الأول :- أن رواية "بشماله " جاءت من طريق ضعيف فإنه من طريق عمر بن حمزة وهو ضعيف الحديث ، قال فيه أحمد :- أحاديثه مناكير ، وقال النسائي :- ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات وقال :- كان ممن يخطئ وقال فيه ابن حجر :- ضعيف وبالجملة فكل حديث يذكر فيها الشمال أو اليد اليسرى مضافة إلى الله تعال فإنه ضعيف ، وهذا بالاستقراء ، وحيث كان سند إثبات الشمال ضعيفاً فالأقرب إن شاء الله تعالى أنه لا يثبت به اسم الشمال على اليد الأخرى ونبقى على ما صح من قوله ﷺ " وكلتا يديه يمين " وهناك جواب ثان تسليمي جدلي وهو أن يقال :- سلمنا أن الحديث في إثبات الشمال قد بلغ رتبة الاحتجاج فنقول فيه أنها شمال في الاسم فقط ، ولكنها يمين في الخير والعطاء والنفقة ، فتكون الأولى يمين في الاسم ويمين في البذل والعطاء والنفقة ، والثانية شمال في الاسم ويمين في الخير وهذا جواب

---

(٧٥٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة (٢٧٨٨).

مليح لكنه يقال لمن ذهب إلى صحة حديث عمر بن حمزة ، وبهذا تعرف أنه لا إشكال في الأحاديث سواء ضعفنا حديث عمر بن حمزة أو صححناه ، مع أن الذي نراه راجحا في هذه المسألة هو ضعف الحديث الوارد في الشمال ، وأنه لم يثبت عنه النبي ﷺ فيه شيء ، ولم يصح فيه حديث ، وأمثل ما روي فيها حديث عمر بن حمزة هذا ، ولكنه حديث ضعيف كما عرفت ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) قد يقول لنا قائل :ـ إننا نجد أن صفة اليدين قد وردت في الأدلة على ثلاثة أوجه ، فوردت مفردة ، كما في قوله تعالى{بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك: ١] وقوله{بِيَدِكَ الْخَيْرُ } [آل عمران: ٢٦] ووردت مثناة ، كما في قوله تعالى{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤] وقوله{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] وفي الحديث" وكلتا يدي ربي يمين مباركة " ووردت مجموعة ، كما في قوله {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} [يس: ٧١] إذا قلنا إن هذه الآية تتكلم عن اليد التي هي صفة لله تعالى ، فإن كان الأمر فيها كذلك فتكون قد وردت على ثلاثة أوجه ، الإفراد ، والتثنية ، والجمع ، فكيف مرة يصفها بأنها يد واحدة ، ومرة يثنيها ومرة يجمعها ؟ والجواب عن ذلك أن يقال :ـ لا إشكال ولله الحمد والمنة في شيء من ذلك ، وبيان الجواب هو أن التثنية لا إشكال فيها ولله الحمد ، فإننا نؤمن أن لله تعالى يدين اثنتين لائقتين بجلاله وعظمته جل وعلا ، فقوله{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤] وقوله{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} متفق مع ما يعتقده أهل السنة من أن الله تعالى له يدان حقيقة ، فالتثنية لا إشكال فيها ، وبقي عندنا الإفراد والجمع ، فأما الإفراد فإن اليد ذكرت مفردة ولكنها مضافة إلى الله تعالى ، فقال{بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك: ١] وقوله{بِيَدِكَ الْخَيْرُ } [آل عمران: ٢٦] فهي مفردة مضافة ، والمتقرر عند العلماء أن المفرد المضاف يعم ، أي أن قوله{بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك: ١] وقوله{بِيَدِكَ الْخَيْرُ } [آل عمران: ٢٦] لا يدل على يد واحدة ، إلا عند الجاهل بالقواعد والأصول ، بل هو لفظ شامل لكل ما لله تعالى من يد ، وقد قررنا أن له يدين ، فاليدان تدخل تحت هذا اللفظ ، لأنه لفظ عام لكل أفراده ، فقوله{بيده الخير} كأنه قال:ـ بيديه الخير ، وقوله {بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك: ١] كأنه قال :ـ بيديه الملك ، فالتعبير بالمفرد المضاف لا يتنافى مع التثنية ، وهذا واضح ، فبان لنا ولله الحمد أن التثنية لا إشكال فيها وأن الإفراد لا إشكال فيه ، وبقي عندنا الجمع ،

فيقال فيه :ـ إن النون في قوله{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا} [يس: ٧١] ليست هي نون الجمع ، لا ، بل هي نون المعظم نفسه ، كقول الملك :ـ قد أعطيناك كذا وكذا ، مع أنه واحد ، ولكنه أخرج نفسه مخرج الجمع من باب تعظيم نفسه ، فالنون في هذه الآية لا يراد بها حقيقة الجمع ، بل يراد بها التعظيم ، كما قال تعالى{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] مع أنه الواحد الحد ، ولكن هذه النون المعظم نفسه ، والله تعالى هو الأحق الأحقية الكاملة المطلقة المتناهية لكل معاني التبجيل والتعظيم ، وعلى هذا فقوله{أيدينا}لا يتنافى مع قوله{بيده} وكلاهما لا يتنافيان مع قوله{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤] فالكل صدق وحق ، ولا إشكال فيه ولله الحمد والمنة .

(تنبيه) بقي أن نقول :ـ لماذا قلت في وجه الجمع في قوله تعالى{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا } [يس: ٧١] قلت :ـ إن كانت هذه الآية تتكلم عن صفة يدي الله تعالى ، لماذا قلت ذلك ؟ والجواب :ـ قلت ذلك لأن القرآن نزل باللسان العربي المبين ، فالقرآن عربي في ألفاظه ،وعربي في استعمالاته ، وعربي في معانيه ، وعربي في بلاغته وفصاحته ، وقد جرت عادة العرب في لسانها أنها إن أضافت الفعل إلى نفس الصفة فإنها تريد بذلك التعبير عن الذات والنفس ، كما قال تعالى{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ } [آل عمران: ١٨٢] فنسب التقديم إلى الأيدي ، مع أنهم ارتكبوا المعاصي والآثام بأيديهم وأرجلهم وألسنتهم ، فلماذا يخصه باليد فقط ؟ والجواب :ـ أن هذا جار على استعمال العرب في هذا من أنهم إن أضافوا الفعل إلى الصفة فإنهم يريدون نفس الفاعل ، فقوله تعالى{بما قدمت أيديكم} أي بما كسبت أنفسكم ، وكذلك قوله تعالى{ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس}فهنا أضاف الكسب إلى الصفة ، فيكون المراد نفس الإنسان وذات الإنسان ، فيكون المعنى :ـ بما كسبتم أنتم بأنفسكم ، وكقولهم :ـ يداك أوكتا وفوك نفخ ، فأضافوا الفعل إلى اليد والفم ، والمراد عندهم أنك بنفسك الذي جنيت على نفسك ، وهذا في القرآن كثير ، وفي كلام العرب في أشعارها ونثرها كثير جدا ، فإذا أضافوا الفعل إلى الصفة فإنما يريدون بها الذات أو نفس المضاف إليه ، فقوله تعالى{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} [يس: ٧١]على ما تقرر في لغة العرب أن المراد بالأيدي هنا أي النفس ، أي مما عملنا نحن ، لأنه أضاف العمل إلى اليد نفسها ، ولكن إن أراد الله تعالى

إثبات صفة اليد له فإنه يضيف الفعل له ويعديه بحرف الباء ، كما في قوله{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] فهنا أضاف الخلق له ، وعداه بالباء إلى اليد ، فهنا لا جرم أنها تدل على إثبات صفة اليد ، والمقصود :ـ أننا ولله الحمد لسنا من أهل التحريف ولا التعطيل ، فنحن نؤمن بأن الله تعالى له يدان كريمتان حقيقة ، وأنهكا من صفاته الذاتية ، ولكن كون هذا الدليل المعين يدل على صفة اليد أو لا ، هذا محل اجتهاد ونظر ما لم يكن هناك إجماع أو فهم معين منقول عن سلف الأمة ، ويدل على أن قوله{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} [يس: ٧١] هو على ما ذكرنا من أنها يراد به ذات الرب جل وعلا أو هو نفسه ، أن الله تعالى خلق آدم بيده ، فلو كانت لأنعام المذكورة في هذه الآية مخلوقة بيد الله تعالى لما كان بين خلق آدم وخلقها فرق ، فهو مخلوق بيد الله ، والأنعام مخلوقة بيد الله ، وهل يقول هذا أحد ، فهذا يدلك على أن المراد بقوله هنا{أيدينا} أي أنفسنا ، فهو كقوله :ـ عملنا ، خلقنا ،

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الصواعق المرسلة (فإن كل أحد يفهم من قوله { عَمِلَتْ أَيْدِينَا} [يس: ٧١] ما يفهمه من قوله (عملنا) (وخلقنا) كما يفهم ذلك من قوله{فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: ٣٠] وأما قوله{خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى ، فكيف وقد دخلت عليها الباء فكيف إذا ثنيت ، وسر الفرق أن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد والمراد الإضافة إليه كقوله{بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ} [الحج: ١٠] وقوله تعالى{فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: ٣٠] وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عدي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو ما باشرته يده ،

ولهذا قال عبدالله بن عمرو :ـ إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثا خلق آدم بيده وغرس جنة الفردوس بيده وذكر الثالثة ...

فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة وقد أخبر النبي ﷺ "أن أهل الموقف يأتونه يوم القيامة فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك

ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك (٧٥١)" فذكروا أربعة أشياء كلها خصائص

وكذلك قال آدم لموسى في محاجته له " اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده " وفي لفظ آخر "كتب لك التوراة بيده " وهو من أصح الأحاديث (٧٥٢)،

وكذلك الحديث الآخر المشهور ، أن الملائكة قالوا " يا رب خلقت بني آدم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله تعالى لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان " (٧٥٣)

---

(٧٥١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٣٣٤٠)، كتاب التفسير، بَابُ {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٤).

(٧٥٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى عِنْدَ اللَّهِ (٦٦١٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٢).

(٧٥٣) ضعيف

أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٠٦٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٥٢١)

من طريق: عثمان بن حصن بن علاق، وهو ثقة

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٦٨٨)،

من طريق: عبد ربه بن صالح القرشي، وهو مجهول

كلاهما –عثمان وعبد ربه– عن عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله، به.

فظاهر إسناد عبد الله بن أحمد الصحة، إلا أن عروة بن رويم وإن كان ثقة، إلا أنه يروي عن جابر مرسلا، كما قال الخزرجي في الخلاصة (١/ ٢٦٥)،

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦١٧٣)،

من طريق: طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو، به.

وفيه طلحة بن زيد وهو متروك،

وأخرجه ابن بطة في الإبانة (٢٣٦)،

من طريق: خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، من قوله.

وفيه خارجة بن مصعب، وهو متروك،

وهذا التخصيص إنما فهم من قوله{خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] فلو كانت مثل قوله{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} [يس: ٧١] لكان هو والأنعام في ذلك سواء فلما فهم المسلمون أن قوله{خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥]موجبا له تخصيصا وتفضيلا بكونه مخلوقا باليدين على من أمر أن يسجد له ، وفهم ذلك أهل الموقف حين جعلوه من خصائصه كانت التسوية بينه وبين قوله{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} [يس: ٧١] خطأ محضا) وكلامه ظاهر واضح ، من أجل ذلك قلنا في الجمع بين الأوجه التي وردت عليها صفة اليد :ـ إن كانت الآية التي في الجمع تدل على صفة اليد ، والله أعلم .

(تنبيه ثاني) إن قلت :ـ وهل قوله تعالى{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات: ٤٧] هل هذه الآية تدل على صفة اليدين لله تعالى ؟ والجواب :ـ لا ، ليست هذه من جملة الآيات الدالة على إثبات صفة اليد لله تعالى ، لأن الأيد هنا مأخوذ من آد يؤود ، وهو القدرة والقوة ، فقوله { بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } أي بقوة وقدرة ، فالأيدُ في هذه الآية لفظ مفرد وليس بجمع لليد ومعناه القوة كما فسره حبر الأمة فهو كقوله تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ١٧] يعني ذا القوة في عبادة الله ، ولم يفسرها أحد بغير ذلك ، وهذا التفسير للأيد في قوله تعالى{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } [الذاريات: ٤٧]منقول عن ابن مسعود رضي الله عنه ،

فقد روى البيهقي في الأسماء والصفات من طريق إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ قُلْتُ : وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ يَعْنِي بِقُوَّةٍ .... (٧٥٤)

وأخرجه الدارمي في نقضه على المريسي (١/ ٢٥٧)
من طريق: هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عمرو بن العاص، من قوله.
وهذا من أسلم الأسانيد، إلا أن عمرو بن العاص كان مشهورًا بالأخذ عن أهل الكتاب،
فالحديث من كل طرقه لا يصح، والله أعلم.
(٧٥٤) صحيح.

ومنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه البيهقي أيضا في الكتاب المذكور من طريق عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما في قوله : {بأيد} قال : يقول بقوة ... (٧٥٥)

ومنقول عن مجاهد كما رواه البيهقي أيضا من طريق آدم بن أبي إياس ، حَدَّثَنَا ورقاء عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله عز وجل : {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } [الذاريات: ٤٧]قال : يعني بقوة .... (٧٥٦)

وهو قول عامة أهل السنة فيما نعلمه ،

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الحروف والقراءات (٣٩٩٣) والترمذي في سننه أبواب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ومن سورة الذاريات (٢٩٤٠) والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٦٣،٧٦٦٠) وأحمد في المسند (٣٩٧٠،٣٧٧١،٣٧٤١) وأبي يعلى في مسنده (٥٣٣٣) والبزار في مسنده (١٨٩٧) وابن أبي شيبة في مسنده (٣٠٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٧،١١٤،٢٥١).

وكلهم من طرق عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود ﷺ به.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٣٢٩).

من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله بن مسعود ﷺ به.

(٧٥٥) ضعيف

أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٥٢).

علي هو بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس قال دحيم : لم يسمع من ابن عباس التفسير، وقال أبو حاتم علي بن أبي طلحة عن بن عباس مرسل إنما يروي عن مجاهد والقاسم بن مُحَّد، وسئل صالح بن مُحَّد عن على بن أبى طلحة ممن سمع التفسير قال: من لا أحد. انظر تهذيب التهذيب (٧ / ٣٤٠) وجامع التحصيل (٥٤٢).

وعبد الله بن صالح كاتب الليث "ضعيف". انظر تهذيب التهذيب (٥ / ٢٦٠).

(٧٥٦) ضعيف.

أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٥٣).

عبد الله بن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد ، قَالَ يَحيى القَطّان: لم يسَمِع ابْن أَبِي نَجِيح من مُجاهِد التفسير كله، يدور على القاسم بْن أَبِي بَزَّة . (التاريخ الكبير ٥/٢٣٣). وقال ابن حبان : ابن أبى نجيح نظير ابن جريج فى كتاب القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى " التفسير " رويا عن مجاهد من غير سماع . (تهذيب التهذيب ٦ / ٥٤).

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى (وقال : {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } [الذاريات: ٤٧]أي بقوة) والخلاصة أن هذه الآية ليست من جملة الآيات التي تتكلم عن صفة اليد ، والله أعلم (٧٥٧)،

(المسألة الخامسة) هل أثبت أهل البدع صفة اليدين لله تعالى ، وماذا قالوا فيها ، وكيف الرد عليهم؟ والجواب أن يقال :ـ لقد أبى أهل البدع كعادتهم قبول هذه الصفة ، فلم يؤمنوا بأن الله تعالى يدين ، لأن المخلوق له يدان ، فلو أثبتنا لله تعالى اليدين لاستلزم أن تكون كيد المخلوق ، فاليدان إنما يوصف بها المخلوق فقط ، وأما الخالق فتعالى أن يكون له يدان ، وأما اليد المضافة إلى الله تعالى في الأدلة فغنه لا يراد بها حقيقة اليد ، كما فهمه أهل السنة ، بل يراد بها النعمة أو القدرة ، والخلاصة أن أهل البدع من الجهمية والأشاعرة والمعتزلة ومن نحا نحوهم من أهل البدع لا يمنون بصفة اليدين ، بل حرفوها إلى النعمة والقدرة ، وهذا تحريف باطل ورأي عن البرهان عاطل ، والجواب عنه من عدة وجوه :ـ

الأول :ـ أنه مخالف لمنهج سلف الأمة وأئمتها ، ومخالف لفهم الصحابة والسلف الصالح ، فإن السلف رحمهم الله تعالى مجمعون على إثبات يدي الله تعالى على الوجه اللائق به ، ولا يفهمون من الأدلة الواردة في إثبات اليدين إلا أنها من جملة صفاته جل وعلا حقيقة ، فحيث كان هذا هو منهج السلف وهذا فهمهم فالمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة وأئمتها في العقيدة والعمل فإنه باطل ، والمتقرر أن الإجماع حجة شرعية يجب قبولها واعتمادها والمصير إليها وتحرم مخالفتها ، وأنت خبير بأن مسائل العقيدة لا يعتبر فيها خلاف أهل البدع ، بل المعتبر فيها اتفاق أهل السنة خاصة ، فما قاله أهل البدع في صفة اليدين مخالف لما فهمه المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من أئمة أهل السنة ، وما خالفهم فهم السلف ومنهجهم فهو من أبطل الباطل .

الثاني :ـ أنه تحريف لا دليل عليه ولا داعي له ، فضلا عن كونه محدثا في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام ، والمتقرر أن كل إحداث في الدين فهو رد .

---

(٧٥٧) لم أقف عليه.

الثالث :ــ أنه خلاف اللغة التي نزل بها القرآن ، فإن العرب لا تذكر القدرة والنعمة مضافة بلفظ التثنية ، وإنما تطلقها مجموعة أو مفردة مضافة ، فلا تقول العرب :ــ هذا الرجل قدرتاه مبسوطتان ، ولا تقول :ــ نعمتاي مبسوطتان ، ونحو ذلك ، فالعرب لا تطلق القدر ولا النعمة بلفظ التثنية ، وفي الآية قوله تعالى{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤] ولا يمكن على مقتضى لغة العرب أن يكون المعنى :ــ بل قدرتاه مبسوطتان ، أو نعمتاه مبسوطتان ، هذا الكلام لو تكلم جاهل بلغة العرب لم يقبل منه ، ولكان كلامه موصوفا بالعي ، فكيف والمتكلم بهذا القرآن هو الله تعالى ، ولكن صدق الله تعالى حيث قال{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الزمر: ٦٧] فهذا التركيب في هذه الآية ــ أعني قوله تعالى{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤] ينسف تحريف أهل البدع ، وكذلك قوله تعالى{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] فأخرج اليد هنا مثناة ، فلا يمكن أبدا أن يكون المراد بها النعمة والقدرة ، لأن الكلام سيكون هكذا :ــ لما خلقت بنعمتي ، أو لما خلقت بقدرتي ، وهذا لا تعرفه العرب في كلامها ، فإن قلت :ــ أو لم يقل النبي ﷺ " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس " فهنا ذكر النعمة مثناة ، فكيف تقول إن العرب لا تعرف تثنية النعمة ؟ فأقول :ــ نعم ، ولكن هل أضافها في الحديث إلى أحد ، الجواب :ــ لا ، ونحن لا نتكلم عن لفظ النعمة والقدرة إن كان مجردا عن الإضافة ، وإنما نقول :ــ لفظ النعمة والقدرة لا يرد مضافا بلفظ التثنية ، فلا يقال :ــ نعمتاي ولا قدرتاي ، فانتبه لهذا ، فنحن نقصد ورودها مضافة إلى ضمير المتكلم أو ضمير المخاطب ، ومن المعلوم أن العرب استعملت لفظ اليد وأرادت به النعمة والقدرة ، نحن لا ننكر هذا ، ولكن لا بد وأن تعلم أنه لا يلزم من صلاحية اللفظ لمعنى ما في تركيب صلاحيته له في كل تركيب ، فورود اليد في قوله تعالى{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة: ٦٤] وفي قوله{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] ورودها في هذا التركيب خاصة ، يبعد أن يكون المراد بها النعمة والقدرة ، لأنها وردت مضافة بلفظ التثنية ، والعرب لا تضيف النعمة والقدرة بلفظ التثنية ، وقد أفاد ابن القيم رحمه الله تعالى بأنه ليس في المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية كقوله {أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [البقرة: ١٦٥]، وكقوله: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل: ١٨]، وقد يجمع النعم كقوله: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: ٢٠]،

وأما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو بنعمتين فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله. والله أعلم.

الرابع :ـ ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى في رده على تحريف اليدين إلى مجرد النعمة والقدرة من أن اطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز. ألا ترى في قوله: { خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } وقوله { يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } وقوله: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } . فلو كان مجازًا في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين وقوله في الحديث الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين فلا يقال هذا يد النعمة والقدرة». وقوله «يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك». فهاهنا هز وقبض وذكر يدين ولما أخبر - ﷺ - جعل يقبض يديه ويبسطهما تحقيقًا للصفة لا تشبيهًا ، ووصف هذه اليد في الأدلة بأن لها كفا ، وأصابع ، وهذا التنويع يبعد أن يكون المراد بها مجرد النعمة والقدرة .

الخامس :ـ أن جمل الأدلة الواردة في شأن اليد على النعمة والقدرة هو في الحقيقة انتقال عن ظاهر الدليل إلى معنى آخر ، والمتقرر أنه لا يجوز لأحد أن ينتقل عن ظاهر الدليل إلى معنى آخر إلا بدليل ، لأن الأصل هو وجوب البقاء على الظاهر حتى يرد الناقل ، وليس هناك دليل يضطرنا إلى الانتقال عن ظاهر الأدلة الواردة في إثبات صفة يدي الله تعالى . وحيث لا دليل فالأصل هو البقاء على الأصل ، وهو إثبات صفة اليدين لله تعالى ، لأنه هو الظاهر من تلك الأدلة .

السادس :ـ أن حمل لفظ اليد الوارد في تلك الأدلة على النعمة والقدرة هو حمل للكلام على مجازه ، وهذا خلاف الأصل ، لأن المتقرر أن الأصل في الكلام الحقيقة ، ولا يجوز العدول عن حقيقة الكلام إلى مجازه إلا بقرينة صارفة ، ولا نعلم أنه قد ورد هنا ما يوجب الانصراف عن حقيقة الكلام إلى مجازه ، وحيث لا قرينة فالأصل هو البقاء على الحقيقة ، والحقيقة من هذه الأدلة هي إثبات صفة اليدين لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته جل وعلا .

السابع :ــ أن حمل لفظ اليد الوارد في الأدلة على معنى النعمة يلزم منه بلية كبيرة ،وهي أن الله تعالى قد خلق أبانا آدم بيده ، أليس كذلك ؟ الجواب :ــ نعم ، ثم لما خلقه أمر الملائكة بالسجود له ، أليس كذلك ؟ الجواب :ــ نعم ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، فأنكر الله تعالى عليه بقوله{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص: ٧٥] فقوله{بيدي}فيه بيان المزية التي اختص بها أبونا آدم ، والتي من أجلها أمر الله تعالى الملائكة كلهم بالسجود له ، وهي أنه خلقه بيديه ، وتلك هي المزية التي تميز بها عن إبليس ، فإبليس مخلوق بالقدرة ، وأما آدم فإنه مخلوق بيدي الله تعالى ، فلو أن المراد بلفظ اليد الوارد في الأدلة مجرد القدرة لما كان هناك مزية لآدم على إبليس ، لأنهما مستويان حينئذ في أن كل واحد منهما مخلوق بالقدرة ، فانظر إلى هذا الخبيث كيف توصل ببعض بني آدم بالكيد الخفي حتى أوصلهم إلى تعطيل الرب جل وعلا عن الصفة التي خلق آدم بها ، حتى يبطل الخبيث تلك المزية لأبينا آدم ، فإن الله تعالى خلق آدم بيديه ، فأراد إبليس اللعين أن يبطل أولاد آدم تلك الصفة التي خلق بها أبوهم ، والتي كان خلق أبيهم بها علة لتفضيله على إبليس ، فانظر كيف خبث هذا الخبيث ، وقد نجح بإغواء أهل البدع ، ولكنه فشل الفشل الذريع المخزي أما أهل السنة والجماعة ، فلو كان المراد باليد المضافة إلى الله تعالى في قوله تعالى {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص: ٧٥]لو كان المراد بها مجرد القدرة لما كان لآدم فضل على إبليس ، والعجيب أن الله تعالى لما قال لإبليس{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص: ٧٥]لم يعارض إبليس في تلك المزية ، وأن آدم فعلا خلقه الله تعالى بيده ، لأن إبليس يعلم ذلك قطعا ، ويعلم أن لله تعالى يدين قد خلق بهما آدم ، فلم يعارض في ذلك ، ولكن هؤلاء الأوباش من أهل البدع خالفوا في إثبات هذه الصفة ، فأقنعهم إبليس بما هو باطل في قرارة نفسه ، والمهم أن الخلاصة من هذا الوجه أن يقال :ــ لو كان المراد باليدين الواردة في الآيات مجرد النعمة والقدرة لما كان لأبينا آدم فضل على إبليس ، لأن كل واحد منهما مخلوق بالقدرة ، والله أعلم .

الثامن :ــ أن هذا التركيب المذكور في قوله { خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } يأبى حمل الكلام على القدرة لأنه نسب الخلق إلى نفسه سبحانه ثم عدى الفعل إلى اليد ثم ثناها ثم أدخل

عليها الباء التي تدخل على قوله كتبت بالقلم ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه. أفاده ابن القيم في الصواعق .

التاسع :ـ أن المحذور إنما هو في أن نثبت لله تعالى يدين كيدي المخلوق ، فهنا يقع المحذور ، ولكن اليد التي نحن نؤمن بها ونصف الله تعالى بها يد ليس كمثلها شيء ، ولا تماثل يد المخلوق ، حتى وإن اتفقت معها في الاسم ، لأن المتقرر أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، فلا تتصور عند إثباتنا لصفة اليد أنها كيد المخلوق ، لا ، لأن الله تعالى يقول{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] حتى وإن اتفقت يد الله تعالى ويد المخلوق في الاسم الكلي العام المقطوع عن الإضافة ، فإن هذا لا يلزم منه أن تكون يد الله تعالى بعد الإضافة له ،كيد المخلوق بعد الإضافة له ، لأن المتقرر أن الاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق بعد التقييد والإضافة والتخصيص ، والمتقرر أن الصفة تختلف باختلاف من أضيفت إليه ، فإن أضيفت إلى الخالق صارت لائقة بجلاله وعظمته ، وإن أضيفت إلى المخلوق فهي مناسبة لحاله ، ومن هو المخلوق أصلا حتى تكون يد الله تعالى كيده ؟ سبحان الله ، يدٌ تقبض السموات ، والأرض أفتكون كيدِ المخلوق الذي تملأ يده اللقمة الصغيرة ، سبحان الله ، يدٌ يجعل الله تعالى يوم القيامة السموات فيها على أصبع والأرضين على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع(٧٥٨) ، هل يقوم في ذهن العاقل أن هذه اليد الهائلة الكبيرة العظيمة تكون كيد المخلوق العاجز الضعيف الذي لا يحتمل أن يضرب بيده مسمارا ولا أن يحمل بها الشيء الثقيل ، سبحان الله ، ولكنها العقول المتحجرة التي لا يعرف لها النور طريقا ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، آمنا بأن لله تعالى يدين لائقتين بجلاله وعظمته ، وكفرنا بتحريفات أهل البدع وإنكارهم وجحدهم وتعطيلهم لما ثبتت به الأدلة من الأسماء والصفات لله تعالى ، فالله أصدق منهم قيلا وأحسن من خلقه حديثا ، صدق الله تعالى وكذب أهل البدع ، وصدق رسول الله ﷺ وكذب الجهم بن

---

(٧٥٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}(٤٨١١)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (٧٤١٤)، (٧٤١٥)، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ} (٧٤٥١)، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ (٧٥١٣)، ومسلم في صحيحه كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٢٧٨٦).

صفوان والجعد بن درهم وبشر المريسي ومن سار على منهجهم من أتباعهم في الجحد والتكذيب والتعطيل ، والخلاصة أن تحريف أهل البدع لصفة اليدين إلى النعمة والقدرة غير مقبول ، بل هو محدث في الدين ومخالف لمنهج سلف الأمة ، والمتقرر أن كل إحداث في الدين فهو رد ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في العقيدة والعمل فهو باطل ، والله يتولانا وإياك .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

ولربنا وجه كريم ما له مثل بلا تعطيل أو بهتان

أقول :ـ يعتقد أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى بأن الله تعالى له وجه حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته ، وأنه لا يماثل وجوه المخلوقين ، ولا يجوز أن يتصور مجرد تصور أنه كوجه المخلوق ، بل هو وجه يليق بعظمة الله تعالى ، ومجرد الاتفاق مع وجه المخلوق في الاسم لا يستلزم الاتفاق معه في الصفة ، لأن المتقرر أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، والاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق بعد التقييد والإضافة والتخصيص ، وأجمع أهل السنة والجماعة على أنه هذا الوجه يعلم من وجه ويجهل من وجه ، فأما من جهة معناه في لغة العرب فإن العرب تطلق الوجه على ما تحصل به المواجهة ، فالوجه في اللغة ما تحصل به المواجهة ، وأما كيفية الوجه المضاف إلى الله تعالى فإنه غير معلوم لنا ، بل نحن نكل العلم بكيفيته إلى الله تعالى ، فنقول :ـ لا يعلم كيفية وجه الله تعالى إلا الله تعالى ، فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، ولا يمكن للعقول البتة أن تعرف كيفية وجه الله تعالى ، لأن إدراك الكيفية لا يكون إلا عن مشاهدة الشيء ، وهو منتف ، أو مشاهدة نظيره ، وهو منتف ، أو إخبار الصادق ﷺ عن كيفيته ، وهذا منتف أيضا ، فإن النبي ﷺ قد أخبرنا أن لربنا وجها ، ولكن لم يخبرنا عن كيفية هذا الوجه ، فوجب علينا الإيمان والتسليم والوقوف حيث وقف النص ، فلا نتجاوزه ولا نقصر عنه ، ومع إيماننا بصفة وجه الله تعالى ، فإننا نؤمن بجميع ما وردت به الأدلة من صفات هذا الوجه العظيم ، كما سيأتي ، فما وردت به الأدلة من صفات هذا الوجه فنحن نؤمن به ، ونعلم معناه ، ولكننا نكل كيفيته على ما هو عليه إلى الله تعالى ، والمهم أيها الأخ

المبارك أنه لا بد وأن تحذر أشد الحذر من إقحام عقلك فيما هو من الغيب ، فتهلك وتضل ، وكيفية وجه الله تعالى من جملة الغيب الذي لا يجوز إقحام العقول فيه ، بل يكفيك في دينك أن تؤمن بأنه من جملة صفات الله تعالى ، وتؤمن بمعناه وتكل كيفيته إلى الله تعالى ، وتؤمن بما وردت به الأدلة من صفاته ، والله الموفق والهادي .

فإن قلت :ـ هل صفة الوجه لله تعالى من جملة الصفات الذاتية أم الفعلية ؟ فالجواب :ـ أجمع أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى على أن وجه الله تعالى من صفاته الذاتية التي لا تنفك عنه ، فهي ملازمة لذاته جل وعلا الملازمة المطلقة ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما الدليل على إثبات هذه الصفة ؟ فأقول :ـ الأدلة كثيرة ، فقد دل على وجه الله تعالى الكتاب والسنة والإجماع ، قال تعالى{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨] وقال تعالى{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن: ٢٧]وقال {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } [الكهف: ٢٨]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " رواه مسلم ، (٧٥٩)

وعن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ} [الأنعام: ٦٥]قال النبي ﷺ أعوذ بوجهك. قال{أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ}[الأنعام: ٦٥] قال عليه الصلاة والسلام أعوذ بوجهك . قال{أَوْ يَلْبِسَكُمْ

(٧٥٩) أخرجه مسلم في صحيح في كتاب الإيمان بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ (١٧٩)

شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ}[الأنعام: ٦٥] قال : هذه أهون أو أسهل " رواه البخاري . (٧٦٠)

وفي حديث عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يدعو يقول: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك عن الخلق أجمعين ...وفيه " وأسألك لذة النظر إلى وجهك) (٧٦١)

وعن شقيق قال : كنا عند حذيفة فقام شبث بن ربعي فصلى فبصق بين يديه فقال له حذيفة : يا شبث لا تبصق بين يديك ولا عن يمينك فإن عن يمينك كاتب الحسنات ولكن عن يسارك أو من ورائك فإن العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم

---

(٧٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {قُلْ: هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا (٤٦٢٨)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} (٧٣١٣)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (٧٤٠٦).

(٧٦١) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه النسائي في المجتبى في كتاب السهو، باب نوع آخر (١٣٠٥)، وفي السنن الكبرى في كتاب المساجد (١٢٢٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٦٦)، والدارمي في الرد على الجهمية (١٨٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٩)، والبزار في مسنده (١٣٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٦٢٤)، وابن حبان في صحيحه (١٩٧١)، والحاكم في المستدرك (١٩٢٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٢٧)، (٢٤٤)، (٦٥٨).

من طريق: حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عمار، به.

فرجاله ثقات رجال البخاري، لكن عطاء بن السائب صدوق يحسن حديثه، ومع اختلاطه إلا أن حماد بن زيد ممن سمع منه قبل الاختلاط،

وروي من طريقٍ آخر

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣٢٥)، والنسائي في المجتبى في كتاب السهو، باب نوع آخر (١٣٠٦) وفي السنن الكبرى في كتاب المساجد (١٢٣٠) وابن أبي شيبة في مسنده (٤٤٢)، وفي مصنفه (٢٩٣٤٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٦)، وفي السنة (١٢٨).

من طريق: شريك، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، قيس بن عباد، عن عمار، به.

فإسناده: فيه شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وهو صدوقٌ يحسن حديثه، وباقي رجال السند رجالٌ ثقات وكلهم رجال الشيخين، وإن كان في بعض الطرق فيها إسقاط قيس بن عباد، فلا يضر إسقاطه، لأنه ثقه،

وقد روي هذا الحديث عن عمار بأسانيد أخر، بمجموعها يزيد الخبر تنتفي شبة الضعف عن الحديث، فأقل أحواله أنه حسن، والله أعلم

قام إلى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه فيناجيه فلا ينصرف عنه حتى ينصرف عنه أو يحدث حدث سوء . متفق عليه.(٧٦٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : "من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه "رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح،(٧٦٣)

وكان من دعاء النبي ﷺ : « وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك » (٧٦٤) صححه الألباني ،

---

(٧٦٢) صحيح

أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة، باب المصلي يتنخم (١٠٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٢٤)، وفي التوحيد (١/ ٣٤)، والبزار في مسنده (٢٨٨٩)،

من طريق: عاصم بن بهدلة،

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٦٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٤٥٤)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥)،

من طريق: الأعمش،

كلاهما- الأعمش، وعاصم- عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن حذيفة، به

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، إلا أن عاصم بن بهدله متكلم فيه، إلا أن الراجح فيه أن حديثه يحسن، وموافقة الأعمش له تجبر خبره، فيصح الخبر، والله أعلم.

(٧٦٣) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٤٨)، وأبو داود في سننه في كتاب الآداب، أبواب النوم، باب الرجل يتسعيذ من الرجل (٥١٠٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٣٦)، (٢٧٥٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٥٩).

من طريق: سعيد، عن قتادة، عن أبي نهيك، عن ابن عباس، به.

فإسناده رجاله كلهم ثقات، رجال الصحيحين خلا أبو نهيك، فهو مجهول، لا يعرف فقد قال فيه ابن القطان: لا يعرف، ولم يوثقه إلا ابن حبان، وهو متساهل في توثيق المجاهيل،

قلت: لم يرو له إلا أبو داود هذا الحديث الواحد.

(٧٦٤) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه النسائي في المجتبى في كتاب السهو، باب نوع آخر (١٣٠٥)، وفي السنن الكبرى في كتاب المساجد (١٢٢٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٦٦)، والدارمي في الرد على الجهمية (١٨٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٩)، والبزار في مسنده (١٣٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٦٢٤)، وابن حبان في صحيحه (١٩٧١)، والحاكم في المستدرك (١٩٢٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٢٧)، (٢٤٤)، (٦٥٨).

وقد اجمع أهل السنة والجماعة على إثبات هذه الصفة لله تعالى ،

قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى : (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر ، مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه ، ونقر بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجوه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين ، وجل ربنا عما قالت المعطلة)(٧٦٥) وهو ما نعتقده بقلوبنا وننطقه بألسنتنا والله أعلم .

فإن قلت :ـ وهل آمن أهل البدع بصفة وجه الله تعالى ؟ فأقول :ـ لا ، لقد تجرأ المبتدعة على صفة الوجه كتجرئهم على سائر صفات الباري جل وعلا ، فقالوا : إن لفظ الوجه الوارد في الآيات والأحاديث لا يقصد به إثبات صفة وإنما المراد به الذات .

فإن قلت :ـ وكيف الجواب عن هذا الكلام الباطل ؟ فأقول :ـ جوابنا على هذا التحريف من وجوه :

من طريق: حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عمار، به.

فرجاله ثقات رجال البخاري، لكن عطاء بن السائب صدوق يحسن حديثه، ومع اختلاطه إلا أن حماد بن زيد ممن سمع منه قبل الاختلاط،

وروي من طريقٍ آخر

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣٢٥)، والنسائي في المجتبى في كتاب السهو، باب نوع آخر (١٣٠٦) وفي السنن الكبرى في كتاب المساجد (١٢٣٠) وابن أبي شيبة في مسنده (٤٤٢)، وفي مصنفه (٢٩٣٤٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٦)، وفي السنة (١٢٨).

من طريق: شريك، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، قيس بن عباد، عن عمار، به.

فإسناده: فيه شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وهو صدوقٌ يحسن حديثه، وباقي رجال السند رجالٌ ثقات وكلهم رجال الشيخين، وإن كان في بعض الطرق فيها إسقاط قيس بن عباد، فلا يضر إسقاطه، لأنه ثقه،

وقد روي هذا الحديث عن عمار بأسانيد أخر، بمجموعها يزيد الخبر تنتفي شبة الضعف عن الحديث، فأقل أحواله أنه حسن، والله أعلم

(٧٦٥) آنظر التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٦).

الأول : أنه مخالف لمنهج السلف وما أجمعوا عليه ، ومخالف لفهمهم المنقول عنهم ، وما خالف منهجهم وإجماعهم وفهمهم فهو باطل مردود .

الثاني :ــ أنه لا يمكن أبداً بل لا يتصور أن يكون السلف من الصحابة والتابعين كانوا في معزل عن فهم ما أنزل عليهم من النصوص الواردة في شأن الوجه ، ولا يعرفون حقيقة المراد بها ، ثم يفهم حقيقة الأمر المراد بهذه الآيات هؤلاء المتهوكون الضالون من أهل البدع ، هذا ما لا يقوله عاقل يعلم ما يقول فضلاً عن كونه مسلماً ، فلما كان الصحابة متفقون على أن المراد بتلك النصوص إثبات صفة الوجه لله تعالى علمان أنه الحق .

الثالث: أن تحريف أهل البدع لصفة الوجه مخالف لما يظهر من دلالة النصوص، فإن هذه الأدلة قد أضافت الوجه إلى الله تعالى إضافة الصفة إلى الموصوف ، والانصراف عن هذا الظاهر المتبادر للفهم السليم لا يجوز إلا بمقتضى دليل صارف ، ولا دليل يصرفنا عن الأصل والظاهر والحقيقة ، فوجب البقاء عليه ، لأن المتقرر هو وجوب البقاء على الظاهر حتى يرد الناقل ، والمتقرر هو وجوب حمل الكلام على حقيقته زلا يجوز الانصراف عنه إلى المجاز إلا بقرينة ، وكل هذا منتف هنا ، فليس هناك ما يضطرنا إلى صرف الكلام عن ظاهره ، ولا ما يجعلنا نحمل الكلام على مجازه ، والله أعلم .

الثالث : أن يقال لهم : إنكم فررتم من إثبات الوجه لله تعالى خوفاً من مماثلة الله بخلقه لأن لهم وجوهاً وقلتم إنه الذات فبالله عليكم أوليست لنا ذوات ؟ بالطبع نعم ، إذاً قد فررتم من شيء ووقعتم في مثله ، فإن قالوا : نحن نقول هي ذات ليست كالذوات ، فنقول قولوا هذا القول في الوجه بادئ الأمر واستريحوا وأريحوا ، وذلك لأنه قد تقرر أن القول في الصفات فرع عن القول في الذات ، وبما أنكم ستنتهون في آخر المطاف إلى إثبات صفة تليق بالله تعالى لا تماثل صفات المحدثات ـ فقولوا هذا الكلام في أول المر ولا داعي للتطويل ، والله أعلم .

الرابع :ــ أن المحذور إنما هو في أن نثبت لله تعالى وجها كوجه المخلوق ، فهنا يقع المحذور ، ولكن الوجه التي نحن نؤمن بها ونصف الله تعالى بها وجه ليس كمثله شيء ، ولا يماثل وجه المخلوق ، حتى وإن اتفق معه في الاسم ، لأن

المتقرر أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، فلا تتصور عند إثباتنا لصفة الوجه أنه كوجه المخلوق ، لا ، لأن الله تعالى يقول{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]، بل نقول :ـ وحتى وإن اتفق وجه الله تعالى ووجه المخلوق في الاسم الكلي العام المقطوع عن الإضافة ، فإن هذا لا يلزم منه أن يكون وجه الله تعالى بعد الإضافة له ،كوجه المخلوق بعد الإضافة له ، لأن المتقرر أن الاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق بعد التقييد والإضافة والتخصيص ، والمتقرر أن الصفة تختلف باختلاف من أضيفت إليه ، فإن أضيفت إلى الخالق صارت لائقة بجلاله وعظمته ، وإن أضيفت إلى المخلوق فهي مناسبة لحاله .هذا مختصر الجواب ، والله يتولانا وإياك .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

والله يعجب من خروج الشيء عن   حكم النظائر لا خفاء معاني

والله ينسى المراد به هنا   ترك الإله لفاعلي العصيان

علما وعمدا لا ذهولا يا فتى   فاعرف هنا المقصود بالنسيان

أقول :ـ هاتان الصفتان اللتان ذكرهما الناظم عفا الله تعالى عنه ترجعان إلى قاعدة عند القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، وأنا أذكرها لك إن شاء الله تعالى مع تفاصيلها وفروعها المخرجة عليها ، فأقول وبالله تعالى التوفيق :ـ نص القاعدة يقول ((الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار تثبت لله تعالى حال كمالها وتنفى عن الله تعالى حال نقصها) أقول :ـ اعلم رحمك الله تعالى وبارك فيك وأجزل لك الأجر والمثوبة أن الصفات لا تخلو من ثلاثة حالات :

الأول : إما صفات كمال من كل وجه ، أي من حيث نظرت إليها وجدتها كمالاً كالحياة والعلم والسمع والبصر والقوة والقدرة والعلو ونحوها فهذه يجب إثباتها لله مطلقاً ، أي في كل الأحوال وسائر الأزمنة لأنها كمال من كل وجه ولا نطيل في هذا القسم لأنه واضح .

الثاني : صفات هي نقص من كل وجه أي من حيث أتيتها وجدتها نقصاً ، كالغدر والظلم والخور واللغوب والغش ونحو ذلك ، فهذه الصفات تنفى عن الله مطلقاً أي في كل الأحوال ، مع إثبات كمال ضدها ، كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى ، فهذان القسمان واضحان وفهمهما يسير فصفات الكمال المطلق تثبت لله تعالى على وجه الإطلاق ، وصفات النقص المطلق تنفى عن الله على وجه الإطلاق .

الثالث : صفات هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ، أي أنك إذا رأيتها من وجه وجدتها كمالاً ، وإذا نظرت لها من وجهٍ وجدتها نقصاً ، فالمذهب في هذا النوع من الصفات أنها تثبت لله حال كمالها وتنفى عن الله حال نقصها .

فلا تثبت لله مطلقاً ولا تنفى عنه مطلقاً ، بل تثبت له وتنفى عنه في حال دون حال ، فإذا كانت كمالاً أثبتناها وإذا كانت نقصاً نفيناها ، وعلى ذلك عدة فروع :ـ

الفرع الأول :ـ صفة المخادعة ، فإنها ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ، ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها القسم الثاني ، بل هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ، فالمخادعة ابتداءً بلا موجبٍ ولا مقتضٍ صفة نقص فتنفى عنه جل وعلا ، أي أن الله تعالى لا يوصف بالمخادعة ابتداءً ، وأما المخادعة باعتبار الجزاء والمقابلة جزاءً وفاقاً فإنها كمال لأنها تدل على كمال علم الله تعالى وتمام قدرته جل وعلا فيوصف الله بها ولذلك فإنك لا تجد المخادعة مضافة إلى الله تعالى ابتداءً وإنما تجدها مضافة إليه من باب الجزاء والمقابلة كقوله تعالى{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢]

الفرع الثاني : صفة الكيد ، فإن هذه الصفة ليست من الكمال المطلق حتى تلحق بالقسم الأول ولا من النقص المطلق حتى تلحق بالقسم الثاني ، بل هي كمال من وجه ونقص من وجه ، فيقال فيها ما قد قيل في القسم الثالث فنثبتها لله حال كمالها وننفيها عنه حال نقصها ، فإذا نظرنا إلى صفة الكيد ابتداءً بلا موجبٍ ولا سبب يقتضيه وجدناه نقصاً فننزه الله تعالى عنه ، لأنه حينئذٍ نوع من الظلم والله تعالى منزه عن الظلم ، وأما الكيد باعتبار الجزاء والمقابلة أي جزاءً وفاقاً ومعاملة بالمثل ، ومن باب الجزاء من جنس العمل فإنه كمال لأنه دليل على كمال علم الله تعالى وتمام قدرته على المقابلة بالمثل ، فيوصف الله تعالى حينئذٍ ، فالكيد ابتداءً

نقص لا يوصف الله به ، والكيد من باب الجزاء والمقابلة كمال يوصف الله به ، ولذلك فإنك لا تجدها في القرآن مضافة إلى الله تعالى إلا من باب الجزاء ، كما في قوله تعالى{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٥، ١٦].

الفرع الثالث : صفة المكر ، فإن هذه الصفة ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ولا من قبيل النقص حتى نلحقها بالقسم الثاني ، بل هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ، فيقال فيها ما قررناه في القسم الثالث وهو أننا نثبتها لله حال كمالها وننفيها عنه حال نقصها ، فالمكر ابتداءً نقص ننزه الله عنه ، والمكر من باب الجزاء والمقابلة كمال فيوصف الله به ولذلك فإنك لا تجد المكر مضافاً في القرآن لله تعالى إلا من باب الجزاء والمقابلة كقوله تعالى{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]

وكقوله تعالى{ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون}.

الفرع الرابع : صفة الاستهزاء ، فإن هذه الصفة ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها بالقسم الثاني ، بل هي كمال باعتبار ونقص باعتبار فهي نقص باعتبار الابتداء ، فننزه الله عنها ، وهي كمال باعتبار الجزاء والمقابلة فيوصف الله بها ، وذلك كقوله تعالى{ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } [البقرة: ١٤]

الفرع الخامس : صفة السخرية ، فإنها ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها بالقسم الثاني ، فالسخرية ابتداءً نقص فينزه الله تعالى عنها ، والسخرية من باب الجزاء والمقابلة كمال فيوصف الله بها وذلك كما في قوله تعالى{ {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة: ٧٩]

الفرع السادس: صفة النسيان ، فإن هذه الصفة ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نصف الله بها على وجه الإطلاق ولا من قبيل النقص حتى ننفيها عنه على وجه

الإطلاق ، بل هي من الكمال باعتبار ومن النقص باعتبار آخر ، وبيان ذلك أن يقال : إن النسيان له في لغة العرب معنيان :ـ

المعنى الأول : النسيان بمعنى الغفلة والذهول عن الشيء ، فتجد الرجل منا يضع مفتاحه أو نظاراته في مكان ، ثم ينساه ، أي غفل وذهل عنه ، بل قد يكون أحياناً في يده وهو يبحث عنها ، فهذا النسيان بهذا المعنى نقص فينزه الله عنه وهو النسيان المنفي في قوله تعالى{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } [مريم: ٦٤] وفي قوله تعالى{لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} [طه: ٥٢] وهذا النسيان مبناه على انقطاع التفكير وعزوب المعلوم عن القلب ، وهذا نقص لا يليق بالخالق الكامل في ذاته من كل وجه والكامل في صفاته من كل وجه والكامل في أفعاله من كل وجه ، المعنى الثاني : النسيان بمعنى الترك عن علمٍ وعمدٍ جزاءً ومقابلة للمتروك ، فهذا الترك في لغة العرب يسمى نسياناً ، وهذا النسيان بهذا الاعتبار كمال فيوصف الله تعالى به وهو المثبت في قوله تعالى{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧] وفي قوله تعالى{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ} [السجدة: ١٤] وفي فوله تعالى{ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه: ١٢٦] فلا نقص في هذا النسيان بوجهٍ من الوجوه لأن ما نثبته لله تعالى من الصفات فلله أعلاها وغايتها ونهايتها وكمالها المطلق ، وخلاصة الكلام : أن النسيان بمعنى الغفلة والذهول عن الشيء نقص فلا يوصف الله تعالى به ، والنسيان بمعنى الترك عن علمٍ وعمدٍ جزاءً ومقابلة كمال فيوصف الله تعالى به والله أعلم .

الفرع السابع : صفة الأسف ، فإنها ليست من قبيل الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ، ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها بالقسم الثاني بل هي كمال باعتبار ونقص باعتبار، وبيان ذلك أن يقال : إن الأسف له في لغة العرب معنيان : المعنى الأول : الحزن ومنه قوله تعالى{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} [الأعراف: ١٥٠] وهو ضعف في النفس يعتريها لعدم تحمل الأمر الوارد ، وهو نوع من النقص في البشر فالأسف بهذا الاعتبار نقص في ينزه الله عنه .المعنى الثاني : الأسف بمعنى الغضب ومنه قوله تعالى{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: ٥٥] أي أغضبونا ، فالأسف بهذا المعنى كمال يوصف الله تعالى به ،

وبناءً على ذلك فالأسف بمعنى الحزن نقص لا يوصف الله به ، والأسف بمعنى الغضب كمال يوصف الله به ولعل الأمر الثاني قد أتضح إن شاء الله تعالى .

الفرع الثامن :ــ صفة العجب ، فإنها ليست من صفات الكمال المطلق حتى نلحقها بالقسم الأول ، ولا من قبيل النقص المطلق حتى نلحقها بالقيم الثاني ، بل هي من الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ، وحيث كان الأمر كذلك ، فلا نثبتها لله تعالى مطلقا ، ولا ننفيها عنه مطلقا ، فيوصف الله تعالى بالعجب حال كونه كمالا ، وينفى عن الله تعالى حال كونه نقصا ، فإن قلت :ــ فمتى يكون العجب كمالا ، ومتى يكون نقصا ؟ فأقول :ــ يعرف هذا بمعرفتك لأسباب العجب ومعانيه ، فهناك عجب يكون سببه خفاء أسباب المتعجب منه ، كمن يكون فقيرا جدا ، ثم نرى معه سيارة فارهة الجمال غالية الثمن ، فلا جرم أننا سنتعجب من هذا الأمر ، وسبب عجبنا هنا هو أننا لا ندري عن السبب الذي تملك به هذه السيارة ، وكذلك لو أن طالبا غبيا لا مثيل له في الغباء ينجح في سنة من السنوات بمعدل مرتفع يفوق الطلاب الممتازين ، فنحن لا جرم سنتعجب من هذا التفوق ، ما سببه ؟ فهذا العجب الذي يكون سببه خفاء أسباب المتعجب منه هو في حقيقته نقص ، فلا يوصف الله تعالى به ، لأن هذا العجب مبني على أن هناك جوانب خفية لم تبن لنا ، والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وهو بكل شيء عليم ، فلأنه العليم العلم الذاتي الكامل فلا يمكن أن يتعجب الله تعالى بعجب يكون سببه خفاء أسباب المتعجب منه ، لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وأما العجب الثاني فهو العجب الذي يكون سببه خروج الشيء عن حكم نظائرة ، فأنت مثلا ترى أسنان المشط مستوية ، ولكن لو كان منها سن زائد عليها ، فأنت تحس من نفسك أنه لا يشدك إلا هذا السن الذي خرج عن حكم نظائره ، فعجبك هذا سببه خروج الشيء عن حكم نظائره ، وهذا العجب كمال يوصف الله تعالى به ، فالله تعالى عليم بكل شيء ، ولا تخفى عليه أسباب خروج الشيء عن حكم نظائره ، ولكنه جل وعلا يتعجب تعجبا يليق بجلاله وعظمته من هذا الخروج ، وعلى ذلك قوله تعالى في قراءة سبعية متواترة{بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: ١٢]بقراءة الضم ، وهي قراءة ابن

مسعود وحمزة والكسائي ، والعجب فيها مضاف إلى الله تعالى إضافة الصفة إلى موصوفها ، ومنها ما رواه مسلم في الصحيح قال :ـ حدثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ عَنْ أَبِى حَازِمٍ الأشجعي عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ إني مَجْهُودٌ. فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عندي إِلاَّ مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لاَ والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عندي إِلاَّ مَاءٌ. فَقَالَ « مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكِ شيء. قَالَتْ لاَ إِلاَّ قُوتُ صبياني. قَالَ فَعَلِّلِيهِمْ بشيء فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فأطفئي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فقومي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ. قَالَ فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النبي -ﷺ- فَقَالَ « قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ »(٧٦٦)

فهذه الضيافة خروج عن المعهود من ضيافات الناس ، ولذل صارت مثلا كبيرا ، ولا نعرف ضيافة أخذت من الشهرة ما أخذته هذه الضيافة ، فنالت عجب الله تعالى ، والمهم أن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى يثبتون لله تعالى صفة العجب ، وأن معناه معلوم ، وهو خروج الشيء عن حكم نظائره ، وأما كيفية هذا العجب فإنه يقال فيه ما يقال في سائر صفاته جل وعلا ، ولذلك قال الناظم عفا الله تعالى عنه (والله يعجب) أي أن الله تعالى موصوف بالعجب ، ثم بين لك سبب العجب المضاف إلى الله تعالى فقال (من خروج الشيء عن حكم النظائر) فإن قيل لك :ـ ما سبب عجب الله تعالى ؟ فقال :ـ سببه خروج الشيء عن حكم نظائره ، وقيد الناظم عجب الله تعالى بهذا المر حتى يخرج العجب بالمعنى والسبب الثاني وهو المذكور في قوله (لا خفاء معاني) أي ليس عجب الله تعالى سببه خفاء أسباب المتعجب منه ، لأنه جل وعلا لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، ولما جاء الناظم إلى صفة النسيان بين لك أن النسيان المضاف إلى الله تعالى معناه الترك عن علم وعمد من باب الجزاء والمقابلة والعقوبة بالمثل ، فقال رحمه الله تعالى (والله ينسى) أي أنه موصوف بالنسيان ، ثم أراد أن يبين لك

(٧٦٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، بَابُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ (٢٠٥٤).

معنى النسيان المضاف إلى الله تعالى فقال (والمراد به هنا) أي المراد بمعناه فقط ، لأن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى يتكلمون في المعاني ، وأما كيفية هذا النسيان على ما هو عليه فالله تعالى أعلم به ، فكيفية هذا النسيان المضاف إلى الله تعالى يقال فيه كما يقال في سائر صفاته ، فنحن نعلم المعاني فقط ، ونكل علم الكيفيات إلى الله تعالى ، فإن قيل لك :ـ وما معنى النسيان المضاف إلى الله تعالى ؟ فقل :ـ معناه هو ما ذكره الناظم بقوله (ترك الإله لفاعلي العصيان علما وعمدا) أي تركهم عن علم وعمد جزاء ومقابلة ، فإن قلت :ـ وما المعنى الثاني الذي تريد أن تنفيه ؟ فأقول :ـ هو النسيان بمعنى الغفلة والذهول كما قدمنا ، وهو المنفي بقولنا (لا ذهولا يا فتى) أي أن النسيان بمعنى الغفلة والذهول عن الشيء منفي عن الله تعالى لأنه نقص ، والله تعالى منزه عن النقص ، وهذا تفريق مهم ، ولذلك قال لك الناظم بعد ذلك (فاعرف هنا المقصود بالنسيان) حتى لا تقع فيما لا تحمد عقباه من الخلط في هذه المسألة ، فإن قلت :ـ أليس كلامك هذا دخول في الكلام على كيفية النسيان ؟ فأقول :ـ عفوا ، هذا كلام في المعنى فقط لا في الكيف ، فقولنا :ـ نسيان الله تعالى المضاف له في الأدلة إنما هو نسيان الترك عن علم وعمد ، لا نسيان الغفلة والذهول ، فهذا كلام في المعاني فقط ، ونحن ولله الحمد والمنة مؤمنون بأن الكيف لا يجوز السؤال عنه ، لأنه مما اختص الله تعالى بعلمه ، فمعنى النسيان معلوم ، وأما كيفيته فغير معقولة ، وأما الإيمان به فواجب ، وأما السؤال عن كيفيته فمن البدع ، وخلاصته أن يقال : إن الصفات إن كانت من قبيل الكمال المطلق فإنها تثبت لله على وجه الإطلاق ، وإن كانت من قبيل النقص المطلق فإنها تنفى عن الله على وجه الإطلاق وإن كانت من قبيل الكمال والنقص والمقيد ، فإنها تثبت لله تعالى كمالها وتنفى عنه حال نقصها ، فإذا أتقنت ذلك الأمر لان لك ذلك الباب إن شاء الله تعالى أسأله جل وعلا باسمه العظيم أن ينفع بك ويجعلك مباركاً حيثما كنت ، ويرزقك الاستقامة على منهج أهل السنة والله أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

إثباتنا جل الصفات مفصل والنفي يجمل يا أخا العرفان

أقول :ـ من المعلوم وفقك الله تعالى لكل خير أن منهج أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى له جمل كثيرة من المميزات ، والتي فارق بها سائر المناهج الأخرى ، وهي ميزات كثيرة ، ولكن من أهمها في باب الأسماء والصفات هو أن أهل السنة والجماعة إن جاءوا في باب الإثبات لله تعالى فإن العادة أنهم يفصلون في أسماء الكمال وصفات الجلال والجمال ، وإن جاءوا في باب النفي فتجدهم لا يفصلون في الصفات المنفية عن الله تعالى ، بل يجملون النفي إجمالا ، فأهل السنة والجماعة يثبتون الصفات لله تعالى على وجه التفصيل وينفون صفات النقص على وجه الإجمال فهم إذا أثبتوا صفات الكمال لله تعالى فإنهم يثبتونها على وجه التفصيل ، فيقولون مثلاً : لله سمع وبصر وعين ووجه وعلم وحكمة وهيمنة وعلو وقدم وأصابع وحياة وقيومية لائقة بجلاله وعظمته ، ففي الإثبات يفصلون أي يثبتون كل صفة على حدة ، وأما إذا نفوا صفات النقص عنه جل وعلا فإنهم لا يفصلون ، بل يجملون في النفي أي لا ينفون كل صفة بعينها على حدة ، بل ينفون كل صفات النقص إجمالاً من غير تفصيل أي من غير تخصيص لصفة بعينها ، وخلاصة ذلك : أن أهل السنة يفصلون في إثبات الصفات ويجملون في نفي صفات النقص ، أو تقول : أهل السنة يثبتون إثباتاً مفصلاً وينفون نفياً مجملاً ، وهذه هي طريقة القرآن ، بل وهي طريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهي جادة سلوك الأدب مع الله تعالى ، بل وحتى ملوك الدنيا ، فإن من الأدب معهم أن تفصل في الإثبات وتجمل في النفي ، وهذا كمال في ملوك الدنيا ، وقد تقرر في القواعد أن كل كمال في المخلوق لا نقص فيه فالله أحق أن يوصف به ، فبان بذلك أن طريقة أهل السنة هذه متوافقة مع النصوص والعقول ، وكذلك هي متوافقة مع الفطرة فإنه لو جاءك أحد وقال لك : إنك لست بخباز ولا بقال ولا زانٍ ولا ابن بغي ، ولا ، ولا ، لوجدت من قلبك وفطرتك النفرة العظيمة من هذا الكلام ، ولكن لو قال لك أنت لا يساميك أحد من البشر ، لأزداد بذلك الكلام فخرك وارتفع رأسك فالفطرة السليمة قد استقر فيها أن الأصح في إثبات الكمال هو التفصيل والأصح في النفي هو الإجمال ، ومثال الإثبات المفصل قوله تعالى في آخر سورة الحشر {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: ٢٢ - ٢٤]

وقوله تعالى{وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس: ١٠٧] وقوله{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤] وقوله{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [البقرة: ٢٥٥]وقوله{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣] والأمثلة علي التفصيل في الإثبات كثير في الكتاب والسنة . وأما النفي المجمل فمثاله قوله تعالى{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] وقوله تعالى{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل: ٧٤] وقوله تعالى{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} [البقرة: ٢٢] وقوله{هل تعلم له سمياً}[مريم ٦٥] وقوله{ولم يكن له كفواً أحد}وكذلك كل آية فيها لفظ {سبحان} فإنها من النفي المجمل لأن معناه المنزه عن كل نقص وعيب في ذاته أو صفاته أو أفعاله ، فتلخص من ذلك أن القاعدة عند أهل السنة رحمهم الله تعالى في الإثبات هي التفصيل والقاعدة عندهم في النفي هي الإجمال ، ونحن نشهد الله تعالى ومن يسمعنا من الملائكة أننا على ذلك سائرون وبه مستمسكون وله معتقدون . فإن قلت : هل هذه القاعدة كليه أم أغلبية ؟ أي هل كل نفي في القرآن مجمل وكل إثبات مفصل ؟ فأقول : لا بل هي قاعدة أغلبية ، أي أن الغالب في الإثبات التفصيل والغالب في النفي الإجمال ، لكن قد ورد إثبات مجمل كقوله تعالى{ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} فأثبت الأسماء إجمالاً ولم يفصل ، وكقوله تعال{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } [النحل: ٦٠] أي الوصف الأعلى ، فأثبت الصفات إجمالاً ولم يفصل ، لكنه قليل ، وأيضاً قد ورد النفي المفصل كقوله تعالى{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥] فهنا قد نفى السنة التي هي مقدمات النوم ، ونفى النوم أصلاً ، وكقوله تعالى{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [الإخلاص: ٣] وكقوله تعالى{مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا } [الجن: ٣] ونحو ذلك ، وكما قال تعالى{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} [الإسراء: ١١١] هذا نفي أول {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ } [الإسراء: ١١١] وهذا نفي ثاني {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ} [الإسراء: ١١١] وهذا نفي ثالث ، فالنفي المفصل ورد في الأدلة ، ولكنه في القرآن قليل بالنسبة للنفي المجمل ، وخلاصة الأمر :ـ أن عندنا أربع مصطلحات (إثبات مفصل) و (إثبات مجمل)

و (نفي مفصل) و (نفي مجمل) ، فالرسل وأتباعهم جاءوا (بإثبات مفصل ونفي مجمل) أي أن طريقتهم في الإثبات التفصيل وطريقتهم في النفي الإجمال .

وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم فإنهم جاءوا بعكس ذلك تماماً ، فإنهم لا يصفون الله تعالى إلا بالنفي فقط ، فيقولون : أملأ الدنيا نفياً ولكن لا تثبت له صفة واحدة ، فيقولون : الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت ولا لون له ولا طويل ولا قصير ولا عالم ولا جاهل ولا حي ولا ميت ولا سميع ولا بصير ولا قدير ولا عاجز ولا يتكلم ، إلى غير ذلك من قلة الأدب وذهاب الحياء الذي جاء به هؤلاء الأوباش الأغبياء الحمقى ، وإن جاءوا في باب الإثبات فإنهم لا يثبتون إلا وجودا مطلقا ، وأنت خبير بأن الوجود المطلق عن الصفات لا حقيقة له إلا في الأذهان فقط ، وطريقتهم هذه مخالفة المخالفة المطلقة للقرآن والسنة ومنهج الرسل وأتباعهم ، وقد تصدى لردها الأئمة الفحول كشيخ الإسلام وتلميذه وغيرهما من المحققين رحم الله الجميع رحمة واسعة وجمعنا بهم في الجنة ، فإن قيل لك : ما طريقتك في إثبات الصفات ونفيها ؟ فقل : طريقتي في ذلك هي أنني أثبت لله تعالى صفات الكمال على وجه التفصيل وأنفي عنه صفات النقص على وجه الإجمال ،. قال أبو العباس رحمه الله تعالى (والله سبحانه بعث أنبياءه بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات. ومن خالفهم من المعطلة المتفلسفة وغيرهم عكسوا القضية، فجاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل، يقولون كذا، ليس كذا، ليس كذا. فإذا أرادوا إثباته قالوا: وجود مطلق بشرط النفي، وبشرط الإطلاق) وهذا خلاصة قول الناظم (إثباتنا) معاشر أهل السنة والجماعة (جل الصفات) أي صفات الكمال (مفصل) أي أننا نثبت لله تعالى صفات الكمال على وجه التفصيل ، أي أنه ينصب الإثبات على صفة بعينها ، (و) أما في (النفي) أي نفي صفات النقص عن الله تعالى ، فإنه (يجمل يا أخا العرفان) أي أننا ننفي صفات النقص عن الله تعالى على وجه الإجمال ، وقول الناظم (جل الصفات) أي أكثر الصفات ، وهذا لبيان أن القاعدة أغلبية لا كلية ، كما قدمنا لك ، ولعل القاعدة قد اتضحت بإذن الله تعالى ، جعلني الله وإياك من أهل الصلاح والهداية والعلم النافع والعمل الصالح والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

ما في النقول معارض للعقل بل فيها تحار قرائح الأذهان

أقول :ـ وهذه قاعدة أخرى من قواعد المنهج عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، وهي قاعدة من كبريات القواعد الدينية المهمة ، والتي حصل بسبب الإخلال بها شر كثير وبلاء مستطير ، وخلاصتها أن يقال :ـ المتقرر عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أنه لا يمكن أبدا أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ، لا يمكن هذا أبدا ، فإن الذي خلق العقل هو الذي أنزل النص ، وهو أحسن حديثا وأصدق قيلا من خلقه ،وهو العليم الخبير الحكيم ، وقد نزل النص حتى يَعِيَهُ العقل ويدرك ما فيه حتى يمتثل مدلوله ، فلا يمكن أن يأتي النص بأمر يعارض العقل ، إذ كيف يطلب من العقل فهم النص وهو معارض له ؟ هذا لا يكون ، ولكن النصوص أحيانا تأتي بالأمر الذي يعجز العقل عن إدراكه كله ، لأن العقل صغير ومدركاته محدودة ، ولا يحيط بكل ما جاء به النص ، فالنص أحيانا يأتي بما يحار فيه العقل لعجزه وضعفه عن كمال الإدراك ، وأما أن يأتي النص بما يتعارض ويتضارب مع العقول ، فهذا أمر لا يكون البتة ، وهذه القاعدة متفق عليها بين أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، وقد ألف فيها أبو العباس رحمه الله تعالى كتابه الكبير (درء تعارض العقل والنقل) وقد أتى فيه بالعجائب ، فهي مسألة مفصولة عند أهل السنة والجماعة ، رحمهم الله تعالى ، ولذلك فإنك لا تجد كلمة واحدة عن أهل السنة في إثبات تعارض بين العقل والنقل ، وإنما هم أهل البدع الذي يثبتون وجود هذه المعارض بينهما ، فكل من ادعى وجود التعارض بين النقل والعقل فعالم أنه من أهل البدع ، أو ممن سلك في فهم الأدلة طريقة أهل البدع ، وأما أهل السنة فلا يعرف عنهم حرف واحد في أن هذا النقل يتعارض مع العقل ، ومردنا بالعقل الصريح :ـ أي العقل السليم والخالي من الآفات والشبه ، ونعني بالآفات :ـ أي تلك القواعد والطريق الفلسفية الكلامية التافهة المخالفة للمنقول والمناقضة للمعقول ، فإن هذه القواعد العفنة إن استقرت في العقل أهلكته وأفسدته وأعمته عن الحق ورمت به في حفر التعطيل أو التمثيل أو التكذيب والجحد أو التيه والحسرة ، فالعقل الذي فيه هذه القواعد هو العقل المريض ، بل

الميت إلا أن يشاء الله تعالى لصاحبه السلامة ويمن عليه بالتوبة الصادقة قبل الممات ، فالعقل الصريح السليم هو العقل الخالي من الآفات والشبه التي تفسد مورد النصوص وصفاء الاستدلال بها ، فإن كان العقل سليما ، والنص صحيحا فوالله العظيم إنه لا يمكن البتة أن يتعارضا ، لا والله ، لا يمكن ، وأباهل على ذلك ، فإن وجدت ما يوهم المعارضة بينهما فاعلم أنه من أحد أمرين :ـ إما أن يكون العقل الناظر في الدليل ليس هو العقل الصريح السليم ، لأنه قد ينظر في نصوص الصفات من هو من أهل البدع ، كأن تنظر فيها بقرة من أهل التمثيل ، أو نعجة من أهل التعطيل ، فيرى أن هذه النصوص تتعارض مع العقل ، فنقول له :ـ نعم ، هي تتعارض مع عقلك المريض بالبدعة ، والذي حقه أن ينزع من قلبك ويوضع في أستك ، لأنه عقل أتلفته البدعة ، وسيطرت عليه الظلمة ، فأول أمر تنظر فيه عند وجود ما يوهم التعارض هو سلامة العقل الناظر في الدليل ، فإن كان العقل الناظر في الأدلة هو العقل الصريح السليم فقد يكون النص المعارض في الظاهر غير صحيح ، فلا بد من النظر ثانيا في صحة النص ، وإن قلنا :ـ صحة النص ، فنعني به إن كان من نصوص السنة ، لأنه فيها الصحيح والضعيف والموضوع ، فلا بد من التأكد من سلامة النص ، فإن اجتمعت سلامة النص وسلامة العقل فلا والله لا يكون هناك تعارض ، ولكن بعض الناس يظن ويتوهم التعارض لقلة علمه وضعف معرفته ، وإلا ففي واقع الأمر وحقيقة الحال ليس هناك تعارض بين النقول والعقول ، هذا هو مختصر القاعدة ، ومن باب التوضيح نضرب لك بعض الفروع المخرجة عليها ، وهي تلك النصوص التي يقول أهل البدع :ـ إنها تتعارض مع العقل ، فيسمونها تحريفا وتعطيلا وإنكارا وتكذيبا لظنهم أنها تتعارض مع العقل ، وغالب هذه الفروع مستمدة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عثيمين رحمهما الله تعالى ، فأقول :ـ

الفرع الأول :ـ قوله تعالى{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } [الملك: ١٦] وقوله تعالى{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] وقوله الجارية (الله في السماء) (٧٦٧)

---

(٧٦٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ (٥٣٧).

فنظر أهل البدع بعقولهم في هذه النصوص وقالوا :ـ لا يمكن أن نقبل ظاهر هذه النصوص ، لأنه ظاهرها يتعارض مع العقل ، فإن ظاهرها يفيد أن الله تعالى داخل السموات ، فبعض السموات تقله ، وبعض السموات تظله ، فظاهر هذه الآيات متعارض مع العقل ، كذا قالوا ، ألا فشاهت وجوه أهل البدع ، أفهكذا تفهمون عن الله كلامه ، سبحان الله عما يقولون علوا كبيرا ، فتلك النصوص متفقة مع العقل كل الموافقة ، وليس فيها أي جانب من جوانب الإشكال ، وبيان الحال أن يقال :ـ إن المتقرر في لغة العرب أن كل ما علاك فيسمى سماء ، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [المؤمنون: ١٨] والمطر ينزل من السحاب ، فسمى الله تعالى السحاب سماء لأنه في العلو ، وقال تعالى في النخلة {أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٢٤] فلأن فروع النخلة باسقة في جهة العلو قال{وفرعها في السماء} فالسماء يراد بها العلو ، فقول الله تعالى{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } [الملك: ١٦] وما بعدها من الآيات ونص الحديث إنما يريد به العلو ، فقول الجارية (الله في السماء) أي في العلو ، وقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] أي في العلو ، ونحن نؤمن بأن الله تعالى في العلو المطلق ، على الوجه اللائق به كما قدمنا في إثبات صفة العلو ، فأين بالله عليك التعارض بين العقل والنقل في هذه المسألة ، ولكنها عقولهم المريضة بالبدعة وسوء الفهم ، نعوذ بالله من حالهم ، فإن لم يسلم لنا ما قلناه من أن السماء يراد بها العلو ، فقل :ـ هنا جواب ثاني ذكره العلماء :ـ وهو أن حرف (في) في النصوص المذكورة ليس للظرفية ، وإنما معناه (على) فحرف (في) قد ضمن معنى (على) ومصداق هذا في كتاب الله تعالى في قوله عن فرعون لما آمن السحرة {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } [طه: ٧١] فـ (في) هنا جاءت بمعنى (على) ، أي على جذوع النخل ، وقال تعالى{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ} [التوبة: ٢] أي على الأرض ، فـ (في) ضمن معنى (على) فقول الله تعالى {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } [الملك: ١٦] أي على السماء ، وقوله{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤] أي على السماء ، وقول الجارية (الله في السماء) أي على السماء ، وبهذين الجوابين يتحرر الجواب عن تلك المعارضة التي أفرزتها عقول أهل البدع على هذه

النصوص وما يماثلها ، فانظر كيف اتفق العقل والنقل ، وهذا يفيدكم أنه لا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ، والله أعلم.

الفرع الثاني :ـ ما يرويه البعض عن النبي ﷺ من قوله " الحجر الأسود يمين الله تعالى في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " (٧٦٨)

فقال أهل البدع :ـ إن هذا الحديث متناقض مع العقل لأنه يفيد أن هناك من يصافح الله تعالى ويقبل يمينه ، وهذا لا يكون في حق الله تعالى ، فقال أهل السنة :ـ أيها الناس ، إنه لا يمكن أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ، فأولا لا بد أن ننظر في النص وفي العقل الناظر فيه ، فلما نظرنا إلى هذا النص المروي عن النبي ﷺ وجدناه أصلا من المنقولات الواهية والمرويات المنكرة ، فهو حديث لا يصح مرفوعا للنبي ﷺ ، ولكنه قد يصح موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما ، وإن قلنا بأنه صحيح عنه فإنه مما لا يقال بالرأي وابن عباس لا يأخذ عن أهل الكتاب ، وقد تقرر في قواعد الحديث أن الصحابي إن قال قولا لا مجال للرأي فيه ولم يكن يأخذ عن أهل الكتاب فقوله له حكم الرفع ، فإن سلمنا هذا فإن ظاهر الحديث هذا لا يتعارض أيضا مع العقل ، فلو تأمله أهل البدع لأسفر لهم وجه الصبح فيه ، وبيان ذلك أن يقال :ـ إن ابن عباس قال (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) وابن عباس يعلم العلم الأكيد أن يمين الله تعالى من جملة صفاته الذاتية التي لا تنفك عنه ، فهو لا يريد عين يمين الله تعالى ، ولذلك قال (يمين الله في الأرض) فقوله (في الأرض) قيد مهم أخرج يمين الله تعالى التي هي صفة من صفاته الذاتية ، لأنه ليس في المخلوقات شيء من ذات الله تعالى ولا في الرب جل وعلا شيء من ذوات خلقه ، فهو لا يريد عين يمين الله تعالى ، كما فهمه أهل البدع ، ويوضح هذا أنه قال (فمن قبله وصافحة فكأنما صافح الله وقبل يمينه) وانتبه لهذا التركيب ، فمن قبل الحجر الأسود فلا يعتبر قد قبل يمين الله تعالى ولا

---

(٧٦٨) لم أقف عليه إلا في أخبار مكة للأزرقي (١/ ٣٢٥).

من طريق: الحكم بن أبان قال: حدثني أبي، عن عكرمة، من قوله، بلفظ: «إن الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ فمسح الحجر، فقد بايع الله ورسوله»

ولم أقف عليه مرفوعًا،

من صافحه فقد صافح حقيقة يمين الله تعالى ، لأن ابن عباس يقول (فكأنما) ولم يقل (فقد صافح يمين الله وقبلها) وبين الكلامين فرق ظاهر ،لأن قوله (فكأنما) هذا عند العرب أسلوب تشبيه ، أي من صافح الحجر الأسود فكأنما صافح الله ، وليس هو قد صافح يمين الله فعلا وحقيقة ، ومن قبل الحجر الأسود فكأنما قبل يمين الله تعالى ، وليس هو قد قبل يمين الله تعالى فعلا وحقيقة ، فالمسألة مبناها في هذا الحديث على مجرد التشبيه ، وذلك لأن الملوك إذا دخل عليهم رعاياهم صافحوهم وقبلوا أيديهم ، في الأعم الأغلب ، والله تعالى هو ملك الملوك ، فجعل ابن عباس رضي الله عنهما تقبيل الحجر الأسود بمنزلة تقبيل يد الله تعالى ، ومصافحة الحجر الأسود بمنزلة مصافحة يد الله تعالى ، ولكنه لم يقل :ـ من فعل ذلك بالحجر الأسود فقد صافح يمين الله حقيقة ،وقد قبل يمين الله حقيقة ، لا ، هذا لم يقله ابن عباس ، وإنما الأمر مبناه على التشبيه فقط ، ومع فهم الحديث على ظاهره هل يكون بينه وبين العقل تعارض ؟ والجواب :ـ لا ، ليس بينه وبين العقل أي تعارض ولا أي اختلاف ، لأن المتقرر أنه لا يتعارض النص الصحيح مع العقل الصريح .

الفرع الثالث :ـ روى مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قول النبي ﷺ "إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء " (٧٦٩)

فقال أهل البدع :ـ أين عقولكم يا أهل السنة لما رويتم هذا الحديث ، فإنه حديث متعارض مع العقل ، لأن ظاهره يفيد مماسة الله تعالى للخلق واختلاط أصابعه بقلوبهم ، فيلزم منه المباشرة والمماسة ، وأن تكون أصابع الله داخل أجوافنا ، وهذا معنى فاسد ، فيكون غير مراد لأن العقل يأباه ، قال أهل السنة :ـ كذبتهم ، بل الحديث متفق مع العقل ، ولكن عقولكم أنتم في التالفة المريضة المتلوثة بعفن القواعد الكلامية المنطقية التي ورثتموها عن الشياطين ، وإلا فالحديث على ظاهره ، ولكن لا بد وأن يحمى من دخول العقل في كيفيته ، كما ذكرنا من أنه لا سلامة في باب الأسماء والصفات إلا بعدم إقحام العقل فيما هو من الغيب ، فنحن

(٧٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ (٢٦٥٤).

نؤمن بأن لله تعالى أصابع تليق بجلاله وعظمته ، وهي وإن اتفقت مع أصابع المخلوقين في الاسم إلا أن المتقرر أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، والمتقرر أن الاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق بعد التقييد والإضافة والتخصيص ، فالحديث على ظاهره ، ولكن أهل البدع فهموا من قوله " بين أصبعين " أن هذه البينية تستلزم المماسة والمباشرة والاختلاط ، فهذا الفهم الفاسد هو الذي كدر عليهم صفو الدليل ، ونحن نقول :ـ إن هذا الفهم لا دليل عليه ، فأين في النص أن أصابع الله تعالى داخل أجوافنا وأنها مماسة لنا ، أين هذا في الدليل ، إنما الدليل فيه " بين أصبعين من أصابع الرحمن "(٧٧٠) وانتهى الأمر ، فلماذا تفهمون أنتم المعاني الفاسدة بعقولكم العفنة ثم تلصقونها بالأدلة ثم تحالون الفرار منها بتحريف الأدلة وتعطيلها عن مدلولاتها الصحيحة ، أنتم الذين جنيتم على أنفسكم لما فهمتم هذا الفهم الفاسد من الأدلة ، وإلا فمن قال لكم أن البينية هنا في هذا الحديث تستلزم المماسة والمخالطة ، والحق أن البينية هنا في هذا الحديث لا تستلزم ذلك ، فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض ويقال : بدر بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينها وبينهما ،

قال شيخ الإسلام في التدمرية (وأما قوله : { قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن } فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع ولا مماس لها ولا أنها في جوفه ولا في قول القائل : هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه وإذا قيل : { وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [البقرة: ١٦٤] } لم يقتض أن يكون مماساً للسماء والأرض)(٧٧١) اهـ ،

قلت :ـ فإذا كانت البينية لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السموات والأرض وهو بكل شيء محيط ، فبان لك بذلك أن هذا الحديث ليس بمتعارض مع العقل ، ولكن المسألة تحتاج إلى فهم للنصوص على طريقة أهل السنة لا على طريقة أهل البدع .

---

(٧٧٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ (٢٦٥٤).

(٧٧١) آنظر العقيدة التدميرية (١/ ٤٧).

الفرع الثالث :ـ قال النبي ﷺ " إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن " (٧٧٢)

فقال أهل البدع :ـ هذا الحديث يتعارض مع العقل ، لأنه يثبت أن الله تعالى حال في بعض الأماكن ، وهذا يتنافى مع العقل ، فقال :ـ أهل السنة :ـ أبدا ، إنه لا تتعارض الأدلة الصحيحة مع العقول الصريحة ، ولكن أولا لا بد وأن ننظر في صحة ، فلما نظرنا لسنده وجدناه جيدا ، فالحديث إن شاء الله تعالى إسناده جيد ، فحيث كان مقبولا فلا يمكن أن يكون متعارضا ، ولكن الذي أو جب لهم الإشكال هو أنهم فهموا أن النفس المذكور في الحديث أنه من النفس الذي هو الشهيق والزفير عندنا ، وهذا فهم فيه نظر ، بل المراد بالنفس هنا التنفيس والتفريج ، وهذا الحديث على ظاهره والنفس فيه اسم مصدر نفس يُنَفِّس تنفيساً ،

قال في مقاييس اللغة (النفس كل شيء يفرج به عن مكروب) (٧٧٣) فيكون معنى الحديث أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن ،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة وفتحوا الأمصار فيهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات) فهل بالله عليك هناك تعارض بين العقل وبين هذا النقل على هذا الفهم السليم ؟ والجواب :ـ بالطبع لا ، فبان لك بذلك أن العلة إنما هي في رؤوس أهل البدع لفساد أصولهم في النظر في نصوص الصفات ، والله المستعان (٧٧٤).

الفرع الرابع :ـ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول يومَ القيامة : يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْني ، قال : يارب كَيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين ؟ قال : أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلانا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ ؟ أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده ؟ يا ابنَ آدمَ ،

---

(٧٧٢) حسن.

أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٦٠)، والبزار في مسنده (٣٧٠٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٦٨).

ومن طريق: الوليد بن عبد الرحمن ، عن جبير بن نفير ، عن سلمة بن نفيل، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٧٧٣) مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٠).

(٧٧٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٨).

اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطعمني ، قال : يا رب ، كيف أطعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمين ؟ قال : أمَا علمتَ أنه استطعمكَ عبدي فلان فلم تُطْعِمْهُ ، أمَا علمتَ أنَّكَ لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي ؟ يا ابنَ آدم ، استَسقيْتُكَ فلم تَسْقني ، قال :يا رب ، وكيف أسقِيكَ وأنتَ ربُّ العالمين ؟ قال : اسْتَسقَاك عبدي فلان ، فلم تَسْقِه ، أما إنَّك لو سَقَيْتَهُ وجدتَ ذلك عندي» أخرجه مسلم. (٧٧٥)

فقال أهل البدع :ـ ويلكم يا أهل السنة ، أما تخافون الله ، أتروون هذا الحديث وفيه نسبة صفات النقص إلى الله تعالى ، فإن هذا الحديث متعارض مع العقل ، لأن العقل يفرض صفات الكمال لله تعالى ، وأنتم بهذا الحديث تثبتون لله تعالى صفات النقص ، ففيه نسبة الجوع إلى الله ، وأن الله تعالى يستطعم عباده ، وأن يظمأ ، وأن يستسقي عباده ، وأنه يمرض ، وكل هذا من باب نسبة صفات النقص لله تعالى ، فكيف تقولون يا أهل السنة ، فأجاب أهل السنة رفع الله تعالى قدرهم ومنازلهم في الدنيا والآخرة أن النص في صحيح مسلم ، فهو نص صحيح ، ولا نشك في صحة إسناده ، فتوفر الشرط الأول وهو صحة النص ، ولكن لا بد من الأمر الثاني وهو سلامة العقل الناظر في هذا النص ، فلما نظرت له عقول أهل البدع الفاسدة المتلوثة بزبالات أذهان الفلاسفة رأوا أنه نص باطل ومخالف للعقل لأن فيه نسبة صفات النقص لله تعالى ، ولكن لما نظر له أهل العقول الكاملة الموفقة للحق وأعني بهم أهل السنة والجماعة قالوا :ـ هذا الحديث لا يتعارض مع العقل ، بل هو متفق مع العقل ، فلا تعارض في ذلك البتة بل هو متفق مع عقيدة أهل السنة كل الاتفاق وهذا الحديث حديث رفيع شريف فيه إبراز مكانة الأولياء عند الرب جل وعلا ، وأن لهم عنده مقاماً رفيعاً ومنزله سامية عالية ، وقد أخذ السلف بهذا الأحاديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف ولا تعطيل يفسد روعته ويذهب جماله ، وهذا الحديث يفسر بعضه بعضاً ، فإن قوله " مرضت فلم تعدني " لا يقصد به مرض الرب ـ حاشا وكلا ـ وإنما يقصد مرض وليه المؤمن وذلك بقوله " أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدت ذلك عندي " وهذا تفسير لأول الحديث ، والمتقرر أن خير ما فسرت السنة هو

(٧٧٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ (٢٥٦٩).

السنة ، فالنبي ﷺ بين هنا أن نسبة المرض إلى الله تعالى ليس يراد بها مرض الرب جل وعلا ، نعوذ بالله من هذا الفهم ، وإنما يراد بها مرض العبد ، ولكن الله تعالى نسبها له من باب الترغيب والحث على عيادة المرضى والترغيب في هذا الأعمال الطيبة ، ألا ترى أن بعض ملوك الدنيا يقول لبعض رعاياه :ـ إذا استطعمكم فلانا فأطعموه ، فإنكم إن تفعلوا فقد أطعمتموني ، وهذا من باب الحث والترغيب على هذه الأعمال ، وعلى ذلك قوله تعالى{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة: ٢٤٥] فهل ربنا يستقرض من حاجة ؟ أعوذ بالله من هذا الفهم اليهودي الفاسد ، ولكنه من باب الترغيب في إقراض المعسرين ، وإغاثة لهفة المحتاجين ، فهو أسلوب تعرفه العرب في كلامها ، وكذلك قوله " جعت فلم تطعمني " فإنه لا يقصد جوع الرب جل وعلا وإنما يقصد به جوع العبد بدليل قوله " أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي " وكذلك قوله " استسقيتك فلم تسقني " فإنه ليس المراد بذلك ظمأ الرب جلا وعلا ، فإنما يراد ظمأ العبد الولي المؤمن ويفسر ذلك قوله " استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي "وهذا فيه دلالة على أمرين:- الأول :- علو منزلة أولياء الله تعالى ، وبيان فضلهم وشرفهم عند الرب جلا وجلاله ، الثاني :- الترغيب في هذه الأعمال والحث عليها ، فأين التعارض المدعى مع هذا الفهم السني السليم ؟ لا يوجد ، فإنه لما نظرت العقول السليمة للنص الصحيح اتفقت كلمة النص مع كلمة العقل ولم يوجد بينهما أي تعارض أو اختلاف ، ولكن أنى لأهل البدع أن يوفقوا للفهم السليم وهم على الصراط المستقيم ، والله أعلم .

الفرع الخامس :ـ قال أهل البدع :ـ عندنا حديث قد أشكل أمره وهو ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال " جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له :- أجب ربك ، قال :- فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ، فقال :- فرجع الملك إلى الله تعالى فقال :_ إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عيني ، قال :- فرد الله عليه عينه وقال :- ارجع إلى عبدي فقل :- الحياة تريد ، فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت بيدك من شعرة فإنك

تعيش بها سنة ، قال :- ثم مه ؟ قال :- ثم تموت ، قال :- فالآن ...الحديث (٧٧٦)"

قالوا :ــ ووجه الإشكال من وجوه الأول :- كيف يجوز أن يفعل نبي ذلك بملك من ملائكة الله ، فهذا يتنافى مع العقل ، الثاني :- كيف يكره نبي من الأنبياء ملاقاة الله تعالى ، فهذا يتنافى مع العقل ، الثالث :- كيف يرجع ملك الموت إلى الله تعالى ولم ينفذ ما أمر به من قبض روح موسى عليه السلام ، فهذا يأباه العقل والنص من أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، الرابع :- كيف يزاد في عمر موسى هذه السنين الطويلة فيما لو وضع يده على متن ثور مع أن الآجال قد حسمت وفرغ من أمرها ، وهذا يتنافى مع النقل والعقل فالحديث من أوله إلى آخره يتنافى مع نقول أخرى ومع العقل . فكيف تقول في ذلك ؟ فأقول :- ليس هناك مطلق الإشكال ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ، قال أهل السنة رحمهم الله تعالى :ــ أبدا لا يوجد أي معنى من معاني الإشكال ولا معارضة العقل ولا معارضة نقول أخرى في هذا الحديث ، ولكن لا بد أو لا من النظر في صحته ، فلما نظرنا صحته وجدناه صحيحا، لأنه في الصحيح ، فحيث كان النص صحيحا ، فلا بد من الأمر الثاني وهو سلامة العقل الناظر في الأدلة ، فلما نظرنا إلى من ادعى وجود التعارض بين هذا النص وبين العقل وجدناه من أهل البدع ، فعرفنا عندها أنه قد اختل سلامة العقل في النظر في الدليل ، وعندها وجد التعارض ، فلما قلب أهل السنة هذا الحديث وجدوه متفقا مع النقول الأخرى ، ومتفقا مع العقول الاتفاق الكامل ، وأجابوا عن ما قاله أهل البدع بعدة أجوبة :ــ

أولاً:- إن الشأن فيما قد يشكل مما ورد في الأحاديث الصحيحة هو الإيمان بها وتوكيل الأمر إلى الله تعالى ، بلا تحريف ولا تأويل باطل ولا إخراج لها عن ظاهرها ولا كلام بلا برهان في دلالتها مع الاعتقاد الكامل أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فلا يجوز معارضتها بعقل ولا فهم ولا قياس ولا

(٧٧٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا (١٣٣٩)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ وَفَاةِ مُوسَى وَذِكْرِهِ بَعْدُ (٣٤٠٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٣٧٢).

رأي ، بل نقول :- آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ(٧٧٧) وهذه هي طريقة الراسخين في العلم ، وأما الذين في قلوبهم مرض فإنهم يتتبعون المتشابه ويدعون المحكم ليضلوا به العوام ابتغاء الفتنة فيهم وابتغاء تأويله ، واعلم أنه يجب التسليم الكامل للمنقول الصحيح وأن يقدم على العقل إن وجدنا ما يوهم التعارض ، مع أنه لا يمكن أن يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح ، وأن النقول تأتي بما يحار فيه العقل لضعفه وقلة إدراكه ، لكنها لا تأتي بما يتعارض مع العقل ، ومن فهم هذا عرف يقيناً لماذا سكت الصحابة لما سمعوا هذا الحديث من رسول الله ﷺ ولم يعارضوه بمعقول ولا برأي عاطل ، بل أخذوا بالحديث على محمل التصديق والتسليم لأنهم اعتمدوا " آمنا به كل من عند ربنا " وأما مبتدعة الأمة فإنهم أخذوه على محمل الاستخفاف والتكذيب والرد والتحريف لأنهم لم يقدروا الله ولا رسوله حق قدرهما والله لهم بالمرصاد .

ثانياً:- إن ملك الموت عليه السلام قد جاء موسى في صورة بشر ، ومع ذلك يطلب روحه ، وجد بشراً في بيته يقول :- إنك ستموت ، فموسى عليه السلام لم يعرف ملك الموت ، وإنما أفزعه الأمر وهاله الطلب ، ولا يدري أنه ملك مرسل من عند الله تعالى ، بل ظنه شخصاً معتدياً على بيته ونفسه ، لأنه دخل الدار بدون إذن وزاد على ذلك بأنه قال :- أجب ربك ، أي ستموت الآن وموسى بشر يصيبه ما يصيب البشر من الخوف والذعر والغيرة والغضب ، فما ملك إلا أن لطمه لطمة ذهبت بعينه ، وقد عرف من خلق موسى الشدة والأخذ بالأقوى ، ولعلك تذكر ذلك الرجل الذي وكزه موسى وكزة فقضى عليه ، ولعلك تذكر لما ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجر إليه فمع هذا الخلق الشديد والقوة البشرية التي بلغت كمالها يأتيه رجل لا يعرفه ويدخل بيته ويطلب نفسه ، فبالله عليك كيف سيكون الأمر بك لو كنت أنت َثمَّ ؟ فسبب اللطمة هو الجهل بحال هذا الرجل الذي اقتحم الدار وطلب النفس يوضح هذا الوجه الذي بعده .

(٧٧٧) آنظر لمعة الاعتقاد (١/ ٧)، وهو من كلام الشافعي. رحمه الله.

ثالثاً:- أن ملك الموت لما جاء موسى في المرة الثانية وعرفه ولما يستعمل معه ما استعمله معه في المرة الأولى ، بل سلم بالأمر وأذعن لأمر ربه واستسلم لقضاء الله تعالى ، مما يفيدك أن اللطمة في المرة الأولى ليست فراراً من الموت ولا من ملاقاة الله تعالى ولا على أنه كان يعرف أنه ملك الموت، وإنما جاءت في ظرف نفس شديد ، من رجل غريب يدخل الدار بدون إذن ويقول لصاحب الدار :- ستموت . ولذلك ففي المرة الثانية لما عرفه هدأت نفسه ولم يصنع به ما صنع به المرة الأولى ، وإلا لو أنه كان يعرفه في المرة الأولى فلماذا لا يتعامل معه في الثانية كما تعامل معه في الأولى شيء من ذلك لأن الجائي واحد والمطلوب واحد ، لكن لم يحصل في الثانية شيء من ذلك والسبب هو أنه لم يعرفه في المرة الأولى وعرفه في المرة الثانية .

رابعاً:- أن موسى عليه السلام لما لطم ملك الموت لم يك ذلك كراهة للقاء الله تعالى بدليل :- أن موسى عليه السلام قد اشتاقت نفسه لملاقاة الرب جل وعلا وهو في الدنيا بقوله " رب أرني أنظر إليك " فقد امتلأ جوانح نفسه حباً وشوقاً في لقاء ربه جل وعلا ، فكيف يقال :- إنه لطم ملك الموت فراراً من لقاء الله تعالى ويقال أيضاً :- إنه لو يكره لقاء الله تعالى لا ختار وضع يده على متن ثور ليعيش بكل شعرة سنة كاملة ، مع أنه له ذلك لأن الله تعالى خيره في ذلك لكن هل اختار ذلك؟ الجواب :- لا ، فلو أنه كان يكره لقاء ربه جل وعلا لاختار الحياة بعد هذه السنين الكثيرة لكنه اختار الموت على ذلك ، فأي عقل يظن في هذا النبي الكريم هذا الظن الفاسد ؟

خامساً:- قولهم (كيف يرجع ملك الموت ولم ينفذ أمر الله تعالى) فأقول :- نحن نجزم جزماً أنه بقي من عمر موسى المقدر له مقدار هذه المحاورة والمراجعة التي حصلت ، فأجل موسى قد اقترب ولكنه لم ينته بعد ، بل بقي منه مقدار ما حصل والله تعالى لم يبعث ملك الموت في المرة الأولى بإمضاء الأجل وقبض الروح وإنما بعثه في الأولى ابتلاء وامتحانا ، وإلا فلا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه ، ولكن في المرة الثانية وقد حضر أجل موسى قبض ملك الموت روحه

لانتهاء الأجل فملك الموت في البعثة الأولى كان مبتلياً مختبراً بأمر الله تعالى ، وفي البعثة الثانية كان قابضاً قبضاً مخبراً بأمر الله تعالى .

سادساً:- أما قولهم (كيف يزاد في عمره هذه السنين وقد فرغ من الآجال) فأقول :- نعم قد فرغ من الآجال وجفت منها الأقلام وطويت الصحف فلكل أجله المحتوم الذي لا يتقدم ولا يتأخر عنه بلحظة ، وما في علم الله تعالى ولوحه المحفوظ فإنه لا يدخله التغيير ولا التبديل ولا الزيادة ولا النقصان فلو أن موسى وضع يده على متن ثور وغطى ألف شعرة لعلمنا أن عمر موسى في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ هو بعينه عدد هذه السنين ، لأن هذا هو عمره المقدر له فليس هناك زيادة باعتبار العلم السابق والكتابة في اللوح المحفوظ ، لكن يكون هناك تبديل في عمره بالزيادة في الصحف التي بأيدي الملائكة فقط ، كما ذكرناه سابقاً ، لكن لما لم يفعل موسى عليه السلام شيئاً من ذلك علمنا أن عمره توقف عند هذا الحد وأن هذا هو ما كتب وقدر له ، فالأجل لم يزد فيه ولم يتقص منه وهذا واضح .

سابعاً:- أن من المتقرر عند أهل السنة بأدلة الكتاب والسنة والإجماع أن الملائكة في قدرتهم - بأمر الله تعالى - أن يتمثلوا في صورة البشر ، بحيث يخفى على الناس أمرهم ولا يعرفه أحد ، والوقائع كثيرة .

ثامناً:- إن ملك الموت أقوى من موسى ولا شك ، ولكن ملك الموت عليه السلام لم يبعث ليثير الجدل والخصومة ويضرب وينتقم وإنما بعث لقبض روح موسى ولا يتصور أن ملك الموت يفعل شيئاً لم يؤمر به ، لأنه داخل في قوله تعالى {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء: ٢٦، ٢٧] فالملك إذا بعث إلى الأرض بأمر من الله تعالى لا يتصرف إلا في حدود ما أذن له فيه، فلا يقصر عن تحقيق المأمور به ولا يزيد فيفعل شيئاً لم يؤمر به ، وعلى ذلك فلا يكون في هذا الحديث أي إشكال ، ولا أي تعارض مع العقل ، ولكن أعطني صاحب فهم سليم وأعطيك نتيجة سليمة ، والله أعلم .

الفرع السادس :ـ قال تعالى {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } [الإسراء: ١٦] فقال أهل البدع :ـ لا يمكن أبدا أن تكون هذه الآية على ظاهرها ، بل لا بد فيها من تأويل ، لأن الله تعالى

يقول في موضع آخر{إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} [الأعراف: ٢٨] فالآية عند أهل البدع تحتاج إلى تأويل ، لأنها متعارضة مع العقل ، فالعقل والنقل يفرضان فرضا أكيدا أن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، قال أهل السنة :ـ المشكلة ليست في النص ، ولكنها في عقولكم يا أهل البدع ، وذلك لأنكم لا تفهمون النصوص الشرعية على مقتضى فهم سلف الأمة ، وبيان الحال أن يقال :ـ إن أهل السنة رحمهم الله تعالى يعتقدون أن الأوامر الصادرة من الله تعالى قسمان :ـ أوامر كونية قدرية ، وأوامر شرعية دينية ، فالأمر الوارد في قوله تعالى {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا} ليس هو الأمر الشرعي الديني ، بل هو الأمر الكوني القدري ، ومن المعلوم عند أهل السنة أن الأمر الكوني القدري لا يستلزم محبة الله تعالى ، أي ليس كل شيء يأمر الله تعالى به كونا يلزم أن يكون محبوبا لله تعالى ، وأما قوله تعالى{إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} [الأعراف: ٢٨] أي لا يأمر به شرعا ولا دينا ، فالأمر المنفي في هذه الآية هو الأمر الشرعي الديني ،والأمر المثبت في قوله{أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} هو الأمر الكوني القدري ، وعلى هذا فلا يكون هناك أي تعارض بين العقل وبين هذه الآية المذكورة في أول الفرع ، لأنه لا يمكن أبدا أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ، والله أعلم .

الفرع السابع :ـ قال أهل البدع :ـ عندنا حديث يتعارض مع العقل ، ولا يمكن أن ترضاه العقول وتصف الله تعالى به ، قلنا :ـ وما هو ؟ قالوا :ـ لقد تقرر عند أهل الإسلام أن الله تعالى هو الملك الحق العدل الذي لا يظلم أحدا ، قال تعالى {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]وقال تعالى {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦]والآيات في هذا كثيرة فكيف نجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم " الشمس والقمر ثوران عقيران في النار يوم القيامة " (٧٧٨)

---

(٧٧٨) ضعيف جدًا

أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٢١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٤١١٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٨٤)، من طريق: درست، عن يزيد بن أبان الرقاشي، عن أنس، به.

ففيه: درست بن زياد، وهو ضعيف واهٍ، وشيخه يزيد الرقاشي، مثله.

فإن الله تعالى يعذب أحدا إلا على ذنب اقترفه ، والشمس والقمر لا ذنب لهما ، فما ذنبهما أن يلقيا في النار على هيئة الثورين ؟ فكيف الحال في هذا ؟والجواب :- نعم ، والله العظيم إن الله تعالى هو الملك الحق العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ، فالله تعالى لا يظلم لكمال عدله جل وعلا ، ولكن هذا الفهم الذي فهمته أنت من الحديث فهم ليس بصحيح ، وليس هو الفهم الذي رآه أهل السنة رحمهم الله تعالى ، فأنت فهمت أن الله تعالى يدخل الشمس والقمر النار على وجه أنه سيعذبهما فيها ، وهذا ليس بصحيح ، بل إدخالهما في النار له معنيان :- الأول :- أن الله تعالى سيجعلهما من وسائل التعذيب في النار يوم القيامة ، كما أن الملائكة في النار والذين يتولون تعذيب أهل النار ، هم في النار ، ولكنها لا تؤثر فيهم لا بحرها ولا بزمهريرها ، لأنهم ليسوا من أهل العذاب ، بل هم وسائل للتعذيب ، فالشمس والقمر نفس الشيء ، هما في النار لا على وجه تعذيبهما ، بل على وجه كونهما من الوسائل الموصلة للعذاب لأهل النار ، فكما أن أهل النار يعذبون بالسلاسل والأصفاد والأغلال ونحوها ، وكل هذه الأشياء لا تعذب هي في ذاتها ، بل هي وسيلة للعذاب ، فكذلك الشمس والقمر ، ولعلي قدرت على توضيح هذا الوجه لك ، إن شاء الله تعالى ، المعنى الثاني :- أن الله تعالى قضى بقوله تعالى {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } [الأنبياء: ٩٨] فالأصنام التي عبدت من دون الله تعالى هي وعابدوها في النار ، والأشجار التي عبدت من دون الله تعالى هي وعابدوها في النار ، وكذلك الشمس والقمر فإنها قد عبدت من دون الله تعالى ، فلا بد وأن تكون هي وعابدوها معها في النار ، وهذا ليس من باب تعذيب المعبود من دون الله تعالى إن كان مما لا يعقل ، كالأحجار والأشجار والشمس والقمر ونحوها ، بل هو من باب تبكيت من يعبدها وإظهار الحقيقة اليقينية الغائبة عنهم من أنها معبودات لا تضر ولا تنفع فقوله " الشمس والقمر ثوران مكوران في جهنم " إنما هو من باب تبكيت من يعبدها من دون الله تعالى وبيان أنها لا تنفع ولا تضر ، وأنها لا تملك هدى ولا حياة ولا موتا ولا نشورا ولا قنطيرا ولا قطميرا ، وبهذه الأجوبة يتضح الحل ويزول الإشكال ولله الحمد ، فالحديث لا يتعارض مع العقل ولا مع نقول أخرى ، لأننا نعتقد الاعتقاد الجازم أنه لا يمكن أبدا أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح . والله أعلم .

الفرع الثامن :ـ قال الله تعالى {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك: ١٦] وقال النبي – ﷺ - للجارية : ((أين الله ؟)) . قالت : (في السماء) ،(٧٧٩) فقال أهل الضلال : لو أخذنا بظاهر هذا الحديث والآية للزم من ذلك أن يكون الله تعالى في داخل السماء ، أي أن السماء تضله ؛ لأن حرف (في) في اللغة العربية للظرفية ، كذا قالوا وبئس ما قالوا ، وما قالوا ذلك إلا لجهلهم باللغة العربية .

والجواب على ذلك من وجهين : بالمنع والتسليم ، فأما المنع فيقال : نحن نمنع أن تكون (في) هنا للظرفية ، بل هي بمعنى على ؛ فإن (في) تأتي في اللغة العربية بمعنى على ، ومصداق ذلك قول الله تعالى{لأصلبنكم في جذوع النخل} أي على جذوع النخل ، ولا يفهم أحد من هذه الآية أن فرعون - عليه لعنة الله تعالى - سوف يحفر لهم داخل الجذع ويصلبهم فيها ، وكذلك قوله تعالى : {فسيحوا في الأرض}أي عليها ، ولا يفهم أحد أنهم أُمِرُوا بأن يحفروا في داخل الأرض ويسيحوا فيها ، ومن فهم ذلك من الآيتين فهو من الأغبياء ، فكذلك الآية التي معنا معناها : على السماء . وأما الجواب بالتسليم فنقول : سلمنا أن المراد بـ(في) هو الظرفية لكن لا نسلم أن المراد بـ(السماء) هي ذات الأطباق الزرقاء بل المراد بها العلو ، فإن كل ما علاك فهو سماءٌ ، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [المؤمنون: ١٨] والماء لا ينزل من السماء الزرقاء بل من السحاب المسخر بين السماء والأرض ، فعلى هذا لا يكون في الآية ما يتعارض مع العقل ، بل هي موافقة له كل الموافقة ؛ لأن العقل السليم يفرض صفة العلو المطلق لله تعالى. والله أعلم .

الفرع التاسع :ـ قال تعالى{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤] وقال تعالى{إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا } [المجادلة: ٧]فقال أهل البدع :ـ إن هذه المعية لا بد من تأويلها وصرفها عن الظاهر المتبادر منها ، لأن ظاهرها يفيد أن الله تعالى مختلط بالخلق وحال فيهم وهذا هو ما يفيده لفظ (مع) فلا بد من تأويل هذه الآيات ، لأنها متعارضة مع العقل ، لأن العقل يفرض فرضا لازما تنزيه الله تعالى عن

---

(٧٧٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ (٥٣٧).

مخالطة الخلق بذاته ، فقال أهل السنة :ـ كلامكم هذا تخرص وكذب وتحميل للنصوص ما لا تحتمل ، وقد سلكتم في فهمها فهما غريبا مجانبا المجانبة الكاملة لفهم أهل السنة والجماعة ، والجواب عما قالوه يبينه لنا أبو العباس رحمه الله تعالى بقوله (وذلك أن كلمة "مع " في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة ؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ؛ فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى . فإنه يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا . ويقال : هذا المتاع معي لمجامعته لك ؛ وإن كان فوق رأسك . فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة . ثم هذه " المعية " تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال : {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} [سبأ: ٢] إلى قوله : {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤] دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم ، شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم . وهذا معنى قول السلف : إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته . وكذلك في قوله : {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: ٧] إلى قوله : {إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا } [المجادلة: ٧]. ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار : { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } [التوبة: ٤٠] كان هذا أيضا حقا على ظاهره ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد . وكذلك قوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } [النحل: ١٢٨] وكذلك قوله لموسى وهارون {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦] هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد. وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول : لا تخف ؛ أنا معك أو أنا هنا ، أو أنا حاضر ونحو ذلك . ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ؛ ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها ؛ وربما صار مقتضاها من معناها . فيختلف باختلاف المواضع . فلفظ " المعية " قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر ؛ فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها - وإن امتاز كل موضع بخاصية - فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها) إهـ كلامه رحمه الله تعالى ،

وعلى هذا فلا تكون هذه الآية وما أشبهها من المتعارض مع ما يقتضيه العقل من تنزيه الله تعالى ، لأنه لا يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح . والله أعلم .

الفرع العاشر :ـ قال النبي ﷺ " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه "(٧٨٠) فقال أهل البدع :ـ هذا الحديث يعارض العقل ، فإن العقل يفرض أن الله تعالى في العلو كما تقولونه أنتم يا أهل السنة ، ثم تروون لنا هذا الحديث الذي يفيد أن الله تعالى قبل وجه المصلي ، والمقبلة معناها المساواة ، فوجه الله تعالى قبل وجه المخلوق أي هو تلقاؤه مباشرة ، فكيف هذا ؟ فقال أهل السنة :ـ كذبتم والله يأهل البدع ، بل هذا الحديث لا يتعارض مع العقل ، إلا إن فهم على فهم اتباع اليونان ، ولكن لو فهم على مقتضى فهم أهل السنة والجماعة فإنه سيكون متفقا مع العقل ، وبيان الحال أن يقال :ـ لنا على كلامكم القبيح هذا ثلاثة أجوبة :ـ الأول :ـ أن الأدلة جمعت بين العلو والمقبلة ، فأدلة تثبت أن الله تعالى في العلو المطلق ، وأدلة تثبت أن الله تعالى يكون قبل وجه المصلي ، فحيث جمعت الأدلة بينهما علمنا أنه مما يمكن في حق الرب جل وعلا أن يكون في العلو المطلق ويكون في نفس الوقت قبل وجه المصلي ، لأن المتقرر أن الأدلة لا تجمع بين محالين ، فلو كان الجمع بين العلو والمقبلة ممتنعة على الله تعالى لما نصت عليهما الأدلة ، ولكنها جاءت بهذا وبهذا والأدلة لا تأتي بما يحيله العقل ، كما هو المتقرر عند أهل السنة .الثاني :ـ أن هذا الأمر ممكن في حق المخلوق العاجز الضعيف المدبر المربوب ، فإن كان يمكن الجمع بين العلو والمقابلة في حق

---

(٧٨٠) صحيح

أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة، باب المصلي يتنخم (١٠٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٢٤)، وفي التوحيد (١/ ٣٤)، والبزار في مسنده (٢٨٨٩)،

من طريق: عاصم بن بهدلة،

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٦٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٤٥٤)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥)،

من طريق: الأعمش،

كلاهما– الأعمش، وعاصم– عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن حذيفة، به

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، إلا أن عاصم بن بهدله متكلم فيه، إلا أن الراجح فيه أن حديثه يحسن، وموافقة الأعمش له تجبر خبره، فيصح الخبر، والله أعلم.

المخلوق مع عجزه وضعفه وقلة حيلته ، أفيكون ممتنعا ذلك على الخالق القدير المقتدر من كل وجه ؟ تالله هذا لا يكون البتة ، بل لما كان هذا الأمر متصورا في حق المخلق الضعيف فالخالق قادر عليه من باب أولى ، فإنك ترى الشمس أمامك مقابلة لك ، وهي في العلو ، فاجتمع في حق الشمس أنها قبل وجهك وهي في العلو ، مع أنها مخلوقة لا تملك نفعا ولا ضرا ، ولله المثل الأعلى ، فكيف يقال :ـ هذا ممتنع في حق الخالق ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، بل إن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو القمر لكانت السماء منها ما هو قبل وجهه ولا بد ، مع أنها فوق رأسه أصلا ، فاجتمع في حق السماء أنها قبل وجهه وأنها عالية على رأسه ، والمهم أن الجمع بين العلو والمقابلة متصورة في حق المخلوق العاجز الضعيف فثبوتها في حق الخالق القوي القادر من كل وجه هو من باب أولى ، بل من باب أوجب ، وفي ذلك يقول أبو العباس ابن يتيمة رحمه الله تعالى وغفر له (وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه " الحديث(٧٨١) . حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي ؛ بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات . فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضا قبل وجهه . وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك - ولله المثل الأعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه ؛ لا تشبيه الخالق بالمخلوق - فقال النبي ﷺ :"ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخليا به فقال له أبو رزين العقيلي : كيف يا رسول الله وهو واحد

---

(٧٨١) صحيح

أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة، باب المصلي يتنخم (١٠٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٢٤)، وفي التوحيد (١/ ٣٤)، والبزار في مسنده (٢٨٨٩)،

من طريق: عاصم بن بهدلة،

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٦٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٤٥٤)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥)،

من طريق: الأعمش،

كلاهما- الأعمش، وعاصم- عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن حذيفة، به

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، إلا أن عاصم بن بهدله متكلم فيه، إلا أن الراجح فيه أن حديثه يحسن، وموافقة الأعمش له تجبر خبره، فيصح الخبر، والله أعلم.

ونحن جميع ؟ فقال النبي ﷺ : سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا القمر كلكم يراه مخليا به وهو آية من آيات الله ؛ فالله أكبر " أو كما قال النبي ﷺ . (٧٨٢)

وقال :"إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر " (٧٨٣)

فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه ؛ كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلا . ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله : يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد)(٧٨٤) إهـ كلامه رحمه الله تعالى ،

الجواب الثالث :ـ سلمنا جدلا أن الجمع بين العلو والمقابلة ممتنعة في حق المخلوق العاجز الضعيف ، فهل امتناعها في حق المخلوق يلزم منه امتناعها في حق الخالق جل وعلا ؟ بالطبع لا ، فإن صفات الخالق لا تدخل مع صفات المخلوق في قياس شمولي ولا قياس تمثيلي ، فهي مثلا ممتنعة في حق المخلوق

---

(٧٨٢) ضعيف

أخرجه أخرجه أحمد في مسنده (١٦١٨٦)، (١٦١٩٢)، (١٦١٩٨)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٠)، وأبو داود في سننه في كتاب السنة، باب الرؤية (٤٧٣١)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٥٩)، والطيالسي في مسنده (١١٩٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٤٨)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٣٩)، والأجري في الشريعة (٦٠٥)، والدارقطني في الرؤية (١٨٦)، وابن بطة في الإبانة (١١)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٨٣٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠٧٠).

كلهم من طريق: يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن أبي رزين العقيلي، به.

ففي إسناده وكيع بن عدس، أو حدس، وهو مجهول، وقد تفرد به عن أبي رزين العقيلي، ولم يتابعه أحد ، وكذا لم يروه عنه إلا يعلى ابن عطاء، وإن كان قد وثق من بعض أهل العلم إلا أن له مفاريد لا يتابع عليها، فقد قال ابن المديني: له أحاديث لم يروها غيره ، و رجال لم يرو عنهم غيره ، منهم و كيع بن عدس ، و أهل الحجاز لا يعرفونه ، و إنما روى عنه قوم بواسط.(تهذيب التهذيب ١١/ ٤٠٤).

(٧٨٣) أخرجه البخاري كتاب الأذان باب فضل السجود (٨٠٦) وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم (٦٥٧٣) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى:{وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٧٤٣٧) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢) وفي كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

(٧٨٤) آنظر الفتاوى الكبرى (٥/ ١٠٧).

فماذا يكون ؟ بالله عليك ماذا يكون ؟ هل صفات الله تعالى مثل صفات المخلوق حتى إذا امتنعت على المخلوق تكون ممتنعة في حق الخالق جل وعلا ـ سبحانك نعوذ بك من هذا الكلام ـ وذلك لأن اعتقاد وجود معارضة بين علو الله تعالى على عرشه ومقابلته لوجه المصلي لا تكون إلا في حق من جعل صفات الخالق كصفات المخلوق ، وهذه هي البلية والطامة التي كدرت عليهم باب الأسماء والصفات ، وأما أهل السنة فإنهم يصفون الله تعالى بالعلو المطلق الكامل على الوجه اللائق به ، ومع ذلك يصفون الله تعالى بأنه قبل وجه المصلي على الوجه اللائق به جل وعلا ، فهي مقابلة نعلم معناها ونكل العلم بكيفيتها إلى الله تعالى ، ولكن من جعلها مقابلة كمقابلة المخلوق للمخلوق فهو الذي سيشكل عليه هذا الأمر ، ويبحث بعد ذلك عن الحلول لما قام في رأسه من التعارض بين النقل والعقل ، ولو أنه سلم المر وفوض الكيفية لله تعالى لما وقع فيما وقع فيه ، والمهم أن التعارض الذي لفقه عقل هذا المفتري يجاب عنه بهذه الأجوبة المتقدمة ، مع العلم الكامل القطعي المؤكد أنه لا يمكن أبدا أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ، والله أعلم .

الفرع الحادي عشر :ـ من عجائب الأشاعرة أنهم لا يثبتون إلا سبع صفات فقط ، وهي الحياة والكلام والبصر والسمع والإرادة والعلم والقدرة ، ويسمونها بالصفات العقلية ، وأما بقية الصفات فإنهم يحرفونها أمور أخرى ، والعلة في هذا التحريف هو أن عقولهم عجزت عن إثبات بقية الصفات ، فيقولون :ـ إن الصفات التي أثبتناها دل عليها العقل وأما الصفات التي نفيناها لم يدل عليها العقل فالفعل الحادث دل على القدرة والتخصيص دل على الإرادة والإحكام دل على العلم وهذه الصفات لا تقوم إلا بحي والحي إما أن يكون سميعًا بصيرًا متكلمًا أو لا يكون والنقص منتفٍ عن الله تعالى فتعين أن يكون بسمع وبصر وكلام ، كذا قالوا ، فإن سمعت أشعريا يتبجح بهذا الكلام فاصفعه مباشرة بأربعة أجوبة :ـ أولها:ـ قل له :ـ إن إقحام العقل في باب الصفات مخالفٌ لمنهج السلف الصالح ذلك لأن باب الصفات من الأبواب الغيبية وما كان من باب الغيب فمبناه على الدليل الشرعي ولم يكن من عادة السلف أن يدخلوا عقولهم في باب الغيب ، فإقحام عقلك في باب الصفات مخالف لمنهج السلف ، وما خالف منهج سلف الأمة فهو باطل .

ثانيًا : قل له :ـ إن إقحام العقل في باب الصفات أصلاً مخالفٌ للعقل ذاته ذلك لأن الله تعالى لما خلق العقل خلقه بحدودٍ وطاقاتٍ لا يتعداها ويكون تفكيره سليمًا إذا لم يتعداها لكن إذا أُقْحم فيما لم يكن داخلاً في حدوده وطاقاته فإنه سوف يضل ويتيه ، وباب الصفات من الأمور الخارجة عن حدود العقل وطاقاته ولذلك ما ضل من ضل في باب الصفات إلا لأنهم حكموا عقولهم فيما ليس للعقل فيه مجال ، وثالثًا:ـ قل له :ـ هب أن العقل لم يدل على بقية الصفات فهل عدم العلم بها دليل على العدم ؟ بالطبع لا ، فإن العقل إذا لم يدل عليها فإن الدليل الشرعي قد دل عليها وهو دليلٌ مستقلٌ بنفسه ، بل هو عندنا أقوى من الدليل العقلي ، ورابعًا:ـ قل له :ـ إننا لا نسلم لكم دعوى أن العقل لا يدل على ما نفيتموه من الصفات ، لأن المتقرر عندنا معاشر أهل السنة والجماعة أن العقل الصريح لا ينفي ما أثبته النص الصحيح ، وحيث ثبت النص ببقية الصفات التي نفيتموها فنحن نعلم قطعا أن العقل يدل عليها ولا يتعارض مع شيء منها ، بل العقل السليم دل عليها إجمالاً وتفصيلاً فأما دليله إجمالاً فإن العقل يقضي أن يكون الخالق متصفاً بصفات الكمال ونعوت الجلال التي يتميز بها عن غيره وأن معطي الكمال في المخلوق هو الأولى به فكل صفة كمال في المخلوق لا نقص فيها بوجه من الوجوه فالله تعالى أولى بها ، فدخل في هذه الجملة كل صفات الكمال جملةً ، وأما دليله التفصيلي فإن صفات الله تعالى نوعان بالنسبة لطريق الثبوت : صفاتٌ خبرية عقلية ، وصفات خبرية محضة ؛ فأما الصفات الخبرية المحضة فلا طريق لإثباتها بالعقل ، بل يتوقف إثباتها على النقل فقط ، وذلك كصفة اليدين والاستواء والنزول إلى السماء الدنيا ، وأما الصفات الخبرية العقلية فإننا نقدر على إثباتها بالعقل ، مع أن الأصل في إثباتها هو طريق النص ،ولكن العقل يثبت ما أثبته النص ، ونحن نريد أن نبين لهؤلاء الأغبياء كيف أن العقل في مقدرته أن يثبت ما أثبته النص وأنه لا يتعارض مع دلالة النص ، ودونك بعض الأمثلة : فمن ذلك :ـ صفة المحبة فإن ثواب الطائعين وإكرامهم وإدخالهم الجنة من أكبر الأدلة على أن الله تعالى أحبهم . ومن ذلك :ـ صفة الغضب ، فإن عقاب المذنبين وإهانتهم وإدخالهم النار من أكبر الأدلة على أن الله تعالى قد غضب عليهم .ومن ذلك :ـ صفة الحكمة ، فإن من رأى بعين العقل هذا الشرع وعرف ما فيه من الحكم العظيمة عرف أنه من عند حكيمٍ حميد ، بل

الغايات المحمودة في أفعاله ومأموراته تدل على الحكمة البالغة كدلالة التخصيص على الإرادة ، بل وأولى لقوة العلة الغائية .ومن ذلك :ـ صفة القوة ، فإن من رأى السماء كيف على كبرها بنيت من غير عمدٍ نراها ، ومن رأى هذه الجبال على كبرها من أرساها وجعلها أوتادًا للأرض وأن الله تعالى هو الذي يمسكهما أن تزولا عرف حق المعرفة أن الذي خلقها قويٌ كريم . وغير ذلك من الصفات ، إذًا تبين من هذا أن العقل لا يمكن أبدا أن يتناقض النص ، بل هو متفق معه ، وإن كان النص هو سيد العقل وهو قائده والمقدم عليه ، ولكن ومع ذلك فالعقل لا يتنافى مع دلالة النص ، لأن المتقرر أنه لا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ، والله تعالى أعلى وأعلم .

الفرع الثاني عشر :ـ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «قال الله تعالى : من عادى لي وَلِيًا ، فقد آذَنْتُه بحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مِنْ أداءِ ما افترضتُ عليه ، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببتُهُ كُنتُ سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ،وإن سألَني أعْطَيتُه،وإن استَعَاذَ بي أعَذْتُه ، وما تردَّدتُ عن شيء أنا فاعله،تردّدي عن نفس المؤمن،يكره الموت وأنا أكره مَساءَتَه».أخرجه البخاري(٧٨٥)

فقال أهل البدع :ـ إن هذا الحديث يتعارض مع العقل ، وذلك لأن ظاهره يفيد أن الله تعالى قد حل في هذا الولي ، فصار سمعه وبصره ويده ورجله ، والله تعالى منزه عن هذا ، فلا بد من تأويل الحديث ، لأن ظاهره يتنافى مع ما يقرره العقل من وجوب تنزيه الله تعالى عن مخالطة المحدثات ، فقال أهل السنة :ـ أبدا ، فهذا الحديث لا إشكال فيه ، ولكن الإشكال في عقولكم فقط ، وإلا فالحديث واضح الدلالة ولا لبس فيه ولا غموض وظاهره لا يحتاج إلى تأويل ، وليس فيه ما يتنافى مع العقل في صدر ولا ورد ، وبيان ذلك أن يقال :ـ إن المتقرر في القواعد أن خير ما فسرت به السنة هو السنة ، وأن النصوص يفسر بعضها بعضا ، وهذا النص المذكور لو تأملته حق التأمل لتبين لك أنه لا يفيد أن ذات الله تعالى قد حلت

---

(٧٨٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

في ذات الولي ، أبدا والله العظيم فهذا الحديث لا يفيد هذا ، وإنما هو وهم توهمه أهل البدع ، وإلا فإن في الحديث " من عادى لي وليا " فأثبت ذات وليه بقوله " وليا " وأثبت ذاته جل وعلا بقوله في الحديث " لي " وأثبت ذات العدو لأوليائه بقوله " عدوا " فأثبت ثلاثة ، وكل واحد منهم منفصل بذاته عن الآخر ، فهي ثلاث ذوات ، وكلها منفصلة عن بعض ،

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى (وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام أو الاتحاد العام أو وحدة الوجود وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك كأشباه النصارى ، والحديث حجة على الفريقين فإنه قال "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب " فأثبت ثلاثة :ـ وليا له ، وعدوا يعادي وليه ، وميز بين نفسه وبين وليه وعدو وليه)(٧٨٦) إهـ ، ويوضح هذا قوله ﷺ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته " فأثبت هنا ربا وعبدا ، فالعبد يتقرب إلى ربه بما افترضه عليه من التعبدات ، فهما ذاتان منفصلتان ، ذات العبد المتقرب ، وذات الرب المُتَقَرَّبِ إليه ،

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى (ففرق بين العبد المتقرب والرب المتقرب إليه) (٧٨٧) إهـ ، ويوضح هذا أكثر قوله في الحديث " ولا يزال عبدي " فالعبد ذات ، والرب ذات أخرى ، وقوله " حتى أحبه " فأثبت محبوبا منفصلا عنه ، وهو هذا العبد ، فالعبد المتقرب إلى الله تعالى بالنوافل محبوب لله تعالى ، فأين الحلول في هذا ؟

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (فبين أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض) (٧٨٨) إهـ ، ويوضح هذا قوله في آخر الحديث " ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه " فأثبت سائلا وهو العبد ، ومعطيا وهو الرب جل وعلا ، وأثبت مستعيذا وهو العبد ، ومعيذا وهو الرب جل وعلا ، فهما ذاتان منفصلتان ، بنص الحديث ،

---

(٧٨٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٣٣٩).

(٧٨٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٣٣٩).

(٧٨٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٣٣٩).

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (فجعل العبد سائلا مستعيذا والرب مسئولا مستعاذا به) (٧٨٩) ولأنه في بعض الروايات في هذا الحديث قال " فبي يسمع ، وبي يبصر " ومن اعتقد أن الله تعالى قد حل في العبد أو فهم هذا من الحديث حقيقة قوله أن الله تعالى هو الذي يسمع وهو الذي يبصر ، مع أن هذا المعنى لا يفيده هذا الحديث ، لأنه قال " فبي يسمع " وقال " وبي يبصر " فالي يسمع حقيقة هو العبد ولكنه يسمع بالله تعالى ، والذي يبصر حقيقة هو العبد ولكنه يبصر بالله تعالى ، والذي يبطش هو العبد ولكنه يبطش بالله تعالى ، ولكن على قول الحلولية أن الله تعالى هو الذي يسمع وهو الذي يبصر وهو الذي يمشي وهو الذي يبطش ، والرسول لم يقل هذا الكلام ، وإنما قال عن ربه " فبي يسمع ، وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي " ولكن أهل البدع لا يفقهون عن الشارع كلامه ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (ثم قال تعالى "فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي " وعلى قول هؤلاء الرب هو الذي يسمع ويبصر ويبطش ويمشي والرسول إنما قال "فبي") (٧٩٠) إهـ ،

وأما قوله في وسط الحديث " كنت سمعه الذي يسمع به ... الخ " فإن هذا جار على ما تعرفه العرب من كلامها ، ومعناه التوفيق والتسديد ، بمعنى :ـ أن هؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النوافل بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه وصار أحدهم يدرك بالله ويتحرك بالله بحيث أن الله يجيب مسألته ويعيذه مما استعاذ منه ، فيكون العبد في كل حركاته وسكناته لله تعالى ، فيحب العبد ما يحبه الله ، ويبغض ما يبغضه الله، ويرضى بما يرضي الله، ويغضب لما يغضب الله، ويأمر بما يأمر الله، وينهى عما ينهى الله، ويوالي من يواليه الله، ويعادي من يعاديه الله، ويحب لله، ويبغض لله، ويعطي لله، ويمنع لله، بحيث يكون موافقاً لربه تعالى فهذا المعنى حق وهو حقيقة الإيمان وكماله ، فلا يمشي إلا لتحقيق مرضاة الله تعالى ، ولا يبطش إلا في مرضاة الله تعالى ، ولا يبصر إلا ما يرضي الله تعالى ، ولا يسمع إلا ما يرضي

(٧٨٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٢٣٩).

(٧٩٠) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٢٤٠).

الله تعالى ، وحقيقة ولاية الله تعالى: هي موافقته بالمحبة لما يحب والبغض لما يبغض والرضا بما يرضى والسخط بما يسخط والأمر بما يأمر به والنهي عما ينهى عنه والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه ، أفاده أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فيكون الله تعالى في قلب العبد أي محبة الله تعالى ومحبته وهداه ، وهذا من باب المثل العلمي ، وليس المراد معية الذات ، بل هو مثل قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال " أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه " (٧٩١)

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (والمخلوق إذا أحب المخلوق أو عظمه أو أطاعه يعبر عنه بمثل هذا فيقول أنت في قلبي وفي فؤادي وما زلت بين عيني ومنه قول القائل

مثالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب ...

وقول الآخر

ومن عجبي أني أحن إليهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ... ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

ومثل هذا كثير مع علم العقلاء ، أن نفس المحبوب المعظم هو في نفسه ليست ذاته في عين محبه ولا في قلبه ولكن قد يشتبه هذا بهذا حتى يظن الغالطون أن نفس المحبوب المعبود في ذات المحب العابد) (٧٩٢) إهـ ، والخلاصة من هذا أن هذا الحديث لا يدل على أن ذات الله تعالى قد حلت في ذات المخلوق ، لا والله العظيم ،

---

(٧٩١) صحيح

أخرجه أحمد في مسند (٧٩١)، (١٠٩٧٥)، (١٠٩٧٦)، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب، باب فضل الذكر (٣٧٩٢)، وابن الأعرابي في معجمه (١٠٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٨١٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٦٦٢١)، وابن المقرئ في معجمه (١١٠٤)، والبيهقي في الشعب (٥٠٦)،

من طريق: إسماعيل بن عبيد الله، عن كريمة ابنة الحسحاس، عن أبي هريرة، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، ولم أقف له على علة.

(٧٩٢) آنظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٢٤٠).

هذا فهم بعيد عن الحق ، بل هو كفر وردة ، وهو فهم مخالف لفهم سلف الأمة ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة وأئمتها فهو باطل ، بل الحق في هذا الحديث أنه يفيد أن من اجتهد في التقرب لله تعالى بأنواع القربات فرضا ونفلا فإن الله تعالى يحبه ، فإن أحبه الله تعالى فإنه يوفقه ويسدده ويعينه ويثبته ، فتكون حركات العبد الذي بلغ هذه المرتبة العالية الرفيعة وسكناته كلها بالله تعالى ولله تعالى ، هذا هو معنى الحديث ، وهو على هذا الفهم السليم متفق مع العقل ، لأن المتقرر عندنا أنه لا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح . والله أعلم.

الفرع الثالث عشر :ـ قال الله تعالى عن سفينة نوح {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر: ١٤] ومثله قوله تعالى عن موسى {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } [طه: ٣٩] ففهم بعض أهل البدع أن عين السفينة تجري في عين الله تعالى ، وقالوا :ـ هذا النص يفتقر إلى تأويل ، لأن ظاهره لا يليق بالله تعالى ، لأن العقل يفرض أن هذه الصورة لا يمكن أن تكون ، إذ كيف تكون السفينة تجري بعين الله تعالى ؟ هذا لا يكون ، والنص الثاني أيضا يحتاج إلى تأويل إذ لا يعقل أبدا أن يتربى موسى على عين الله تعالى ، هذا ظاهره مناقض للعقل ، وقد أجاب أهل السنة عن هذا الفهم بما بينه الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى بقوله (والجواب : أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا ؟

هل يقال : إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يربى فوق عين الله تعالى ؟ أو يقال : إن ظاهره أن السفينة تجرى وعين الله ترعاها وتكلؤها ، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها ، ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين :

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، قال الله تعالى :{ {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢] وقال تعالى : { {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] ولا أحد يفهم من قول القائل : فلان يسير بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه ولا من قول القائل : فلان تخرج على

عيني أن تخرجه كان وهو راكب على عينه ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني : أن هذا ممتنع غاية الامتناع ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى لأن الله تعالى مستو على عرشه ، وإنما أراد أنني كنت أحفظه وأرعاه إلى أن تخرج . وإنما يفهم منه أن عينيه تصحبه بالنظر والرعاية لأن الباء هنا للمصاحبة وليست للظرفية وهذا هو بطلان كلامهم من الناحية اللفظية .أما بطلانه من الناحية المعنوية : فإن من المعلوم أن نوحاً عليه الصلاة والسلام كان في الأرض ، وأنه صنع السفينة في الأرض ، وجرت على الماء في الأرض كما قال الله تعالى : { {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ } [هود: ٣٨] وقال : {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ} [القمر: ١٠ - ١٤]

ولا يمكن لأحد أن يدعي أن ظاهر اللفظ أن السفينة تجري في عين الله عز وجل لأن ذلك ممتنع غاية الامتناع في حق الله تعالى ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره وعلم أنه مستو على عرشه بائن من خلقه ليس حالاً في شيء من مخلوقاته ولا شيء من مخلوقاته حالاً فيه أن يفهم من هذا اللفظ هذا المعنى الفاسد ، وعلى هذا فمعنى الآية الذي هو ظاهر اللفظ أن السفينة تجري والله تعالى يكلؤها بعينه)إهـ كلامه رحمه الله تعالى .

الفرع الرابع عشر :ـ قال الله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: ١٠] فقال أهل البدع ، هذا لا يمكن أن يكون ، إن هذه الآية تحتاج إلى تأويل لأن ظاهرها يتعارض مع العقل ، لأنها تفيد أن يد الله تعالى قد ماست أيدي المؤمنين واختلطت بهم أو أنها حلت في أيديهم ، والعقل يمنع هذا المر في حق الله تعالى تنزيها له جل وعلا عن مماسة المحدثات ، وأعظم من هذا الفهم وأخطر فهم من يقول :ـ إن قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [الفتح: ١٠] دليل على أن الله حال في ذات الرسول ﷺ ، تعالى الله عما يقول الظالمون

علوا كبيرا ، كذا قالوا :ـ فقال أهل السنة رحمهم الله تعالى :ـ إن هذا الفهم من هذه الآية فهم باطل ، بل هو في حد ذاته يتنافى مع الدين والعقل والفطرة السليمة ، فهي لا تدل البتة على ما قاله أهل الحلول والاتحاد العام والخاص ، نعوذ بالله تعالى من هذا الفهم المنقلب على عقبيه ، بل الفهم الصحيح لهذه الآية هو أن يقال :ـ إن الله تعالى قد بعث نبيه بالهدى ودين الحق ، وأمره أن يبلغ الناس رسالته ، فقال{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: ٦٧] فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله ، ويأمر الناس بتوحيد الله تعالى ، وينهاهم عن الشرك به ، وكان يأخذ البيعة من بعض أصحابه ، وهو يأخذ هذه البيعة بأمر الله تعالى ، فيأخذها لله وبأمر الله تعالى ، فهو لا يتصرف من عند نفسه ، وإنما لا يتصرف في أمر الشرع إلا بمقتضى الوحي ، كما قال تعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤] فلما كان يأخذ البيعة بأمر الله تعالى ، وكان مقتضاها الحث والأمر بطاعة الله تعالى وتوحيده والدفاع عن رسوله ، أنزل الله تعالى مبايعته لهم منزلة مبايعة الله تعالى لهم لأنها تمت بأمر الله تعالى وبإذنه جل وعلا ، كما أن أمير البلد يأخذ البيعة للملك ، فيقول للناس :ـ قوموا فبايعوا أمير المؤمنين ـ مثلا ـ فيقوم الناس فيبايعونه هو ، مع أن أمير المؤمنين ليس حاضرا ، ولكن لما كانت هذه البيعة بإذن الملك وبأمره كانت مبايعة أميره مبايعة له ، ومبايعة أميره للناس منزلة منزلة مبايعة الملك للناس ، وهذا أمر ظاهر لا يحتاج إلى تأويل ، فقوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [الفتح: ١٠] هو كقوله{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } [النساء: ٨٠] لأن الرسول لا يأمر إلا بما فيه طاعة لله تعالى ، وكقول النبي ﷺ" من أطاع أميره فقد أطاعني ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصى أميره فقد عصاني ، ومن عصاني فقد عصى الله " فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله ، ومن عصى الرسول فقد عصى الله ، ومن بايع الرسول فقد بايع الله ، فما الفرق بين هذا التعبير وهذا التعبير ؟ الجواب :ـ لا فرق ، قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى (ومعلوم أن يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت مع أيديهم كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة، فعلم أن يد الله التي فوق أيديهم ليست هي يد النبي ﷺ ولكن الرسول عبد الله ورسوله فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله

وأمره ببيعتهم، ألا ترى أن كل من وكل شخصاً بعقد مع الوكيل كان ذلك عقداً مع الموكل ومن وكل نائباً له في معاهدة قوم فعاهدهم عن مستنيبه كانوا معاهدين لمستنيبه ومن وكل رجلاً في نكاح أو تزوج كان الموكل هو الزوج الذي وقع له العقد) وقال رحمه الله تعالى (إن قوله تعالى: " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله " لم يرد به إنك أنت الله وإنما إنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه فمن بايعك فقد بايع الله كما أن من أطاعك فقد أطاع الله ولم يرد بذلك أن الرسول هو الله، ولكن الرسول أمر بما أمر الله به فمن أطاعه فقد أطاع الله كما قال النبي ﷺ: " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني " (٧٩٣)

ومعلوم أن أميره ليس هو إياه ومن ظن في قوله: " {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [الفتح: ١٠]أن المراد به أن فعلك هو فعل الله أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو ومع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته وجعله مثل غيره، وذلك أنه لو كان المراد أن خالق لفعلك لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله ومن بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضاً فيكون الله قد بايع الله إذ الله خالق لهذا ولهذا، وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد فإنه عام عندهم في هذا وهذا فيكون الله قد بايع الله، وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو ويقول أقاتل الله؟ ما أقدر أن أقاتل الله ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم وبينا فساده لهم ضلالهم غير مرة وأما الحلول الخاص فليس هو قول هؤلاء بل هو قول النصارى ومن وافقهم من الغالية وهو باطل أيضاً فإن الله سبحانه وتعالى قال له: " {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } [آل عمران: ١٢٨] " وقال: " {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ } [الجن: ١٩] وقال: " {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا } [الإسراء: ١] " وقال: " { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} [البقرة: ٢٣] " وقال: " {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ

(٧٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَاءِ الإِمَامِ وَيُتَّقَى بِهِ (٢٩٥٧)

عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح: ١٨، ١٩]

فالآية ولله الحمد والمنة لا إشكال فيها ، ولكن عقول أهل البدع هي التي فيها إشكال ، وأما على مقتضى الفهم الصحيح السليم فإنه لا يكون بين الآية والعقل ولا مطلق التعارض ولله الحمد والمنة ، لأنه لا يمكن البتة أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ، والله أعلم .

الفرع الخامس عشر :ـ قال الله تعالى{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال: ١٧] فقال بعض الناس :ـ إن هذه الآية تتنافى مع العقل ، لأن ظاهرها يفيد أن الذي رمى حقيقة هو الله تعالى ، فيدل هذا أن الله حال في ذاته النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا بد من التأويل حتى تتفق مع ما يقتضيه العقل من تنزيه الله تعالى عن ما لا يليق ، فقال أهل السنة :ـ إنكم أتيتم من جهلكم باللغة ، والحق الحقيق بالقبول هو أن الآية حق على ظاهرها ، ولكن الشأن في الفهم السليم عند النظر في النصوص ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (إن قوله{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال: ١٧]لم يرد به إن فعل العبد هو فعل الله تعالى كما تظنه طائفة من الغالطين فإن ذلك لو كان صحيحاً لكان ينبغي أن يقال لكل أحد حتى يقال للماشي ما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى، ويقال للراكب وما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب، ويقال للمتكلم ما تكلمت إذ تكلمت ولكن الله تكلم. ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك وطرد ذلك يستلزم أن يقال للكافر ما كفرت إذ كفرت ولكن الله كفر. ويقال للكاذب ما كذبت إذ كذبت ولكن الله كذب. ومن قال مثل هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين، ولكن معنى الآية أن النبي ﷺ يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي إلى جميعهم فإنه إذا رماهم بالتراب وقال شاهت الوجوه ولم يكن في قدرته أن يوصل ذلك إليهم كلهم فالله تعالى أوصل ذلك الرمي إليهم بقدرته، يقول وما أوصلت إذ حذفت ولكن الله

أوصل، فالرمي الذي أثبته له ليس هو الرمي الذي نفاه عنه وهو الإيصال والتبليغ وأثبت له الحذف والإلقاء وكذلك إذا رمى سهماً فأوصلها بقدرته) (٧٩٤)

وقال رحمه الله تعالى (والله تعالى يقول {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال: ١٧]لأن النبي صلى الله عليه و سلم أخذ حفنة من تراب أو غيره ، فرمى بها المشركين ، فأصابت عيونهم ، وهزمهم الله تعالى بها ، ولم يكن في قدرة النبي صلى الله عليه و سلم ذلك ، بل الله تعالى أوصل ذلك إليهم ، والرمي له طرفان :ـ خذف بالمرمي ووصول إلى العدو و نكاية فيهم ، والنبي صلى الله عليه و سلم فعل الأول ، والله فعل الثاني ، والمعنى :ـ ما أوصلت الرمي إذ خذفته ، ولكن الله أوصله وهزمهم به ، فالذي أثبته الله لنبيه غير الذي نفاه عنه ، وقد أثبت له رميا بقوله {إذ رميت} ونفى عنه رميا بقوله {وما رميت} وكان هذا غير هذا لئلا يتناقض الكلام) (٧٩٥)

فيكون معنى الآية :ـ وما أوصلت إذ حذفتهم بحفنة التراب ، فحذف التراب نحوهم هو رمي النبي ﷺ ، ووصول التراب إليهم ونكايته فيهم هو رمي الله تعالى ، فالنبي رمى ، والله تعالى أوصل رميته إليهم ، وعلى هذا فلا يكون بين الآية وبين العقل أي نوع من التعارض ، لأنه لا يمكن أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح .

الفرع السادس عشر :ـ يقول النبي ﷺ في الحديث القدسي فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال "وما تردَّدتُ عن شيء أنا فاعله، تردّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مَساءَتَه». أخرجه البخاري، (٧٩٦)

فقالوا :ـ هذا الحديث يحتاج إلى تأويل ، لأن ظاهره يفيد أن الله تعالى يتردد ، والله تعالى له الأمر كله وهو الحكيم العليم ، فهو العالم بالأمر قبل كونها ، والتردد مبناه على الجهل بالعواقب ، فكيف يوصف الله تعالى بالتردد ، والتردد مبناه على الجهل بالعاقبة ، والعقل يفرض أن الله تعالى هو العلم بكل شيء ، فصار ظاهر هذا

---

(٧٩٤) آنظر مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ١٤٥).

(٧٩٥) آنظر الرد على البكري (١/ ٣٣٤).

(٧٩٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

الحديث يحتاج إلى تأويل ، فقال أهل الحق :ـ أبدا ، بل الحديث حق ، وظاهره حق ، ولا يحتاج إلى تأويل ، بل عقولكم هي التي تحتاج إلى تعديل ، لأنكم فهمتم أن التردد المضاف إلى الله تعالى هو بعينه التردد المضاف إلى المخلوقين ، وتلك هي بليتكم في كل ما حرفتموه من الصفات ، إنما هو فرارا مما قام في عقولكم من محذور تمثيل الله تعالى بخلقه ، وبيان الحال أن يقال :ـ إن أصل التردد هو تعارض إرادتين ، وهذا معناه في اللغة ، لأننا قلنا سابقا أن أهل السنة والجماعة يعلمون معاني الصفات ، فالتردد تعارض بين إرادتين ، فالله تعالى يريد كونا أن يقبض نفس عبده المؤمن ، والمؤمن يكره الموت ، والله تعالى يحب ما يحب عبده المؤمن ويكره ما يكرهه عبده المؤمن ، والمؤمن يكره الموت ، فالله تعالى يكره له الموت ، ولكن الله تعالى قد قضى بأنه لا بد وأن يموت ، فلا بد من الموت قضاء جازما على كل ذي روح من الله تعالى ، والعبد يكره الموت ، والله تعالى لا يريد مساءته عبده المؤمن لأنه قال " وأنا أكره مساءته " أي لا أريد أن أوصل له أمرا يسوؤه ، ولكن لا بد له منه ، فهذا هو معنى التردد المضاف إلى الله تعالى ، فالأمر ليس مرده إلى الجهل بالعواقب ولا غير ذلك مما يتفوه به أهل البدع ، وإنما المر مرده إلى تعارض أرادتين :ـ إرادة الموت للعبد المؤمن ، وكراهية مساءة عبده المؤمن ، فتعارض هاتين الإرادتين سماها الشارع ترددا ،

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى (فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وأنا أكره مساءلته وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك تردداً ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك) (٧٩٧)

فالتردد المضاف إلى الله تعالى له معنى وله كيفية ، فأما معناه فهو ما ذكرته من تعارض الإراديتن ، وأما كيفيته فالأمر فيه إلى الله تعالى ، فنحن نؤمن به من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل هذا الحديث فيه إثبات كمال محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ، وأنه رحيم بهم ورفيق بهم ، وأنه لا يريد وصول السوء لهم ، وأنه يحميهم وينصرهم ويعينهم ، فالحديث ليس فيه إلا وصف الله

---

(٧٩٧) آنظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٩).

تعالى بأوصاف الكمال ، ولكن أهل البدع أبوا إلا تحريفه لأنهم فهموا منه فهما فاسدا ، وأما أهل السنة فما قام في عقولهم عند سماعه إلا المعاني الطيبة اللائقة بالله تعالى ، ولم يتعارض مع عقولهم الزكية ، وأفهامهم السليمة لأنه لا يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح . والله أعلم .

الفرع السابع عشر :ـ عن أبي هريرة قال :ـ قال رسول الله ﷺ :ـ قال الله تعالى" أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " (٧٩٨)

فقالوا :ـ الهرولة والمشي من جملة ما لا يقر العقل وصف الله تعالى بها ، فيكون الحديث مفتقرا إلى تأويل ، ويكون تأويله على أن سرعتي في الإضافة تكون على سرعة عبدي في الإجابة ، كذا قالوا ، فظاهر الحديث عندهم يتعارض مع العقل ، فقال أهل السنة رحمهم الله تعالى :ـ إن هذا الحديث حق على ظاهره ، وظاهره لا يتعارض إلى مع عقول أهل البدع الذين يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه ، وأما على فهم السلف ممن يقدرون الله تعالى حق قدره فإنه لا يتعارض هذا النص مع عقولهم ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف، وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر) (٧٩٩)

وعلى هذا فنحن نؤمن بأن من صفات الله تعالى المشي ، ومن صفات الله تعالى القرب من عباده ، ومن صفاته تعالى الهرولة ، ولمن لا بد وأن يقرن هذا الإثبات بجمل من القواعد المهمة :ـ الأولى :ـ أن الصفة تختلف باختلاف الموصوف بها ،

(٧٩٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، في بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، بَابُ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى (٢٦٧٥).

(٧٩٩) آنظر مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٦).

أي تختلف باختلاف من أضيفت إليه ، فالهرولة والتقرب والمشي في هذا الحديث مضاف إلى الله تعالى ، فيكون لائقا به عز وجل ، الثانية :ـ الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، فللمخلوق هرولة ومشي ، ولله تعالى هرولة ومشي ، فالأسماء متفقة ، ولكن هذا الاتفاق لا يستلزم الاتفاق في كيفية الهرولة ، فكم وكم من الأشياء التي اتفقت في أسمائها ولكنها تختلف في صفاتها ، وقد شرحنا هذه القاعدة سابقا ، الثالثة :ـ الاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق بعد التقييد والتخصيص والإضافة ، بمعنى أن الهرولة والمشي من غير إضافة إلى الخالق ولا إلى المخلوق هي اسم عام مطلق كلي ، لا وجود له في الخارج ، أي في خارج الذهن ، لأن الوجود خارج الذهن هو الوجود المقيد ، وأما الوجود المطلق فغنه لا حقيقة له عند التحصيل ، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان كما قاله ابن تيمية في التدمرية ، فهرولة الله تعالى ومشيه وهرولة المخلوق ومشيه وإن اتفقت في الاسم الكلي العام المطلق فإن هذا الاتفاق ينتهي بعد إضافة الهرولة لكل منهما ، فلا يكون بينهما بعد التقييد والإضافة والتخصيص أي مماثلة ، بل يكون لمل منهما هرولته ومشيه الذي يخصه ، الرابعة :ـ القول في الصفات كالقول في الذات ، بمعنى أننا لا يمكن أن نعرف كيفية الصفة إلا إن علمنا أصلا كيفية الذات ، فأما الذات التي لا نعرف كيفيتها فإنه من باب أولى أن لا نعلم كيفية صفاته ، فالهرولة والمشي في هذا الحديث مضاف إلى ذات الله تعالى ، ونحن لا نعلم كيف الله تعالى في ذاته ، فّا كنا لا نعلم كيف الله تعالى في ذاته فإنه من باب أولى أن لا نعلم كيف هو في مشيه وهرولته ، ولذلك قال أهل السنة :ـ إذا قال لك الجهمي :ـ كيف استوى الله تعالى على عرشه ؟ فقل له :ـ أخبرني أنت كيف هو في ذاته ؟ فإن قال :ـ لا أعلم كيف هو في ذاته ، فقل له :ـ وأنا لا أعلم كذلك كيف هو في استوائه ، لأن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية ذات الموصوف بها ، فإذا كنا لا نعرف كيف هو في ذاته فكيف نعلم إذا كيف هو في صفاته ؟ هذا لا يكون ، الخامسة :ـ أهل السنة يعلمون المعنى ويكلون علم الكيفية لله تعالى ، فالهرولة والمشي المضاف إلى الله تعالى نعلم معناه ، ولكن هذا العلم على حدود ما هو مقرر عندنا في لسان العرب ، وأما كيفية هرولة الله تعالى ومشيه فإنه لا يعلم بها إلا الله تعالى ، فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا

متوهمين بأهوائنا ، والله تعالى أعلم بنفسه وأصدق حديثا من خلقه ، وليس كمثله شيء في جميع نعوته ، فله هرولة على ما يليق بجلاله وعظمته ، وله مشي على ما يليق بجلاله وعظمته ، وبه تعلم أن الحديث متفق مع العقل ، لأن إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه بمقتضى كلامه هو مقتضى العقل ، وأما تحريف الكلم عن مواضعه وتحميل كلام الله تعالى ما لا يحتمل من المعاني الغريبة على لغة العرب وفهم السلف فهذا هو عين معارضة العقل ، وأما من قال بما قال النص ، ووقف عند حدود النص ، وتعامل مع النصوص على ضوء القواعد المقررة في مذهب أهل السنة فإنه هو العاقل الذي قال بمقتضى العقل والنص ، فمن فهم هذا النص على مقتضى هذه القواعد استراح وأراح ، وأما من لم يفهم من الهرولة والمشي إلا ما يفهمه من هرولة المخلوق ومشيه فهذا الفهم سيجره إلى الوقوع في حفر التأويل ومخازي التعطيل والتحريف ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .ولا نريد الإطالة في التفريع ، ولكن المهم عندنا أن تخرج من هذا بتقرير هذه القاعدة الطيبة ، وهي أنه لا يمكن أبدا أن يتعارض العقل السليم الصريح مع النص الصريح ، والله يتولانا وإياك ، وهو أعلى وأعلم .

ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

واعمل بآحاد الحديث فإنه   إن صح مقبول مع الإذعان

أقول :ـ وهذه قاعدة أيضا عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، وهي من القواعد التي تميز بها أهل السنة ، فأهل السنة يحتجون بأحاديث الآحاد في العقيدة ، وهذا ما خالفهم فيه عامة أهل البدع فيما نعلم ، وبما أن هذه القاعدة من القواعد الكبرى في مذهب سلف الأمة ، فإنه لا بد وأن نعطيها حقها من الاهتمام والاستدلال والتفريع فأقول وبالله تعالى التوفيق :ـ

(المسألة الأولى) لقد قسم أهل العلم رحمهم الله تعالى الأخبار من حيث طريق وصولها إلينا إلى قسمين :ـ أخبار متواترة وأخبار آحاد ، وعرفوا المتواتر بأنه ما رواه جمع عن جمع من مبدأ السند إلى منتهاه بحيث تحيل العادة تواطأهم على الكذب ، وأما حديث الآحاد فهو ما فقد شرط التواتر ، وهذا التقسيم في الحقيقة لا بد من وقفة معه ، فليس بمقبول عندنا معاشر أهل السنة ولا بمردود مطلقا ، بل

الأمر موقوف على المراد به ، فإن كان يراد به معرفة طريق الخبر ليستفاد منه في باب الترجيح مثلا فلا حرج في هذا التقسيم ، ولكن الذي نخاف منه هو أن يكون هذا التقسيم له أثر في باب الاعتقاد ، بمعنى أن ما كان من قبيل المتواتر فيقبل في باب الاعتقاد ، وما كان من قبيل الآحاد فإنه لا يقبل ، فإن كان التقسيم يراد ويقصد به ذلك الأمر فهو باطل عندنا ، ولا يرضاه أهل السنة والجماعة ، واتفق أهل السنة على بطلان هذا الكلام ، واتفقوا على الإنكار على أهل البدع الذين اعتمدوا رد أخبار الآحاد في باب أبواب العقيدة ، واتفقوا على اعتماد خبر الآحاد في باب الاعتقاد ، بل إن التفريق بين المتواتر والآحاد في أبواب العقيدة صار علامة على أهل البدع ، فيمتحن الإنسان بأن يقال له :ـ هل تقبل أخبار الآحاد في أبواب العقيدة ؟ فإن قال :ـ نعم ، فهو من أهل السنة في هذا الباب ، وإن قال :ـ لا ، فاعلم أنه من أهل البدع ، والمقصود أن خبر الآحاد معتمد عند عامة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في أبواب العقيدة ، فما ورد من العقائد في أي باب من أبوابها وكان مستنده خبر آحاد فاعلم أننا نقبله ـ بالطبع إن كان سنده قد صح عن المعصوم ﷺ ـ فالذي ندين الله تعالى به هو قبول أخبار الآحاد في العقيدة ، لأن المتعمد عندنا هو صحة النص ، فإن صح النص فالواجب على الأمة قبوله واعتماده والإيمان بمدلوله والمهم أن حديث الآحاد عند أهل السنة حجة بشرطين هذا أحدهما ، الثاني :- أن لا يكون منسوخا ، فإذا صح سنده ولم ينسخ فوالله الذي لا إله غيره أنه حجة ، يجب قبول مدلوله والمصير إليه واعتماده وتحرم مخالفته ، أو معارضته بشيء ، بل هو حجة بنفسه ، سواء وافق القياس أو خالفه ، وسواء كان في العقائد أو في الشرائع ، وسواء وافق قول الأكثر أو خالفه ، وسواء عمل به أحد أو لم يعمل به أحد ، فالحديث حجة بنفسه ، فلا يكتسب حجيته من شيء خارج ، بل الشيء الخارج لا يكون حجة أصلا إلا إن وافق الحديث ، فهو الذي يفيد غيره الحجية وليس غيره هو الذي يفيده الحجية ، والله المستعان .

(المسألة الثانية) واعلم رحمك الله تعالى أن هذه القاعدة المقررة في النظم من أن خبر الآحاد عند أهل السنة مقبول في باب الاعتقاد قد وردت له الأدلة الكثيرة من

الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع ، ونحن نذكر لك إن شاء الله تعالى طرفا من هذه الأدلة فنقول وبالله تعالى التوفيق ، ومنه نستمد العون والفضل :ـ

منها :- قوله تعالى {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢] فنوع الله تعالى المؤمنين إلى نوعين، فرقة قاعدة ، وفرقة نافرة ، وأوجب على الفرقة القاعدة أن تتفقه فيما نزل من الوحي وأن تحفظه ليفقهوا فيه إخوانهم وينذروهم به إذا رجعوا من الجهاد ، وأوجب على الفرقة النافرة حال رجوعهم أن يقبلوا ما يقوله إخوانهم من أهل الفرقة القاعدة ، والطائفة القاعدة لم يشترط فيها عدد التواتر مما يدل على وجوب قبول خبر الطائفة القاعدة وإن كانوا لا يبلغون عدد التواتر .

ومنها :- قوله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦] فالله تعالى إنما أمر بالتثبت في خبر الفاسق ، فيفهم منه أن الثقة العدل يقبل خبره ، وخبره خبر آحاد ، فأفاد ذلك أن خبر الواحد العدل حجة .

ومنها :- ما استدل به القرطبي والجصاص وجمع من المفسرين من قوله تعالى{وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا } [المائدة: ١٢] فقد جعل القرطبي رحمه الله تعالى من أوجه الاستدلال بها أنها دليل على قبول خبر الواحد فقال (الثانية - ففي الآية دليل على قبول خبر الواحد فيما يفتقر إليه المرء، ويحتاج إلى اطلاعه من حاجاته الدينية والدنيوية، فتركب عليه الأحكام، ويرتبط به الحلال والحرام، وقد جاء أيضا مثله في الإسلام، قال ﷺ لهوازن: (ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم) (٨٠٠).أخرجه البخاري.(٨٠١)

---

(٨٠٠) آنظر تفسير القرطبي (١١٢/٦، ١١٣).

(٨٠١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العتق، بَابُ مَنْ مَلَكَ مِنَ العَرَبِ رَقِيقًا، فَوَهَبَ وَبَاعَ وَجَامَعَ وَفَدَى وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ (٢٥٣٩)، بَابُ إِذَا وَهَبَ جَمَاعَةٌ لِقَوْمٍ (٢٦٠٧)، كتاب فرض الخمس بَابٌ: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الخُمُسَ لِنَوَائِبِ المسْلِمِينَ

وقال الجصاص رحمه الله تعالى (وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ ؛ لِأَنَّ نَقِيبَ كُلِّ قَوْمٍ إنَّمَا نُصِبَ لِيُعَرِّفَ أَحْوَالَهُمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ الْإِمَامَ ، فَلَوْلَا أَنَّ خَبَرَهُ مَقْبُولٌ لَمَا كَانَ لِنَصْبِهِ وَجْهٌ . (٨٠٢)

ومنها:- قوله تعالى {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} [البقرة: ٢٨٢] وكذلك قوله تعالى في جزاء الصيد إذا صاده المحرم{يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} [المائدة: ٩٥] والآيات في الشهادة في القرآن كثيرة ، وهي دليل على قبول خبر الآحاد لأن الشاهد والشاهدان والثلاثة والأربعة ، لا يخرج خبرهم عن كونه خبر آحاد ، ففي قبول شهادتهم دليل على أن خبر الآحاد الصحيح حجة .

ومنها :- ما رواه مسلم في صحيحه عن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَاب " (٨٠٣)

فانظر كيف بعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمن لدعوتهم لعقائد الدين ، وهو واحد ، حتى وإن بعث بذلك أبا موسى وعليا ، إلا أن هذا العدد لا يبلغ مع ذلك عدد التواتر ، فلو كان خبر الواحد غير مقبول ، لما كانت حجة الله تعالى قد قامت على أهل اليمن بخبر معاذ ، لأن خبره خبر واحد .

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي

(٣١٣١)، كتاب المغازي، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} (٤٣١٨)، كتاب الأحكام، بَابُ العُرَفَاءِ لِلنَّاسِ (٧١٧٦).

(٨٠٢) آنظر أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٤٩٨).

(٨٠٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ (١٩).

رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ

هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }(٨٠٤)

والشاهد منه أنه ﷺ أقام حجة الله تعالى على هرقل ببعثة رسول واحد ، مما يفيد أن خبر الواحد حجة ، غذ لو لم يكن حجة لما كانت حجة الله على هرقل وقومه قد قامت .

ومنها :- أنه ﷺ حاطب بن أبي بلتعة على المقوقس ، صاحب الإسكندرية وهو واحد بكتاب له يدعو فيها المقوقس وقومه إلى الإسلام ، كما رواه ابن أبي شيبة في المصنف قال :- حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يعقوب عن جعفر بن عمرو قال : بعث رسول الله ﷺ أربعة نفر إلى أربعة وجوه : رجلا إلى كسرى ، ورجلا إلى قيصر ، ورجلا إلى المقوقس ، وبعث عمرو بن أمية إلى النجاشي... الحديث . (٨٠٥)

ومنها :- ما رواه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى وَهَذَا حَدِيثُهُ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنْ الدَّفْقِ أَوْ مِنْ الْمَاءِ

---

(٨٠٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي (٧).

(٨٠٥) ضعيف، معل بالإرسال

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٦٢٨).

من طريق: حاتم بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر بن عمرو، عن النبي ﷺ، به.

ففيه: يعقوب بن عمرو، وهو مقبول، وشيخه جعفر بن عمرو، لم يدرك النبي ﷺ، فيكون مرسلًا.

وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ قَالَ قَالَ أَبُو مُوسَى فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِي فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّاهْ أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ فَقَالَتْ لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ قُلْتُ فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ قَالَتْ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ" (٨٠٦)

ووجه الاستشهاد به أن المهاجرين والأنصار رجعوا لقول عائشة رضي الله عنها وانتهى الخلاف بينهم بقولها ، وهي واحدة ، ولم يقل أحد منهم :- إن هذا خبر آحاد ، بل قبلوه وسلموا له واعتمدوه ، مما يفيد أنهم كانوا جميعا يرون حجية خبر الآحاد .وخير الهدي هديهم .

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ.(٨٠٧)

والشاهد أنهم فعلوا ما فعلوه استلالا بقول هذا الرجل ، وهو واحد ، فأفاد ذلك أنهم كانوا قد تقرر في قلوبهم أن خبر الواحد الصحيح حجة .

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ

---

(٨٠٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحيض، بَابُ نَسْخِ الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ وَوُجُوبِ الْغُسْلِ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ (٣٤٩).

(٨٠٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي القِبْلَةِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ الإِعَادَةَ عَلَى مَنْ سَهَا، فَصَلَّى إِلَى غَيْرِ القِبْلَةِ (٤٠٣)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ} (٤٤٨٨)، بَابُ {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} (٤٤٩٠)، بَابُ {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} (٤٤٩١)، بَابُ {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ} (٤٤٩٣)، (٤٤٩٤)، كتاب أخبار الآحاد بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الأَذَانِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ (٧٢٥١)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد، بَابُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى الْكَعْبَةِ (٥٢٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَجَبْتُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنْ السَّنَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ نَعَمْ فَقَالَ الرَّجُلُ آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.... (٨٠٨)

فكان ضمام بن ثعلبة هو رسول رسول الله ﷺ إلى قومه ليدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله عز وجل بالعبادة ،وإلى الصلاة والزكاة والصوم ، فلو أن حجة الله على عباده لا تقوم على قوم ضمام بمجرد قوله لما سكت النبي ﷺ على ذلك لأنه لا يسكت على ما ليس من الشرع ، فلما أجازه وسكت عنه وأقره على أنه رسول من وراءه من قومه دل ذلك على أن خبر الواحد حجة .

ومنها :- ما رواه أبو داود في سننه عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ " (٨٠٩)

---

(٨٠٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي العِلْمِ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}(٦٣).

(٨٠٩) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢١٥٩٠)، وأبو داود في سننه، في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم (٣٦٦٠)، وابن ماجه في سننه، باب من بلغ علما (٢٣٠)، والنسائي في سننه، في كتاب العلم، الحث على إبلاغ العلم (٥٨١٦)، والدارمي في سننه (٢٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٧)، (٦٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٤٨٩٠)، والبيهقي في الآداب (٨٦٣)،

من طريق: عمر بن سليمان، عن عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت،

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات،

فمن حفظ مقالة من النبي ﷺ وأداها كما سمعها فله ذلك الأجر ، وقال " امرءا " فدل ذلك على أن الواحد إذا حفظ المقالة وأداها كما سمعها ، فله ذلك الأجر ، وما ذلك إلا لأن خبره حجة ، وإلا لما كان لهذا الأداء أي فائدة ، فلما أمر الواحد بأداء ما حفظه ووعده بهذا الأجر أفاد ذلك أن خبر الواحد حجة .

ومنها :- ما رواه ابن ماجه في سننه عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ كُنَّا نُخَابِرُ وَلَا نَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا حَتَّى سَمِعْنَا رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ يَقُولُ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ فَتَرَكْنَاهُ لِقَوْلِهِ" (٨١٠)

وقد رواه من هو أعلى من ابن ماجه ، ولكن خصصت روايته لأن فيها " فتركناه لقوله " أي لقول رافع ، فانظر كيف ترك الصحابة ما كانوا يفعلونه ويتكسبون منه لقول رافع ، وهو واحد ، مما يفيد أنهم كانوا يرون أن خبر الواحد حجة .

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ مِنْ فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِقْهَا فَأَهْرَقْتُهَا. فانظر كيف اعتمدوا خبر الواحد في تحريم الخمر ، مما يفيد أن الاحتجاج به كان مما فطرت عليه نفوسهم وتشربته قلوبهم .

ومنها :- ما رواه أبو داود في سننه بسنده عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ الدِّيَةُ لِلْعَاقِلَةِ وَلَا تَرِثُ الْمَرْأَةُ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا شَيْئًا حَتَّى قَالَ لَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُوَرِّثَ امْرَأَةَ أَشْيَمَ الضِّبَابِيِّ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا فَرَجَعَ عُمَرُ .قَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِهَذَا

---

(٨١٠) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٤٥٨٦)، (١٧٢٨٠)، وابن ماجه في سننه في كتاب الرهون، باب المزارعة بالثلث والربع (٢٤٥٠)، والنسائي في سننه، في كتاب المزارعة، باب ذكر الأحاديث المختلفة في النهي عن كراء الأرض بالثلث والربع، واختلاف ألفاظ الناقلين للخبر (٣٩١٧)، وفي السنن الكبرى (٤٦٣١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٩٠٧)، .

من طريق: سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر، به.

رواه عن ابن عيينة: وكيع، وإبراهيم بن بشار،

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح.

الْحَدِيثِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ وَقَالَ فِيهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْأَعْرَابِ (٨١١).

وما رجع عمر إلى الحديث هذا غلا لأنه يرى أن خبر الواحد حجة .

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه :- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ سَمِعْتُ عَمْرًا قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَعَمْرِو بْنِ أَوْسٍ فَحَدَّثَهُمَا بَجَالَةُ سَنَةَ سَبْعِينَ عَامَ حَجَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ عِنْدَ دَرَجِ زَمْزَمَ قَالَ كُنْتُ كَاتِبًا لِجَزْءِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَمِّ الْأَحْنَفِ فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ فَرِّقُوا بَيْنَ كُلِّ ذِي مَحْرَمٍ مِنْ الْمَجُوسِ وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ الْمَجُوسِ حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ. (٨١٢)

فرجع عمر عن عدم أخذ الجزية من مجوس هجر لهذا الحديث ، وما ذلك إلا لأن حديث الآحاد حجة .

ومنها :- ما رواه أبو داود في سننه قال :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيُّ عَنْ مَالِكٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِسْحَقَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ أَنَّ الْفُرَيْعَةَ بِنْتَ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهَا فِي بَنِي خُدْرَةَ فَإِنَّ

---

(٨١١) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٥٧٤٥)، (١٥٧٤٦)، والترمذي في سننه، في أبواب الديات، بَابُ مَا جَاءَ فِي المَرْأَةِ هَلْ تَرِثُ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا (١٤١٥)، وأبو داود في سننه في كتاب الفرائض، باب في المرأة ترث من دية زوجها (٢٩٢٧)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الديات، باب الميراث من الدية (٢٦٤٢)، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب الفرائض، توريث المرأة من دية زوجها (٦٣٢٩)- (٦٣٣٢)، وابن شيبة في مصنفه (٢٧٥٥٠)، (٢٧٥٥١)، وابن الجارود في المنتقى (٩٦٦)، والدارقطني في سننه (٤٠٨٩)، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (١٤٩٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨١٧٣).

من طريق: الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب،

ورواه عن الزهيري الثقات الأثبات، كسفيان بن عيينة، ويحي بن سعيد، ومعمر، وغيرهم.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الصحيحين.

(٨١٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجزية، بَابُ الجِزْيَةِ وَالمُوَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ (٣١٥٦، ٣١٥٧).

زَوْجَهَا خَرَجَ فِي طَلَبِ أَعْبُدٍ لَهُ أَبَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِطَرَفِ الْقَدُومِ لَحِقَهُمْ فَقَتَلُوهُ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي فَإِنِّي لَمْ يَتْرُكْنِي فِي مَسْكَنٍ يَمْلِكُهُ وَلَا نَفَقَةٍ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ قَالَتْ فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي الْحُجْرَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ دَعَانِي أَوْ أَمَرَ بِي فَدُعِيتُ لَهُ فَقَالَ كَيْفَ قُلْتِ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ الَّتِي ذَكَرْتُ مِنْ شَأْنِ زَوْجِي قَالَتْ فَقَالَ امْكُثِي فِي بَيْتِكِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ قَالَتْ فَاعْتَدَدْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا . قَالَتْ فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَرْسَلَ إِلَيَّ فَسَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَاتَّبَعَهُ وَقَضَى بِهِ. (٨١٣)

فانظر كيف قضى به عثمان رضي الله عنه مع أنه خبر واحد مما يفيد أن خبر الواحد حجة .

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه عن مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ قَالَ أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ" (٨١٤)

---

(٨١٣) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٠٨٧)، (٢٧٣٦٣)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطلاق، باب في المتوفى عنها تنتقل (٢٣٠٠)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الطلاق، باب أين تعتد المتوفى عنها زوجها (٢٠٣١)، والنسائي في المجتبى، في كتاب الطلاق، مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل (٣٥٢٨)، (٣٥٢٩)، (٣٥٣٠)، وفي باب عدة المتوفي عنها زوجها (٣٥٣٢)،ومالك في الموطأ (٨٧)، والطيالسي في مسنده (١٧٦٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٢٠٧٥)، (١٢٠٧٦)، وسعيد بن منصور في سننه (١٣٦٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٨٥٨)، والدارمي في سننه (٢٣٣٣)، وابن الجارود في المنتقى (٧٥٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٩٢)، (٤٢٩٣)، والحاكم في المستدرك (٢٨٣٢)، (٢٨٣٣)،

من طريق: سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة، عن الفريعة، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، وزينب بنت كعب بن عجرة، قال فيها الحافظ في التقريب: مقبولة، ويقال: لها صحبة.

(٨١٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أخبار الآحاد، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ (٧٢٤٦).

والشاهد منه أنه ﷺ أمرهم بإبلاغ قومهم شرائع الدين وبتعليمهم أحكام الشرع ، وهم لا يبلغون عدد التواتر لأنهم إنما كانوا اثنين فقط ، كما في رواية البخاري الأخرى " أنا وصاحب لي "، مما يفيد أن الحديث الآحاد حجة .

ومنها :- ما رواه مسلم في صحيحه قال :- حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ أَنَّ بُسْرَ بْنَ سَعِيدٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُا:- كُنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَأَتَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مُغْضَبًا حَتَّى وَقَفَ فَقَالَ أَنْشُدُكُمْ اللَّهَ هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ قَالَ أُبَيٌّ وَمَا ذَاكَ قَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْسِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ ثُمَّ جِئْتُهُ الْيَوْمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي جِئْتُ أَمْسِ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثًا ثُمَّ انْصَرَفْتُ قَالَ قَدْ سَمِعْنَاكَ وَنَحْنُ حِينَئِذٍ عَلَى شُغْلٍ فَلَوْ مَا اسْتَأْذَنْتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ قَالَ اسْتَأْذَنْتُ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَوَاللَّهِ لَأُوجِعَنَّ ظَهْرَكَ وَبَطْنَكَ أَوْ لَتَأْتِيَنَّ بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فَوَاللَّهِ لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَحْدَثُنَا سِنًّا قُمْ يَا أَبَا سَعِيدٍ فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذَا، (٨١٥)

والشاهد منه أن عمر قبل خبرهما وهما اثنان فقط ، وهذا العد لا يخرج الخبر عن كونه خبر آحاد ، فإن قلت :- أوليس رد عمر لأبي موسى أول مرة دليل على عدم قبول خبر الآحاد ؟ فأقول :- لا ، وإنما هذا من عادة عمر حتى لا يتجرأ الناس في حديث رسول الله ﷺ ، بل قد صرح عمر بذلك في غير هذه الرواية ، والدليل على ذلك أنه قبل خبره بعد أن أيده أبو سعيد ، ولا يخرج الخبر بذلك عن كونه خبر آحاد فهو من أدلتنا لا من أدلتهم .

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ

(٨١٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأدب، باب الاستئذان (٢١٥٣).

فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ قَالَ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ . (٨١٦)

والشاهد منه أن الصحابة الذين كانوا مع عمر قد انتهى خلافهم في الرجوع من عدمه بخبر عبدالرحمن بن عوف ، وهو خبر آحاد ، فلما قبلوه دل ذلك على أن خبر الواحد حجة ، إذ لو لم يكن حجة لاعترضوا عليه ، فلما سلموا به وعملوا به ولم يعرضوه بشيء أفاد ذلك أنه حجة ، وهذا واضح.

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ نَعَمْ إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئًا سَعْدٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَهُ. (٨١٧)

---

(٨١٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٧٣)، وفي كتاب الطب، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ (٥٧٢٨)، (٥٧٢٩)، (٥٧٣٠)، وفي كتاب الحيل، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الِاحْتِيَالِ فِي الفِرَارِ مِنَ الطَّاعُونِ (٦٩٧٣)، (٦٩٧٤) ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ الطَّاعُونِ وَالطِّيَرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَنَحْوِهَا (٢٢١٨)، (٢٢١٩).

(٨١٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء، بَابُ المَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ (٢٠٢).

والشاهد منه أن عمر أمر ابنه عبدالله أن يقبل ما حدثه به سعد بن أبي وقاص ، وخبره خبر واحد ، بل قال " إذا حدثك سعد شيئا عن النبي ﷺ فلا تسأل عنه غيره ، وهذا دليل على أن عمر يقبل خبر الواحد ، والوقائع كثيرة والشواهد لا تكاد تحصر ، ولكن أهل البدع لا يزالون في حيص بيص ، نعوذ بالله من حالهم ، قال المجد في المنتقى بعد روايته لهذا الحديث في باب المسح على الخفين (وفيه دليل على قبول خبر الواحد) وهذا هو فهم العلماء ، وأما الأوباش من أهل البدع فلا عبرة بهم .

ومنها :- ما رواه أبو داود في سننه عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ فَصَامَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ.(٨١٨)

والشاهد منه أنه ﷺ اعتمد رؤية ابن عمر رضي الله عنهما ، وأمر الناس بالصيام بناء على الإخبار بهذه الرؤية وهي خبر واحد ، فلما اعتمده النبي ﷺ دل ذلك على أن خبر الواحد الصحيح مقبول

ومنها :- ما رواه مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا بِالْأَبْوَاءِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ وَقَالَ الْمِسْوَرُ لَا يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ فَأَرْسَلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ وَهُوَ يَسْتَتِرُ بِثَوْبٍ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقُلْتُ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُنَيْنٍ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَسْأَلُكَ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَوَضَعَ أَبُو أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدَهُ عَلَى الثَّوْبِ فَطَأْطَأَهُ حَتَّى بَدَا لِي رَأْسُهُ ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ يَصُبُّ اصْبُبْ فَصَبَّ عَلَى

---

(٨١٨) حسن

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصوم، باب بَابٌ فِي شَهَادَةِ الْوَاحِدِ عَلَى رُؤْيَةِ هِلَالِ رَمَضَانَ (٢٣٤٢)، والدارمي في سننه (١٧٣٣)، وابن حبان في صحيحه (٣٤٤٧)، والدارقطني في سننه (٢١٤٦)، والحاكم في المستدرك (١٥٤١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٨٧٧)،

من طريق: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ نَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، به.

ففيه: يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ، وهو صدوق يحسن حديثه، وكذا شيخه أبو بكر بن نافع، صدوقٌ يحسن حديثه، وباقي إسناد فرجاله ثقاتٌ أثبات.

رَأْسِهِ ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ و حَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَا أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَقَالَ فَأَمَرَّ أَبُو أَيُّوبَ بِيَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ جَمِيعًا عَلَى جَمِيعِ رَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ فَقَالَ الْمِسْوَرُ لِابْنِ عَبَّاسٍ لَا أُمَارِيكَ أبدا.(٨١٩)

وقد استدل به الحافظ ابن دقيق العيد فقال (وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ ، وَأَنَّ الْعَمَلَ بِهِ سَائِغٌ شَائِعٌ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ؛ لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُنَيْنٍ لِيَسْتَعْلِمَ لَهُ عِلْمَ الْمَسْأَلَةِ وَمِنْ ضَرُورَتِهِ : قَبُولُ خَبَرِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ فِيمَا أُرْسِلَ فِيهِ. (٨٢٠) وهو فهم صحيح لا شك فيه .

ومنها :- ما رواه البخاري في الصحيح عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ قَالَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا قَالَا إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا فَقَالَ لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.(٨٢١)

والشاهد منه أنه ﷺ اكتفى ببعث رجل واحد يكون واسطة بينه وبين أهل اليمن ، يبلغهم ما أنزله الله تعالى من الهدى والعلم ،ويعلمهم شرائع الدين ، مما يفيد أن خبر الواحد حجة ، إذ لو لم يكن كذلك لما لبعث أبي عبيدة أي منفعة ، لأن أخباره لا تحصل بها الحجة ، فلما اكتفى ببعثه وحده معهم أفاد ذلك أن خبر الآحاد حجة ، وهذا واضح .

---

(٨١٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحج، بَابُ الِاغْتِسَالِ لِلْمُحْرِمِ (١٨٤٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج، بَابُ جَوَازِ غَسْلِ الْمُحْرِمِ بَدَنَهُ وَرَأْسَهُ (١٢٠٥).

(٨٢٠) آنظر إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (٢/ ٨٤)

(٨٢١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، بَابُ قِصَّةِ أَهْلِ نَجْرَانَ (٤٣٨٠)،

ومنها :- حديث الجساسة المعروف ، والذي رواه مسلم في الصحيح عن فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ قالت :ـ لما انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبْ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقَالُوا وَيْلَكِ مَا أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ قَالُوا وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتْ أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ قَالَ لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً قَالَ فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ قُلْنَا وَيْلَكَ مَا أَنْتَ قَالَ قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا وَيْلَكِ مَا أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ قُلْنَا وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتْ اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً فَقَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ قُلْنَا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ قُلْنَا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ هَلْ فِيهَا مَاءٌ قَالُوا هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ قَالَ أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ قَالُوا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ قَالُوا قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ

قَالَ أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنْ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ قَالَ لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ فَقَالَ النَّاسُ نَعَمْ فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَتْ فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (٨٢٢)

والشاهد منه أنه ﷺ اكتفى بخبر تميم رضي الله عنه ، وصدقه وجمع الناس لإخبارهم به ، وسر به لموافقته ما كان يحدث الناس به ، مع أن تميما لم يكن وحده بل كان معه ثلاثون رجلا ، ومع ذلك فقد اكتفى النبي ﷺ بخبر تميم وحده ، مما يفيدنا أن خبر الواحد الصحيح حجة .

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ" (٨٢٣)

والشاهد منه هو أنه ﷺ أطلق الأمر بالبلاغ ، فيدخل في الأمر بلاغ الواحد ، فإذا أبلغ الآحاد ما عندهم من العلم فيجب قبول خبرهم ، لأنه ﷺ لم يأمر بالبلاغ إلا وقبول الخبر واجب ، فلبلاغ واجب والقبول واجب .

---

(٨٢٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن، وأشراط الساعة، بَابٌ فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَمُكْثِهِ فِي الْأَرْضِ (٢٩٤٢).

(٨٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٣٤٦١).

ومنها :- ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَزَيْدَ بْنَ خَالِدٍ قَالَا كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَقَامَ خَصْمُهُ وَكَانَ أَفْقَهَ مِنْهُ فَقَالَ اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَأْذَنْ لِي قَالَ قُلْ قَالَ إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَخَادِمٍ ثُمَّ سَأَلْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي جَلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبَ عَامٍ وَعَلَى امْرَأَتِهِ الرَّجْمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ الْمِائَةُ شَاةٍ وَالْخَادِمُ رَدٌّ عَلَيْكَ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَهَا.(٨٢٤)

والشاهد منه أنه ﷺ اكتفى واعتمد على خبر أنيس في اعتراف المرأة ، مع أن فيه إقامة الحد وقتل النفس ، وهو رجل واحد ، مما يفيد أن خبر الواحد الصحيح مقبول . وأقسم بالله تعالى أن الأدلة على حجية خبر الواحد لا تكاد تحصر ، ولكن الله تعالى أعمى الله تعالى بقدرته عنها عيون الخفافيش التي لا ترى إلا في الظلام .

ومنها :- الإجماع ، وقد تقرر أن الإجماع حجة شرعية يجب قبولها والعمل بها واعتمادها وتحرم مخالفتها ، فقد أجمع أهل العلم المعتد بهم - وأعني بهم أهل السنة والجماعة - على أن خبر الآحاد فالصحيح الذي لم ينسخ أنه حجة ، وقد حكى هذا الإجماع الإمام الشافعي والقرطبي وصاحب طرح التثريب وصاحب البحر الزخار في مذاهب علماء الأمصار وابن حزم في الإحكام ، والغزالي في المستصفى ، و عبدالعزيز البخاري في كشف الأستار ، وابن القيم في إعلام الموقعين عن رب العالمين ، وصاحب الفصول في الأصول ، وغيرهم كثير ، وهي من المسائل التي قيدها أهل السنة في مصنفاتهم العقدية ، وهو ما ندين الله تعالى به ، ونعلمه لطلابنا ونقرره في دروسنا ، بل نحن نجعله من الفروق بين أهل السنة والمبتدعة ، فدونك هذه المسألة بأدلتها ، ولو أن في الوقت متسع لذكرنا

---

(٨٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ الِاعْتِرَافِ بِالزِّنَا (٦٨٢٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَى (١٦٩٧).

لك ما يستدل به الفريق الآخر القائلون بعدم حجيته مع ذكر الرد عليهم ، ولكننا التزمنا الاختصار والله يحفظنا وإياك ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على هذا القول إلى أن نلقاه ، وهو أعلى وأعلم .

(المسألة الثالثة) فإن قلت :ـ وهل لهذه المسألة أثر في الفروع التطبيقية ؟ فأقول :ـ نعم ، وكيف لا يكون لها الأثر البليغ وهي من جملة ما تيمز به أهل السنة عن أهل البدع ، والفروع كثيرة ، ونذكر لك طرفا منها فنقول :ـ

منها :- صفة الضحك ، فنؤمن نحن معاشر أهل السنة والجماعة أن لله تعالى ضحكا يليق بجلاه وعظمته ، ليس كضحك المخلوقين ، والدليل على ذلك أخبار آحاد ، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يضحك الله تعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة ، يقاتل أحدهما في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله تعالى على القاتل فيسلم فيستشهد " متفق عليه .

ومنها :- صفة الأصابع ، فنؤمن نحن معاشر أهل السنة والجماعة أن لله تعالى أصابع تليق بجلال الله تعالى وعظمته ، لا تماثل شيئا من أصابع المخلوقين ، والدليل علة هذه العقيدة أخبار آحاد كحديث " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء " رواه مسلم (٨٢٥)،

وحديث ابن مسعود في الصحيحين قال :- جاء حبر من اليهود فقال :- إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع والأرضين على إصبع والماء على إصبع والثرى على إصبع ، والخلائق على إصبع ثم يهزهن ، ثم يقول :" أنا الملك ، أنا الملك " قال :- فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا لقوله ، ثم قال النبي ﷺ " وما قدروا الله حق قدره ... إلى قوله .. يشركون " (٨٢٦)

(٨٢٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ (٢٦٥٤).

(٨٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}(٤٨١١)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (٧٤١٤)، (٧٤١٥)، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ

فآمن أهل السنة بهذه العقيدة ، مع أن الأحاديث الواردة فيها أحاديث آحاد .

ومنها :- صفة الفرح ، فإننا معاشر أهل السنة والجماعة نؤمن الإيمان الجازم بأن لله تعالى فرحا يليق بجلاله وعظمته ، لا يماثل فرح المخلوقين ، لأنه جل وعلا {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: ١١] فيقال في فرحه جل وعلا كما يقال في سائر صفاته ، مع أحاديث الفرح أحاديث آحاد كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح :- اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح " متفق عليه واللفظ لمسلم . (٨٢٧)

ومنها :- صفة الغيرة ، فإننا معاشر أهل السنة والجماعة نؤمن إيمانا جازما بأن لربنا جل وعلا غيرة تليق بجلاله وعظمته ، ليست كغيرة أحد من الخلق ، والاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في المسميات ،

ودليل ثبوتها للرب جل وعلا خبر آحاد ، أعني حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :- قال رسول الله ﷺ " إن الله يغار ، وغيرة الله تعالى أن يأتي المرء ما حرم الله عليه " متفق عليه ، (٨٢٨)

وحديث سعد بن عبادة رضي الله عنه لما قال النبي ﷺ في حقه "أتعجبون من غيرة سعد ؟ فوالله لأنا أغير من سعد والله أغير مني ، من أجل غيرة الله حرم الفواحش

نُزُولاً} (٧٤٥١)، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ (٧٥١٣)، ومسلم في صحيحه كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٢٧٨٦).

(٨٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابٌ فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا (٢٧٤٤).

(٨٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابُ غَيْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ (٢٧٦١).

ما ظهر منها وما بطن ، ولا شخص أغير من الله تعالى ... " متفق عليه واللفظ لمسلم (٨٢٩)

فإن قلت :- إن هذه أخبار آحاد ؟ فأقول :- وليكن ، فإن خبر الآحاد حجة في الشرع عقيدة وعملا .

ومنها :- صفة الهرولة ، فلله تعالى هرولة تليق بجلاله وعظمته ، لا تماثل هرولة المخلوق ، لأن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، والحديث الذي نعتمد عليه في إثباتها حديث آحاد ، وهو حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :- قال رسول الله ﷺ فيم يرويه عن ربه عز وجل .... وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " رواه مسلم ، (٨٣٠)

وقد أفتت اللجنة الدائمة في المملكة بأنها من الصفات الثابتة لله تعالى ، ونحن نعلم معنى الهرولة في اللغة ، ولكننا نكل أمر كيفيتها لله تعالى .

ومنها :- صفة البشبشة والبشاشة ، وهي من الصفات الفعلية الخبرية ، والتي سندها في إثباتها خبر الآحاد الصحيح ، فنؤمن أن لله تعالى بشبشة وبشاشة تليق بجلاله وعظمته على ما يريده الله تعالى

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :- قال رسول الله ﷺ " ما توطن رجل مسلم المسجد للصلاة والذكر ، إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم" (٨٣١)

---

(٨٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ مَنْ رَأَى مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ (٦٨٤٦)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» (٧٤١٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الطلاق، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ (١٤٩٩).

(٨٣٠) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، في بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، بَابُ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى (٢٦٧٥).

(٨٣١) صحيح

وهو حديث صحيح ، رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني ، وهي وإن كانت خبر آحاد ، إلا أن المتقرر في قواعد أهل السنة أن خبر الآحاد حجة في الشرع عقيدة وعملا.

ومنها :- صفة الجمال لله تعالى ، فالله تعالى له الجمال المطلق التام الكامل ، في ذاته وفي أسمائه وفي أفعاله جل وعلا ، فكل شيء منه فهو جميل الجمال المطلق ، وهي من الصفات الذاتية لله تعالى التي لا تنفك عنه ، ودليلها الذي ورد بها نصا حديث آحاد ، وهو حديث ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه للنبي ﷺ " إن الله جميل يحب الجمال " رواه مسلم في الصحيح .(٨٣٢)

ومنها :- صفتا الحجزة والحقو ، وهما صفتان ذاتيتان لله تعالى على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته ودليلها ما رواه أحمد بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما " إن الرحم شجنة من الرحمن آخذة بحجزة الرحمن ، يصل من وصلها ، ويقطع من قطعها " (٨٣٣)

وروى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :- قال رسول الله ﷺ " خلق الله الخلق ، فلما فرغ منه ، قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن ،فقال :- مه ، قالت :- هذا مقام العائذ بك من القطيعة ... الحديث " وقد مشى سلف

أخرجه أحمد في مسنده (٨٣٥٠)، (٩٨٤١)، وابن ماجه في سننه في كتاب المساجد، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة (٨٠٠)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٠٣)، وابن حبان في صحيحه (١٦٠٧)، والحاكم في المستدرك (٧٧١)، وابن الجعد في مسنده (٢٨٣٨)، والطيالسي في مسنده (٢٤٥٥)،

من طريق: سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، به،

فرجاله ثقات، وإسناده صحيح، ورجاله رجال الشيخين، وأسانيده إلى المقبري صحيحه، وإن كان في بعضها كلام، لكنها تقوي بعضها بعضًا، والله أعلم.

(٨٣٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ (٩١).

(٨٣٣) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٢٩٥٣) وابن أبي عاصم في السنة (٥٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٨٠٧)،

من طريق: ابن جريج، عن زياد بن سعد، عن صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس، به.

ففيه: صالح مولى التوأمة، وهو صدوق يحسن حديثه، وباقي إسناد فرجاله ثقات، رجال الشيخين.

الأمة وأئمتها على إثباتها وعلى الإنكار على من حرفها أو أولها ، أو أنكرها ، بل وصفه بعضهم بأنه جهمي ، ونحن نؤمن بها ، وإن كان دليلها خبر آحاد لأن خبر الآحاد حجة في باب المعتقد .

ومنها :- صفة الساق ، فنحن معاشر أهل السنة والجماعة نؤمن إيمانا جازما ، بأن لله تعالى تليق بجلاله وعظمته ، لا تماثل ساق المخلوق ، والاتفاق في الاسم لا يستلزم الاتفاق في المسميات ودليل إثباتها السنة ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه - في الحديث الطويل - وفيه " فيكشف رب العزة عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ... الحديث " متفق عليه واللفظ لمسلم ، (٨٣٤)

ونحن نعلم أن الله تعالى قال في محكم كتابه " يوم يكشف عن ساق " ولكن قصدنا بإثبات هذا الفرع الرد على الذين يقولون :- إن الصحابة والسلف اختلفوا في تأويل هذه الآية ، فمنهم من فسرها بغير الساق التي هي صفة لله تعالى ، فأردت بذلك أن أثبت له أنه حتى وإن اختلفوا في هذه الآية إلا أنهم اتفقوا على إثبات الساق لله تعالى بهذا الحديث ، فإثبات الساق لم يختلف فيه السلف ، وإنما اختلفوا هل هذه الآية من جملة الأدلة على إثبات هذه الصفة أولا ؟ وعمدة الجميع في إثبات الساق هو هذا الحديث ، وهو خبر آحاد ، وخبر الآحاد حجة في باب المعتقد .

ومنها :- من الأسماء التي نثبتها لله تعالى اسم (السيد) فهو من جملة أسمائه تعالى ، ويتضمن صفة السيادة المطلقة ، مع أن هذا الاسم إنما ثبت لله تعالى بخبر آحاد ، فعن عبدالله بن الشخير رضي الله تعالى عنه قال :- انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا :- أنت سيدنا ، فقال " السيد الله تبارك وتعالى " رواه أحمد وأبو داود (٨٣٥) وصححه الألباني ، فهو وإن كان ثبوته بخبر آحاد

---

(٨٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} (٤٩١٩)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٣٩)، ولم أقف عليه عند مسلم بهذا اللفظ.

(٨٣٥) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٦٣٠٧)، (١٦٣١١)، (١٦٣١٦) أبو داود في سننه كتاب الأدب، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ التَّمَادُحِ (٤٨٠٦)، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيدنا وسيدي

والمسألة من مسائل العقيدة ، إلا أن الحق الذي لا نقبل النقاش فيه ، هو أن خبر الواحد حجة في باب المعتقد.

ومنها :- من جملة الأسماء التي يثبتها أهل السنة والجماعة لله تعالى ، اسم (الشافي) ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :ـ قال رسول الله ﷺ في رقية المريض " اللهم رب الناس ، اذهب البأس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما " متفق عليه، (٨٣٦)

وخبر الواحد الصحيح حجة في باب المعتقد .

ومنها :- لقد قرر أهل السنة والجماعة رحم الله أمواتهم وثبت أحياءهم جواز إطلاق لفظ (الشخص) على الله تعالى ، كما ورد بذلك حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه مرفوعا للنبي ﷺ أنه قال " ولا شخص أغير من الله تعالى ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله تعالى ، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله تعالى من أجل ذلك وعد الله الجنة " هذا لفظ مسلم، (٨٣٧)

وهذا الإطلاق وإن كان في باب المعتقد وخبره خبر آحاد ، إلا أن خبر الواحد الصحيح حجة في باب المعتقد .

(١٠٠٠٣)، (١٠٠٠٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٤٨٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٣)،

من طريق: عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه، به.

عنه جماعة من الأثبات الثقات، منهم: غيلان بن جرير، وقتادة، وأبو نضرة،

وإسناده صحيح ورجاله ثقات، رجال الصحيحين

(٨٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، بَابُ دُعَاءِ العَائِدِ لِلْمَرِيضِ (٥٦٧٥)، كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥٧٤٣)، بَابُ مَسْحِ الرَّاقِي الوَجَعَ بِيَدِهِ اليُمْنَى (٥٧٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الآداب، بَابُ اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ (٢١٩١).

(٨٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ مَنْ رَأَى مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ (٦٨٤٦)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» (٧٤١٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الطلاق، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ (١٤٩٩).

ومنها :- لقد قرر أهل السنة بالإجماع أن صفة الصورة ثابتة لله تعالى ، فلله تعالى صورة تليق به جل وعلا ، فهي أعظم الصور وأكبر الصور وأجمل الصور ،وهي من صفته الذاتية الخبرية ،

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال :- قال رسول الله ﷺ " ... فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ، التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول :- أنا ربكم ، فيقولون :- أنت ربنا " متفق عليه،(٨٣٨)، (٨٣٩)

وفي الحديث الآخر " رأيت ربي في أحسن صورة " (٨٤٠)

---

(٨٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، كتاب الرقاق، باب بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ (٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٢)، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

(٨٣٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٣)،

(٨٤٠) ضعيف

فقد روي من عدة طرق كلها مضطربة، مردها واحد، والضعف فيها شديد، بيانها كما سيأتي:

أولًا:

أخرجه الدارمي في سننه (٢١٩٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٥٨٥)، وفي السنة (٣٨٨)، (٤٦٧)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٣٣)، والآجري في الشريعة (٣/ ١٥٤٩)، والدارقطني في الرؤية (٢٣٣-٢٣٦)، (٢٣٩، ٢٤٠)، والحاكم في المستدرك (١٩١٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٤٤)،

من طريق: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن خالد بن اللجلاج، عن عبد الرحمن بن عائش،

فيه: عبد الرحمن بن عائش، ولم يسمع من النبي ﷺ، ومن قال له صحبة فقد أخطأ كما قال ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل ٥/ ٢٦٢)

ثانيًا:

وأخرجه أحمد في مسنده (٣٤٨٤)، والترمذي في سننه في أبواب التفسير، باب سورة ص (٣٢٣٣)، وعبد بن حميد في مسنده (٦٨٢)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢٦١٢)،

من طريق: معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس،

وأبو قلابة مع ثقته إلا أنه كثير الإرسال، والراجح أنه لم يسمع من ابن عباس

ثالثًا:

وأخرجه والترمذي في سننه في أبواب التفسير، باب سورة ص (٣٢٣٤)، ابن أبي عاصم في السنة (٤٦٩)، وابن خزية في التوحيد (٥٦)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٠٨)، والآجري في الشريعة (١٠٤٠)، والدارقطني في الرؤية (٢٤١- ٢٤٥)،

وهي وإن كان مستند ثبوتها أخبار آحاد إلا أن خبر الواحد الصحيح حجة في باب المعتق.

ومنها :- ورد في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال " فوالله لا يمل الله حتى تملوا ... " (٨٤١)

ولمسلم " لا يسأم الله حتى تسأموا .. " (٨٤٢)

من طريق: قتادة، عن أبي قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس،

فخالد بن اللجلاج مع صدقه، إلا أنه لم يسمع من ابن عباس

فقد قال العلائي رحمه الله: يروي عن عمر وابن عباس مرسلا ولم يدركهما (جامع التحصيل١/ ١٧١).

وقال أبو زرعة الدمشقى أيضا : قلت لأحمد بن حنبل : إن ابن جابر يحدث عن خالد

ابن اللجلاج ، عن عبد الرحمن بن عائش ، عن النبي ﷺ : " رأيت ربى فى أحسن صورة " . و يحدث به قتادة ، عن أبى قلابة ، عن خالد بن اللجلاج ، عن عبد الله بن عباس ، فأيهما أحب إليك ؟ قال : حديث قتادة هذا ليس بشيء.

رابعًا:

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢١٠٩)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٤٠)، والشاشي في المسند (١٣٤٤)، والطبراني في الدعاء (١٤١٤)، وفي المعجم الكبير (٢١٦)، والدارقطني في الرؤية (٢٢٩)، (٢٣٠)، (٢٣٢)،

من طريق: زيد بن سلام ، عن أبي سلام ، عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي ، أنه حدثه مالك بن يخامر السكسكي ، عن معاذ بن جبل، به.

قال العلائي رحمه الله: عبد الرحمن بن عائش الحضرمي صاحب حديث رأيت ربي في أحسن صورة رواه في بعض الطرق عن النبي ﷺ وروى أيضا عن رجل عن النبي ﷺ وعنه عن مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي ﷺ وفيه اضطراب كثير (جامع التحصيل (١/ ٢٢٣)

وقال البخاري: له حديث واحد يضطربون فيه، روى عن مالك بن يخامر، عن معاذ: رأيت ربى، وعنه أبو سلام ممطور، وخالد بن اللجلاج. ميزان الاعتدال (٢/ ٥٧١).

والحديث له طرق كثيرة مردها إلى عبد الرحمن بن عائش، وهو كما سلف ليس له صحبة، وأخطأ من قال أن له صحبة كما قال أبو حاتم، وباقي أسانيده لا تخلوا من مقالٍ شديد، والراجح فيه الاضطراب، وهذا لا ينفي عن الله الصورة، فيه ثابتة له بغير هذا الحديث، والله أعلم.

(٨٤١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْوَمُهُ (٤٣)، كتاب الجمعة، باب (١١٥١)، كتاب اللباس، بَابُ الجُلُوسِ عَلَى الحَصِيرِ وَنَحْوِهِ (٥٨٦١)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (٧٨٢).

قال الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله تعالى (" فإن الله لا يمل حتى تملوا " من نصوص الصفات ، وهذا على وجه يليق بالباري ، لا نقص فيه ، كنصوص الاستهزاء والخداع فيما يتبادر) وخبرها خبر آحاد ، ولكن خبر الآحاد حجة في باب المعتقد .

ومنها :- من الصفات التي نؤمن بها ونصف الله تعالى بها صفة الوتر ، فهو وتر- أي أحد- لا ثاني له ، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ، ولا في أفعاله جل وعلا ،

ففي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى ، قال :- قال رسول الله ﷺ " لله تسعة وتسعون اسما ، من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر " متفق عليه، (٨٤٣)

وورد اسم الوتر أيضا في حديث علي بن أبي طالب عند أبي داود والترمذي بسند حسن ، (٨٤٤)

---

(٨٤٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ (٧٨٥).

(٨٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه ف كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين (٢٧٣٦)، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد (٦٤١٠)، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا (٧٣٩٢)، ومسلم في صحيحه كتاب كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧).

(٨٤٤) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٢١٤)، (١٢٢٥)، (١٢٢٨)، والترمذي في سننه في أبواب الوتر، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الوِتْرَ لَيْسَ بِحَتْمٍ (٤٥٣)، وأبو داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب استحباب الوتر (١٤١٦)، وابن ماجه في سننه، في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الوتر (١١٦٩)، والنسائي في المجتبى، في كتاب قيام الليل، باب الأمر بالوتر (١٦٧٥)، والطيالسي في مسنده (٨٩)، وأبو يعلى في مسنده (٥٨٥)، وابن خيمة في صحيحه (١٠٦٧)، والحاكم في المستدرك (١١١٨) .

من طريق: أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي، به،

ففيه: أبو إسحاق السبيعي، مع ثقته إلا أنه اختلط بآخره، وشيخه عاصم بن ضمرة يحسن حديثه، فهو صدوق، الحديث كما قال الإمام الترمذي يحسن، والله أعلم، إذا سلم من تدليس أبو إسحاق، وسلم أيضًا من سوء حفظ أبو بكر بن عياش.

فمع كونه خبر آحاد ، والمسألة عقدية ، إلا أن خبر الآحاد حجة في باب المعتقد ، فهذه بعض الفروع على ما أردنا إثباته هنا ، وأنت ترى أننا خصصنا الفروع بباب واحد من أبواب المعتقد فقط ، وهو باب الصفات والأسماء ، ولكن الحكم هنا عام ، فحديث الآحاد حجة في كل أبواب العقيدة ، والمهم أن تعتقد الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه مطلق الريب ولا مطلق الشك ، أن حديث الواحد الصحيح حجة في باب المعتقد ، فاجعل هذا أصلا من أصولك التي تدين الله تعالى بها ، وتحارب بها أهل البدع المتسلطين على عقيدة الأمة بالتحريف والتعطيل والجحد والتكذيب ،وفقنا الله وإياك للهدى ، وهو أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ــ

وقل القرآن كلامه منه ابتدا وإليه يرجع آخر الأزمان

إياك والقول الخطير بأنه خلق كخلق الإنس والحيوان

واشدد يديك بما يقول إمامنا ذاك الفتى النحرير من شيبان

أقول :ــ ما قرره الناظم عفا الله تعالى عنه في هذه الأبيات يتكلم عن عقيدة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في القرآن الكريم ، والعادة الجارية عند أهل السنة أن يتكلمون عن هذه المسألة بعد الكلام على عقيدتهم في كلام الله تعالى ، وهو المناسب في الحقيقة ، ولكن لا أدري لماذا أخرتها ، والمهم أن الكلام هنا عن هذه العقيدة سيكون متفقا مع ما قرره أهل السنة والجماعة في هذه المسألة بحول الله تعالى وقوته ، وحتى نعطي هذه العقيدة حقها فلا بد من الكلام عليها في جمل من المسائل ، فأقول وبالله تعالى التوفيق ومنه أستمد العون والفضل :ــ

(المسألة الأولى) اعلم رحمك الله تعالى أن عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن مجملة في ثلاثة أمور :ــ الأول :ــ قولهم :ــ إن القرآن كلام الله تعالى ، الثانية :ــ أنه منزل غير مخلوق ، الثالثة :ــ أنه من الله تعالى بدأ وإليه يعود ، فأما العقيدة الأولى وهي أن القرآن كلام الله تعالى فدليلها قول الله تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦] والمراد حتى يسمع القرآن فدل ذلك على أنه كلام الله تعالى . وقال تعالى{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ }

[الأعراف: ٥٤] ففرق تعالى هنا بين الخلق والأمر، وهما صفتان من صفاته أضافهما إلى نفسه الكريمة أما الخلق ففعله أما الأمر فقوله ، والأصل في المتعاطفين التغاير إلا بقرينه ، وقال تعالى {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة: ٧٥] والمراد بكلام الله تعالى هنا هو القرآن الكريم ، وفي سنن النسائي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : « أَنَّ رسولَ الله -ﷺ- كان يقول في صلاته بعد التشهد : أحسَنُ الكلام كلامُ اللهِ ، وأحسنُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمدٍ». أخرجه النسائي ، (٨٤٥)

فبان بذلك أن الأمر غير مخلوق والأمر هو القرآن كما ثبت ذلك التفسير عن عامة السلف رحمهم الله تعالى ، وقد تقدم بعض الأدلة على إثبات ذلك الأمر في إجابة السؤال السابق ، وقد أنعقد الإجماع القطعي على ذلك من أهل السنة رحمهم الله تعالى.

الثاني :قولهم :ـ إنه منزل غير مخلوق ، قال تعالى في آيات كثيرة {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر: ١] وقال تعالى{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الشعراء: ١٩٢] وقال تعالى{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩] وقال تعالى{ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ} [النحل: ١٠٢] وقال تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} [النساء: ١٣٦] وقال تعالى {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ} [آل عمران: ٢ - ٤] والآيات في ذلك المعنى كثيرة ، وقد أتفق أهل السنة على ذلك الأمر وصرخوا بكفر من قال بأنه مخلوق ،

---

(٨٤٥) حسن

أخرجه النسائي في المجتبى في كتاب السهو، نوع آخر من الذكر بعد التشهد (١٣١١)، وفي السنن الكبرى (١٢٣٥).

من طريق: يحيى القطان، عن جعفر بن مُحَمَّد، عن أبيه، عن جابر، به.

فرجاله ثقات، من رجال الشيخين، خلا جعفر بن مُحَمَّد وهو الصادق، فهو صدوق، يحسن حديثه، وباقي إسناد فرجال الشيخين.

قال عمر بن دينار رحمه الله تعالى أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله تعالى منه خرج وإليه يعود . أ.هـ (٨٤٦)

قال إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى : وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب النبي ﷺ مثل جابر بن عبدالله وأبي سعيد الخدري وعبدالله بن عمر وأبن عباس وعبدالله بن الزبير وأجلةً من التابعين ، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة ، وسند الأثرين صحيح . (٨٤٧)

وقال معاوية بن عمار الذهني:ـ قلت لجعفر يعني أبن محمد : إنهم يسألون عن القرآن مخلوق هو ؟ قال : (ليس بخالقٍ ولا مخلوق ولكنه كلام الله عز وجل) وسنده صحيح ، (٨٤٨)

وقال عبدالله بن نافع كان مالك بن أنس إمام دار الهجرة يقول{كلم الله موسى} ويقول :ـ (القرآن كلام الله) وكان يستفضع قول من يقول القرآن مخلوق " وسنده صحيح ، (٨٤٩)

وسئل سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى عن القرآن فقال (كلام الله وليس بمخلوق) وسنده إليه جيد ، (٨٥٠)

---

(٨٤٦) صحيح
أخرجه أبو سعيد الدارمي في نقضه على المريسي (١/ ٥٧٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٣٢).
(٨٤٧) حسن
أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٣٢) وفي السنن الكبرى له (٢٠٨٨٦).
(٨٤٨) حسن
أخرجه عبد الله بن أحمد في السنه (١٣٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٣٩،٥٣٦) والطبري في صريح السنة (١٥).
(٨٤٩) حسن
أخرجه صالح بن أحمد في المحنة (١/ ٦٦).
(٨٥٠) صحيح
أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٢٩).

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى (القرآن كلام الله تعالى ليس بخالق ولا مخلوق) وسنده صحيح عنه.(٨٥١)

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى (القرآن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق) وسنده صحيح عنه ، (٨٥٢)

وقال يزيد بن هارون رحمه الله تعالى (من قال القرآن مخلوق فهو كافر) وسنده صحيح عنه ، (٨٥٣)

وقال عبدالله بن إدريس الثقة الثبت : (القرآن كلام الله ومن الله وما كان من الله عز وجل فليس بمخلوق(٨٥٤) وسنده صحيح عنه ، والآثار في ذلك كثيرة شهيرة ونكتفي بذلك خوف الإطالة والإملال .

الثالث : قولهم :ـ إن القرآن من الله بدأ وإليه يعود ، والمراد بقولهم : (منه بدأ) أي أن الله تعالى هو الذي تكلم به ابتداءً كما قال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ } [النحل: ١٠٢] وقال تعالى {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١] وقال تعالى{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } [النمل: ٦] وكل آية فيها إثبات تنزيل القرآن من الله تعالى فهي دليل على أنه منه بدأ ، وأما قولهم (وإليه يعود) ففيه تفسيران أصحهما:ـ أن المراد أن كلام الله تعالى يسرى عليه في ليلةٍ فيرفع من المصاحف وصدور الحفاظ فلا تبقى في الأرض منه آية ، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يقبض روحي وإياك قبل أن يرفع كلامه من بيننا

---

(٨٥١) صحيح
أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٤٤)، وابن أبي زمنين في أصول السنة (١/ ٨٦).

(٨٥٢) حسن
أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٨٣).

(٨٥٣) حسن
أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٢).

(٨٥٤) صحيح
أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٦١).

فعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (يسرى على كتاب الله ليلاً فيصبح الناس ليس في الأرض ولا جوف مسلم منه آية) حديث صحيح ، (٨٥٥)

ومثله أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه فهذا المرفوع ، وأما الموقوف فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (يسرى على كتاب الله فيرفع إلى السماء فلا يصبح في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة ولا من الإنجيل ولا من الزبور وينتزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو) حديث صحيح . (٨٥٦)

وعن شداد بن معقل أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (لينتزعن هذا القرآن من بين أظهركم ' فقال له شداد بن معقل : يا أبا عبدالرحمن كيف ينتزع وقد أثبتناه في صدورنا وأثبتناه في مصاحفنا ، فقال ابن مسعود يسرى عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبدٍ منه ولا مصحف منه شيء ويصبح الناس فقراء كالبهائم ثم قرأ عبدالله { ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا }وإسناده صالح (٨٥٧)،

---

(٨٥٥) حسن.

أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (٤٠٤٩)، والبزار في مسنده (٢٨٣٨)، والحاكم في المستدرك (٨٤٦٠)، (٨٦٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٧٠)،

من طريق: أبي معاوية (مُحَمَّد بن خازم الضرير)، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان، به.

وإسناده حسن ورجاله ثقات، من رجال الصحيح، إلا أن أبو معاوية متكلم في روايته عن غير الأعمش وهو ثبت في الأعمش، إلا أن حديثه يحسن أيضا في غير الأعمش والله أعلم

(٨٥٦) ضعيف.

أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٥٤٤)،

عن علي بن عيسى بن إبراهيم، حدثنا مسدد بن قطن، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا مُحَمَّد بن فضيل، ثنا أبو مالك الأشجعي، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه به موقوفا.

وعلي بن عيسى بن إبراهيم لم أعثر له ترجمة

(٨٥٧) حسن

أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٨٠)، (٥٩٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠١٩٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٦٩٨)، (٨٧٠٠)، وابن بطة في الإبانة (١٧٤)، (١٧٥)، والحاكم في المستدرك (٨٥٣٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٦٩)،

وهذان الأثران لا يقال مثلهما بالرأي لأنه من أمور الغيب فلهما حكم الرفع ، وقول السلف (منه بدأ) فيه رد على الجهمية الذين قالوا : بدأ من غيره ، وقولهم (وإليه يعود) فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ، قاله شيخ الإسلام أبن تيميه رحمه الله تعالى فهذا اعتقادنا في القرآن الكريم ، أنه كلام الله تعالى وأنه منزل غير مخلوق وأنه من الله بدأ وإليه يعود وهذا ما نعتقده بقلوبنا وننطقه بألسنتنا وندرسه لطلابنا في الحلقات والمدارس . والله أعلم .

(المسألة الثالثة) لقد زعم المعتزلة ومن وافقهم أن القرآن مخلوق ، وقولهم هذا كفر كما قرره أهل السنة ، ولكن قد استدلوا بجمل من الأدلة ، لا بد من الوقوف على بعضها مع بيان الرد عليها بما يتيسر ، فأقول وبالله تعالى التوفيق :ـ

مما استدلوا به :ـ قول الله تعالى{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦] وقوله تعالى{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢] فقوله{كل}هذه من أقوى صيغ العموم ، فيدخل فيها كل شيء ، والقرآن شيء ، فيدخل في عمومها ، فيكون مخلوقا ، كذا قالوا ، وهذا فهم في الآية لا يصح ، وقد أجاب أهل السنة على ذلك الاستدلال بأن عموم (كل) لا تقتضي دخول الأشياء جميعها فإن صيغ العموم يكون عموم كل منها بحسبه ألا ترى إلى قوله تعالى عن بلقيس ملكت سبأ{وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} [النمل: ٢٣] فإنه لا يفهم عاقل أنها أوتيت كل الأشياء فإنها لم تؤت ما أوتي سليمان عليه السلام ، وإنما المراد أنها من كل شيء يحتاجه الملوك في الغالب ، وكذلك قوله تعالى في ريح عاد {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [الأحقاف: ٢٥] ونعلم عقلاً وحساً أنها لم تدمر السماوات والأرض والجبال والجمادات بل حتى المساكن لم تخل في هذه الكلية قال تعالى{فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ } [الأحقاف: ٢٥]فدل ذلك على أنها إنما دمرت كل شيء أمرت بتدميره ، وكذلك قوله تعالى{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦]فإن معناه عموم خلقه لما يصلح أن يكون مخلوقاً ، وهو هذه العوالم العلوية والسفلية من أرضها وسمائها وأفلاكها

من طريق: عن عبد العزيز بن رفيع، عن شداد بن معقل، قال: قال ابن مسعود، به.

فرجاله ثقات، رجال الشيخان، خلا شداد بن معقل، فهو يحسن حديثه، فقد قال فيه الحافظ في التقريب: صدوق.

وملائكتها وإنسها وجنها وحيواناتها وشجرها ونباتها ومائها ونحو ذلك مما يصلح أن يوصف بكونه مخلوقاً ، لكن الله تعالى بصفاته هو الخالق جل وعلا وما سواه فمخلوق ومن صفاته كلامه والقرآن من كلامه فلا يكون مخلوقاً ، إذ كيف بالله عليك يكون شيء من صفاته مخلوقاً ، وقال أهل السنة أيضاً : أيها المعتزلة هل أنتم تقولون إن أفعال العباد الصادرة منهم شيء أم ليست بشيء ؟ بالطبع سيقولون هي شيء من الأشياء ، فقل إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد تعالى فأين حرصكم على الاستدلال بقوله {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦]وقد أخرجتم منه أفعال العباد فقلتم : لم يخلقها الله مع أنها شيء باعترافكم ، وتدخلون كلام الله تعالى في هذا الدليل لأنه شيء من الأشياء ، هذا والله عين التناقض فإنكم بذلك قد أخرجتم من العموم أفعال العباد وهي داخلة فيه بالإجماع ، وأدخلتم في العموم كلام الله وهو خارج منه بالإجماع ، فأين عقولكم ، فحق هؤلاء شفقة بهم وإحساناً إليهم أن يدخلوا في المصحات العقلية لأخذ العلاج اللازم ، عافانا الله وإياك من كل بلاء وقال أهل السنة أيضاً : أيها المعتزلة : قال تعالى (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ) (الأنعام: من الآية١٩) فهذا يثبت أن الله تعالى شيء وصفاته شيء وهو أكبر الأشياء جل وعلا ، فهل يدخل في هذا العموم ؟ بالطبع سيقولون لا ، فقل ، إن القرآن كلام الله وكلامه صفته وصفته غير مخلوقه فكيف أدخلتموه في هذا العموم والله أعلم .

ومما استدلوا به أيضا :ـ قوله تعالى{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا } [الزخرف: ٣]فقالوا : الجعل هنا هو الخلق فيكون المعنى إنا خلقناه قرآنا عربياً ، فقال أهل السنة ، وهذا الاستدلال أيضاً ساقط وما فهمتموه من الدليل ليس بشيء وبيان ذلك أن (جعل) في اللغة العربية لها معانٍ فتأتي بمعنى (خلق) وتأتي بمعنى (صَيَّر) والقاعدة فيها : أن (جعل) إذا كانت لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد فهي بمعنى (خلق) وإذا كانت تتعدى إلى مفعولين فهي بمعنى (صَيَّر) فمن أمثلة مجيئها بمعنى خلق قوله تعالى {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} [الأنعام : ١] فهنا بمعنى وخلق الظلمات والنور لأنها لم تتعدى إلا لمفعول واحد ، ومنه قوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [الأعراف: ١٨٩]أي وخلق منها زوجها لأنها لم تتعدى إلا إلى مفعول واحد فقط .

وأما إذا تعددت إلى مفعولين فإنها تكون بمعنى صَيَّر ومن ذلك قوله تعالى{فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا} [البقرة: ٦٦] فإن المفعول الأول (ها) في قوله {فجعلناها} والمفعول الثاني {نكالاً} فيكون هنا بمعنى فصيرناها نكالاً ، ومنه قوله تعالى{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً} فإن المفعول الأول {الملائكة} والمفعول الثاني{إناثاً} فتكون بمعنى صير ، أي وصير الملائكة باعتقادهم الفاسد إناثاً ، ومنه قوله تعالى{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الزخرف: ٣] فالمفعول الأول الضمير والمفعول الثاني (قرآناً) والمعنى إنا صيرنا أو قلنا قرآناً عربياً ، هذا تفهمه العرب من كلامها ، ولا عبرة بفهم الأعاجم والأنباط وسقطة فارس والروم ، وبالله عليك هل يفهم عاقل من قوله تعالى{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ} [الزخرف: ١٩] أي وخلقوا الملائكة ؟ ومن قوله تعالى{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [الفيل: ٥] أي فخلقهم كعصف مأكول؟ هل يفهم عاقل أن (جعل) هنا بمعنى خلق ؟ولكن المعتزلة قوم بهت والله يحفظنا وإياك من زلل القول والفهم والله أعلم .

ومما استدلوا به أيضا:ـ قوله تعالى{مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء: ٢] ومثلها قوله تعالى{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ } [الشعراء: ٥] فقالوا : والمحدَث هو المخلوق ، فقال أهل السنة رحمهم الله تعالى : إن قوله{مُحْدَثٍ} من الحدوث وهو كون الشيء بعد أن لم يكن ، والقرآن العظيم حين كان ينزل ، كان كلما نزل منه شيء كان جديداً على الناس لم يكونوا علموه من قبل فهو محدث بالنسبة إلى الناس ، ألا تراه قال {مَا يَأْتِيهِمْ} فهو محدث بالنسبة إليهم حين يأتيهم ،

ومنه قوله ﷺ (إن الله يحدث لنبيه ما شاء وإن مما أحدث لنبيه أن لا تكلموا في الصلاة)

فهل يكون المعنى : إن الله يخلق لنبيه ما شاء ؟ بالطبع لا ، وإنما المراد أنه تعالى يشرع من التشريع الجديد ما شاء وإن مما شرع ألا تكلموا في الصلاة ، فقوله (محدث) أي بالنسبة إلى العباد أي جديد عليهم ، فيكون المعنى : أنه كلما أتاهم

ذكر جديد من ربهم أي نزل عليهم شيء جديد من القرآن استمعوه وهم ساهون غافلون لاعبون متشاغلون معرضون فليس المحدث هنا هو المخلوق ،

قال أبو العباس قدس الله روحه : (المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي ولكنه الذي نزل جديداً فإن الله كان ينزل القرآن شيئاً بعد شيء ، فالمنزل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخراً وكل ما تقدم على غيره فهو لغة العرب) أ.هـ(٨٥٨)

ومما استدلوا به أيضا: قوله تعالى في عيسى عليه الصلاة والسلام{إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} [النساء: ١٧١] وقال تعالى{يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} [آل عمران: ٤٥] وعيسى مخلوق فتكون الكلمة مخلوقة ، فقال أهل السنة : إن عيسى عليه الصلاة والسلام ليس هو (كن) وإنما هو المكون بـ(كن) كما قال تعالى{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩] وقال تعالى{قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[آل عمران: ٤٧] فكلمة الله هي قوله (كن) وهذه ليست هي عين عيسى عليه السلام حتى تكون هذه الكلمة مخلوقه ، وإنما عيسى هو أثرها المقصود بقوله (فيكون) فعيسى عليه السلام تكوَّن بـ (كن) وليس هو عين (كن) فالمعتزلة فهموا أن عيسى هو بعينه (كن) وهذا فهم بعيد عن الآية لا تدل عليه أبداً ، فعيسى عليه السلام مخلوق خلقه الله بأمره حين قال له (كن) فتكوَّن بهذه الكلمة هذا ما فهمه السلف من الآية وفهمهم حجة على من بعدهم بل هذا هو عين المراد من الآية ، وقد استدلوا بغير ذلك ، ولكن ما ذكرناه من أشهر حججهم ، وأنت ترى أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك ، ولكنها الأفهام المقلوبة والتي لا تبصر طريق الحق ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) واعلم رحمك الله تعالى أن هذه العقيدة الكبيرة الفخمة لها شأنها العظيم عند أهل السنة والجماعة ، ولذلك فقد ثبت عنهم رضي الله تعالى عنهم في تقريرها نصوص كثيرة جدا ، لا تكاد تحصر ، وكلهم مجمعون على أن من قال

(٨٥٨) أنظر مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤١).

بخلق القرآن فإنه كافر ، ونحن ننقل لك إن شاء الله تعالى طرفا من كلامهم رحمهم الله تعالى

فنقول :ـ قال محمد بن يحيى الذهلي: (من قال إن القرآن مخلوق فقد كفر، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فقد ابتدع) (٨٥٩)

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى: (من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر) (٨٦٠)

ولما سمع ابن عباس رضي الله عنهما رجلاً يقول: اللهم رب القرآن، قال له: (مه، القرآن كلام الله ليس بمربوب منه خرج وإليه يعود)(٨٦١)

وهذا الكلام معروف عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال في العقيدة الأصفهانية(٨٦٢)

وقال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه: الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول، وذكر اثني عشر إماما، الشافعي ومالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة وابن المبارك وإسحاق بن راهويه والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم، قال فيه: سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول:- سمعت الإمام أبا بكرٍ عبيد الله بن أحمد يقول: سمعت الشيخ أبا حامد الإسفرائيني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعاً من الله

---

(٨٥٩) صحيح
أخرجه الخلال في السنة (٢١٧٥).

(٨٦٠) صحيح
أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٨٦٥).

(٨٦١) حسن
أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣٧٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٩)، من طريق: علي بن عاصم ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة، عن ابن عباس، به.
ففيه علي بن عاصم، وهو صدوقٌ يحسن حديثه.

(٨٦٢) آنظر العقيدة الأصفهانية (١/ ٢١).

تعالى والنبي - ﷺ - سمعه من جبريل والصحابة رضوان الله عليهم سمعوه من النبي - ﷺ - وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا، فما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً ومنقوشاً كل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله وملائكته والناس أجمعين)ا.هـ. (٨٦٣)

وقال أيضاً في العقيدة الأصفهانية:(وقال البخاري حدثني الحكم بن محمد الطبري، كتبت عنه بمكة، قال حدثنا سفيان بن عيينة: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: (القرآن كلام الله وليس بمخلوق) (٨٦٤)

وقال معاوية بن عمار سمعت جعفر بن محمد يقول: (القرآن كلام الله وليس بمخلوق) (٨٦٥)

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته المختصرة: (وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى { سَأُصْلِيهِ سَقَرَ } [المدثر: ٢٦] فلما أوعد الله بسقر لمن قال { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } [المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر)ا.هـ (٨٦٦)

وقال أبو العباس في الواسطية (ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد - ﷺ - هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما

---

(٨٦٣) آنظر العقيدة الأصفهانية (١/ ٥٧).

(٨٦٤) آنظر العقيدة الأصفهانية (١/ ٩٢).

(٨٦٥) آنظر العقيدة الأصفهانية (١/ ٩٣).

(٨٦٦)آنظر العقيدة الطحاوية (١/ ٤١).

يضاف حقيقة إلى من قال مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف)ا.هـ. (٨٦٧)

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: (والذي استقر عليه قول الأشعري أن القرآن كلام الله غير مخلوق)ا.هـ. (٨٦٨)

وقال ابن أبي داوود في حائيته :

وقل غير مخلوق كلام مليكنا   بذلك دان الأتقياء وأفصحوا (٨٦٩)

وروى البيهقي في شعب الإيمان بسنده إلى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: (القرآن كلام الله فمن قال فليعلم ما يقول فإنما يقول على الله عز وجل) (٨٧٠)

وروى اللالكائي الحافظ في شرح أصول اعتقاد أهل السنة عن البخاري صاحب الصحيح أنه قال: (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم، أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة وواسط وبغداد والشام ومصر لقيتهم كرات، قرناً بعد قرن، ثم قرناً بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة ... ثم سمى خلقاً كثيراً من أهل السنة في هذه البلاد ... ثم قال: فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء أن الدين قول وعمل وذلك لقوله تعالى { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

---

(٨٦٧) آنظر العقيدة الواسطية (١/ ٧).

(٨٦٨) آنظر آنظر فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٩٤)

(٨٦٩) آنظر المَنظُومَةُ الحَائِيَّة فِي السُّنَّة لِأَبِي بَكْر بْنِ أَبِي دَاوُد السِّجِسْتَانِيّ (١/ ٥).

(٨٧٠) إسناده ضعيف

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٨٣)،

من طريق: أحمد بن بشير، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، به.

فإسناده ضعيف، ففيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف.

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } وأن القرآن كلام الله غير مخلوق) (٨٧١)

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (القرآن كلام الله غير مخلوق) (٨٧٢)

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى (القرآن كلام الله غير مخلوق كذلك بلغنا عن أيوب السختياني وسليمان التيمي) (٨٧٣)

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: لما جاءت المحنة إلى الكوفة، قال أحمد بن يونس: الق أبا نعيم فقل له، فلقيت أبا نعيم فقال لي: إنما هو ضرب السياط، قال ابن أبي شيبة: ذهب حديثنا عن هذا الشيخ، فقال أبو نعيم أدركت ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق، (٨٧٤)

وقال أبو مصعب سمعت مالك ابن أنس يقول: (القرآن كلام الله وليس بمخلوق) (٨٧٥)

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (من قال القرآن مخلوق فهو زنديق) (٨٧٦)

ولما قال حفص الفرد في مناظرته للشافعي: القرآن مخلوق قال له الشافعي كفرت بالله العظيم، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: (من قال القرآن مخلوق فهو كافر) (٨٧٧)

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: (القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق) (٨٧٨)

---

(٨٧١) آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٣)، وكل ما يأتي بأسانيد صحيحه، وأقلها حسن.

(٨٧٢) آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٣١).

(٨٧٣) آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٣٩).

(٨٧٤) آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٤٤).

(٨٧٥)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٥١).

(٨٧٦)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٥٣).

(٨٧٧)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٥١).

وقال أيضاً: (من زعم أن هذا القرآن مخلوق فهو كافر) (٨٧٩)

وقال أبو خيثمة رحمه الله تعالى: (من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر)ا.هـ. (٨٨٠)

وقال ابن مهدي رحمه الله تعالى: (القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق)ا.هـ. (٨٨١)

وقال شبابة بن سوار وعبدالعزيز القرشي (القرآن كلام الله، من زعم أنه مخلوق فهو كافر) (٨٨٢)

وقال ابن أبي أويس: (القرآن كلام الله عز وجل ومن الله، وما كان من الله فليس بمخلوق) (٨٨٣)

وقال يحيى بن يحيى النيسابوري (من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر)ا.هـ. (٨٨٤)

وقال أبو الوليد إسماعيل بن عزرة: (إن القرآن كلام الله وكلام الله عز وجل ليس بمخلوق) (٨٨٥)

وقال أحمد بن زهير: سمعت أبي ما لا أحصي كثرة يقول: (القرآن كلام الله غير مخلوق ولا نعرف غير هذا) (٨٨٦)

---

(٨٧٨)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٥٥).
(٨٧٩)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٥٥).
(٨٨٠)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٥٦).
(٨٨١)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٠).
(٨٨٢)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٢).
(٨٨٣)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٢).
(٨٨٤)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٢).
(٨٨٥)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٥).
(٨٨٦)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٥).

وقال عثمان ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى: (القرآن كلام الله وليس بمخلوق) (٨٨٧)

وقال محمد ابن سليمان لوين: (القرآن كلام الله غير مخلوق، وما رأيت أحداً يقول القرآن مخلوق أعوذ بالله)ا.هـ. (٨٨٨)

وقال المزني رحمه الله تعالى: (القرآن كلام الله غير مخلوق) (٨٨٩)

وقال مرة (القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال القرآن مخلوق فهو كافر)ا.هـ. (٨٩٠)

وقال الربيع بن سليمان والبخاري صاحب الصحيح: (القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال مخلوق فهو كافر) (٨٩١)

وقال أبو محمد سهل بن عبد الله: (من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالربوبية لا كافر بالنعمة) (٨٩٢)

وقال محمد بن الحسن رحمه الله تعالى: (القرآن كلام الله وليس من الله شيء مخلوق) (٨٩٣)

وقد حكى إسماعيل بن أبي أويس إجماع أهل المدينة، قال: كان مالك وعلماء أهل بلدنا يقولون: (القرآن من الله وليس من الله شيء مخلوق)ا.هـ. (٨٩٤)

---

(٨٨٧)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٦).

(٨٨٨)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٦).

(٨٨٩)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٧).

(٨٩٠)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٧).

(٨٩١)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٨).

(٨٩٢)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٦٨).

(٨٩٣)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٧٠).

(٨٩٤)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٧٢).

وقال أبو سليمان الجوزجاني رحمه الله تعالى سمعت محمد بن الحسن رحمه الله تعالى يقول: (من قال القرآن مخلوق فلا تصلوا خلفه) (٨٩٥)

وقال محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب وعبدالعزيز ابن أبي سلمة الماجشون وأبو بكر بن سبرة وإبراهيم بن سعد الزهري وسعيد بن عبدالرحمن الجمحي وحاتم ابن إسماعيل وعبدالله بن عبدالعزيز العمري الزاهد وأبو ضمرة أنس بن عياض ومحمد ابن إسماعيل بن أبي فديك: (القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فقد كفر)ا.هـ. (٨٩٦)

وأجمع على ذلك أهل مكة أيضاً وأهل البصرة وأهل الكوفة وأهل واسط وأهل بغداد وأهل الشام وأهل مصر وأهل الري، وأهل خراسان، فأهل السنة في هذه البلاد كلهم متفقون على أن القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، وهم أعداد كثيرة وجموع غفيرة لا يحصيهم إلا الله تعالى.

وبه تعلم أن السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم وسائر أئمة أهل السنة في مختلف الأمصار وسائر الأعصار متفقون على هذه القضية وأنها من القضايا المسلمات عندهم ومتفقون أيضاً على أن من قال بخلق القرآن فإنه كافر بالله العظيم، وهذا إجماع قطعي متواتر ثابت لا ينازع فيه إلا ملحد زنديق كافر بالرب عز وجل،

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وقد قال أئمة المسلمين وجمهورهم القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ)ا.هـ. (٨٩٧)

وقال أيضاً: (ولهذا قال الأئمة القرآن كلام الله غير مخلوق كيفما تصرف)ا.هـ. (٨٩٨)

---

(٨٩٥)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٧١).

(٨٩٦)آنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٧١).

(٨٩٧)آنظر الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٩٥)، لم أقف عليه في كتب ابن القيم، وإنما وقفت عليه في كتب ابن تيمية رحمه الله.

(٨٩٨)آنظر الفتاوى الكبرى (٥/ ١٦).

وقد قال تعالى { وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } [النمل: ٦] وقال تعالى { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ } [التوبة: ٦] أي القرآن فهو كلام الله وكلامه صفة من صفاته وليس في صفات الله تعالى شيء يوصف بأنه مخلوق، وقد نقل ابن القيم رحمه الله تعالى إجماع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة وأئمة الفقه على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وقد ذكر ذلك أبو العباس رحمه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتبه،

وقال الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني الشافعي في كتابه الحجة على تارك المحجة: (أجمع المسلمون على أن القرآن وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة الله تعالى وأنه موصوف به) (٨٩٩)ا.هـ.

وكان الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرائيني إمام الأئمة الذي طبق الأرض علماً إذا سعى إلى الجمعة من قطعية الكرج إلى جامع المنصور يدخل الرباط المعروف بالزوزي، المحاذي للجامع ويقبل على من حضر ويقول (اشهدوا علي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما قاله الإمام بن حنبل لا كما يقوله الباقلاني، وتكرر ذلك منه جمعات) (٩٠٠)

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى (وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن كلام الله) (٩٠١)

وقال أيضاً: (فإنه قد اشتهر عند العامة والخاصة أن مذهب السلف وأهل السنة والحديث أن القرآن كلام الله غير مخلوق)ا.هـ. (٩٠٢)

وقال ابن المديني رحمه الله تعالى: (القرآن كلام الله غير مخلوق، من قال إنه مخلوق فهو كافر لا يصلى خلفه) (٩٠٣)

---

(٨٩٩)آنظر الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٠٣).

(٩٠٠)آنظر الفتاوى الكبرى (٦/ ٥٩٨).

(٩٠١)آنظر الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٠٤).

(٩٠٢)آنظر درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٤٠٤).

(٩٠٣)آنظر شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١/ ٩٢).

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى:- (والذي اتفق عليه السلف والأئمة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق) (٩٠٤)ا.هـ.

وقال رحمه الله تعالى:- (ومذهب السلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود) (٩٠٥)ا.هـ.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (نقول القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف) (٩٠٦)ا.هـ.

قلت بل إنه لكثرة النقول عن أهل السنة في هذه المسألة صارت شعاراً لأهل السنة، ونحن لنشهد الله تعالى ومن حضرنا من الملائكة ومن يقرأ ذلك من طلاب العلم ويطلع عليه من عامة المسلمين أننا نقول بما قال سلف هذه الأمة - رضي الله عنهم - من أن القرآن كلام الله تعالى حقيقة حروفه ومعانيه وأنه منزل غير مخلوق وأن من الله بدأ وإليه يعود، هذا هو ما نعتقده بقلوبنا وننطقه بألسنتنا وندرسه لطلابنا وندونه في مؤلفاتنا حول هذه المسألة.والله يتولانا وإياك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(المسألة الخامسة) واعلم رحمك الله تعالى أن من جملة الفتن التي عصفت بالعالم الإسلامي فتنة القول بخلق القرآن ، وذلك كان في عهد المأمون ، وقد التف حوله شرذمة من المعتزلة وأجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم حتى تشرب قلبه هذه العقيدة الفاسدة ، فصار يدعو الناس لها بلا إلزام في أول الأمر ، فلما رأى قلة من يستجيب له ، أشار علماء المعتزلة كابن أبي دؤاد المعتزلي بأن يحمل الناس عليها بالحديد والنار والسياط والحبس ، فبعث زبانيته يجوبون البلاد ليقتلوا أو يعذبوا كل من يرد عقيدة القول بخلق القرآن ، فحمل الناس عليها حملا بالقوة ، فمنهم من

---

(٩٠٤)آنظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٨).

(٩٠٥)آنظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧).

(٩٠٦)آنظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٧٥).

أجاب وهم الأكثر ، ولكن كثير منهم أجابوا تقية وخوفا من العذاب والقتل والسياط ، ومنهم من ثبت وصبر على هذه الفتنة ، واحتسب الأجر فيما يصيبه فيها في ذات الله تعالى ، والحمد لله أننا لسنا هنالك ، الحمد لله الذي عصمنا من هذه الفتنة ، فَقُتِل خلق كثير بسبب هذه الفتنة ، وكان من أبرز من ثبت في وجهها الإمام أحمد بن حنبل بيض الله تعالى وجهه في الدنيا والآخرة ، وجزاه الله تعالى خير ما جزى إمام عن أمته ، ورفع الله له الدرجة ، وغفر الله له ، وحشره مع نبي هذه الأمة ، وجعل قبره روضة من رياض الجنة ، فإنه ثبت في هذه الفتنة الكبيرة ثبات الجبال الرواسي في وجه المأمون وزبانيته ،وفي وجه علماء السوء الذين كانوا يزينون الباطل للمأمون ، وكان لا يدع لهم شاذة ولا فاذة من الشبه إلا واتبعها يكسرها ويضرب عنقها على صخرة الحق ، فكان لا يقف أمامه احد إلا وكسره وفضحه وبين زيف مقالته ، حتى شرقوا به ، فوصل بهم الحال أن يقول كبيرهم للمأمون :ـ يا أمير المؤمنين ، اقتله ودمي في رقبتي ، فكانوا يفتون بقتله ، ولكن أبى الله تعالى أن يكون هذا ، فإن أزمة الأمور بيد الله تعالى لا بيد المأمون ولا بيد علماء فئران المعتزلة ، فعذب الإمام أحمد في الله أشد العذاب ، وناله من السياط بعض ما نال أحبابه ممن أسلم أول الأمر في مكة ، فكان رحمه الله تعالى يضرب بالسياط حتى يسقط مغشيا عليه من الألم ، وكانت السياط تتكسر على جسده الطيب ، وكانت تترك في جسده أثارا كبيرة تزيد في ألمه وتشق عليه المشقة الكبيرة ، ثم يرمى بعدها في السجن بلا دواء ولا أنيس إلا الله تعالى ، وكان يحمل مقلوبا على الدابة ويجلد أمام الناس في السوق ، وهكذا العلماء ، لا بد وأن يبتلون ، وليس الصدع بالحق بلا خوف في الله تعالى أمر سهل ، لا ، بل هو أمر كبير ، ولكنه يسير على من يسره الله تعالى عليه ،

يقول الذهبي :ـ (الصدع بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يخذل، فمن قام بهما كاملا، فهو صديق. ومن ضعف، فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب. وليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله) (٩٠٧).

(٩٠٧)آنظر العواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٢٦٣).

فلما زاد الثبات أمام هذه الفتنة ضاق المأمون وزبانيته ذرعا بالإمام أحمد وصاحبه محمد بن نوح ، فأمر المأمون بهما أن يحملا إليه وهو في طرسوس ، وفي الطريق إليه لقي الإمام أحمد رجلا يقال له أبو جعفر الأنباري ، فقال للإمام أحمد مثبتا له :ـ يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن، ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب، ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لابد من الموت، فاتق الله ولا تجب. فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله.ثم قال: يا أبا جعفر، أعد علي ، فأعاد عليه، وهو يقول: ما شاء الله ، وقد كان لا يأبه بحبسهم ولا بقتلهم ، ولكنها فتنة السوط ، قال رحمه الله تعالى :ـ لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط. فسمعه بعض أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سري عنه.

قال صالح بن أحمد:(حمل أبي ومحمد بن نوح من بغداد مقيدين، فصرنا معهما إلى الأنبار.فسأل أبو بكر الأحول أبي: يا أبا عبد الله، إن عرضت على السيف، تجيب ؟ قال: لا. فسمعت أبي يقول: صرنا إلى الرحبة ، ورحلنا منها في جوف الليل، فعرض لنا رجل، فقال: أيكم أحمد بن حنبل ؟ فقيل له: هذا، فقال للجمال: على رسلك، ثم قال: يا هذا، ما عليك أن تقتل ها هنا، وتدخل الجنة ؟ ثم قال: أستودعك الله، ومضى) (٩٠٨).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى :ـ (ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق. قال لي : يا أحمد، إن يقتلك الحق، مت شهيدا، وإن عشت، عشت حميدا ، فقوي قلبي فلما كانوا في الطريق إلى المأمون رفع الإمام أحمد يديه يدعو الله تعالى أن لا يرى وجه المأمون ، قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنة ـ وهي اسم بلدة ـ ورحلنا منها في جوف الليل، وفتح لنا بابها، إذا رجل قد دخل.فقال: البشرى ! قد مات الرجل يعني: المأمون.قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه) (٩٠٩)ثم لما ارتاح أهل السنة من

(٩٠٨)آنظر العواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٢٦٩).

(٩٠٩)آنظر العواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٢٧٠).

فتنة المأمون تولى الفتنة بعده المعتصم ، وحمل الناس على القول بخلق القرآن ، وشدد في تعذيب الإمام أحمد ، وقد حلف المعتصم أن لا يقتل أحمد بالسيف ، وإنما سيقتله بالضرب بعد الضرب بالسوط ، وأن يقتله في موضع لا يرى فيه شمسا ولا قمرا ، وكان كلما لان في أمر الإمام أحمد بسبب رحمته لما يراه من شدة تعذيبه أزه ابن أبي دؤاد وعلماء السوء على زيادة تعذيبه وأن لا تأخذه عليه شفقة ، وكان المعتصم يقول للجلادين إذا فترت أيديهم عن الجلد :ـ شُدَّ عليه ، قطع الله يدك . قال حنبل: (سمعت أبا عبد الله، يقول: ذهب عقلي مرارا، فكان إذا رفع عني الضرب، رجعت إلي نفسي.

وإذا استرخيت وسقطت، رفع الضرب، أصابني ذلك مرارا) (٩١٠)

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في مناقب أحمد (هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها، كما هانت على بلال نفسه.وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه كانت نفسه عليه في الله تعالى أهون من نفس ذباب.وإنما تهون أنفسهم عليهم لتلمحهم العواقب.فعيون البصائر ناظرة إلى المآل، لا إلى الحال.وشدة ابتلاء أحمد دليل على قوة دينه، لأنه قد صح عن النبي، ﷺ، أنه قال: " يبتلى المرء على حسب دينه " فسبحان من أيده وبصره، وقواه ونصره) (٩١١)

ولكن مات المعتصم وبقي أحمد ، وليت الفتنة انتهت ، ولكن أهل البدع التفوا حول الواثق بالله ، أبي جعفر ، هارون بن المعتصم ، والمعروف بالواثق بالله ، فأقنعوه بأن القرآن مخلوق ، وقيل :ـ إنه رجع عنها قبيل موته ، ولمهم أن الإمام لا يزال في منعة منهم من الله تعالى ، مع ما ناله من العذاب والجلد إلا أن العاقبة كانت له ، ولله الحمد ، فقد مات الواثق بالله ، وتولى الأمر بعده المتوكل على الله ، وكان قريبا من أهل السنة ومبغضا لأمر الفتنة ، وكان لا يحب المعتزلة ، فرفع الله تعالى به المحنة عن المسلمين ، وقمع به كلمة المعتزلة ، وطردهم من دار الخلافة ، وأعاد لأهل السنة منزلتهم وحلقاتهم ، وأكرم الإمام أحمد أيما إكرام ، وانتهى أمر

---

(٩١٠)آنظر العواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٢٧٦).

(٩١١)آنظر مناقب الإمام أحمد (١/ ٤٤٦).

الفتنة بتوفيق من الله تعالى ، ثم بالخلافة التي لا تقبل الأفكار الباطلة ، ومن هذا العرض المختصر نأخذ جملا من الدروس :ـ

منها :ـ أن لا بد للعالم من أن يبتلى ، فابتلاء العلماء سنة ، ولا يمنعها قوة صلاح ولا علو درجة عند الله تعالى ، فقد ابتلي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الابتلاء ،وهم أعلى الخلق عند الله تعالى ، فمن يأمن الابتلاء بعدهم ، بل قال أهل العلم :ـ إذا رأيت العالم لا يبتلى فاتهم دعوته ، وإنما يبتلى المرء على قدر دينه ، قال تعالى{أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} فالله المستعان ، ونعوذ به جل وعلا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

ومنها :ـ أنه لا يثبت في الفتن في الأعم الأغلب إلا أهل العلم الراسخين .

ومنها :ـ وجوب الصبر واحتساب الأجر على ما يصيب العبد في ذات الله تعالى .

ومنها :ـ أن من أكبر الفتن التي تواجه هذه الأمة فتنة علماء السوء والأئمة المضلين ، فإنه إن فسد العالم والحاكم فناهيك عن الشر الكبير والبلاء المستطير الذي سيحل في البلاد والعباد ، فهذا يفتن الأمة بسيفه وقهره وحبسه وسياطه ، وهذا يسانده بفساد رأيه وخبث عقيدته ، فأين الفرج والمخرج للناس من هذه الفتنة إلا بالاعتصام بالله تعالى . ولذلك فلا بد من الدعاء للعلماء والحكام بالصلاح والهداية والتوفيق ، فإن في صلاحهم صلاح الناس ، وفي صلاحهم يأمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم .

ومنها :ـ أن الرفعة والتمكين لا تكون إلا بعد الفتنة والامتحان ، فإن الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين ، قال تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤]

ومنها :ـ أن طريق الدعوة ليس طريقا مفروشا بالورود ، لا ، بل هو طريق ـ كما قال ابن القيم ـ ناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا،

وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ .

ومنها :ـ أن من أعظم الخطر أن يستولي أهل البدع المخالفين في العقيدة على الحاكم ، فوالله إنهم لن يألوا جهدا حينها أن يعذبوا أهل السنة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وأن يفتنوهم عن عقيدتهم ، وأن لا يبقوا في إيذائهم طريقا إلا سلكوه ، فالحذر الحذر من ذلك ، ولا بد من الوصول للحكام قبلهم وأن لا نخلي الساحة لهم يلقون في قلب الحاكم ما أرادوا من الشبه والبدع التي تعود على أهل السنة بالويل والثبور ، نعم ، الدخول على الحكام فيه ما فيه من الخطر ، ولكن لن تعدم الأمة إن شاء الله تعالى من أهل الحق من تكون عنده القدرة على الجمع بين نصح الحكام وتعليمهم وبين الحذر من دنياهم ، فلا ينبغي في هذه الأزمنة أن تخلو ساحة الحاكم من علماء أهل السنة ، وليس الأمر مفتوحا لكل أحد ، بل لمن يغلب على ظنه أنه لا يفتن بدنياهم ، وأنت خبير بأن المفسدة الدنيا تحتمل وتقتحم من أجل مراعاة المفسدة التي هي أكبر منها، لا سيما كبار العلماء ، فلا بد أن يكون لهم الدور الكبير في درء هذه الفتنة عن الأمة ـ أعني فتنة استيلاء أهل البدع على بساط الحاكم ـ .

ومنها :ـ أنه لا مخرج من الفتن إلا بكمال اللجأ الصادق لله تعالى وكمال التوكل عليه وإحسان الظن به جل وعلا والاعتصام به وكثرة دعاءة والتضرع والاستغاثة به . وإلا ففي الغالب أن الفتنة التي تكون عليك من قبل الحكام تبعد عنك القريب والصديق ، بل وتجعل أقرب قريب يتبرأ منك أحيانا ، فلا مخرج منها إلا بالله والتضرع إليه .

ومنها :ـ صدق ما قاله كثير من سلف الأمة :ـ إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ومنها :ـ علو الحق مهما كان ضعفه في أول الأمر ، وسفول الباطل مهما كان زبده وارتفاعه وقوته في أول الأمر ، فإن العبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات ، وكما قال تعالى{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ } [الرعد: ١٧]

ومنها :ـ وإن من أعظم دروس هذه المحنة ، ما قام به الإمام أحمد من الثبات على الحق، والصبر على البلاء ، لقد انتصر الإمام أحمد ،بإيمانه وشجاعته، وانهزمت أمامه حكومة هي من أقوى الحكومات في عصرها، وخرج أحمد بن حنبل من هذه المحنة خروج السيف من الجلاء ،والبدرِ من الظلماء، وقد سد ثلمة عظيمة كادت تحدث في الإسلام، وبقيت عقيدة أهل السنة صافية نقية من شوائب المعتزلة وضلالاتهم .

ومنها :ـ أن العبرة بالخواتيم ، فلقد مضت الأيام، ومات الإمام أحمد، ومن قَبله مات المأمون والمعتصم والواثق، ومات أيضاً أولئك المجرمون، من الحاشية الخبيثة والبطانة السيئة، أمثالِ أحمدَ بنِ أبي دؤاد وغيرِه ،لكن السؤال الأهم، ماذا حفظ لنا التاريخ من سيرة الإمام ،وماذا حفظ لنا من سيرة أولئك المجرمين .لقد أصبح الإمام أحمد علماً من أعلام الإسلام، في عصره وبعد موته حتى يومنا هذا، وكانت خاتمته وجنازته من أيام الإسلام المشهودة، وبقي علمه وفقهه وكتبه حتى يومنا هذا، حتى كأنه حي بين أظهرنا.وفي المقابل، نقل لنا التاريخ سوء خاتمة من شارك في تلك المحنة ،وعقاب الله عز وجل له في الدنيا قبل الآخرة ، ولا نريد الإطالة عليكم بسرد فوائد هذه القصة ، والمقصود أن هذه العقيدة التي قررها أهل السنة والجماعة في كتاب الله تعالى قد فني دونها في الدفاع عنها أنفس وقتل فيها أرواح وعذب فيها علماء ، ونحن أتانا المر بلا عناء ولا كبير كلفة ، أليست هذه نعمة عظيمة تستوجب منا الشكر والحمد ، بلى والله ، فالحمد لله على كبير نعمه ، وعلى جزيل عطائه ، وعلى عظيم نواله ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وأسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يجزي عنا أهل العلم خير الجزاء وأن يبارك في جهودهم وأن يعلي منازلهم في الدنيا والآخرة ، آمين ، اللهم صلى على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

(المسألة السادسة) لقد كان المعتزلة في زمن المأمون والمعتصم والواثق يقولون بأن القرآن مخلوق صراحة، ولما كان في عهد المتوكل وضعف المعتزلة قالوا:- نحن لا نقول:- إن القرآن مخلوق ولكن نقول:- إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فنظر أهل السنة إلى هذه اللفظة فقرروا أنها من الألفاظ المحدثة البدعية المجملة التي

تحتمل الحق والباطل، وقرروا أن هذا اللفظ لا يطلق القول به نفياً ولا إثباتاً لأن الألفاظ المجملة موقوفة على الاستفصال، فإن أريد بها الحق قبلناه وإن أريد بها الباطل رددناه، وذلك لأن كلمة (ألفاظنا) وكلمة (لفظي) تحتمل أن يراد بها لفظ القائل من صوته المسموع وحركات لسانه ولهاته ونبراته، ويحتمل أن يراد به ما تلفظ به، فإن كان يريد باللفظ أي لفظة هو نفسه من حركات لسانه ولهاته ونبرات صوته فلا شك أن هذه الأشياء مخلوقة وإن أراد الملفوظ به فإن هذا القول باطل، لأن الملفوظ غير مخلوق لأنه كلام الله منزل غير مخلوق، فالصوت والألحان صوت القاري، لكنما المتلو والمقروء كلام الباري جل وعلا، والمعتزلة إنما يريدون المعنى الباطل لا المعنى الحق، ولذلك قال الإمام أحمد وغيره من السلف (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي) أي أنه وافق المعتزلة في مرادهم من إنشاء هذه المقالة، فإذا جاءك المعتزلي وقال لك:- لفظي بالقرآن مخلوق، فلا تقل له صدقت، ولا تقل له كذبت، ولكن قل له:- هل تقصد بذلك ما ينسب لك أنت من صوتك وحركات لسانك ولهاتك فإن كنت تقصد ذلك فقد صدقت، وإن كنت تقصد ما تلفظت به أي الملفوظ به، فقد كذبت لأن الملفوظ به كلام الله منزل غير مخلوق، وهذا التفصيل يقال إذا ابتلي السني بقول المعتزلي هذا، وإلا فالواجب والأحوط والأسلم أن لا يتكلم به السني ابتداء لأنه لفظ محدث موهم يشتبه فيه الحق بالباطل، لكن إذا ابتليت بمن يقول ذلك في زمانك واحتاج الناس إلى بيان الحق فلابد من بيانه بهذا التفصيل السابق، ووجه الاشتباه في هذه المقالة أن كلمة (لفظي) مصدر والمصدر يصدق على ما يعود للفاعل من حركات لسانه ولهاته وشفتيه ونبرات كلامه، ويصدق على المفعول الذي هو ذات القرآن، فإن كان يقصد بقوله (لفظي بالقرآن مخلوق) المعنى الأول فهو حق لأن صوته وحركات لسانه ولهاته وشفتيه ونبرات كلامه كل ذلك مخلوق، وإن كان يريد المعنى الثاني فهو باطل، لأن المتلو والمقروء كلام الله تعالى، وكلامه صفة من صفاته وليس في صفاته جل وعلا شيء مخلوق، والمتقرر عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أن القرآن كلام الله حيثما تصرف سواءً قرئ بالألسنة أو حفظ في الصدور أو كتب في الأوراق والألواح وغير ذلك، فهو كلام الله، فلا يخرجه عن كونه كلام الله مجرد ذلك فإذا تلفظ الإنسان بالقرآن، ففيه أمران:- وسيلة تلفظ بها، وقرآن تلفظ به،

فالوسيلة التي أخرج بها القرآن لا شك أنها مخلوقة وهي صوته وحركات لسانه ولهاته وشفتيه، وأما الكلام الذي قرأه فإنه كلام الله منزل غير مخلوق، فلأن كلمة (لفظي) تصدق على الوسيلة المخلوقة، وتصدق على الكلام الذي قرأه صارت لفظة مجملة يدخل تحتها حق وباطل، فلا يقبل قوله إلا بعد الاستفصال وتمييز الحق من الباطل فيقبل الحق ويرد الباطل، فإذا كان المراد بهذه الكلمة ما يخص المخلوقين فهي حق، وإذا كان المراد بها ما يخص القرآن الذي هو كلام الله فباطل، فاحذر يا طالب العلم من الألفاظ السامجة المحدثة المبتدعة المجملة واسلك فيها طريق التفصيل والله أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

إيماننا عقد وقول هكذا   عمل فتلك ركائز الإيمان

ويزيد بالطاعات إن قبلت كذا   ك ويعتريه النقص بالعصيان

أقول :ـ هذا الأبيات يتكلم فيها الناظم غفر الله تعالى له عن مسألة الإيمان وعقيدة أهل السنة والجماعة فيه ، وحتى يكون الكلام واضحا فلا بد من ذكر القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في هذه العقيدة المباركة ، مع شيء من الكلام عليها فنقول وبالله تعالى التوفيق ، ومنه نستمد العون والفضل وحسن التحقيق :ـ

القاعدة الأولى :ـ (الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان) :ـ وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، فالإيمان مبني على هذه الركائز الثلاث ، ولا يصح إيمان العبد إلا بها .

فأما قولهم :ـ (اعتقاد بالجنان) أي بالقلب فيدل عليه قوله تعالى {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات: ١٤] وقوله تعالى{أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ } [المجادلة: ٢٢] وقوله تعالى{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ} [المائدة: ٤١]

وقال النبي ﷺ "يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه ... الحديث " (٩١٢)

ولأن أصل الإيمان في اللغة التصديق ، ولكنه ليس التصديق المطلق ، بل هو التصديق المقرون بالإقرار ، والتصديق محله القلب ، وقد انعقد إجماع أهل السنة على ذلك .

وأما قولهم :ـ(وقول باللسان) فيدل عليه قوله تعالى{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة: ١٣٦] فأمرهم هنا بالقول ولم يكتف منهم بمجرد ما في القلب ، ومثلها قوله تعالى{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٨٤]

وقوله تعالى{وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات: ١٤]

وقوله تعالى{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله) (٩١٣)

---

(٩١٢) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٩٧٧٦)، (١٩٨٠١)، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب الغيبة (٤٨٨٠)، وأبو يعلى في مسنده (٧٤٢٣)، والروياني في مسنده (١٣١٢)، والطبري في صريح السنة (٤١)، والبيهقي في الآداب (١١٧)، وفي السنن الكبرى (٢١١٦٤)،

من طريق: الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي، به.

فإسناد صحيح، ورجاله ثقات، خلا سعيد بن عبد الله بن جريج، وهو صدوق ربما وهم، فيحسن حديثه.

(٩١٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالنُّبُوَّةِ، (٢٩٤٦).

وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) (٩١٤)

وفيهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) (٩١٥)

واتفق أهل العلم أن الكافر إذا أراد الإسلام فإنه لا بد من التلفظ بالشهادتين بحيث يسمع نفسه على الأقل ولا يكتفي بالإقرار القلبي .

وأما قولهم :ـ (وعمل بالجوارح والأركان) فيدل عليه قوله تعالى{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم كما ورد ذلك في الصحيح ، وقوله تعالى{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥]

وفي الصحيحين عن ابن عباس في حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ أمرهم بأربع أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم ، قال (شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس) (٩١٦)

---

(٩١٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} (٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ (٢٢).

(٩١٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ (٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ (٣٥)،

(٩١٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ (٥٣)، كتاب العلم، بَابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالعِلْمَ، (٨٧)، كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ} (٥٢٣)، كتاب الزكاة، بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ (١٣٩٨)، كتاب فرض الخمس، بَابٌ: أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الدِّينِ (٣٠٩٥)، كتاب المناقب، باب (٣٥١٠)، كتاب المغازي، بَابُ وَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ (٤٣٦٩)، كتاب أخبار الآحاد، بَابُ وَصَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُفُودَ العَرَبِ أَنْ يُبَلِّغُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ (٧٢٦٦)،

وهذه كلها أعمال جوارح وقد سماها إيماناً ،

وقال عليه الصلاة والسلام (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) حديث صحيح (٩١٧)

وقال عليه الصلاة والسلام (إن البذاذة من الإيمان) حديث صحيح ، (٩١٨)

كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}(٧٥٥٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ (١٧).

(٩١٧) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه أحمد في مسنده (٧٤٠٢)، (١٠١٠٦)، وأبو داود في سننه في كتاب السنة، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٦٨٢)، والترمذي في سننه في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢٥٣١٨، ٣٠٣٦٩، وابن حبان في صحيحه (٤٧٩)، (٤١٧٦)، والحاكم في المستدرك (٢)، وأبو يعلى في مسنده (٥٩٢٦)، والبيهقي في الشعب (٢٧).

كلهم من طريق مُحَمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ مرفوعاً،

وقال الترمذي في هذا الطريق: حسن صحيح.

وأخرجه أحمد في مسنده(١٠٨١٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٣٢١)، (٣٠٣٧١)، والدارمي في مسنده (٢٨٣٤)، والحاكم في المستدرك (١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧٨٣).

من طريق: مُحَمَّد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، به.

فطريق: مُحَمَّد بن عمرو:

رجاله ثقات إلا مُحَمَّد بن عمرو، فهو صدوق، يحسن حديثه،

وطريق: ابن عجلان:

رجاله ثقات إلا مُحَمَّد بن عجلان، فهو صدوق يحسن حديثه، إلا أن في أحاديثه عن أبي هريرة اختلاط، لكن طريق مُحَمَّد بن عمرو يعضده، ويقويه.

وقد روي من طرق أخرى لا يسلم كل طريق منها من مقال،

منها: طريق: أبي قلابة عن عائشة.

ومنها: طريق: مُحَمَّد بن إسحق عن الحارث بن عبد الرحمن بن المغيرة عن أبي سلمة عن عائشة، به.

فطريق أبي قلابة منقطع، فأبو قلابة لم يسمع من عائشة.

وطريق مُحَمَّد بن إسحاق معلول، أعله أبو حاتم في (العلل ٦/ ٣٦)،

وصحح طريق: مُحَمَّد بن عمرو – المعوَّل عليه آنفًا – ، فقال: حديث الحارث أشبه، ومُحَمَّد بن عمرو لزم الطريق. اهـ

(٩١٨) حسن بمجموع طرقه:

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد مرفوعاً (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (٩١٩)

وله من حديث ابن مسعود (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) (٩٢٠)

فجعل تغير المنكر ومجاهدة أصحابه باليد واللسان من الإيمان وهي أعمال جوارح ،

وفي الحديث السابق (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) وهي عمل وقد جعلها من جملة شعب الإيمان ، فهذه بعض الأدلة على هذه العقيدة العظيمة التي انفرد بها أهل السنة والجماعة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى . والله أعلم .

في كل طرقه مقال، إما لانقطاع، أو تدليس، أو ضعف راوٍ.

أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٧٨٠)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٨٨)، والروياني في مسنده (١٢٧٣)، والخلال في السنة (١٢٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٩٠)، والحاكم في المستدرك (١٨)، والبيهقي في الآداب (٢٠٠)، وفي الشعب له (٧٧٨٥).

من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن زهير بن مُحَمَّد عن صالح بن أبي صالح السمان عن عبد الله بن أمامة عن أبي أمامة، به.

ففيه: زهير بن مُحَمَّد، وهو إلى الضعف أقرب.

وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الترجل (٤١٦١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٨٥)، والبيهقي في الشعب (٦٠٥١).

من طريق مُحَمَّد بن إسحق عن عبد الله بن أبي أمامة البلوي الحارثي عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة، به.

فمحمد بن إسحق مدلس ولم يصرح هنا بالسماع.

وأخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له (٤١١٨) من طريق أيوب بن سويد، عن أسامة بن زيد الليثي عن عبد الله بن أبي أمامة . ولم يروي له غير هذا الحديث . عن أبيه

فأيوب بن سويد ضعيف، وشيخه أسامة بن زيد الليثي، مثله.

وأخرجه الحميدي في مسنده (٣٦٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٣٩٦)، من طريق: مُحَمَّد بن إسحاق، عن معبد بن كعب بن مالك، عن أمه، أو عن عمته، به.

فمعبد بن كعب، مجهول فقد قال فيه الحافظ في (التقريب ٦٧٨١): مقبول.

وذكر الدارقطني هذا الطريق في (العلل ٩/ ٤٢٧).

(٩١٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، (٤٩).

(٩٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، (٥٠).

القاعدة الثانية :ـ (الإيمان يزيد وينقص) مذهب أهل السنة في ذلك هو أن الإيمان يزيد حتى يبلغ كماله وتمامه إذا جاء العبد بموجبات زيادته ، وينقص حتى ينتهي كله إذا جاء العبد بموجبات نقصانه ، وهذا ما تواترت به الأدلة ، فمن أدلة زيادته قوله تعالى{وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا } [المدثر: ٣١]

وقوله تعالى{لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: ٤]

وقوله تعالى{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم: ٧٦]

وقوله تعالى{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال: ٢]

وقوله تعالى{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران: ١٧٣]

وقال عليه الصلاة والسلام (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) (٩٢١)

---

(٩٢١) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه أحمد في مسنده (٧٤٠٢)، (١٠١٠٦)، وأبو داود في سننه في كتاب السنة، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٦٨٢)، والترمذي في سننه في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢٥٣١٨، ٣٠٣٦٩، وابن حبان في صحيحه (٤٧٩)، (٤١٧٦)، والحاكم في المستدرك (٢)، وأبو يعلى في مسنده (٥٩٢٦)، والبيهقي في الشعب (٢٧).

كلهم من طريق مُحَمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ مرفوعاً،

وقال الترمذي في هذا الطريق: حسن صحيح.

وأخرجه أحمد في مسنده(١٠٨١٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٣٢١)، (٣٠٣٧١)، والدارمي في مسنده (٢٨٣٤)، والحاكم في المستدرك (١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧٨٣).

من طريق: مُحَمَّد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، به.

فطريق: مُحَمَّد بن عمرو:

رجاله ثقات إلا مُحَمَّد بن عمرو، فهو صدوق، يحسن حديثه،

وطريق: ابن عجلان:

رجاله ثقات إلا مُحَمَّد بن عجلان، فهو صدوق يحسن حديثه، إلا أن في أحاديثه عن أبي هريرة اختلاط، لكن طريق مُحَمَّد بن عمرو يعضده، ويقويه.

وقد روي من طرق أخرى لا يسلم كل طريق منها من مقال،

وقال عليه الصلاة والسلام (من أحب في الله وأبغض في الله فقد استكمل الإيمان) (٩٢٢)

وقال عليه الصلاة والسلام (الطهور شطر الإيمان) (٩٢٣)

وفي حديث (رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما هو دون ذلك قالوا: فما أولته يا رسول الله قال : الدين) (٩٢٤)

وقد كان ابن مسعود يقول (اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً) أخرجه الطبراني في الكبير بإسناد جيد(٩٢٥).

منها: طريق: أبي قلابة عن عائشة.

ومنها: طريق: مُحَمَّد بن إسحق عن الحارث بن عبد الرحمن بن المغيرة عن أبي سلمة عن عائشة، به.

فطريق أبي قلابة منقطع، فأبو قلابة لم يسمع من عائشة.

وطريق مُحَمَّد بن إسحاق معلول، أعله أبو حاتم في (العلل ٦/ ٣٦)،

وصحح طريق: مُحَمَّد بن عمرو – المعوَّل عليه آنفًا – ، فقال: حديث الحارث أشبه، ومُحَمَّد بن عمرو لزم الطريق. اهـ

(٩٢٢) صحيح

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٦٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٦١٣)، (٧٧٣٧)، وابن بطة في الإبانة (٨٤٦)، واللالكائي في اعتقاد أصول أهل السنة (١٦١٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٦٠٥).

من طريق: مُحَمَّد بن شعيب بن شابور، عن يحيي بن الحارث، عن القاسم، عن أبي أمامة،

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، ولم أقف له على علة.

(٩٢٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ (٢٢٣).

(٩٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ (٢٣)، كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ (٣٦٩١)، كتاب التعبير، بَابُ القَمِيصِ فِي المَنَامِ (٧٠٠٨)، (٧٠٠٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابٌ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩٠).

(٩٢٥) حسن

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٥٤٩).

من طريق: سعيد بن منصور، ثنا شريك، عن هلال الوراق، عن عبد الله بن عكيم، أن ابن مسعود، به.

وإسناده صحيح ورجاله ثقات، إلا شريك، بن عبد الله، وهو صدوقٌ يحسن حديثه.

وكان معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه اجلس بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه) رواه ابن أبي شيبة وسنده صحيح . (٩٢٦)

وعن عمار بن ياسر أنه قال : (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق مع الإقتدار) رواه البخاري تعليقاً. (٩٢٧)

وأما نقصانه فقد وردت به أدلة كثيرة أيضاً ، فمنها ما مضى من الآيات فإن فيها إثبات الزيادة وكل شيء يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان ،

ومنها : حديث أنس في الصحيح مرفوعاً (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير) والمراد بالخير هنا الإيمان ، كما في الرواية الأخرى (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برةٍ من أو خردلةٍ أو ذرةٍ من إيمان) . (٩٢٨)

---

(٩٢٦) صحيح.

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنف (٣٠٣٦٣)،(٣٠٣٦٥)، (٣٤٦٩٨)، وفي الإيمان (١٠٥)، (١٠٧)، والخلال في السنة (١١٢١)، (١٥٤٨)، (١٥٨٧)، وعبد بن الله بن أحمد في السنة (٧٩٦)،(٨٢٣)، وابن بطة في الإبانة (١١٣٥)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (١٧٠٧)

من طريق: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ،عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، به.

فرجاله ثقات رجال الصحيحين.

(٩٢٧) صحيح، موقوف على عمار بن ياسر رضي الله عنهما:

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٤٤٠)، ومعمر بن راشد في جامعه (١٩٤٣٩)، والبزار في مسنده (١٣٩٦)، والطبري في تهذيب الآثار (١٩٤)، والخلال في السنة (١٦١٥)، والبيهقي في الشعب (٤٨)، (٨٤١٨)، (١٠٧٢٦)

من طريق: معمر وشعبة وسفيان – ثلاثتهم – عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن عمار بن ياسر، به.

قال البزار في (المسند ٤/ ٢٣٣): وهذا الحديث قد رواه غير واحد، عن أبي إسحاق، عن صلة، عن عمار موقوفا

وقال ابن حجر في (تغليق التعليق ٢/ ٣٩): وليس لرفعه معنى.

(٩٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٤).

ومنها : حديث أبي سعيد السابق في إنكار المنكر وفيه (وذلك أضعف الإيمان) . (٩٢٩)

ومنها : حديث ابن مسعود السابق أيضاً وفيه (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) (٩٣٠)

ومنها : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً وفيه (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن قلت وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله ؟ قال : (أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل) قلت : بلى ، قال (فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلت : بلى ، قال (فذلك من نقصان دينها) متفق عليه .(٩٣١)

ومنها : حديث الشفاعة وهو في الصحيح وفيه (فأخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرةٍ من إيمان) (٩٣٢)

فهذه الأدلة تفيدك إفادة قطعية إن شاء الله تعالى بما قرره أهل السنة رحمهم الله تعالى في هذه المسألة من أن الإيمان يزيد وينقص والله أعلم .

القاعدة الثالثة :ـ (جنس الأعمال ركن في الإيمان لا آحادها إلا بدليل) وهي قاعدة مهمة جدا لأنها تفصل بين مذهب السلف ومذهب الوعيدية من المعتزلة والخوارج ، لأن الوعيدية عندهم أن الأعمال ركن في الإيمان ، إلا أنهم يعتقدون أن آحاد العمل ركن في الإيمان ، ونحن نقول :- إن الركن هو الجنس لا آحاد العمل إلا بدليل ، ونبين لك ذلك بمثال ، فأقول :- لو أن زيدا من الناس أسلم ، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولكنه اكتفى بذلك ، فلم يصل ولم يصم ولم يزك ولم يحج ولم يعتمر ولم يعف لحيته ولم يقصر ثوبه ، ولم ، ولم ، ولم ... أي ليس

---

(٩٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، (٤٩).

(٩٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٤).

(٩٣١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض، بَابُ تَرْكِ الحَائِضِ الصَّوْمَ (٣٠٤)، كتاب الزكاة، بَابُ الزَّكَاةِ عَلَى الأَقَارِبِ (١٤٦٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين (٨٨٩).

(٩٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٤).

عنده جنس العمل ، فهذا في الحقيقة كافر ، لأنه لم يحقق ركن صحة الإيمان ، فالمتخلف عنده الآن جنس الأعمال ، وجنس الأعمال ركن في الإيمان ، ومثال آخر :- لو أن هذا الرجل السابق ، بعد الشهادة ، فعل كل الواجبات الشرعية المطلوبة منه إلا أنه أسبل ثيابه ، فهنا لا يكفر ، لكنه يكون مرتكبا لكبيرة من كبائر الذنوب ، يجب عليه التوبة منها ، لكنه لا يكفر بمجرد ترك واحد من آحاد الأعمال الواجبة ، فهذا هو ما نعنيه بقولنا (جنس العمل هو الركن في صحة الإيمان لا آحاد العمل) فإن قلت :- ولماذا قلت :- (إلا بدليل) ؟ فأقول :- نعم ، ذلك لأنه إن دل الدليل الشرعي الصحيح الصريح على أن ترك عين هذا العمل ناقض من نواقض الإيمان فإننا نقول به ، ونجعل تركه بعينه من نواقض الإيمان ، ونجعله وخصوصا بهذا الحكم دون غيره من آحاد الأعمال ، لأنه قد ورد الدليل بأن من تركه فقد كفر ، فالأصل عند أهل السنة أن ترك آحاد الأعمال الواجبة لا يوجب كفرا ، إلا ما دل الدليل على أن تركه يعتبر كفرا ، وذلك كالصلاة مثلا - على قول - فإن الدليل قد دل على أن من تركها فقد كفر ،

كما في حديث جابر مرفوعا " بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة " (٩٣٣) بلغغغغ

وحديث بريدة مرفوعا " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " (٩٣٤)

---

(٩٣٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ (٨٢)

(٩٣٤) صحيح

أخرجه أحمد في المسند (٢٢٩٣٧)، (٢٣٠٠٧)، والترمذي في سننه في أبواب الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلاَةِ (٢٦٢١)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة (١٠٧٩)، والنسائي في سننه، في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة (٤٦٣)، وفي السنن الكبرى (٣٢٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣٩٦)، وابن حبان في صحيحه (١٤٥٤)، والدارقطني في سننه (١٧٥١)، والحاكم في المستدرك (١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٤٩٩).

من طريق: علي بن الحسن بن شقيق قال: حدثنا حسين بن واقد قال: حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه،

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الصحيح، ولم أقف له على علة.

وقال عبدالله بن شقيق العقيلي :- كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة ، رواه الترمذي ، (٩٣٥)

فمن ترك الصلاة فقد شهد الدليل الخاص بأنه يكفر، فالمهم أن أهل السنة يرون أن الركن في الإيمان هو جنس الأعمال لا آحادها ، إلا بدليل شرعي صحيح صريح ، وأما المعتزلة والخوارج فإنهم يرون أن هذا العمل الواجب بعينه ركن في صحة الإيمان فمثلا :- لو أن زيدا من الناس نطق بالشهادتين ، وفعل كل ما أوجبه الله تعالى عليه ، إلا أنه خالف في عمل واحد ، ووقع في السرقة ، فيكون بذلك قد خالف في واحد من آحاد الأعمال فحكمه عند الوعيدية كافر ، أو في منزلة بين المنزلتين كما عند المعتزلة ، وإن مات عليها فهو خالد مخلد في النار أبدا ، لأن هذا الرجل خالف ركن الإيمان عندهم ، فهم ينظرون إلى ركنية العمل باعتبار آحاده ، والسلف رحمهم الله تعالى ينظرون إلى ركنية العمل باعتبار جنسه ، وهذا واضح .

القاعدة الرابعة :ـ (آحاد الأعمال الواجبة شرط في كمال الإيمان الواجب ، وآحاد الأعمال المندوبة شرط في كماله المندوب) وذلك أن للإيمان أصل وكمال واجب ، وكمال مستحب ، فالشرط في تحقيق أصله ، وجود جنس العمل ، كما ذكرته سابقا ، وأما كماله الأول وهو كماله الواجب فإنه لا يتحقق إلا بالقيام بكل الواجبات الشرعية ، والانتهاء عن كل المحرمات الشرعية ، وعليه :- فمن وقع في ترك واجب أو فعل محظور فإن إيمانه الواجب يهتز، واهتزاز الإيمان الواجب لا يعني أنه خرج من الملة بالكلية كما يقوله الوعيدية ، ولكنه على خطر عظيم ، ويعتبر من أصحاب الكبائر وأما كماله الثاني ، وهو الكمال المستحب ، فإنه لا

---

(٩٣٥) صحيح

أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلاَةِ (٢٦٢٢)، وابن أبي شيبة في الإيمان (١٣٧)، وفي مصنفه (٣٠٤٤٦)، والخلال في السنة (١٣٧٨)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٩٤٨).

من طريق: الجريري، عن عبد الله بن شقيق العقيلي، به.

رواه عن الجريري: بشر بن المفضل، وابن علية، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى، ثلاثتهم ثقة

وإسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيحين،

يتحقق إلا بفعل المندوبات وترك المكروهات وعلى هذا قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } [فاطر: ٣٢]فالظالم لنفسه هو التارك للواجب والفاعل للمحرم ، والمقتصد هو من اقتصر على فعل الواجبات فقط ، ولم يزد عليها المندوبات وعلى ترك المحرمات فقط ، ولم يزد عليها ترك المكروهات ، والسابق بالخيرات هو من فعل الواجبات ، وتممها بفعل المندوبات ، وترك المحرمات ، وتممها بترك المكروهات ، والشريعة فيها فعل الواجب وترك المحرم ، فلا يتحقق الإيمان الواجب إلا بذلك ، وفيها فعل المندوب وترك المكروه فلا يتحقق كمال الإيمان إلا بذلك ، فآحاد الأعمال الواجبة شرط في كمال الإيمان الواجب ، وآحاد الأعمال المندوبة شرط في كمال الإيمان المستحب .والله أعلم.

القاعدة الخامسة :- (الأفعال التي نفي الإيمان عن فاعلها أو نفي الإيمان عن تاركها شرط في كمال الإيمان الواجب فعلا في المأمور وتركا في المحظور) فكل ما نفى الشارع الإيمان عن فاعله فهو دليل على حرمته ، فيكون تركه شرط في كمال الإيمان الواجب ، وكل ما نفى الشارع الإيمان عن تاركه فهو دليل على وجوبه ، فيكون فعله من كمال الإيمان الواجب ،

وعلى ذلك أمثلة: منها :-قوله ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" (٩٣٦)

فهذا فعل نفي الإيمان عن تاركه ، أي أن من ترك ذلك وقدم محبة الأولاد والنفس وغيرها على محبة النبي ﷺ فإنه لم يحقق كمال الإيمان الواجب ، لأنه فعل نفي الإيمان عن تاركه وكل فعل نفي الإيمان عن تاركه فلوجوبه ، وفعل الواجب شرط في كمال الإيمان الواجب ،

---

(٩٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الإِيمَانِ (١٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الأيمان، بَابُ وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَالْوَالِدِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ، (٤٤).

ومنها:- قوله ﷺ " والله لا يؤمن " ثلاثا " قالوا :- من يا رسول الله ؟ قال " من لا يأمن جاره بوائقه " (٩٣٧)

فمن لا يأمن جاره بوائقه فإنه لم يحقق الإيمان الواجب الذي لا تكون النجاة يوم القيامة إلا به ،

ومنها :- قوله ﷺ " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات شرف ، يرفع الناس إليه أعينهم فيها ، وهو حين ينتهبها مؤمن ، ولا يغل حين يغل وهو مؤمن" (٩٣٨)

فهذه أفعال نفي الإيمان عن فاعلها ، وهذا دليل على أنها محرمة ، وأن فاعلها قد قدح في إيمانه الواجب ، لأنه ارتكب حراما ، وارتكاب الحرام مؤثر في نقص الكمال الواجب ،

ومنها :- قوله ﷺ " لا إيمان لمن لا أمانة له " (٩٣٩)

---

(٩٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ (٤٦).

(٩٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم، بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ (٢٤٧٥)، كتاب الأشربة، باب (٥٥٧٨)، كتاب الحدود، بَابُ لاَ يُشْرَبُ الخَمْرُ (٦٧٧٢)، بَابُ السَّارِقِ حِينَ يَسْرِقُ (٦٧٨٢)، بَابُ إِثْمِ الزُّنَاةِ (٦٨٠٩)، (٦٨١٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ (٥٧).

(٩٣٩) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٢٣٨٣)، (١٢٥٦٧)، (١٣١٩٩)، (١٣٦٣٧)، وعبد بن حميد في مسنده (١١٩٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣٢٠)، وغيرهم،

من طريق: أبي هلال الراسبي، عن قتادة، عن أنس، به.

ففي إسناده أبو هلال وهو مُحَمَّد بن سليم الراسبي، وروايته عن قتادة فيها ضعف، قال معنى ذلك أحمد وابن عدي.

ثم إن قتادة مدلس وقد عنعن.

وأخرجه الخلال في السنة (١٤٩٥) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٣٤٥)، وغيرهما،

من طريق هشام بن عروة عن أبيه : قال عمر بن الخطاب ﷺ : " لا يغرن صيام رجل ولا صلاته ، من شاء صام ومن شاء صلى ، ولكن لا دين لمن لا أمانة له.

وأخرجه معمر بن راشد في جامعه (٢٠١٩٢).

فهذا فعل نفى الشارع الإيمان عن تاركه، وهذا دليل على وجوبه ، وأن من لا أمانة له فقد نقص إيمانه الواجب ، والذي هو شرط في النجاة يوم القيامة ، وقد استوفينا طرفا كبيرا منها في شرحنا على كتاب التوحيد ، والمهم أن من المؤثرات في نقص الإيمان الواجب فعل ما نفى الشارع الإيمان عن فاعله، أو ترك ما نفى الشارع الإيمان عن تاركه.

القاعدة السادسة :- (الأعمال التي هي ركن في الإيمان هي أعمال الجوارح لا أعمال القلوب فقط) وذلك أن المرجئة لما رأوا أن للعمل أهميته الكبرى في منهج أهل السنة في تقرير مسائل الإيمان وعقيدتهم فيه ، قالوا :- فلنخادعهم بأن نقول :- إننا نتفق معكم بأن الأعمال ركن في الإيمان فلما قالوه ، انخدع بعض أهل السنة بقولهم ، مع أنهم لا يريدون بالأعمال هنا أعمال الجوارح ، بل يريدون بها أعمال القلوب ، من التوكل والخوف والرجاء والإنابة والرغبة والرهبة ، ونحو هذه الأعمال القلبية ، ونحن نتفق أنها من حقيقة الإيمان ، ولكنها ليست هي المقصودة عند أهل السنة بقولهم (الأعمال ركن في الإيمان) لأن أهل السنة من سلف هذه الأمة ، إنما يريدون بذلك أعمال الجوارح لا مجرد أعمال القلوب ، فهم يعنون أعمال الجوارح من الصلاة والصوم والحج والعمرة وإعفاء اللحية وتقصير الثياب ، والصدق في الحديث وترك الشرك وقتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق ، وبالجملة فيعنون به فعل الواجبات وترك المحرمات ، وأما المرجئة فإنهم يقصرون مسألة العمل على أعمال القلوب فقط ، وهذا مخالف للقرآن والسنة ولما أجمع عليه سلف الأمة ، فانتبه لهذا ، جعلت فداك ، لا يخدعوك كما استزلوا بعض من كان يقرر مسائل الإيمان على ضوء فهم السلف ، فإذا هو يقلب ظهر المجن ، وينتكس على عقبيه ، وينكث غزله من بعد قوته أنكاثا، ويقرر أن الأعمال المشروطة في الإيمان إنما هي أعمال القلوب لا أعمال الجوارح ، فانتبه رحمك الله واحذر من الزلة في هذه المسألة ، واسلك جادة السلف ، وتمسك بغرزهم تنجو

من طريق: قتادة، عن الحسن، عن النبي ﷺ، مرسلًا.

وروي بأسانيد أخر عن أنس عن النبي ﷺ، وغيره

وروي من عدة طرقٍ لكن لا يخلوا كل طريق منها من ضعف

وقد أورده الدارقطني في العلل، وأورد له طرقًا، ثم أعله بالإرسال (العلل ١٢/ ٣٠).

وتفلح وتفوز بخيري الدنيا والآخرة .وبهذه القواعد تتحرر لك حقيقة الإيمان في عقيدة أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم .

*ثم قال الناظم عفا الله تعالى وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

أركانه عند الأئمة ستة   فالأول الإيمان بالرحمن

ثم الملائكة الكرام جميعهم   حق كما في محكم القرآن

والثالث الإيمان بالكتب التي   فيها الهدى والنور للإنسان

والرابع الإيمان بالرسل الأولى   قد أرسلوا لإقامة البرهان

أقول :ـ وهذا متفق عليه بين المسلمين ، وهو أن أركان الإيمان ستة ، وهي الإيمان بالله تعالى والإيمان بملائكته ، وبكتبه ، وبرسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ،(٩٤٠) والدليل على ذلك قوله تعالى{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥] ، وقال تعالى {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦]

وأما من السنة فما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :ـ بينما نحن عند رسول الله تعالى عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، ثم قال :ـ يا محمد ، أخبرني عن الإسلام ، فقال النبي ﷺ " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " قال :ـ صدقت ، قال :ـ فعجبنا له ، يسأله ويصدقه ، قال

(٩٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

:ـ فأخبرني عن الإيمان ، قال " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره " قال :ـ صدقت ، قال :ـ فأخبرني عن الإحسان ، فقال " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك " ... الحديث ، (٩٤١)

وعن أبي هريرة وأبي ذر - رضي الله عنهما - : قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومًا بازرًا للناس ، فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : «أن تُؤمن بالله ، وملائكته ، وكتابه ، ولقائه ، ورُسُلِهِ ، وتؤمنَ بالبعث الآخر» قال : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : «الإسلام أن تعبُدَ الله ، لا تُشْرِكُ به شيئًا ، وتُقيمَ الصلاةَ المكتوبة ، وتؤدي الزّكاة المفروضة ، وتصوم رمضان». قال : يا رسول الله ما الإحسان ؟ قال : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإنك إن لم تره فإنَّه يراك». قال : يا رسولَ الله ، مَتَى السَّاعَةُ ؟ قال : «ما المسؤول عنها بأعلَمَ من السَّائل ، ولكن سأُحَدِّثُكَ عَنْ أشْراطها : إذا ولَدت الأمةُ ربَّتها ، فذاك من أشراطها ، وإذا كانت العُرَاةُ الحفاةُ رُؤوسَ النَّاسِ ، فذاك من أشراطها ، وإذا تَطَاوَلُ رِعَاءُ البَهْم في البينان ، فذاك من أشراطها ، في خَمْسٍ لا يعلَمُهنّ إلا الله ، ثم تلا رسولُ الله - ﷺ - : {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤] قال : ثم أدْبَرَ الرجلُ ، فقال رسول الله - ﷺ - : رُدُّوا عليّ الرَّجُلَ» ، فأخذُوا لِيَرُدُّوه ، فلم يَروْا شيئًا ، فقال رسول الله - ﷺ - : «هذا جبريلُ جاء ليُعَلِّم النَّاس دينَهمْ» (٩٤٢)

فهذه الأركان متفق عليها بين المسلمين ، وقد بين أهل العلم رحمهم الله تعالى كيفية الإيمان بهذه الأركان بيانا شافيا كافيا ، وأنا أنقل لك خلاصة ما قالوه ،

فأقول :ـ

---

(٩٤١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

(٩٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ (٥٠)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} (٤٧٧٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: الْإِيمَانُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ (٩)، (١٠).

فأما الركن الأول وهو الإيمان بالله تعالى ، فإنه لا بد فيه من الإيمان بعدة أمور :ــ

الأول :ــ الإيمان بأنه موجود ، وهذه مسألة قد دل عليها الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة والحس . فأما الدليل العقلي على وجود الله تعالى فبيانه أن يقال:- إن كل ذي عقل سليم من الآفات التي تدخل على العقول يقر بوجوده جل وعلا من غير سبق تعليم ولا تفهيم لأن وجود الله من الأشياء الضرورية على العقول والنفوس وذلك لأن من نظر إلى هذا العالم علويه وسفليه وما فيه من الكواكب والأجرام والسحاب والجبال والأشجار والناس وغير ذلك مما هو موجود فيه علم جزماً - إن كان ذا عقل سليم - أن الأشياء إنما وجدت بعد أن كانت عدماً، وأن الذي أوجدها هو الله الأحد الصمد الحي الذي لا يموت ، ذلك لأنها لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأنها قبل وجودها كانت عدماً والعدم لا يوجد نفسه، لأن العدم ليس بشيء وما ليس بشيء فإنه لا يخلق شيئاً، فالعدم لا يصلح أن يخلق نفسه، وكذلك أيضا لا يمكن أن توجد هكذا صدفة من غير خالق أوجدها فإن هذا تأباه العقول السليمة والأفهام المستقيمة، فإنك لو رأيت في البرية قصراً جميلاً عالياً له أبواب وشرف ونوافذ ساحرة، وقد بني على طراز لم تعهد مثله وقيل لك إنه لم يكن موجوداً بالأمس وقد وجد اليوم هكذا من غير بان بناه ولا عملت فيه يد أبداً فهل بالله عليك ستصدق هذا؟ بالطبع لا، لأن هذا القصر لا يمكن أن يوجد صدفة لأنه شيء حادث والمتقرر في العقول السليمة أن كل حادث لابد له من محدث كما أن كل مفعول لابد له من فاعل ، ولو أنك جلست على ضفة نهر كبير وجاءك رجل وقال لك:- لقد كنت على ضفة ذلك النهر في يوم من الأيام فرأيت أشجاراً قد قطعت نفسها بنفسها ثم رمت بنفسها في هذا النهر ثم تراكب بعضها على بعض حتى صارت سفينة عظيمة وصارت تحمل المتاع من هذه الضفة وتنزله في الضفة الأخرى كل ذلك بلا صانع صنعها ولا ربان يقودها، لو سمعته يقول ذلك فبالله عليك هل ستتوقف لحظة واحدة عن اتهام عقله بآفة، إما جنون أو سكر ونحو ذلك، لأنه يمتنع أن تكون السفينة قد صنعت نفسها بنفسها ويمتنع أن تتحرك هذا التحرك الدقيق بلا قائد يقودها ولا ربان يسوقها، فإذا كان العقل يمنع ذلك في قصر أو سفينة فكيف بالله عليك بهذه السماوات العظيمة ذات المساحات والأرجاء الواسعة الهائلة وكيف بهذه الكواكب والمجرات الكبيرة السيارة التي تحتوي على

نجوم يعجز عنها العد، وكيف بهذه الشمس الكبيرة العظيمة من حيث خلقت وهي تطلع من المشرق وتغرب في المغرب في أوقات دقيقة محسوبة وكيف بهذا القمر الذي يبدو كالخيط لا يكاد يرى ثم لا يلبث بعد أيام حتى يكون بدراً يسرق أنظار الشعراء ثم يعود إلى حالته الأولى، وكيف بهذا السحاب المسخر بين السماء والأرض بموازين دقيقة وتسيره الرياح بحركة منتظمة، وكيف بهذه الأرض الكروية التي تحفظ ما عليها من الخلق على كبرها وضخامتها وهي معلقة تسبح في هذا الكون الفسيح لا تصطدم مع شيء من الكواكب والنجوم التي قد ملأت هذا الكون، ولا يمكن أبداً أن تخرج عن فلكها إلى فلك آخر، وكيف بهذه الجبال الكبيرة العظيمة الهائلة التي لا يكون الإنسان عندها إلا كحجر من أحجارها، كل له نظام بديع لا يتقدم عنه ولا يتأخر، وليس عمر الكون يوماً ولا يومين ولا سنة ولا سنتين، بل الكون أزمنة متطاولة لا يعلم عددها على التفصيل إلا من خلقه ودبره وأحكمه، فإذا لم يستطع العقل أن يتصور أن سفينة واحدة وقصراً واحداً يوجد بلا موجد ويحدث بلا محدث، أفيتصور العقل أن هذا الكون كله يوجد بلا موجد ويحدث بلا محدث وإنما هو الذي أوجد نفسه أو وجد هكذا صدفة؟ لا والله العظيم هذا ما لا يتصوره العقل أبداً، بل مجرد التفكير في تصوره يتعب العقل، فالكون لم يوجد نفسه ولم يوجد صدفة من غير شيء بل له موجد أوجده وخالق أبدعه وأحكمه وأتقنه، وهو الله تعالى، فتبارك الله أحسن الخالقين سبحانه خالق كل شيء لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، واقرأ إن شئت { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: ٣٥]

وفي الصحيح أن جبير بن مطعم سمع النبي - ﷺ - يقرأ بها في صلاة المغرب وكاد قلبه يطير عندما سمع هذه الآية وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبه، (٩٤٣)

فالله تعالى هنا ذكر شيئين وسكت عن الثالث فقوله { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ } [الطور: ٣٥]أي من غير خالق خلقهم أي وجدوا هكذا صدفة، وقد قدمنا أن هذا

(٩٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ} (٤٨٥٤).

باطل، ثم قال { أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } [الطور: ٣٥] أي هم الذين أوجدوا أنفسهم وخلقوها وقد قدمنا أيضاً أن هذا باطل، فالأول باطل والثاني باطل، فأين الثالث؟ أقول:- قد سكت عنه لأن من بطلت عنده هاتان المقدمتان تقرر في قلبه أن هناك خالقاً خلقهم ولا يصلح أن يكون هذا الخالق إلا الله تعالى.

وأما الدليل الفطري، فلا والله لا ندري كيف نتكلم عنه لأننا نحسب أن وجود الله تعالى من أوضح الواضحات والمسائل القطعيات اليقينيات وتوضيح الواضح قد يوجب شيئاً من الوهم، ولكن جرياً على ما جرى عليه أهل العلم في ذلك نقول:- إن كل ذي فطرة سليمة يؤمن جزماً بما تقرر سابقاً في فطرته من أن الله موجده، وقولنا (فطرة سليمة) أي سالمة من الملوثات والمؤثرات الخارجية، فإن الفطرة السليمة لو تركت على حالها لنشأ صاحبها وهو مقر بوجود الله جل وعلا لأن وجوده يدخل ضمناً في العهد المأخوذ علينا، والذي ذكَّرنا الله به في قوله تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } [الأعراف: ١٧٢]

ومقتضى الإيمان بربوبيته الإيمان بوجوده جل وعلا، وقال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الروم: ٣٠]

وهذه الفطرة هو الاعتراف بوجوده وأنه رب كل شيء وخالقه ومليكه،

وفي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء فهل تحسون فيها من جدعاء)) ثم قرأ {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: ٣٠] (٩٤٤)

---

(٩٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ (١٣٥٨)، (١٣٥٩)، بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلاَدِ المشْرِكِينَ (١٣٨٥)، كتاب التفسير، بَابُ {لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} (٤٧٧٥)، كتاب القدر، بَابٌ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ (٦٥٩٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ (٢٦٥٨).

وفي الصحيح أيضاً أنه - ﷺ - قال فيما يرويه عن ربه عز وجل ((وإني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)) (٩٤٥)

وهذه الحنيفية من مقتضياتها الإقرار بوجود الله تعالى ، فهو من الأمور الفطرية الضرورية التي لا يستطيع العبد أن يدافعها أو ينتزعها من فطرته، وإنما هو الإنكار الذي مبدؤه العناد فقط، فواعجبي ممن ينكر وجود الله أصلاً كيف يستطيع أن يُنَفِّقَ مذهبه هذا على فطرته لكنها الأهواء المضلة، والأفكار الهدامة التي تلوث الفطرة وتطمس نور بصيرتها، نعوذ بالله تعالى من كل ما يخالف الشريعة قولاً وفعلاً والله المستعان.

وأما الدليل الحسي فمن عدة أوجه :ــ

الوجه الأول:- المعجزات التي أجراها الله تعالى على يد رسله، فإنها من البراهين القاطعة والحجج الساطعة على وجود الله تعالى لأن هذه الأمور العظيمة خارجة في ذاتها عن حد القدرة البشرية، فالعصا تنقلب حية هائلة تلقف ما يأفك سحرة فرعون، فبالله عليك من الذي قلبها؟ فإن موسى عليه الصلاة والسلام لما رأى ذلك أول مرة ولى مدبراً ولم يعقب خوفاً من هذا الأمر، ومن المعلوم أن موسى عليه الصلاة والسلام كان رجلاً فيه سمرة شديدة ومع ذلك لما أدخل يده في جيبه بأمر الله تعالى خرجت ولها نور يبهر الأبصار وبياض ساطع كإسفار النهار، فبالله عليك من الذي أجراها على يده وجعلها كذلك إنه الله الذي لا إله إلا هو، ولما تمرد قومه بنو إسرائيل وظهرت من بعضهم مخايل الكفر والعصيان نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة، ذلك الجبل العظيم الراسخ في الأرض يكون فوق رؤوسهم كالسحابة فمن الذي فعل به ذلك إنه لو تجتمع قوى الدنيا بأسرها ما استطاعت ذلك لكنه الرب القوي القادر ﷻ وعز جاهه وتقدست أسماؤه ولما خرج بقومه فراراً من فرعون وقومه وصل إلى البحر، سبحان الله أين المفر، إنه البحر الذي لا يستطيع أن يخوض لجته إلا نوادر الرجال، وبنو إسرائيل فيهم النساء والعجائز والمرضى والصغار ومنهم من لا يعرف السباحة أصلاً، والعدو من خلفهم وهو أشرس عدو،

---

(٩٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ (٢٨٦٥).

إنها ظروف صعبة حرجة، لكن أين الله؟ نعم لقد جاء الفرج من سابع سماء بالأمر منه جل وعلا لموسى بأن يضرب بعصاه البحر، فما هي إلا ضربة بتلك العصا التي طالت بها السنون فانفلق البحر طرقاً وصار سبلاً والأمواج عن جوانب الطرق كالجبال العظيمة الهائلة لا ينزل منها في هذه الطرق نقطة واحدة، وعبر موسى وقومه لم يبتل منهم ثوب ولا قدم، فبالله عليك من أجرى ذلك؟ هل ستقول:- قد وقع صدفة؟ أم ستقول:- إنه سحر؟ أم ستقول:- بل وقع ذلك بقدرة الله تعالى التي خضع وذل لها كل شيء؟ نعم هذا هو الحق، فانفلاق البحر أليس دليلاً قاطعاً على وجود فالقه، بلى والله الذي لا إله إلا هو، ولو حدثتك وقلت:- لقد خرج من الجبل ناقة لم تلدها أم ولا أب لها، ناقة هائلة في صفاتها عظيمة نعوتها، من كبرها وضخامتها لا يستطيع سائر الإبل أن يمشين معها أو يشربن معها أو يقربن منها، إذا حلبت أروت سائر أفراد القرية، نعم إنها آية صدق أجراها الله تعالى على يد نبيه صالح عليه الصلاة والسلام قال تعالى {هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً } [الأعراف: ٧٣] وقال تعالى {لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعراء: ١٥٥] وقال تعالى {وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ } [القمر: ٢٨] وتكاد كتب التفسير تجمع على أن هذه الناقة قد خرجت من الجبل حسب اقتراح قوم صالح، فمن الذي أخرج ذلك الكائن الحي من هذه الصخور الجامدة الميتة؟ إنه الله الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، أوليس خروج هذه الناقة العظيمة الهائلة دليل على وجود مخرجها وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له؟ بلى والله إنه كذلك، وانظر بالله عليك ما أجراه الله تعالى على يد عيسى - عليه السلام - ، يأتيه الأكمه وهو الأعمى الذي فقد نور عينيه فيمسح على وجهه بيده فيعود إليه بصره، ويأتيه الأبرص الذي قد ذهب لون جلده فيمسح عليه بيده فيعود جلده الأول أحسن ما كان منظراً ويمر على القبر فينادي صاحبه فيقوم الميت من قبره يمسح عن رأسه ووجهه التراب، يا سبحان الله، إنها عجائب ومعجزات ووالله لو يجتمع أطباء الدنيا عن بكرة أبيهم ما استطاعوا أن يعيدوا بصراً إلى عين أولوناً إلى جلد في هذه السرعة وبمسحة واحدة، أما إحياء الموتى فإنه الأمر الباهر والقدرة العظيمة التي لا يستطيعها إلا خالق كل شيء والذي أمره بين الكاف والنون فإذا أراد الشيء قال له كن فيكون، ولذلك قال تعالى بين ثنايا

هذه المعجزات العظيمة { بِإِذْنِي } و { بِإِذْنِ اللَّهِ } أوليست هذه الآيات القاطعة والبراهين الساطعة من أعظم الأدلة على وجوده جل وعلا، لأن الذي أجراها هو الله تعالى وكيف يجريها وهو معدوم لا يوصف بوجود هذا ما لا يتصوره الذهن أصلاً فضلاً عن اعتقاد القلب له وجعله مذهباً ندعوا الناس إليه، وأما الآيات التي أجراها ربنا جل وعلا على يد نبيه - ﷺ - فإنها لا تقاس بما قبلها من الآيات، ويكفيك أعظمها وأكبرها على الإطلاق وهو القرآن الكريم الذي هو المعجزة الكبرى، ذلك الكتاب المبارك المجيد العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد مجيد و القرآن المتشابه المحكم الذي لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الترديد، المعجز بلفظه ومعناه، والذي عجز الورى عن الإتيان بسورة من مثله على فصاحتهم وبلاغتهم، فمن الذي أنزله ومن الذي أحكم قوله؟ إنه الله الذي لا إله إلا هو ولما أشار - صلى الله عليه وسلم - إلى القمر وكان ليلة بدر فلقه الله تعالى بقدرته الباهرة ومشيئته النافذة التي لا يتعاظمها شيء قال تعالى {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } [القمر: ١] فمن الذي شقه وفلقه؟ إنه الله الذي لا إله إلا هو وغير ذلك من الآيات العظيمة التي أجراها الله تعالى على يد أنبيائه ورسله مما تدل الدلالة القاطعة وتفيد الإفادة الساطعة أنه جل وعلا موجود، ووجوده يقال فيه ما يقال في سائر صفاته فهو وجود حقيقي على ما يليق بجلاله وعظمته جل وعلا وليس وجوده جل وعلا كوجود المخلوق بل لكل وجوده الذي يناسبه ويخصه ويليق به ومجرد الاتفاق في اسم الوجود لا يستلزم الاتفاق في مسماه.

ثانياً:- من الأدلة الحسية الدالة على وجوده جل وعلا إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات، فيرفع العبد إليه يديه ذليلاً فقيراً سائلاً مستعطياً لا يسمعه أحد من الخلق ثم يتحقق له ما يريده فبالله عليك من الذي سمع دعاءه؟ وأجاب سؤاله؟ إنه الله الذي لا إله إلا هو،

ففي الصحيحين أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي - ﷺ - قائم يخطب فقال:- يا رسول الله هلك المال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع النبي - صلى الله عليه وسلم - يديه وقال ((اللهم أغثنا)) ثلاثاً، يقول أنس: فلا والله ما في

السماء من سحاب ولا قزعة حتى خرجت من وراء سلع سحابة سوداء كالترس فلما توسطت السماء انتشرت فأرعدت وأمطرت فلا والله ما رأيت الشمس أسبوعاً كاملاً، ثم جاء الرجل أو غيره في الجمعة المقبلة يقول:- يا رسول الله هلك المال وانقطعت السبل فادع الله يرفعها عنا، فقال عليه الصلاة والسلام)) اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والضراب وبطون الأودية ومنابت الشجر)) كلما أشار عليه السلام بيده إلى ناحية تفرق السحاب عنها حتى خرجنا نمشي في الشمس.(٩٤٦)

فسبحان الله العلي العظيم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وتقول عائشة:- سبحان من وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المرأة تشكو حالها وحال زوجها إلى رسول الله - ﷺ - وتدعوا ربها وتتضرع إليه وإنه ليخفى علي بعض كلامها وأنا في جانب الحجرة فأنزل الله تعالى { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [المجادلة: ١](٩٤٧)

---

(٩٤٦) أخرجه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي الخُطْبَةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ (٩٣٣)، بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي المَسْجِدِ الجَامِعِ (١٠١٣)، بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي خُطْبَةِ الجُمُعَةِ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِ القِبْلَةِ (١٠١٤)، بَابُ رَفْعِ الإِمَامِ يَدَهُ فِي الِاسْتِسْقَاءِ (١٠٣١)، بَابُ مَنْ تَمَطَّرَ فِي المَطَرِ حَتَّى يَتَحَادَرَ عَلَى لِحْيَتِهِ (١٠٣٣)، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٥٦٥)، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٥٨٢)، كتاب الأدب، بَابُ التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ (٦٠٩٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة الاستسقاء بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ بِالدُّعَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ (٨٩٥).

(٩٤٧) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٤١٩٥)، وابن ماجه في سننه باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٨)، في كتاب الطلاق، باب الظهار (٢٠٦٣)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب الطلاق، باب الظهار (٥٦٢٥)، كتاب التفسير، سورة المجادلة (١١٥٠٦)، وفي المجتبى (٣٤٦٠)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٧٣١)، (٢٢٠٩)، وعبد بن حميد في مسنده (١٥١٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٢٥)، وأبو يعلى في مسنده (٤٧٨٠)، والحاكم في المستدرك (٣٧٩١)، والأجري في الشريعة (٦٦١)، (٦٦٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٥)، وفي السنن الصغرى (٢٧٣١)، وفي السنن الكبرى (١٥٢٤٢)، (١٥٢٤٣)، وفي معرفة السنن (١٤٩٦٩).

كلهم من طريق: الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، به.

وإسناده صحيح، لم أقف على أحدِ من أهل العلم تكلم فيه،

فمن الذي سمع شكواها وأنزل فصل الخطاب في قضيتها مع زوجها؟ إنه الله الذي لا إله إلا هو ولما تقطعت الحبال في يد نبي الله نوح عليه السلام وطالت به السنون في دعوة قومه وعلم بإخبار الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن رفع يديه يدعو ربه القوي جل وعلا بقوله {قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١١٧، ١١٨] وقال { فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ} [القمر: ١٠] فاستجاب الله دعاءه ففتح أبواب السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيوناً حتى التقى الماء على أمر قد قدر وحمله الله تعالى برحمته في الجارية العظيمة هو ومن آمن من قومه فنجوا بفضل الله ورحمته وهلك الكفار بعدل الله وقوته وشدة بأسه فمن الذي سمع دعاءه إنه الله ﷻ وتقدست أسماؤه وتعاظمت صفاته قال تعالى {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ } [الصافات: ٧٥]ولما ألقي خليل الرحمن في النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل فجاءه الفرج من رب الفرج {يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء: ٦٩] ولما طالت بزكريا السنون وتقدم به العمر وصار شيخاً طاعناً في السن رفع يديه يدعو ربه بأن يرزقه ولداً ولا يذره فرداً وليس معه أحد من الخلق فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في محرابه لقد استجاب الله دعاءك ووهبك يحيى وأصلح لك زوجك، فسبحان ربي مجيب الدعاء وكاشف البلواء ومغيث اللهفان {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ } [إبراهيم: ٣٩] والأمثلة على ذلك كثيرة جداً لا تكاد تحصر، ولا زلنا ولله الحمد ندعوه بالشيء في خلواتنا وجلواتنا فما نبرح إلا ويأتينا الفرج، وصدق الله العظيم إذ قال {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل: ٦٢] إنه الله تعالى، فما أجمل الكلام الذي يتعلق به إنه ينزل على القلب كالعذب الزلال السلسبيل البارد في شدة لفح الحر الصائف وإن الباب لو كان مفتوحاً للحديث عما حصل لي ولغيري من إجابة الدعاء لذكرت شيئاً كثيراً لكن الحديث عن النفس صعب ومن أصول الكتابة أن يحرص الكاتب أن لا يكتب إلا ما يشترك الناس في فهمه والعلم به مما تكون مصادره معلومة محفوظة، ولا يزال المسلمون ولله الحمد إذا أجدبت الأرض وتأخر المطر يخرجون جماعات إلى مصلى الاستسقاء ويدعون ربهم ويتضرعون إليه فما نلبث إلا وينزل الغيث فالحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

هذا، وقد رواه عن الأعمش جمعٌ غفير من الثقات، الأثبات، منهم: جرير، أوبو معاوية، وفضيل بن عياض، وغيرهم.

ثالثاً:- من الأدلة الحسية على وجوده جل وعلا كل شيء تراه فالسماوات وكواكبها ونجومها شاهد صدق على وجوده، والأرض وجبالها وأشجارها وبحارها وأنهارها وما عليها من المخلوقات شاهد صدق على وجوده والرياح والسحاب والأمطار شاهد صدق على وجوده ووجود القرآن بيننا محفوظاً شاهد صدق على وجوده وتصريف الأقدار وتعاقب الدهور والأيام والأعوام والليل والنهار شاهد صدق على وجوده، ولذلك فإن التفكير في آياته منهج شرعي كما قال تعالى { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]

وفي الحديث ((لقد أنزل على الليلة آيات ويل لمن قرأهن ولم يتفكر فيهن)) وقرأ الآيات العشر الأواخر من سورة آل عمران وأولها فيه الأمر بالتفكير والاعتبار والنظر في هذه الآيات الكونية العظيمة التي تهدي العبد بالنظر فيها إلى وجود ربه الذي خلقها وأبدع صنعها، وقال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤] ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد جل وعلا، آيات واضحة وعلامات بينة ساطعة قاطعة على وجوده جل وعلا ولكنه غبش القلوب ورانها وشهوات النفوس وشبهات العقول وتزيين الشياطين، فإن ذلك قد حجب القلوب والأبصار والبصائر عن مطالعة ذلك وصار الواحد منا يبصر بلا بصيرة ويتفكر - إن تفكر - بغير اعتبار ولا انتباه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهذه الأوجه الثلاثة من الأدلة الحسية الدالة على وجوده جل وعلا والحمد لله رب العالمين ونستغفر الله تعالى ونتوب إليه، وتفاصيل الأدلة على وجوده جل وعلا أكثر من ذلك بكثير ولكن هذا ما حضرنا حال الكتابة والله المستعان .

الأمر الثاني:- مما يقتضيه الإيمان بالله تعالى الإيمان بربوبيته جل وعلا، أي أنه جل وعلا خالق كل شيء ومالكه والمتصرف فيه بقدرته التي لا حدود لها، وهو توحيد الله تعالى بأفعاله جل وعلا، فهو الخالق ولا خالق إلا هو، وهو المالك ولا مالك على الحقيقة إلا هو، وهو المعز والمذل والمهيمن القادر القاهر، وهو المحي والمميت ولا يحيي ولا يميت إلا هو جل وعلا، قال تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } [الرعد: ١٦] وقال تعالى {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ } [فاطر: ١٣] وقال تعالى {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التغابن: ١] وقال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٧٢] وقال تعالى {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: ٣]

وقد تقدم الكلام ولله الحمد والمنة على تفاصيل توحيد الربوبية في أول هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى .

الأمر الثالث :ـ الإيمان بأنه الإله المستحق للعبادة وحده دون ما سواه ، وأنه المعبود بالحق ، وأن لا إله إلا هو ، وأن كل ما سواه من المعبودات فإنها إنما عبدت بالباطل والعناد والجهل والظلم والعنجهية والعقول الفاسدة ، وقد تقدم الكلام على تفاصيل توحيد الألوهية في أول هذا الشرح المبارك ولله الحمد والمنة .

الأمر الرابع :ـ الإيمان بما ورد به الكتاب والسنة من أسمائه وصفات ، فلا يتحقق الإيمان بالله تعالى بالله تعالى إلا بأن تؤمن بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ في صحيح سنته ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وتنفي عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه في كتابه ، وما نفاه عنه رسوله ﷺ في صحيح سنته ، مع إثبات كمال الضد ، وقد تقدم الكلام ولله الحمد على تفاصيل هذا التوحيد العظيم في أول القسم الثاني من هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى ، والخلاصة أنك إن آمنت بأن الله تعالى موجود وآمنت بأنه رب كل شيء وخالقه

ومليكه والمتصرف فيه ، وآمنت بأنه المستحق وحده للعبادة دون ما سواه ، وآمنت بما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من أسمائه وصفاته فقد حققت الإيمان بالركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى ، نسأل الله تعالى أن يعيننا على تحقيق أعلى درجات الكمال في ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وما تقدم كله شرح لقول الناظم عفا الله تعالى عنه (فالأول) أي الأول من أركان الإيمان (الإيمان بالرحمن) وهو الله تعالى .

فإن قلت :ـ فهلا ذكرت لنا جملا من ثمرات الإيمان بالله تعالى ؟ فأقول :ـ نعم ،والثمرات كثيرة ، فإن معرفة الله تعالى والإيمان به أعظم ما يحصله العبد في هذه الحياة ، فمن الثمرات :ـ تحقيق توحيد الله تعالى ، بحيث لا ينصرف القلب ولا يتعلق بغيره رجاءً وحبًا وخوفًا وتوكلاً ولا يعبد غيره .

ومنها : كمال محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا .

ومنها : هدوء النفس وطمأنينة القلب وراحة البال وصفاء العيش وانشراح الصدر بمعرفته جل وعلا والإيمان به فإن السعادة مشروطة بذلك ، قال تعالى{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } [النحل: ٩٧]

ومنها : دوام شكره جل وعلا على نعمة الإيمان به والتوفيق لذلك بينما أكثر الخلق في ضلال وتيه عن هذه النعمة العظيمة التي لا توازيها نعمة .

ومنها : تحقيق عبادته جل وعلا بفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه ، رضا وتسليمًا رجاء ثوابه وخوفًا من عقابه .

ومنها : دعوة الخلق إلى الإيمان به جل وعلا والتواصي بذلك والصبر على ما يحصل للداعي إلى ذلك من الأذى في سبيل الله جل وعلا واحتساب الأجر في ذلك ، والله أعلم .والله يتولانا وإياك .

وأما الركن الثاني من أركان الإيمان فهو الإيمان بالملائكة ، وهو المراد بقول الناظم عفا الله تعالى (ثم الملائكة الكرام جميعهم حق كما في محكم القرآن) وقد

قرر أهل العلم رحمهم الله تعالى أنه لا يمكن أن يتحقق الإيمان بالملائكة إلا إن آمنت بعدة أمور :ـ

الأول :ـ الإيمان بوجودهم ، ونحن نؤمن الإيمان القطعي الجازم بأن الملائكة موجودون ، وأنهم عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور للقيام بأعمال مخصوصة ، وقد دل على وجودهم الكتاب والسنة والإجماع ، فأما الكتاب فالآيات فيهم كثيرة لا تكاد تحصر ، فآيات أمرهم بالسجود لأبينا آدم كثيرة ، وقال تعالى{الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء} وقد أمد الله تعالى المسلمين يوم ببدر بمدد من الملائكة قال تعالى{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥] والآيات فيهم كثيرة جدا ، وأما أحاديث السنة في إثبات وجود الملائكة فهي أكثر ،

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله -ﷺ-:«خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِن نُورٍ،وَخُلِقَ الجَانُّ من مَارجٍ من نَارٍ ،وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لكم» أخرجه مسلم ، (٩٤٨)

وفي حديث حنظلة بن الربيع الأسدي يقول النبي ﷺ«والذي نفسي بيده ، لو تَدومُونَ على ما تكونون عندي ، وفي الذِّكرِ ، لصافَحَتْكم الملائكة على فُرُشِكُم ، وفي طُرُقِكم ، ولكن يا حنظلةُ ساعَةً وساعَةً - ثلاث مِرار -» (٩٤٩)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أنَّ نبيَّ ﷺ قال : «إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماءِ ضرَبت الملائكةُ بأجنحتها خُضْعانا لقوله... الحديث ». أخرجه البخاري ، (٩٥٠)

---

(٩٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، بَابٌ فِي أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةٍ (٢٩٩٦).

(٩٤٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ (٢٧٥٠).

(٩٥٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}(٤٧٠١)، بَابُ {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ}(٤٨٠٠)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عليه السلام، وَطُولُهُ : سِتُّونَ ذِرَاعا ، ثم قال : اذْهَبْ فَسلِّمْ على أُولَئِكَ - نَفَرٍ مِنَ الملائكة - فَاسْتَمِعْ ما يُحيُّونَكَ، فَإِنَّها تَحِيَّتُكَ وَتَحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فقال : السلامُ عليكم ، فقالوا : السلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ ، فَزَادُوهُ : ورَحمةُ اللهِ ، فَكلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ على صُورَةِ آدمَ ، قال : فَلَم يَزَل الخَلْقُ يَنقُصُ حتى الآن».(٩٥١)

وفي رواية : «خَلَقَ آدَمَ على صورَتِهِ»(٩٥٢). أخرجه البخاري ومسلم ،

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - : أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ الله -ﷺ- يقول : «مَا من عبدٍ مسلمٍ يَدعُو لأخِيهِ بِظَهرِ الغَيبِ إلا قَالَ المَلَكُ : وَلَكَ بِمثْلٍ».رواه مسلم ، (٩٥٣)

وعن عائشة - رضي الله عنها - : قالت : «كانَ رسولُ الله -ﷺ- يقولُ في رُكوعِهِ وسُجُودِهِ : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، ربُّ الملائِكَةِ والرُّوحِ».أخرجه مسلم ، (٩٥٤)

والأحاديث في إثبات الملائكة لا تكاد تحصر إلا بكلفة ، وقد انعقد إجماع المسلمين على إثبات وجود الملائكة ، وصار العلم بوجودهم مما يعلم من الدين بالضرورة بالأدلة المتواترة ، وقد أجمع أهل العلم على كفر من أنكر وجودهم ، وأجمعوا على كفر الفلاسفة الذين يقولون :ـ إن الملائكة لا حقيقة لهم ، وإنما هم عبارة عن قوى الخير ، فمن سار على ما سار عليه الفلاسفة في إنكار الملائكة فهو كافر مثلهم يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، ولا بد من التنبيه على هذا الأمر ، أعني به أن الملائكة الذين نؤمن بهم عبارة عن أجسام لها ذواتها وحقيقتها وصفاتها وأعمالها ، وليس مجرد قوى الخير ، فهذا هو الأمر الأول من مقتضيات الإيمان بالملائكة ، وهو الإيمان بوجودهم .

تَعَالَى: {وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} (٧٤٨١).

(٩٥١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، بَابُ بَدْءِ السَّلاَمِ (٦٢٢٧)،

(٩٥٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْوَجْهِ (٢٦١٢).

(٩٥٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ (٢٧٣٢).

(٩٥٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٤٨٧).

الثاني :ـ الإيمان باسم من علمنا اسمه منهم باسمه ، أي نؤمن بأنه ملك من الملائكة ، ونؤمن بأن اسمه كذا وكذا ، مما ورد به النص في تسمية أحد منهم ، ومن لم ترد تسميته منهم فإننا نؤمن به إيمانا إجماليا ، بمعنى أننا نؤمن بأنه من جملة الملائكة ونفوض أمر اسمه إلى الله تعالى ، وذلك كما ورد في اسم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ومالك خازن النار ، وثبت اسم منكر ونكير الموكلين بأمر السؤال في القبر ، وجاء ذكر (ملك الموت) هكذا بدون اسم ، واشتهر عند الناس تسميته - عزرائيل - وهذا ليس بصحيح ، فإنه لم يثبت لا في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسميته بهذا الاسم ، لكن ذكر المصنف ذلك فقال في الفتاوى (الذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت ، وروى في ذلك حديث مرفوع إلى النبي) قال ابن كثير في البداية والنهاية (وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح ، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل) والخلاصة أنها لم تصح تلك التسمية ، والله أعلم ، وأما هاروت وماروت ، فقد كثر الكلام فيهما ، وهل هما من الملائكة أو لا ، وغالب المنقول فيهما من أخبار بني إسرائيل ، كما نبه عليه ابن كثير في تفسيره ، وليس في أمرهما حديث متصل مرفوع إلى النبي ﷺ ، مع أن الله تعالى قال{وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ} [البقرة: ١٠٢] فنحن نقول ما قاله الله تعالى ، ولا نزيد عليه ، ولا ننقص عنه ، والأمر غيب ، والمتقرر أن الأبواب الغيبية لا مدخل للعقول فيها ، والنقول عن بني إسرائيل في هذه المسألة لا يوثق فيها ، ولأن فيها ما يجزم بأنه كذب على الملائكة ، وليس لها إسناد يثبت أصلا ، وغالبها من الموقوفات على المعروفين بالأخذ عن بني إسرائيل ، فالأسلم هو أن تقتصر على ما ورد في القرآن الكريم في هذه المسألة ، والله أعلم .

والمقصود هنا أن من جملة ما يدخل في الإيمان بالملائكة أن تؤمن إيمانا مفصلا بمن ورد اسمه في الأدلة الصحيحة ، فتؤمن بأنه من الملائكة وبأن اسمه كذا وكذا ، والله أعلم .

الأمر الثالث :ـ أن تؤمن بما ورد لهم في الكتاب والسنة من الصفات ، فإن الأدلة الشرعية قد وصفت الملائكة بجمل من الصفات ، فحتى يتحقق الإيمان بهم فلا بد

وأن تؤمن بتلك الصفات ، ولكن لا بد وأن تعلم أنها صفات يعلم معناها في الأدلة ولكن نحن نكل علم الكيفية بها إلى الله تعالى ، لأننا لم نر الملائكة ، فنحن نعلم مثلا أن لهم أجنحة ، ونحن نعلم معنى الجناح في اللغة ، ولكن كيفية الجناح الذي خلقه الله تعالى على الملائكة هذا لا نعلمه ، فنقول فيه :ــ الله أعلم ، فلا نقحم عقولنا في باب الغيب ، ولا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، إذا علمت هذا فاعلم أن هنا جملا من الصفات التي ثبتت بها الأدلة :ــ

فمنها : أنهم أولوا أجنحة ، قال تعالى{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [فاطر: ١]

وفي حديث أبي هريرة في تفسير قوله تعالى {حتى إذا فزع عن قلوبهم} قال : ((إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان)) (٩٥٥)

ومنها : وصف الله تعالى لعبده ورسوله جبريل - عليه السلام - كما قال جل وعلا {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} [النجم: ٥، ٦] وقال جل وعلا {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} [التكوير: ١٩ - ٢١]

وفي الحديث عند مسلم عن عائشة مرفوعًا : ((رأيته منهبطًا من السماء له ستمائة جناح سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض)) .(٩٥٦)

---

(٩٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}(٤٧٠١)، بَابُ {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ}(٤٨٠٠)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} (٧٤٨١).

(٩٥٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ (١٧٧).

ومنها : وصف الله تعالى لملائكة العذاب ، في قوله{عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}

ومنها : أنهم لا يفترون ولا يملون في القيام بما أوكل إليهم من الأعمال ولا في عبادة الله تعالى ، قال تعالى{يسبحون الليل والنهار لا يفترون} وقال تعالى{فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون}

ومنها : أنهم منزهون عن مخالفة الأمر وفعل المعصية ، قال تعالى{لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦] وقال تعالى{بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الفاتحة: ٢٦، ٢٧] وقد ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أنه لما قال لهم{اسجدوا لآدم} امتثلوا الأمر فبادروا بالسجود.

ومنها : أنهم لا يأكلون ولا يشربون ، ويستدل عليه بقصة أضياف إبراهيم ، قال تعالى{فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ } [الذاريات: ٢٧].

ومنها : أنهم أعداد كثيرة لا يحصيهم الرقم ولا يحيط بهم العد ، قال تعالى{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١]

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((أطت السماء وحق لها أن تنئط ما من موضع أربع أصابع إلا ملك ساجد أو راكع)) ، (٩٥٧)

وفي الحديث في صفة البيت المعمور : ((فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم)) ، (٩٥٨)

---

(٩٥٧) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٢١٥١٦)، والترمذي في سننه، في أبواب الزهد، بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً (٢٣١٢)، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء (٤١٩٠)، والبزار في مسنده (٣٩٢٥)، والحاكم في المستدرك (٣٨٨٣)، (٨٦٣٣)، (٨٧٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٣٣٧)، وغيرهم،

من طريق: إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذر، به.

فإسناده حسن، ورجاله ثقات، غير إبراهيم بن مهاجر، فهو صدوق، يحسن حديثه، مع لينٍ فيه، وهو من رجال مسلم، وباقي رجال السند من رجال الشيخين.

وأضرب لك مثالاً واحدًا على كثرتهم وذلك في قوله ؟ : ((يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)) ، فعدد هؤلاء فقط (٤.٩٠٠.٠٠٠.٠٠٠) أربعة مليار وتسعمائة مليون ملك ، فسبحان من أحصاهم وخلقهم وتعالى وتبارك وتقدس .

الأمر الرابع :ـ الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أعمالهم الموكلة لهم ، فإن الله تعالى لما خلقهم ، جعل لكل ملك منهم عملا يقوم به ، فلا بد من الإيمان بالملك وعمله ، كما أن جبريل عليه الصلاة والسلام هو الملك الموكل بالوحي ، كما قال تعالى{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ} [النحل: ١٠٢] والمراد بروح القدس أي جبريل عليه السلام ، وقال تعالى{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } [البقرة: ٩٧] وكإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور ، ومنكر ونكير موكلان بسؤال أصحاب القبور ، وملك الموت هو الموكل بقبض أرواح العباد ، ومنهم ملائكة موكلون بالنطفة في الرحم من نفخ الروح فيها وكتابة ما سيكون عليه من ذكورة وأنوثة أو شقاوة وسعادة ، ومنهم الملائكة الموكلة بالجبال ، ومنهم الملائكة الحفظة الذين يحفظون العبد ، قال تعالى{ {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد: ١١] والملائكة الذين يحفظون أعمال العبادة بكتابتها ، قال تعالى{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠ - ١٢] ومن ذلك الملائكة الذين يتعاقبون علينا بالليل والنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر

كما في الحديث المعروف : ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار)) ، (٩٥٩)

ومنهم الملائكة السيارة الذين يسيحون في الأرض بحثًا عن حلق الذكر كما في حديث : ((إن لله ملائكة سيارة ...)) الحديث ، (٩٦٠)

---

(٩٥٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٣٢٠٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (١٦٢)، (١٦٤).

(٩٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلاَةِ العَصْرِ (٥٥٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} (٧٤٢٩)، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وَنِدَاءِ اللَّهِ المَلاَئِكَةَ (٧٤٨٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد، بَابُ فَضْلِ صَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا (٦٣٢).

ومنهم الملائكة الموكلون بالنار ومقدمهم مالك - عليه السلام - ، والملائكة الموكلون بالجنة ، وقد قيل إن مقدمهم رضوان ، وغير ذلك من الأعمال مما ثبت في الكتاب والسنة .

فإذا أتممت الإيمان بهذه الأمور الأربعة فإنك تكون قد حققت الإيمان بالركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة ، والله يعيننا وإياك على تحقيق ذلك التحقيق الكامل .

وهاهنا مسألة مهمة لا بد منها في البحث في عالم الملائكة ، وهي أن القاعدة المتقررة في هذا الباب أنه باب توقيفي على النص ، فما لا يجوز أن نثبت لهذا العالم إلا ما أثبت النص ، ولا ننفي عنه إلا ما نفاه النص ، وما لم يرد النص بإثباته ونفيه فلا نثبته ولا ننفيه ، ونتوقف فيه ، ولا يحل لأحد أن يخوض في هذا العالم الغيبي بعقله ورأيه ، بل هو وقف على النص ، وقد تقرر عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن الأمور الغيبية لا مدخل للعقول فيها ، فانتبه لهذا بارك الله تعالى فيك ، فإن طريق السلامة في البحث في هذا الباب هو أن يكون العقل فيه تابعا للدليل ولفهم سلف الأمة ، والله أعلم .

وهاهنا مسألة أخرى مهمة :ــ وهي أن هناك من تجرأ على هذا العالم بالتخرص والهوى والظنون الكاذبة ، فصاروا يعتقدون في هذا العالم كثيرا من الاعتقادات الباطلة :ــ

فمن ذلك : أن بعض الطوائف تعتقد أنهم يتصفون بشيء من صفات الألوهية فعبدوهم من دون الله تعالى ، قال تعالى{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ: ٤٠، ٤١] وقال تعالى عنهم { بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ

---

(٩٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٦٤٠٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، بَابُ فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ (٢٦٨٩).

إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩] وبه يتقرر أن الملائكة لا تحمل شيئًا من صفات الألوهية ولا يجوز صرف شيء من العبادة لها ؛ لأن العبادة حق الله الخالق لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح .

ومن ذلك : أن المشركين كانوا يعتقدون أن الملائكة إناث ، وهذا اعتقاد فاسد باطل كل البطلان ، قال تعالى{وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون} وقال تعالى {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الصافات: ١٤٩ - ١٥٢] ومن ذلك :ـ اعتقاد آخر فاسد وهو اعتقاد أن بين الملائكة وبين الله نسبًا ، قال تعالى{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصافات: ١٥٨] والجنة هنا يراد بهم الملائكة على قول كثير من المفسرين .

ومن ذلك : ما يعتقده الفلاسفة الحمقى المجانين السفهاء السقطاء الذين خالفوا المنقول وناقضوا المعقول من أنه لا حقيقة للملائكة وليسوا بأجسام ، ولكن المراد بهم قوى الخير كما أن المراد بالشياطين قوى الشر ، وهذا المذهب كفر مخالف للقرآن والسنة ، فإن ما ورد من صفاتهم في الكتاب والسنة تدل على أن لهم حقيقة وأنهم أجسام .

فإن قلت :ـ هل الملائكة تموت ؟ فأقول :ـ نعم قد كتب عليها الموت ، كما قال تعالى {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨] ولعموم قوله تعالى{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥] ولعموم قوله تعالى{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ } [الرحمن: ٢٦] وآخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء ، ولعموم قوله تعالى{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨] ولكن اعلم أن الدليل إنما أثبت موتهم يوم النفخ في الصور ، وأما قبل ذلك فلا علم لنا به ، وما لا علم لنا به فالواجب حتمًا فيه أن نقول : لا نعلم ، والله أعلم .

فإن قلت :ــ وهل يمكن أن تتمثل الملائكة في صورة البشر ؟ فأقول :ــ نعم ، كما وردت بذلك الأدلة من الكتاب والسنة ، قال تعالى{فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧] وقال تعالى{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} [الذاريات: ٢٤] فإنهم جاءوه على صورة البشر ، ولذلك ظنهم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من عابري السبيل فقرب الطعام إليهم .وقال تعالى{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} [هود: ٧٧] قال العلماء : (إنهم جاءوه في صورة شباب حسان الوجوه) .

وكذلك ثبت ذلك في حديث جبريل المشهور عند مسلم وفيه : ((إذ طلع رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد)) ، (٩٦١)

وفيه : ((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم)) ، وقد كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا في صورة دحية بن خلف الكلبي وهو من أجمل الصحابة صورة .

وكذلك ثبت في الصحيح في قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا وفيه : ((فأرسل الله لهم ملكًا في صورة رجل)) .(٩٦٢)

ومنها أيضًا حديث الرجل الذي زار أخًا له في قرية فأرصد الله على مدرجته ملكًا في صورة بشر يسأله.(٩٦٣)

ومنها أيضًا ما ثبت في الصحيح في قصة الثلاثة من بنبي إسرايل : الأعمى والأقرع والأبرص ، وأن الذي ابتلاهم ملك أرسله الله تعالى على صورة بشر.(٩٦٤)

---

(٩٦١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

(٩٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ (٣٤٧٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ (٢٧٦٦)

(٩٦٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ (٢٥٦٧).

فهذه الأدلة تفيد أن الملائكة يتمثلون في صورة البشر بل في أحسن صور البشر ، والله أعلم .

فإن قلت :ــ هل الملائكة أفضل أم صالحوا البشر ؟ فأقول :ــ فيه خلاف قديم بين العلماء والأقرب في ذلك ما اختاره الشيخ تقي الدين وتابعه عليه ابن القيم - رحمهما الله تعالى - : أن الملائكة أفضل باعتبار البداية ؛ لأنهم الآن في الرفيق الأعلى منزهون عن ما يلابسه بنوا آدم مستغرقون في عبادته جل وعلا ، ولا ريب أن هذه الأحوال أكمل من أحوال البشر ، وصالحي البشر أكمل باعتبار النهاية أي بعد دخول الجنة وينل الزلفى وتحية الرحمن والإكرام برؤيته في دار السلام وتخصيصهم بمزيد القرب وقيام الملائكة لخدمتهم بإذن ربهم يدخلون مسلمين عليهم من كل باب ،

قال ابن القيم : (وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه) (٩٦٥)اهـ.

فإن قلت :ــ هل الملائكة تلعن أحدًا ؟ نعم ، والضابط في ذلك أنها تلعن من لعنه الله تعالى ، وقد ثبت بذلك الأدلة الكثيرة ، أذكر لك بعضها:ــ

فمنها : لعنتهم للكافرين ، قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [البقرة: ١٦١] وقال تعالى {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [آل عمران: ٨٦، ٨٧]

ومنها : لعنهم للمرأة التي لا تستجيب لزوجها في فراشه ، ولا مانع شرعي يمنعها من حيض أو نفاس ،

---

(٩٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٣٤٦٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

(٩٦٥) بدائع الفوائد (٣/ ١٦٣).

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح)) ، وفي رواية : ((حتى ترجع)) . (٩٦٦)

ومنها : لعنهم للذي يشير إلى أخيه بحديدة ،

كما رواه مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : ((من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه)) .(٩٦٧)

ومنها : لعنهم من سب أصحاب النبي ﷺ ،

فقد روى الطبراني في الكبير بإسناد حسن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : ((من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) .(٩٦٨)

ومنها : لعنهم من حال دون تنفيذ شرع الله تعالى ،

ففي سنن النسائي وابن ماجه بسندٍ صحيح عن ابن عباس أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من قتل عمدًا فقود يديه ، فمن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) (٩٦٩) ،

---

(٩٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (٣٢٣٧)، كتاب النكاح، بَابُ إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا (٥١٩٣)، (٥١٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب النكاح، بَابُ تَحْرِيمِ امْتِنَاعِهَا مِنْ فِرَاشِ زَوْجِهَا (١٤٣٦).

(٩٦٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ (٢٦١٦).

(٩٦٨) ضعيف

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٧٠٩)،

من طريق: عبد الله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن ابن عباس، به.

ففيه: عبد الله بن خراش، وهو ضعيف في الحديث، ومنهم من اتهمه بالكذب.

(٩٦٩) حسن بشواهده

فالذي يحول دون تنفيذ القصاص في القاتل عمدًا عليه هذه اللعنة فكيف بالله عليك بالذي يحول بين تطبيق الشريعة من أساسها ويحكم القوانين الوضعية ويحمل عليها الناس بالحديد والنار ؟ اللهم غفرًا ، والله أعلم.

ومنها : لعنهم لمن آوى محدثاً ،

ففي الحديث الصحيح : ((من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) ،(٩٧٠) والحدث في المدينة النبوية أشد جرمًا وأعظم جرمًا ،

ففي الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ: ((المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً)) (٩٧١) والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما ثمرات الإيمان بالملائكة ؟ فأقول :ـ ثمرات الإيمان بالملائكة كثيرة وألخصها فيما يلي :

الأولى : العلم بعظيم قدرة الله تعالى وعظمته وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق جل وعلا .

أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الديات، باب من حال بين ولي المقتول وبين القود أو الدية (٢٦٣٥)، وأبو داود في سننه، في كتاب الديات، باب فيمن قتل في عميا بين قوم (٤٥٩١)، والنسائي في المجتبى، في كتاب القسامة، باب من قتل بحجر أو سوط (٤٧٨٩)، (٤٧٩٠)، وفي السنن الكبرى، في كتاب القسامة، باب من قتل بحجر أو سوط (٦٩٦٥)، (٦٩٦٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٧٢٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٨٤٨)، والدارقطني في سننه (٣١٣٢)، (٣١٣٣)، (٣١٤٠)، والبيهقي في السنن الصغير (٢٩٧١)، وفي السنن الكبرى (١٥٨٨٤)، (١٦٠٠٢)، (١٦٠٤٤)،

من طريق: سليمان بن كثير، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس، به.

ففيه سليمان بن كثير العبدي، وهو لا بأس به، مع ضعفٍ فيه، لكن يكتب حديثه، فالحديث له شواهد، والله أعلم.

(٩٧٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا (١٣٧١).

(٩٧١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحج، باب حرم المدينة (١٨٧٠)، كتاب الجزية، بَابُ إِثْمِ مَنْ عَاهَدَ ثُمَّ غَدَرَ (٣١٧٩)، كتاب الفرائض، بَابُ إِثْمِ مَنْ تَبَرَّأَ مِنْ مَوَالِيهِ (٦٧٥٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج، بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا (١٣٧٠).

الثاني : الإيمان بقدرته التامة جل وعلا على إحياء الموتى وبعث الأجساد من القبور لفصل القضاء ، فإن الله الذي خلق هؤلاء الملائكة على هذه الصفات العظيمة وهم أكبر من خلق الناس بكثير قادر من باب أولى على إعادة هذا الخلق الصغير الذي مبدؤه نطفة ثم علقة .

الثالث : تحقيق محبة الملائكة ، فإنهم يحبون المؤمنين ويدعون لهم بالمغفرة والجنة هم وآباؤهم وأزواجهم وذرياتهم وعلى ما قاموا به من عبادة الله تعالى ، وغير ذلك من أسباب وجوب المحبة .

الرابع : ألا نؤذيهم بقول أو فعل ، ومن ذلك ألا نفعل ذنبًا أو معصية ، فإن الملائكة تتأذى من ذلك لعلمها أن ذلك هو طريق النار وهي تريد لنا الجنة ، وإذا أردنا أن نحضر للمساجد فلا نأكل ثومًا ولا بصلاً ولا شيئًا له رائحة كريهة ، ولا نؤذي عباد الله المؤمنين فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم

الخامس : التشبه بهم فيما هو داخل تحت قدرتنا من صفاتهم ، كالدأب والاستمرار على عبادة الله تعالى ، وأن لا نعصي الله ما أمرنا ونفعل ما نؤمر به ، ومن ذلك تحسين صفوف الصلاة ، من تقاربها وتراصها وسد الفرج وإتمام الصفوف الأول فالأول ، ومن ذلك تعظيم كلام الله المنزل أي القرآن ، وتعظيم السنة ، والبحث عن حلق تعليم العلم النافع ، والتواضع لأهل العلم فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب ، ومن ذلك الاستغفار للمؤمنين ومحبتهم وإرادة إيصال الخير والنفع لهم والدعاء لهم بالجنة ، ومن ذلك الاتصاف بالأمانة قولاً وفعلاً والقيام بها وأدائها إلى أهلها ونحو ذلك ، والله أعلم .

السادس : شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وإعانتهم على القيام بمصالحهم وغير ذلك ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وكيف الرد على الزائغين الذين ينكرون حقيقة الملائكة ويقولون إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات ؟ فأقول :ـ الرد عليهم أن نقول : هذا تكذيب لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخرق لإجماع المسلمين : قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ

فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [فاطر: ١]

وقال تعالى{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} [الأنفال: ٥٠]وقال تعالى {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ } [الزخرف: ١٩] وقال تعالى {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٢٣، ٢٤]

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((وخلقت الملائكة من نور)) ، (٩٧٢)

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((رأيته منهبطًا من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض)) (٩٧٣)، وقال تعالى :{ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى}

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض)) (٩٧٤) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر)) (٩٧٥) رواه البخاري،

---

(٩٧٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، بَابٌ فِي أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةٍ (٢٩٩٦).

(٩٧٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ (١٧٧).

(٩٧٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٩)، كتاب الأدب باب المقة من الله تعالى (٦٠٤٠)، كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة (٧٤٨٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده (٢٦٣٧).

(٩٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٣٢١١)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضْلِ التَّهْجِيرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (٨٥٠).

وفي حديث عمر المشهور : ((إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد)) (٩٧٦).

وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة الدلالة القاطعة أن الملائكة لهم حقيقة خارجية ، وأنهم أجسام تصعد ، وتهبط ، وتقبض ، وتكتب ، وتضرب الكفار عند الوفاة ، وأنهم يُرون إذا تشكلوا على صورة البشر ، وأنهم يصيبهم الخوف والفزع والرعدة والصعق إذا سمعوا كلام الله بالوحي ، وأنهم يركعون ويسجدون ويسبحون ، ويستغفرون للذين آمنوا .كل ذلك وغيره مما ثبت به الدليل رد على هذه الطائفة الزائغة وهم الفلاسفة ومن نهج سبيلهم من هذه الأمة ، وهذا الاعتقاد الذي يعتقده هؤلاء في ملائكة الرحمن جل وعلا كفر وردة ، والعياذ بالله تعالى ، والله أعلم .

وأما الركن الثالث من أركان الإيمان فهو الإيمان بالكتب :ــ والإيمان بها نوعان :ــ إيمان مجمل ، وإيمان مفصل ، فأما الإيمان المجمل فهو الإيمان بأن الله تعالى قد أنزل على رسله كتبا من السماء ليبين لأممهم فيها شرائع دينهم الذي أمروا به ، وأما الإيمان المفصل فهو في عدة أمور :ــ

الأول : الإيمان بأنها نزلت من عند الله حقًا وأنها كلام الله تعالى منزلة غير مخلوقة .

الثاني : الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على نبينا محمد - ﷺ - ، والتوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى - عليه الصلاة والسلام - ، والإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى - عليه الصلاة والسلام - ، والزبور الذي أنزله الله تعالى على داود - عليه الصلاة والسلام - ، وصحف إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، وما لم نعلم اسمه منها فنؤمن به إيمانًا مجملاً .

الثالث : تصديق ما صح من أخبارها كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة

---

(٩٧٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

الرابع : العمل بأحكام ما لم ينسخ منها والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها ، وجميع الكتب السابقة نسخت شرائعها بالقرآن الكريم ، وبناءً عليه فلا يجوز العمل بأي حكمٍ من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره شرعنا .

الخامس : الإيمان بأن القرآن الكريم أفضلها وأجمعها وآخرها وهو المهيمن عليها وأنه المحفوظ من الزيادة والنقصان ، قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] ، والله أعلم .

مسألة :ـ إن قيل :ـ ما ثمرات الإيمان بالكتب ؟ فأقول :ـ ثمرات الإيمان بالكتب كثيرة نذكر منها ما يلي :

الأولى : العلم بكبير عناية الله تعالى ورحمته بعباده حيث لم يتركهم همجًا رعاعًا في جهل وعماية ، بل أنزل لهم كتبًا وجعلها نورًا وهدى للناس لتعرفهم كيف يعبدون الله تعالى وتهديهم إلى الصراط المستقيم والمنهج القويم .

الثانية : السعي الحثيث في طلب الهداية من القرآن قراءة وحفظًا وتعلمًا وتدبرًا وعملاً وتحكيمًا ومردًا عند التنازع واستشفاءً به وغير ذلك من سبل الاهتداء به .

الثالثة : وجوب الذب عن هذا الكتاب العزيز الذي هو مصدر عز هذه الأمة ، وذلك بنشر الاعتقاد الصحيح فيه وكشف الدعاوى المغرضة التي تريد الحط من قدره وزعزعة الثقة فيه وأنه لا يصلح للقرن العشرين وغيرها من الدعاوى التي يراد منها إبعاد الأمة عن القرآن والإقبال على غيره .

الرابعة : العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث جعل لكل قوم ما يناسبهم من التشريع ، قال تعالى : {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨].

الخامسة : تحقيق كمال الإيمان بالقرآن بإكمال تعظيمه فلا يمسه إلا على طهارة تامة من الحدث والخبث وأن يستاك عند قراءته وأن لا يقرأه في أماكن اللغو والرفث والفسوق وألا يمتهنه بقولٍ أو فعلٍ أو يجعله تميمة أو يعلق آياته على الجدران ، وألا يكتب عليه شيئًا كما يفعله كثير من طلبة المدارس - هداهم الله تعالى - ، والله تعالى أعلى وأعلم .

وأما الركن الرابع من أركان الإيمان :ـ فهو الإيمان بالرسل ، والإيمان بالرسل مجمل ومفصل ، فأما الإيمان المجمل فهو الإيمان العام بأن الله تعالى قد بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى التوحيد وشرائع الإيمان ، وينهاهم عن الشرك وأنواع العصيان ، وأما الإيمان المفصل فهو في عدة أمور :ـ

الأول:ـ الإيمان بأن الله قد بعث في كل أمةٍ من الأمم رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، قال تعالى : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦] ، وهذا يتضمن أن دينهم واحد وشرائعهم مختلفة ، قال تعالى : {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة: ٤٨]، وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد وشرائعنا مختلفة)) (٩٧٧).

الثاني : الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع ، كما قال تعالى : {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٠٥] ، فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غير نوح حين كذبوه ، وقال تعالى : {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } [البقرة: ٢٨٥] ، أي في الإيمان بأن رسالتهم حق من عند ربهم جل وعلا ، وقال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١٥٠ - ١٥٢] ، وبناءً عليه فالنصارى الذين كفروا برسالة محمد - ﷺ - هم في الحقيقة كفار بكل الرسالات من رسالة عيسى وموسى وإبراهيم ونوح - عليه الصلاة والسلام - .

الثالث : الإيمان بمن علمنا اسمه باسمه وقد سمى الله في القرآن عددًا من الأنبياء والرسل ، كآدم وإبراهيم وإسماعيل ومحمد وموسى وعيسى ونوح وهود وصالح وشعيب وداود وسلميان وأيوب ويونس وهو ذو النون وذا الكفل واليسع ولوط

(٩٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا}(٣٤٤٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢٣٦٥).

وهارون وإسحاق ويعقوب وزكريا ويحيى وإدريس وإلياس والأسباط وهم أنباء بني إسرائيل وكذلك الخضر على الصحيح من أقوال أهل العلم ، قال تعالى : {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ } [الأنعام: ٨٣ - ٨٥] ، وقال تعالى : {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٣، ١٦٤] ، ومن لم نعلم اسمه منهم فإننا نؤمن بهم إيمانًا مجملاً كما قال تعالى : {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ} [النساء: ١٦٤].

الرابع : تصديق ما صح من أخبارهم مع أممهم ، وهذا داخل في الإيمان بأخبار القرآن ، فأخبارهم صدق وحق لا يتطرق إليها الكذب بوجهٍ من الوجوه .

الخامس : العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم وأفضلهم محمد رسول الله - ﷺ - ، قال تعالى : {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء: ٦٥]

السادس : الإيمان الجازم بأن رسالته - ﷺ - رسالة عامة للثقلين الإنس والجن ، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: ٢٨] ، وقال تعالى عن من آمن منهم بعد سماع القرآن أنهم قالوا لقومهم : {يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأحقاف: ٣١، ٣٢]

وقال - ﷺ - : ((وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)) (٩٧٨)، والله أعلم .

مسألة :ـ إن قيل :ـ هل النبوة مكتسبة أم مبناها على الاصطفاء والاختيار ؟ فأقول :ـ قول المسلمين هو أن النبوة مبناها على الاصطفاء والاختيار وهو عائد إلى الله تعالى ، قال تعالى : {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الفاتحة: ١٢٤] ، وقال تعالى : {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج: ٧٥] ، وهي داخلة في عموم قوله تعالى : {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ } [القصص: ٦٨].

وأما القول بأنها مكتسبة فإنه كفر وخروج عن الملة ؛ لأنه مكذب للنص الصريح القاطع ، ولأنه يفضي إلى ادعاء النبوة بعده - ﷺ - ، وقد قال تعالى :{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠] ،

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((وختم بي النبيون)) ، (٩٧٩)

وقال : ((سيكون بعدي ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي)) (٩٨٠)،

فالقول بأنها مكتسبة من هذيان الفلاسفة وتخريفاتهم وأباطيلهم ، وما هي بأول كفرياتهم ، والله المستعان وهو أعلى وأعلم .

---

(٩٧٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التيمم (٣٣٥)، كتاب الصلاة، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا (٤٣٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (٥٢١).

(٩٧٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (٥٢٣).

(٩٨٠) صحيح

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٧١٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤٥٦)، والروياني في مسنده (٦٢٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٩٧)، والحاكم في المستدرك (٨٣٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٦١٧)،

من طريق: أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، أن ثوبان، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال

مسألة :ـ إن قيل :ـ ما الفرق بين النبي والرسول ؟ فأقول :ـ الفرق المشهور هو أن النبي من بعث بشرع ولم يؤمر بإبلاغه ، والرسول من أوحي إليه شرع وأمر بإبلاغه ، ولكن هذا الفرق فيه نظر من عدة وجوه :

أحدها : قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} [الحج: ٥٢] ، فأثبت هنا أن النبي داخل ضمن من أرسل ومن لوازم ذلك أن يرسل إلى قوم ويبلغهم ما أرسل به ، فكيف يقال : ولم يؤمر بإبلاغه ؟

الثاني : ثبت في الصحيح أن النبي - ﷺ - قال : ((عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد)) (٩٨١)،

وهذا دليل على أنهم مبعوثون للبلاغ وأن من أطاعهم وصدقهم فهو معهم ومن عصاهم وكذبهم فقد خاب وخسر فكيف يقال : ولم يؤم بإبلاغه ؟

الثالث : أن المقصود الأعظم من الوحي هداية الناس وإرشادهم ودلالتهم إلى الصراط المستقيم ، وما الفائدة من وحي لم يؤمر بإبلاغه من أوحي إليه ، مع أن الناس في زمنه محتاجون لما معه أشد من حاجتهم للطعام والشراب ، فيكف لا يلزم بإبلاغه مع شدة الحاجة وكثرة المخالفة .

الرابع : أن الواجب على أهل العلم إبلاغ الشريعة وتعليم الجاهل وإرشاد الضال وإفتاء السائل ، وقد توعدوا بالوعيد العظيم على كتم شيء من ذلك ، فإذا كان هذا هو الواجب في حق أهل العلم فكيف لا يكون واجبًا في حق الأنبياء وهم أفضل وأكمل من أهل العلم ، بل هم سادات أهل العلم ، وأهل العلم إنما يصدرون عن قولهم ويبلغون شريعتهم ، وهذا من باب الاستدلال بقياس الأولى وهو حجة بالاتفاق ، قال تعالى : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ } [آل عمران: ١٨٧]

---

(٩٨١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ مَنِ اكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ، وَفَضْلِ مَنْ لَمْ يَكْتَوِ (٥٧٠٥)، بَابُ مَنْ لَمْ يَرْقِ (٥٧٥٢)، كتاب الرقاق، بَابٌ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٦٥٤١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ (٢٢٠).

فأنت ترى أن هذا القول ترد عليه هذه الواردات التي هي في ذاتها صحيحة ، ومجرد شهرته ليست بدليل على صحته .وبناءً عليه فالفرق الصحيح بين النبي والرسول : أن الرسول من جاء بشرع جديد ، والنبي من جاء مجددًا لشريعة من قبله ، أو نقول فيه :ـ إن الرسول من بعث إلى قوم مخالفين ، وأما النبي فهو من بعث إلى قوم موافقين ، والله أعلم .

مسألة :ـ إن قيل :ـ كيف نجمع بين قوله تعالى : {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } [البقرة: ٢٨٥]وبين قوله تعالى : {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [البقرة: ٢٥٣] ؟

فأقول :ـ لا اختلاف في ذلك البتة وبيانه أن يقال :لا نفرق بين الرسل في أصل الإيمان برسالتهم وأنها حق وصدق من عند الله تعالى ، فهم بهذا الاعتبار لا نفرق بين أحد منهم ، فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، كما ورد ذلك مفسرًا في قوله تعالى : {وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [النساء: ١٥٠] ، فهذا هو التفريق المنهي عنه .وأما باعتبار الشرائع التي بعثوا بها والمعجزات والبراهين التي أيدوا بها والفضائل التي ثبتت لآحادهم فإن بعضهم أفضل من بعض بهذا الاعتبار ويفسر ذلك قوله تعالى : {مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} [البقرة: ٢٥٣] ، وعلى هذا فلا إشكال بين الآيتين ، والله أعلم .

مسألة :ـ اعلم رحمك الله تعالى أن المتقرر عند أهل السنة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى وغفر لأمواتهم وثبت أحياءهم أن الرسل أفضل من الأنبياء ، وأفضل الرسل أولوا العزم المذكورون في قوله تعالى : {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ } [الأحقاف: ٣٥]، وهم : محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح ، وعلى جميع أنبياء الله ورسله أفضل الصلاة وأتم التسليم ، قال تعالى : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب: ٧] ، وقال تعالى : {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: ١٣].

مسألة :ـ فإن قيل :ـ وما وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام؟ فأقول :ـ للرسل عدة وظائف :

فمن ذلك : البلاغ المبين ، قال تعالى : {فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل: ٣٥].

ومن ذلك : الدعوة إلى الله تعالى ، قال تعالى : {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [يوسف: ١٠٨]

ومن ذلك : التبشير والإنذار ، قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الإسراء: ١٠٥].

ومن ذلك : إصلاح النفوس وتزكيتها ، قال تعالى : {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الجمعة: ٢] ، وقال تعالى : {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة: ٢٥٧] أي بإرسال الرسل وإنزال الكتب .

ومن ذلك : تقويم الأفكار المنحرفة والعقائد الزائغة ، ويدل عليها كل آية فيها الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ومتابعة الآباء على الباطل وتفنيد عبادة الأصنام وهي كثيرة جدًا .

ومن ذلك : إقامة الحجة ، قال تعالى : {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } [النساء: ١٦٥].

ومن ذلك : سياسة الأمم وفصل الحكومات بين أفرادها بالحق والعدل ، قال تعالى : {يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } [ص: ٢٦]

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي بعث نبي)) .(٩٨٢)

مسألة :ــ فأن قيل :ــ وهل هناك أحكام اختص بها الأنبياء ؟ فأقول ، نعم وهي مجملة فيما يلي :

الأول : الوحي الذي يحصل به النبوة والرسالة ، قال تعالى : {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام: ١٩] ، وقال تعالى : {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء: ١٦٣].

الثاني : العصمة ، فإن العلماء اتفقوا على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه من وحي الله جل وعلا ، ومعصومون من الكبائر ، وهذا بالاتفاق ولم يخالف فيه إلا أهل البدع ، وأما الصغائر فإن الواحد منهم إذا وقع فيه بادر بالتوبة منها ولا يمكن أبدًا أن يقر عليها .

ومنها : أنه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ،

فقد صح عنه - ﷺ - أنه قال : ((إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا)) (٩٨٣)،

وفي الصحيح أن النبي - ﷺ - قال : ((يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي)) (٩٨٤).

---

(٩٨٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٣٤٥٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ (١٨٤٢).

(٩٨٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص:١٩١] تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ (٣٥٦٩).

(٩٨٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، بَابُ قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ (١١٤٧)، كتاب صلاة التراويح، بَابُ فَضْلِ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ (٢٠١٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَعَدَدِ رَكَعَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلِ، وَأَنَّ الْوِتْرَ رَكْعَةٌ، وَأَنَّ الرَّكْعَةَ صَلَاةٌ صَحِيحَةٌ (٧٣٨).

ومنها : أنهم يخيرون عند الموت ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ - : ((ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة)) متفق عليه ، (٩٨٥)

وفي الصحيح أيضًا أنه سمع منه - ﷺ - أنه قال قبل قبضه : ((في الرفيق الأعلى)) (٩٨٦) ثلاثاً ، ثم قضى .

ومنها : أن الأنبياء يقبرون حيث يموتون ، قال - عليه الصلاة والسلام - : ((لم يقبر نبي إلا حيث يموت)) رواه أحمد بسند صحيح ،(٩٨٧) ولذلك دفن النبي - ﷺ - في حجرة عائشة - رضي الله عنها - ؛ لأنه قبض فيها .

ومنها : أن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، قال - عليه الصلاة والسلام - : ((إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)) (٩٨٨)صححه ابن خزيمة .

---

(٩٨٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ} (٤٥٨٦)، كتاب المغازي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٤٤٣٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا (٢٤٤٤).

(٩٨٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٦٩)، كتاب المغازي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ (٤٤٣٧)، (٤٤٣٨)، (٤٤٤٩)، (٤٤٥١)، كتاب الرقاق، بَابُ سَكَرَاتِ المَوْتِ (٦٥١٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا (٢٤٤٤).

(٩٨٧) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٢٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٥٣٤).

من طريق: ابن جريج، عن أبيه، عن أبي بكر، به.

إسناد ضعيف لعلتين:

الأولى:

عبد العزيز بن جريج والد عبد الملك، ضعيف لين الحديث،

الثانية:

الانقطاع بين عبد العزيز بن جريج وأبي بكر.

ومنها : أنهم أحياء في قبورهم يصلون ، فقد صح عنه - ﷺ - أنه قال : ((الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)) ،(989)

وروى مسلم في صحيحه عنه أنه قال : ((مررت على أخي موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره)) (990)، والله تعالى أعلى وأعلم .

مسألة :ــ فإن قلت :ــ وما ثمرات الإيمان بالرسل ؟ فأقول للإيمان بالرسل ثمرات جليلة هي كما يلي :

---

(988) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (16162)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة، باب في فضل الجمعة (1085)، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (1636)، وأبو داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (1047)، باب في الاستغفار (1531)، والنسائي في المجتبى في كتاب الجمعة، إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة (1374)، وفي السنن الكبرى (1678)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (1577)،

وابن خزيمة في صحيحه (1733)، وابن أبي شيبة في مصنفه (8697)، والدارمي في سننه (1613)، وابن حبان في صحيحه (910)، والطبراني في المعجم الكبير (589)، وفي الأوسط (4780)، والحاكم في المستدرك (1029)، والبيهقي في السنن الكبرى (5993)، وغيرهم.

من طريق: حسين بن علي الجعفي، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس، به.

وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(989) صحيح

أخرجه أبو يعلى في مسنده (3425)، والبزار في مسنده (6888)،

من طريق: المستلم بن سعيد، عن الحجاج، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، به.

قال البزار رحمه الله: وهذا الحديث لا نعلم رواه، عن ثابت، عن أنس إلا الحجاج، ولا عن الحجاج إلا المستلم بن سعيد، ولا نعلم روى الحجاج، عن ثابت، إلا هذا الحديث.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات،

وأخرجه البزار في مسنده (6391).

من طريق: الحسن بن قتيبة، عن حماد بن سلمة، عن عبد العزيز، عن أنس، به.

فإسناده ضعيف، ففيه الحسن بن قتيبة، وهو ضعيف الحديث

قال البزار رحمه الله: وهذا الحديث لا نعلم أحدا تابع الحسن بن قتيبة علي روايته عن حماد وإنما يروي ، عن أنس من حديث ثابت وغيره أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : رأيت موسي يصلي في قبره.

(990) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (2375).

الأولى : العلم بكبير رحمة الله تعالى بعباده وعنايته بهم ، حيث أرسل لهم الرسل ليهديهم إلى الصراط المستقيم، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله تعالى ؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك .

الثانية : شكره جل وعلا على هذه النعمة العظيمة .

الثالثة : محبة الرسل وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم ؛ لأنهم رسل الله ولأنهم قاموا بما أوجب الله عليهم من إبلاغ الشريعة على أتم الوجوه ، والله أعلم .

*ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

والله قدر كل شيء يا فتى   بمراتب فاثنان ثم اثنان

علم الذي سيكون ثم كتابة المعلـــــــوم في اللوح العظيم الشان

ثم المشئية بعدهن فما نشا   إلا يشاء الله ذو الغفران

والله خالقنا وخالق فعلنا   تبا لقول الملحد الشيطاني

قل ليس في القدر المقدر حجة   كي يستمر على الذنوب الجاني

لكنه عند المصائب فرجة   أو عند توبتنا من العصيان

هذه الأبيات تتكلم عن عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر ، والكلام على هذه الأبيات في مسائل:ـ (المسألة الأولى) اعلم رحمك الله تعالى أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ، وهو الركن الخامس منها على حسب ترتيب المنظومة ، وقد ذكرنا سابقا أربعة أركان ، وهذا هو الركن الخامس ، ومعنى الإيمان بالقدر هو أن تؤمن بأن ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن كل شيء كان ويكون وسيكون فالله تعالى عالم به العلم المطلق ، وهو الذي شاءه بمشيئته العامة ، وهو الذي وحده خالق كل شيء ، ولا يكون من شيء إلا وقد كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ ، فما تسقط من ورقة إلا وهو يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وما يكون في هذا الكون من موت ولا

حياة ، ولا وجود ولا عدم ، ولا غنى ولا فقر ، ولا صحة ولا سقم ، ولا نصر أو هزيمة ، ولا ربح ولا خسارة ، ولا غيرها من الأمور إلا والله تعالى عالم به ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة ، وأن كل شيء فقد أحصاه الله تعالى في إمام مبين ، أي كتاب حافظ ، والإيمان بالقدر فرض من فرائض الإيمان ، وركن من أركانه ، ودعامة عظيمة من دعائمه ، فلا يصح إيمان العبد ما لم يؤمن بالقدر ، قال تعالى{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩] وقال تعالى{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا } [الأحزاب: ٣٨] والنصوص في إثبات مراتب القدر كثيرة ، سيأتي طرف منها إن شاء الله تعالى في الكلام على مراتب القدر ، وفي حديث جبريل الطويل ، يقول النبي ﷺ في بيان معنى الإيمان وأركانه " أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، وتؤمن باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره " (٩٩١)

وقال رسولُ الله -ﷺ- :«لا يؤمنَ عبد ، حتى يؤمنَ بالقدر خَيرِه وَشَرِّه من الله ، وحتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن لِيُخطِئَه، وأن ما أخطأه لم يكن لِيُصِيبَهُ»(٩٩٢) أخرجه الترمذي ، وقال غريب ،

وعن ابن الديلمي رحمه الله - : قال : «أتيتُ أُبَيَّ بنَ كعب فقلتُ له : قد وقع في نفسي شيء من القَدَر ، فَحَدِّثْنِي ، لَعَلَّ الله أن يُذهِبَه من قلبي ، فقال : لو أن الله عَذَّب أهلَ سَمَاواتِهِ وأهْلَ أرضِه عَذَّبهمْ وهو غيرُ ظالم لهم ، ولو رَحَمَهُمْ كانت رْحَمتُهُ خيرا لَهُمْ من أعْمَالِهِمْ ، ولو أنفقْتَ مثلَ أُحد ذهبا في سبيل الله ما قَبِلَه الله منك حتى تؤمِنَ بالقَدَرِ ، وتعلم أن ما أصابَكَ لم يكن لِيُخْطِئَك ، وأن ما أخطأكَ لم يكن ليصيبكَ ، ولو مُتَّ على غير هذا : لدخلتَ النار. قال : ثم أتيتُ عبد الله بنَ

---

(٩٩١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

(٩٩٢) ضعيف.

أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب القدر، بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ (٢١٤٤)، والطبري في صريح السنة (٢٠)

من طريق: عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن مُحَمَّد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، به.

ففيه: عبد الله بن ميمون وهو كما قال الترمذي: عبد الله بن ميمون منكر الحديث.،

وقال: وهذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون

مسعود ، فقال مثل ذلك ، قال : ثم أتيتُ حذيفةَ بنَ اليمان ، فقال مثل ذلك ، ثم أتيتُ زيدَ بن ثابت ، فحدَّثني عن النبي -ﷺ- مثل ذلك» (٩٩٣) أخرجه أبو داود.

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - : قال لابنه عند الموت : يا بُني إنك لن تجدَ طَعْمَ حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإني سَمِعتُ رسولَ الله -ﷺ- يقولُ : «إنَّ أول ما خلق الله القلمُ ، قال له : اكتب ، قال : يا رب ، وماذا أكتب ؟ قال : اكتبْ مقاديرَ كلِّ شيء حتى تقومَ الساعة ، يا بنيَّ ، إنِّي سَمِعتُ رسولَ الله -ﷺ- يَقولُ : من مات على غير هذا فليس مني». أخرجه أبو داود. (٩٩٤)

---

(٩٩٣) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٢١٥٨٩)، (٢١٦٥٣)، وأبو داود في سننه في كتاب السنة، باب في القدر (٤٦٩٩)، وابن ماجه في كتاب الإيمان، باب في القدر (٧٧)، وعبد ابن حميد في مسنده (٢٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٧)، والفريابي في القدر (١٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٩)

من طريق: أبي سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الديلمي، به.

فإسناده حسن، ورجاله ثقات، خلا سعيد بن سنان، أبو سنان، فهو متكلم فيه، إلا أن العمل على قبول حديثه مالم يخالف، فهو صدوق، يحسن حديثه، إلا أن له أوهام.

(٩٩٤) حسن بمجموع طرقه

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠).

من طريق: الوليد بن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، عن عبادة بن الصامت، به.

فإسناده ضعيف، ففيه أبو حفصة حبيش بن شريح الشامي وهو مجهول، ولم يرو له إلا أبو داود هذا الحديث الفرد.

وأخرجه الترمذي في أبواب القدر، باب (٢١٥٥)، وفي كتاب التفسير، بَاب وَمِنْ سُورَةِ ن (٣٣١٩)، وابن أبي الجعد في مسنده (٣٤٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٥)، والشاشي في مسنده (١١٩٢).

من طريق: عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت،به.

وإسناده ضعيف، ففيه: عبد الواحد بن سليم، وهو ضعيف الحديث.

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٩٢٢)،

من طريق: أيوب أبو زيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، به.

فإسناده ضعيف، ففيه أيوب الحمصي، وهو مجهول، لا سيما وقد قال فيه ابن القطان: لا يعرف حاله.

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٣).

من طريق: ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه عن جده، به.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : قال : «خرج علينا رسول الله -ﷺ- وفي يديه كتابان ، فقال : أتدرون ما هذان الكتابان ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، إلا أن تخبرنا ، فقال للذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجملَ على آخرهم ،فلا يُزَاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ، ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل النار ، وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يُزاد فيهم ولا يُنْقَص منهم أبدا ، قال أصحابه : ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فُرِغَ منه ؟ فقال : سَدّدُوا وقاربوا ، فإن صاحبَ الجنة يُختمَ له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيَّ عَمَل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيَّ عمل ، ثم قال رسول الله -ﷺ- بيديه ، فنبذهما ، ثم قال : فرغ ربكم من العباد ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير» (٩٩٥) أخرجه الترمذي.

فإسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة.

هذا، وقد روي من طرقٍ أخر لا تخلوا أسانيدها من مقال،

ولكن بمجموع تلك الطرق كلها، يدل على أن الحديث له أصلٌ، فتنجبر بمجموعها وترقى إلى الحسن، والله أعلم

(٩٩٥) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٦٣)، والترمذي في أبواب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار (٢١٤١)، النسائي في السنن الكبرى، في كتاب التفسير، قوله تعالى: {فريق في الجنة وفريق في السعير} (١١٤٠٩)، والدارمي في الرد على الجهمية (٢٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٨)، والفريابي في القدر (٤٥، ٤٦) والآجري في الشريعة (٣٣٣)، (٣٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧) والبيهقي في القضاء والقدر (٥٦، ١٢٠).

من طريق: الليث، عن أبي قبيل، عن شفي بن ماتع، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، خلا أبي قبيل، حيي هانئ، وهو صدوق، له أوهام، فيحسن حديثه،

وقد قال الترمذي رحمه الله: وهذا حديث حسن صحيح غريب.

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - : قال : قال رجل: «يا رسول الله : أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم ، قال :ففيم يعمل العاملون ؟ قال : كلّ مُيَسَّر لما خُلق له» (٩٩٦) أخرجه مسلم وأبو داود.

وفي رواية «أيُعْرَفُ أهل الجنة من النار ؟ قال : نعم ، قال : فَلِمَ يعمل العاملون ؟ قال : كلّ يعمل لما خُلِق له ، أو لما يُسِّر له».(٩٩٧) وهو في الصحيح ،

ولمسلم من رواية أبي الأسود الدّيلي ، قال : قال لي عمران بن حصين : أرأيتَ ما يعمل الناسُ اليوم ويكدحون فيه ، أَشيءُ قَضِيَ عليهم ، ومَضَى عليهم من قَدَرٍ قد سَبَق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نَبِيُّهُمْ وثَبَتتِ الحجَّةُ عليهم ؟ فقلت : بل شيء قُضيَ عليهم ومضى عليهم ، قال : أفلا يكون ظُلْما ؟ قال : فَفَزِعتُ من ذلك فزعا شديدا ، وقلت : كل شيء خَلْقُ الله ومِلْكُ يده ، فلا يُسأل عَمَّا يفعل وهم يُسألون ، فقال لي : يرحَمُكَ الله ، إني لم أُرِدْ بما سألْتُكَ إلا لأَحرِزِ عقلك ، وإن رجلين من مُزَينة أتيا رسول الله -ﷺ- فقالا : يا رسولَ الله ، أرأيتَ ما يَعمَلُ الناسُ اليوم، ويَكْدَحون فيه ، أشيء قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قَدَرٍ قد سَبَق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيُّهم ، وثبتت الحُجَّةُ عليهم ؟ فقال: لا ، بل شيء قضِيَ عليهم ، ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله { {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: ٧، ٨] (٩٩٨)

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : قال : «كنا في جَنَازَة في بَقيعِ الغَرْقَدِ ، فأتانا رسولُ الله -ﷺ- ، فَقَعَد ، وقَعَدنا حَوله ، ومَعَهُ مِخْصَرة، فنكَسَ ،وَجَعَلَ يَنْكُتُ بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد إلا وقد كُتِبَ مقعدُه من النار ، ومقعدُه من الجنة، فقالوا : يا رسولَ الله أفلا نَتَّكِلُ على كتابنا ؟ فقال : اعملوا، فَكلّ مُيَسَّر

(٩٩٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب القدر، بَابٌ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ (٦٥٩٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٩)، وأبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٩).

(٩٩٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب القدر، بَابٌ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ (٦٥٩٦).

(٩٩٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٥٠).

لما خُلقَ له ، أمَّا مَنْ كان من أهل السعادِة ، فسيصيرُ لعمل أهل السعادة ، وأمَّا مَنْ كان من أهل الشقاء ، فسيصير لعمل أهل الشقاء ، ثم قرأ { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل: ٥ - ١٠] (٩٩٩).أخرجه البخاري ومسلم.

وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما - قال : جاء سُراقة بن مالك بن جَعشُم ، فقال : يارسول الله ، بَيِّن لنا دينَنَا كأنَّا خلقِنا الآن، فيم العمل اليوم، فيما جفَّتْ به الأقلام ، وجَرَت به المقادير ، أم فيما نستقبل ؟ قال : لا بل جَفَّتْ به الأقلام. وجرت به المقادير ، قال : ففيم العمل ؟ قال : اعملوا ، فكلٌّ مُيسَّر لما خلق له" (١٠٠٠)

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : قال : قال عمر : «يا رسولَ الله أرأيت ما نعمل فيه ، أمر مبتدع - أو مبتدأ - أو فيما قد فُرِغَ منه ؟ فقال : فيما قد فُرِغَ منه يا ابن الخطاب ، وكل مُيسَّر ، أمَّا مَنْ كان من أهل السعادة ، فإنه يعمل للسعادة ، وأمَّا من كان من أهل الشقاء ، فإنه يعمل للشقاء».(١٠٠١)

---

(٩٩٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَوْعِظَةِ المحَدِّثِ عِنْدَ القَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ (١٣٦٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} (٤٩٤٥)، بَابُ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} (٤٩٤٦)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى} (٤٩٤٧)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى} (٤٩٤٨)، بَابُ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}(٤٩٤٩)، كتاب الأدب، بَابُ الرَّجُلِ يَنْكُتُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ فِي الأَرْضِ (٦٢١٧)، كتاب القدر، بَابُ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} (٦٦٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} (٧٥٥٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٧).

(١٠٠٠) مسلم في صحيحه، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٨).

(١٠٠١) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٩٦) وعبد الله بن أحمد في السنة (٨٥٥)، والترمذي في سننه، في أبواب القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة (٢١٣٥)، والطيالسي في مسنده (١١)، والبزار في مسنده (١٢١)، وأبو يعلى في مسنده (٥٥٧١) والدارمي في الرد على الجهمية (٢٧٢) وابن أبي عاصم في السنة (١٦٣)، والآجري في الشريعة (٣٢٦)،والبيهقي في القضاء والقدر (٣٨).

وفي رواية : قال : «لما نزلت { فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود: ١٠٥] سألتُ رسولَ الله -ﷺ- ، فقلتُ : يا نَبيَّ الله ، فعلامَ نعمل ، على شيء قد فُرغَ منه ، أو على شيء لم يفرغ منه ؟ قال : بل على شيء قد فُرغَ منه ، وجَرَت به الأقلام يا عُمر ، ولكنّ كلّ مُيَسَّر لما خُلِق له» (١٠٠٢) أخرجه الترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «حدَّثنا رسولُ الله -ﷺ- وهو الصادق المصدوق : إن خَلْق أَحدِكم يُجْمَعُ في بطنِ أُمِّهِ أربعين يوما، ثم يكون عَلَقة مثل ذلك ، ثم يكون مَضْغَة مثل ذلك ،ثم يَبّعَثُ الله إليه مَلَكا بأربع كلمات: بكَتْب رزقِهِ وأجلِهِ وعملِهِ ، وشَقي أو سعيد ،ثم يَنْفُخُ فيه الروحَ ، فوالذي لا إله غيره ، إنَّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنة ،حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ،وإن أحدَكم لَيَعْمَل بعمل أهل النار حتى ما يكونُ بينَه وبينها إلا ذراع ، فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» (١٠٠٣) أخرجه البخاري ومسلم ،

من طريق: عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن عمر، به.

وإسناده ضعيف، ففيه: عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، والمدار عليه، فقد قال فيه البخاري وغيره: منكر الحديث،

وقد قال الترمذي رحمه الله: وهذا حديث حسن صحيح.

قلت فلعله يحسن المتن بشواهده، والله أعلم

(١٠٠٢) ضعيف.

أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب التفسير، باب ومن سورة هود، (٣١١١)، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٠٠٦٣)، وعبد بن حميد في مسنده (٢٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٧٠)، والبزار في مسنده (١٦٨)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٢٢١) والفريابي في القدر (٢٩، ٣١) وابن وهب في القدر وما ورد فيه من الأثار (١٩،٢٠،٤٩).

من طريق: سليمان بن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب، به.

فإسناده ضعيف، ففيه سليمان بن سفيان، وهو ضعيف الحديث، يروي عن الثقات المناكير، وباقي إسناده رجاله ثقات،

لكن قول الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه،

فلعل الترمذي حسن متنه لشواهده، وضعف سنده، والله أعلم

(١٠٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٣٢٠٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٢)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٤)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - : أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال : «وَكَّلَ الله بالرَّحم ملَكا ، فيقول : أي ربِّ نطفة ؟ أي ربِّ علقة ؟ أي ربِّ مُضّغَة ؟ فإذا أراد أن يقضي خَلْقَها ، قال :يا ربِّ ، أذكر ، أم أنثى ؟ أشقيّ ، أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيُكتب ذلك في بطن أمه»(١٠٠٤) أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عامر بن واثلة - رحمه الله - أنه سمع عبد الله بنَ مسعود يقول: «الشقيّ من شَقيَ في بَطن أمه ، والسعيد مَنْ وُعِظَ بغيره ، فأتى رجلا من أصحاب رسولِ الله -ﷺ- يقال له : حذيفةُ بنُ أَسِيد الغفاري ، فحدَّثَهُ بذلك من قول ابن مسعود، فقال له : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أَتَعْجَبُ من ذلك ؟ فإني سَمِعتُ رسولَ الله -ﷺ- يَقولُ : إذا مَرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعَثَ الله إليها ملكا فصوَّرَها ، وخَلَقَ سمعها ، وبصرَها ، وجِلدَها ، ولحمها ، وعظامها ، ثم قال : يا رب ، أذكر ، أم أنثى ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملَكُ ، ثم يقول : يا رب ، أجلُه ؟ فيقول ربُّك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب رِزّقُه ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملَكُ بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص» (١٠٠٥)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أَنَّ رَسولَ الله -ﷺ- قال : «إنَّ رُوح القُدسِ نَفَثَ في رُوعي أنه لن تَمُوتَ نفس حتى تستكمل رِزْقها وأجَلَها» (١٠٠٦)

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرْسَلِينَ} (٧٤٥٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٣).

(١٠٠٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} (٣١٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٣)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٦).

(١٠٠٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٦).

(١٠٠٦) حسن بمجموع طرقه

والخلاصة أن كل شيء فهو لا يكون إلا والله تعالى قضاه وقدره ، فالهداية بقدر الله تعالى ، والإضلال بقدره ، والغنى بقدره ، والفقر بقدره ، والصحة بقدره ، والمرض بقدره ، والسعادة بقدره ، والشقاء بقدره ، والعز بقدره ، والذل بقدره ، والموت بقدره ، والحياة بقدره ، وما تخرج من نبتة في أطراف الأرض إلا بقدره ، وما تموت من نبتة إلا بقدره ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه جل وعلا ، فهذا هو معنى الإيمان بالقدر والله أعلم .

(المسألة الثانية) واعلم رحمك الله تعالى أنه لا يتم الإيمان الكامل بالقدر إلا إن آمنت بأربع مراتب ، وقد قررها أهل العلم رحمهم الله تعالى أكمل تقرير ، بما لا مزيد عليه ، وهي كما يلي :ــ

المرتبة الأولى :ــ مرتبة العلم ، معناها : الإيمان بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات ، لا يخفى عنه شيء في

أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ٢٣٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٤١)، وفي الأسماء والصفات (٤٢٧)، وفي السنن الكبرى (١٣٤٤٣)،

من طريق: عمرو بن أبي عمرو، مولى المطلب، عن المطلب بن حنطب، به.

فعمرو بن أبي عمرو، مولى المطلب، متكلم فيه إلا أن الراجح فيه أنه يقبل حديثه، ويحسن ما لم يخالف وينفرد،

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٣٣٢)، وهناد بن السري في الزهد (٤٩٤)، والبيهقي في الشعب (٩٨٩١)

من طريق: إسماعيل بن أبي خالد، عن، عبد الملك بن عمير، قال: أخبرت، أن ابن مسعود،

ورجال إسناده ثقات، ألا أنه منقطع بين عبد الملك بن عمير، وابن مسعود.

ورجح الدارقطني طريق الإرسال في (العلل ٥/ ٢٧٤)

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢١٣٦)،

من طريق: سعيد بن أبي هلال، عن سعيد بن أبي أمية الثقفي، عن يونس بن بكير، عن ابن مسعود،

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٦٩٤)،

من طريق: عفير بن معدان، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة،

وفيه: عفير بن معدان، وهو ضعيف الحديث.

وعلى كلٍ فالحديث بمجموع هذه الطرق كلها يحسن، ويدل على أن له أصل،

ولم أقف على رواية أنس لهذا الحديث، والله أعلم

الأرض ولا في السماء ، فقد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو من أهل الجنة ومن هو من أهل النار من قبل أن يخلقهم ، وأنه يعلم كبير الأشياء ودقيقها على السواء ، قال تعالى{إن الله بكل شيء عليم} وقال تعالى{ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن} وقال تعالى {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٥٩] وقال تعالى{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤] وقال تعالى {وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الطلاق: ١٢] وقال تعالى {إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: ٣٢]

وقال - عليه الصلاة والسلام - لما سئل عن أولاد المشركين : ((الله أعلم بما كانوا عاملين)) (١٠٠٧) متفق عليه ، والله أعلم .

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة ، ومعناها : الإيمان الجازم بأن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة وقد أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل السنة على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب ، قال تعالى{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: ٧٠] وقال تعالى {وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٥٩] وقال تعالى{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر: ١١] وقال تعالى{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} [التوبة: ٥١]

(١٠٠٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلاَدِ المشْرِكِينَ (١٣٨٤)، كتاب القدر، بَابٌ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ (٦٥٩٨)، (٦٥٩٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ (٢٦٥٩).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)) ، (١٠٠٨)

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة)) (١٠٠٩). ، والله أعلم .

المرتبة الثالثة : المشيئة ، ومعناها : الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون من حركةٍ ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله تعالى والفطرة التي فطر الله الناس عليها ، قال تعالى{وربك يخلق ما يشاء} وقال تعالى {مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: ٣٩]

وقال -عليه الصلاة والسلام- : ((إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد يصرفه حيث يشاء)) . (١٠١٠)

المرتبة الرابعة : الخلق ، وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بالله تعالى وهو خالق كل شيء ، فهو وحده جل وعلا خالق الكائنات بذواتها وصفاتها وحركاتها ، فهو الخالق وما سواه مخلوق ، قال تعالى{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦] وقال تعالى{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا } [الفرقان: ٢] وقال تعالى {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: ٣] وقال

(١٠٠٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٣).

(١٠٠٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَوْعِظَةِ المحَدِّثِ عِنْدَ القَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ (١٣٦٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} (٤٩٤٥)، بَابُ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} (٤٩٤٦)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى} (٤٩٤٧)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى} (٤٩٤٨)، بَابُ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}(٤٩٤٩)، كتاب الأدب، بَابُ الرَّجُلِ يَنْكُتُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ فِي الأَرْضِ (٦٢١٧)، كتاب القدر، بَابُ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} (٦٦٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} (٧٥٥٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٧).

(١٠١٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ (٢٦٥٤).

تعالى {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: ١] وقال تعالى : {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى } [الحجرات: ١٣] وقال تعالى{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦]

وروى الإمام البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((إن الله يصنع كل صانع وصنعته)) (١٠١١)

فهذه المراتب الأربع هي مراتب القدر ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها ، والله أعلم.

(المسألة الثالثة) قول الناظم عفا الله تعالى عنه (والله خالقنا وخالق فعلنا تبا لقول الملحد الشيطاني) في هذا البيت يتكلم الناظم عفا الله تعالى عنه على مسألة خلق أفعال العباد ، وقد قررها أهل السنة رحمهم الله تعالى أتم تقرير ، وبيانها أن يقال :ـ إننا نؤمن إيمانا جازما بأن الله تعالى هو المقدر لكل شيء ، فلا يكون من شيء إلا بعلمه ومشيئته ، وهو الخالق لكل شيء ، ولكن ومع هذا فالله تعالى قد خلق للعبد قدرة ومشيئة ، بها يعرف الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل ، وبها يختار فعله ، ولكن هذه القدرة والمشيئة التي خلقها الله تعالى في العبد ليست على وجه الاستقلال كما تقوله المعتزلة القدرية ، ولكنها تابعة لمشيئة الله تعالى ، كما قال تعالى {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الإنسان: ٣٠] وكما قال تعالى{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣] وفعل العبد مخلوق لله تعالى وهو فعل للعبد ، ففعل العبد ينسب إلى الله تعالى خلقا وإيجادا ، وينسب إلى

(١٠١١) صحيح

أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧)، والبزار في مسنده (٢٨٣٧) وابن منده في كتاب التوحيد (١١٣) والحاكم في المستدرك (٨٥، ٨٦) والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٧) وفي القضاء والقدر له (١٣٣) وفي الأسماء والصفات له (٣٧، ٥٧٠، ٨٢٥).

من طريق: أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات وهو على شرط مسلم،

العبد تحيلا واكتسابا واقترافا ، ولذلك فإن الله تعالى ينسب الأفعال إلى عباده كما قال تعالى{بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ } [الحج: ١٠]وقال{فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } [الشورى: ٣٠] ونحوها من الآيات ، وهي كثيرة ، ففعل العبد له نسبتان ، فأما نسبته إلى الله تعالى فهي نسبة الخلق ، فالله تعالى هو خالق العبد وخالق فعله ، كما قال تعالى{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦] على أحد التفسيرين ، وفعل العبد داخل في قوله تعالى{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦] ففعل العباد من جملة ما خلق الله تعالى ، فليس العبد هو الذي خلقه ، لا والله ، هذا كذب قد اختلقته القدرية نفاة القدر ، وأما نسبته ـ أي فعل العبد ـ إلى العباد فإنها نسبة تحصيل واكتساب واقتراف ، فالعبد هو الذي فعل ، وهو الذي اختار فعله ، وهو قادر على فعله ، ولكن كل هذا ليس بخارج عن قدرة الله تعالى وعن علمه ومشيئته جل وعلا ، وأهل السنة رحمهم الله تعالى بذلك بهذا الاعتقاد قد توسطوا بين طائفتين ضالتين ، بين طائفة القدرية نفاة القدر ، وبين طائفة الجبرية ، فأما طائفة الجبرية فإنهم أثبتوا القدر ، ولكنهم نفوا أن يكون العبد له مشيئة وقدرة واختيار لفعله ، بل هو كالريشة في مهب الريح ، وكالميت بين يدي غاسله ، فليس له مطلق القدرة ولا مطلق المشيئة ، ولا مطلق الاختيار ، وأما القدرية فإنهم يقولون :ـ إن العبد هو الذي يخلق فعله ، وله القدرة والمشيئة المستقلة عن مشيئة الله تعالى ، وكلا الطائفتين قد جانب الحق ، فجاء أهل السنة رحمهم الله تعالى فقالوا :ـ الله تعالى قدر كل شيء ، وهو الخالق لكل شيء ، وللعبد قدرة ومشيئة واختيار ، ولكنها مرتبطة بقدرة الله تعالى ومشيئته ، وعليه :ـ فما من شيء من أفعال العباد إلا والله تعالى هو الذي خلقه ، ولكن العبد هو الذي اكتسبه ، فالكفر خلق الله تعالى ولكنه كسب العبد واقترافه ، والظلم خلق الله تعالى ، ولكن العبد هو الذي اقترفه وفعله وحصله ، فالعبد هو الذي صلى وهو الذي زكى ، وهو الذي حج واعتمر ، والله تعالى هو الذي خلق هذا كله ، فالله تعالى هو الذي خلق فعل العبد ، والعبد هو الذي حصله ، فانتبه لهذا وفقك الله تعالى للهدى ، ولذلك قال الناظم عفا الله تعالى عنه (والله) تعالى هو (خالقنا) لأنه الخالق لكل شيء (و) كذلك (خالق فعلنا) وأفعالنا لا تخرج عن هذا العموم ، فقوله تعالى{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦] عام ، لأن لفظة (كل) من أقوى صيغ العموم ، وفعل العبد شيء من الأشياء فيكون الله تعالى هو الذي خلقه ، وقال

تعالى{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦] على أحد التفسيرين في الآية ، وأجمع على هذا التقرير أهل السنة والجماعة ، رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، فإن قيل لك :ــ ما خلاصة هذا الكلام ؟ فقل :ــ خلاصته أن نقول :ــ إن فعل العبد ينسب إلى العبد نسبة تحصيل واكتساب ، وينسب إلى الله تعالى نسبة خلق وإيجاد ، فالعبد لم يخلق شيئا ، لأن الخالق هو الله تعالى وحده لا شريك ، ولكنه اكتسب هذا الفعل وقام به ، فأفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله تعالى وقضائه وقدره ، فقد علم الله تعالى ما سيخلقه في عباده وعلم ما هو فاعلون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ وخلقهم الله كما شاء ، ومضى فيهم قدره ، فهم يعملون على وفق ما سبق به العلم والقدر والكتابة ، فأفعال العباد خلقًا وإيجادًا وتقديرًا من الله تعالى ، وهي من العباد كسبًا وفعلاً ، فالله تعالى هو الخالق لأفعالهم وهم الفاعلون لها حقيقة ، وعلى ذلك اتفق أهل السنة والجماعة ،.

فإن قلت :ــ وما المراد بقول الناظم (تبا لقول الملحد الشيطاني) ؟ فأقول :ــ المراد به قول من قال بأن العبد هو الذي يخلق فعله ، وأن الله تعالى م يخلق فعل العبد ، وهم القدرية ، وكان الأوائل منهم ينفون علم الله تعالى بالفعل قبل وقوعه ، وينفون أن يكون هو الذي خلقه ، أو شاءه من العبد ، فالقدرية الأوائل ينفون العلم السابق والكتابة السابقة والخلق والمشيئة ، وهم القدرية الغلاة الذين كفرهم المتأخرون من أصحاب النبي ﷺ ، وهم المذكورون في أول سياق حديث جبريل الطويل عند مسلم رحمه الله تعالى ، والذي رواه بسنده عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الجهني فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحميري حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلاَءِ فِى الْقَدَرِ فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وصاحبي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صاحبي سَيَكِلُ الْكَلاَمَ إِلَيَّ فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لاَ قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ. قَالَ فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّى بَرِىءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّى وَالَّذِى يَحْلِفُ

بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ... الحديث " (١٠١٢)

فالقدرية الذين اتفقت الكلمة على تكفيرهم هم القدرية الغلاة ، وهم الذين ينكرون سبق العلم بأفعال العباد ، وينكرون الكتابة في اللوح المحفوظ لأفعال العباد ، وينكرون مشيئة الله تعالى لها ، وينكرون أن يكون الله تعالى هو الذي خلقها ، فهؤلاء كفار ، وهم الملاحدة المذكورون فيقول الناظم (تبا لقول الملحد الشيطاني) وأما القدرية اليوم فهم في الأعم الأغلب يؤمنون بسبق العلم بأفعال العباد ولكنهم ينكرون أن يكون الله تعالى فهو الذي خلقها ، بل يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله ، وهم القدرية غير الغلاة ، فالقدرية الأوائل يسمون بالقدرية الغلاة ، والقدرية المتأخرون يسمون بالقدرية غير الغلاة ، وكلا قوليهم باطل كل البطلان ، بل هو من أقوال الأبالسة من شياطين الإنس والجن ، وقد رد عليهم أهل السنة رحمهم الله تعالى بعدة ردود أجملها فيما يلي :ـ

الأول : أنه مخالف لما أجمع عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل السنة وما خالف إجماع السلف فهو باطل ؛ لأن إجماعهم من سبيلهم وقد قال تعالى {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: ١١٥]

الثاني : أنه مخالف لدلالة الكتاب والسنة ؛ لأن نصوص الوحيين قضت قضاءً جازمًا أن الله تعالى هو خالق الأشياء كلها وأنه لا خالق إلا هو ، وهم يقولون : العبد هو الذي يخلق فعله ، وهذا معارضة ومناقضة للكتاب والسنة ، ومفضٍ إلى تعطيل عموم نصوص خلق الله تعالى لكل شيء وما أفضى إلى تعطيل عموم نصوص خلق الله تعالى لكل شيء وما أفضى إلى ذلك فهو باطل ، فدل ذلك على أنه مذهب باطل كل البطلان .

الثالث : إن فيه نوع إشراك في الربوبية ؛ لأن من مقتضيات الإيمان بتوحيد الربوبية الإيمان بعموم خلق الله تعالى لكل شيء ، لا يخرج عن ذلك أي شيء من

(١٠١٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

المخلوقات ، فإذا قالوا : إن العبد هو الذي يخلق فعله فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقًا آخر ، وهذا شرك في الربوبية ، وهو تشبه بقول المجوس الذين يقولون : إن للعالم صانعين النور والظلمة ، فالنور خلق الخير ، والظلمة خلقت الشر ، ولذلك فقد ورد في بعض الأحاديث والآثار أن هؤلاء القدرية مجوس هذه الأمة لأنهم يضيفون خلق فعل العبد إليه ويزعمون أنه هو الذي خلقه ، ومذهب يفضي إلى هذه النتيجة الباطلة بالاتفاق فإنه باطل بالاتفاق .

الرابع : أن القدرية متناقضون ، فإنهم يزعمون أن القرآن مخلوق استدلالاً بقوله تعالى{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦] ويقررون أن هذا العموم لا يمكن أن يخرج عنه شيء ثم هم يخرجون مع عقولهم العفنة ، وأفهامهم المنكوسة ، فأدخلوا في النص ما لم يدخل فيه بإجماع أهل السنة ، وهذا دليل على أن مبنى قولهم هذا إنما هو التخرص والظنون الكاذبة والشهوات والهوى ، ومذهب بني على هذا فإن حقه الاطراح وعدم الالتفات إليه ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما أنواع التقدير التي ثبتت بها الأدلة ؟ فأقول :ـ لقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن أنواع التقدير أربعة :ـ

الأول : التقدير العام الشامل لكل شيء ، وهو تقدير الرب لجميع الكائنات بمعنى علمه بها وكتابته لها ومشيئة وخلقه لها ، ودليل ذلك قوله تعالى{ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتابٍ إن ذلك على الله يسير}[الحج ٧٠] وهذا النوع يسميه بعض أهل العلم بالتقدير الأزلي ، ويدل عليه أيضًا قوله تعالى{وكل شيء أحصيناه في إمام مبين} [يس ١٢].

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)) ، قال : ((وعرشه على الماء)) . (١٠١٣)

وحديث محاجة موسى لآدم - عليهما الصلاة والسلام - وفيه أن آدم - عليه السلام - قال : فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن يخلقني . قال موسى : بأربعين عامًا .

(١٠١٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٣).

قال آدم : أتلومني على أن عملت عملاً كتب الله أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين عامًا ، قال : ((فحج آدم موسى)) . (١٠١٤)

وكذلك يدل عليه حديث : ((إن أول ما خلق الله القلم قال له اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة)) . (١٠١٥)

وحديث أبي هريرة عند البخاري مرفوعًا : ((جف القلم بما أنت لاقٍ فاختص على ذلك أو ذر)) (١٠١٦)

الثاني : التقدير العمري ، وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله من كتابة رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ،

(١٠١٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٢)، بهذا اللفظ، لكن رواه البخاري وغيره بغير هذا اللفظ.

(١٠١٥) حسن بمجموع طرقه

أخرجه الترمذي في أبواب القدر، باب (٢١٥٥)، وفي كتاب التفسير، بَاب وَمِنْ سُورَةِ ن (٣٣١٩)، وابن أبي الجعد في مسنده (٣٤٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٥)، والشاشي في مسنده (١١٩٢).

من طريق: عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت،به.

وإسناده ضعيف، ففيه: عبد الواحد بن سليم، وهو ضعيف الحديث.

وأخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠).

من طريق: الوليد بن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، عن عبادة بن الصامت، به.

فإسناده ضعيف، ففيه أبو حفصة حبيش بن شريح الشامي وو مجهول، ولم يرو له إلا أبو داود هذا الحديث الفرد.

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٩٢٢)،

من طريق: أيوب أبو زيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، به.

فإسناده ضعيف، ففيه أيوب الحمصي، وهو مجهول، لا سيما وقد قال فيه ابن القطان: لا يعرف حاله.

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٣).

من طريق: ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه عن جده، به.

فإسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة.

هذا، وقد روي من طرقٍ أخر لا تخلوا أسانيدها من مقال،

ولكن بمجموع تلك الطرق كلها، يدل على أن الحديث له أصلٌ، فتنجبر بمجموعها وترقى إلى الحسن، والله أعلم

(١٠١٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّبَتُّلِ وَالخِصَاءِ (٥٠٧٦).

ويدل عليها حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قال : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وشقي أو سعيد)) (١٠١٧) متفق عليه ،

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((وَكَّلَ الله تعالى بالرحم ملكًا فيقول : أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله تعالى أن يقضي خلقها قال : أي ربي أذكر أم أنثى ؟ شقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب في بطن أمه)) (١٠١٨) متفق عليه .

الثالث : التقدير الحولي ، ومعناه كتابة ما سيكون في هذه السنة من الإيجاد والإعدام والإعزاز والإذلال والرفع والخفض والرزق والعمل ونحو ذلك ، وهذا التقدير يكون في ليلة القدر من العشر الأواخر من رمضان ، قال تعالى{إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم}[الدخان ٣،٤] وقال تعالى فيها{تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمرٍ سلام هي حتى مطلع الفجر}[القدر ٤].

وقد روي عن ابن عمر وابن عباس والحسن وسعيد بن جبير أنهم قالوا : ((يكتب فيها أي في هذه الليلة ما يحدث في السنة من موت وحياة وعز وذل ورزق ومطر حتى الحجاج يقال : يحج فلان ويحج فلان)) .

(١٠١٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ ذِكْرِ المِلاَئِكَةِ (٣٢٠٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٢)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٤)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ} (٧٤٥٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٣).

(١٠١٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} (٣١٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٣)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٦).

الرابع : التقدير اليومي ، وهو تقدير ما سيحصل في كل يوم بيومه ، ويدل عليه قوله تعالى{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن: ٢٩] فقد قيل في تفسيرها : شأنه أن يعز ويذل ، ويخفض ويرفع ، ويعطي ويمنع ، ويغني ويفقر ، ويضحك ويبكي ، ويميت ويحيي ، إلى غير ذلك ، فهذه هي أنواع التقديرات والله تعالى أعلى وأعلم .

فإن قلت :ــ وهل العبد مسير أو مخير ؟ فأقول :ــ إن فهم الجواب هنا مبني على فهم مذاهب أهل القبلة في باب القدر ، فأما الجبرية فإنهم يقولون إن العبد لا قدرة له ولا طاقة ولا مشيئة له على اختيار فعله ، فعلى هذا فالعبد مسير مطلقا عند الجبرية ، وأما القدرية فإنهم يعطون العبد الإرادة الكاملة المستقلة عن أي شيء ، فله الاختيار المستقل لأنه هو الذي يخلق فعله ، فهو الذي يختار فعله بنفسه ، وعلى هذا فالعبد عند القدرية مخير ، وأما أهل السنة رحمهم الله تعالى فإنهم يجعلون للعبد قدرة واختيارا ومشيئة ، فهو مخير ، ولكن هذه القدرة وهذا الاختيار وهذه المشيئة مربوطة بما سبق به العلم وسبقت به الكتابة والمشيئة من الله تعالى ، فهو على هذا مسير ، فأهل السنة رحمهم الله تعالى يقولون :ــ العبد مسير ومخير ، فهو مسير باعتبار سبق العلم والكتابة فإنه لا يمكن أن يسير على خلاف ما سبق به العلم وخط به قلم اللوح المحفوظ ، فهو بهذا الاعتبار مسير ، ولكنه مخير أيضا باعتبار أنه يختار فعله الاختياري بنفسه ، ولا أحد يلزمه بكثير من أفعاله ، وأضرب لك بعض الأمثلة الموضحة ، ولعلها أن تكون من واقعنا ، فأقول :ــ لو أنك خيرت في الزواج بين امرأتين ، وكلاهما تحملان الصفات المطلوبة شرعا ، فأنت مخير بينهما ، فالزواج بأحداهما أنت مخير فيه ، ولا أحد يلزمك بواحدة منهما ، فنقول :ــ أنت مخير في هذا الفعل باعتبار دخوله تحت اختيارك ومشيئتك ، ولكن اعلم أنك لن تتزوج إلا المرأة التي سبق بها علم الله تعالى واختياره ومشيئته ، فهذا الفعل ، وهو الزواج بأحدى المرأتين فيه متعلقان ، أنت مخير بالنظر في أحدها ومسير بالنظر في الآخر ، فالنظر الأول نظر باعتبار ما كتبه الله تعالى لك ، وما اختاره في اللوح المحفوظ لك ، وما سبق به العلم وخط في الإمام المبين قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وما سبقت به الكتابة لك وأنت في بطن أمك ، فأنت مسير بهذا الاعتبار ، وأما بالنظر الثاني فهو لأن هذا

الفعل داخل تحت إرادتك أنت في الزواج بإحداهما ، فهل بالله عليك ترى أنك مضطر ومقهور على فعلك هذا ؟ بالطبع لا ، بل أنت له الاختيار بينهما ، فإن اخترت هذه دون هذه فتكون قد رجحت جانبا على جانب بمحض اختيارك أنت ، فأنت بهذا النظر مخير ، فأنت مخير باعتبار دخول الفعل تحت اختيارك ، ومسير باعتبار ما سبق به العلم وتقدمت به الكتابة ، ومثال آخر :ـ لو أتيت إلى طريق يتفرع إلى يمين وشمال ، ووقفت قليلا ، فأنت مخير باعتبار اختيار الجهة التي تريدها ، ولا احد يلزمك أن تذهب يمينا أو شمالا ، فأنت بهذا الاعتبار مخير ، أي باعتبار دخول الفعل هذا تحت اختيارك ، ولكن اعلم أنك لن تذهب إلا إلى الجهة التي قدرها الله تعالى لك وسبق العلم بها وتقدمت الكتابة فيها في اللوح المحفوظ ، ومثال ثالث :ـ لو خيرت بين وظيفتين ، لك أن تتوظف في هذه أو تتوظف في الأخرى ، فلأن اختيار واحدة منهما داخل تحت مشيئتك واختيارك نقول :ـ أنت مخير ، ولكن اعلم أنك لن تختار إلا الوظيفة التي سبق بها العلم والكتابة ، فأنت باعتبار سبق العلم والكتابة مسير ، وباعتبار دخول الفعل تحت اختيارك مخير ، فأهل السنة رحمهم الله تعالى لا يقولون إن العبد مخير مطلقا كما تقوله القدرية ، ولا يقولون :ـ إن العبد مسير مطلقا ، كما تقوله الجبرية ، بل يقولون :ـ إن العبد مسير ومخير ، وهذا لضرورة الإيمان بسبق العلم والكتابة والمشيئة الصادرة من الله تعالى ، ولضرورة الإيمان بأنه العبد له قدرة واختيار على فعله ، فهو مسير باعتبار سبق العلم والكتابة في اللوح المحفوظ ، ومخير باعتبار دخول الفعل تحت قدرته واختياره ، وهذا هو جواب هذا السؤال الذي حارت فيه كثير من عقول الخلق ، ومذهب أهل السنة في هذه المسألة متوسط بين مذاهب أهل القبلة ، لأن أهل السنة وسط بين فرق الأمة كوسطية الأمة بين الأمم ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وهل الإيمان بالقدر يتنافي مع الأخذ بالأسباب المتاحة ؟ فأقول :ـ مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان بالقدر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب ، بل يقولون : إن الأخذ بالأسباب من الإيمان بالقدر ، فمباشرة الأسباب من تمام الإيمان بالقدر ، ولهذا فيجب على العبد مع الإيمان بالقدر الاجتهاد في العمل والأخذ بأسباب النجاة والالتجاء إلى الله تعالى بأن ييسر له أسباب السعادة ، وأن يعينه عليها ، ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في

مختلف شؤون الحياة ، فقد أمرت بالعمل وطلب الرزق واتخاذ العدة لمواجهة العدو والتزود للأسفار وغير ذلك ، كما قال تعالى{فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون}[الجمعة ١٠] وقال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [الملك: ١٥] وقال { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال: ٦٠] وقال تعالى{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]

وقال - عليه الصلاة والسلام - لما قيل له : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ، فقال : ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، فأهل السعادة يسيرون لعمل السعادة وأهل الشقاوة يسيرون لعمل الشقاوة)) ثم قرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل: ٥ - ٧] (١٠١٩) والحديث في الصحيح.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)) (١٠٢٠)،

وقد كان سيد المتوكلين ﷺ يأخذ بالأسباب الشرعية المتاحة من الكل إن جاع ، والشرب مع الظمأ ، ولبس لباس الحرب وأخذ العدة والتزود في الحرب ، والسيرة العطرة حافلة في أنه ﷺ كان إذا أراد الأمر سلك طريق تحصيله بسلوك الأسباب المتاحة ، بل إن ترك تعاطي الأسباب اتكالاً على الكتابة السابقة في حقيقته أنه

(١٠١٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَوْعِظَةِ المحَدِّثِ عِنْدَ القَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ (١٣٦٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} (٤٩٤٥)، بَابُ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} (٤٩٤٦)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى} (٤٩٤٧)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى} (٤٩٤٨)، بَابُ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}(٤٩٤٩)، كتاب الأدب، بَابُ الرَّجُلِ يَنْكُتُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ فِي الأَرْضِ (٦٢١٧)، كتاب القدر، بَابُ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} (٦٦٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} (٧٥٥٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٧).

(١٠٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (٢٦٦٤).

مناف للقدر أصلاً ؛ لأن الله تعالى ربط هذا الكون بعضه ببعض ونظم بعضه ببعض وربط الأشياء بأسبابها ، ودلنا على السبب إن كنا نريد حصول أثره ، فعلمنا دفع قدر الجوع بالأكل ، وقدر الظمأ بالشرب ، وقدر منازلة العدو بحسن الإعداد الباطني والظاهري ، وقدر إحكام الشهوة بالزوج للقادر وبالصوم لمن لم يجد ، وقدر الفقر بالسعي في طلب الرزق الحلال ، وقدر دخول النار بالاجتهاد في العمل الصالح مع ترك الذنوب والمعاصي ، وهكذا .فهل بالله عليك يقول أحد مع ذلك أنا أبقى مع القدر ولا أدافعه أو أحصله بالأسباب المشروعة ، فهذا القول في الحقيقة إنكار للقدر وتكذيب به وإلا فمن مقتضيات الإيمان بالقدر تعاطي الأسباب المشروعة في دفع المكروه وجلب المحبوب ، والله أعلم ،

وأضرب لك مثالين على أهمية تحصيل الأسباب وعدم الاتكال على ما كتب وقدر ، وهما :

الأولى : قوله تعالى عن مريم{وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا}[مريم ٢٥] فانظروا - رحمكم الله تعالى - ، امرأة نفاس خائفة مما سيواجهها تؤمر بهز جذع نخلة حتى يتساقط الرطب ، وإنه لو اجتمع عدد من الرجال الأقوياء فإنهم قد يعجزون عن هزها ، أَوَلا يقدر الله تعالى على إسقاط الرطب بلا هذا الهز ؟ بلى هو قادر على كل شيء لكن من باب ربط الأشياء بأسبابها والأخذ بزمام الجد والمبادرة وترك التواكل والعجز والكسل ، فهل يأتي بعد ذلك أحد يقول : سأدع العمل الصالح وأتكل على ما كتب لي ؟ هذا والله عين الغباء والخبل .

الثانية : قوله تعالى عن موسى {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [الشعراء: ٦٣] فهذه الضربة بالعصا أمر بالأخذ بالأسباب وإلا فالله قادر القدرة التامة على فلق البحر بلا ضرب ، ولكن أمر موسى أن يضرب في هذا الوقت العصيب مع أن هذا الضرب سيؤخرهم قليلاً والعدو قد اقترب منهم ، ومع ذلك يؤمر بالضرب بالعصى ، والله إنها لتربية على تعاطي الأسباب والأخذ بالأسباب المشروعة ، والله تعالى أعلى وأعلم .

فإن قلت :ـ وما الواجب على العبد عند حلول المصيبة والأمر المكروه ؟ فأقول :ـ المشروع عند نزول المصائب من الموت والأمراض والعاهات والحوادث والكوارث ، ونحو ذلك عدة أمور :

الأول : أن يعلم أنها مما سبق به القلم وطويت عليه الصحف ، قال تعالى{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } [الحديد: ٢٢] وأنه لا دافع لقضائه ولا معقب لحكمه جل وعلا .

الثاني : أن يؤمن إيمانًا جازمًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

الثالث : وجوب الصبر وعدم فعل أو قول شيء فيه جزع وتسخط على ما نزل من القدر ، قال - عليه الصلاة والسلام - : ((ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)) . (١٠٢١)

وقال أبو موسى : ((إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة)) (١٠٢٢). الصالقة : هي ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة : التي تحلق شعرها أو تنتفه عند المصيبة ، والشاقة : هي التي تشق جيبها عند المصائب .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) (١٠٢٣)، وكل هذه الأحاديث في الصحيح .

(١٠٢١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابٌ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الجُيُوبَ (١٢٩٤)، بَابٌ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ (١٢٩٧)، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ الوَيْلِ وَدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ عِنْدَ المُصِيبَةِ (١٢٩٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (١٠٣).

(١٠٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ الحَلْقِ عِنْدَ المُصِيبَةِ (١٢٩٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (١٠٤).

(١٠٢٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة الكسوف، بَابُ التَّشْدِيدِ فِي النِّيَاحَةِ (٩٣٤).

ومن ذلك قول (لو) كما قال - عليه الصلاة والسلام - : ((وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل)) (١٠٢٤)،

فالصبر عند المصائب معناه حبس اللسان والجوارح عن قول وفعل ما لا يليق مما فيه منافاة لما يجب منه ، نسأل الله تعالى أن يعيننا وإياك على الصبر عند حلول المصائب .

الرابع : أن يعلم العبد أن هذه الحوادث والكوارث إنما سببها ما كسبت يداه من الذنوب والآثام ، قال تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١] ، وقال تعالى{{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠] لأن العبد إذا استشعر ذلك أحدث له توبة واعترافًا وانكسارًا وخضوعًا لربه جل وعلا واستغفارًا على سابق هذا الذنب وهذا أمر مقصود شرعًا ، وقد يكون طريق تحصيله في بعض الأحيان نزول هذه المصائب .

الخامس : الرضى والتسليم لقضاء الله وقدره ، قال تعالى{ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه}[التغابن ١١] قال علقمة : ((هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم)) (١٠٢٥)

وقد اختلف العلماء في حكم الرضى على قولين ، والأرجح أنه مستحب ، وهو اختيار الشيخ تقي الدين وتلميذه ، وكثير من المحققين .

السادس : شكر الله وحمده على ما قضاه وقدره ، وأن يحدث العبد عند ذلك عبودية الشكر والحمد وهذا مقام العارفين وهو سنة لكنه حالة كاملة عالية فاضلة صعبة المنال إلا على من يسرها الله عليه ، فإن العبد قد يشكر ويحمد بلسانه فقط وفي قلبه ما فيه ، أما أن يكون الشكر والحمد مصدره القلب واللسان معبرٌ عنه فهذا لا يستطيعه إلا أهل العبادات وصفاء النفوس ، جعلنا الله وإياك منهم .

(١٠٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (٢٦٦٤).

(١٠٢٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٢١)، بسندٍ صحيح

السابع : التسلي بقول الأوراد الشرعية الثابتة في ذلك ، كقول : {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]، قال تعالى{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } [البقرة: ١٥٦، ١٥٧] وكقول : (قدر الله وما شاء فعل) ، كما ورد معنا في الحديث قبل قليل .

وكقول : (اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها) ، كما في حديث أم سلمة لما مات أبو سلمة أمرها النبي ﷺ أن تقول ذلك ، فأبدلها الله برسول الله ﷺ (١٠٢٦)

وكقول الإنسان لأخيه عند نزول مصيبة الموت بأحد أهله : (اصبر واحتسب فإن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى) ، كما في الحديث الصحيح : ((مرها فلتصبر ولتحتسب ...)) إلخ (١٠٢٧).

وكقول الإنسان عند زيارة المريض : ((لا بأس عليك كفارة وطهور إن شاء الله تعالى)) (١٠٢٨) كما في الحديث ، ونحو ذلك ، والله أعلم.

فإن قلت :ـ وما السبب الذي أوقع الجبرية والقدرية فيما وقعوا فيه ؟ حتى نحذره ، فأقول :ـ هذا سؤال مهم جدًا ؛ لأننا إذا عرفنا سبب الضلال حذرناه وابتعدنا عنه فأقول : اعلم أن القدرية والجبرية كانوا أخوين يمشيان في طريق واحد ، وعندهم

(١٠٢٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة الكسوف، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ (٩١٨).

(١٠٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ " (١٢٨٤)، كتاب المرضى، بَابُ عِيَادَةِ الصِّبْيَانِ (٥٦٥٥)، كتاب القدر، بَابُ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} (٦٦٠٢)، كتاب الأيمان والنذور، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} (٦٦٥٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى} (٧٣٧٧)، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ المحْسِنِينَ} (٧٤٤٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ (٩١٥).

(١٠٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦١٦)، كتاب المرضى، بَابُ عِيَادَةِ الأَعْرَابِ (٥٦٥٦)، بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمَرِيضِ، وَمَا يُجِيبُ (٥٦٦٢)، كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٧٤٧٠).

قاعدة قد أصلوها واعتمدوها ، وهي أن كل شيء يشاؤه الله فهو يحبه ، فالمشيئة عندهم مرادفة للمحبة ، إلى هنا وهم متفقون ، لكن لما نظروا إلى الأشياء الموجودة في الكون وجدوا فيها الكفر والشرك والبدعة والزنا وشرب الخمور وعقوق الوالدين والسرقة ونحو ذلك من الآثام .فقالت الجبرية : بما أن هذه الأشياء قد شاءها الله وأوجدها فهو يحبها ونحن مجبورون على فعلها ، فترى الواحد منهم يقارف الذنب ويرى أنه يفعل عين ما يحبه الله تعالى ؛ لأن الله شاءه وكل شيء يشاؤه فهو يحبه .وأما القدرية فإنهم لما نظروا إلى نتيجة هذه القاعدة وقفوا متحيرين وتعاظموا أن يقولوا إن الله يحب الكفر والزنا واللواط والخمر ونحو ذلك ؛ لأن وجودها في الكون دليل المشيئة لها والمشيئة عندهم مرادفة للمحبة فقالوا : لا حل عندنا إلا أن نقول إن العبد هو الذي يخلق هذه الأفعال وأن الله تعالى لم يشأها منه ولا أرادها أن تقع في الكون ، لكن العبد هو الذي أوجدها بنفسه استقلالاً ، وهم بذلك قد وقعوا في شر مما فروا منه ، فأنت ترى أن سبب ضلال هاتين الفرقتين هو أنهم جعلوا مشيئة الله وإرادته شيئًا واحدًا لا ينقسم وأنها مرادفة للمحبة ولهذا لزم عليهم هذه اللوازم الباطلة .فالجبرية والقدرية اتفقوا في الأصل والقاعدة ، واختلفوا لما ظهرت نتائجها ، فالجبرية رضيت بها ، وأما القدرية فرفضت هذه النتيجة لكن القدرية لم يتجرءوا على تغيير هذه القاعدة واستطاعوا تحريف كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، ليتوافق مع أهوائهم ومذاهبهم ، فنعوذ بالله من أسباب الضلال ونسأله جل وعلا أن يهدينا رشدنا ،

وأما أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى فإنهم يقسمون إرادة الله تعالى إلى قسمين :ــ إلى إرادة كونية ، وهي المرادفة للمشيئة ، وإلى إرادة شرعية دينية ، وهي المرادفة للمحبة ، فليست الإرادة عندهم شيئا واحدا ، ولذلك لم يقعوا في الضلال الذي وقع فيه أهل البدع من الجبرية والقدرية ، والحمد لله على هذه الهداية والتوفيق ، والله أعلم .

فإن قلت :ــ لعلك تزيد هذا الكلام إيضاحا وبيانا لأنه إن فهم على غير وجهه حصل الضلال ، فأقول :ــ نعم ، وعلى الرحب والسعة ، فنقول :ــ اعلم رحمك الله

تعالى أن مذهب أهل السنة والجماعة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى هو أن إرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين :

الأول : الإرادة الكونية القدرية ، وهي مرادفة للمشيئة وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء ، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواءً ، فالطاعات والمعاصي كلها داخلة تحت هذه الإرادة ، قال تعالى {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ} [الرعد: ١١] وقال تعالى{وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [هود: ٣٤] وقال تعالى{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ } [الأنعام: ١٢٥] ، وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣] وغير ذلك .

الثاني من أقسام الإرادة : الإرادة الشرعية الأمرية الدينية ، وهي مرادفة للمحبة ، وتتضمن ما يحبه الله ويرضاه ، قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} [النساء: ٢٧] وقال تعالى{مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ} [المائدة: ٦] وغير ذلك .فهذا من ناحية التقسيم والتدليل ، وأما من ناحية التفريق بين الإرادتين فاعلم أن أهل العلم قد فرقوا بينهما بثلاثة فروق :

الفرق الأول : أن الإرادة الكونية لا تستلزم المحبة ، وأما الإرادة الشرعية فإنها تستلزم المحبة ، أي أنها ليس كل شيء يخلقه الله كونًا يلزم أن يكون محبوبًا له ، وهذا فيه رد لقاعدة الجبرية والقدرية ، وهي قولهم : كل شيء يشاؤه فهو يحبه ، وهذا الكلام ليس له مطلق الصحة ، وأما الإرادة الشرعية فإن كل شيء أمر الله به شرعًا فإنه يحبه ويرضاه ، فالكونية لا تستلزم المحبة ، والشرعية تستلزم المحبة .

الفرق الثاني : الإرادة الكونية لابد أن تقع ، أي أن كل شيء أراده الله كونًا فإنه لابد أن يقع لا يدفعه شيء أبدًا فالإرادة الكونية لازمة الوقوع ، وأما الإرادة الشرعية فإنها قد تقع وقد لا تقع ، أي قد يريد الله أشياء شرعًا لكنها لا تقع كونًا ، فالله يريد شرعًا من الناس الإسلام والهداية ، لكن هذا لم يقع لأن أكثر الناس في كفرٍ وضلال .

الفرق الثالث : أن الإرادة الكونية مرادة لغيرها لا لذاتها ، وأما الإرادة الشرعية فإنها مرادة لذاتها ، فالكفر الواقع مراد لغيره لا لذاته ، والمعاصي الواقعة مرادة لغيرها لا لذاتها ، وأما الإيمان فإنه مراد لذاته وكذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الطاعات ، فإنها مرادة لذاتها .

فمن فهم هذه الفروق فإنه قد هدي في هذا الباب فيما قد ضل به كثير من الناس ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ ومتى تجتمع الإرادتان ومتى تنفرد إحداهما عن الأخرى ؟ مع بيان ذلك بالأمثلة .

تجتمع الإرادتان في إيمان أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهكذا أي في إيمان من قد آمن من الثقلين ، فهو كوني لأنه وقع في الكون ، وشرعي لأن الله يحبه ويرضاه ، وإذا صليت فإن صلاتك هذه قد اجتمعت فيها الإرادتان فيه إرادة كونية لأنها وقعت في الكون وشرعية لأن الله يحبها ويرضاها ، وبالجملة فكل شيء وقع في الكون وهو مما يحبه الله ويرضاه فإنه مما اجتمع فيه الإرادتان .

وتنفرد الإرادة الكونية في الأشياء التي وقعت في الكون وهي ما لا يحبه الله ويرضاه ، ككفر أبي جهل وأبي لهب ، بل وكفر من كفر من الثقلين ويدخل في ذلك سائر الذنوب والمعاصي التي وقعت في الكون ، فإنها من قبيل الإرادة الكونية فقط ؛ لأنها مما لا يحبه الله ويرضاه .

وتنفرد الإرادة الشرعية في الأشياء التي يحبها الله ويرضاها لكنها لم تقع في الكون ، فهي شرعية فقط ، لكن ليست بكونية لأنها ما وقعت ، والإرادة الكونية لازمة الوقوع وذلك كإيمان أبي لهب ، وسجود إبليس لأبينا آدم ونحو ذلك ، فكل ذلك مما يحبه الله فهو إرادة شرعية لكنه لم يقع فأبو لهب لم يؤمن وأبوه إبليس لم يسجد فتحققت الإرادة الشرعية وانفردت عن الإرادة الكونية ، والله تعالى أعلم وأعلى .

فإن قلت :ـ وكيف يريد الله تعالى أمرًا وهو لا يحبه ؟ فأقول :ـ هذا سؤال مشهور تردده ألسنة الذين لا يعقلون عن الله حكمة ومصلحة ويجعلونه وسيلة للقدح في أفعال الله تعالى وسلب الحكم والمصالح عنها ، وهو مزلق خطير إذا لم يؤخذ

جوابه من أهل السنة ، فلكم حصل في جوابه من التخبط لما أخذ عن غيرهم وضل به أقوام كثر ، فنسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يهدي ضال المسلمين ويثبت مطيعهم ويأخذ بنواصينا للبر والتقوى ، فأقول في جوابه وبالله التوفيق :

إنه لابد أولاً أن نفرق بين المرادات ، فإن المرادات قسمان : مرادات لذاتها ، ومرادات لغيرها .

فالمراد لذاته مطلوب محبوب لذاته ، وأما المراد لغيره فإنه قد لا يكون محبوبًا ومطلوبًا لذاته ، بل لما يترتب على وجوده من الحكم والمصالح .

فالمراد لغيره بالنظر إلى ذاته لا يكون محبوبًا ولا مطلوبًا ، وبالنظر إلى ما يترتب عليه يكون مرادًا ، فهو مراد لشيء آخر لا أنه مراد لنفسه ، وأضرب لك مثالين على المراد لغيره ليتضح لك الأمر :

الأول : قطع العضو المتآكل الذي يكون في بقائه تلف بقية الأعضاء ، فإن الإنسان يذهب بنفسه إلى الطبيب ويمد هذا العضو إليه وهو يعرف أن الطبيب سيقطع هذا العضو من جسده ، وهو يريد ذلك القطع لكن بالله عليك هل هذا المريض يريد هذا القطع لذات القطع أي لأنه يحب ذلك لنفسه ؟ بالطبع لا ، ولكنه أراده لعلمه بآثاره الطيبة ومصالحه المترتبة عليه ، فهو أراد القطع لا لذات القطع وإنما أراده لغيره أي أراده لما يترتب عليه من سلامة بقية الأعضاء ، فاجتمع في هذا القطع البغض والحب ، فبالنظر إلى ذاته مبغوض مكروه ، وبالنظر إلى آثاره محبوب مراد ، فهو - أي القطع - مراد لغيره لا مراد لذاته ، ومن ذلك أيضًا تناول الدواء الكريه .

الثاني : قطع المسافات والصحارى والقفار وتحمل الأخطار ومفارقة الأهل والبلد ، للوصول إلى محبوبه الذي ملك عليه قلبه واستحكم حبه في نفسه ، فإن أحدًا لا يريد تعذيب نفسه بذلك لكنه علم أنه لا سبيل للوصال إلا بهذا الشقاء ، فأراد الدخول فيه لا لأنه يريده لذاته وإنما لأنه يعلم بآثاره المترتبة عليه ، فقطع المسافات وتحمل المشاق ليس مرادًا لذاته ، وإنما المراد لغيره ، فهو محبوب من وجه ومبغوض من وجه .

ومن هنا يتبين لنا أن الشيء يجتمع فيه الأمران ، بغض من وجه وحب من وجهٍ آخر ، ومن هنا يعرف الجواب على هذا السؤال الذي طال حوله الجدل وهو أن يقال : إن الأشياء التي أراد الله تعالى وقوعها كونًا وهو لا يحبها ولا يرضاها هي من قبيل المراد لغيره ، لا من قبيل المراد لذاته حتى يرد الإشكال ، فإن الذي يرد هذا الإشكال في ذهنه إنما هو الذي يجعل الأشياء الواقعة كلها من قبيل المراد لذاته وهم الجبرية والقدرية كما ذكرت لك سابقًا أن القاعدة عندهم أن كل شيء يشاؤه فإنه يحبه وهذا مخالف للنقل والعقل والحس والفطرة ، وأما على قول أهل السنة فإن لا إشكال أبدًا ، فكل شيء وقع في الكون فإنه لم يقع إلا بإرادته جل وعلا إذ لا يكون في كونه إلا ما يريد ، وهذه الإرادة لا تخلو إما أن تكون لذاتها وإما لغيرها ، فالأشياء التي وقعت وهو لا يحبها هي من قبيل الإرادة الكونية أي من قبيل ما يراد لغيره لا ما يراد لذاته فإذا فمت ذلك وفرقت بين المرادين فقد أوتيت خيرًا كثيرًا وكفيت شرًا كثيرًا ، وهو من هداية الله لك صراطه المستقيم فاحمد الله على ذلك وأكثر من شكره ليزيدك توفيقًا وهداية ، قال تعالى{والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم}وقال تعالى {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧] ونزيدك بسطا وإيضاحا بضرب أمثلة أخرى فأقول :ـ

المثال الأول : خلق إبليس والحكمة من ذلك ، فإن إبليس مادة كل فسادٍ في هذه الدنيا في الأديان والاعتقادات والأعمال والشهوات والشبهات ، وهو سبب لشقاوة العبد ، فخلقه ليس مرادًا لذاته ، بل مراد لغيره وقد تلمس العلماء الحكم والمصالح من خلقه فذكروا منها ما يلي:

فمنها : أن يظهر للعباد قدرة الرب تبارك وتعالى على خلق المتضادات والمتقابلات ، فالذي خلق هذه الذات الفاسدة من كل وجه والتي هي أخبث الذوات والتي هي سبب كل شر ، هو الذي خلق ذات جبريل التي من أشرف الذوات وأزكاها والتي هي مادة كل خير ، فتبارك من خلق هذا وهذا ، وذلك كما ظهرت حكمته في خلق الليل والنهار ، والحر والبرد ، والماء والنار ، والداء والدواء ، والموت والحياة ، والجنة والنار ، وهذا دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه ، فإنه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسلط بعضها على

بعضٍ وجعلها محل تصرفه وتدبيره وحكمته ، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته ، وهذا يظهر ظهورًا جليًا لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ومنها : أن يكمل الله تعالى لأوليائه مراتب العبودية ، وذلك بمجاهدة إبليس وحزبه وإغاظته بالطاعة لله جل وعلا والاستعاذة بالله منه واللجوء إلى الله أن يعيذهم من شره وكيده فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والدينية والأخروية ما لا يحصل بدونه ، ثم إن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب أنواع العبودية لله جل وعلا ، وهذه إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس وتقديم محبته جل وعلا على كل ما سواه، فكان خلق إبليس سببًا لوجود هذه الأمور.

ومنها : حصول الابتلاء ، ذلك أن إبليس خلق ليكون محكًا يمتحن به الخلق ليميز الله الخبيث من الطيب .

ومنها : ظهور آثار أسمائه تعالى ومقتضياتها ومتعلقاتها فمن أسمائه : الرافع ، والخافض ، والمعز ، والمذل ، والحكم ، والثواب ، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها فكان خلق إبليس سببًا لظهور آثار هذه الأسماء ، فلو كان الخلق كلهم مطيعين ومؤمنين لم تظهر آثار هذه الأسماء

ومنها : خروج ما في طبائع البشر من الخير والشر ، فالطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر والطيب والخبث ، وذلك كامنٌ فيها كموت النار في الزناد ، فخلق الشيطان مستخرجًا لما في طبائع أهل الشر من القوة إلى الفعل وأرسلت الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلى الفعل ، فاستخرج أحكم الحاكمين ما في هؤلاء من الخير الكامن فيهم ليترتب عليه آثاره وما في أولئك من الشر ليترتب عليه آثاره وتظهر حكمته في الفريقين وينفذ حكمه فيهما ويظهر ما كان معلومًا له مطابقًا لعلمه السابق .

ومنها : ظهور كثير من آياته جل وعلا وعجائب صنعه ، فلقد حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة الظالمة ظهور كثير من الآيات العجائب ، كآية الطوفان ، وآية الريح ، وآية إهلاك ثمود وقوم لوط ، وآية انقلاب النار على

إبراهيم - عليه السلام - بردًا وسلامًا ، والآيات التي أجراها الله تعالى على يد موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - ، وغير ذلك من الآيات ، فلولا تقدير كفر الكافرين وجحد الجاحدين لما ظهرت هذه الآيات الباهرة ، والله أعلم ، فهذه بعض من الحكم والمصالح من خلق إبليس ، نعوذ بالله تعالى منه .

المثال الثاني : خلق المصائب والآلام والحكمة من ذلك ، فإن هذه الأشياء أيضًا ليست مرادة لذواتها وإنما مرادة لغيرها ، فلما يترتب عليها من المصالح والحكم والغايات المحمودة أرادها الله تعالى .

فمن ذلك : تذكير العباد الذين تنكبوا عن الصراط بقدرته جل وعلا ويملهم عسى أن يحدث ذلك في قلوبهم رجوعًا وتوبة ، وكم حصل من الخير بسبب هذه الحوادث والآلام من توبة المذنبين وتيقظ الغافلين ، وإقبال المعرضين ورجوع الكثير إلى الله تعالى ، قال تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١]

ومنها : استخراج عبودية الضراء وهي الصبر ، قال تعالى{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧] وقال تعالى{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠] وقال تعالى{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦] وهذا لا يتم إلا بأن يقلب الله الأحوال على العبد حتى يتبين صدق عبوديته لله جل وعلا .

ومنها : تكفير السيئات ، فإن العباد كسابون للذنوب كثيرًا وهم خطاءون ، ولربما يغفل العبد عن التوبة عن كثير منها فيجري الله تعالى هذه المصائب والآلام على العبد فيصبر فيكون ذلك سببًا لتكفير السيئات عنه ،

وفي الحديث : ((لا بأس عليك كفارة وطهور إن شاء الله)) (١٠٢٩) ،

وفي الحديث أيضًا : ((ما يصيب العبد من هم ولا غم ولا وجع ولا نصب إلا كفر الله عنه من خطاياه حتى الشوكة يشاكها)) (١٠٣٠)، والأحاديث في ذلك كثيرة .

ومنها : حث النفوس وحفز أشواقها إلى الجنة ، فإن العبد مع مرور هذه الآلام والمصائب التي تكدر عيشه وتنغص عليه حياته يعلم علم اليقين أن هذه الدار دار تعب ومكابدة ونصب ، وأما الجنة فإنها دار الراحة المطلقة فلا تعب فيها ولا نصب ، فيشمر العبد بالاجتهاد في العمل الصالح لنيل هذه الدار الكريمة الغالية ، ولو أن الدنيا لم يكن فيها ذلك لما كان هناك كبير فرق ولنسي العبد الجنة ، فانظر إلى الحكمة العظيمة والغاية النبيلة .

ومنها : تقوية الرابطة بين العبد وربه جل وعلا وعلمه بضعفه ، فإن هذه المصائب والآلام يعلم العبد أنه لا خلاص له منها ولا مخرج له عنها إلا بصدق الالتجاء إلى ربه جل وعلا ، فيكون العبد دائم الذكر ودائم الدعاء والتضرع إلى الله ، وهذا أمر يحبه الله من العبد ، بل هو حقيقة العبادة ، فالعبد مفتقر إلى الله تعالى الافتقار الذاتي ، كما أنه جل وعلا هو الغني الغنى الذاتي ، فلا يمكن في حال من الأحوال أن يزول وصف الافتقار إلى الله تعالى من العبد ، كما أنه لا يمكن ولا يتصور ويستحيل الاستحالة المطلقة أن يزول وصف الغنى عن الله جل وعلا .

ومنها : الدخول في زمرة المحبوبين لله جل وعلا ، فالمبتلون يدخلون في زمرة المحبوبين المشرفين بمحبة الله جل وعلا ، فإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم ،

وقد جاء ذلك في السنة كما في قوله ؟ : ((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)) (١٠٣١)

(١٠٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦١٦)، كتاب المرضى، بَابُ عِيَادَةِ الأَعْرَابِ (٥٦٥٦)، بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمَرِيضِ، وَمَا يُجِيبُ (٥٦٦٢)، كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٧٤٧٠).

(١٠٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١).

حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجه .

وغير ذلك من الحكم والمصالح التي لا يحيط بها على التفصيل إلا الله جل وعلا ، فهذان المثلان يوضحان لك إن شاء الله تعالى شيئًا من الحكم والمصالح في المرادات لغيرها ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وهل هناك من أفعال الله تعالى ما ليس له حكمة ، أم أن أفعاله كلها صادرة عن حكمة ومصلحة ؟ فأقول :ـ الواجب على العبد تجاه ذلك أن يعتقد الاعتقاد الجازم أن الله جل وعلا في جميع أفعاله حكمًا جليلة وغايات ومصالح عظيمة سواءً علمناها أو لم نعلمها ، فيجب على العبد أن يعلم ويعتقد أن أفعال الله جل وعلا وأوامره لا تخلو من الحكم الباهرة العظيمة التي تحير العقول وأنه متنزه عن فعل ما لا حكمة فيه ولا مصلحة ، فإن هذا عبث وقد نزه نفسه الكريمة عنه كما في قوله {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٥، ١١٦] وقال تعالى{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } [القيامة: ٣٦]، فأفعاله كلها حكم ومصالح ، وإذا لم تدخل في حدود معلومنا فذلك لا يدل على انتفائها في نفس الأمر ؛ لأن عدم العلم ليس علمًا بالعدم وعقولنا أحقر من تحيط بذلك على وجه التفصيل ، وهذا الإيمان الجملي فرض عين على كل أحدٍ ، بل هو من مقتضيات وصف الله جل وعلا بالكمال المطلق ، فإن القدح في ذلك قدح في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وهو منافٍ لكمال التوحيد الواجب ، بل قد يكون في بعض صوره منافٍ لأصل التوحيد والعياذ بالله ، فعلى العبد أن يؤمن بلا ريب أن الله تعالى هو الكامل

(١٠٣١) حسن

أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ، (٢٣٩٦)، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٣١) وأبي يعلى في مسنده (٤٢٥٣)، والبيهقي في الآداب (٧٢١) وفي شعب الإيمان له (٩٣٢٥) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٢١) وابن بشران في أماليه (٢٤٣).

من طريق: يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك، به.

فإسناد حسن، ففيه سعد بن سنان، هو صدوقٌ له أفراد، ويحسن حديثه.

قال الترمذي رحمه الله: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

الكمال المطلق في علمه وحكمته وسائر أفعاله جل وعلا ، ومقتضى هذا الإيمان أن يؤمن بأن أفعاله جل وعلا كلها بلا استثناء لها الحكم العظيمة والغايات والمصالح المحمودة ، والله أعلى وأعلم .

فإن قلت :ـ وهل ينسب الشر إلى الله تعالى ؟ وهل يقع في أفعاله شر ؟ فأقول : لقد فصل النبي ﷺ هذه المسألة بالبيان الواضح والشافي ،

وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه في دعاء الاستفتاح أنه ﷺ كان يقول : ((لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت)) (١٠٣٢) ،

وهذا القول من الصادق المصدوق ﷺ يثبت أن الشر لا ينسب إلى الله تعالى ، فالله تعالى لا يفعل إلا الخير والقدر من حيث نسبته إلى الله تعالى لا شر فيه بوجهٍ من الوجوه ، فإنه علم الله وكتابته ومشيئته وخلقه وذلك خير محض وكمال من كل وجه ، فالشر ليس إلا الرب بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله ، وإنما الشر يدخل في المقضي لا في القضاء وفي المقدور لا في القدر ، ونعني بالمقضي والمقدور الفعل الصادر من المخلوق ، فالمخلوق هو الذي يفعل الشر ، فالقدر فعل الله تعالى وكله خير لا ينقسم إلى خير وإلى شر ، وأما المقدور فهو فعل العبد وهو ينقسم إلى خير وإلى شر ، فالكفر شر باعتبار نسبته إلى العبد ، والظلم شر باعتبار نسبته إلى العبد ، فلابد من التفريق بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق ، ففعل الله وخلقه كله خير لا شر فيه ، وإنما الشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله ، فإن أسماءه الحسنى وصفاته العليا تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه ، وذلك لأن الشر إن أريد به وضع الشيء في غير موضعه فهو الظلم ، ومقابله العدل والله منزه عن الظلم جل وعلا{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦]

وقال : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي)) (١٠٣٣) رواه مسلم من حديث أبي ذر ، فالله تعالى منزه عن الظلم لكمال عدله ، وإن أريد بالشر ما يلحق

(١٠٣٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ (٧٧١).

العبد من الأذى بسبب ذنب ارتكبه العبد فإن هذا لا يعد شرًا له ، بل هو عدل منه جل وعلا .

وبالجملة فإن أفعال الله تعالى خير كلها ومصلحة كلها ، وحكمة كلها لا شر فيها بوجه من الوجوه ، وهو سبحانه منزه عن نسبة الشر إليه مطلقًا لا إلى ذاته ولا إلى أسمائه وصفاته ولا إلى أفعاله ، فالشر لا يضاف إلى الرب جل وعلا ، لا وصفًا ولا فعلاً ، سبحانه وتعالى وتقدس ، والله أعلم وأعلى .

فإن قلت :ـ وكيف تقول :ـ إن ما كتب في اللوح المحفوظ لا يدخله التغيير ولا الزيادة ولا النقصان ،والله تعالى يقول{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} [الرعد: ٣٩]؟ فأقول :ـ هذه الآية واضحة الدلالة ليس فيها شيء يوجب الإشكال ، وبيان ذلك أن يقال : اعلم - رحمك الله تعالى - أن القدر نوعان :

الأول : القدر المثبت أو المطلق أو المبرم ، ويراد به ما قد كتب في أم الكتاب أي اللوح المحفوظ فإن هذا التقدير ثابت لا يتبدل ولا يتغير ولا يزاد فيه ولا ينقص ، وهذا هو المراد بقوله تعالى{وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: ٣٩]وبناءً عليه فالآجال والأرزاق والأعمال وغيرهما التي كتبت في أم الكتاب ثابتة لا يعتريها شيء من التغيير والتبديل .

الثاني : القدر المعلق أو المقيد ، وهو ما في صحف الملائكة ، فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات ، فإن الله تعالى قد أمر الملك أن يكتب له أجلاً ، وقال : إن وصل رحمه زدته كذا وكذا ، والملك لا يعلم أيزداد أم لا ؟ لكن الله تعالى يعلم ما يستقر عليه الأمر ، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ، وكذلك يقال في الأرزاق والمصائب ونحوها ، فإنه قد يثبت منها أشياء في الكتب التي بأيدي الملائكة ، وقد يمحى منها أشياء ، وذلك كله داخل تحت قوله تعالى{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} [الرعد: ٣٩] فهذا المحو والإثبات إنما يكون في الصحف التي بأيدي الملائكة ، وكل ذلك قد كتب في أم الكتاب ، أعني الأقدار وأسبابها ، فلا تبديل ولا محو ولا إثبات فيما كتب في اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

(١٠٣٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (٢٥٧٧).

فإن قلت :ـ وهلا وضحت لنا بعض الأخطاء والمحاذير التي تقع من بعض الناس في باب القضاء والقدر ؟ فأقول :ـ نعم ، وهي كثيرة ، ولكن من أهمها ما يلي :ـ

منها : وهو أعظمها الخوض في هذا الباب بلا علم ولا برهان والنزاع فيه ، فإن هذا زلل عظيم ومزلق وخيم ، وهاوية كبيرة قل من يسلم منها إذا وقع فيها ، ولذلك وردت الأدلة والآثار محذرة من ذلك كل التحذير ،

فقد روى أحمد وابن ماجه بإسناد حسن عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله خرج على الصحابة وهم يتنازعون في القدر ، هذا ينزع آية وهذا ينزع آية ، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان ، فقال : ((بهذا أمرتم - أو بهذا وكلتم - أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتهم عنه فاجتنبوه)) (١٠٣٤) .

وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا : ((وإذا ذكر القدر فأمسكوا)) (١٠٣٥) وحسن إسناده الإمام العراقي

(١٠٣٤) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٦٦٦٨)، (٦٨٤٥)، وابن ماجه في سننه باب في القدر (٨٥)، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٠٣٦٧) وابن أبي عاصم في السنة (٤٠٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (١٣٠٨)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (١٧٩) (١٨٠) (١١١٨) (١١٩١) والبيهقي في القضاء والقدر (٤٤٠) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٢٧٦،٥٣٨، ١٩٨٥) من طريق: داود بن أبي هند، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، به.

فإسناده حسن، ورجاله ثقات، فعمرو بن شعيب، وأبوه صدوقان يحسن حديثهما.

قلت: وأخرج الحديث مسلم في صحيحه بلفظ عن عبد الله بن عمرو، قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوما، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ، يعرف في وجهه الغضب، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم، باختلافهم في الكتاب».

(١٠٣٥) ضعيف

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، والبيهقي في القضاء والقدر (٤٤٤) من طريق: مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمداني، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله، به.

فإسناد ضعيف، ففيه مسهر بن عبد الملك بن سلع، وهو لين الحديث، وقال فيه النسائي: ليس بالقوي، وقد تفرد به كما قال البيهقي: تفرد به مسهر بن عبد الملك بإسناده هذا.

وابن حجر والسيوطي والمباركفوري ، وقد قال الله تعالى{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } [الإسراء: ٣٦]وإن الخوض في القدر بلا علم ولا برهان قد أورث كثيرًا من الأسئلة الاعتراضية التي لا ينبغي أن يسأل عنها وقد أورث أن بعض الناس يبحث في الجوانب الخفية في هذا الباب ، وأفضى أيضًا إلى ترك التسليم والإذعان لله تعالى في قدره ، وكثير من الناس أقحم عقله الضعيف العاجز في اكتشاف مسائل هذا الباب من غير اهتداء بنور الكتاب والسنة ، وهذا أدى إلى التنازع والافتراق في هذا الباب ، وكل ذلك سببه الكلام في هذا الباب بلا علمٍ ولا نورٍ من الله ، فاحذر من ذلك الأمر الخطير ، والله يحفظنا وإياك .

ومنها : الاحتجاج به على فعل المعائب أي المعاصي وقد تقدم لنا الحكم فيه والأجوبة عنه.

ومنها : الاتكال على ما كتب وترك تحصيل الأسباب الشرعية وغيرها اعتمادًا على ما سبق به العلم وهذا خطأ فادح ومهيع وخيم جدًا ومدخل شيطاني لابد من سده بمعرفة منهج أهل السنة ، وسيأتي الكلام عليه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

ومنها : عدم الاهتمام بشأن الدعاء ويرى أنه لا حاجة له ؛ لأنه لو دعا ثم دعا فلن يأتيه إلا ما قدر له ، فما قدر له فإنه يأتيه بلا دعاء وما لم يقدر له فلن يأتيه ولو استفرغ جهده في الدعاء ، وهذا فرع من فروع الاتكال على القدرة وتعطيل الأسباب الشرعية ،

وقد قال - عليه الصلاة والسلام - : ((ولا يرد القدر إلا الدعاء)) (١٠٣٦) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وحسنه الألباني - رحم الله الجميع رحمة واسعة - .

وأخرجه الحارث بن مُحَمَّد في مسنده (٧٤٢) والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٧٤٠) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٠،٢٣٥١) من طريق أبي قلابة عن ابن مسعود ﷺ.

وأبو قلابة (اسمه عبد الله بن زيد بن عمرو) لم يسمع من ابن مسعود ﷺ.

(١٠٣٦) ضعيف

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئًا يعطى أحب إليه من أن يسأل العافية ، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء)) (١٠٣٧) وحسنه الألباني أيضًا .

وقال ﷺ ((لا يغني حذر من قدر وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)) (١٠٣٨) وحسنه الألباني أيضًا .

أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٣٨٦)، (٢٢٤١٣)، (٢٢٤٣٨)، وابن ماجه في سننه في باب القدر (٩٠)، والروياني في مسنده (٦٢٦)، (٦٤٣)، وابن حبان في صحيحه (٨٧٢)، والحاكم في المستدرك (١٨١٤)، (٦٠٣٨) والطحاوي في شرح مشكل الأثار (٣٠٦٩) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٨٦٧) ووكيع في الزهد (٤٠٧) وهناد بن السري في الزهد (٢/ ٤٩١).

من طريق: عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان، به.

ففيه: عبد الله بن أبي الجعد، وهو مجهول، ولم يوثقه إلا ابن حبان، وهو رحمه الله كما سلف متساهل في توثيق المجاهيل،

وأخرجه الترمذي فس سننه في أبواب القدر، بَابُ مَا جَاءَ لَا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ (٢١٣٩) والبزار في مسنده (٢٥٤٠) والطحاوي في شرح مشكل الأثار (٣٠٦٨) والطبراني في المعجم الكبير (٦١٢٨) وفي الدعاء له (٣٠).

من طريق: يحي بن الضريس، عن أبي مودود، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، به.

ففيه: أبو مودود فضة، وهو لين الحديث، وتفرد ابن الضريس برفعه، والأصل في الحديث أنه موقوف على سلمان، كما سلف في حديث: إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا

وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب من حديث سلمان لا نعرفه إلا من حديث يحي بن الضريس

(١٠٣٧) ضعيف

أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الدعوات (٣٥٤٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩١٦٨) والحاكم في المستدرك (١٨١٥)، والبيهقي في القضاء والقدر (٢٤٨)،

من طريق: يزيد بن هارون، عن عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر،

ففيه: عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف الحديث،

وقد قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو المكي المليكي، وهو ضعيف في الحديث قد تكلم فيه بعض أهل الحديث من قبل حفظه.

(١٠٣٨) ضعيف

أخرجه الطبراني في الدعاء (٣٣)، وفي المعجم الأوسط (٢٤٩٨)، والحاكم في المستدرك (١٨١٣)، والبيهقي في القضاء والقدر (٢٤٦)،

من طريق: زكريا بن منظور، عن عطاف الشامي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، به.

ففيه: زكريا بن منظور، وهو ضعيف، وشيخه عطاف الشامي، مجهول.

وأما ما يتردد على لسان الصوفية من قولهم عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : ((حسبي من سؤالي علمه بحالي)) فإنه كلام لا أصل له ، قاله أبو العباس شيخ الإسلام وغيره من أئمة الحديث .

ومنها : نسبة المشيئة إلى الظروف أو الأقدار فيقول : شاءت الظروف وشاءت الأقدار ، وهذا خطأ لأن الظروف والأقدار لا مشيئة لها وإنما الذي يشاء هو الله تعالى كما حققه الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله تعالى - .

ومنها : دعاء بعض الدعاء بقوله : اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه ، وهذا دعاء لا ينبغي ؛ لأنه قد شرع لنا ما هو خير منه وأفضل وهو الدعاء برد القضاء إذا كان فيه سوء ،

ويكفيك قوله ﷺ : ((تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء)) (١٠٣٩) رواه البخاري .

ومنها : سب القدر واتهامه والتسخط عليه ونسبة السوء إليه - والعياذ بالله تعالى - ، وهو منافٍ للأدب مع الله تعالى ، وعلامة للجزع النافي للصبر الواجب ، ومفضٍ بصاحبه إلى سخط الله تعالى كما في الحديث : ((ومن سخط فعليه السخط)) (١٠٤٠) والجزاء من جنس العمل .

ومنها : ما يفعله بعض الناس من استطلاع القدر المستقبلي عند الكهنة والمنجمين ، وهذا ضلال مبين في باب القدر ؛ لأن القدر من الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله

(١٠٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ مَنْ تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ (٦٦١٦).

(١٠٤٠) حسن

أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ، (٢٣٩٦)، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٣١) وأبي يعلى في مسنده (٤٢٥٣)، والبيهقي في الآداب (٧٢١) وفي شعب الإيمان له (٩٣٢٥) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٢١) وابن بشران في أماليه (٢٤٣).

من طريق: يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك، به.

فإسناد حسن، ففيه سعد بن سنان، هو صدوقٌ له أفراد، ويحسن حديثه.

قال الترمذي رحمه الله: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

تعالى ، ويدخل في ذلك من يصدق بتأثير الأسماء والأبراج فيما يجري للإنسان في حياته .

ومنها : إنكار علم الله تعالى السابق أو إنكار الكتابة السابقة أو إخراج أفعال العباد أن تكون مخلوقة لله تعالى كما تقوله القدرية .

ومنها : سلب العبد قدرته ومشيئته كما هو قول الجبرية .

ومنها : زعم أن الإنسان مخير مطلقًا أو مسير مطلقًا .

ومنها : قول العبد (لو) أو (ليت) عند نزول الأمر المؤلم وقد قدمنا ذلك سابقًا .

ومنها : تمني الموت بسبب ما نزل به من الضر ، هذا حرام لا يجوز ، قال - عليه الصلاة والسلام - : ((لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنيًا فليقل اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي)) (١٠٤١) متفق عليه .

ومنها : قتل نفسه ، وهو المعروف بالانتحار ، وهذا جريمة عظيمة وعقوبتها وخيمة ، قال تعالى : {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: ٢٩، ٣٠]

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((من وجأ نفسه بحديدة فقتل نفسه فحديدته في يده يجأ بها في بطنه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن تحسى سمًا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا)) (١٠٤٢) متفق عليه .

(١٠٤١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، بَابُ تَمَنِّي المَرِيضِ المَوْتَ (٥٦٧١)، كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ بِالْمَوْتِ وَالحَيَاةِ (٦٣٥١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي الْمَوْتِ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ (٢٦٨٠).

(١٠٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالخَبِيثِ (٥٧٧٨)، ومسلم في صحيحه في الإيمان، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ (١٠٩).

وقتل النفس دلالة صريحة على التسخط على القدر ، والمخيف أنه قد هذه الآونة الأخيرة بدأ يكثر ، فنعوذ بالله من الخذلان والله أعلم .فهذه بعض الأخطاء في هذا الباب المهم فاحذر وحذر منها ، عافانا الله وإياك من كل سوءٍ وبلاءٍ ، والله أعلم .

فإن قلت :ـ وما ثمرات الإيمان بالقدر ؟ فأقول :ـ لقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى جملا من تلك الثمرات الطيبة العطرة ، ومما ذكروه ما يلي :ـ

الأولى : حصول الهداية وزيادة الإيمان .

الثانية : خفة حدة المصائب النازلة والأقدار المؤلمة .

الثالثة : راحة النفس وطمأنينتها لأنها تعلم أن كلاً بقضاء وقدر وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها

الخامسة : محاربة اليأس والقنوط والعجز والكسل .

السادسة : الشجاعة والإقدام واطراح الخور والجبن .

السابعة : تربية النفس على القناعة .

الثامنة : سد باب الدجل والخرافة وتحرير العقول من ربقتها لأن المؤمن بالقدر لا يعتمد على خبر دجال ولا عراف ولا كاهن ولا يستطلع إلى مستقبله إلا بالبناء الصحيح بالجد والعزيمة الصادقة والاجتهاد في العمل ، والله تعالى أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

قل ليس في القدر المقدر حجة كي يستمر على الذنوب الجاني

لكنه عند المصائب فرجة أو عند توبتنا من العصيان

أقول :ـ هذه الأبيات يتكلم فيها الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له عن حكم الاحتجاج بالقدر ، والمسألة هذه فيها تفصيل ، فنقول وبالله تعالى التوفيق ، ومنه نستمد الهون والفضل :ـ

(الفرع الأول) اعلم رحمك الله تعالى أن مذهب أهل السنة والجماعة - رحمهم الله تعالى - هو أن الاحتجاج بالقدر منه ما هو سائغ مشروع ومنه ما هو زائغ ممنوع ، فأما السائغ المشروع فأمران :

الأول : الاحتجاج بالقدر عند نزول المصائب ، فإذا نزلت المصائب فعلى العبد أن يتسلى بنسبتها للقدر فيقول : قدر الله تعالى ذلك ولا دافع لقضائه ولا معقب لحكمه ، قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } [الحديد: ٢٢] وقال تعالى{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١] قال علقمة : ((هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم)) (١٠٤٣) .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)) (١٠٤٤).

الثانية : الاحتجاج بالقدر على المعصية التي قد تاب منها التوبة النصوح الصادقة ، فهذا أيضًا جائز لا بأس به ؛ لأنه لا يريد بهذا الاحتجاج أن يسوغ لنفسه الاستمرار عليها ؛ لأنه قد تاب منها، فإذا وقع الإنسان في شيء من المحرمات ثم تاب التوبة النصوح فعوتب في ذلك فله أن يقول : هذا أمر قدره الله علي ،

ويستدل على ذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين في محاجة موسى وآدم - عليهما الصلاة والسلام - وفيه: ((فقال آدم : يا موسى أتلومني على أن عملت عملاً كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين عامًا)) (١٠٤٥) فآدم - عليه الصلاة والسلام - احتج على أكله من الشجرة بأنه أمر مكتوب ومقدر عليه ، لكن هذا الاحتجاج إنما وقع بعد التوبة النصوح المقبولة ، قال تعالى : ؟ ثم

(١٠٤٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٢١)، بسندٍ صحيح

(١٠٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (٢٦٦٤).

(١٠٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٢)، بهذا اللفظ، لكن رواه البخاري وغيره بغير هذا اللفظ.

اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ؟ ، فهذا الحديث فيه دلالة على جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية التي تاب منها التوبة النصوح ، والله أعلم .

الثالثة : الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية التي لا يزال يقارفها مسوغًا لنفسه بهذا الاحتجاج الدوام عليها والاستمرار في تعاطيها ، وهذه هي الحالة الزائغة الممنوعة وتفصيل الجواب عنها سيأتي في الفرع الثاني ، فأقول :ـ

(الفرع الثاني) وهو حكم الاحتجاج بالقدر على المعصية التي لا يزال يقارفها ، ويريد بهذا الاحتجاج تسويغ الاستمرار على مقارفتها ، ولكن أقول : قبل الإجابة على هذا السؤال المهم أحب أن أنبهك على أمرين مهمين غاية الأهمية ، وهما :

الأول : اعلم أن القاعدة عند أهل السنة تقول : يجوز الاحتجاج بالقدر في المصائب لا المعائب ، ونعني بالمعائب أي المعاصي التي لا يزال يقارفها، وقد شرحنا هذه القاعدة في القواعد المذاعة.

الثاني : اعلم أن أهل السنة - رحمهم الله تعالى - يقولون : إن الاحتجاج بالقدر حجة إبليسية التأصيل والتخطيط وآدمية التنفيذ ، فأساسها من كيد الشيطان الرجيم ، والمنفذ لها تطبيقًا عمليًا هم كثير من بني آدم ، والله أعلم .

ثم نقول : الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية وترك الواجب حجة داحضة باطلة كل البطلان نقلاً ، وعقلاً ، وحسًا ، وفطرة ، وبيان ذلك من وجوه عشرة :

الأول : أن القرآن أبطل هذه الحجة غاية الإبطال ولم يعتبرها شيئًا وسماها جهلاً وتخرصًا وظنًا كاذبًا ونفى أن تكون من العلم في شيء ، ووصفها بالزور والبهتان ، قال تعالى { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١٤٨] وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل: ٣٥] وقال تعالى {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ

تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [الزمر: ٥٦ - ٥٩] ، وقال تعالى عن الذين عبدوا الملائكة أنهم قالوا {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الزخرف: ٢٠] وأي إبطال بعد هذا الإبطال وما كان باطلاً فإنه لا يسوغ للعاقل أن يتمسك به .

الثاني : اتفاق السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة على عدم اعتبار ذلك حجة مقبولة ، فإنهم - رضي الله عنهم - لم يؤثر عن أحد منهم شيء من ذلك ، بل كانوا ينكرون على المخالف ويعاقبون من وقع فيما يقتضي العقاب من فعل محظور أو ترك مأمور بلا نظر في أن ذلك مقدرًا عليه ، ولاشك أن الإجماع ثابت ثبوتًا قطعيًا في هذه المسألة ، فعلى من نصح لنفسه وأرد لها النجاة باتباع هذا الإجماع فإنه من سبيل المؤمنين التي من اتبع غيرها ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا .

الثالث : أن الأدلة من الكتاب والسنة قد دلت الدلالة القاطعة الصريحة على أن حجة الله على عباده قد قامت بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، قال تعالى {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥] فلا حجة للعباد في ترك المأمور أو فعل المحظور ، فإن الله تعالى قد بين لنا طريق الخير من الشر فالحجة قد قامت والمحجة قد بانت فلم يبق لأحدٍ بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب حجة لمحتج .

الرابع : أن الاحتجاج بالقدر لو كان حجة مقبولة لأدى ذلك إلى إبطال الشرائع ؛ وذلك لأنه يسوغ لكل أحد ترك امتثال الأمر المشروع وارتكاب الشيء الممنوع أن يقول : الله قدره علي ، وكل الأشياء بقدر الله ، فلا داعي إذًا إلى الشرائع ولا إرسال الرسل ولا إلى خلق النار ولا إلى حساب وعذاب ، إذ كل أحدٍ سيحتج بالقدر ، فبان بذلك أنه حجة داحضة باطلة لأنها موصلة إلى هذه النتيجة الباطلة ، وما أدى إلى الباطل فهو باطل .

الخامس : أن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي مع مخالفته للمنقول فهو أيضًا مناقض للمعقول ، وبيان ذلك أن الإنسان قبل فعل هذه المعصية هل كان يعلم أن

الله قدرها عليه ؟ بالطبع لا ، فيكون هو الذي أقدم على فعلها اختيارًا منه لا اضطرارًا ، ولماذا لا يتركها ويقول : لم يقدرها الله علي ، بل لماذا لا يقبل على فعل الطاعة ويقول : الله قدر علي في هذا الوقت أن أفعل هذه الطاعة ، فإن هذا قليل فاعله ، أما أن يتقحم في المعاصي ويخالف أمر ربه ويتنكب عن الصراط المستقيم ويرتكب المحرمات وموبقات الآثام ، ويقول : الله قدرها علي ، فهذا خائب خاسر تائه ضائع لا حظ له في الآخرة ولا ينفعه ذلك يوم القيامة ؛ لأنه لم يكن يعلم ما قدر له حتى يقول : الله قدرها علي ، والله أعلم .

السادس : أن الاحتجاج بالقدر فيه تعطيل للأسباب التي جاءت الشريعة بإثباتها والأمر بها ، فإن الشريعة قد ربطت الآثار بأسبابها فمن أراد هذا الشيء فعليه بتحصيل سببه أما أن يريد آثار الأسباب من غير تحصيل للأسباب فإن هذا قدح في الشرع وعجز وكسل وخور فإن من أراد الولد فلا بد أن يحصل الزواج ؛ لأنه طريق الولد ، لكن من ترك الزواج وقال : إن كان الله قدر لي الولد فسيأتيني ولو لم أتزوج ، فهذا هو الحمق بعينه والجنون بعروقه .ولو قال قائل : أنا لن أذهب للعمل وإذا كان الله قد قدر لي حصول الراتب آخر كل شهر فسيأتي الراتب ولو لم أسع لتحصيله ، فبالله عليك هل هذا الكلام يمكن أن يصدر من عاقل يعرف ما يقول ؟ ولو قال قائل : أنا لن أذاكر ولن أجتهد في حفظ الدرس وفهمه ولو قدر الله لي النجاح فسأنجح ولو لم أبذل سببًا ، فقل لي بالله عليك ما رأيك بهذا الكلام فإني أدع الجواب لعقلك وقلبك ، وهذا يبين أن الأشياء قد ربطت بأسبابها والتفريق بين الآثار وأسبابها قدح في الشرع وخبل في العقل فنقول : وكذلك أيضًا الهداية ودخول الجنة فإنها قد ربطت بأسبابها ،

ففي الحديث : ((فاستهدوني أهدكم)) (١٠٤٦) ،

وفي الحديث الآخر : ((اعقلها وتوكل)) (١٠٤٧) ،

(١٠٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (٢٥٧٧).

(١٠٤٧) ضعيف

فمن أراد الهداية فعليه بسلوك سبب تحصيلها ومن أراد الجنة فعليه بسلوك سبب تحصيلها من فعل المأمورات وترك المحظورات مع الإخلاص والمتابعة ، ويوضح ذلك أكثر أن نقول : اعلم يا من تحتج بالقدر أنك لا تحتج به إلا في ترك أمور الطاعة وفعل الحرام فقط ، أما في أمور الدنيا فلا نراك تحتج بالقدر على ترك أسبابها ، بل تفني نفسك ووقتك في تحصيل أسبابها ، ونقول : لابد من الأخذ بالأسباب ، وأما أمور الطاعة والأخذ بأسباب دخول الجنة من تحصيل الهداية والاستقامة فإنك تقول : إذا شاء الله أن يهديني فستحصل الهداية ، وإذا أراد الله أن يدخلني الجنة فسيحصل ذلك ، وهذا عين التناقض ، فبالله عليك كيف تأخذ بتحصيل أسباب الرزق وقد تكفل الله به وتترك تحصيل أسباب الجنة التي ما خلقت أصلاً إلا للعمل لتحصيلها ، فهذا والله لا يسوغ عند العقلاء ، وهذا دليل من الحس ، والله أعلم .

السابع : أن العبد مأمور بالإيمان بالقدر واتباع الشريعة بفعل المأمور واجتناب المحظور ، فلا تناقض بين القدر والشرع ، فالمحتج بالقدر على ترك المأمور أو فعل المحظور هو في حقيقته مؤمن بوجود التناقض بين قدر الله وشرعه وهذا فيه قدح كبير في علم الله وحكمته ، بل يجب عليك أن تعلم أن من لم يؤمن بالشرع فإنه مكذب بالقدر لأن شرع الله من جملة قدره ، ومن لم يؤمن بالقدر فإنه مكذب للشرع ،

أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب صفة القيامة (٢٥١٧)، وابن أبي الدنيا في كتابه التوكل على الله (١١) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٩٠)، والبيهقي في الآداب (٧٧٨)، وفي الشعب (١١٦١)،

من طريق: يحيى بن سعيد القطان عن المغيرة بن أبي قرة السدوسي، عن أنس بن مالك،

ففيه: المغيرة بن أبي قرة السدوسي، وهو مجهول، لا يعرف حاله

وقال الترمذي رحمه الله: قال عمرو بن علي: قال يحيى: «وهذا عندي حديث منكر» : «وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه»

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٧٠)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٥٩)،

من طريق: يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية، عن جعفر بن عمرو بن أمية قال: قال عمرو بن أمية

ففيه: يعقوب بن عمرو بن عبد الله الضمري، وهو مجهول.

ولذلك قال ابن عباس : القدر نظام التوحيد ، فمن اعتقد أن هناك تعارضًا بين القدر والشرع فهو زنديق ، ولا يصل العبد إلى ذلك إلا بالاحتجاج بالقدر على ترك الشرع ، فاحذر من ذلك يا رعاك الله .

الثامن : أن العباد مطالبون بالنظر فيما أمروا به فيفعلونه وفيما نهوا عنه فيتركونه ، هذا هو الذي تعبدنا الله تعالى به وهو الذي سنسأل عنه يوم القيامة ولسنا مأمورين بالنظر فيما قدر لنا ؛ لأن هذا أصلاً في علم الغيب ولا يستطاع العلم به ، بل قد نهينا عن الخوض في القدر بلا علم أو برهان ، فنحن مطالبون بالاجتهاد في العمل لا في مطالعة الأقدار ، فالمحتج بالقدر ترك ما هو مأمور به من العمل ونظر فيما لم يؤمر به من مطالعة القدر ، فأشغل نفسه في مطالعة ما لا يعود عليه بالنفع لا العاجل ولا الآجل ، بل أشغل نفسه فيما يعود عليه بالضرر ؛ لأن الهدى والصلاح والبر والتقوى إنما هي في متابعة الرسول ؟ لا في مجرد النظر فيما قدر لنا ، والله المستعان .

التاسع : أن العبد مأمور بالتوبة إذا وقع منه الزلل أمر إيجاب ، قال تعالى {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: ٣١] وقال تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم: ٨] والاحتجاج بالقدر على فعل المعصية قاتل لانبعاث التوبة في القلب ، وبيان ذلك أنه قد سوغ لنفسه الاستمرار على هذه المعصية بأن الله قدرها عليه فلا يفكر أن يتوب منها لأنه وإن رآها خطأ إلا أنه يرى أنه معذور في فعلها لأنها مما قدر وكتب عليه ، فتراه مستمرًا عليها لا ينزجر عن فعلها ولا يرعوي عن مقارفتها ، والتوبة أمر مقصود شرعًا والاحتجاج بالقدر يدفع هذا المقصود الشرعي ، وما دافع المقصود الشرعي فإنه باطل .

العاشر : أن الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية لو كان حجة مقبولة لبادر بها إبليس لمَّا تخلف عن السجود ولقال يا رب أنت قدرتها علي ، لكن علم في قرارة نفسه أنها لا تنفعه لأنها في الحقيقة ليست عذرًا مقبولاً ، فإبليس بهذا مثله كمثل من يروج المخدرات وهو لا يستعملها فهو يروج لهذه البضاعة - أعني الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية - وهو عالم كل العلم أنها ليست مما ينفع ، ولذلك عدل

عنها .فهذه بعض الأوجه في كشف زيف هذه الحجة ولعلها تكون كافية إن شاء الله تعالى ، والله أعلى وأعلم .

ولذلك قال الناظم عفا الله تعالى عنه (قل) أيها السني :ـ إنه (ليس في القدر المقدر) من الله تعالى (حجة) لأحد من الناس ، والمراد من نفي الاحتجاج بالقدر هنا في هذا البيت أي الاحتجاج الزائغ الممنوع ، وهو الاحتجاج بالقدر (كي يستمر على الذنوب الجاني) أي العاصي المقترف للأمر المحرم ، فهذا أمر محرم ، وبينا أوجه منعه قبل قليل ، و (لكنه) أي الاحتجاج بالقدر (عند) نزول (المصائب فرجة) من الله تعالى وسبب من أسباب تخفيف المصيبة كما قدمنا ذلك ، (أو) أي وكذلك الاحتجاج بالقدر يكون جائزا (عند توبتنا من العصيان) أي عند المعصية التي قد تاب منها وأقلع عنها ، والله أعلم .وبهذا الكلام نكون قد انتهينا من الكلام على المسائل القدر وتفاصيله ، ونكون به قد انتهينا من الكلام الركن الخامس من أركان الإيمان . والله تعالى وحده الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

والقبر إما روضة من جنة أو حفرة ملئت من النيران

وسؤاله حق وليس به امترا فموفق ومقارب الخذلان

والبعث والميزان حق يا فتى وكذا الصراط يجوزه الثقلان

فموفق ناج ومخذول كذا ك مكردس في هوة النيران

والحق أن النار والجنات لا تفنى على التحقيق بالعرفان

أقول :ـ هذه الأبيات والتي ستأتي بعدها يتكلم فيها الناظم عفا الله تعالى وغفر له عن الركن الأخير من أركان الإيمان ، وهو الإيمان باليوم الآخر ، والكلام عليه يطول ، ولكننا نجعل الكلام في مسائل :ـ

(المسألة الأولى) اعلم رحمك الله تعالى أن الإيمان باليوم الآخر قسمان ، إيمان عام مجمل ، وإيمان خاص مفصل ، فأما الإيمان العام المجمل فهو الإيمان بكل ما سيكون بعد الموت مما أخبرت به الأدلة ، وأما الإيمان المفصل فهو أن ينصب الإيمان على كل مسألة من قضايا اليوم الآخر على حدة ، وأول منازل اليوم الآخر الموت ، فيجب الإيمان بأن كل ذي روح سيموت ، ولا يبقى إلا الله تعالى ، فالموت قضية عامة على كل أحد من الثقلين والحيوان والملائكة ، قال تعالى {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} [الأنبياء: ٣٤] وقال تعالى {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣٠، ٣١] وقال تعالى {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن: ٢٦، ٢٧] والموت أول منازل الآخرة ، فالموت حتم لازم لا مفر منه ولا محيد لأحدٍ عنه بحال من الأحوال ولا يمنعه مانع ، قال تعالى {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ } [الجمعة: ٨] وقال تعالى {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٨] فأينما كان المخلوق فإنه سيذوق الموت سواءً كان في أرضٍ فلاة أو قصر مشيد واحتجب بالحجاب والحرس أو في المراكب الفضائية أو على كوكبٍ آخر أو نزل في أعماق البحار ، فالموت لا يسلم

منه أحد ، فإذا كان ذلك كذلك فلابد من الاستعداد له واستفراغ الأوقات في التعبد ، ولنحذر من نسيانه فإن ذلك يوجب الغفلة والاشتغال عن الاستعداد له ، نسأل الله تعالى أن يعيننا جميعًا على الاستعداد له وأن يتغمدنا بواسع رحمته وفضله ، والله أعلم .

(المسألة الثانية) فإن قلت :ـ وهل الروح ستموت ؟ فأقول :ـ الحق في هذه المسألة هو ما قرره ابن القيم رحمه الله تعالى ، وهو أن موت الروح إن قصد به مجرد مفارقتها للجسد فإنها تموت بهذا الاعتبار فقط ، وإن قصد به فناؤها وانعدامها بالكلية وكأنها لم توجد ، فهي لا تموت بهذا الاعتبار ، فإن الله تعالى خلق الروح للبقاء لا للفناء ، وبالمناسبة فقد قرر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن هناك عدة أشياء خلقها الله تعالى للبقاء لا للفناء ، وهي ثمانية أشياء نظمها السيوطي بقوله:

ثمانية حكم البقاء يعمها   الخلق والباقون في حَيِّزِ العَدَمْ

هي العرش والكرسي، نار وجنة   وعَجْبٌ وأرواح كذا اللوحُ والقَلَم

والمهم أن التفصيل الذي ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في موت الروح هو الحق في هذه المسألة والله تعالى أعلى وأعلم .

(المسألة الثالثة) ومما يجب الإيمان به من قضايا اليوم الآخر سؤال القبر ونعيمه وعذابه ، وقد تواترت الأدلة في إثبات هذا الأمر ، فمنها : قوله تعالى في آل فرعون {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } [غافر: ٤٦] وقال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال: ٥٠] قال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣] وقال تعالى {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة: ١٠١] فقد قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن إسحاق : أن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ، والعذاب

العظيم هو عذاب جهنم - نعوذ بالله من عذاب القبر وعذاب النار - . وقال تعالى {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } [إبراهيم: ٢٧] فقد ثبت في الصحيحين من حديث البراء عنه رضي الله عنه : أنها نزلت في عذاب القبر .(١٠٤٨)

وأما السنة فهي طافحة بإثبات ذلك ،

ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيجلسانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد ﷺ - فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله ، فيقولان : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله مقعدًا من الجنة ، فيراهما جميعًا ، وأما المنافق أو الكافر فيقولان له : ما تقول في هذا الرجل ، فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ويُضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان)) .(١٠٤٩)

وفيهما أيضًا عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال له : هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل)) (١٠٥٠).

(١٠٤٨) أخرجه البخاري في صحيحه فكتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ (١٣٦٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٧١).

(١٠٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه فكتاب الجنائز، بَابٌ: المَيِّتُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ (١٣٣٨)، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ (١٣٧٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٧٠).

(١٠٥٠) أخرجه البخاري في صحيحه فكتاب الجنائز، بَابُ المَيِّتِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ (١٣٧٩)، كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٣٢٤٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٦٦).

وروى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت : تعوذي بالله من عذاب القبر ، فسألت عائشة النبي ﷺ عن عذاب القبر فقال : ((نعم عذاب القبر حق)) . قالت عائشة : فما صلى النبي ﷺ صلاة بعد قط إلا تعوذ بالله من عذاب القبر. (١٠٥١)

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان في حائط لبني النجار على بغلة له والصحابة معه ، إذ حادت به وكادت تلقيه فإذا أقبرٌ ستة أو خمسة ، فقال : ((من يعرف هذه الأقبر)) ؟ فقال رجل : أنا . قال : ((فمتى ماتوا)) ؟ قال : في الشرك . فقال : ((قد أوحي إلي أن هذه الأمة تفتن في قبورها ولولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع)) ثم قال : ((تعوذوا بالله من عذاب القبر)) . فقالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : ((تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ...)) الحديث (١٠٥٢) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : مر النبي ﷺ بقبرين فقال : ((أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبر ، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله ، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة)) ، فدعا بجريدة رطبة فشقها باثنتين فغرز على كل قبر واحدة ، فقالوا : لم فعلت ذلك يا رسول الله ؟ قال : ((لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا)) (١٠٥٣) .

(١٠٥١) أخرجه البخاري في صحيحه فكتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ (١٣٧٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٦٦).

(١٠٥٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٦٧).

(١٠٥٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء، بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ البَوْلِ (٢١٨)، كتاب الجنائز، بَابُ الجَرِيدِ عَلَى القَبْرِ (١٣٦١)، بَابُ عَذَابِ القَبْرِ مِنَ الغِيبَةِ وَالبَوْلِ (١٣٧٨)، كتاب الأدب، بَابُ الغِيبَةِ (٦٠٥٢)، بَابٌ: النَّمِيمَةُ مِنَ الكَبَائِرِ (٦٠٥٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَوُجُوبِ الِاسْتِبْرَاءِ مِنْهُ (٢٩٢).

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا : ((إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول : أعوذ بالله من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال)) (١٠٥٤).

ومن ذلك الحديث الطويل حديث البراء بن عازب : ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة كأن على وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان)) ، قال : ((فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وجدت على وجه الأرض)) ، قال : ((فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها على ملأٍ من الملائكة - إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء ، فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماءٍ مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى)) ، قال : ((فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ؟ فيقولان له : وما عملك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادي منادٍ من السماء : أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة)) ، قال: ((فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مُدَّ بصره)) ، قال : ((ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ، فيقول : أبشر بالذي يسرك أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي)) ، قال : ((وإن العبد الكافر إذا كان في

(١٠٥٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ (١٣٧٧) ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد، بَابُ مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ (٥٨٨).

انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مَدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب)) ، قال : ((فتتفرق روحه في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعني على ملأٍ من الملائكة - إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح له)) ، - ثم قرأ رسول الله ﷺ {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط } - ، ((فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا)) ، - ثم قرأ : ﷺ{ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به في مكان سحيق} - ، ((فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : ومن أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : رب لا تقم الساعة))

(١٠٥٥) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود وغيرهم .

(١٠٥٥) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٥٣٤)، (١٨٦١٤)، وهناد بن السري في الزهد (٣٣٩)، وأبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (١١٠)، والروياني في مسنده (٣٩٢)، والآجري في الشريعة (٨٦٤)، والحاكم في المستدرك (١٠٧)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠)، (٤٤)، وفي الشعب (٣٩٠)، وغيرهم.

من طريق: الأعمش، عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، به.

ففيه: منهال بن عمرو، وشيخه ذازان، وهما صدوقان يحسن حديثهما.

وقد ذهب إلى موجب هذه الأحاديث جميع أهل السنة والحديث ، فهذه بعض الأدلة على إثبات هذه القضية العظيمة ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) فإن قلت :ـ وهل عذاب القبر دائم على صاحبه أو منقطع ؟ فأقول :ـ التحقيق في ذلك أنه يختلف باختلاف الميت ، فإن كان من أهل الكفر والشرك والنفاق الاعتقادي فإن عذابه في القبر دائم لا ينقطع ، وأما إن كان من الذين معهم أصل الإسلام والإيمان فإن عذابه منقطع ، وهو بمثابة المكفر عنه ذنوبه وخطاياه ، نعوذ بالله من عذاب القبر وعذاب النار مطلقًا ، والله ربنا أعلى وأعلم .

(المسألة الخامسة) فإن قلت :ـ وهل عذاب القبر يقع على الروح أو الجسد ؟فأقول :ـ مذهب أهل السنة والجماعة أن عذاب القبر على الروح والجسد إلا أنه على الروح أصلاً ويدخل معها الجسد تبعًا ، والله أعلم .

(المسألة السادسة) فإن قلت :ـ وهل سؤال القبر خاص لهذه الأمة أو عام لسائر الأمم ؟ فأقول :ـ فيه خلاف ، ومقتضى الأدلة أنه عام لكل الأمم وما ورد في بعض الأحاديث من قوله : ((إن هذه الأمة تفتن في قبورها)) و((أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم)) (١٠٥٦) فلا يعد تخصيصا؛ لأن هذا ذكر للعام ببعض أفراده وقد تقرر في الأصول أن ذكر العام ببعض أفراده ليس بتخصيص ، والله أعلم .

(المسألة السابعة) فإن قلت :ـ و هل سؤال القبر مخصوص بمن دفن فقط أم أنه نائل كل من مات ؟ فأقول :ـ لا ، بل هو عام لكل من مات سواءً دفن أو لم يدفن ، وسواء احترق وتفرقت أجزاؤه ، أو أكلته السباع ، أو سفته الريح ، أو غرق في البحر وأكلته الأسماك ، أو صلب وبقي على الجذع حتى تحللت أعضاؤه أو غير ذلك ، كل هؤلاء يسألون وينعمون إن كانوا من أهل النعيم ، ويعذبون إن كانوا من أهل العذاب ؛ لأن الأمر غيب وقد أثبته الدليل والله قادر على كل شيء وأمور

(١٠٥٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٦٧).

البرزخ من أمور الآخرة فلا يجوز إعمال العقل فيها ، بل الواجب التسليم للنصوص والوقوف حيث وقفت ،

وفي الصحيح : في الرجل الذي أسرف على نفسه بالمعاصي فأوصى أبناءه إذا أنا مت فاحرقوني ثم ذروني في يوم ريح حتى لا يقدر علي ربي فيعذبني ، فأمر الله به فاجتمع ... الحديث ، (١٠٥٧)

فالله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، آمنا بما صح به النقل ، فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، والله أعلم .

(المسألة الثامنة) وهل سؤال القبر يكون لمن مات صغيرًا من أهل الإسلام أو مجنونًا ؟ فأقول :ـ فيه قولان لأهل السنة ، والأقرب والله أعلم أنهم لا يسألون ؛ لأنهم ليسوا من أهل التكليف ، لفقدهم أهلية التكليف ، ولأن القلم مرفوع عنهم ، ولأنهم ليسوا من أهل الابتلاء والاختبار ، وإذا سلمنا أنهم لا يسألون في قبورهم فإنهم يوفقون للإجابة ؛ لأن الله تعالى لا يعذب من ليس من أهل العذاب سبحانه وتعالى ، وبه تعلم أن الخلاف يشبه أن يكون لا ثمرة له ، والله أعلم .

(المسألة التاسعة) فإن قلت :ـ إن هناك من الناس من ينكر عذاب القبر لأنه ليس داخلا في محسوساته ، فكيف نجيب على من ينكر عذاب القبر ونعيمه لأنه لا يحس ، فلو فتح قبر المؤمن لم نر نعيمًا ولو فتح قبر الكافر لم نر عذابًا ، فكيف نجيب عنه ؟ فأقول : هنا مفترق الطرق بين الموفقين الذين يؤمنون بالغيب وبين الخاسرين المخذولين الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات ، والجواب عن هذا من جوه :

الأول : أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور الغيبية التي يجب فيها التسليم فقط ، ولا تعرض على العقول العفنة والأفهام النتنة ؛ لأنها ستنكرها إذ هي خارجة عن

(١٠٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٧٨)، كتاب الرقاق، باب الخوف من الله (٦٤٨١)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ} (٧٥٠٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ (٢٧٥٧).

مدركات هذه العقول ، وقد قال تعالى : {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } [البقرة: ٢، ٣].

الثاني : أن طرق الإثبات كثيرة وليست مقصورة على الحس والمشاهدة فقط ، فهب أن دليل الحس انعدم ، فهل انعدامه دليل على العدم ؟ بالطبع لا ، فقد ثبت ذلك من طريق آخر وهو الخبر الصادق الذي لا يتطرق إليه الشك بوجه من الوجوه ، وهو خبر الله ورسوله ﷺ ، فإن الأدلة في إثبات نعيم القبر وعذابه قد بلغت مبلغ التواتر وطريق النقل طريق ثابت بنفسه سواءً أيده دليل الحس والمشاهدة أو لا ، فيجب إثبات ما أثبته النص ، ومن جعل طريق إثبات الاعتقادات الحس والمشاهدة فقط فإنه سينكر معتقدات كثيرة أولها وجود الله تعالى ، وكثير من أمور الغيب ، وهذا نهايته التعطيل والإلحاد والزندقة والكفر البواح وجهنم وبئس القرار .

الثالث : أن عذاب القبر ونعيمه ليس من جنس عذاب الدنيا ونعيمها وإن كان الله تعالى يحمي على الكافر التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى تكون أعظم حرًا من جمر الدنيا ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها ، بل وأعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب صاحبه وهذا في حفرة من النار وهذا في روضة من رياض الجنة لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه ، وقدرة الله تعالى أعظم وأوسع من ذلك وأعجب ، فالأمر مختلف عن المعهود في الدنيا فلا ينظر إليه بعين ضيقة ، لكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا .

الرابع : أن الله تعالى أخفى عنا عذاب القبر حتى لا يتنكد عيشنا ، ولذلك فإنه قد ورد أن الثقلين لو سمعوا صراخ من يعذب في قبره لصعقوا عن آخرهم ، فرحمة منه وإحسانًا بنا أخفاه عنا ، فكيف يجعل ما هو رحمة وإحسانًا سببًا لتكذيب الشارع في خبره ؟ هذا والله عين قلة الأدب .

الخامس : أن الله تعالى تعبدنا بأشياء كثيرة ومما تعبدنا به الإيمان بالغيب ، فلو أن الله أطلع العباد على نعيم القبر وعذابه لزالت حكمة هذا التكليف أعنى الإيمان بالغيب .

السادس : أن الله تعالى لو أطلع العباد على عذاب القبر لما تدافن الناس ولبقي الأموات جثثًا هامدة على وجه الأرض لا يجدون من يدفنهم خوفًا من سماع عذاب من أراد الله تعذيبه في قبره ولانتشرت الأمراض وعم الفساد في البلاد والعباد ، ولذلك قال : ((ولولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع)) (١٠٥٨) ، ولذلك لما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته ، فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة .

السابع : أن عذاب القبر قد يكشف لمن شاء الله تعالى من عباده كما كان النبي ﷺ يسمع أحيانًا عذاب بعض أصحاب القبور ، كما في حديث صاحبي القبرين ، وكما في الحديث السابق : ((لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع)) ، وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه (الروح) قصصًا عجيبة في ذلك ، فراجعه إن شئت الاستزادة من ذلك .

الثامن : أننا مأمورون ومتعبدون بمتابعة النص من إثبات ما أثبته ونفي ما نفاه وتصديق ما أخبر به ، هذه هي الحكمة من خلقنا ، فالنص هو المقدم في كل شيء ، فالنص مقدم على العقل والعقل تابع له ، والنص مقدم على الهوى والهوى تابع له ، والنص مقدم على الحس والحس تابع له ، والنص مقدم على قول كل أحدٍ وقول كل أحدٍ تابع له ، هذا طريق من أراد السلامة في دينه ، وأما من عكس الأمر فلن يجني إلا الضلال والتردد واضطراب النفس والتكذيب وكثرة الشك والحيرة - عافانا الله وإياك - . وهذه القضية من هذه القضايا التي يجب فيها تقديم النص على الحس ، فحيث أثبت النص عذاب القبر ونعيمه وجب متابعته في الإثبات من غير مراجعة الحس هل وافقه أم لا ؟ والله أعلم .

(المسألة العاشرة) ومن قضايا اليوم الآخر التي لا بد من الإيمان بها ما ذكره الناظم عفا الله تعالى عنه بقوله (والبعث) وهي الإيمان بالبعث ، فيجب علينا الإيمان الجازم الذي لا يعتريه شك بالبعث ومعاد الأجساد وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين حفاةً عراة غرلاً، وهي من الأمور الكبار التي اشتد إنكار الكفار لها

(١٠٥٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٦٧).

، ولذلك فإن القرآن نوع الاستدلال لهذه القضية بما لا يدع مجالاً للشك في إثباتها ودونك هذه الأوجه مقرونة بأدلة ، فأقول وبالله التوفيق :

الأول : التصريح به بلفظه والإقسام على ذلك ، كما في قوله تعالى{زعم الذين كفروا أَلَّنْ يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير} ، وذلك في آيات كثيرة .

الثاني : الاستدلال على المعاد بالمبدأ ، قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧] ، وقال تعالى{ {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ } [الأنبياء: ١٠٤] وقال تعالى {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: ٧٨، ٧٩]

الثالث : الاستدلال على المعاد وبعث الأجساد بالقدرة على خلق الأشياء الكبيرة ، وهذا قياس أولوي وهو حجة بالاتفاق إلا من شذ ، كما قال تعالى{أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادرٍ على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير}وقال تعالى{لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون} وقال تعالى {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} [النازعات: ٢٧ - ٢٩] ونحو ذلك من الآيات .

الرابع : الاستدلال على ذلك بالوقوع ، كما في قصة الغلام الذي قال الله فيه{فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون} وكما في قصة عزير وحماره المذكورة في قوله تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [البقرة: ٢٥٩] بتمامها، وكما في قوله تعالى بعدها {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٦٠] ،

وكما في معجزة نبي الله عيسى - عليه الصلاة والسلام - فإنه كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله تعالى ، قال تعالى {وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي }

[المائدة: ١١٠] ، ومنه قوله تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢٤٣، ٢٤٤] ، والله أعلم .

الخامس : الاستدلال على ذلك بالإخبار بتمام القدرة الكاملة ، كما قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: ٤٤] ، وقال تعالى في آيات كثيرة {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٠] وقال تعالى {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النحل: ٤٠] فهذه بعض الأوجه التي تعرض من خلالها قضية البعث والإعادة ، والله أعلم .

(المسألة الحادية عشرة) فإن قلت :ـ وهل المعاد الجسماني عبارة عن إعادة أم إنشاء جديد ؟ فأقول : مذهب أهل السنة والجماعة أن المعاد إنما يكون لهذه الأجساد التي معنا في الدنيا ، فالمعاد حقيقته أنه إعادة للأجساد التي تحللت وأكلها الدود والأرض ، وهذا هو الذي يفيده قوله تعالى في آيات كثيرة {ثُمَّ يُعِيدُهُ} [يونس: ٤]، وهو حقيقة القدرة الكاملة من كل وجه ، والمشركون لم يكونوا ينكرون إلا هذا ولو كان المعاد إنشاءً جديدًا لما أوجب لهم ذلك الإنكار لإيمانهم أن الله هو الخالق القادر ، لكن عقولهم لم تقبل المعاد بمعنى إعادة الأجساد التي بليت والعظام التي تفتتت وتفرقت في أجزاء الأرض ، فالحق أن المعاد إعادة لا إنشاء لخلق جديد ، والله أعلم .

(المسألة الثانية عشرة) ومن قضايا اليوم الآخر الإيمان بحوض النبي ﷺ ، وهو حوض عظيم ترده أمته ، وقد تواترت في إثباته الأحاديث ،

فمن ذلك : ما رواه البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء)) (١٠٥٩).

(١٠٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابٌ فِي الحَوْضِ (٦٥٨٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٣٠٣).

ومن ذلك : حديث أنس أيضًا في الصحيح عن النبي ﷺ قال : ((ليردن علي ناس من أصحابي الحوض إذا عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول أصحابي . فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك)) (١٠٦٠).

ومن ذلك : حديث ابن عمر في الصحيح أن النبي ﷺ قال : ((أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح)) (١٠٦١) ،

وفي لفظٍ لمسلم : ((فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها أبدًا)) (١٠٦٢) .

ومن ذلك : حديث جندب في الصحيح أيضًا أن النبي ﷺ قال : ((وأنا فرطكم على الحوض)) (١٠٦٣)

ومن ذلك : حديث عقبة رضي الله عنه في الصحيح أيضًا أن النبي ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال : ((إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ...)) (١٠٦٤) الحديث .

(١٠٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابٌ فِي الحَوْضِ (٦٥٨٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٣٠٤).

(١٠٦١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابٌ فِي الحَوْضِ (٦٥٧٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٢٩٩).

(١٠٦٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٢٩٩).

(١٠٦٣) أخرجه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابٌ فِي الحَوْضِ (٦٥٨٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٢٨٩).

(١٠٦٤) أخرجه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ الصَّلاَةِ عَلَى الشَّهِيدِ (١٣٤٤)، كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٥٩٦)، كتاب المغازي، بَابٌ: أُحُدٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ (٤٠٨٥)، كتاب الرقاق، بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا (٦٤٢٦)، بَابٌ فِي الحَوْضِ (٦٥٩٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٢٩٦).

ومن ذلك : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل)) (١٠٦٥) رواه مسلم .

ومن ذلك : حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل واللبن ولآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وإني لأصد الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه)) . قالوا : يا رسول الله أتعرفنا يومئذٍ ؟ قال : ((نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرًا محجلين من أثر الوضوء)) (١٠٦٦)

ولعل هذه الأدلة كافية في إثبات هذه القضية الهامة من قضايا اليوم الآخر ، نسأله جل وعلا أن يكرمنا بالشرب من هذا الحوض المبارك ، والله أعلم .

(المسألة الثالثة عشرة) فإن قلت :ـ فهلا بينت لنا شيئا من صفاته ، فأقول :ـ نعم ، ولقد مر في الأدلة شيء منها :

فمن صفاته : أنه طويل وعريض ، عرضه كطوله ، فطوله مسيرة شهر وعرضه كذلك ، وما ورد في الأحاديث من اختلاف تحديد طوله بالأمكنة فإنما لاختلاف حال المخاطبين وما يعرفون مسافته من الأمكنة المعلومة لديهم ، فخوطب كل قوم بما عرفوه من الأمكنة .

ومن صفاته : أن من شرب منه شربة فإنه لا يظمأ بعدها أبدًا - نسأل الله الكريم من فضله العظيم - .

(١٠٦٥) أخرجه أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٣٠٢).

(١٠٦٦) أخرجه أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب كتاب الطهارة، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ (٢٤٧).

ومن صفاته : أن ماءه أشد بياضًا من الثلج واللبن . ومن صفاته : أن عليه آنية وأباريق كثيرة جدًا لا يحصيها العد فهي في كثرتها كعد نجوم السماء وأن هذه الأباريق والآنية من الذهب والفضة (١٠٦٧) كما ثبت ذلك في صحيح مسلم .

ومن صفاته : أن الشرب منه وقف على من لم يغير ولم يبدل ولم يحدث في الدين شيئًا ، ولذلك فإن هناك رجالاً يذادون عنه كما يذاد البعير الضال ويقال : ((إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم)) (١٠٦٨) رواه مسلم .

ومن صفاته : أن رائحته أطيب من ريح المسك(١٠٦٩) كما في صحيح مسلم .

ومن صفاته أيضًا : أنه يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من فضة ، كما في صحيح مسلم أيضًا من حديث ثوبان رضي الله عنه (١٠٧٠) ، والله تعالى أعلى وأعلم .

(المسألة الرابعة عشرة) فإن قلت :ـ وهل هو الكوثر الذي أوتيه نبينا ﷺ في الجنة؟ فأقول :ـ فيه خلاف بين أهل العلم ، والصحيح أن الحوض ليس هو الكوثر ، بل هما متغايران ، والدليل على ذلك أن الأدلة السابقة المثبتة للحوض تدل على أنه في عرصات يوم القيامة ، والكوثر نهر في الجنة ولا يذاد عنه أحد ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس مرفوعًا : ((بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك)) (١٠٧١)،

ومثله أيضًا حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ((الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت)) (١٠٧٢) وصححه الترمذي ،

(١٠٦٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٣٠٣).

(١٠٦٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٢٩٤).

(١٠٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٢٩٢).

(١٠٧٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ (٢٣٠١).

(١٠٧١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨١).

(١٠٧٢) حسن

وأيضًا فالمتقرر عند العرب في لسانها ومعلومها أن الحوض هو مجتمع الماء وغالب الأحيان لا يكون جاريًا ، وأما النهر فإن ماءه جار ، فاختلفا ، وأيضًا فإن الكوثر في الجنة كما ثبت به النص ، فهو من جملة نعيمها ونعيمها لا يمنع منه أحد ، والحوض قد ثبت الدليل أن رجالاً يطردون عنه ولا يمكنون من الشرب منه ، والله أعلم .

(المسألة الخامسة عشرة) فإن قلت :ـ وهل هو حوض واحد أم أن لكل نبي حوضا ؟ فأقول :ـ فيه خلاف ، والأمر سهل ، أما حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأدلته متواترة ، ومن كذب به فهو كافر لتكذيبه للنصوص المتواترة ، وأما حوض غيره فقد ورد فيه بعض الأحاديث وبعض الموقوفات ويحتاج للنظر في صحتها ، فنظرنا فإذا هي صحيحة بشواهدها ، فنقول : نعم إن لكل نبي حوضًا ترده أمته إلا أن أكبر هذه الأحواض وأكثرها واردًا هو حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ،

ففي جامع الترمذي من حديث الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده وإني أرجو أن أكون أكثرهم وراده)) ، وهذا الحديث صحيح بشواهده ، وكذلك صح ذلك عن علي رضي الله عنه ، والله أعلى وأعلم . (١٠٧٣)

أخرجه أحمد في مسنده (٥٩١٣)، والترمذي في سننه، في أبواب التفسير، باب سورة الكوثر (٣٣٦١)، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب باب صفة الجنة (٤٣٣٤)، والدارمي في سننه (٢٨٧٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٦٦٢)، (٣٤٠٩٨)، والحاكم في المستدرك (٦٣٠٨)،

من طريق: عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن عبد الله بن عمر، به.

فعطاء بن السائب صدوق إلا أنه اختلط بآخره، لكن رواه عن عطاء جماعة من الأثبات الثقات الذين رووه عنه قبل الاختلاط، منهم حماد بن زيد، ومُحَّد بن فضيل، وتابعهما جماعة ممن رووه عنه بعد الاختلاط، كأبي عوانة، وأبي الأحوص، وغيرهما، لا سيما وقد قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح.

(١٠٧٣) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض (٢٤٤٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٨٨١)،

من طريق: سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، به.

(المسألة السادسة عشرة) ومن قضايا اليوم الآخر التي يجب الإيمان بها الإيمان بتطاير صحف الأعمال ، فآخذ صحيفته باليمين وآخذ لها بالشمال أو من وراء ظهره ، قال تعالى {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٣، ١٤] ، وقال تعالى {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة: ١٩ - ٢٩] وقال تعالى في سورة الانشقاق {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا} [الانشقاق: ١٠ - ١٢] وقال تعالى { يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [الإسراء: ٧١] ، وقال تعالى {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩] ، وقال تعالى {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩] ، وفي هذا اليوم كل سيقرأ صحيفة عمله القارئ وغير القارئ ، قال قتادة وجمع من السلف : ((سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئًا)) ، وقد أجمع على ذلك أهل السنة والجماعة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى .

هذا الحديث معلول بعدة علل

الأولى:

سعيد بن بشير، ضعيف في الحديث،

الثانية:

الحسن لم يسمع من سمرة إلا أحاديث يسيرة، وليس هذا منها،

الثالثة:

الإرسال، فقد قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك، هذا الحديث عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح.

(المسألة السابعة عشرة) ومما يجب الإيمان به والتصديق القطعي به من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان ، وهو ما ذكره الناظم عفا الله عنه بقوله (والميزان حق يا فتى)ومذهب أهل السنة أنه ميزان حقيقي يرى ويوزن فيه ، له كفتان لا أنه مجرد العدل كما يقوله بعض المبتدعة ، قال تعالى {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧] وقال تعالى {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} [الأعراف: ٨، ٩] ، وقال تعالى {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ } [القارعة: ٦ - ١١]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)) (١٠٧٤) متفق عليه .

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجلٍ مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يا رب . ثم يقول : أفلك عذر أو حسنة ؟ قال : فبهت الرجل فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فيقول أحضروه ، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات . فيقول : إنك لا تظلم ، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، قال : ولا يثقل شيء مع

(١٠٧٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ (٦٤٠٦)، كتاب الأيمان والنذور، بَابُ إِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَتَكَلَّمُ اليَوْمَ، فَصَلَّى، أَوْ قَرَأَ، أَوْ سَبَّحَ، أَوْ كَبَّرَ، أَوْ حَمِدَ، أَوْ هَلَّلَ، فَهُوَ عَلَى نِيَّتِهِ (٦٦٨٢)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ}، وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ (٧٥٦٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ (٢٦٩٤).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)) (١٠٧٥) ورواه الترمذي وابن ماجه وهو حديث حسن صحيح ، فهذا فيه إثبات لميزان الآخرة.

ولأحمد أيضًا من حديث علي رضي الله عنه أن ابن مسعود رضي الله عنه صعد شجرة فهبت ريح فانكشف ساقه فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه فقال رسول الله ﷺ : ((أتعجبون من دقة ساقيه فوالذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد)) (١٠٧٦) وسنده حسن .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إنه ليأتي الرجل لعظيم السمن يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرءوا إن شئتم{ {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا }]الكهف: ١٠٥] (١٠٧٧) ، وقد أجمع أهل السنة - رحمهم الله تعالى - على إثبات الميزان الذي سينصب يوم القيامة ، والله أعلى وأعلم .

(المسألة الثامنة عشرة) فإن قلت :ـ وهل ميزان يوم القيامة واحد أو متعدد؟ فأقول :ـ فيه خلاف بين أهل العلم ، والأرجح - إن شاء الله تعالى - أنه ميزان واحد وليس بمتعدد ، وأما جمعه في بعض الآيات فالظاهر والله أعلم أنه باعتبار ما

(١٠٧٥) صحيح

أخرجه أحمد في مسند (٦٩٩٤)، والترمذي في سننه في أبواب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠)، وابن المبارك في مسنده (١٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٥)، والحاكم في المستدرك (٩)، (١٩٣٧)، والطبراني في الأوسط (٤٧٢٥)، غيرهم.

من طريق: عامر بن يحيى المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، وهو على شرط مسلم،

(١٠٧٦) إسناده جيد

أخرجه أحمد في مسنده (٩٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٢٣٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد في المثاني (٢٣٩)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣٩)، والطباني في المعجم الكبير (٨٥١٦)،

من طريق: مغيرة، عن أم موسى، عن عليٍ، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، خلا أم موسى، فاختة، سرية علي بن أبي طالب، وهي مستقية الحديث، مقبولة.

(١٠٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} (٤٧٢٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة (٢٧٨٥).

يوزن به ، فالموزونات التي ستوزن فيه كثيرة ، فجمع باعتبار تعدد ما سيوزن فيه ، وأما هو في ذاته فهو واحد لا يتعدد ، والله أعلم .

(المسألة التاسعة عشرة) فإن قلت :ـ وما الذي سيوزن في هذا الميزان ؟ فأقول :ـ فيه خلاف بين أهل العلم ، ولكن بعد النظر في الأدلة السابقة وجدنا أن الموزونات التي ستوزن في الميزان ثلاثة أشياء : العمل نفسه ، والعامل ذاته ، وصحيفة العمل ، فأما العمل : فلحديث : ((كلمتان خفيفتان على اللسان ...)) الحديث (١٠٧٨)

.وأما العامل : فلحديث علي رضي الله عنه في قوله : ((والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من جبل أحد)) (١٠٧٩)،

وحديث الرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضة (١٠٨٠).

وأما صحيفة العمل : فلحديث السجلات والبطاقة وقد تقدمت(١٠٨١) .

(١٠٧٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ (٦٤٠٦)، كتاب الأيمان والنذور، بَابُ إِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَتَكَلَّمُ اليَوْمَ، فَصَلَّى، أَوْ قَرَأَ، أَوْ سَبَّحَ، أَوْ كَبَّرَ، أَوْ حَمِدَ، أَوْ هَلَّلَ، فَهُوَ عَلَى نِيَّتِهِ (٦٦٨٢)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ}، وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ (٧٥٦٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ (٢٦٩٤).

(١٠٧٩) إسناده جيد

أخرجه أحمد في مسنده (٩٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٢٣٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد في المثاني (٢٣٩)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣٩)، والطباني في المعجم الكبير (٨٥١٦)،

من طريق: مغيرة، عن أم موسى، عن عليٍ، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، خلا أم موسى، فاختة، سرية علي بن أبي طالب، وهي مستقية الحديث، مقبولة.

(١٠٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} (٤٧٢٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة (٢٧٨٥).

(١٠٨١) صحيح

أخرجه أحمد في مسند (٦٩٩٤)، والترمذي في سننه في أبواب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠)، وابن المبارك في مسنده (١٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٥)، والحاكم في المستدرك (٩)، (١٩٣٧)، والطبراني في الأوسط (٤٧٢٥)، غيرهم.

وقد تقرر في الأصول أن الجمع بين الأدلة الشرعية هو الواجب ما أمكن ، فالأدلة الواردة في ذلك لا اختلاف فيها ولله الحمد ؛ لأن الواحد منها يثبت ما لا ينفيه الآخر ، فمنها ما أثبت الوزن للعمل ، ومنها ما أثبت الوزن للعامل ، ومنها ما أثبت الوزن للصحيفة ، والله أعلم.

(المسألة العشرون) فإن قلت :ـ وكيف يوزن العمل وهو ليس بجسم يخف ويثقل ؟ فأقول :ـ الجواب من وجهين :

الأول : أن هذا مما أخبرت به الأدلة وصحت به الآثار ، فالواجب الإيمان والتسليم به والوقوف حيث وقف النص لا نتعدى القرآن والحديث وهو من أمور الآخرة وأمور الآخرة تختلف عن المعهود عندنا في الدنيا وهو داخل في الإيمان بالغيب .

الثاني : أن الله تعالى قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء فهو قادر أن يجعل العرض جسمًا ، ألا ترى أن الدليل الصحيح أثبت أن الله تعالى يجعل الموت على صورة كبش ويذبح بين الجنة والنار مع أن الموت ليس بجسم ، بل هو معنى ، وليس المراد بذلك ملك الموت ، ولكن المراد نفس الموت ، حيث يجعله الله تعالى جسمًا يشاهده أهل الجنة وأهل النار ، فكذلك الأعمال يجعلها الله تعالى أجسامًا فتوزن في هذا الميزان الحسي .

(المسألة الحادية والعشرون) ومما يجب الإيمان به من مقتضيات اليوم الآخر الإيمان بالحساب والعرض وأنه حق وصدق واقع لا دافع له ولا مانع منه ، قال تعالى {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: ٢٥، ٢٦]،

وقال تعالى {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} [الرعد: ١٩ - ٢١] ، وقال تعالى في المكذبين للرسل {أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [الرعد: ١٨] وقال تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا

من طريق: عامر بن يحيى المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، وهو على شرط مسلم،

كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الحجر: ٩٢، ٩٣] ، وقال تعالى{ { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات: ٢٤] {مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ } [الصافات: ٢٥، ٢٦] ، وقال تعالى {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: ١٧، ١٨] ، وقال تعالى {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف: ٤٨] وقال تعالى {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: ٧، ٨] ، وقال تعالى {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } [الانشقاق: ٧، ٨] ، ونحو ذلك من الآيات .

(المسألة الثانية والعشرون) فإن قلت :ــ وكم أنواع الحساب؟ فأقول :ــ لقد قرر أهل السنة رحمهم الله تعالى أن الحساب نوعان : حساب عرض ، وحساب نقاش ،

ففي الصحيح عن عائشة أن النبي ﷺ قال : ((من حوسب عذب)) . قالت عائشة : كيف ذلك والله تعالى يقول {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٨]. فقال : ((إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك)) فبين النبي ﷺ بذلك أن المراد بقوله تعالى {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٨] أنه حساب عرض العمل فقط لا نقاش فيه ،

ففي الصحيح عن صفوان بن محرز قال : بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال : يا أبا عبدالرحمن ، أو قال : يا ابن عمر ، هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النجوى ؟ فقال : سمعت النبي ﷺ يقول : ((يدنوا المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا ؟ فيقول : أعرف . فيقول : أنا سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته ، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الخلائق : {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨]. (١٠٨٢)

(١٠٨٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (٢٤٤١)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (٤٦٨٥).

فحساب العرض ليس فيه مطالبة بنتائج النعم ، ولذلك فصاحبه يسلم في آخر الأمر ، وأما حساب النقاش فإن فيه مطالبة بنتائج النعم ، ولذلك فصاحبه هالك لا محالة ، قال تعالى {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} [الأحقاف: ٢٠]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا في الحديث الطويل ، وفيه قال : ((فيلقى العبد - يعني الكافر - فيقول : يا فل ، أي يا فلان ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع . فيقول العبد : بلى . فيقول : أظننت أنك ملاقيَّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك كما نسيتني . ثم يلقى الثاني فيسأله فيجيب كما أجاب الأول ، فيقول الله : ((فإني أنساك كما نسيتني . ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك . فيقول : يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول : ههنا إذن ، قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي ، فتنطق بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه)) (١٠٨٣) ، أو كما في الحديث عن رسول الله ﷺ ، فهذا من حساب النقاش .نسأله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من الآمنين يوم القيامة وممن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ، والله أعلم .

(المسألة الثالثة والعشرون) فإن قلت :ــ وما أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة ؟ وما أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة ؟ فأقول :ــ أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة : الصلاة ، وأول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة : الدماء .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ((أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، يقول الله تعالى لملائكته : انظروا صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان نقص منها شيئًا قال : انظروا هل لعبدي من تطوع ، قال : فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه

(١٠٨٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨)،

ثم يؤخذ الأعمال على ذلك)) (١٠٨٤) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الحاكم.

وروى النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((أول ما يحاسب عليه صلاته وأول ما يقضى بين الناس في الدماء)) (١٠٨٥)

(١٠٨٤) صحيح بمجموع طرقه

أخرجه أحمد في مسنده (٧٩٠٢)، (٩٤٩٤)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه» (٨٦٤)، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة (١٤٢٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٠٤٧)، والحاكم في المستدرك (٩٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٠٠٠)،

من طريق: أنس بن حكيم الضبي، عن أبي هريرة، به.

رواه عن أنس بن حكيم: الحسن البصري، وعلي بن زيد، فالأول مدلس ولم يصرح بالسماع، والثاني الرجح فيه الضعف، وأنس نفسه مجهول

وأخرجه النسائي في سننه، في كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة (٤٦٥)، والترمذي في سننه، في أبواب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (٤١٣)،

من طريق: همام، عن قتادة، عن الحسن، عن حريث بن قبيصة، عن أبي هريرة، به.

ففيه الحسن البصري ولم يصرح بالسماع،

وأخرجه النسائي في سننه، في كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة (٤٦٦)،

من طريق: قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، به.

وفيه الحسن ولم يصرح بالسماع،

وروي من طرق أخرى لا تخلوا من مقال يسير، إلا أنها تصحح بمجموعها، والله أعلم.

وقد قال الترمذي رحمه الله: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، عن أبي هريرة، وقد روى بعض أصحاب الحسن، عن الحسن، عن قبيصة بن حريث، غير هذا الحديث والمشهور هو قبيصة بن حريث»، وروي عن أنس بن حكيم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ نحو هذا،

وقد ذكر الدارقطني في العلل (٨/ ٢٤٤).

(١٠٨٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ القِصَاصِ يَوْمَ القِيَامَةِ (٦٥٣٣)، كتاب الديات، باب (٦٨٦٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب القسامة والمحاربين، بَابُ الْمُجَازَاةِ بِالدِّمَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١٦٧٨).

وأخرجه النسائي في سننه، في كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم (٣٩٩١ - ٣٩٩٦).

(المسألة الرابعة والعشرون) فإن قلت :ــ وكيف نجمع بين هذه الأحاديث ، فإن بعضها يذكر أن أول ما يحاسب عنه العبد من عمله الصلاة ،وبعضها ينص على أنه الدماء ، فكيف الجمع ؟ فأقول :ــ

يعجبني في هذا الأمر ما قاله بعض أهل العلم أن الحقوق قسمان : حقوق لله تعالى وحقوق لعباده ، فأول شيء يحاسب عليه العبد من حقوق الله تعالى الصلاة ، وأول شيء يحاسب عليه العبد من حقوق الآدميين الدماء ، وقال بعضهم : إن الحساب هو عرض العمل ويبدأ فيه بالصلاة ، وأما القضاء فهو البدء بتنفيذ ما تقررت المحاسبة عليه ويبدأ فيه بالدماء وكل ذلك صحيح لا إشكال فيه ، والله أعلم .

(المسألة الخامسة والعشرون) فإن قلت :ــ وكيف نجمع بين قوله تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الحجر: ٩٢، ٩٣] ، وقوله تعالى { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٣٩]، وقوله {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص: ٧٨] فكيف مرة يثبت السؤال ومرة ينفيه ؟ فأقول :ــ لا إشكال في ذلك ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة وبيان ذلك من وجوه :

الأول : إنه من المعلوم المتقرر بالدليل أن يوم القيامة يوم طويل جدًا مقدراه خمسون ألف سنة فلطوله تختلف فيه الأحوال ، فيسأل الكفار في بعضه ويكف عن سؤالهم في بعضه ، فالآيات المثبتة للسؤال يقصد بها السؤال في بعض أوقات هذا اليوم ، والآيات التي فيها ترك السؤال إنما تخص بعض أوقات هذا اليوم ، فليس وقت السؤال هو بعينه وقت عدم السؤال حتى يلزم من ذلك الاختلاف ، فلا يلزم من الإخبار بترك سؤالهم في بعض أجزاء ذلك اليوم تركه في كل أجزائه ، وهذا الوجه مرده إلى التفريق في الأحوال ، والله أعلم .

الثاني : أن يقال : إن المتروك سؤالهم هم المجرمون الذين بلغوا في الإجرام حده كإبليس ومرده الشياطين ، وكفرعون وهامان وقارون وأبي جهل ونحو هؤلاء الذين بلغوا الغاية في الإجرام ، ولذلك قال تعالى في سياق قصة قارون {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص: ٧٨] وقال تعالى {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ } [الرحمن: ٣٩، ٤١] وهذا فيه بيان أن الذين لا يسألون هم

عتاة الكفرة من الإنس والجن ، والآيات التي أخبرت بالسؤال تكون في بقية الكفار وعصاة الموحدين ، فالإخبار بترك سؤال البعض لا يلزم منه ترك سؤال الجميع ، وهذا الوجه مرده إلى التفريق بين أصناف الكفرة ، فمن عظم كفره واشتد جرمه لا يُسأل ، ومن كان دون ذلك فإنه يُسأل ، والله أعلم .

الثالث : أن يقال : إن السؤال المنفي في الآيات إنما هو سؤال الاستخبار والاستعلام والاستعتاب والسؤال المثبت إنما هو سؤال التقريع والتوبيخ ، فالكفار لا يسألون سؤال استعتاب كما قال تعالى : {وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت: ٢٤] ، وقال تعالى {فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } [الجاثية: ٣٥]، ولكنهم يسألون سؤال تقريع وتوبيخ زيادة في التنكيل بهم كما قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر: ٤٩، ٥٠] ، وقال تعالى{ {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [الأحقاف: ٣٤] ، ونحو ذلك من الآيات .

فإذًا السؤال المنفي هو سؤال الاستعتاب الذي يعقبه العفو والسؤال المثبت هو سؤال التقريع والتوبيخ الذي هو زيادة في عذابهم والنكال بهم ، فبالتفريق بين الأحوال والأشخاص ونوعية السؤال لا يبقى بين النصوص أي إشكال كعادتها المطردة أعلى الله منارها وجعلنا من أتباعها ، والله أعلم .

(المسألة السادسة والعشرون) ومما يجب الإيمان به من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصراط ، وهو ما ذكره الناظم عفا الله تعالى عنه بقوله (وكذا الصراط يجوزه الثقلان ، فمسلم ناج ومخدوش كذاك مكردس في هوة النيران) وهو الجسر الذي سينصب على متن جهنم ، قال تعالى {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا } [مريم: ٧١] فقد فسره طائفة كبيرة من السلف بأنه الورود على الصراط ،

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا في حديث الشفاعة الطويل وفيه : ((ويضرب الصراط بين ظهري جنهم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسول ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جنهم كلاليب

مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان)) ؟ قالوا: نعم . قال: ((فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ، والموثق بعمله ، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه ...)) الحديث . (١٠٨٦)

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعًا وفيه : ((ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهم)) . قلنا : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : ((مدحضة مزلة ، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلم وناجٍ مخدوش ومكدوسٍ في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا)) . (١٠٨٧)

ولمسلم من حديث أنس وابن مسعود - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة ، فإذا جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين)) . (١٠٨٨)

ولمسلم أيضًا عن أبي هريرة وحذيفة - رضي الله عنهما - في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولاً وفيه : ((وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يمينًا وشمالاً فيمر أولكم كالبرق)) . قال : قلت : بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال : ((ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ، ثم كمر الطير وكأشد الرجال ، تجري بهم أعمالهم)) ، قال : ((ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم ...)) الحديث . (١٠٨٩)

(١٠٨٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، كتاب الرقاق، باب بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ (٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٢)، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

(١٠٨٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٣)،

(١٠٨٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا (١٨٧)،

(١٠٨٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٥)،

وفيه أيضًا من حديث أبي سعيد أنه قال : ((بلغني أن الجسر أدق من السيف وأدق من الشعرة)) (١٠٩٠).

والأحاديث في إثبات الصراط كثيرة ، وقد أجمع أهل السنة على أنه جسر حقيقي محسوس يمشي الناس عليه لا كما يقوله أهل البدع ، والله أعلم .

(المسألة السابعة والعشرون) فإن قلت :ـ وما السبب في تفاوت الناس في المسير عليه ؟ فأقول :ـ السبب في ذلك تفاوتهم في أعمالهم كما ورد في الحديث السابق : ((تجري بهم أعمالهم)) . وأقول أيضًا : إن المشي على الصراط الحسي يوم القيامة إنما هو نتيجة للمشي على الصراط المعنوي في الدنيا ، ونعني بالصراط الحسي أي الجسر المنصوب على متن جهنم ، ونعني بالصراط المعنوي أي متابعة النبي ؟ ، فكلما كان الإنسان أتبع وأسرع متابعة له في الدنيا كلما كان أسرع على ذلكم الصراط الحسي ، فمن ثبتت قدمه هنا ثبتت قدمه هناك ، ومن زلت به القدم هنا زلت به القدم هناك ، ومن أبطأ هنا أبطأ هناك ، ومن أسرع هنا أسرع هناك ، فما أيسر هذا الأمر تنظيرًا وشرحًا ، ولكن ما أعسره تطبيقًا وامتثالاً إلا أنه يسير على من يسره الله عليه ، والله أعلم .

(المسألة الثامنة والعشرون) فإن قلت :ـ اذكر لنا شيئًا من صفة هذا الصراط ؟ فأقول :ـ لقد ورد في الأدلة بعض صفاته وهي كما يلي :

فمنها : أنه مظلم حالك الظلمة والمار عليه يحتاج إلى نور ليرى طريقه ، قال تعالى {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ } [الحديد: ١٢، ١٣].

(١٠٩٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٣)،

وفي صحيح مسلم عن أبي الزبير عن جابر في الحديث الطويل وفيه : ((ويعطى كل إنسان منافق أو مؤمن نورًا ثم يتبعونه وعلى جسر جنهم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى ثم يطفأ نور المنافين ثم ينجو المؤمنون ...)) الحديث (١٠٩١).

وروى الحاكم وصححه وابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} [الحديد: ١٢] ، قال : ((على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة)) (١٠٩٢)، وما احتاجوا إلى هذا النور للمرور عليه إلا لأنه مظلم .

ومنها : أنه دحض مزلة لا تثبت عليه القدم إلا إذا ثبتها الله تعالى ، ودليلها ما تقدم من حديث أبي سعيد وفيه : قالوا : وما الجسر ؟ قال : ((مدحضة مزلة)) ، والله المستعان .

ومنها : أنه أحَدُّ من السيف وأدق من الشعرة ، ودليلها الحديث السابق عن أبي سعيد قال : ((بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف)) .

ومنها : أن عليه خطاطيف وكلاليب مثل شوك السعدان ، وهو الشوك الملتف بعضه على بعض كما في الأحاديث السابقة وفيها : ((عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجدٍ يقال لها السعدان)) .

ومنها: أن الأنبياء قائمين عليه يقولون: ((اللهم سلم سلم)) ، وفي الحديث: ((ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم)) ، نسأل الله جل وعلا أن يثبتنا على هذا الصراط ، والله أعلم.

(١٠٩١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩١)،

(١٠٩٢) حسن

أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٤٢٤)، (٨٧٥١)،

من طريق: المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات خلا المنهال بن عمرو، فهو صدوق، يحسن حديثه،

(المسألة التاسعة والعشرون) فإن قلت :ـ أيهما يكون قبل الآخر : الصراط أم الميزان أم الحوض ؟

فأقول :ـ هذا فيه خلاف بين أهل العلم لكن الأرجح - والله تعالى أعلم - أن الحوض أولاً ثم الميزان ثم الصراط ، هكذا وردت الأدلة ، وقد رتبها بعض أهل العلم تسهيلاً لحفظها بكلمة (حمص) فالحاء يراد بها الحوض ، والميم يراد بها الميزان ، والصاد يراد بها الصراط ، والله أعلم .

(المسألة الثلاثون) فإن قلت :ـ وماذا يكون بعد الصراط مع الدليل ؟ فأقول : إذا مر الناس على الصراط فإنهم يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض ، فإذا هذبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة ، ودليلها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في صحيح البخاري بنفس اللفظ السابق في الجواب ، فلا داعي إلى إعادته ، والله أعلم .

(المسألة الواحدة والثلاثون) ومن مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة وما ورد فيها من النعيم ، والإيمان بالنار وما ورد فيها من الجحيم ، وهو ما ذكره الناظم عفا الله تعالى عنه بقوله (والحق أن النار والجنات لا تفنى على التحقيق بالعرفان) ، ولقد قرر أهل السنة رحمهم الله تعالى أنه لا يتم الإيمان بالجنة والنار إلا إن آمنت بعدة أمور :ـ

الأول : أن تؤمن إيمانًا جازمًا يقينيًا أنهما موجودتان الآن ، أي أنهما قد خلقتا وفرغ من أصل خلقهما ، وقد تواترت الأدلة على ذلك :

فمن ذلك : قوله تعالى في آيات كثيرة بعد ذكر نعيم الجنة {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى {أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد: ٢١] ، فهذا إخبار عن أمرٍ وقع في الماضي كما هو مقتضى اللغة التي نزل القرآن بها ، وقال تعالى {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة: ١٧]، وهذا أيضًا إخبار عن أمرٍ مضى مما يدل على أنه أعد ولكنه أخفي عنا ، وقوله تعالى في شأن النار في آيات كثيرة {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤] وقوله تعالى {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: ٣٧]، ونحو هذه الآيات .

ومن ذلك : قوله تعالى {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } [النجم: ١٣ - ١٥] ، وهذا صريح في أنها موجودة الآن وقبل الآن ، وخبر الشارع لا خلف فيه .

ومن ذلك : ما في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعًا : ((إن أحدكم عرض مقعده بالغداة والعشي فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل يوم القيامة)) (١٠٩٣) .

وهذا العرض على الجنة والنار دليل على أنهما موجودتان الآن .

ومن ذلك : قوله تعالى عن آل فرعون {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦] ، وكيف يعرضون على أمرٍ لا حقيقة له ، بل هو في حيز العدم ؟

ومن ذلك : ما في الصحيحين من حديث عمران قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اطلعت في الجنة فإذا أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء)) (١٠٩٤)، والاطلاع فيهما دليل صريح على وجودهما وأنهما مخلوقتان الآن .

(١٠٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ المَيِّتِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ (١٣٧٩)، كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٣٢٤٠)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٦٦).

(١٠٩٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ (٢٩)، كتاب النكاح، بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ وَهُوَ الزَّوْجُ، وَهُوَ الخَلِيطُ، مِنَ المُعَاشَرَةِ (٥١٩٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة الكسوف، بَابُ مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٩٠٧).

ومن ذلك : ما في الصحيحين أيضًا من حديث أنس في سؤال الميت في قبره وفيه : ((فيقال : هذا مقعدك في النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا)) ، (١٠٩٥)

ورؤيته لهما رؤية حقيقية لا أنها خيال وضرب أمثال كما يقوله من يقوله من أهل الأهواء والبدع ، ومثله في الدلالة حديث البراء بن عازب المتقدم مطولاً وفيه : ((فينادي منادٍ من السماء : أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة)) ، وفيه أيضًا : أنه يقال للكافر : ((فينادي منادٍ من السماء : أن كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار)) (١٠٩٦)، وهذا دليل على أنهما موجودتان .

ومن ذلك : ما في الصحيحين في حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرتك فوليت مدبرًا ، فبكى عمر وقال : على مثلك أغار يا رسول الله)) (١٠٩٧) ورؤيا الأنبياء حق وصدق .

(١٠٩٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابٌ: المَيِّتُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ (١٣٣٨)، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ (١٣٧٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (٢٨٧٠).

(١٠٩٦) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٥٣٤)، (١٨٦١٤)، وهناد بن السري في الزهد (٣٣٩)، وأبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (١١٠)، والروياني في مسنده (٣٩٢)، والآجري في الشريعة (٨٦٤)، والحاكم في المستدرك (١٠٧)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠)، (٤٤)، وفي الشعب (٣٩٠)، وغيرهم.

من طريق: الأعمش، عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، به.

ففيه: منهال بن عمرو، وشيخه ذازان، وهما صدوقان يحسن حديثهما.

(١٠٩٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٣٢٤٢)، كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٦٨٠)، كتاب التعبير، بَابُ القَصْرِ فِي المَنَامِ (٧٠٢٣)، بَابُ الوُضُوءِ فِي المَنَامِ (٧٠٢٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩٥).

ومن ذلك : ما في الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))(١٠٩٨) ، وهو صريح في الدلالة على المطلوب .

ومن ذلك : ما في الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم))(١٠٩٩)،

وكيف يجد الناس فيحها وهي لا زالت معدومة ؟ لكن سبحان من أعمى بعض القلوب ونعوذ بالله من الخذلان

ومن ذلك : ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا : ((اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب أكل بعضي بعضًا فإذن لها بنفسين ، نفسٍ في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر من فيح جهنم ، وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جنهم)) (١١٠٠) .

ومن ذلك : ما رواه البخاري أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار الآخرة)) . قيل : يا

(١٠٩٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٣٢٤٤)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} (٤٧٧٩)، (٤٧٨٠)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ} (٧٤٩٨)، مسلم في صحيحه في كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا (٢٨٢٤).

(١٠٩٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ الإِبْرَادِ بِالظُّهْرِ فِي شِدَّةِ الحَرِّ (٥٣٣- ٥٣٨)، كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ " (٣٢٥٨)، (٣٢٥٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْإِبْرَادِ بِالظُّهْرِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ لِمَنْ يَمْضِي إِلَى جَمَاعَةٍ، وَيَنَالُهُ الْحَرُّ فِي طَرِيقِهِ (٦١٥).

(١١٠٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ الإِبْرَادِ بِالظُّهْرِ فِي شِدَّةِ الحَرِّ (٥٣٦، ٥٣٧)، كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ " (٣٢٦٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْإِبْرَادِ بِالظُّهْرِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ لِمَنْ يَمْضِي إِلَى جَمَاعَةٍ، وَيَنَالُهُ الْحَرُّ فِي طَرِيقِهِ (٦١٧).

رسول الله إن كانت لكافية . قال : ((فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا)) .(١١٠١)

ومن ذلك : ما في الصحيح قال النبي ﷺ : ((اختصمت الجنة والنار عند ربهما ، فقالت الجنة : يا رب ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس ومساكينهم ، وقالت النار : يا رب ما لي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون ، فقضى الله بينهما : أنت الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء ، وأنت النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما ملؤها)) (١١٠٢) .

ومن ذلك : ما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : ((دخلت النار امرأة في هرة حبستها لاهي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض)) (١١٠٣) .

ومن ذلك : ما في الصحيح من حديث صلاته ﷺ صلاة الكسوف وأنه عرضت عليه الجنة والنار ، وأنه قال : ((ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار)) (١١٠٤)، وأنه تقدم ليناول من الجنة عنقود عنب وقال : ((لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا)) (١١٠٥)، وأنه رأى النار يحطم بعضها

(١١٠١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ " (٣٢٦٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الرؤيا (٢٢٦٥).

(١١٠٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ} (٧٤٤٩).

(١١٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابٌ: خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ (٣٣١٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ (٣٤٨٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الكسوف، بَابُ مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٩٠٤).

(١١٠٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء، بَابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ إِلَّا مِنَ الغَشْيِ المُثْقِلِ (١٨٤)، كتاب الجمعة، بَابُ مَنْ قَالَ فِي الخُطْبَةِ بَعْدَ الثَّنَاءِ: أَمَّا بَعْدُ (٩٢٢)، بَابُ صَلاَةِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الكُسُوفِ (١٠٥٣)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧٢٨٧) ومسلم في صحيحه في كتاب الكسوف، بَابُ مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٩٠٥).

(١١٠٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، بَابُ رَفْعِ البَصَرِ إِلَى الإِمَامِ فِي الصَّلاَةِ (٧٤٨)، كتاب الجمعة، بَابُ صَلاَةِ الكُسُوفِ جَمَاعَةً (١٠٥٢)، كتاب النكاح، بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ وَهُوَ الزَّوْجُ، وَهُوَ الخَلِيطُ، مِنَ المُعَاشَرَةِ (٥١٩٧)،

بعضًا (١١٠٦) وقال : ((فلم أر اليوم منظرًا قط أفظع)) (١١٠٧) وكل ذلك دليل على وجودهما .

ومن ذلك : ما رواه مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة مطولاً وفيه : ((لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل فقال : اذهب فانظر إليهما ...)) (١١٠٨)الحديث بطوله .

والأحاديث في إثبات ذلك كثيرة جدًا ولعل فيما مضى كفاية ، والخلاصة من ذلك أن نؤمن إيمانًا قطعيًا على أن الجنة والنار موجودتان الآن ، والله أعلم .

الأمر الثاني : الإيمان الجازم بأنهما باقيتان أبدًا لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان ، وهذا قول أهل السنة ، ومن نسب القول بفنائهما إلى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم فقد أخطأ عليهما وقوّلهما ما لم يقولا ، بل كتب شيخ الإسلام رسالة بعنوان : ((الرد على من قال بفناء الدار)) ، وفي الحقيقة أن هذا القول مستمد من أقوال أهل البدع ، والدليل على ذلك أي على أنهما باقيتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان قوله تعالى في نعيم الجنة {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} [ص: ٥٤] فقوله{ما له} نفي ،

ومسلم في صحيحه في كتاب الكسوف، بَابُ مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٩٠٧).

(١١٠٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، بَابُ إِذَا انْفَلَتَتْ الدَّابَّةُ فِي الصَّلَاةِ (١٢١٢)، كتاب التفسير، بَابُ {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ، وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ} (٤٦٢٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الكسوف، بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ (٩٠١).

(١١٠٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصَّلاَةِ، بَابُ مَنْ صَلَّى وَقُدَّامَهُ تَنُّورٌ أَوْ نَارٌ، أَوْ شَيْءٌ مِمَّا يُعْبَدُ، فَأَرَادَ بِهِ اللَّهَ (٤٣١).

(١١٠٨) حسن

لم أقف عليه عند مسلم، لكن أخرجه أحمد في مسنده (٨٣٩٨)، (٨٦٤٨)، (٨٨٦١)، وأبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار (٤٧٤٤)، والنسائي في سننه، في كتاب الأيمان والنذور، الحلف بعزة الله تعالى، (٣٧٦٣)، والترمذي في سننه، في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (٢٥٦٠)، والحاكم في المستدرك (٧١)، (٧٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٦٢)، وغيرهم،

من طريق: مُحَمَّد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة، به

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، من رجال الشيخين، خلا محومد بن عمرو بن علقمة، وهو صدوق، يحسن حديثه.

وقوله{نفاد} نكرة ، والمتقرر في القواعد أن النكرة في سياق النفي تعم ، فيدخل في ذلك كل أنواع النفاد ، فلا تنفد أرزاقهم ولا متعتهم فيها ولا تفنى هي في ذاتها ، وقوله تعالى {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: ٣٢، ٣٣] ، وقوله تعالى في آيات كثيرة عن أهل الجنة {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [النساء: ٥٧] ، وقال تعالى عنهم أيضًا { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} [الدخان: ٥٦] ، وهذا نفي للموت عنهم وكما أفاده أيضًا حديث ذبح الموت بين الجنة والنار ، وقوله : ((يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت)) (١١٠٩) وهو في الصحيح .

وقال تعالى{لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين}، وقال تعالى في أبدية النار ودوامها {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ } [فاطر: ٣٦] ، وقال تعالى في ثلاث آيات من القرآن {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [النساء: ١٦٩] ، فقال في سورة النساء {إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [النساء: ١٦٩] ، وقال تعالى في سورة الأحزاب {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الأحزاب: ٦٤، ٦٥] ، وقال تعالى في سورة الجن {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } [الجن: ٢٣] ، وقال تعالى {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٧] ، وقال تعالى{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [المائدة: ٣٧]، وقال تعالى {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان: ٦٦] ، وقال تعالى {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: ٧٤، ٧٥] ، وقال تعالى {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ } [هود: ١٠٧] وقال تعالى {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [الأعلى: ١١ - ١٣] ، وقال تعالى {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا } [النبأ: ٣٠] ، وقال تعالى {وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ }

(١١٠٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ} (٤٧٣٠)، كتاب الرقاق، بَابٌ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٦٥٤٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب صفة الجنةوصفة نعيمها وأهلها، بَابُ النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ (٢٨٤٩).

[الزخرف: ٧٧] وقال تعالى {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} [النساء: ٥٦] وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون)) (١١١٠) .فهذه النصوص الكثيرة دليل قاطع على أن الجنة والنار باقيتان دائمتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان ، والله الموفق والهادي .

الأمر الثالث : أن تؤمن بما صح به الخبر من نعيم الجنة وعذاب النار مع الإيمان الجازم أن المعلوم منه إنما هو الاسم فقط وأما الكيفيات فإنه لا يعلمها على ما هي عليه إلا الله تعالى ، قال تعالى{فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} ، وقال في الحديث القدسي : ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) (١١١١).

وقال ابن عباس : ((ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء)) (١١١٢).

ومن القواعد المتقررة عند أهل السنة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى أن الاتفاق في الاسم لا يستلزم الاتفاق في المسمى ، وأن الاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق فيه بعد التقييد والتخصيص والإضافة ، والله أعلم .

الأمر الرابع : أن تؤمن أن الله تعالى خلق لهما أهلاً ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً ، ومن شاء منهم فإلى النار عدلاً وأنه يبقى فيهما فضل بعد دخول أهلهما فيهما ، فأما الجنة فينشئ الله لها خلقًا جديدًا ويدخلهم الجنة ؛ لأنه يتفضل وينعم

(١١١٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ (١٨٥).

(١١١١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٣٢٤٤)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} (٤٧٧٩)، (٤٧٨٠)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ} (٧٤٩٨)، مسلم في صحيحه في كتاب الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا (٢٨٢٤).

(١١١٢) صحيح

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٠)، وهناد بن السري في الزهد (٣)، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٢٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٢)، وغيرهم،

من طريق: الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيحين.

ابتداءً لكمال فضله وواسع كرمه ، وأما النار فيضع رب العزة عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول : قط قط ، أي حسبي حسبي ، كما في الحديث الصحيح ؛ وذلك لأنه لا يعذب أحدًا بلا سابق جرم لكمال عدله جل وعلا فإذا آمنت بهذه الأمور الأربعة تكون بذلك قد حققت الإيمان بالجنة والنار .جعلنا الله وإياك من أهل الجنة وأعاذنا من عذاب القبر وعذاب النار ، والله أعلم .

(المسألة الثانية والثلاثون) فإن قلت :ـ وما ثمرات الإيمان باليوم الآخر ؟ فأقول :ـ الثمرات كثيرة ونلخصها فيما يلي :

الأولى : الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء الثواب في ذلك اليوم .

الثانية : الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفًا من عقاب ذلك اليوم .

الثالثة : تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

والسلم والإيمان إن يتفرقا   في النص قل شيئان متفقان

وإذا رأيتهما بنص واحد   فإذا هما شيئان مختلفان

فالسلم في عمل الجوارح يا فتى   وكذاك في عمل القلوب الثاني

أقول :ـ هذه المسألة الطيبة من جملة مسائل الإيمان ، ويريد بها أهل السنة رحمهم الله تعالى بيان العلاقة بين لفظي الإيمان والإسلام عند الاتفاق والافتراق ، فقرروا رحمهم الله تعالى أن هناك العلاقة بين الإسلام والإيمان من جهتين :ـ الأولى :ـ أنهما من جملة الألفاظ التي تتفق في المعنى عند افتراقها ، وتفترق في المعنى عند اجتماعها ، فإن اجتمعا في النص من آية أو حدث فاعلم أن معناهما مختلف ، وإن لم يذكر في النص إلا واحد منهما فقط فاعلم أنه يدخل معه ما لم يذكر ، ونضرب لك أمثلة حتى يتضح لك الأمر إن شاء الله تعالى ، فأقول :ـ

المثال الأول :ـ قال تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران: ١٩] فهنا لم يذكر في النص إلا الإسلام فقط ، ولكن اعلم وفقك الله تعالى أن الإيمان يدخل معه تبعا ، لأنه إن لم يذكر إلا أحدهما دخل معه الآخر تبعا .

المثال الثاني :ـ قوله تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران: ٨٥] فلم يذكر إلا الإسلام وحده فيدخل معه الإيمان تبعا ، فيكون المعنى :ـ أي وغير الإيمان .

المثال الثالث :ـ قوله تعالى {فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤] فلم يذكر إلا الإسلام وحده ، فيدخل معه الإيمان تبعا ، فيكون المعنى :ـ أي ومؤمنون .

المثال الرابع :ـ في حديث وفد عبد القيس مرفوعاً (آمركم بالإيمان بالله وحده) ، فهنا لم يذكر إلا الإيمان وحده ، ثم فسره بأركان الإسلام فقال : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا خمساً من المغنم) (١١١٣) متفق عليه ، فلما ذكر الإيمان وحده ، وفسره بأركان الإسلام علمنا أن الإسلام دخل معه تبعا ، وهذا يفيدك أن الإيمان إن ذكر وحده دخل معه الإسلام تبعا ، وإن ذكر الإسلام وحده دخل معه الإيمان تبعا .

وأما إن ذكرا جميعا في النص ، فإن معناهما حينئذ يختلف ، فيكون معنى الإيمان أعمال الباطن ، ويكون معنى الإسلام أعمال الظاهر ، وهو ما يعنيه الناظم عفا الله تعالى بقوله (والسلم) أي ولفظ الإسلام ، وعبر عنه بالسلم لضرورة النظم ، وهو تعبير صحيح كما قال تعالى{يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة} فلفظ الإسلام

(١١١٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ (٥٣)، كتاب العلم، بَابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالعِلْمَ، (٨٧)، كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ} (٥٢٣)، كتاب الزكاة، بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ (١٣٩٨)، كتاب فرض الخمس، بَابٌ: أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الدِّينِ (٣٠٩٥)، كتاب المناقب، باب (٣٥١٠)، كتاب المغازي، بَابُ وَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ (٤٣٦٩)، كتاب أخبار الآحاد، بَابُ وَصَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُفُودَ العَرَبِ أَنْ يُبَلِّغُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ (٧٢٦٦)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}(٧٥٥٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ (١٧).

(والإيمان إن يتفرقا في النص) فلم يذكر إلا أحدهما فقط ، فــ(قل شيئان متفقان) أي في المعنى ، كما ضربنا لك أمثلة ذلك ، (و) لكن (إذا رأيتهما) أي لفظ الإسلام والإيمان مذكورين (بنص واحد) من نصوص القرآن والسنة (فإذا هما شيئان مختلقان) أي مختلفان في المعنى ، (فالسلم) أي فيكون معنى الإسلام (في عمل الجوارح يا فتى) من الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، (وكذاك في عمل القلوب الثاني) أي لفظ الإيمان يكون معناه عمل القلوب ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة ونحوها من أعمال القلوب ، وقد ضربنا لكح أمثلة على افتراقهما ، ومن باب الفائدة نذكر لك أمثلية على اجتماعهما في النص الواحد فنقول :ـ

منها:ـ قوله تعالى {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤] فهنا ذكر لفظ الإسلام والإيمان معا في نص واحد ، فيكون معنى الإسلام أعمال الظاهر ، ومعنى الإيمان أعمال القلوب ، ولذلك قال {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤]

ومنها :ـ حديث جبريل الطويل المعروف ، فإن النبي ﷺ جمع فيه ذكر الإسلام والإيمان ، فاختلف معناهما ، ففسر ﷺ كل واحد منهما بتفسير يختلف عن تفسير الآخر ، ففسر الإسلام بأعمال الظاهر ، وذلك في قوله "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ،وتقسم الصلاة وتؤت الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" وفسر الإيمان بأعمال الباطن ، كما في قوله " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره " (١١١٤)

ولعل الأمر اتضح إن شاء الله تعالى ، والخلاصة أن لفظ الإيمان والإسلام إن افترقا في النص اجتمعا في المعنى ، أي يدخل ما لم يذكر فيما ذكر ، وإن اجتمعا في النص افترقا في المعنى ، فيكون معنى الإسلام أعمال الظاهر ، والإيمان أعمال الباطن ـ هذا هو الوجه الأول من العلاقة بين الإسلام والإيمان .

(١١١٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

وهناك وجه آخر من العلاقة بينهما ، ولم يذكرها الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة، وهي :ـ أن كلا من الإسلام والإيمان مرتبتان من مراتب الدين ، فإن مرتاب الدين ثلاثة ، كما ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل الطويل ، لما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وقال في آخره (هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم) (١١١٥) رواه مسلم ، وهاتان المرتبتان متتاليتان فالأولى الإسلام والثانية الإيمان ، وبناءً عليه فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، قال تعالى {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات: ١٤] فأول ما يدخل العبد في الدين يوصف بالإسلام حتى يدخل الإيمان في قلبه بما يأتي به من التصديق والعمل الصالح ، فهذا وجه من أوجه العلاقة بينهما ، وخلاصتها أن يقال : إن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، فبينهما عموم من وجه واحد فقط ، هذا خلاصة المسألة في العلاقة بين الإسلام والإيمان ، والله أعلم .

(فائدة) إن هناك من الألفاظ في اللغة العربية ما يتفق معناها عند الافتراق ، ويتخلق معناها عند الاجتماع ، وقد حرر طرفا كبيرا منها أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الإيمان وغيره ،

فمن ذلك :ـ الكفر والشرك فإنهما كلفظ الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، أي إذا ذكر الكفر وحده دخل معه الشرك كقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ } [آل عمران: ١٠] أي والذين أشركوا كذلك ، وإذا ذكر الشرك وحده دخل معه الكفر كقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [النساء: ٤٨] أي ولا يغفر أيضًا أي يكفر به ، وأما إذا اجتمعا في نصٍ واحد فإن الشرك يكون معناه صرف شيء من أمور التعبد لغير الله تعالى والكفر جحد معلوم من الدين بالضرورة أو ترك العمل بما ورد الدليل الصحيح الصريح بتكفير تاركه . وبالجملة فيقال : كل شرك فهو كفر وليس كل كفرٍ شركًا ، والله أعلم .

ومنها :ـ لفظ القضاء والقدر ، وهما مصطلحان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، أي إذا ذكر القدر وحده دخل معه القضاء وإذا ذكر القضاء وحده دخل

(١١١٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

معه القدر ، وإذا ذكرا جميعًا في سياق واحد تغايرا ، فيكون القدر بمعنى العلم السابق والكتابة والمشيئة ، والقضاء بمعنى وقوع ذلك المقدور وخلقه فهما في ذلك كالإسلام والإيمان ، والله أعلم .

ومنها :ـ لفظ التوبة والاستغفار ، وقد ذكر أهل العلم أن الاستغفار يتضمن التوبة والتوبة تتضمن الاستغفار وكل واحد منها يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق ، وأما عند الاقتران فيكون الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى ، والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله ، فيقال في التوبة والاستغفار ما يقال في الإسلام والإيمان .

ومنها :ـ لفظ الفقير والمسكين ، فإنه إن ذكر الفقير وحده دخل معه المسكين ، وإن ذكر المسكين وحده دخل معه الفقير ، ولكن إن ذكرا معا كما في قوله تعالى {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} [التوبة: ٦٠] فيكون معناهما مختلف ، فيكون الفقير من لا يجد شيئا من كفايته ، والمسكين من يجد ما لا يكفيه ، فقد يكون المسكين يملك سفينة ، كما قال تعالى{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} [الكهف: ٧٩]فهم مساكين ، وعندهم سفينة ، ولكنها لا تحقق لهم كفايتهم ، فالفقير من لا يجد ، والمسكين من يجد ما لا يكفيه من القوت وضرورات الحياة ، فهما إن اجتمعا افترقا ، وإن افترقا اجتمعا . ومن أراد الاستزادة من معرفة هذه الألفاظ فليراجع الكتاب المذكور ، والله تعالى أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

جاني الكبيرة ليس يكفر عندنا ويكون بعد قيامة الأبدان

تحت المشيئة إن أراد عذابه فبعدله أو إن أراد الثاني

فبفضله فهو الرحيم بخلقه وهو الغفور لما جناه الجاني

أقول :ـ قوله (جاني) أي فاعل ، (الكبيرة) أقول :ـ اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في تعريف الكبيرة على أقوال ، فمنهم من عرفها بالعد ، ومنهم من عرفها بالحد ، والأرجح عني والله تعالى أعلم هو تعريفها بالحد ، وقد اختلف

المعرفون لها بالحد في تعريفها ، والأقرب عندي والله تعالى أعلى وأعلم هو ما اختاره أبو العباس رحمه الله تعالى من أن الضابط في معرفة الكبيرة هي أنها كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار أو توعد عليه بعقاب خاص في الآخرة أو نفي عن صاحبه الإيمان أو بأنه ليس منا .

فمثال ما ختم بلعنة حديث علي مرفوعاً (لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله من آوى محدثاً لعن الله من غير منار الأرض) (١١١٦) رواه مسلم .

ومثال ما ختم بغضب قوله تعالى (ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالاً فيها وغضب عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)

وحديث ابن مسعود (من حلف على يمين صبر) (١١١٧).

ومثال ما ختم بنارٍ حديث (فما أسفل الكعبين في النار) . (١١١٨)

ومثال ما ثبت فيه الوعيد عليه بخصوصه حديث (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل كان له فضل ماءٍ بالطريق فمنعه من ابن

(١١١٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح، بَابُ تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ (١٩٧٨).

(١١١٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ}(٤٥٤٩)، كتاب الأيمان والنذور، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٦٦٧٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ (١٣٨).

(١١١٨) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (١١٠١٠)، (١١٠٢٨)، (١١٢٥٦)، (١١٣٩٧)، (١١٤٨٧)، (١١٩٢٥)، وابن ماجه في سننه، في كتاب اللباس، باب موضع الإزار أين هو (٣٥٧٣)، وأبو داود في سننه، في كتاب اللباس، باب في قدر موضع الإزار (٤٠٩٣)، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب الزينة، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عبد الرحمن بن يعقوب فيه، (٩٦٣١- ٩٦٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٩٨٠)، وأبو عوانة في المستخرج (٨٦٠٢)، (٨٦٠٥)، وابن حبان في صحيحه (٥٤٤٦)، (٥٤٤٧)، (٥٤٥٠)، وغيرهم.

من طريق: العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات، إلا ما كان من العلاء بن عبد الرحمن، فهو صدوق، فيحسن حديثه.

السبيل ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال والله الذي لا إله إلا غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل ..) (١١١٩) متفق عليه .

ومثال ما نفي عن صاحبه الإيمان حديث أنس (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) (١١٢٠) .

إذا علمت هذا فاعلم رحمك الله تعالى أن مرتكب الكبيرة الذي نتكلم عنه هو من يصر عليها حتى يموت على وهو لا يزال يقارفها ، وأما من ارتكب شيئا منها وتاب في زمن الإمكان فإن الله تعالى يتوب على من تاب ، كما قال تعالى {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣] والتوبة في الدنيا لا يتعاظمها الكفر والشرك فضلا عن سائر الكبائر ، إن صدق صاحبها وأتى بشروط قبولها التي قررها أهل العلم رحمهم الله تعالى ، وأما من أصر على هذه الكبيرة حتى مات عليها فإن أهل السنة رحمهم الله تعالى لهم فيه مذهبان :ــ مذهب أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في مرتكب الكبيرة في الدنيا ، ومذهب لأهل السنة رحمهم الله تعالى في مرتكب الكبيرة في الآخرة ، فأما مذهبنا فيه في الدنيا فهو ما أفصح عنه الناظم عفا الله تعالى عنه بقوله (جاني الكبيرة ليس يكفر عندنا) ولكنه ناقص الإيمان ، ونقول من باب التفصيل :ــ يعتقد أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن فعل الكبيرة له تأثير في نقص الإيمان كما وردت بذلك الأدلة ، لكنه ليس النقص الكامل بحيث لا يكون معه شيء من الإيمان ، بل هو نقص يتفاوت بتفاوت

(١١١٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المساقاة، بَابُ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنَ الماءِ (٢٣٥٨)، بَابُ مَنْ رَأَى أَنَّ صَاحِبَ الحَوْضِ وَالقِرْبَةِ أَحَقُّ بِمَائِهِ (٢٣٦٩)، كتاب الشهادات، بَابُ اليَمِينِ بَعْدَ العَصْرِ (٢٦٧٢)، كتاب التعبير، بَابُ مَنْ بَايَعَ رَجُلًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا (٧٢١٢)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٤٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٨).

(١١٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الإِيمَانِ (١٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الأيمان، بَابُ وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَالْوَالِدِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ، (٤٤).

عظم هذه المعصية وصغرها ، فالنقص الذي يحدثه القتل أعظم من النقص يحدثه حلق اللحية وإسبال الثوب ، وهكذا ، فالمحرمات تتفاوت فيما يترتب عليها من العقوبات والآثام ، كما أن الواجبات تتفاوت أجورها وما يترتب عليها ، ففعل المعصية ينقص الإيمان ، لكنه ليس النقص المطلق ، أي أنه نقص من إيمانه بقدر هذه الكبيرة التي فعلها لكن يبقى معه شيء من الإيمان ، فخلاصة مذهب أهل السنة في ذلك أنهم لا يعطونه الإيمان المطلق ولا يسلبونه مطلق الإيمان وبعبارة أخرى نقول : مرتكب الكبيرة مؤمن بما بقي معه من الإيمان وفاسق بما فعله من العصيان . أو نقول : هو مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته ، والدليل على أن فعل الكبيرة تنقص الإيمان حديث أبي هريرة السابق (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ....) (١١٢١) الحديث أي لا يكون مؤمناً تاماً ولا يكون له نور الإيمان كما قاله الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، فهذه المعاصي من الزنى وشرب الخمر والسرقة والانتهاب والغلول أوجبت نقص الإيمان مما يدل على أن فعل المعصية ينقص الإيمان ، وعن أبي هريرة مرفوعاً (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا : من يا رسول الله قال (من لا يأمن جاره بوائقه) (١١٢٢)

فهذه المعصية وهي أذى الجار وإسرار العداوة له وتربص حلول الدوائر به أوجبت نقص الإيمان ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي مسعود مرفوعاً (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر) (١١٢٣) فهذه المعصية العظيمة أوجبت نقص الإيمان الذي تحصل به النجاة يوم القيامة .

(١١٢١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم، بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ (٢٤٧٥)، كتاب الأشربة، باب (٥٥٧٨)، كتاب الحدود، بَابُ لاَ يُشْرَبُ الخَمْرُ (٦٧٧٢)، بَابُ السَّارِقِ حِينَ يَسْرِقُ (٦٧٨٢)، بَابُ إِثْمِ الزُّنَاةِ (٦٨٠٩)، (٦٨١٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ (٥٧).

(١١٢٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ (٤٦).

(١١٢٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١).

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود مرفوعا (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (١١٢٤)

والوصف بالفسوق والكفر الأصغر دليل على أن هاتين المعصيتين قد أثرتا تأثيرا بليغا في نقص الإيمان مما يدل على أن فعل المعصية ينقص الإيمان بقدر هذه المعصية .

وفي الصحيحين من حديث حذيفة (لا يدخل الجنة قتات) (١١٢٥) أي نمام ، فهذه المعصية أنقصت الإيمان الواجب نقصا كبيرا بحيث إن صاحبها حكم عليه بأنه لا يدخل الجنة ،والنصوص على ذلك كثيرة جدا لا تكاد تحصر، وتفيد بمجموعها أن فعل المعاصي ينقص الإيمان ، فهذا معنى قول أهل السنة إن المعصية تنقص الإيمان .

وأما الدليل على أن فاعل الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان فقوله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ١٧٨] فوصف القاتل بأنه أخٌ للمقتول مما يدل على أنه لا يزال على الإيمان مع اتصافه بالقتل ، وقتل النفس بغير حق من جملة الكبائر ، فعلمنا بذلك أن ارتكاب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان ، ومن ذلك قوله تعالى {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات: ٩] فسماهم مؤمنين مع اتصافهم بقتال بعضهم بعضاً ـ وقال في آخرها {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات: ١٠] فوصفهم بالإيمان وجعلهم إخوة مما يدل على أنه لا يزال بينهم أخوة الإيمان ، فعلمنا بذلك أن ارتكاب الكبيرة لا يخرج العبد من دائرة الإيمان بالكلية ، وفي

(١١٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ (٤٨)، كتاب الأدب، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ (٦٠٤٤)، كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٧٠٧٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (٦٤).

(١١٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ النَّمِيمَةِ (٦٠٥٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ (١٠٥).

حديث عياض الملقب حماراً أنه كان يشرب الخمر فيؤتى به فيجلد فلعنه أحد الصحابة فقال عليه الصلاة والسلام " لا تلعنه فوالله أني لا أعلم إلا أنه يحب الله ورسوله " (١١٢٦) ومن المعلوم أن شرب الخمر من الكبائر ومع ذلك أثبت له أنه يحب الله ورسوله أي هو مؤمن ، فأثبت له الإيمان مع تلبسه بهذه الكبيرة فعلمنا بذلك أن ارتكاب الكبيرة لا يخرج العبد من مسمى الإيمان بالكلية . ومن ذلك ما ورد في قصة حاطب بن أبي بلتعة ، رضي الله عنه من أنه كاتب المشركين يخبرهم بمقدم رسول الله ﷺ إليهم غازيا ، وهذا تجسس على المسلمين ، ومظاهرة للكفار ، ولو كانت في الظاهر فقط ، وهي من جملة الكبائر ، ولكن ومع ارتكاب حاطب رضي الله عنه لهذه البلية إلا أن النبي ﷺ لم يحكم عليه بالكفر ، بل وكله إلى ما أخبر به ، وبين أنه من أهل بدر ، ونهى عن التعرض له، فكان في خبره ما رواه أصحاب الصحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :ـ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ « ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا ». فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ فَقُلْنَا أخرجي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ مَا معي كِتَابٌ. فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَا حَاطِبُ مَا هَذَا ». قَالَ لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إني كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا في قُرَيْشٍ - قَالَ سُفْيَانُ كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا - وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قرابتي وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ ديني وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ النبي -ﷺ- « صَدَقَ ». فَقَالَ عُمَرُ دعني يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا

(١١٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الخَمْرِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ المِلَّةِ (٦٧٨٠).

عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}(١١٢٧) وهذا يفيدك أن ارتكاب الكبيرة لا يخرج من مسمى الإيمان ، وقد أتفق أهل السنة على ذلك ، فهذا بالنسبة لمذهب أهل السنة رحمهم الله تعالى في مرتكب الكبيرة في الدنيا

وأما مذهبهم رحمهم الله تعالى في مرتكب الكبير في الآخرة ، فاعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى يعتقدون أن مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً عليها فإنه تحت مشيئة الله تعالى ، فإن شاء غفر له كبيرته وأدخله الجنة ابتداءً وإن شاء عذبه في النار بقدر كبيرته ثم يخرجه منها ويدخله الجنة انتقالاً ، ويعتقدون مع ذلك أنه لا يخلد أحد من أهل القبلة في النار خلود الكفار ، وإن طالت فترة عذابهم فمآلهم إلى الجنة ، والدليل على ذلك حديث أنس في الصحيح مرفوعاً (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن حبة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير) (١١٢٨)

وفي السنن من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن حافظ عليهن لم كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عهد عند الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) (١١٢٩) حديث صحيح ،

(١١٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ الجَاسُوسِ (٣٠٠٧)، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح (٤٢٧٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَقِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ (٢٤٩٤).

(١١٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٤).

(١١٢٩) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٦٩٣)، (٢٢٧٢٠)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب فيمن لم يوتر (١٤٢٠)، وابن ماجه في سننه، في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها (١٤٠١)، والنسائي في المجتبى، في كتاب الصلاة، باب المحافظة على الصلوات الخمس (٤٦١)، وابن حبان في صحيحه (١٧٣١، ١٧٣٢)، (٢٤١٧)، والدارمي في سننه (١٦١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٦٧)، وغيرهم.

من طريق: مُحَمَّد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز، عن عبادة بن الصامت، به.

وفي الصحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه) (١١٣٠) وقال أهل السنة ذلك لأن فاعل الكبيرة قد أجتمع فيه الموجبان ، فما فعله من الكبائر موجب لعقوبته وما عنده من الإيمان موجب لإثابته . فاجتمع فيه موجب الثواب وموجب العقاب فلا نجزم له بأحد الأمرين بل نكل أمره إلى الله تعالى فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه .

فإن قلت :ــ وهل خالفهم في هذا المذهب أحد من أهل القبلة ؟ فأقول :ــ نعم ، لقد خالفهم طائفتان ، المرجئة والوعيدية ، ونعني بالمرجئة هنا الأشاعرة ومن نحا نحوهم في إخراج العمل من الإيمان ، ونعني بالوعيدية هنا أي الخوارج والمعتزلة ومن نحا نحوهم ، فأما المرجئة فقالوا :ــ إن ارتكاب الكبيرة لا تأثير له في نقص الإيمان ، بل مهما ارتكب العبد من الموبقات والكبائر فإن إيمانه لا ينقص أبدا ، وبالطبع بما أن إيمانه لا ينقص أبدا بارتكاب الكبيرة في الدنيا فإنه إن مات مصرا عليها فهل سيدخل النار ؟ الجواب :ــ بالطبع لا ، بل يقولون :ــ إنه إلى الجنة مباشرة ، فقالوا في الدنيا إيمانه كامل ، وقالوا هو في الآخرة إلى الجنة ، وأما الوعيدية فقالوا :ــ إنه بمجرد ارتكابه للكبيرة فقد خرج من الدين بالكلية ، فلا يبقى معه مطلق الإيمان ، ولكن الخوارج قالوا :ــ إنه خرج من الدين ودخل في دائرة الكفر ، وأما المعتزلة فقد استحوا على وجوههم قليلا وقالوا :ــ نعم ، هو خرج من دائرة الإسلام ، وليس معه مطلق الإيمان ، ولكنه لم يدخل في دائرة الكفر ، بل هو

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، رجال الشيخين.

(١١٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب: علامة الإيمان حب الأنصار (١٨) وفي كتاب مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، وبيعة العقبة (٣٨٩٢، ٣٨٩٣) وفي كتاب تفسير القرآن باب {إذا جاءك المؤمنات يبايعنك} (٤٨٩٤) وفي كتاب الحدود باب: الحدود كفارة (٦٧٨٤) وفي كتاب الحدود باب توبة السارق (٦٨٠١) وفي كتاب الأحكام باب بيعة النساء (٧٢١٣) وفي كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} (٧٤٦٨) ومسلم في صحيحه كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها (١٧٠٩)

في منزلة بين هاتيت الدائرتين ، فلا في الإسلام بقي ، ولا إلى الكفر وصل ، فقالوا :ـ بالمنزلة بين المنزلتين ، وأما في الآخرة فإن الخوارج يعتقدون أنه خالد مخلد في النار أبد الآباد ، لأنه خرج من الدنيا كافرا ، وماذا قال المعتزلة فيه في الآخرة ؟ العجيب أنهم وافقوا الخوارج في أن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار أبد الآباد ، سبحان الله ، ولماذا مع أنه لم يصل إلى دائرة الكفر ؟ هذا ما لا جواب لهم عليه ، وهذا يبين لك ان المعتزلة أصلا كانوا يوافقون الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا ، ولكنها موافقة باطنية ، لا ظاهرية ، بل ويوضح هذا أن تقابل الإيمان والكفر الأكبر تقابل نقيض ، فإن ارتفع الإيمان حل الكفر الأكبر ، وإن ارتفع الكفر الأكبر حل الإيمان ، فلا يرتفعان جميعا ولا يجتمعان في قلب العبد ، بدليل أنهم أفتوا أنه في الآخرة خالد مخلد في النار أبد الآباد ، فقالوا بما قاله إخوانهم من الخوارج ، والمهم هنا هو أن تعلم أن المرجئة قد أعطوا مرتكب الكبيرة الإيمان المطلق ، والوعيدية سلبوا مرتبك الكبيرة مطلق الإيمان ، وأما أهل السنة فقد قالوا :ـ هو مؤمن بما بقي معه من الإيمان ، وفاسق بما ارتكبه من المعصية والإثم .

فإن قلت :ـ وما السبب الذي به ضلوا عن الصراط المستقيم في هذه المسألة ؟ فأقول :ـ أما سبب ضلالهم فلأنهم زعموا أن الإيمان جزء واحد لا يزيد ولا ينقص ، بل هو ثابت في حق كل أحدٍ ما لم يأت العبد بما يناقضه ، وهذا المناقض هو الكفر والشرك عند المرجئة لا غير ، فالذي يؤثر في الإيمان عند المرجئة هو الشرك فقط لا فعل الكبيرة ، تغليباً منهم للرجاء التي دلت عليها أدلة الوعد ، وأما الوعيدية فالناقض عندهم هو كل كبيرة ، فكل كبيرة تعد ناقضة للإيمان من أساسه وكذلك تغليباً منهم للخوف والتهديد التي دلت عليه أدلة الوعيد ، وأما أهل السنة فيرون أن الإيمان لا ينقضه أي لا يذهبه بالكلية إلا الكفر والشرك ، وأما فعل الكبيرة فإنها مضادة لكماله الواجب أي أن الكبيرة تنقصه عن كماله الواجب ، فلا يجتمع الكمال الواجب مع فعل الكبيرة أبداً ، لكنها - أي فعل الكبيرة لا تناقض أساسه ويكون أهل السنة بذلك قد أخذوا بأدلة الوعيد والوعد فأعملوا جميع الأدلة الشرعية وهذا هو منهج الوسطية .فالمرجئة عبدوا الله بالرجاء فقط ، والوعيدية عبدوا الله بالخوف فقط وأما أهل السنة فعبدوا الله بالخوف والرجاء فأنتج ذلك لهم

الخشية ، فالخشية مزيج من الخوف والرجاء ، جعلنا الله وإياك من أهل السنة . وسميت المرجئة بذلك لأنهم يغلبون جانب أدلة الوعد المفيدة لتغليب الرجاء ، وقيل : بل الإرجاء هو التأخير فلأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان سموا بالمرجئة، قلت : وكلا الأمرين صحيح فسموا مرجئة لهذا ولهذا . وهم الأشاعرة وبعض الأحناف والماتريدية والجهمية والكلابية ، فهولاء في باب أسماء الأحكام والدين يسمون مرجئة ، وأما الوعيدية فسموا بذلك لأنهم لا يعلمون إلا بأدلة الوعيد فقط ويتركون أدلة الوعد ، وهم الخوارج والمعتزلة ، فهؤلاء في باب الكلام على مرتكب الكبيرة نسميهم الوعيدية والله أعلم .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ : أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ ؛ بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: ١٧٨] وَقَالَ { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات: ٩، ١٠] وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الملي اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} [النساء: ٩٢] وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال: ٢] وَقَوْلُهُ { لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

}(١١٣١) وَيَقُولُونَ : هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ الْمُطْلَقَ وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ) (١١٣٢)

وعليه :- فما يفهمه الخوارج من آيات الوعيد في حق بعض الذنوب ، من أنها توجب خروج مرتكبها من مطلق الإيمان بحيث يكون كافرا ، هذا فهم باطل ، لأنه فهم مخالف لفهم السلف ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم السلف في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل ، والوعيدية تفهم من بعض النصوص أنها تفيد تكفير أصحاب الكبائر ، فيجاب عليهم بأن فهمهم هذا مخالف لفهم السلف ، وكل فهم يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل :ـ

كما فهموا ذلك من قوله تعالى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣] ففهموا من هذه الآية أنها توجب لمن قتل النفس المعصومة عدوانا أنه كافر خارج عن الملة ، وهذا فهم مخالف لفهم السلف ، لأنها أولا:- من آيات الوعيد التي لابد تصان عن التأويل الذي يخرجها عن قوة الزاجر فيها ، وثانيا :- لابد مع القول بذلك أن يراعى أنها لا يراد بها الخلود الأبدي المطلق في النار كخلود الكفار ، إلا في حق من استحل ذلك ، ولو أن الوعيدية لم يستدلوا بها على قولهم الباطل لم نتكلف قول ذلك ، لكن لابد أن يفهم الكتاب والسنة على فهم السلف ، فالسلف لا يفهمون من هذه الآية أنها توجب الخلود المطلق الأبدي الذي لا يعقبه خروج البتة ، لأنهم مجمعون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر الكفر الناقل عن الملة ، فلابد من فهم آيات الوعيد الواردة في الوحيين على مقتضى فهم السلف ، وإلا لكثر القول على الله بلا علم ، وحرمته في الشرع لا تخفي عليك .

ومن ذلك :ـ قوله تعالى {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨]مع أن أهل السنة متفقون على أن هذا في الكفار الذين ليس معهم أصل الإسلام ، لأنه قال قبل

(١١٣١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم، بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ (٢٤٧٥)، كتاب الأشربة، باب (٥٥٧٨)، كتاب الحدود، بَابُ لاَ يُشْرَبُ الخَمْرُ (٦٧٧٢)، بَابُ السَّارِقِ حِينَ يَسْرِقُ (٦٧٨٢)، بَابُ إِثْمِ الزُّنَاةِ (٦٨٠٩)، (٦٨١٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ (٥٧).

(١١٣٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١).

ذلك عن الكفار في سقر {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ } [المدثر: ٤٦]ثم قال {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨]والضمير يعود إلى أقرب مذكور ، والتكذيب بيوم الدين يوجب الكفر ، فالشفاعة المنفية إنما هي في حق الكفار ، وأما أهل الكبائر فالشفاعة فيهم مثبتة ، بل الأحاديث في شأنها متواترة ، ولا ينكرها إلا مكابر ومعاند ، فما فهمه الوعيدية من هذه الآية الكريمة لا يصح ، لأنه فهم مخالف لفهم السلف ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم السلف في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل .

ومن ذلك :ـ قوله تعالى {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } [النساء: ٢٩، ٣٠] مع قوله ﷺ { من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ... الحديث (١١٣٣)} ففهم الوعيدية من الخوارج والمعتزلة أن هذه النصوص وأمثالها تفيد أن مرتكب الكبيرة كافر ، وأنه خالد في النار الخلود الأبدي الذي لا خروج منه ، وهذا فهم مخالف لفهم السلف ، لأن قتل النفس كبيرة من كبائر الآثام ، ففاعله من أهل الكبائر ، ما لم يعتقد أنه حلال وقد اتفق السلف على أن مرتكب الكبيرة في الآخرة تحت المشيئة ، وهذا الوعيد الوارد في حقه حق على حقيقته ، إلا أنه لابد أن يقرن بفهم السلف في هذا الباب ، ولا يؤخذ بمعزل عنه ، وهل كثر القول على الله تعالى بلا علم إلا لما فهم الكتاب والسنة على غير فهم سلف الأمة ، وهل حصل ما حصل من الفتن والملاحم بين الخوارج والصحابة إلا بسبب هذه الأفهام المغلوطة التي عورض بها فهم سلف الأمة ، فيعمد الوعيدية إلى آيات هي أصلا في حق الكفار ، وينزلونها على المسلمين من أهل الكبائر ، ثم يفعلون بالأمة الأفاعيل التي لا تزال الأمة تعاني من ويلاتها .

(١١٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالخَبِيثِ (٥٧٧٨)، ومسلم في صحيحه في الإيمان، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ (١٠٩).

ومن ذلك :ـ قوله ﷺ " لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ...) (١١٣٤)الحديث } فالوعيدية فهموا من هذا النص وما ورد في شأن نفي الإيمان عن مرتكب بعض الأفعال ، فهموا أنه نفي لمطلق الإيمان ، أي أنه لا يبقى معه من الإيمان شيء ، وهذا فهم باطل ، لأنه مخالف لفهم السلف، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل فهو باطل ، لأن السلف بالاتفاق فهموا أحد أمرين :الأول :- أنه حال مقارفته لهذه الأفعال يخرج منه الإيمان فيكون فوق رأسه كالظلة ، فإذا نزع عنها عاد إليه الإيمان ، وهو تفسير مروي عن بعض الصحابة والتابعين ، الثاني:- أنه لا يكون مؤمنا كامل الإيمان ولا يكون معه نور الإيمان ، وكلا التفسيرين صحيح ، ولكن بالاتفاق لا يراد من مثل هذه النصوص نفي أصل الإيمان بحيث يكون من ارتكبها كافرا الكفر الأكبر كما يفهمه الوعيدية ، هذا غير مراد بلا شك ، فالحق الحقيق بالقبول هو أن المنفي هنا هو كمال الإيمان الواجب لا أن المنفي أصل الإيمان ، وبالجملة فالقاعدة عندنا :- أن كل نص من نصوص الوعيد ورد في شأن تخليد فاعل الكبيرة فإنه لا يراد به الخلود الأبدي المطلق كخلود الكفار وإنما يراد به الخلود بمعنى المكث الطويل ، ويختلف هذا الخلود باختلاف عظم الجرم ، وبه تعلم أن ما يفهمه الوعيدية من نصوص الوعيد أنه مخالف لما يفهمه أهل السنة منها ، ففهم الوعيدية باطل وفهم السلف هو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

ومثل هذا الفهم الفاسد فهم الطائفة الأخرى والذين يسميهم أهل السنة بالمرجئة، فإن لهم فهما فاسدا في نصوص الوعد ، وهذا الفهم الفاسد أدى بهم إلى لقول بأنه لا تضر مع الإيمان معصية ، غير الشرك ، وأن إيمان أفسق الناس كإيمان أبي بكر وعمر .

(١١٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم، بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ (٢٤٧٥)، كتاب الأشربة، باب (٥٥٧٨)، كتاب الحدود، بَابُ لاَ يُشْرَبُ الخَمْرُ (٦٧٧٢)، بَابُ السَّارِقِ حِينَ يَسْرِقُ (٦٧٨٢)، بَابُ إِثْمِ الزُّنَاةِ (٦٨٠٩)، (٦٨١٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ (٥٧).

كما فهموا من قوله عليه الصلاة والسلام "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة" (١١٣٥)

ومن قوله "ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة" (١١٣٦)

قال أبو ذر:- وإن زنى وإن سرق ؟ قال "وإن زنى وإن سرق " قال: وإن زنى وإن سرق ؟ قال "وإن زنى وإن سرق " - ثلاثا - متفق عليه (١١٣٧)،

وقال " ما من عبد يشهد إلا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار" (١١٣٨)

ونحو هذه النصوص التي فيها بيان فضل كلمة التوحيد وكقوله فيما يرويه عن ربه عز وجل" يا ابن آدم ، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة" (١١٣٩)

(١١٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه في الإيمان، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ (٢٦).

(١١٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ الثِّيَابِ البِيضِ (٥٨٢٧)، ومسلم في صحيحه في الإيمان، بَابُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ (٩٤).

(١١٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالخَبِيثِ (٥٧٧٨)، ومسلم في صحيحه في الإيمان، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ (١٠٩).

(١١٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا (١٢٨)، ومسلم في صحيحه في الإيمان، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ (٣٢).

(١١٣٩) صحيح

روي من طرقٍ عن النبي ﷺ:

الأول: عن أبي ذرٍ

أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى (٢٦٨٧).

الثاني: عن أنس بن مالك

أخرجه أحمد في مسنده (١٣٤٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٢٦)، والطبراني في الدعاء (١٨٠٥).

من طريق: عبد المؤمن بن عبيد الله السدوسي، حدثنا أخشن السدوسي، عن أنس، به.

ففيه: أخشن السدوسي، وهو مجهول،

فالمرجئة يفهمون من هذه النصوص أن من مات على هذه الكلمة فإنه لا يضره ما فعله من الذنوب وما ارتكبه من الموبقات غير الشرك ، وهذا فهم باطل لأنه مخالف لدلالة الكتاب والسنة ، ومخالف لفهم سلف الأمة وأئمتها ، فإن السلف رحمهم الله تعالى ما كانوا يفهمون من هذه النصوص ما يفهمه المرجئة ، بل السلف رحمهم الله تعالى يفهمون من هذه النصوص أحد أمرين كلاهما صحيح ، وهما: الأول :- أن هذا من قبيل بناء المطلق على المقيد ، فإن بعض الأحاديث لفضل هذه الكلمة قد وردت مطلقة ، وبعضها قد وردت مقيدة، وقد تقرر في الأصول أن المطلق يبنى على المقيد إن اتفقا في الحكم والسبب ، فالمرجئة إنما نظروا إلى الإطلاق وأهملوا التقييد ، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم نظروا إلى الأمرين جميعا ، فقيدوا المطلق بالقيود الواردة ، فمن القيود قيد الإخلاص والصدق والمحبة والقبول والانقياد ، والكفر بالطاغوت والعلم بمعناها واليقين بمدلولها ، وكل ذلك قد وردت به الأدلة الصحيحة الصريحة ، الثاني :- أن الأدلة إنما أثبتت أن من قال هذه الكلمة ومات عليها فإنه سيدخل الجنة ، وأهل السنة يقولون ذلك ولكن الأحاديث ليس فيها أنه يدخل الجنة ابتداء أو انتقالا ، ولا ينبغي تحميل الأحاديث ما لا تحتمل ، ودخول الجنة قسمان ، دخول ابتدائي ، ودخول انتقالي ، فالابتدائي أن تكون الجنة أول منازله ، وذلك فيما لو غفر الله تعالى

وأخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده (٣٥٤٠)،
من طريق: كثير بن فائد، قال: حدثنا سعيد بن عبيد، قال: سمعت بكر بن عبد الله المزني، يقول: حدثنا أنس بن مالك، به.
ففيه كثير بن فائد، وهو مجهول،
قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
الثالث: عن ابن عباس
أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٣٤٦)، وفي الدعاء (١٩)، وفي الأوسط (٥٤٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠١).
من طريق: إبراهيم بن إسحاق الصيني عن، قيس بن الربيع، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به.
ففيه: إبراهيم بن إسحاق الصيني، وهو متروك، كما قال الدارقطني،
وفيه: وقيس بن الربيع، وهو إلى الضعف أقرب، قال فيه الحافظ في التقريب: صدوق تغير لما كبر ، و أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، وباقي رجال إسناده فثقات.
قال الطبراني رحمه الله: لم يرو هذا الحديث عن حبيب بن أبي ثابت إلا قيس بن الربيع، تفرد به: إبراهيم بن إسحاق الصيني .

جرمه ، والانتقالي هو أن يدخل النار أولا، فيما لو لم يفغر الله تعالى له ، ثم يخرجه إلى الجنة بعد ذلك ، على ما جاءت به الأدلة ، وأجمع عليه أهل السنة ، فالأدلة فيها متواترة ، وعلى كل حال ، فالمرجئة يفهمون من هذه الأدلة فهما مخالفا لفهم سلف الأمة وأئمتها ، والمسألة عقدية ، والمتقرر أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في مسائل الاعتقاد فهو باطل ، فاحفظ هذه القاعدة الطيبة ، فإنها من أعظم وأوسع قواعد الاعتقاد ، والله يتولانا وإياك .ونرجع إلى شرح قول الناظم عفا الله عنه ، قال رحمه الله تعالى (جاني) أي فاعل (الكبيرة) سبق تعريفها ، (ليس يكفر عندنا) وهذا حكمه في الدنيا ، فهو ليس بكافر بسبب فعل الكبيرة ، ولكنه ناقص الإيمان ، (ويكون) مرتكب الكبيرة (بعد قيامة الأبدان) أي بعد قيام الناس من قبورهم لرب العالمين للحساب والجزاء ، وهذا حكمه في الآخر (تحت المشيئة) أي مشيئة الرب جل وعلا ، (إن أراد) الله تعالى (عذابه فبعدله) جل وعلا ، وما ربك بظلام للعبيد ، (أو إن أراد الثاني) أي أن يعفو عنه ويتجاوز عنه كبيرته (فبفضله) وجوده وكرمه وإحسانه لعبده المسكين ، (فهو الرحيم بخلقه وهو الغفور لما جناه الجاني) والأبيات واضحة ولله الحمد والمنة ، والله ربنا أعلى وأعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

ويجوز قرنك للمشيئة دونما شك ولا ريب مع الإيمان

أقول :ـ صورته أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله . والناس فيها على طرفين ووسط وخير الأمور الوسط ، فمن الناس من يوجب هذا القول أي يوجب قول (إن شاء الله) بعد قوله (أنا مؤمن) فيوجبه مطلقاً ولهم في ذلك مأخذان :

الأول : أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموفاة وما سبق في علم الله أنه يكون عليه ، وما قبل ذلك فلا عبرة به .

الثاني : أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله وترك ما نهاه عنه كله فإذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين

والقائمين بجميع ما أمروا به وترك ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله المقربين وهذا من تزكية النفس وقد نهى الله عنه في قوله تعالى{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } [النجم: ٣٢]وقوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: ٤٩]

وقال عليه الصلاة والسلام (الله أعلم بأهل البر منكم).

ومن الناس من يمنع تعليق الإيمان بالمشيئة مطلقاً وهم الذين يجعلون الإيمان جزءًا واحدا لا يزيد ولا ينقص وهم المرجئة ، ومأخذهم في ذلك قولهم نحن نعلم قطعاً أننا مؤمنون كعلمنا قطعاً أننا مسلمون ، وتعليق الإيمان بالمشيئة شك في الإيمان والشك في الإيمان كفر ، ولذلك فهم يسمون من يجيز تعليق الإيمان بالمشيئة بالشكاكين .

أما مذهب أهل السنة فإنهم يفصلون في ذلك تفصيلاً يجمع الأدلة كلها فهم أسعد بالحق والصواب المؤيد بالدليل من الفريقين السابقين وهم الوسط في هذه المسألة كما أنهم الوسط في سائر أمور الاعتقاد وخلاصة مذهبهم أنهم قالوا : إن كان القصد من الاستثناء الشك في وجود أصل الإيمان فهذا حرام لأنه مفض إلى الوقوع في الحرام ، وما أفضى إلى الحرام فهو حرام . وهذا لا خلاف فيه ، وإن كان يقصد به الشك في كماله فهو مندوب حسن جداً لأن كمال الإيمان من الأمور التي لا تدرك بالحس وإنما مبناها على الدليل ولأنه أبعد عن الرياء والسمعة ، ويلحق بذلك من أستثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة فهو حسن أيضاً وما عدا ذلك فجائز ، ونقول بتفصيل أوضح : يكون الاستثناء حراماً إذا كان للشك في أصل الإيمان ويكون واجباً إذا خيف على نفسه الرياء إذا تركه ، ويكون مستحباً إذا كان للشك في كماله أو أراد عدم علمه بالعاقبة ، ويكون مباحاً فيما عدا ذلك ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

وعليك إثبات الشفاعة إن أتت   في لسنة الغراء والقرآن

كشفاعة المختار في فصل القضا   وبعمه ودخول أهل جنان

وبرفعة الدرجات في دار الرضا   وبمن أتى بكبائر العصيان

لا يدخلون النار أو أن يخرجوا   بعد الدخول لجنة الرحمن

وشروطها إذن الإله كذا الرضا   ودليلها في النجم دون تواني

أقول :ـ هذه الأبيات تتكلم عن الشفاعة ، ومن باب التفصيل نجعل الكلام في جمل من المسائل فنقول وبالله تعالى التوفيق :ـ

(المسألة الأولى) الشفاعة مأخوذة من الشفع ضد الوتر ، وهي انضمام شيء إلى شيء ، أي انضم وتر إلى وتر فصار شفعاً ، والمراد بها في عرف أهل الاعتقاد : السؤال لفصل القضاء والتجاوز من الذنوب وتخفيف العذاب وزيادة الثواب لمستحقه ، فهذا التعريف يدخل فيه جميع الأنواع المذكورة والتي ثبتت بها الأدلة ، وهو تعريف للشفاعة في الآخرة وإلا فالشفاعة في الأصل : طلب الخير للغير ، والله أعلم .

(المسألة الثانية) اعلم رحمك الله تعالى أن القاعدة المتقررة في هذا الباب عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في باب الشفاعة أنها على التوقيف على الأدلة الشرعية الصحيحة الصريحة ، فلا يجوز لأحد أن يثبت منها إلا ما ورد بإثباته الدليل ، فما ورد من الشفاعات في الأدلة وجب إثباته ، وما لا ، فلا يجوز اعتقاده ، وذلك لأن هذه الشفاعات من أمور الآخرة ، بل الإيمان بها من جملة مقتضيات اليوم الآخر ، وأمور الآخرة من الغيب ، والمتقرر أن ما كان من الغيب فبمناه على التوقيف ، وهذه القاعدة المقررة في باب الشفاعة مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، فنحن ولله الحمد والمنة لا نؤمن بأي شفاعة وأنها ستكون في الآخرة إلا إن ورد لها الدليل ، وبهذا نسلم من المذاهب الهدامة والأفكار الضالة في هذا الباب ، والله أعلم .

(المسألة الثالثة) اعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة والجماعة في هذا الباب وسط بين فرقتين ضالتين بعيدتين عن الحق والهدى ، الفرقة الأولى :ـ الفرقة المشركية في باب الشفاعة ، وهم الذين يعتقدون ثبوت الشفاعة لمعبوداتهم الباطلة ، كما هو حال أهل الشرك الذين بعث فيهم النبي ﷺ ، بل وهو حال أهل الشرك

قبلهم في الأمم الماضية ، فإنهم كانوا يعبدون آلهتهم ويزعمون أنها تشفع لهم في الآخرة ، كما قال الله تعالى عنهم ذلك بقوله {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: ٣] ، وكما قال تعالى عنهم ذلك بقوله جل وعلا {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس: ١٨] وكما هو حال مشركي زماننا الذين يصرفون العبادة من الذبح والنذر والدعاء والاستغاثة للأولياء والصالحين ، فإنهم يعتقدون فيهم أنهم يقربونهم إلى الله تعالى زلفى ، أي منزلة ورتبة ، وهذا الاعتقاد من جملة الاعتقادات الشركية الباطلة بالكتاب والسنة والإجماع ، وهي الشفاعة المنفية في القرآن ، كما قال تعالى{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } [المدثر: ٤٨]، وقد قطع الله تعالى كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك في ملكوته أو أن يكون ظهيرا له أو معاونا له في تصريف ملكوت السموات والأرض ، أو أن يكون من جملة الشافعين عنده ، كما قال تعالى {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } [سبأ: ٢٢، ٢٣] قال بعض العلماء (وهذه الآية تضمنت نفي جميع الوجوه التي تعلل بها المشركون في التعلق بمعبوداتهم فنفت الآية عن آلهتهم كل أوجه التأثير في الكون ممثلة في نفي الملك التام ، وذلك لانعدام ربوبيتهم فلا يخلقون في الكون شيئا ، ولا يدبرون فيه أمرا ، وكذلك نفي المشاركة لله في الملك بأن يكون لهم نصيب وله نصيب ، فنفت عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السماوات والأرض ، ونفت أيضا وجود الظهير والمعين ، فقد يدعى بعض المشركين أن آلهتهم لا يملكون شيئا ولا يشاركون الله في الملك لكنها تعد ظهيرا له أو معينا ؛ أو مشيرا أو وزيرا يعاون الله في تدبير الخلق والقيام على شئونه ، ثم نفي الله عنهم آخر ما تعلقوا به وهي الشفاعة من غير إذن) فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه ، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه ، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا تسمع ولا تبصر ، ويقرون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له ، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك ، وأنه سبحانه الخالق وما عداه

مخلوق والرب وما عداه مربوب ، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط ، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى ،

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى (والشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية ، وشفاعة مثبتة :

فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه) (١١٤٠)

وقرر أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أنه لا يجوز طلب الشفاعة إلا من الحي الحاضر القادر في الأمر الذي يقدر عليه ، وأما طلبها من الأموات فإنه من الشرك الأكبر ، وكذلك طلبها من الأحياء الغائبين هو من الشرك الأكبر أيضا ، وكذلك طلبها من الأحجار والأشجار والكهوف والقبور والجن والشياطين هو من الشرك الأكبر ، وكذلك طلبها من الملائكة أيضا من جملة الشرك ، وكذلك طلبها من الحي الحاضر في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى هو من جملة الشرك أيضا ، وأنت خبير بأن هذه الصور المذكورة كلها تدخل تحت اسم (الشفاعة المنفية) وخلاصته :ـ أن الشفاعة المنفية هي ما كان فيها وجه من وجوه الشرك ، ولهذا نقول: كل طلبِ شفاعة من الأموات أو الغائبين ممن لا يملكها أو لا يستطيعها أو لم يُؤذن له فيها شرعا في حياة البرزخ فإنّ هذه من الشرك بالله ، فهؤلاء الذين يعتقدون هذا النوع من الشفاعات يسمون بالمشركين في باب الشفاعة ، وهم الطائفة الذين غلوا في إثبات الشفاعة حتى اعتقدوا ثبوتها في الأصنام والأحجار والجن والأشجار وغيرها من المعبودات مع الله تعالى زورا وبهتانا ، وقابلهم الطائفة الأخرى ، وهم معطلة الشفاعة ، ويعتقدون أنه لا شفاعة في الآخرة ، وأنها لا تنفع ، وهم طائفة من المعتزلة والخوارج ومن سار على منهجهم في هذا النفي ، ونسميهم نحن :ـ معطلة الشفاعة ، وهؤلاء فرطوا في هذا النفي العام للشفاعات أو النفي لبعض ما ورد به الدليل الصحيح منها ، فالمعتزلة والخوارج ينكرون الشفاعة ، ويعتقدون أنها لا تنفع ، والقاعدة عندهم تقول :ـ من دخل النار أو استحق دخولها فإنه لا تنفع الشفاعة ، ولذلك اعتقدوا أن أهل الكبائر مخلدون في النار ، ولا يخرجون منها ، ولا تنفع فيهم شفاعة أحد من الشافعين ، واستدلوا على

(١١٤٠) أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع (١/ ٢٨).

نفيهم هذا بقوله تعالى{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} ووجه الاستدلال عندهم من الآية أَنَّهُ قال{شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} بالجمع، والذين يشفعون يوم القيامة هم الذين أذن الله لهم بالشفاعة وهم الأنبياء والمؤمنون، قالوا: فدلت الآية على أنَّ من في النار لا تنفعه الشفاعة -شفاعة الشافعين-، لأجل عموم لفظ الشافعين فهو عام في كل من يشفع.وهذا الفهم فهم باطل ، لأنه فهم في الآية مخالف لفهم سلف الأمة رحمهم الله تعالى ، فإنه أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى يفهمون من هذا النفي في هذه الآية أنه نفي لنفع الشفاعة فيمن مات وليس معه أصل الإسلام ، أي من مات على الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي ، فمن مات من الكفرة وأهل الشرك والنفاق الاعتقادي الأكبر فإن هؤلاء لا تنفعهم شفاعة أحد ، فهذا فهم الصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة والجماعة في هذه الآية ، وأما فهم أهل البدع فإنه مخالف لفهم السلف ، لأن أهل البدع يفهمون أنه نفي للشفاعة في أهل القبلة ممن مات ومعه أصل الإسلام ، فتعارض الفهمان ، فهم السلف ، وفهم أهل البدع ، وقد تقرر عندنا في القواعد أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة وأئمتها في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل مردود على صاحبه ولا كرامة ، وسياق الآية يدل على صحة فهم سلف الأمة ، فإن الله تعالى ذكر هذه الآية في نفي الشفاعة بعد ذكر الكفار وبعض أحوالهم ومعتقداتهم التي ماتوا عليها فقال تعالى{ {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) } فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}[المدثر: ٤٢ - ٤٨] فقوله {فَمَا} الفاء هنا يسمونها الفاء الترتيبية ، وهي الفاء التي ترتب النتيجة التي بعدها على الأوصاف التي قبلها ، كقولي مثلا :ــ عارضتني فضربتك ، فيكون سبب الضرب وعلته هي المعارضة ، وكقول الله تعالى في الحيض {قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ } [البقرة: ٢٢٢] فعلة الاعتزال وسببه هو وجود الأذى ، والذي هو دم الحيض ، فقوله تعالى {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨] هو جزاء مرتب على الأوصاف السابقة في الآيات من ترك الصلاة وعدم إطعام المساكين والخوض مع الخائضين والتكذيب بيوم الدين ، وقد تقرر في القواعد أن ترتيب الجزاء بالفاء بعيد وصف مشعر بعليته ، فنفي الشفاعة هنا حكم ، وهذا الحكم مقرون بالفاء ، وجاء هذا الحكم بعيد أوصاف

، فتكون تلك الأوصاف هي علة الحكم وهي سبب الحكم ، والتكذيب بيوم الدين كفر ، فصارت الآية التي تنفي الشفاعة هنا إنما تنفي الشفاعة عن الكافرين ، وذلك لأن الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا بإذن الله تعالى ورضاه ، والله تعالى لا يأذن بالشفاعة لأحد من أهل الشرك ، إلا في أبي طالب كما سيأتي تفصيله في موضعه ، وهي شفاعة تخفيف لا إخراج ، ولا يرضى الله تعالى بأن يتقدم أحد بين يديه شفيعا لأحد من أهل الكفر والشرك ، فالنفي هنا ينصب على نفي الشفاعة في أهل الكفر والشرك والنفاق الاعتقادي ، والخوارج ينفون بهذه الآية انتفاع أهل الكبائر من أهل القبلة بالشفاعة بعد إذن الله تعالى ورضاه ، وهذا الفهم فهم باطل ، وحقه أن يرمى به في سلة المهملات ، فاحذر من هذا الفهم الباطل أيها السني المتبع ،لأن المسألة التي هي الشفاعة لأهل الكبائر هي في مَنْ كان مسلماً، أما المكذّب بيوم الدين والذي لم يصحَّ إسلامُه فإنه ليس هو محل البحث.فإذاً استدلالهم بالآية في غير محله؛ لأنَّ الآية يقول بها من يثبت الشفاعة لأهل الكبائر في أنَّ المشركين ولو شفع بعضهم لبعض وظنوا أنَّ آلهتهم تشفع فما تنفعهم شفاعة الشافعين؛ لأنهم مشركون كفرة، والكافر لم يرضَ الله تعالى عنه، ومن شرط الشفاعة الرضا. فلا متعلق للوعيدية من الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة بهذه الآية ، والخلاصة من هذه المسألة هو ذكر مذاهب الناس في مسألة في الشفاعة وبيان وسطية أهل السنة والجماعة فيها ، وقد انقسموا فيها إلى طرفين ووسط :ـ فالمشركون في باب الشفاعات غلوا فيها حتى أثبتوا من الشفاعات ما لا دليل عليه ، فضلا عن اعتقادهم شفاعات قد ورد الدليل بإبطالها ونفيها ، والخوارج والمعتزلة نفوا الشفاعة في أهل الكبائر والتي قد وردت الأدلة المتواترة بإثباتها ، وأهل السنة توسطوا فقالوا :ـ نؤمن بأن هناك شفاعة ، ولكنها وقف على الدليل الشرعي الصحيح الصريح ، وهم بهذه الوسطية يحققون قول الله تعالى{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣]والمتقرر في قواعدهم رحمهم الله تعالى أن أهل السنة وسط بين فرق الأمة كوسطية الأمة بين الأمم ،والله أعلم .

(المسألة الرابعة)واعلم رحمك الله تعالى أن الدليل قد أثبت جملا من أنواع الشفاعات ، ونخصص هذه المسألة بذكرها مقرونة بادلتها ، ولكن ننبه أولا على أن الشفاعات التي سنذكرها هنا منها ما هو خاص بالنبي ﷺ ، ومنها ما هو عام له

وللصديقين والشهداء والصالحين ، فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه نستمد العون والفضل :ــ

الشفاعة الأولى :ــ الشفاعة العظمى ، وهي المقام المحمود الذي أوتيه نبينا ﷺ ، وهي التفسير الصحيح إن شاء الله تعالى لقول الله تعالى{عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } [الإسراء: ٧٩] أي تقوم مقاما يحمدك فيه الناس ، وهو الشفاعة في أهل الموقف لفصل القضاء بينهم ، وهي من جملة الشفاعات الخاص به ﷺ ،

وقد وردت في السنة الصحيحة ، كما روى أصحاب الصحيح عن أنس رضي الله عنه قالَ « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ. فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ. فَيُؤْتَى مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيُؤْتَى عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ -ﷺ- فَأُوتَى فَأَقُولُ أَنَا لَهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى فَيُؤْذَنُ لِي فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ رَبِّ أمتي أمتي. فَيُقَالُ انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّى فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ أمتي أمتي. فَيُقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا.فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّى فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أمتي أمتي. فَيُقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ » (١١٤١)

(١١٤١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (٤٤٧٦)، كتاب الرقاق، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ (٦٥٦٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٤٠)، بَابُ

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ أُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمُ الداعي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّى غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ نهاني عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نفسي نفسي اذْهَبُوا إِلَى غيري اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قومي نفسي نفسي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ -ﷺ-.فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نبي اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ نفسي نفسي اذْهَبُوا إِلَى غيري اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى -ﷺ- فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى -ﷺ- إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وإني قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نفسي نفسي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى -ﷺ-. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ في الْمَهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى -ﷺ- إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا - نفسي نفسي اذْهَبُوا

كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ (٧٥١٠)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (٧٥١٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٣).

إِلَى غيري اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ -ﷺ- فيأتوني فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَأَنْطَلِقُ فَآتِى تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّى ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىَّ ويلهمني مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قبلي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رأسي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أمتي أمتي. فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وبصري » (١١٤٢)

وقد أجمع أهل السنة على إثبات هذه الشفاعة ، ونسأل الله تعالى أن يعيننا وإخواننا من أهل السنة على تخطي تلك العرصة بسلام وأمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الشفاعة الثانية :ـ الشفاعة في أهل الجنة ليدخلوا الجنة ، وذلك أن أهل الجنة إن جاءوها وجدوا أبوابها مغلقة ، فيكون أول من يطرق الباب ويستفتح لأهل الجنة نبينا ﷺ ، وهذه الشفاعة من جملة الشفاعات الخاصة به ﷺ ، وقد ثبتت بالسنة بالصحيحة ،

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا :ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى ابني إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ - قَالَ - فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى -ﷺ- الذي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى -ﷺ- فَيَقُولُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى -ﷺ- لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ

(١١٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٣٣٤٠)، كتاب التفسير، بَابُ {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٤).

مُحَمَّدًا -ﷺ- فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ ». قَالَ قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأمي أي شيء كَمَرِّ الْبَرْقِ قَالَ « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفًا - قَالَ - وَفِي حافتي الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ ». والذي نَفْسُ أَبِى هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا. (١١٤٣)

وله عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا ».وفي رواية :ـ « وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ » (١١٤٤)

وعن أنس أيضا قال :ـ قال رسول الله عليه وسلم « أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يُصَدَّقْ نبي مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ »(١١٤٥) رواه مسلم ،

وله عنه رضي الله تعالى عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « آتِى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ » . (١١٤٦)

وقد أجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى على إثبات هذه الشفاعة ، وأجمعوا على أنها من جملة خصوصياته ﷺ .

(١١٤٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٥).

(١١٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» (١٩٦).

(١١٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» (١٩٦).

(١١٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» (١٩٧).

الشفاعة الثالثة :ــ الشفاعة في عمه أبي طالب ، والحق الحقيق بالقبول أن أبا طالب مات على الكفر ، والحق أن الشفاعة فيه إنما هي شفاعة تخفيف فقط لا إخراج ، فإن قلت :ــ كيف تنفع الشفاعة فيه وهو كافر ، وقد قلت قبل قليل أن قوله تعالى{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨] إنما هي في أهل الكفر والشرك ؟ فأقول :ــ لقد تقرر عند العلماء رحمهم الله تعالى أن الخاص مقدم على العام ، فقوله تعالى{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨]عام ، والأحاديث الواردة في شأن شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب خاصة ، والخاص مقدم على العام ، والمتقرر أنه لا تعارض بين عام وخاص ، وقد آمن أهل السنة جميعهم رحمهم الله تعالى بهذه الشفاعة وآمنوا أنها شفاعة خاصة بالنبي ﷺ ، وآمنوا أنها خاصة بأبي طالب ، وآمنوا بأنها شفاعة تخفيف لا إخراج ،

فعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بشيء فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ « نَعَمْ هُوَ في ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ »

وفي رواية عنه قال :ــ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ قَالَ « نَعَمْ وَجَدْتُهُ في غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ » (١١٤٧)

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ « لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شفاعتي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ في ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِى مِنْهُ دِمَاغُهُ » (١١٤٨)

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِى دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ »(١١٤٩)

(١١٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، بَابُ كُنْيَةِ المشْرِكِ (٦٢٠٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ بِسَبَبِهِ (٢٠٩).

(١١٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ بِسَبَبِهِ (٢١٠).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » (١١٥٠)

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال :ـ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » (١١٥١) .

الشفاعة الرابعة :ـ الشفاعة في رفعة الدرجات في الجنة ، وهي من الشفاعات العامة لأهل الإيمان ، ودليلها قوله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور: ٢١]

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لما توفي أبو سلمة (اللهم اغفر لأبي سلمة وأرفع درجته في المهديين) (١١٥٢) فقوله "وارفع درجته" دعاء في الدنيا له وهذا معنى الشفاعة ،

كما قال ﷺ " ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا؛ إلا شفعهم الله فيه " (١١٥٣)

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى (فإن قيل: إن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه سبحانه؛ فكيف يسمى دعاء الإنسان لأخيه شفاعة وهو لم يستأذن من ربه؟ والجواب: إن الله أمر بأن يدعو الإنسان لأخيه الميت، وأمره بالدعاء إذن وزيادة وأما الشفاعة الموهومة التي يظنها عباد الأصنام من معبوديهم؛ فهي شفاعة باطلة

(١١٤٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا (٢١١).

(١١٥٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا (٢١٢).

(١١٥١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ (٦٥٦١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا (٢١٣).

(١١٥٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابٌ فِي إِغْمَاضِ الْمَيِّتِ وَالدُّعَاءِ لَهُ إِذَا حُضِرَ (٩٢٠).

(١١٥٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، بَابُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ شُفِّعُوا فِيهِ (٩٤٨).

لأن الله لا يأذن لأحد بالشفاعة إلا من ارتضاه من الشفعاء والمشفوع لهم) (١١٥٤).والله أعلم .

الشفاعة الخامسة :ـ الشفاعة في أهل الكبائر ، وهي الشفاعة في قوم ماتوا على شيء من المعاصي والذنوب وأراد الله تعالى بحكمته وعدله أن لا يغفر لهم في أول الأمر وعذبهم في النار ، ثم يؤذن بعد في الشفاعة ، وأجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى على إثباتها ، وأجمعوا على أنه لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل الإسلام ، وقد قرر أهل الحديث رحمهم الله تعالى أن الأحاديث في إثبات هذا النوع من الشفاعات قد بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، فأحاديث الشفاعة في أهل الكبائر متواترة ، وقد ذكر جمع من أهل السنة رحمهم الله تعالى أن هذه الشفاعة على قسمين :ـ الأول :ـ شفاعة في قوم من أهل الكبائر قد استحقوا دخول النار أن لا يدخلوها ، وشفاعة في قوم من أهل الكبائر قد دخلوا النار أن يخرجوا منها ،

ويستدل على القسم الأول بعموم قوله ﷺ " شفاعتي في أهل الكبائر من أمتي " وهو حديث صحيح ،(١١٥٥)

وأما القسم الثاني فقد كثرت فيه الأدلة ، ونذكر لك طرفا منها ،

(١١٥٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٣٤).

(١١٥٥) صحيح بمجموع طرقه.

أخرجه أحمد في مسنده (١٣٢٢٢)، وأبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في الشفاعة (٤٧٣٩)، والترمذي في سننه، في أبواب صفة القيامة، باب منه (٢٤٣٥)،

من طريق: بسطام بن حريث، عن أشعث الحداني، عن أنس بن مالك، به.

ففيه: أشعث الحداني وهو صدوق يحسن حديثه، وباقي رجاله فثقات.

وأخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة (٤٣١٠)، والطيالسي في مسنده (١٧٧٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٦٧)، والحاكم في المستدرك (٢٣١)، (٣٤٤٢)،

من طريق: الوليد بن مسلم، عن زهير بن مُحَمَّد، عن جعفر بن مُحَمَّد، عن أبيه، عن جابر، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، إلا أن في زهير بن مُحَمَّد كلام في رواية الشاميين عنه، والوليد بن مسلم ليس شاميًا إنما دمشقيًا، وإن كان الوليد مدلسًا إلا أنه صرح بالتحديث، ومُحَمَّد بن جعفر هو الصادق صدوق يحسن حديثه، والله أعلم.

فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا. فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوِ الْحَيَا فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً » (١١٥٦)

وعنه رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فجيء بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ » (١١٥٧)

وفي حديث جابر في صحيح مسلم مرفوعا " "ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشيء فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا" (١١٥٨)

وفي الصحيح قال رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ » (١١٥٩)

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النبي -ﷺ- قَالَ « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ

(١١٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ (٢٢)، كتاب الرقاق، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ (٦٥٦٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، بَابُ إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ (١٨٤).

(١١٥٧) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، بَابُ إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ (١٨٥).

(١١٥٨) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَ (١٩١).

(١١٥٩) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَ (١٩١).

وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً » (١١٦٠)

وعن عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « لِكُلِّ نبي دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دعوتي شَفَاعَةً لأمتي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١١٦١)

وفي لفظ « لِكُلِّ نبي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نبي دَعْوَتَهُ وإني اخْتَبَأْتُ دعوتي شَفَاعَةً لأمتي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فهي نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أمتي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » (١١٦٢)

وكثرة تلك الأحاديث في شأن الشفاعة في أهل الكبائر تفيدك بطلان ما ذهب له أهل البدع من رد أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر بحجة أنها مجرد أحاديث آحاد في أمر عقدي ، وأنت خبير بأن القاعدة الفاسدة عندهم تقول (أخبار الآحاد لا تقبل في أمور العقيدة) وهذه القاعدة قاعدة ملعونة فاسدة باطلة ، فكم ردت بها الأحاديث وعورضت بها السنة ، والحق الذي اتفقت عليه كلمة أهل السنة هو ما قررنا لك سابقا في موضعه من أن خبر الآحاد الصحيح حجة في باب العقيدة ، وقد سقنا لك الأدلة الكثيرة هناك ، فضلا عن أن الأحاديث الواردة في مسألة الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة قد بلغت مبلغ التواتر ، كما قرره أهل الحديث ، ونحن نؤمن بما قررته الأدلة وأثبته أهل السنة وآمنوا به ، ونكل الأمر إلى الله تعالى ، ونسأله جل وعلا أن نكون ممن يدخل الجنة ابتداء بلا حساب ولا عذاب . والله أعلم .

(١١٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (٤٤٧٦)، كتاب الرقاق، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ (٦٥٦٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٤٠)، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ (٧٥١٠)، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (٧٥١٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٣).

(١١٦١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، بَابٌ: لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ (٦٣٠٤)، كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٧٤٧٤) ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ (١٩٨).

(١١٦٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ (١٩٩).

الشفاعة السادسة :ـ الشفاعة في أهل الأعراف ، وهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيوقفون يرجئون حتى ينظر فيهم ، فيشفع فيهم النبي عليه الصلاة والسلام فيدخلون الجنة ، ويشفع فيهم المؤمنون والملائكة ، وقد ذكر بعض المفسرين ذلك عند قول الله تعالى {وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [الأعراف: ٤٦، ٤٧]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره (واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف، رحمهم الله) ، (١١٦٣) والشفاعة فيهم عامة لأهل الإيمان ،والله أعلم .

الشفاعة السابعة :ـ الشفاعة في قوم ليدخلوا الجنة بلا حساب ولا عذاب ، ففي حديث الشفاعة الذي قدمناه سابقا " فَأَنْطَلِقُ فَآتِى تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّى ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىَّ ويلهمني مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قبلي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رأسي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أمتي أمتي. فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ " (١١٦٤)

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النبي -ﷺ- قَالَ « يَدْخُلُ مِنْ أمتي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعلني مِنْهُمْ. قَالَ « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ

(١١٦٣) تفسير بن كثير (٢/ ٢٨٩).

(١١٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٣٣٤٠)، كتاب التفسير، بَابُ {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٤).

مِنْهُمْ ». ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعلني مِنْهُمْ. قَالَ « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » (١١٦٥)، والله أعلم .

فهذه جمل من الشفاعات التي ورد بها الدليل ،والتي آمن بها أهل السنة رحمهم الله تعالى وقرروها في كتبهم العقدية ، نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإخواننا للثبات على دينه واقتفاء أثر أهل السنة إلى الممات ، ونرجع إلى قول الناظم لنشرحه فنقول :ــ قال عفا الله تعالى عنه (وعليك) لزوما أيها السني (إثبات الشفاعة إن أتت في السنة الغراء والقرآن) أي إن ثبتت بها الأدلة ، وهذه هي القاعدة في باب الشفاعات كما ذكرناه سابقا ، ثم بدأ يفصل فيها فقال (كشفاعة المختار) صلى الله عليه وسلم (في فصل القضا) بين الناس ، وهي الشفاعة العظمى ، (وبعمه) أي في أبي طالب ، (ودخول أهل جنان) وهي الشفاعة الثالثة ، وهذه الشفاعات خاصة بالنبي ﷺ ، (وبرفعة الدرجات في دار الرضا) أي في الجنة ، (وبمن أتى بكبائر العصيان) وهي على نوعين (لا يدخلون النار) وهو النوع الأول ، (أو أن يخرجوا بعد الدخول لجنة الرحمن) وهو النوع الثاني ، والله أعلم .

(المسألة الخامسة) واعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى متفقون على أن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله تعالى ورضاه ، كما قال الناظم عفا الله تعالى (وشروطها) أي الشفاعة (إذن الإله) جل وعلا (كذا الرضا) فلا تكون شفاعة يوم القيامة إلا بهما ، (ودليلها) أي ودليل هذين الشرطين (في) سورة (النجم دون تواني) ويريد به قوله تعالى {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم: ٢٦] ويدل عليها أيضا قوله تعالى {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨] وقوله تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: ٢٣] وهذا ما أردنا الكلام عليه في باب الشفاعات ،وأستغفر الله تعالى وأتوب إليه ،وهو أعلى وأعلم .

(١١٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ البُرُودِ وَالحِبَرَةِ وَالشَّمْلَةِ (٥٨١١)، كتاب الرقاق، بَابٌ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٦٥٤٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ (٢١٦).

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

ونحب أصحاب الرسول جميعهم من غير إفراط ولا نقصان

ونحب آل البيت حبا صادقا بل من كمال عقيدة الإيمان

أقول :ـ هذا البيت وما سيأتي بعده من الأبيات كلها تتكلم عن عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ وآل البيت وأمور الخلافة وما يجب على الأمة تجاه الحكام ، ومن باب التفصيل سيكون الكلام في جمل في المسائل ، فأقول وبالله تعالى التوفيق ومنه أستمد العون والفضل وحسن التحقيق :ـ

(المسألة الأولى) عرف أهل العلم رحمهم الله تعالى الصحابي بأنه من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإيمان ، وهذا هو التعريف المختار ، فقولهم (من اجتمع) هذا الاجتماع لا يشترط أن يكون طويلا ، بل ولو كان للحظة ، وهذا من خصائص الحكم بالصحبة للنبي ﷺ ، وإلا ففي العادة الدارجة في غيره فإن الصحاب هو من تطول ملازمته لك ، وأما في حق النبي ﷺ فإن من لقيه أو اجتمع به ولو للحظة فهو من جملة صحابته ، والتعبير باللقي أو الاجتماع أولى من التعبير بقولهم (من رأى النبي) لأنه من المعلوم أن من أصحابة من هو أعمى ، فيكون الأعمى داخلا في التعريف المختار للصحابة ، وهذا هو القيد الأول في التعريف ، ويخرج به من لم يلقه ممن جاء بعده من أمته ، ويخرج به من آمن به من أهل الأماكن البعيدة ولم يروه ، ويخرج به من آمن به ورآه بعد وفاته ، وقولهم (مؤمنا به) هذا قيد ثاني ، يخرج به من لقيه من أهل الكفر ، كأبي لهب وأبي جهل وغيرهم ، فهم لقوه واجتمعوا به ، ولكنهم كانوا على الكفر ، ويخرج به من لقيه واجتمع به ولكن لم يؤمن به إلا بعد وفاته ، وقولهم (ومات على الإيمان) قيد ثالث ، يخرج به من آمن به في حياته واجتمع به ولكن ارتد ومات على الردة ، والعياذ بالله تعالى ، كالذين آمنوا به من الأعراب وارتدوا بعد وفاته وحاربهم الصحابة وقتلوا من قتلوا منهم على الردة ، فهؤلاء لا يدخلون في مسمى الصحابة ، واختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى فيمن ارتد بعد وفاته ثم عاد إلى الإسلام قبل الموت ، والصحيح أنه من الصحابة ، وأن تخلل الردة لا يضر ، قال الحافظ ابن

حجر في النخبة (وإن تخللت ردة في الأصح) (١١٦٦) هذا مختصر ما قالوه في تعريف الصحابي والله أعلم .

(المسألة الثانية) اعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى مجمعون في أمر الصحابة على عدة أمور :ـ

الأول :ـ أجمعوا على وجوب محبة أصحاب النبي ﷺ ، وأن حبهم دين وإيمان وبغضهم نفاق وعصيان ، ونحن نحبهم لأنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى ، ولما لهم من فضل السبق إلى الإسلام والهجرة والنصرة ، وبذل الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، ولما لهم من الثناء العاطر في القرآن والسنة ، وقد امتدحهم الله تعالى في آيات كثيرة ، وأخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه ، ولما لهم من فضل السبق إلى نشر العلم وتعليم الناس ، ومفارقة الأوطان والأوطان في سبيل العلم والتعليم ، فقد بذلوا أرواحهم وأموالهم لله تعالى ، وقاموا بما يجب عليهم تجاه ربهم ودينهم ونبيهم وأمتهم ، وما تركوا بابا من أبواب البذل والنصرة إلا وطرقوه وولجوه أكمل ولوج ، قال تعالى{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩]، وفي هذه الآية لطيفة ولفتة عجيبة ونكتة بديعة ، وهي أن الله تعالى ضرب مثلا للصحابة في التوراة والإنجيل ، ومن المعلوم لديكم وفقكم الله تعالى أن التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى نبي بني إسرائيل ، أي اليهود ، والإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى ، ومن عادة اليهود الاهتمام بالدنيا وترك أمور الروح ، ومن عادة النصارى الاهتمام بالعبادة التي لا خطام لها ولا زمام وترك الإقبال على أمور الدنيا ، فلما جاء مثل الصحابة في التوراة أخبر الله عنهم أي الصحابة ، أنهم مقبلون على عبادة ربهم ومرضاته ، وأن سيماهم في وجوههم من أثر التعبد والسجود لله تعالى ، وأنهم لا تراهم إلا ركعا وسجدا ، لأن اليهود لا

(١١٦٦) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢٤).

يؤمنون إلا بالأمور الدنيوية المحسوسة ، فامتدح الله تعالى الصحابة بأن الدنيا ما أشغلتهم عن المقصود الأعظم الذي من أجله خلقوا وهو العبادة ، ولما جاء مثل الصحابة في الإنجيل امتدح الله تعالى الصحابة بأنهم يتهمون بأمر إصلاح دنياهم بطلب المال بالزراعة والتجارة ، ولكن على الوجه الذي لا يشغلهم عن المر الذي خلقوا له ، فالصحابة ليسوا بعالة في الدنيا على أحد ، وليسوا من أهل الاشتغال بها وحدها ، فجمع الله تعالى لهم بين الوصف الذي فات اليهود وهو أمر التعبد ، وبين الأمر الذي فات النصارى وهو أمر طلب الدنيا التي تكف العبد عن التطلع فيما في أيدي الناس ، وقد ذكرنا في قواعد الدعوة فيما أظن أن الداعية لا ينبغي له أن يشتغل بأمر الدنيا عن العبادة ، ولأن أن يشتغل بأمر العبادة عن إصلاح دنياه ، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم قد توسطوا بين المرين ، وهذا التوسط قد أشاد الله تعالى به في قوله تعالى{وكذلك جعلناكم أمة وسطا} والمقصود أن الله تعالى امتدح الصحابة بهذه الصفات العظيمة ، مما يوجب على من بعدهم أن يحبهم لامتداح الله تعالى لهم في القرآن ، والله تعالى لا يمدح إلا من كان على الصراط المستقيم ، والمنهج العدل الوسط القويم ، وقال تعالى{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}[الأحزاب: ٢٣، ٢٤] ومن كانت هذه صفته فالواجب علينا جميعا محبته ، وقال تعالى{ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة ،

وقال عليه الصلاة والسلام " خير الناس قرني " الحديث (١١٦٧) ،

(١١٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، بَابٌ: لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ (٢٦٥٢)، كتاب المناقب، بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٦٥١)، كتاب الرقاق، بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ

وقال عليه الصلاة " وعن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - :قال : سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يقول : «لِيُبَلِّغ الحاضرُ الغائبَ ، اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تَتَّخِذُوهُم غَرَضا بعدي، فمن أحبَّهم فَبحبِّي أحبَّهم ، ومَنْ أبغضَهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني، فقد آذى الله، ومن آذى الله ، فيوشك أن يأخذه ، ومن يأخذه الله فيوشك أن لا يُفْلِتَه». (١١٦٨) أخرجه الترمذي ،

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - :قال : «صلّينا المغربَ معَ رسولِ الله -ﷺ- ، ثم قلنا : لو جلسنا حتى نُصَلِّيَ معه العشاءَ، قال : فجلسنا ، فخرج علينا ، فقال: ما زلتم هاهنا؟ قلنا: يا رسولَ الله، صلَّيْنا مَعَكَ المغربَ، ثم قلنا: نجلس حتى نصلِّي مَعَكَ العشاءَ ، قال: أحسنتم - أو أَصَبْتُم - قال : فرفع رأسَهُ إلى السماء - وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء - فقال : النجومُ أَمَنَةُ السماءِ ، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَدُ، وأَنَا أَمَنَة لأصحابي، فَإذا ذهبتُ أَتى أَصحابي ما يَوعَدون ، وأصحابي أَمَنَة لأمَّتي ، فإذا ذهبَ أصحابي أَتَى أُمَّتي ما يُوعَدُونَ». (١١٦٩) أخرجه مسلم ،

وسيأتي لنا طرف كبير في النصوص في مدحهم إن شاء الله تعالى ، والمهم هنا أن تعرف أن الواجب على الأمة محبة أصحاب النبي ﷺ .

فِيهَا (٦٤٢٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (٢٥٣٣).

(١١٦٨) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (١٦٨٠٣)، (٢٠٥٧٨)، والترمذي في سننه، في أبواب المناقب، باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ (٢٨٦٢)، والروياني في مسنده (٨٨٢)، والخلال في السنة (٨٣٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٩٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٥٦)، وغيرهم،

من طريق: إبراهيم بن سعد، عن عبيدة بن أبي رائطة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن مغفل،

ففيه: عبد الرحمن بن زياد، وهو مجهولٌ لا يعرف،

وقد قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(١١٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانٌ لِأَصْحَابِهِ، وَبَقَاءَ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ (٢٥٣١).

الثاني :ـ أن يكون حبنا لهم بتوسط واعتدال ،فلا نغلوا في حب أحد منهم كما فعله الروافض في آل البيت ، ولا نجفوا أو نقصر في حب أحد منهم كما فعلته النواصب أي الخوارج ، فالوسطية في هذا الأمر مطلوبة ، وهي عين العدل .

الثالث :ـ أن نبغض في الله تعالى من أبغضهم ، فنحن نبغض الرافضة الملعونة لأنهم أبغضوا أصحاب النبي ﷺ ، ونبغض في الله الخوارج لأنهم أبغضوا أصحاب محمد ﷺ ، ونحن نتعبد لله تعالى بهذا البغض لكل من ناصب الصحابة العداء ، فهم أي الصحابة معقد الولاء والبراء .

الرابع :ـ أننا نعتقد الاعتقاد الجازم أنهم كلهم عدول ثقات أثبات ، لا تبحث عن عدالتهم ، ولا ينظر هل هم ثقات أو لا ، بل كلهم ثقات ، وكلهم عدول ، وكلهم أثبات .

الخامس :- أننا نترضى عنهم عند ذكرهم ، سواء ذكر الجميع أو ذكر الواحد ، فنقول (رضي الله عنهم) أو (رضي الله عنه) فالترضي عنهم منهج التعامل الصحيح مع صحابة رسول الله عليه وسلم .

السادس :- أننا نعتقد أنهم خير الأمة بعد نبيها ﷺ ، فلا كان ولا يكون في الناس مثلهم أبدا .

السابع :- أننا نؤمن بما ورد لهم من الفضائل ، سواء منها الفضائل الواردة في مدح جميعهم ، أو الفضائل الواردة في مدح الواحد منهم ، فما ورد للصحابة من فضل فالواجب الإيمان به وثبوت مدلوله الثامن :- الاعتقاد الجازم القطعي أنهم ماتوا على الإيمان ، بخلاف قول الرافضة الملعونة أنهم ارتدوا بعد موت نبيهم ﷺ إلا نفرا يسيرا ، وهذا من الزور والكذب ، بل هو عين الإفك والبهتان ، ولا نقول فيه إلا " سبحانك هذا بهتان عظيم " بل القاعدة المعمول بها عند أهل السنة رحمهم الله تعالى هي أن كل من أثنى الله عليه بالمدح أو بالذم في القرآن ، فإنه سيموت على وفق ما أثني به عليه .

التاسع:- التعبد لله تعالى بنشر فضائلهم في الأمة ، والإشادة بها ، وتدريسها للعامة .

العاشر :- الاعتراف لهم بسبقهم إلى الإسلام ، وأنها المزية التي لا يشاركهم فيها أحد ممن جاء بعدهم .

الحادي عشر :- البراءة لله تعالى من الطرق البدعية الجائرة الظالمة التي خالفت هذا المسلك ، كطريقة النواصب ، وطريقة الروافض ، فإنهما طريقان فاسدان فاجران بعيدان عن الحق والهدى ، ومجانبان للأدب والصراط المستقيم .

الثاني عشر :- الإمساك عما شجر بين أصحاب النبي ﷺ من الفتنة وأمر القتال ، فلا نخوض فيه ، ولا نعمل ألسنتنا فيه ، مع الاعتقاد الجازم أن غالب المنقول عنهم فيه مما لا يليق بهم إنما هو من الكذب والبهتان ، والمرويات الواهية الضعيفة والنقولات المنكرة الموضوعة ، وسيأتي لهذا الأمر مزيد تفصيل عند ذكره بخصوصه في المنظومة إن شاء الله تعالى .

الثالث عشر :- أن نعتقد الاعتقاد الجازم أنهم فيما جرى بينهم مجتهدون ، فيهم المصيب وفيهم المخطئ ، فالمصيب له أجران ، والمخطئ له أجر واحد ، فهذا مجمل ما قرره أهل السنة رحمهم الله تعالى مما يجب اعتقاده في أصحاب النبي ﷺ والله أعلى وأعلم .

(المسألة الثالثة) وبعد أن بينا العقيدة الواجب اعتمادها في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فنذكر العقيدة الواجب اعتمادها في آل بيت رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم ، فنقول وبالله تعالى التوفيق :ـ

منها:- أن أهل السنة يحبون المؤمنين منهم، ويرون أن المؤمن من آل البيت له حقان: حق الإيمان، وحق القرابة.

ومنها:- يرى أهل السنة أن آل البيت ما شرفوا إلا لقربهم من الرسول صلى الله عليه وسلم وليس هو الذي شَرُف بهم.

ومنها :- أن أهل السنة يتبرؤون من طريقة من يغالون في حبهم، كالذين رفعوا بعضهم إلى مقام العصمة، ويتبرؤون كذلك من طريقة المبغضين الذين يسبونهم ويكفرونهم .

ومنها:- أن أهل السنة يحفظون فيهم وصية الرسول ﷺ.

ومنها :- أن أهل السنة يرون أنهم على مراتب ومنازل، وأنهم وإن تميزوا فلا يعني أن لهم الفضل المطلق على غيرهم في العلم والإيمان ، فالثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، أفضل من علي، وإن امتاز عنهم بخصوصيات .

ومنها:- أن أهل السنة يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين .

ومنها:- أن أهل السنة رحمهم الله تعالى لا ينكرون الوصاية بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخراً وحسباً ونسباً، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين .

(تنبيه) ومع كل هذه المكانة التي أكرم الله بها آل بيت نبيه، إلا أن ذلك كله مشروط بالصلاح والتقوى، وهم فيما عدا ما لهم من خصائص كغيرهم من المسلمين، لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات، فليس قربهم من النبي بمجيز لهم تجاوز أحكام الله وشرعه أو أن ينالوا النجاة في الآخرة دون تقوى وعمل صالح، فكل عباد الله في ميزان الله سواء، وهذا ما أوضحته الأدلة الشرعية إيضاحاً تاماً بعيداً عن اللبس في أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها :- أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ ((أتشفع في حد من حدود الله)) ثم قام فخطب فقال ((إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) (١١٧٠)

(١١٧٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث انبياء، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ (٣٤٧٥)، كتاب المغازي، باب (٤٣٠٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ (١٦٨٨).

فهذا الحديث يبين بما لا يدع مجالا للشك أن الكل أمام شرع الله سواء سواء أكان من آل البيت أم من غيرهم، وسواء أكان من أشراف الناس أم من ضعفائهم، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فقد قال النبي ﷺ القول الفصل في ذلك عندما أعلنها صريحة أن ((من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه)) (١١٧١) رواه مسلم فمدار النجاة على الإيمان والعمل الصالح، لا على الأنساب والأحساب ، هذه هي حقوق آل بيت النبي، وتلك هي مكانتهم، فمن أنزلهم فيها فقد رشد وهدي إلى صراط مستقيم، ومن غلا فيهم أو أجحف في حقهم، فقد ضل سواء السبيل .والله يتولانا وإياك.

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

لا تفعلن كفعل عباد الورى   أو تفعلن كشيعة الشيطان

أقول :ـ لما نبه الناظم على الواجب اعتقاده في الصحابة وآل البيت نبه عفا الله عنه وغفر له على الطريقين المخالفين في هذه المسألة ، فقال (لا تفعلن كفعل عباد الهوى) وهم الخوارج ، (أو تفعلن كشيعة الشيطاني) وهم الرافضة ، ووصفهم بأنهم شيعة الشيطان أليق بهم وألصق بهم من وصفهم بأنهم شيعة آل البيت ، فالخوارج : هم طائفة أبت إلاّ تمزيق صفّ المسلمين وتشتيت شمل الموحّدين، فخرجت على الخليفة الذي تمّت بيعته من أهل الحلّ والعقد وتمّت له الإمامة على المسلمين.

قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل (كلّ من خرج على الإمام الحقّ الذي اتّفقت الجماعة عليه يُسَمّى خارجيّاً سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمة الراشدين أو من كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كلّ زمان) (١١٧٢)

(١١٧١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (٢٦٩٩).

(١١٧٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤).

وزاد عليه ابن حزم رحمه الله في كتابه الفصل في الملل والنحل : (ويلحق بهم مَن شايعهم على أفكارهم أو شاركهم في آرائهم في أيّ زمان) (١١٧٣)

وهذه الفرقة الضالة قد ظهرت بوادرها في زمن رسول الله ﷺ، عندما طعن عبدالله ذو الخويصرة التميمي بقسمة رسول الله ﷺ وقال فيها -ولبئس ما قال-: هذه قِسمة ما أُريد بها وجه الله .وقال أيضاً، اعدل يا رسول الله، فقال الصادق الأمين : (ويلك، إن لم أعدل فمن يعدل؟).

ثمّ قال فيه : يخرج من ضئضئ هذا قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (١١٧٤) والحديث في الصحيحين ،

وأمّا من حيث كونها فرقة لها تجمّع وعقائد وشوكة، فقد ظهر هذا بعد التحكيم الذي حدث بطلب منهم (وكانوا في جيش عليّ رضي الله عنه وأرضاه وطالبوه بالتحكيم) بين عليّ ومعاوية رضوان الله عليهم جميعاً، ثمّ قاتلهم عليّ رضي الله عنه حتّى كان قتله رحمه الله ورضي عنه على أيديهم الخبيثة ، وقد وردت السنة الصحيحة بذمهم وتقبيح أحوالهم ، والأمر بقتالهم وقتلهم ،

فعن علي رضي الله عنه قال :ـ «أيُّها الناسُ : إني سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : يَخرجُ قومْ من أُمَّتي ، يقرؤون القُرْآنَ ، ليس قِراءَتُكُم إلى قِراءَتِهم بشيء ، ولا صلاتُكُم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامُكم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآنَ يحسبون أنه له وهو عليهم ، لا تُجاوِزُ صلاتُهم تراقيَهمُ ، يَمْرُقُون من الإسلام كما يمرُق السَّهم من الرَّمِيَّة ، لو يعلم الجيشُ الذين يصيبونهم ما قُضِيَ لهم على لسان نبيهم -ﷺ- لَنَكَلُوا عن العمل، وآية ذلك : أن فيهم رجُلا له

(١١٧٣) لم أقف عليه.

(١١٧٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَابُ إِثْمِ مَنْ رَاءَى بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ أَوْ تَأَكَّلَ بِهِ أَوْ فَخَرَ بِهِ (٥٠٥٨)، كتاب استتابة المرتدين، بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ (٦٩٣١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ (١٠٦٣)، (١٠٦٤)

عَضَد، ليس له ذراع ، على عَضُدِهِ مثلُ حَلَمَة الثَّدْي ، عليه شَعَرات بيض ... الحديث (١١٧٥)، رواه مسلم ،

وله عن عبيد الله بن أبي رافع - مولى رسولِ الله -ﷺ- «أن الحَرُورِّية لمَّا خرجت على عليِّ بن أبي طالب ، فقالوا : لا حُكمَ إلاَّ لله ، قال عليّ : كلمة حق أُريدَ بها باطل ، إن رسول الله -ﷺ- وصفَ لنا ناسا ، إني لأعْرِفُ صفتهم في هؤلاءِ ، يقولون الحقَّ بألسنتِهم ، لا يجاوزُ هذا منهم - وأشار إلى حَلْقِهِ - مِن أبْغَضِ خلق الله إليه ، منهم أسْودُ في إحدى يديه طُبْيُ شَاة أو حَلَمَةُ ثدي ، فلما قتلهم علي بن أبي طالب ، قال : انظروا ، فنظروا ، فلم يجدوا شيئا ، فقال : ارجعوا ، فوالله ما كذَبتُ ولا كُذِبتُ - مرتين أثلاثا - ثم وجدوه في خَربة فأتَوا به ، حتى وَضعُوهُ بين يَدَيْهِ ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقولِ عليّ فيهم» (١١٧٦)

وله أيضا :ــ عن عَبيدة بن عمرو السلماني عن علي - رضي الله عنه أنه ذكر الخوارج فقال: «فيهم رجل مُخْدَجَ اليَد ، أو مَثْدُونَ اليد ، أو مُودَنُ اليد ، لولا أن تَبْطَروا لَحَدَّثتكم بما وعدَ الله الذين يقتلونَهُم على لسانِ محمد -ﷺ- ،قال : فقلتُ : أنتَ سمعتَ هذا من محمد -ﷺ- ؟قال : إي ، وربِّ الكعبة - قالها ثلاثا -» (١١٧٧)أخرجه مسلم ،

وعن علي رضي الله عنه قال :ــ سمعت النبي ﷺ يقول « سيخرُجُ قوم في آخِرِ الزَّمانِ حُدَثَاءُ الأسنانِ ، سُفهاءُ الأحلام ، يقولون من قول خير البَرَّيةِ ، يقرؤون القُرآن ، لا يجاوِزُ إيمانُهم حَنَاجِرَهُمْ ، يمرُقُون من الدِّين كما يمرُقُ السَّهمُ من

(١١٧٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ (١٠٦٦).

(١١٧٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ (١٠٦٦).

(١١٧٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ (١٠٦٦).

الرَّميةِ ، فأينما لِقَيْطمُوهم فاقتلُوهُم ، فإنَّ في قَتْلِهم أجرا لمن قَتَلَهُم عندَ الله يومَ القيامةِ» أخرجه البخاري ومسلم ، (١١٧٨)

ولأبي داود عن أبي سعيد الخدري ، وأنس بن مالك - رضي الله عنهما - : أنَّ رَسولَ الله -ﷺ- قال : «سيكونُ في أمتي اختلاف وفُرقة ، قوم يُحسِنُون القيل ، ويسيئونَ الفعل ، يقرَؤونَ القرْآن ، لا يجاوز تَراقيهم ، يمْرُقون من الدِّين كما يمْرُق السهم من الرَّمية ، ثم لا يرجعونَ حتى يرتدْ على فُوقِهِ ، هُمْ شر الخلق ، طُوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون إلى كتاب الله ، وليسوا منه في شيء ، مَن قاتلهم كان أولى بالله منهم ، قالوا : يا رسول الله ،ما سيماهم ؟ قال : التحليق»، وفي رواية عن أنس نحوه قال : «سيماهم التحليق والتسبيد ، فإذا رأيتموهم فأنِيموهم» أي فاقتلوهم ، (١١٧٩)

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - قال : قال : رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:«يخرج في آخر الزمان قَوْم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». (١١٨٠)أخرجه الترمذي.

(١١٧٨) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦١١)، كتاب فضائل القرآن، بَابُ إِثْمِ مَنْ رَاءَى بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ أَوْ تَأَكَّلَ بِهِ أَوْ فَخَرَ بِهِ (٥٠٥٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ (١٠٦٦).

(١١٧٩) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٣٣٣٨)، وأبو داود في سننه في كتاب السنة، باب في قتال الخوارج (٤٧٦٥)، وأبو يعلى في مسنده (٣١١٧)، .

من طريق: الأوزاعي، عن قتادة، عن أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الصحيح.

(١١٨٠) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٣١)، والترمذي في سننه، في أبواب الفتن، باب في صفة المارقة (٢١٨٨)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الإيمان، باب في ذكر الخوارج (١٦٨)، وابن أبي شيبة في مسنده (١٧٥)، وفي مصنفه (٣٠١٩٧)، (٣٧٨٨٣)، وأبو يعلى في مسنده (٥٤٠٢)، والآجري في الشريعة (٥٧).

من طريق: أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود، به.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما قال : «أتى رجل بالجِعْرنة - مُنْصَرفًا من حنين - وفي ثوب بلال فِضة ، و رسولُ الله -ﷺ- يَقْبِضُ منها ويعطي الناس ، فقال يا محمد ، اعدل ، فقال ويلك ، ومن يعدل إذا لم أَعدل لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمدا يَقْتُلُ أصحابه ، إنَّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السَهَمُ من الرَّمِيَّةِ».(١١٨١) أخرجه مسلم.

وعن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- :«إنَّ بعدي من أمتي -أو سيكون بعدي من أُمتي - قوم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حَلاقِيمَهم ، يَخرجون من الدِّين كما يخْرجُ السهم من الرَّمِيَّةِ ، ثم لا يعودون فيه ، هم شَرُّ الخَلْق والخَلِقَةِ» (١١٨٢)

والأحاديث في ذمهم قد بلغت مبلغ التواتر ، وأما عقيدتهم فخلاصتها :ـ فهو ممن يقولون بخلق القرآن بلا استثناء ، وهم بهذا قد وافقوا المعتزلة ، ويتبرءون من عليّ رضي الله عنه والحكم بكفره وكذلك عثمان ومعاوية ويتبرؤون من كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولعن الله من انتقصهم. ولهذا سمّاهم أهل السنّة بالنواصب، لأنّهم ناصبوا العداء لعليّ وغيره من الصحابة ، وهم في باب الأسماء والصفات جهمية معطلة محرفة ، فلا يثبتون الاستواء ولا يؤمنون برؤية الله تعالى يوم القيامة ، وكثير منهم ينكرون عذاب القبر ، ولا يثبتون الشفاعة إلاّ للمتّقين، أمّا العصاة فلا شفاعة لهم، وبهذا ينفون الشفاعة عن أنفسهم ويشهدون على أنفسهم بالحرمان من شفاعة الشافعين ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويعتقدون أنهم في الآخرة خالدون مخلدون في النار أبد الآباد ، وهناك عقائد فاسدة أخرى كنفي الميزان والصراط والقول بالتقية خلافاً لجميع فرق الخوارج.وهم يرون إخفاء

فإسناده وإن كان ظاهره السلامة، إلا أن فيه أبو بكر بن عياش، وهو وإن كان ثقة، إلا أنه يخطئ عن الكوفيين خطأ كثيرا، وشيخه هنا عاصم بن بهدلة، وهو كوفي، صدوقٌ يحسن حديثه، وباقي إسناد رجاله ثقات.

(١١٨١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ (١٠٦٣)، (١٠٦٤).

(١١٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ الْخَوَارِجِ شر الخلق والخليقة (١٠٦٧).

عقائدهم إذا ظهر عليهم الأعداء، ولعلّ هذا من أهمّ أسباب استمرار وجودهم إلى اليوم.

لا يعتمدون من السنّة إلاّ ما جاء عن طريق زعمائهم فحسب، وبالتالي لم يقبلوا الكثير من الأحاديث بل ردّوها.وإن من أهم ما تميز به الخوارج الفهم الفاسد ، وتكفير الحكام والدعوة إلى الخروج عليهم ، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم بأدنى شبهة ، وينزلون النصوص الواردة في الكفار على المسلمين ، وقد قتلوا جمعا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأمر الدماء عندهم ليس بالأمر الكبير والمهم ، فعاثوا في الأمة قتلا للأبرياء وسفكا للدماء بلا برهان ولا عدل ، وإنما هو التخرص والهوى ، فالخوارج فرقة مارقة، ترى كلّ من خالفها من المسلمين على غير الهدى والدين، وغلاتهم -وهم بالجملة غلاة- يرون كفر من خالفهم وحتّى الأطفال .وهم مع ذلك يستبيحون الدماء والأموال، لدرجة أنّ بعضهم يرى كفر الرعيّة إذا كفر الحاكم..إلاّ الإباضيّة: فإنّهم يستحلّون دماء المخالفين إذا كان لهم إمام، وكذلك لا يحكمون بكفر الأطفال من المسلمين ويتولّونهم ويتوقّفون في أطفال المشركين. وخلاصة القول في الخوارج أنّهم غلاة متفيقهون ضالّون في التصوّر والاعتقاد والسلوك، مع التشديد والأخذ بأحاديث الوعيد دون النظر في أحاديث التبشير والوعد، ولذلك استحقّوا التسمية النبويّة أنّهم: (كلاب أهل النار، يقتلون أهل الإسلام ، ويذرون أهل الشرك والأوثان) (١١٨٣)

وإننا بهذه المناسبة نحذر الشباب وأهل الإسلام من فتنة الخوارج ، فإنه من أوائل الفتن خروجا في وقت مبكر في العهد الإسلامي ، وإنها من الفتن الكبيرة على الأمة ، والتي لا زالت تعاني منها الويلات تلو الويلات ، وقد عادت وأطلت بقرونها في الأزمنة المتأخرة ، لأنها ما بادت وما انتهت أصلا ولكنه تخف في وقت وتزداد في وقت ، وما الدعوة إلى تكفير الحكام في هذه الأزمنة إلا دليلا على أنها أطلت بقرونها مرة أخرى على العالم الإسلامي ، وما تكفير الرعية وعامة

(١١٨٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ} (٣٣٤٤)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} (٧٤٣٢) ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ (١٠٦٤).

الشعوب الإسلامية إلا أثرا من آثارها المدمرة الفاسدة ، وما تلك التفجيرات التي نسمع بها بين الفينة والأخرى في كثير من البلاد إلا أكبر دليل على وجوب الحذر من تلك الفتنة العمياء والداهية الدهماء على الدين والعامة والأمة ، فاحذروا أيها الشباب ، والواجب علينا جميعا الاعتصام بحبل الله المتين ونوره المبين ،والحرص على طلب العلم المؤصل على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة على أيدي الثقات من أهل العلم والرسوخ والأمانة ، وأن نحذر الأمة من هذه الفتنة كما اشتد تحذير النبي ﷺ منها حتى بلغت الأحاديث المحذرة منها مبلغ التواتر ، وأن نلتف حول علمائنا وأمرائنا وأن نكون معهم يدا واحدة وصفا واحدا أمام تحديات العصر ومواجهة الفتن ، وأن نحرص الكامل على ما تحقن به الدماء وتُعصم به الأمة من الفتن ، وأن لا نكون دعاة لهذه الفتنة لا بمقالنا ولا بلسان حالنا ، وأن نعظم جناب العلماء والأمراء وأن لا نمكن أحدا من الناس أن يلوكهم بأمر من أمور السوء ، فإن من أكبر سمات الخوارج القدح في العلماء والحكام حتى يسقطوا هيبتهم ، وأنت خبير بأن القدح في تلكم الطائفتين ليس كالقدح في غيرهما ، لأن القدح في العلماء يوجب ذهاب هيبة العلم ، والقدح في الأمراء يوجب ذهاب هيبة الأمن ، وأي بلاد يرجى فيها الخير إن ذهب عنها هيبة الدين والأمن ، وهل بالله عليه تعمر البلاد إلا بهما ، ولا بد من تعظيم جانب الدماء ، فإن الأصل في دم المسلم العصمة ، فلا يحل استحلاله بأدنى الشبه ، فإن من صغر أمر الدماء في قلبه فهو فاسد الاعتقاد وتالف القلب وبعيد عن الحق والصراط المستقيم ، ولذلك فقد وردت الأدلة محذرة من إراقة دم المسلم بغير حق ، قال تعالى{والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما} وقال تعالى {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأنعام: ١٥١] وقال تعالى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣]

وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : «إنَّ الزَّمانَ قد استدار كهيأته يومَ خلق اللهُ السموات والأرض ، السَّنةُ اثنا عشر

شهرًا منها : أربعةٌ حُرُمٌ ، ثلاثَةٌ متواليات : ذو القعدة ، وذو الحِجَّة والمحرَّمُ ، ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادَى وشَعبانَ ، أيُّ شهر هذا ؟» قُلنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، فَسكَت حتى ظنَنَّا أنّه سَيُسَمِّيه بغير اسمه ، فقال : «أليس ذا الحجة ؟» قلنا : بلى ، قال : «أيُّ بلد هذا؟» قلنا : الله ورسُوله أعلم ، فَسكَتَ حتى ظننَّا أنَّه سَيُسمّيه بغير اسمه ، قال : «أليس البلدَةَ الحرام ؟» قلنا : بلى ، قال : «فأيُّ يومٍ هذا ؟» قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : «أليس يومَ النَّحْر ؟» قلنا : بلى ، قال : «فإنَّ دِماءَكم وأموالَكم وأعراضكم عليكم حرامٌ ، كحُرمَةِ يومكم هذا ، في بلدِكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلْقَون ربَّكم فيسألُكُم عن أعْمالِكم ألا فلا ترجعوا بعدي كُفّارًا ، يَضْرِبُ بعضُكُم رقابَ بعضٍ ، ألا ليُبَلّغِ الشاهِدُ الغائبَ ، فلَعلَّ بعضَ منْ يَبْلُغُهُ أن يكون أوْعى من بعض من سَمِعَهُ» ثم قال : «ألا هلْ بَلَّغتُ؟ ألا هل بلغت؟» قلنا : نعم ! قال : «اللَّهُمَّ اشْهدْ». (١١٨٤)

وفيهما عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : أَنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يَحِلُّ دَمُ امرئ مسلم يشهدُ أَن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، إلا باحدى ثلاث : الثَّيِّبُ الزَّاني ، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ ، والتَّارِكُ لدينِهِ ، المفارقُ للجمَاعَةِ». (١١٨٥)

وللنسائي قال : «والله الذي لا إله غيره ، لا يَحلُّ دَمُ امرئ مسلم يشهدُ أَن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ، إلا ثلاثةُ نَفَر : التاركُ للإسلام المفارقُ للجماعة ، والثَّيِّبُ الزَّاني، والنَّفْسُ بالنفسِ».(١١٨٦)

(١١٨٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأضاحي، بَابُ مَنْ قَالَ الأَضْحَى يَوْمُ النَّحْرِ (٥٥٥٠)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٧٤٤٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القسامة، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ (١٦٧٩).

(١١٨٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ} (٦٨٧٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القسامة، بَابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ (١٦٧٦).

(١١٨٦) صحيح

وفي رواية للبخاري : «النفسُ بالنفسِ ، والثَّيِّبُ الزاني، والمارِقُ من الدين التارِكُ للجماعةِ».(١١٨٧)

وفيهما أيضا عن المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - : قال عبيد الله بن عَدِي بن الخيار: إن المقداد بن عمرو الكندي - وكان حليفا لبني زُهرة ، وكان ممَّن شهد بدرا مع النبيِّ -ﷺ- - أخبره أنه قال لرسولِ الله -ﷺ- : «أَرأَيتَ إن لقِيتُ رجلا من الكُفارِ فاقْتَتَلْنا ، فضَرَبَ إحدى يديَّ بالسيف، فقطعها ، ثم لاذَ مِنِّي بشجرة ، فقال : أسلمتُ لله ، أَأَقْتُلُه يا رسولَ الله بعد أن قالها ؟ فقال رسولُ الله -ﷺ- : لا تقتُلْه ، فقال : يا رسولَ الله ، قَطَعَ إحدى يَديَّ، ثم قال ذلك بعدما قطعها ، فقال رسولُ الله -ﷺ- : لا تقْتُلْه ، فإن قتلْتَه فإنَّهُ بمنزلتِكَ قبل أن تَقتُلَه، وإنك بمنزلَتِهِ قبلَ أن يقول كَلِمَتَه التي قال».. (١١٨٨)

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال «بعثنا رسولُ الله -ﷺ- في سرَّية ، فَصبَّحْنا الحُرَقَات من جُهينة، فأدركتُ رجلا ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنتُه ، فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرتُهُ للنبيِّ -ﷺ-، فقال رسولُ الله - ﷺ- : أقال : لا إله إلا الله وقتلتَهُ ؟ قال : قلتُ : يا رسولَ الله، إنما قالها خوفا من السِّلاح. قال : أَفلا شَقَقْتَ

أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الديات، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(٦٨٧٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب القسامة، بَابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ (١٦٧٦)،

وأخرجه أحمد في مسنده (٣٦٢١)، (٤٠٦٥)، (٤٢٤٥)، (٤٤٢٩)، (٢٥٤٧٥)، والنسائي في سننه، في كتاب تحريم الدم، ذكر ما يحل به دم المسلم (٤٠١٦)، والطيالسي في مسنده (٢٨٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٧٠٤)، والحميدي في مسنده (١١٩)، وابن أبي شيبة في مسنده (٢٤٤)، وفي مصنفه (٢٧٩٠١)، (٣٦٤٩٢)، والدارمي في سننه (٢٣٤٤)، (٢٤٩١)،

من طريق: حفص بن غياث، وسفيان الثوري، وشعبة، ووكيع، وأبي معاوية عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الشيخين.

(١١٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ} (٦٨٧٨).

(١١٨٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، بَابُ (٤٠١٩)، كتاب الديات، باب (٦٨٦٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (٩٥).

عَنْ قَلْبِهِ ، حتى تعلم أقالها ، أم لا؟ فما زال يكرِّرُها عليَّ ، حتى تمنيتُ أني أسلمتُ يومئذ ، قال : فقال سعد : وأنا والله لا أقتل مسلما حتى يقتله ذُو البُطَين - يعني : أسامةَ - قال : فقال رجل : ألم يقل الله : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة: ١٩٣] فقال سعد : قد قاتَلْنا حتى لا تكونَ فتنة ، وأنتَ وأصحابُك تريدون أن تقاتِلوا حتى تكونَ فتنة». متفق عليه. (١١٨٩)

وعن جندب بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - :«بعثَ إلى عَسْعَسَ بنِ سلامةَ زَمَن فتنةِ ابنِ الزُّبير ، فقال : اجمع لي نفرا من إخوانك حتى أُحدِّثَهم. فبعث رسولا إليهم ، فلما اجتمعوا جاء جُنْدُبُ ، وعليه بُرْنُس أصفرُ، فقال: تحدَّثوا بما كنتم تتحدَّثون به ، حتى دار الحديثُ ، فلما دار الحديثُ إليه : حَسَر البُرْنُسَ عن رأسه ، فقال : إني أتيتُكم ، ولا أريدُ أن أحدِّثكم إلا عن نبيِّكم -ﷺ- ، إنَّ رسولَ الله -ﷺ- بعث بَعْثا من المسلمين إلى قوم من المشركين ، وإنهم التَقَوْا ، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصِدَ إلى رجل من المسلمين قَصَدَ له فقتله ، وإن رجلا [من المسلمين] قَصَدَ غَفْلَتَه ، قال : وكنا نتحدَّثُ : أنه أسامةُ بنُ زيد - فلما رفع عليه السيفَ، قال : لا إله إلا الله ، فقتله ، فجاء البشيرُ إلى رسولِ الله -ﷺ- ، فسأله وأخبره حتى أخبره خبرَ الرجل : كيف صنع ، فدعاه ، فسأله ، فقال : لِمَ قَتَلْتَه؟ فقال: يا رسولَ الله ، أَوجعَ في المسلمين ، وقتل فلانا وفلانا - وسمى له نفرا - وإني حملتُ عليه ، فلما رأى السيفَ ، قال : لا إله إلا الله ، قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- : أقتلتَهُ ؟ قال : نعم ، قال : فكيف تصنع ب «لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال : يا رسولَ الله استغفر لي، قال : وكيف تصنع ب «لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال : فجعل لا يزيده على أن يقول : فكيف تصنع ب «لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة ؟». (١١٩٠) أخرجه مسلم.

(١١٨٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، بَابُ بَعْثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ إِلَى الحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ (٤٢٦٩)، كتاب الديات، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَنْ أَحْيَاهَا} (٦٨٧٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (٩٦).

(١١٩٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (٩٧).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسولُ الله -ﷺ- : «لَنْ يزالَ المؤمِنُ في فُسحَة من دِينه ما لم يُصِبْ دما حراما» (١١٩١) رواه البخاري ،

وفيه قال : وقال ابن عمر: «إنَّ مِن وَرَطَاتِ الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكُ الدَّم الحرام بغير حِلِّه».(١١٩٢)

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أشرف يوم الدار فقال : أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : زنى بعد إحصان أو كفر بعد إسلام أو قتل نفس بغير حق فقتل به ؟ فو الله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ، ولا ارتددت منذ بايعت رسول الله ﷺ ، ولا قتلت النفس التي حرم الله فبم تقتلونني ؟ (١١٩٣)

(١١٩١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات، باب (٦٨٦٢).

(١١٩٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات، باب (٦٨٦٣).

(١١٩٣) صحيح،

والراجح فيه الوقف

أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٧)، (٤٦٨)، (٥٠٩)، وابن ماجه في سننه، في كتاب الحدود، باب لا يحل دم امرئ مسلم، إلا في ثلاث (٢٥٣٣)، وأبو داود في ننه، في كتاب الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم (٤٥٠٢)، والنسائي في المجتبى، في كتاب تحريم الدم، ذكر ما يحل به دم المسلم (٤٠١٩)، والدارمي في سننه (٢٣٤٣)، وابن أبي عاصم في الآحادوالمثاني (١٤٩)، والبزار في مسنده (٣٨١)، وابن الجارود في المنتقى (٨٣٦)، والحاكم في المستدرك (٨٠٢٨)، وغيرهم.

من طريق: حماد بن زيد، عن يحيي بن سعيد، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عثمان بن عفان، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الشيخين،

إلا أن البخاري رحمه الله رجح وقفه، فقد قال الترمذي رحمه الله:

سألت مُحَمَّدا عن هذا الحديث فقال: رواه حماد بن سلمة ، عن يحيى بن سعيد مثله ورفعه. قال مُحَمَّد: حدثنا به داود بن شبيب، عن حماد بن سلمة. قال مُحَمَّد: وحديث يحيى بن سعيد الأنصاري في هذا الباب عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عثمان قوله ، وحديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عثمان ، عن النبي ﷺ مرفوع. قال مُحَمَّد: روى الحديثين جميعا يحيى بن سعيد الأنصاري قال أبو عيسى: وإنما روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأنصاري مرفوعا حماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وأما الآخرون فرووا عن يحيى بن سعيد موقوفا. (العلل الكبير للترمذي ١/ ٣٢٢).

وعن أبي الدرداء عن رسولِ الله -ﷺ- أنه قال : «لا يزالُ المؤمن مُعْنقا صالحا ما لم يُصِب دما حراما ، فإِذا أصاب دما حراما بَلَّح». (١١٩٤)

رواه أبو داود ومعنى بلح : أي انقطع عن الخير يريد به وقوعه في الهلاك بإصابة الدم الحرام .

وعنه عن رسول الله ﷺ قال :" كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو من يقتل مؤمنا متعمدا. (١١٩٥) رواه أبو داود ،

والأحاديث في تعظيم أمر الدماء أكثر من ذلك ، والمؤمن يكفيه بعض ذلك ، وأهل الأهواء والبدع المعاندين فلو أنا صببنا عليهم الأدلة صبا لما كفتهم ولما استمعوا لها ، لاشتغال قلوبهم بالباطل ، ومن يهد الله فما له من مضل ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولا يزال أهل الإسلام يصرخون بأعلى أصواتهم بالتحذير من إراقة الدم بلا وجه حق ، ولكن الخوارج قد أقفلوا آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، فهذا بالنسبة لما ورد في دم المسلم المعصوم الدم ، ولا تظن أن الأمر وقف عند هذا الحد فقط ، بل حتى دماء المعاهدين وأهل الذمة والأمان ، لا يجوز لأحد من أهل الإسلام أن يقتلهم ، هذا من الخيانة التي وردت الأدلة بالتحذير منها ، بل الواجب

(١١٩٤) ضعيف

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الفتن، باب في تعظيم قتل المؤمن (٤٢٧٠)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩٢٢٩)، والمعجم الصغير (١١٠٨).

من طريق: خالد بن دهاقان، عبد الله بن أبي زكريا، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، به.

ففي إسناده خالد بن دهاقان، وهو مجهول، وباقي إسناده رجاله ثقات،

(١١٩٥) ضعيف

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الفتن، باب في تعظيم قتل المؤمن (٤٢٧٠)، وابن حبان في صحيحه (٥٩٨٠)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩٢٢٨)، وابن أبي عاصم في الديات (١/ ٦)، والحاكم في المستدرك (٨٠٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٨٦١)،

من طريق: من طريق: خالد بن دهاقان، عبد الله بن أبي زكريا، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، به.

ففي إسناده خالد بن دهاقان، وهو مجهول، وباقي إسناده رجاله ثقات،

على أهل الإسلام حقن دماء المعاهدين وأهل الذمة والأمان ، إلا أن نخاف منهم خيانة فالواجب علينا أن ننبذ لهم عهدهم قبل قتالهم ، من باب رعاية الأمانة والعدل ، كما قال تعالى {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما" (١١٩٦) رواه البخاري .

وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ قال : ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة. (١١٩٧) رواه أبو داود.

فإذا كان هذا في مثل هذه الأمور فكيف بحال من قتله وأزهق روحه بلا حق ؟ تالله إن الأمر لخطير ، نعوذ بالله تعالى من سفك الدم الحرام ،

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة ". (١١٩٨) رواه أبو داود والنسائي ،

(١١٩٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجزية، بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ (٣١٦٦)، كتاب الديات، بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا بِغَيْرِ جُرْمٍ (٦٩١٤).

(١١٩٧) ضعيف

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٢٠٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٧٣١).

من طريق: أبي صخر المديني، عن صفوان بن سليم، عن عدة من أبناء الصحابة، عن آبائهم، به.

ففيه: أبو صخر المديني، وقد ضعفه أحمد وابن معين، وفيه جهالة بين صفوان بن سليم، والصحابة.

(١١٩٨) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٣٧٧)، (٢٠٤٠٣)، وأبو داود في سننه، في كتاب الجهاد، باب في الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته (٢٧٦٠)، والنسائي في المجتبى في كتاب القسامة، تعظيم قتل المعاهد (٤٧٤٧)، والدارمي في سننه (٢٥٤٦)، والبزار في مسنده (٣٦٧٩)، وابن الجارود في المنتقى (٨٣٥)، (١٠٧٠)، والحاكم في المستدرك (٢٦٣١)، وغيرهم.

من طريق: عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة، به.

وللنسائي : "من قتل نفسا معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها " (١١٩٩)

وفي رواية للنسائي :ـ قال : "من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما" (١٢٠٠)

ورواه ابن حبان في صحيحه ولفظه :" من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام " (١٢٠١)

فإسناده حسن، ورجاله ثقات، فعيينة بن عبد الرحمن بن جوشن، صدوق، يحسن حديثه، وباقي إسناده فثقات.

(١١٩٩) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٣٨٣)، (٢٠٣٩٧)، (٢٠٥٢٣)، والنسائي في المجتبى في كتاب القسامة، تعظيم قتل المعاهد (٤٧٤٨)، وفي السنن الكبرى (٦٩٢٤)، (٨٦٩٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٥٢١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٩٤٤)، والبزار في مسنده (٣٦٩٦)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٨٢)، والحاكم في المستدرك (١٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٧٣٤)،

من طريق: الحكم بن الأعرج، عن الأشعث بن ثرملة، عن أبي بكرة، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(١٢٠٠) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٧٢)، (٢٣١٢٨)، (٢٣١٧٩)، والنسائي في المجتبى في كتاب القسامة، تعظيم قتل المعاهد (٤٧٤٩)، وفي السنن الكبرى (٦٩٢٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٢٨١)،

من طريق: شعبة، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن القاسم بن مخيمرة، عن رجل، من أصحاب النبي ﷺ،

وقد تابع منصورًا الأعمشُ وأسقط القاسم بن مخيمرة، إلا أن منصور بن المعتمر، وهو ثقة قد أثبته، لا سيما وقد رواه عن منصور شعبة،

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، وهو على شرط مسلم.

(١٢٠١) صحيح

أخرجه النسائي في المجتبى في كتاب السير، من قتل رجلا من أهل الذمة (٤٧٤٨)، وفي السنن الكبرى (٨٦٩١)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٨١)، (٧٣٨٢)، والحاكم في المستدرك (١٣٣)، (١٣٤)،

من طريق: عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أبي بكرة، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، وهو على شرط البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " ألا من قتل نفسا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله ؛ فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا" رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح ، (١٢٠٢)

والخلاصة أنه يجب تعظيم أمر الدماء ، بل إن الدعوة والسعي إلى حقن الدماء وتفخيم أمرها من علامات أهل الحق والسنة ، وإن الدعوة إلى سفكها بلا حق من علامات أهل البدع . والله تعالى يحفظنا وإياك من موجبات سخطه وأليم عذابه ، وهو أعلى وأعلم .

(فصل)

واعلم رحمك الله تعالى أن البلاء كل البلاء والذي أوجب في الأعم الأغلب إراقة الدماء وقتل الدهماء إنما هو فتنة التكفير ، تلك الفتنة الخطيرة والطامة الكبيرة ، والتي لا مخرج منها إلا بدراستها على ضوء الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ، فإن مسائل التكفير إن أخذت على غير هذا المنهج السليم والصراط المستقيم فناهيك عن الدواهي العظام والأمور الكبار التي ستقع في الأمة ، وإنني لأرى من المناسب في هذا الصدد أن نتكلم عن هذه الفتنة على طرقة التقعيد والتأصيل ، لأن

(١٢٠٢) ضعيف جدًا

أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الديات، باب ما جاء فيمن يقتل نفسا معاهدة (١٤٠٣)، ابن ماجه في سننه، في كتاب الديات، باب من قتل معاهدا (٢٦٨٧)، والحاكم في المستدرك (٢٥٨١)،

من طريق: معدي بن سليمان، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة، به.

ففيه عدة علل:

الأولى: فيه: معدي بن سليمان، وهو ضعيف، ضعفه أبو حاتم، والنسائي، وقال أبو زرعة: : واهي الحديث،

الثانية: شيخه مُحَمَّد بن عجلان، وإن كان صدوقًا إلا أن أحاديث أبي هريرة اختلطت عليه،

الثالثة: رواية معدي بن سليمان عن ابن عجلان منكرة، قال فيها أبو زرعة: يحدث عن ابن عجلان بمناكير .

أما عن قول الترمذي رحمه الله: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، فله وجه رحمه الله، فلعله يحسنه بشواهده، أو ببعض طرقه عن أبي هريرة، وإلا فالسند واهٍ كما تقدم.

الكلام عنها في أفرادها يطول ، وقد ألفت فيها المؤلفات النافعة ، ولكن لو تكلمنا عنها على طريقة التأصيل لهان الأمر ، فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه نستمد العون والفضل وحسن التحقيق :ـ

الأصل الأول :ـ التكفير حق لله ورسوله ، فلا نكفر إلا من كفره الله تعالى ورسوله ﷺ ، أو أجمع المسلمون على تكفيره ، فليس التكفير بابه مفتوحا أما الأهواء المضلة ولا الأفهام المختلة والأفكار المعتلة ، ولا الرغبات ، ولا مدخل للانتقام والتشفي ودرك الغيظ في باب التكفير ، بل لا نكفر إلا من كفره الله تعالى أو كفره النبي ﷺ ، فنحن نكفر فرعون وهامان وقارون وأبي جهل وأبي لهب وامرأة نوح ولوط وغيرهم ممن نص الدليل على كفرهم بأعيانهم ، ونكفر بالأعمال التي نص الدليل على أن فاعلها كافر ، ولكن لا نكفر المعين الذي يقوم بشيء من تلك الأعمال إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى ، فنكفر من ترك الصلاة الترك المطلق ، ونكفر من دعا أو استغاث أو استعان بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ،ونكفر من ذبح للقبور أو نذر لها أو اعتقد أن أهلها ممن يستغاث بهم في تفريج الكربات وإغاثة اللهفات ، وإقالة العثرات ، ونكفر من اتخذ الواسطة بينه وبين الله تعالى يدعوهم ويستغيث بهم ويستنصر بهم ، ونكفر من استهزأ بشيء مما جاء به النبي ﷺ ،وغير ذلك من الأمور المكفرة التي نص الدليل على أنها من جملة الكفر أو الشرك ، فنحن نكفر بها ، ولكن تكفير المعين عندنا موقوف على توفر الشروط وانتفاء الموانع ، والمهم هنا أننا لا نكفر إلا من كفره الله تعالى ورسوله ﷺ ، فإن كان الدليل بتكفيره عينا وباسمه ، فلا جرم أننا نكفره بعينه ، وإن انصب الدليل على التكفير العام أي تكفير الأقوال والأعمال ، فإن المعين الفاعل لها عندنا لا يكفر إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع ، وبناء على هذه القاعدة فلا يجوز الهجوم على أحد من أهل الإسلام بالحكم بالكفر إلا بعد قيام الدليل الدال على أنه كافر ، وأما الظنون والتخرصات الواهية فإنها لا تصلح أن تكون مستندا للتكفير ، واعلم رحمك الله تعالى أن الحكم بالكفر هو من جملة أحكام الشرع ، وقد تقرر في القواعد أن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة ، وباتفاق أهل السنة فالحكم بالكفر لا يدخل تحت دائرة العقوبة بالمثل ، أي ليس من حكم عليك بالكفر

فإنك تعاقبه بالمثل فتكفره ، وتقول :ـ هذا من جزاء السيئة بمثلها ، فنقول :ـ هذا الكلام باطل بالاتفاق ، فإن الحكم بالكفر من الأحكام الموقوفة على دليل الشرع ،

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى (فلهذا كان أهل العلم و السنة لا يكفرون من خالفهم و إن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه و تزني بأهله لأن الكذب و الزنا حرام لحق الله تعالى و كذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله و رسوله) (١٢٠٣) والله أعلم .

الأصل الثاني :ـ التكفير بالوصف العام لا يستلزم تكفير المعين إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، وهذا من الأصول الكبيرة عند أهل السنة رحمهم الله تعالى ، فالحكم العام على الأقوال والأفعال لا يستلزم انطباقه على الأفراد قطعاً إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، فالمتقرر عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أن من وقع في مكفرٍ أو مبدع أو مفسق فإنه لا يحكم عليه بمقتضاه إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع ، فأقل السنة يفرقون بين الفعل والفاعل ، ففلا بد من التفريق بينهما ، فالفعل يعطى حكمه المناسب له على مقتضى دلالة الأدلة ، وينتظر بالفاعل تحقق الشروط وانتفاء الموانع إذ ليس كل من وقع في الكفر كفر أو البدعة بدع أو الفسق فسق أو المعصية أثم فلا تلازم بين حكم الفعل وحكم الفاعل ، أي أن حكم الفعل لا ينجر إلى الفاعل إلا بعد توفر شروط معينة وانتفاء موانع معينة وهذه القاعدة مهمة جداً فإنه بسبب الجهل بها وقع بعض الناس في تكفير الأعيان أو تبديعهم أو تفسيقهم بمجرد وقوعهم في شيء من ذلك ظناً منهم التلازم الذاتي بين الفعل والفاعل ، وهذا مجانب للصواب ومخالف للأدلة وخروج عن العدل الذي به قامت السموات والأرض وصلح عليه أمر الخلائق فمن لم يعرف هذه القاعدة فإنه على خطر عظيم في هذا الباب أعني في باب الحكم على الآخرين وقد شرحت طرفاً كبيراً منها في القول الرشيد في سرد فوائد التوحيد واذكر خلاصتها هنا فأقول : إن الأدلة قد دلت على التفريق بين الفعل والفاعل

(١٢٠٣) الرد على البكري (٢/ ٤٩٢).

وذلك كما في الحديث الذي اتفق صاحبا الصحيح على إخراجه عن أنس في الرجل الذي خرج في الفلاة بناقته وعليها طعامه وشرابه ، وفي آخره قال من شدة الفرح : " اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح "(١٢٠٤)

فهنا قول وقائل ، فالقول في حد ذاته كفر ولا شك إذ فيه تربيب العبد وتعبيد الرب ولكن هل لزم من الوقوع فيه كفر قائله ؟ الجواب بالطبع لا.. وذلك لوجود مانع وهو عدم القصد أي الخطأ بسبب شدة الفرح التي غطت على عقله فدل ذلك على أنه ليس كل من قال الكفر أو فعله كفر مباشرة بل لابد من توفر الشروط وانتفاء الموانع والله أعلم.

ومن ذلك حديث أبي هريرة عند الشيخين أيضاً في قصة الذي أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي وأنه لما حضرته المنية قال لأبنائه : " إذا أنا مت فأحرقوني ثم ذروني في يومٍ رائح حتى لا يقدر علي ربي فيعذبني " (١٢٠٥) أو كما قال - ﷺ - ،

فهذا الرجل وقع في أمرين عظيمين وهما : إنكار البعث و إنكار قدرة الله تعالى فهذا القول والفعل منه كفر ولا شك إلا أنه لم ينطبق عليه حكم قوله هذا بدليل آخر الحديث وأن الله تعالى قال : "قَدْ غَفَرْتُ لَكَ " والكافر والمشرك لا يدخل في حيز المغفرة فلما غفر له علمنا جزماً أنه لم ينطبق عليه حكم قوله هذا وذلك لوجود مانع وهو الجهل والخوف الشديد الذي أغلق على عقله بحيث لم يدر عن حقيقة قوله هذا ، فجعل هذا الخوف الشديد مانعاً من انطباق حكم قوله عليه ، أي أنه لم يقصد حقيقة إنكار القدرة والبعث ولكنه ظن أنه بفعله هذا يرتاح من الحساب وهذا لجهله ، فهذا دليل على أن قول الكفر أو فعله لا يلزم منه كفر القائل أو الفاعل بل لابد من توفر الشروط وانتفاء الموانع .

(١٢٠٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابٌ فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا (٢٧٤٤).

(١٢٠٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٧٨)، كتاب الرقاق، باب الخوف من الله (٦٤٨١)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ} (٧٥٠٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ (٢٧٥٧).

ومن الأدلة أيضاً حديث معاذ وأنه سجد بين يدي النبي - ﷺ - فقال له : (ما هذا يا معاذ ؟ فأخبره الخبر، فقال : إنه لا يسجد إلا لله تعالى) (١٢٠٦)

فالسجود في حد ذاته كفر لأنه لغير الله تعالى إلا أن الفاعل لم ينطبق حكم فعله عليه – حاشاه وكلا - وذلك لوجود مانع وهو التأويل والاجتهاد وظن صواب النفس فدل ذلك على أنه لا تلازم بين الوقوع في الكفر ونحوه وبين الحكم على صاحبه .

ومن الأدلة أيضاً حديث أكل عدي بن حاتم وأنه أكل في نهار رمضان عامداً ظناً منه صواب نفسه لأنه فهم الآية على غير وجهها الصحيح ،

ومن المعلوم أن الأكل في نهار رمضان عمداً معصية لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يتكلم عليه بشيء بل لم يأمره بإعادة ذلك اليوم الذي أكل فيه فدل ذلك على التفريق بين الفاعل وفعله وأنه ليس كل من وقع في المعصية آثم .

ومن الأدلة حديث المستحاضة التي قالت للنبي - ﷺ - أنها تستحاض حيضة كثيرة شديدة وأنها تمنعها من الصلاة فبين لها - عليه أفضل الصلاة والسلام - الحكم في ذلك ولم يأمرها بقضاء ما تركته من الصلوات، (١٢٠٧)

(١٢٠٦) صحيح
أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (١١٥٩)،
من طريق: مُحَمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، به.
فإسناده حسن، ففيه: مُحَمَّد بن عمرو بن علقمة، وهو صدوق يحسن حديثه،
قال الترمذي رحمه الله: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه.
وأخرجه أحمد في مسنده (٢١٩٨٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٧٨٥)، (١٧١٢٦)، (١٧١٢٧)،
من طريق: الأعمش، عن أبي ظبيان، عن معاذ، به.
وإسناده صحيح، ورجاله ثقات.
وأخرجه أحمد في مسنده (١٩٤٠٣)، وابن ماجه في سننه، في كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة (١٨٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٤١٧١)، والبزار في مسنده (٤٣١٨)، وغيرهم.
من طريق: أيوب، عن القاسم الشيباني، عن عبد الله بن أبي أوفى، عن معاذ،
ففيه القاسم الشيباني، وهو مختلف في حاله، والراجح أنه يغرب، لكن حديثه جيد،

ومن المعلوم أن ترك الصلاة وإخراجها عن وقتها معصية لكنها كانت هنا جاهلة بالحكم في ذلك فامتنع انطباق حكم فعلها عليها لوجود المانع وهو الجهل فدل ذلك على أنه ليس كل من وقع في المعصية فهو آثم إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع.

ومن الأدلة أيضاً حديث عمر وعمار لما بعثهما النبي - ﷺ - في حاجة فأجنبا فلم يجدا الماء فأما عمار فتمرغ في الصعيد كما تمرغ الدابة وأما عمر فإنه ترك تلك الصلوات ولم يصل، فأما عمار فظن أن هذا هو التيمم الشرعي ، وأما عمر فظن أن التيمم لا يرفع الحدث الأكبر ، فأخبرهما النبي - ﷺ - بالحكم الشرعي ولم يأمر أحداً منهما بالإعادة والقضاء مع أن عمارا لم يتيمم التيمم الشرعي وعمر جلس لم يصل ، (١٢٠٨)

ومعلوم حكم هذا الفعل لكن لم ينطبق عليهما حكم فعلهما لوجود المانع وهو التأويل والجهل بهذا الأمر فدل ذلك على أنه ليس كل من وقع في المعصية آثم إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع

ومن الأدلة أيضاً حديث حاطب وكتابه(١٢٠٩) وهو في الصحيح ومعلوم حكم التجسس على المسلمين ومعاونة الكفار لكنه رضي الله عنه لم ينطبق عليه حكم فعله لوجود المانع وهو وجود الحسنة العظيمة وهي شهود بدر واعتذاره للنبي - ﷺ - وأنه تأول في ذلك وأراد به أن تكون له يد عند المشركين تمنع ماله وأهله ، وأخبر أنه في باطنه مبغض لهم وأنه لم يستبدل الكفر بالإيمان ولذلك قال عليه

(١٢٠٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء، باب غسل الدم (٢٢٨)، بَابُ عِرْقِ الِاسْتِحَاضَةِ (٣٢٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحيض، بَابُ الْمُسْتَحَاضَةِ وَغَسْلِهَا وَصَلَاتِهَا (٣٣٣)، (٣٣٤).

(١٢٠٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التيمم، بَابٌ: المُتَيَمِّمُ هَلْ يَنْفُخُ فِيهِمَا؟ (٣٣٨)، بَابٌ: إِذَا خَافَ الجُنُبُ عَلَى نَفْسِهِ المَرَضَ أَوِ المَوْتَ، أَوْ خَافَ العَطَشَ، تَيَمَّمَ (٣٤٥)، (٣٤٦)، باب التيمم ضربة (٣٤٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الحيض، باب التيمم (٣٦٨).

(١٢٠٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ الجَاسُوسِ (٣٠٠٧)، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح (٤٢٧٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَقِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ (٢٤٩٤).

الصلاة والسلام : (أما إنه قد صدق فلا تقولوا إلا خيراً) فدل ذلك على وجوب التفريق بين الفعل والفاعل .

ومن الأدلة أيضاً أن الخوارج لما خرجوا على المسلمين استباحوا ديارهم ودماءهم وجعلوا دارهم دار حرب وفعلوا في المسلمين الأفاعيل ، فهذا الفعل كفر لأنه استحلال ما هو معلوم من الدين بالضرورة أنه حرام ولكن الصحابة لم يكفروهم بل كانوا يقولون : من الكفر فروا إلا أنهم تأولوا تأويلاً ضالاً مجانباً للحق فدل ذلك على وجوب التفريق بين الفعل والفاعل وأما الأمر بقتلهم الثابت في الحديث فإنه ليس دليلاً على أنهم كفار لأنه قد يجب قتل من عظم فساده واشتد جرمه دفعاً لضرره وفساده إذا لم يندفع ضرره وفساده إلا بالقتل ، وكذلك الإخبار بأنه شر قتلى وأنهم كلاب النار ليس هذا دليلاً على كفرهم لأنه قد ثبت بالنص أن من المسلمين من يدخل النار بسبب ما معه من الذنوب والمعاصي كالخوارج والله أعلم .

ومن الأدلة :ـ أنه لما وقعت الفتنة بقول خلق القرآن - لا أعادها الله على المسلمين - تولى كبرها المعتزلة مع المأمون وحملوا الناس على القول بذلك وقتلوا من لم يجب إلى قولهم. وثبت الله بعض أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى وقال قولته المشهورة التي صارت من بعده عقيدة راسخة (من قال بخلق القرآن فهو كافر) ومع ذلك لم يكفّر الإمام أحداً من قائلي هذا القول بعينه بل كان يمنع من تكفير الأعيان وكان يصلي وراء من يقول ذلك ودعا للمأمون في آخر حياته وحلله وجميع من ضربه بسوط ولم ينكر ذلك أحد من أهل السنة مما يدل على وجوب التفريق بين الفعل والفاعل والله أعلم . فهذا طرف من الأدلة على صحة هذه القاعدة وبه تعلم وجوب فهمها واعتمادها في الحكم على الأعيان والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل . فإن قلت : فما هي هذه الشروط التي لابد من توفرها والموانع التي لابد من انتفائها للحكم على المعين بمقتضى فعله ؟ فأقول : هي كما يلي

الأول : العقل وضده الجنون ، فالعقل شرط والجنون مانع ، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك وبه جنون فلا يحكم عليه بمقتضاه ، والأدلة على اشتراط العقل معروفة .

والثاني : البلوغ وضده الصغر ، فالبلوغ شرط والصغر مانع ، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك وهو غير بالغ فلا يحكم عليه بمقتضاه .

الثالث : العلم وضده الجهل ، فالعلم شرط والجهل مانع، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك جاهلاً الحكم ومثله يجهل فلا يحكم عليه بمقتضاه .

الرابع : الاختيار وضده الإكراه، فالاختيار شرط والإكراه مانع، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك وهو مكره فلا يحكم عليه بمقتضاه .

الخامس : عدم التأويل وضده وجود التأويل، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك متأولاً تأويلاً سائغاً فإنه لا يحكم عليه بمقتضاه .

السادس : القصد وضده عدم القصد ، وبناءً عليه فمن قال أو فعل شيئاً من ذلك غير قاصدٍ له فإنه لا شيء عليه ، ويدخل في ذلك الغفلة والنسيان وكلام المبرسم والنائم والمغمى عليه وهي التي يسميها الأصوليون عوارض الأهلية ، أي الأشياء التي تعرض للإنسان فترفع أهليته للمطالبة بالحكم أو انطباق أثره عليه ويدخل في ذلك أيضاً ما إذا كان العقل مغطى بسكرٍ أو غضبٍ أو شدة فرح أو خوف ونحو ذلك ، والله يتولانا وإياك، وأنبهك أخيراً على بعض المسائل المهمة في هذا الباب وهي كما يلي : -

الأولى : اعلم - أرشدك الله لطاعته - أن انطباق حكم الفعل أو القول على فاعله وقائله يفتقر إلى اجتهاد لأنه لا يجوز لأحد أن يتكلم في ذلك إلا إذا كان من أهل الاجتهاد لأنها مسائل عظيمة ، ولها آثار وخيمة إذا انطبقت على المعين ، فاتق الله في لسانك ولا تدخل في هذه المسالك فإنك إن دخلتها بلا سلاح من العلم والتقوى فإنك لاشك هالك فاغنم السلامة بالسكوت فإن الهلكة في كثرة الكلام ، والحكمة تقول :ـ فرص النجاة في السكوت أكثر منها في الكلام ، والله أعلم .

الثانية :ــ اعلم - رحمنا الله وإياك - أنه إذا اجتهد مجتهد فتبين له أن حكم الفعل ينطبق على فاعله فإن هذا الذي توصل إليه ليس بلازم في حق أحد فإذا خالف مجتهد آخر ورأى أنه لا ينطبق فلا يحق للأول أن يلزم الثاني باجتهاده لأن اجتهاده ينسب له وليس هو بنص يجب اتباعه فبان بذلك أن الذين يلزمون الآخرين باجتهادهم في تكفير الأعيان ليسوا على صواب بل هم مخالفون لمنهج أهل السنة في ذلك كما فعله الخوارج الذين ألزموا الأمة بالأخذ برأيهم الضال وحصل بهذا الإلزام ما حصل من الفتن العظيمة والبلاء والشر المستطير الذي لا زلنا نعايش آثاره إلى اليوم وكما فعله أيضاً جماعة التكفير والهجرة ، فإنهم ألزموا غيرهم بالأخذ باجتهادهم في تكفير الحكومات والرؤساء ومن لم يكفرهم أو شك في كفرهم فإنه مثلهم حتى أدى ذلك إلى تكفيرهم لعموم الناس إلا الطوائف القليلة وهذا كله بسبب الإلزام بالاجتهاد وهو من ضيق العطن وصغر الأفق وتلبيس إبليس ولذلك نقول : اجتهادك لك تعمل به وتتحمل مسئوليته أمام الله يوم القيامة، أما أن تلزم غيرك به فإن هذا محض العنجهية المقيتة والعصبية المميتة عافانا الله وإياك من كل بلاء ومكروه والله أعلم .

الثالثة :ــ القول الجامع لأهل السنة في ذلك هو أنهم لا يشهدون لأحدٍ من أهل القبلة بعينه بجنة ولا نار ولا بغضب ولا رضى ولا لعنة إلا لمن شهد له النص بذلك، وأنهم يرجون للمحسن الثواب ويخافون على المسيء العقاب ، فاشدد يديك بهذا فإنه السلامة والعصمة في هذا الباب الخطير أعني باب التكفير والله ولي التوفيق .

الرابعة :ــ احذر - رعاك الله - أن تكفر أحداً بعينه في مسألة اشتد خلاف العلماء فيها فإن هذا الخلاف شبهة يجعل العاقل يتورع عن تكفير أحدٍ بعينه فيه وذلك كمسألة كفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً فإن الخلاف قديم وهو قوي فالورع أنه إن ترجح لك القول بالتكفير أن تجعله كالحكم العام الذي لا يتوجه إلى الأفراد إلا بعد التأكد التام من انطباقه عليهم فإذا سألت عن أحدٍ بعينه في ذلك فإني أنصحك أن تتجنب الحكم على عينه بالتكفير فإن المسألة خلافية والجمهور على أنه فاسق ليس بكافر فالورع ترك توجيه التكفير لأحدٍ بعينه إذا خالف في هذه المسالة وكذلك

مسألة ترك الزكاة بخلاً وتهاوناً أيضاً هي من المسائل التي اختلف العلماء فيها فمع ثبوت الخلاف فالورع أن تحجم عن توجيه التكفير لأحدٍ بعينه إذا خالف في هذه المسألة وعلى ذلك فقس فالمسائل التي اختلف العلماء فيها بين الكفر وعدم يحترز العاقل التقي الورع في تطبيقها على الأعيان بل السلامة كل السلامة في السكوت عن ذلك إلى توجيه النصيحة العامة التي تنفع المسئول عنه وغيره من الأفراد كالحديث عن أهمية الصلاة ومنزلتها في الإسلام وكذلك الزكاة وهكذا وهذه المسألة من أبواب الورع ولعل القاعدة قد فهمت إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلى وأعلم .

الأصل الثالث :ـ الحكم العام على الأقوال والأفعال لا يستلزم انطباقه على الأفراد قطعاً إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، أقول :ـ وهي فرع عن القاعدة التي قبلها ، وبيانها أن يقال : إن أهل السنة والجماعة - رحم الله أمواتهم وثبت أحياءهم يطلقون أحياناً أحكاماً عامة على بعض الأقوال والأفعال كقولهم - : من قال كذا فهو كذا، فهم بذلك لا يريدون أن هذا الحكم العام ينطبق على كل أفراده انطباقاً قطعياً وإنما يريدون بذلك بيان حكم القول أو هذا الفعل فقط وأما انطباقه على أفراده فإنه متروك لاجتهادك ونظرك في ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، وهذا لابد من فهمه وذلك كقولهم : من شبه الله بخلقه كفر ، لا يلزم منه أن كل مشبّهٍ بعينه يكون كافراً وإنما المراد أن حكم التشبيه كفر لكن هل هذا المشبه بعينه يكفر ؟ هذا هو الذي يحتاج إلى النظر في ثبوت الشروط السابقة وانتفاء الموانع، وكقولهم : من أنكر صفة من صفات الله كفر ، أيضاً لا يلزم منه أن كل من أنكر صفة كفر بعينه بل يريدون بذلك بيان حكم الإنكار فقط وأما انطباقه على شخص بعينه أنكر شيئاً من الصفات فإنه يحتاج إلى ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ؛ وكذلك قولهم : من قال بخلق القرآن كفر ، أيضاً فيه بيان حكم هذا القول ، لكن لا يلزم منه أن يكفر كل من قال بخلق القرآن بعينه ولذلك لم يكفّر الإمام أحمد المأمون مع قوله بخلق القرآن ذلك لأن الحكم العام على الأقوال والأفعال لا يلزم منه انطباقه على أفراده الانطباق القطعي بل يفتقر قبل ذلك إلى النظر في ثبوت الشروط وانتفاء الموانع؛ وكذلك قولهم : من أنكر قدرة الله أو علمه فقد كفر، إنما

فيه بيان حكم هذا القول فقط لكن لا ينطبق على كل فرد بعينه وقع في ذلك إلا بعد النظر في الشروط والموانع ،

ومن ذلك قوله - ﷺ - : (لعنت الخمرة على عشرة أوجه) وذكر منها (وشاربها) (١٢١٠) لكن هذا لعن عام فيطبق عليه هذه القاعدة أن الحكم العام لا يستلزم انطباقه على كل أفراده قطعاً بدليل أنه لما لعن أحد الحاضرين عياض بن حمار لكثرة ما يؤتى به فيجلد في الخمر نهاه النبي- ﷺ - عن ذلك لأن اللعن الآن قد توجه للمعين واللعن العام لا يستلزم لعن كل من وقع في الأمر الملعون فاعله ، ومن ذلك قولهم : من أنكر رؤية الله في الآخرة فهو كافر يقال فيه ما قد قيل في سابقه من أنه لا يلزم من هذا الحكم العام أن ينطبق على كل منكرٍ بعينه إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، إذاً فهمنا من ذلك أن الحكم العام شيء والحكم للمعين شيء آخر ، كما فرقنا سابقاً في حكم الفعل وحكم الفاعل ، ويؤيد هذا أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى لم يكفر أعيان الجهمية فتكفيره هو والسلف للجهمية والقدرية لا يقتضي تكفير كل جهمي وكل قدري ، وكذلك غيرهما من الفرق التي كفرها السلف لا يلزم من تكفيرها تكفير أعيان هذه الفرق ، ولذلك فقد ثبت عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم ولو كانوا مرتدين بأعيانهم بما قالوه لم يجز الاستغفار لهم فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع . ويؤيد هذا الأدلة السابقة في القاعدة قبلها ونزيدها ما رواه البخاري عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت : جاء النبي - ﷺ - فدخل حين بني علي فجلس على فراشي مجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدرٍ

(١٢١٠) حسن بمجموع طرقه

أخرجه أحمد في مسنده (٤٧٨٧)، (٥٣٩٠)، وابن ماجه في كتاب الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، (٣٣٨٠)، وأبو داود في سننه في كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر (٣٦٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢١٦٢٥)، وأبو يعلى في مسنده (٥٥٩١)، وابن الأعرابي في معجمه (١٤٦)،

من طريق: أبي طعمة الشامي، و الرحمن بن عبد الله الغافقي – كلاهما–عن عبد الله بن عمر، به.

وأبو طعمة الشامي، مولى عمر بن عبد العزيز، وهو مجهول، ومتابعه الرحمن بن عبد الله الغافقي، مجهولٌ أيضًا، فبمجمزعهما يتقوى الخبر، فيحسن، والله أعلم.

، إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غدٍ ، فقال : (دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين) (١٢١١)

ومن المعلوم أن كل من ادعى أن أحداً يعلم الغيب فإنه كافر إلا أن هذا الحكم عام ، والحكم العام لا ينطبق على أفراده الانطباق القطعي ، وهذه الجارية لم ينطبق عليها حكم قولها هذا لأنها كانت جاهلة واكتفى النبي - ﷺ - بنهيها عن ذلك فدل ذلك على أن الحكم العام لا ينطبق على أفراده إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، ولذلك نص الأئمة رحمهم الله تعالى أن من أعظم البغي أن يشهد على المعين بالكفر ، إلا بالبرهان الساطع والدليل القاطع فمن أراد الحكم على المعين بشيء من ذلك فعليه أن يراعي هذا الأمر المثبت في هذه القاعدة والله أعلم .

ولهذا يتفرع عندنا عن هذه القاعدة عدة ضوابط مهمة جداً فاحفظها واجعلها نصب عينيك عند الحكم على أحدٍ بشيء وهي :

الأولى : التكفير العام لا يستلزم كفر المعين إلا بثبوت الشروط وانتفاء الموانع .

الثاني : التبديع العام لا يستلزم تبديع المعين إلا بثبوت الشروط وانتفاء الموانع .

الثالث : اللعن العام لا يستلزم لعن المعين إلا بثبوت الشروط وانتفاء الموانع .

الرابع: التفسيق العام لا يستلزم تفسيق المعين إلا بثبوت الشروط وانتفاء الموانع.

الخامس : التأثيم العام لا يستلزم تأثيم المعين إلا بثبوت الشروط وانتفاء الموانع .

فهذا هو خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وهو أعلى وأعلم .

الأصل الرابع :ـ لا تقوم الحجة إلا بالبلوغ ومطلق الفهم ، أقول : لقد شرحت هذه القاعدة بالأدلة والفروع في " القول الرشيد في سرد فوائد التوحيد " ولكن لأهميتها ولتعلقها التعلق التام بموضوع بحثنا جعلتها قاعدة مفردة وذلك لأنها مهمة جداً في الحكم على الأعيان ، وذلك لأننا ذكرنا في القاعدة السابقة أن الحكم لا ينطبق على

(١٢١١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب (٤٠٠١)، كتاب النكاح، باب (٥١٤٧).

الأفراد إلا بالشروط ومن الشروط العلم والمراد به قيام الحجة على المكلف التي يكفر من خالفها أو يبدع أو يفسق ونحوه ، وقد اختلف العلماء فيما تقوم به الحجة على قولين فمنهم من قال بأنها تقوم بالبلوغ فقط ولا يشترط الفهم ، ومنهم من قال أنها لا تقوم إلا بالبلوغ والفهم ؛ وقد حققنا أن الخلاف بينهم لفظي لا حقيقي وذلك أن الجميع اشترط لقيامها مطلق الفهم والجميع اتفقوا على أنه ليس من شروطها الفهم المطلق والذين يثبتونه إنما يريدون إثبات مطلق الفهم ، ولذلك فهذه القاعدة متفق على مدلولها بين العلماء رحمهم الله تعالى وبه تعلم أن الحجة على المكلف لا تقوم إلا بأمرين : الأول بلوغ النص ، والثاني فهمه مطلق الفهم ، ونعني بمطلق الفهم أي معرفته وإدراكه مطلق الإدراك وهذه القاعدة قد تظافرت الأدلة على صحتها ويكفيك في ذلك إجماع العلماء قاطبة على مقتضاها ، فإن الإجماع حجة يجب المصير إليه وتحرم مخالفته وخصوصاً الإجماع القطعي ، وقد ذكرنا في موضع آخر التفريق بين مطلق الشيء والشيء المطلق فمن الأدلة على صحتها غير الإجماع قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥] وقوله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام: ١٩] فهذا إخبار من الله تعالى عن عدله وأن لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسل ، وأن الله جل وعلا أنزل كتابه للإنذار وإقامة الحجة على العباد ومن ذلك حديث ابن عمر في القوم الذين صلوا إلى بيت المقدس بعد نسخه وعذروا بذلك لعدم علمهم بالناسخ فإذا كان هذا حال القريب من مهبط الأدلة فكيف بمن كان بعيداً كأهل مكة واليمن ومن في الحبشة فلا معذورون لعدم علمهم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ،

ومن ذلك الحديث المشهور الذي رواه الإمام أحمد في المسند عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (يكون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة ، فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر ، وأما الهرم فيقول : أي رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : أي رب ما أتاني من رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم

أن ادخلوا النار ، قال : فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً) (١٢١٢) صححه الحافظ ابن القيم وعبد الحق الإشبيلي وغيرهم .

فهؤلاء قد عذرهم الله تعالى ، فأما الأصم الذي لا يسمع ومن مات في الفترة فعذرهما لعدم وصول الحجة إليهم ، وأما الأحمق والهرم فعذرهما لعدم فهمهما ، مما يدل على اشتراط البلوغ والفهم لقيام الحجة ، ومن ذلك أيضاً : حديث عدي بن حاتم في أكله في نهار رمضان فإن النص قد بلغه ولكنه لم يفهمه على وجهه الصحيح ولذلك عذره النبي - ﷺ - لعدم فهمه ، مما يدل على أهمية الفهم لقيام الحجة ،

وكذلك حديث (لا يصلّين أحدكم العصر إلا في بني قريضة) وأن بعض القوم أخرها عن وقتها وبعضهم صلاها في وقتها في الطريق ولم يعنف النبي - صلى الله عليه وسلم - على أحدٍ منهم ، (١٢١٣)

ومن المعلوم أن أحد الفريقين أخطأ في الفهم لأن الحق لا يتعدد فكون النبي - ﷺ - لم يعنف على أحدٍ منهم دل على أنه عذر المخطئ لعدم فهمه للنص، مما يدل على أهمية الفهم لقيام الحجة ،

ومن ذلك حديث الذي أهدى للنبي - ﷺ - رق خمر فقال: (أما علمت أنها حرمت) (١٢١٤) فهذا لم يعنفه النبي - ﷺ - لعدم علمه بالتحريم لأن النص لم يبلغه من الأعراب فدل على اشتراط بلوغ النص لقيام الحجة.

(١٢١٢) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٦٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٥٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٤١)،

من طريق: قتادة، عن الأحنف بن قيس، عن الأسود بن سريع، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(١٢١٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة، بَابُ صَلاَةِ الطَّالِبِ وَالمطْلُوبِ رَاكِبًا وَإِيمَاءً (٩٤٦)، كتاب المغازي بَابُ مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَحْزَابِ، وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ (٤١١٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ الْمُبَادَرَةِ بِالْغَزْوِ، وَتَقْدِيمِ أَهَمِّ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ (١٧٧٠).

(١٢١٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، بَابُ تَحْرِيمِ بَيْعِ الْخَمْرِ (١٥٧٩).

ومن ذلك حديث الذي بال في المسجد وأن النبي - ﷺ - لم يزجره بل تركه يبول وقال له : (إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من هذا الأذى والقذر... الحديث) (١٢١٥)

ففعله فعل جاهل لا يعلم بالحكم فعذره - ﷺ - لأن الحجة لم تقم عليه لعدم بلوغ النص إليه ولذلك ترفق به - ﷺ - وعلمه أكمل التعليم بأحسن بيان .

ومثله أنه لما ضاع عقد عائشة في سفرهم الذي نزلت فيه آية التيمم بعث - صلى الله عليه وسلم - قوماً يتلمسونه وليسوا على ماءً وليس معهم ماء فنزلت آية التيمم ومرت عليهم بعض الصلوات (١٢١٦) ولم يثبت أنه - ﷺ - أمر أحداً منهم بالإعادة لأنهم معذورون بعدم العلم بالدليل ، فدل ذلك على اشتراط البلوغ أي بلوغ النص لقيام الحجة .

ومثله حديث عمار وعمر فقد عذرهما النبي - ﷺ - لكونهما لم يفهما النص على وجهه الصحيح ، وإلا فالنص الآمر بالتيمم قد بلغهما لكن عماراً كان يجهل صفة التيمم عن الحدث الأكبر، وعمر كان يظن أنه لا يرتفع به الحديث الأكبر فعذرا لعدم الفهم مما يدل على أهمية الفهم لقيام الحجة . (١٢١٧)

ومن ذلك أنه لما أتمت صلاة الحضر أربعاً بعد الهجرة نعلم جزماً أن هذا الحكم لم يصل إلى المسلمين في البلاد البعيدة كمكة وأهل اليمن ومن في الحبشة إلا بعد مدة طويلة ومع ذلك لم يأمر - ﷺ - أحداً بالإعادة وذلك لعدم بلوغ النص. والأدلة على ذلك كثيرة وهذا من رحمة الله تعالى بعباده فاليقين القاطع الذي لا يتطرق إليه شك

(١٢١٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا (٢٨٥).

(١٢١٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التيمم (٣٣٤)، كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} (٤٦٠٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحيض، بَابُ التَّيَمُّمِ (٣٦٧).

(١٢١٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التيمم، بَابٌ: المتَيَمِّمُ هَلْ يَنْفُخُ فِيهِمَا؟ (٣٣٨)، بَابٌ: إِذَا خَافَ الجُنُبُ عَلَى نَفْسِهِ المَرَضَ أَوِ المَوْتَ، أَوْ خَافَ العَطَشَ، تَيَمَّمَ (٣٤٥)، (٣٤٦)، باب التيمم ضربة (٣٤٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الحيض، باب التيمم (٣٦٨).

هو أن الحجة لا تقوم إلا بمجموع الأمرين بلوغ الدليل وفهمه مطلق الفهم ، وبناءً عليه فإنه لا يجوز إصدار أي حكم من الأحكام على أحدٍ إلا بعد التأكد من أنه قد قامت الحجة الرسالية عليه بتحقق هذين الشرطين ولا تتعجل في إصدار الحكم بل عليك بالرفق والتبين ، وهذا يدخل فيه كثير من العامة الذين نشئوا في البلاد التي يقرر فيها الشرك والبدعة مع أن كلمة الحق لا تصل إليهم لإحكام القبضة عليهم من ولاة السوء وعلماء الضلالة الذين يجيزون للعامة فعل ذلك بل ويحضرون معهم للمشاركة في موالدهم وبدعهم ، مع كسل كثير من الدعاة عن الوصول إليهم وتعليمهم والاكتفاء بالمراسلة وإيصال الشريط أو الكتيب وهذا في الحقيقة غير كافٍ فإن الشبهة عند هؤلاء العوام قوية فالمنصف لا يتسرع بالحكم عليهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم ، ومثل هؤلاء من نشأ في بادية بعيدة عن العلم والعلماء وليست عنده الوسائل للوصول إليهم أو الاتصال بهم فهذا أيضاً معذور إن خالف المأمور أو فعل المحظور لجهله. ومثله الكافر إذا أسلم في دار الحرب ولم يستطع الهجرة فإن دار الحرب تخلو من أهل العلم وطلابه فنعلم جزماً أن الحجة لم تقم عليه. ومن ذلك من كان متأولاً تأويلاً سائغاً فخالف بهذا التأويل مأموراً به أو منهياً عنه فهو أيضاً معذور كما عذر النبي - ﷺ - عدي بن حاتم ومعاذ في سجوده بين يديه ، وعمر وعمار فيما فعلاه ، ومن أخرج صلاة العصر عن وقتها كما في الحديث السابق ، وكما عذر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه للمشركين ، وكما قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى عليه: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمعوا أن كل دمٍ أو مالٍ أصيب بتأويل القرآن فإنه هدر ، أنزلوهم منزلة الجاهلية (١٢١٨).

أ.هـ وذلك لأن التأويل منشؤه من عدم الفهم ،

ومن ذلك قتل أسامة بن زيد الرجل لما قال " لا إله إلا الله " فإنه كان متأولا فلم يوجب - ﷺ - عليه القود (١٢١٩)

(١٢١٨) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال (١/ ٢٦٥).

(١٢١٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (٩٧).

ومن ذلك قتل خالد بن الوليد لبني خزيمة فإنهم أرادوا أن يقولوا : أسلمنا أسلمنا فقالوا : حبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل فيهم ويأسر ، فقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، مرتين) (١٢٢٠) والحديث في البخاري ،

ولم يأمره بالقود ولا بالدية مما يدل على أنه كان معذوراً في ذلك لخطئه وتأويله - رضي الله عنه - وعن عامة أصحابه - ﷺ - وبالجملة فالأمر خطير وإطلاق اللسان في هذه المسائل بلا علم ولا برهان عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة فإحكام اللسان وحبسه عن الخوض في ذلك هو السلامة والعافية نعوذ بالله من الخذلان ومن إصدار الأحكام على الآخرين بلا علم ولا برهان والله تعالى أعلم وأعلى .

وبالجملة فتلك بعض الأصول التي قررها أهل السنة رحمهم الله تعالى في باب هذا الباب الخطير أحببنا أن نتحفك بها ، ولم يكن في الحسبان أننا سنطيل ،ولكن المعذرة ، وإنما المقصود النصيحة ، والله يتولانا وإياك لما فيه الخير والصلاح ، والخلاصة :ـ أن من سمات الخوارج المشهورة عنهم تكفير الأعيان والحكام والدعوة إلى الخروج على حكام الزمان ، فاحذر من هذا المسلك الخطير والطريق المعوج السقيم ، عافاك الله تعالى وإياك من كل بلاء ، وهو أعلى وأعلم .

(فائدة) فإن قلت :ـ وهل الخوارج كفار ؟ فأقول إن مسألة تكفير الخوارج للعلماء فيها قولان في مذهب أحمد و مالك و الشافعي ، ففي قول لهم: أنهم كفار؛ لتكفيرهم الصحابة، ولخروجهم على الجماعة، وللأقوال المبتدعة المنكرة التي قالوها.والقول الآخر: أنهم لا يكفرون، بل هم ممن أباح النبي ﷺ دماءهم إذا اجتمعوا على بدعتهم، وخرجوا على المسلمين، وهم من المعتدين الظالمين الذين يقاتلون قتال أهل البغي والظلم والاعتداء.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(وهذا الذي كان عليه الصحابة، فلم يُنقل عن أحد منهم أنه كفّرهم، لا علي ولا غيره، بل لما سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن

(١٢٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، بَابُ بَعْثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ (٤٣٣٩)، كتاب الأحكام، بَابُ إِذَا قَضَى الحَاكِمُ بِجَوْرٍ، أَوْ خِلاَفِ أَهْلِ العِلْمِ فَهُوَ رَدٌّ (٧١٨٩)،

الخوارج: هل هم كفار؟ قال: من الكفر فروا) (١٢٢١) والظاهر أن ما ذهب إليه القائلون بعدم تكفيرهم أقرب للصواب؛ إذ هذا القول هو الذي مضى عليه الصحابة رضي الله عنهم، وهم أعلم بكلام النبي ﷺ ومقاصده. وهو ظاهر فعل علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عباس ومن معهم من الصحابة رضي الله عن الجميع في عدم تكفير الخوارج .

قال ابن حزم (وهو قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي وإسحاق بن راهويه ، ثم اختاره هو)، (١٢٢٢)

وهو رواية عن مالك وأحمد ، وهو قول القاضي عياض والقاضي أبي بكر المالكي ، وابن تيمية والشوكاني وأئمة الدعوة ، والله أعلم .

(فصل)

ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه (أو تفعلن كشيعة الشيطان) أي الرافضة ، وهم قوم بهت كذابون، بل هم أكذب الطوائف على الإطلاق ، ولا نعرف في الفرق من هو في البعد عن مذهب أهل السنة منهم ، وهم من أشد أعداء أهل السنة ، وهم يعتقدون أن مسألة الإمامة أهم مسائل الدين ، ويعتقدون في أئمتهم ـ زورا وبهتانا ـ ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى ، من إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات ، والتصرف المطلق في الكون من أجراء السحاب وإنزال المطر وإنبات الشجر والتصرف في الجنة والنار ، فهم أعظم الطوائف كفرا وضلال ، وهم ممن أحيا جاهلية القبور ووثنية الشرك بالأموات والأولياء والصالحين ، وهم يعتقدون جواز البدا على الله تعالى ، وكانوا في أول أمرهم ممثلة ، ثم صاروا معطلة ، وقائدهم الأول هو عبدالله بن سبأ اليهودي الهالك ، ويعتقدون العصمة لكل أئمتهم ، فهم معصومون عن الخطأ والنسيان ، وعن اقتراف الكبائر والصغائر. ويعتقدون بالعلم اللدني لأئمتهم ، فكل إمام من الأئمة أُودِع العلم من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم بما يكمل الشريعة ، وهو يملك علماً لدنياً ولا يوجد بينه وبين النبي من فرق

(١٢٢١) لم أقف على كلام شيخ الإسلام.
(١٢٢٢) لم أقف عليه.

سوى أنه لا يوحى إليه ،وقد استودعهم رسول الله ﷺ أسرار الشريعة ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم.ويرون بأن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعاً ، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه كما يزعمون وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى ، وهذا من أساطيرهم.ويعتقدون بأن الإمام الأخير وهو حسن العسكري سيعود في آخر الزمان ـ وهي عقيدة الرجعة ـ عندما يأذن الله له بالخروج ، وهم يقفون كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب وقد قدموا مركباً ، فيهتفون باسمه ، ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم ، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر إلى الليلة التالية ، ويقولون بأنه حين عودته سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وسيقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ ، ولقد قالت الإمامية قاطبة بالرجعة ، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات ، ومن عقائدهم الفاسدة :ـ التقية ، وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين ، ومن تركها كان بمنزلة ترك الصلاة ، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية ، كما يستدلون على ذلك بقوله تعالى : (إلا أن تتقوا منهم تقاة) وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله : [التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له] وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد اقتراف الكذب والمحرمات.ويرون أن نكاح المتعة نكاح صحيح ، بل له من الفضائل والأجور ما لا يأتي عليه الوصف ، وقد ألفوا من كيسهم في فضله ما لا يستطيعه إبليس ، ويعتقدون أن هناك ما يسمى بمصحف فاطمة ، ويروي الكليني في كتابه (الكافي) عن أبي بصير ((أي جعفر الصادق)) ((وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، قال : قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم)).ولا ندري هذا المصحف المزعوم بأي لغة ، ومن أقذر عقائدهم القدح في أصحاب النبي ﷺ وسبهم والحكم عليهم بالكفر والردة إلا نفرا يسيرا منهم ، ومن عقائدهم اتهام أم المؤمنين بما برأها الله تعالى منه ، ومن عقائدهم :ـ البراءة ، أي البراءة من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم جميعاً ، وينعتوهم بأقبح الصفات لأنهم - كما يزعمون - اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها ، كما يبدءون بلعن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم وأرضاهم

- بدل التسمية في كل أمر ذي بال ، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن ، ولا يتورعون عن نيل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالطعن واللعن ، ومن عقائدهم :ـ المغالاة : فبعضهم غالى في شخصية علي رضي الله عنه ، والمغالون من الشيعة رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية ، وبعضهم قالوا بأن جبريل عليه السلام قد أخطأ في الرسالة فنزل على محمد ﷺ بدلاً من أن ينزل على علي لأن علياً يشبه النبي ﷺ كما يشبه الغرابُ الغرابَ ولذلك سموا بالغرابية. ومن الأمور التي يعتقدونها ويعظمونها ما يسمى بعيد غدير (خم) : وهو عيد لهم يصادف اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ويفضلونه على عيدي الأضحى والفطر ويسمونه بالعيد الأكبر ، وصيام هذا اليوم عندهم سنة مؤكدة ، وهو اليوم الذي يدَّعون فيه [أن النبي ﷺ قد أوصى فيه بالخلافة لعلي من بعده] وكذلك هم يعظمون (عيد النيروز) وهو من أعياد الفرس ، وبعضهم يقول : غسل يوم النيروز سنة. وكذلك لهم عيد يقيمونه في اليوم التاسع من ربيع الأول ، وهو عيد أبيهم (بابا شجاع الدين) وهو لقبٌ لقبوا به (أبا لؤلؤة المجوسي) الذي أقدم على قتل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ومن المعلوم عنهم أنهم يقيمون حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور وكثير من الأفعال المحرمة التي تصدر عنهم في اليوم العاشر من الشهر الحرام معتقدين بأن ذلك قربى من الله تعالى وأن ذلك يغفر ذنوبهم وسيئاتهم ، ومن يزورهم في مشاهدهم التي يقدسونها في كربلاء والنجف وقم .. فسيرى من ذلك العجب العجاب ، فبالله عليك طائفة هذه عقيدتها فهل لها في الإسلام من نصيب ؟ الجواب :ـ لا والله مالهم فيه من نصيب ، ولذلك فالحق هو أنهم كفار ، فمن دان بتلك العقيدة الباطلة الضالة فهو كافر ، وقد ثبت كفرهم عن جمع كبير من أهل السنة رحمهم الله تعالى ، كمطرف بن عبدالله وبشر بن الحارث والإمام مالك ورواية عن أحمد بن حنبل وأحمد بن يونس وأبي بكر بن هانئ وقالا لا تؤكل ذبائحهم لأنهم مرتدون ، وقال عبد الله بن إدريس أحد أئمة الكوفة :ـ ليس للرافضي شفعة ، لأنه لا شفعة إلا لمسلم ، (١٢٢٣) وهو قول الأوزاعي وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وغيرهم كثير وكثير . نعوذ بالله من حال هذه الطائفة ، ونسأل الله تعالى أن يكفينا وإخواننا المسلمين شرها وكيدها .

(١٢٢٣) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (١/ ١٤٢).

(فائدة) سئل الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى عن مسألة التقريب بين الرافضة وأهل السنة فقال رحمه الله تعالى (التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة غير ممكن؛ لأن العقيدة مختلفة ، فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد الله وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى ، وأنه لا يدعى معه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم الغيب ، ومن عقيدة أهل السنة محبة الصحابة رضي الله عنهم جميعا والترضي عنهم والإيمان بأنهم أفضل خلق الله بعد الأنبياء وأن أفضلهم أبو بكر الصديق ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عن الجميع ، والرافضة خلاف ذلك فلا يمكن الجمع بينهما ، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وأهل السنة ، فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة لاختلاف العقيدة التي أوضحناها) (١٢٢٤). والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

إن الخلافة بعد موت المصطفى بالنص للصديق في الرجحان

وبعهده الفاروق صار خليفة وبعقدنا لهما عظيم الشان

من بعدهم عثمان بالشورى فرا بعهم علي يا أخا العرفان

والقدح فسق في خلافة هؤلا كالقدح في ترتيبهم بوزان

أقول :ـ الكلام على هذه الأبيات في مسائل :ـ

(المسألة الأولى) لقد أجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو خليفة رسول الله ﷺ حقا وصدقا ، وقد دل على أحقيته بالخلافة الكتاب والسنة والإجماع ، فأما الكتاب فقد استنبطها أهل العلم رحمهم الله تعالى من قول الله تعالى {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: ٦، ٧]

(١٢٢٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٥/ ١٥٦).

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء البيان (يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم . - أعني الفاتحة - بأن نسأله أن يهدينا صراطهم . فدل ذلك على أن صراطهم هو الصراط المستقيم .

وذلك في قوله : {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: ٦، ٧] ، وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين . وقد بين ﷺ أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين ، فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم . . الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الصراط المستقيم ، وأن إمامته حق) (١٢٢٥)

وقد استنبط جمع من أهل التفسير أيضا صحة إمامته من قوله تعالى{قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون}

قال القرطبي رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية وهي المسألة الثانية (في هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لأن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة ، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم. وأما قول عكرمة وقتادة إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين فلا ، لأنه يمتنع أن يكون الداعي لهم الرسول عليه السلام ، لأنه قال : {لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا} [التوبة: ٨٣] فدل على أن المراد بالداعي غير النبي ﷺ. ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي ﷺ إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما) (١٢٢٦)

وقد مدح الله تعالى الصحابة في آيات كثيرة ، كما قال تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥] وقال

(١٢٢٥) أضواء البيان (١/ ٨).

(١٢٢٦) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٢).

تعالى {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج: ٤١] وأثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام وعلى أهل بيعة الرضوان ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين في مواضع كثيرة وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال تعالى {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح: ١٨] الآية وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسموه خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك ، قاله الأشعري في الإبانة ، ودل أيضا على إمامة الصديق قول الله عز و جل {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤]

قال العلماء (فكان في علم الله سبحانه وتعالى ما يكون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم من ارتداد قوم فوعد رسوله ووعده صدق أنه يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، فلما وجد ما كان في علمه في ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله صلى الله عليه و سلم آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه).

وأما من السنة فقد دلت على إمامته أحاديث كثيرة ،

فمنها :ـ ما روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي موسى قال : مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ، قالت عائشة : (إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس) ، قال : « مروا أبا بكر

فليصل بالناس » فعادت . فقال : « مري أبا بكر فليصل بالناس ، فإنكن صواحب يوسف » . فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ ....(١٢٢٧)

قال المروزي : قيل لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل - قول النبي : يؤم القوم أقرؤهم ، فلما مرض قال : « قدموا أبا بكر يصلي بالناس » ، وقد كان في القوم من هو أقرأ من أبي بكر ؟ فقال أبو عبد الله : إنما أراد الخلافة) (١٢٢٨)

فانظر كيف فهم العلماء من تقديمه في الصلاة ، فإن الصلاة من أهم أمور الدين ، فإذا رضيه النبي ﷺ في التقديم في أهم أمور الدين بعد الشهادتين فلأن يكون أحق بالتقديم في أمر الإمامة وهي أمر من أمور الدنيا ، ولذلك قال الصحابة :ـ رضيه النبي ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ، وقال السيوطي (قال العلماء : هذا الحديث - أي حديث تقديمه في الصلاة برواياته المتعددة - أوضح دلالة عل أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة) .

ومنها :ـ ما ورد في الصحيحين أنه ﷺ لما خطب قرب وفاته وقال : « إن عبدًا خيره الله ... » الحديث . وفي آخره « ولا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر » وفي لفظ « لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر » (١٢٢٩)

قال السيوطي : (قال العلماء : هذا إشارة إلى الخلافة)

(١٢٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، بَابٌ: أَهْلُ العِلْمِ وَالفَضْلِ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ (٦٧٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} (٣٣٨٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، بَابُ اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ، وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَأَنَّ مَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ جَالِسٍ لِعَجْزِهِ عَنِ الْقِيَامِ لَزِمَهُ الْقِيَامُ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ، وَنَسْخِ الْقُعُودِ خَلْفَ الْقَاعِدِ فِي حَقِّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ (٤٢٠).

(١٢٢٨) لم أقف عليه.

(١٢٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ الخَوْخَةِ وَالمَمَرِّ فِي المَسْجِدِ (٤٦٦)، كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُدُّوا الأَبْوَابَ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ» (٣٦٥٤)، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ (٣٩٠٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٢).

ومنها :ـ ما رواه الشيخان عن جبير بن مطعم قال : أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت إن جئت فلم أجدك ؟ كأنها تريد الموت ، قال : « إن لم تجديني فأت أبا بكر » (١٢٣٠)

، قال ابن حزم : (وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر) .

ومنها :ـ ما رواه الشيخان أيضًا ، واللفظ لمسلم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « أدعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » ، (١٢٣١)

وأخرجه أحمد وغيره من طرق وفي بعضها : قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه : « أدعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه أحد بعدي » ، ثم قال : « دعيه ، معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر » ، (١٢٣٢)

(١٢٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٥٩)، الأحكام، بَابُ الِاسْتِخْلاَفِ (٧٢٢٠)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ الأَحْكَامِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالدَّلاَئِلِ، وَكَيْفَ مَعْنَى الدِّلاَلَةِ وَتَفْسِيرُهَا (٧٣٦٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٦).

(١٢٣١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٨).

(١٢٣٢) حسن بشواهده.

أخرجه أحمد في مسنده (٢٤١٩٩).

من طريق: عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة.

فيه: عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف.

والحديث أصله في الصحيحين:

في صحيح البخاري في كتاب الأذان، بَابٌ: أَهْلُ العِلْمِ وَالفَضْلِ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ (٦٧٩)، وفي بَابٌ: الرَّجُلُ يَأْتَمُّ بِالإِمَامِ وَيَأْتَمُّ النَّاسُ بِالْمَأْمُومِ (٧١٣)، وفي غير موضع،

ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٧)

قال ابن حزم : (فهذا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده) .

ومنها :ـ ما أخرجه الحاكم وصححه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلة الله عليه وسلم أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك ؟ فأتيته فسألته فقال : « إلى أبي بكر » (١٢٣٣).

ومنها :ـ ما رواه حذيفة رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » (١٢٣٤).

وقد أجمع على تقرير خلافته أهل السنة رحمهم الله تعالى ، واتفقت عليها كلمة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ ، فقد اتفق المهاجرون والأنصار على أنه الحق بالخلافة ، وكلهم بايعوه طوعا لا كرها ،

فقد روى البخاري في صحيحه حديث البيعة لأبي بكر رضي الله عنه وفيه " "وَاجْتَمَعَتْ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ فَقَالَ فِي

(١٢٣٣) حسن

أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٦٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٥٨).

من طريق: بشر بن الحارث، عن علي بن مسهر، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك،

فإسناده حسن، ففيه المختار بن فلفل، وهو صدوقٌ يحسن حديثه،

(١٢٣٤) حسن بشواهده

أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٢٤٥)، (٢٣٢٧٦)، وابن ماجه في سننه، فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٩٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٤٨)، (١٤٢٢)، والخلال في السنة (٣٣٦)، والبزار في مسنده (٢٨٢٧- ٢٨٢٩)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٠٢)، والحاكم في المستدرك (٤٤٥١، ٤٤٥٥)، وغيرهم.

من طريق: عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان، به.

إسناده ضعيف، ففيه: عبد الملك بن عمير، فقد ضعفه أحمد، وغيره، وقد اختلط، وباقي رجال السند ثقات،

لكن الحديث يحسن بشواهده، والله أعلم.

كَلَامِهِ نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَا وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَقَالَ عُمَرُ بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ " (١٢٣٥)

فأنت ترى أن الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه قد ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع . ونحن نؤمن بأنه الأحق بالخلافة ، وأن خلافته حق وصدق ورحمة .

(مسألة) إن قلت :ـ هل ثبتت الخلافة لأبي بكر الصديق بالنص أم بالاختيار ؟ أقول :ـ لقد أجبت عن هذا السؤال في كتابي إتحاف أهل الألباب فقلت هناك (إن هذه المسألة ليست من المسائل الكبار عند أهل السنة وإنما المهم أن تثبت خلافته وأنه أحق بها من غيره وأنه أفضل الأمة بعد نبينا صلى الله عليه سلم وأن تثبت أيضا وقوع الإجماع على خلافته وإن حصل في بداية الأمر شيء من الخلاف لكن قد انعقد الإجماع على أنه أحق بالخلافة بعد النبي ﷺ ، فإذا اعتقدت ذلك فسواءً قلت : قد تثبتت خلافته بالنص ، أو قلت : بالاختيار ، كل ذلك نتيجته واحدة وبأي القولين قلت فالأمر سهل يسير والخلاف فيه سائغ لكن الذي يترجح والله أعلم أن النبي ﷺ قد دل الأمة على خلافته وأخبر أنه يرضاها وقد عزم على الكتابة بذلك لكن علم ﷺ أن الله تعالى ورسوله والمؤمنين لا يبغون عن أبي بكر حولا فروى الشيخان رضي الله عنهما في صحيحهما بسندهما عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : أرأيت إن جئت فلم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ فقال عليه الصلاة والسلام (إن لم تجديني فأتي أبا بكر) (١٢٣٦)

(١٢٣٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٦٨).

(١٢٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٥٩)، الأحكام، بَابُ الِاسْتِخْلَافِ (٧٢٢٠)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ الأَحْكَامِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالدَّلَائِلِ،

قال ابن حزم (وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر) أهـ وروى الشيخان أيضا بسندهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي النبي ﷺ في مرضه (ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) (١٢٣٧)

وعند الإمام أحمد في المسند عنها رضي الله عنها قالت لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبدالرحمن بن أبي بكر (أئتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه) فلما ذهب عبدالرحمن ليقوم قال (أبا الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر) (١٢٣٨)

وكذلك اختياره ﷺ لأبي بكر الإمامة الصلاة ، فلما رضيه للإمامة الشرعية وقدمه فيها على غيره ، فإنه من باب أولى أن يرضاه ويقدمه على غيره في الإمامة الدنيوية ، وكذلك قال بعض الصحابة : قد رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ، وهذا من باب قياس الأولى وهو حجة بالاتفاق .

وقد روى أبو عبدالله الحاكم في المستدرك بإسناده إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال :(لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار ، منا أمير ومنكم أمير قال : فأتاهم عمر رضي الله عنه وقال : يا معشر الأنصار أليتم تعلمون أن رسول الله

وَكَيْفَ مَعْنَى الدِّلاَلَةِ وَتَفْسِيرُهَا (٧٣٦٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٦).

(١٢٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٨).

(١٢٣٨) حسن بشواهده.

أخرجه أحمد في مسنده (٢٤١٩٩).

من طريق: عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة.

فيه: عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف.

والحديث أصله في الصحيحين:

في صحيح البخاري في كتاب الأذان، بَابٌ: أَهْلُ العِلْمِ وَالفَضْلِ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ (٦٧٩)، وفي بَابٌ: الرَّجُلُ يَأْتَمُّ بِالإِمَامِ وَيَأْتَمُّ النَّاسُ بِالْمَأْمُومِ (٧١٣)، وفي غير موضع،

ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٧)

ﷺ قد أمّر أبا بكر يؤم الناس ، فإنكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ، فقالت الأنصار ، نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر) (١٢٣٩)

فالتحقيق في ذلك أن النبي ﷺ قد دل المسلمين على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه وأرشدهم إلى ذلك بأمور كثيرة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامدٍ له مع همه بأن يكتب في ذلك كتابا لكن لما علم أن المسلمين يتجمعون على خلافته ترك الكتابة اكتفاءً بذلك ، واختار هذا القول أبو العباس بن تيمية رضي الله عنه ، وأذكرك بارك الله فيك أن هذه المسألة أي مسألة دليل خلافته هل كانت بالنص الخفي أم الجلي هي من المسائل التي يسوغ فيها الخلاف لاحتمال الدليل وبناءً عليه فلا تفسيق فيها ولا تأثيم ولا تبديع ، أي أنه لا يخرج على من قال : ثبتت بالنص الجلي ، أو قال : ثبتت بالنص الخفي ، وإنما الذي تعظم مخالفته هو القدح في خلافته أصلاً أو القدح في أحقيته بها بعد رسول الله ﷺ ، وأقول لك : لقد انعقد الإجماع من أهل السنة سلفا وخالفا على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ هو أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه ورفع نزله في الجنة وجمعنا به في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وقد كانت مدة خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عدة ليال ، والله أعلم.

(المسألة الثانية) ونؤمن بأن الأحق بالخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه عمر الفاروق رضي الله عنه ، وقد تمت الخلافة له بعهد من أبي بكر ، وانعقد الإجماع على خلافته ، قال الناظم (وبعهده) أي وبعهد أبي بكر (صار) عمر (خليفة) وقد كانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ،

فعن الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه قال : لما ثقل أبو بكر رضوان الله تعالى عليه واستبان له من نفسه . جمع الناس فقال : إنه قد نزل بي ما لا ترون ولا أظنني إلا لمأتي ، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي ، وحلّ عنكم عقدتي ، وردّ

(١٢٣٩) حسن

أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٢٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٥٨).

من طريق: حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله ﷺ، به.

وإسناده حسن، ففيه: عاصم بن بهدلة، وهو صدوق، يحسن حديثه، وصححه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

عليكم أمركم ، فأمِّروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمَّرتم عليكم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي ، فقاموا في ذلك وحلوا عنه فلم تستقم لهم ، فقالوا : إرئ لنا يا خليفة رسول الله قال : فلعلكم تختلفون ؟ قالوا : لا ، قال : فعليكم عهد الله على الرضا ؟ قالوا : نعم . قال : فأمهلوني أنظر لله ودينه ولعباده ، فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : أشر علي برجل . والله إنك عندي لها لأهل وموضع فقال - أي عثمان - : عمر . فقال : اكتب ، . فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغُشي عليه ثم أفاق فقال : اكتب عمر) وقد حصلت الفتوح الكبيرة العظيمة في عهده رضي الله عنه (١٢٤٠).

(المسألة الثالثة) ونؤمن معاشر أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى بأن الأحق بالخلافة بعد عمر عثمان ذو النورين ، رضي الله عنه ، وقد تمت الخلافة له بالشورى ، ولذلك قال الناظم (من بعدهم) أي من بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (عثمان بالشورى) أي أن عمر رضي الله عنه لم ينص على اختيار واحد من بعده ، وإنما جعل الأمر شورى بين ستة ، واتفق الستة بعد ذلك على عثمان ، ثم بايعوه ، وبايعه بعد ذلك المسلمون ، واتفقت عليه الكلمة ، وعن حفص بن غياث قال: سمعت شريكاً يقول: (قُبض النبي ﷺ ، واستخار المسلمون أبا بكر، فلو علموا أن فيهم أحداً أفضل منه كانوا قد غَشُّونا، ثم استخلف أبوبكر عمر، فقام بما قام به من الحق والعدل؛ فلما حضرته الوفاة جعل الأمر شورى بين ستة فاجتمعوا على عثمان، فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غَشُّونا) والستة هم :ــ عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ، فالثلاثة الأخيرون أسقطوا حقوقهم وعبد الرحمن لم يردها لنفسه وإنما أراد أن يبايع أحد الأولين عثمان أو عليا فاحتاط لدينه وبقي ثلاثة أيام بلياليها لا ينام وهو يدور على المهاجرين والأنصار ويستشيرهم فيمن يتقدم عثمان أو علي ويجتمع بهم جماعات وفرادى ورجالا ونساء ويأخذ ما عند كل واحد منهم في ذلك إلى أن اجتمعت آراؤهم كلهم على عثمان رضي الله عنهم فبايعه فكانت بيعة عثمان عن

(١٢٤٠) صحيح

أخرجه ابن أبي شيبة في أخبار المدينة (١٠٨٧).

إجماع قطعي من المهاجرين والأنصار ، وإنما جعلها شورى بينهم لأنه رآهم أفضل ممن عداهم ، وأنه لا يصلح للإمامة غيرهم وقال في حقهم :ـ مات رسول الله وهو عنهم راض ، ولم يترجح في نظره واحد منهم فأراد أن يستظهر برأي غيره في التعيين ، كما قاله أهل العلم ، واختيارهم لعثمان من توفيق الله تعالى لهذه الأمة ، وقد كانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) ونؤمن معاشر أهل السنة والجماعة بأن الحق بالخلافة بعد عثمان علي بم أبي طالب رضي الله عنه ، وقد تمت البيعة ، قال الناظم (فرابعهم علي) أي فرابع الخلفاء في الترتيب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد كانت خلافته خمس سنين إلا شهرين ،

وقال عبدالله بن أحمد (سألت أبي عن قوم يقولون : إن علياً ليس بخليفة ، قال هذا قول سوء ردي) (١٢٤١)

وأورد ابن الجوزي عن أحمد قال (من لم يثبت الخلافة لعلي فهو أضل من حمار أهله) (١٢٤٢)

وأورد ابن أبي يعلى عن أحمد قال (من لم يربع علي بن أبي طالب الخلافة فلا تكلموه ، ولا تناكحوه) (١٢٤٣)

وقد ثبتت البيعة له بمبايعة أكثر الناس ، والذين هم أهل الحل والعقد ، وأما امتناع أهل الشام عن مبايعته فإنه ليس لعدم رضاهم بها ، لا ، بل لأنهم أرادوا أولا أن يسلم لهم قتلة عثمان ، حتى يقيموا حكم الله تعالى فيهم ثم يبايعوه بعد ذلك ، وسيأتي الكلام على شيء من هذا فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(المسألة الخامسة) واتفق أهل السنة رحمهم الله تعالى أنه لا يجوز القدح في خلافة أحد من هؤلاء الخلفاء ، بل ولا يجوز في قول عامة أهل السنة رحمهم الله تعالى القدح حتى في ترتيبهم ، وقرروا أن القدح في ترتيبهم في الخلافة من جملة

(١٢٤١) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٩٠).

(١٢٤٢) مناقب الإمام أحمد ص١٦٣، المنهاج (٤/ ٤٠٢).

(١٢٤٣) طبقات الحنابلة (١/ ٤٥).

الفسق ، أي أنه لا يكفي أنك يعتقد أنهم خلفاء فقط ، بل لا بد مع ذلك أن تؤمن بأن ترتيبهم في الأحقية هو هكذا أيضا ، فأحق الأمة بالخلافة أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، قال عبدالله بن أحمد (سألت أبي عن الأئمة فقال : أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي) (١٢٤٤) ، وتقريرات أهل السنة في هذه المسألة لا تكاد تحصر .

(المسألة السادسة) واعلم رحمك الله تعالى أن النبي ﷺ قد أخبر أن الخلافة بعده ثلاثون سنة ، فقال « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك » (١٢٤٥) ،

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (وكانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، وكانت خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه خمس سنين إلا شهرين) (١٢٤٦)

(١٢٤٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص١٧٠،

(١٢٤٥) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٢١٩١٩)، (٢١٩٢٨)، والترمذي في سننه، في أبواب الفتن، باب ما جاء في الخلافة (٢٢٢٦)، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب المناقب، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أجمعين (٨٠٩٩)، وأبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في الخلفاء (٤٦٤٦)، (٤٦٤٧)، والروياني في مسنده (٦٦٨)، والخلال في السنة (٦٢٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٤٠)، والطيالسي في مسنده (١٢٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٦٥٧)، (٦٩٤٣)، والحاكم في المستدرك (٤٦٩٧)، وغيرهم.

من طريق: سعيد بن جمهان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ.

فمداره على سعيد بن جمهان، ورواه عن سعيد بن جمهان جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وعبد الوارث بن سعيد، وحشرج بن نباتة، والعوام بن حوشب، وغيرهم.

فسعيد بن جمهان صدوق، يحسن حديثه، إلا أن له أفراد، ولم أقف على أحد أعله.

(١٢٤٦) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).

وقال رحمه الله تعالى (وتكميل الثلاثين الحسن بن علي رضي الله عنهما نحوا من ستة أشهر، حتى نزل عنها لمعاوية رضي الله عنه عام أربعين من الهجرة) ، (١٢٤٧)

وقال أيضا: "إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال الثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ؛ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه) (١٢٤٨) ،

وقال أيضا: "والسنة أن يقال لمعاوية رضي الله عنه: ملك، ولا يقال له: خليفة؛ لحديث سفينة رضي الله عنه: « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا عضوضًا ») (١٢٤٩) والله أعلم .

(المسألة السابعة) وقول الناظم (ويعقدنا) أي وفي عقيدتنا (لهما) أي لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما (عظيم الشان) أي كبير القدر والفضل ، وقد كثرت الأدلة في فضل الشيخين ، ولا بأس أن نذكر جملا من هذه الأدلة ، فأقول :ـ أقول : ينبغي للمسلم أن يعتقد الاعتقاد الجازم أن أفضل البشر بعد الأنبياء هو صديق هذه الأمة أبو بكر عبدالله ابن عثمان ابن عامر القرشي التميمي وقد ورد في فضله من الأدلة من الكتاب والسنة ما لا يخفى ولكن يذكر لك بعضه :

فمن ذلك : قوله تعالى {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل: ١٧ - ٢١] فإن غالب المفسرين ذكروا أن سبب نزولها هو إنفاق أبي بكر ماله في شراء الأرقاء والضعفاء من الذين أسلموا من يد من يعذبهم من

(١٢٤٧) البداية والنهاية (٦/ ٢٢١).

(١٢٤٨) البداية والنهاية (٨/ ١٧).

(١٢٤٩) البداية والنهاية (٨/ ١٤٤).

صناديد قريش وهذا فيه أبلغ الثناء وعظيم الوعد وأكبر البشارة بالنجاة والفوز بعالي الدرجات .

ومن ذلك : قوله تعالى {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] وقال عليه الصلاة والسلام (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) (١٢٥٠) فالآية دالة على فضل أبي بكر إذ جعله الله ثاني النبي ﷺ وسماه صاحبه وأخبر أنه معهما وأنه أنزل السكينة عليهما وأيدهما بجنود من عنده وما ذلك إلا لأن أبا بكر رضي الله عنه قد بلغ الغاية في الفضل .

ومن ذلك : قوله تعالى {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [الزمر: ٣٣] وقد فسرها علي رضي الله عنه بأنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

ومن ذلك : قوله تعالى {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} [التحريم: ٤] فقد فسرها العبادلة عبدالله بن عباس وبن مسعود وبن عمر بأن صالح المؤمنين هو أبو بكر وعمر وقاله مجاهد الضحاك .

ومن ذلك : ما رواه الشيخان في الصحيحين من حديث أنس أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثه قال نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) (١٢٥١) .

(١٢٥٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ المُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ (٣٦٥٣)، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ (٣٩٢٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (٤٦٦٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨١).

(١٢٥١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ المُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ (٣٦٥٣)، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ (٣٩٢٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لاَ تَحْزَنْ

ومن ذلك : ما رواه البخاري بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ الناس وقال (إن الله خيّر عبد بين الدنيا وبين ما عنده فأختار ما عنده) قال فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ (أن مِنْ أمَنِّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبتنّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر) (١٢٥٢) وهو عند مسلم أيضا .

ومن ذلك : ما رواه الشيخان من حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك ؟ قال (عائشة) فقلت من الرجال قال (أبوها) قلت ثم من ؟ قال (ثم عمر ابن الخطاب) فعد رجالا . (١٢٥٣)

ومن ذلك : ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (بين راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راعي غيري وبين رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفت إليه فكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (٤٦٦٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨١).

(١٢٥٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ الخَوْخَةِ وَالمَمَرِّ فِي المَسْجِدِ (٤٦٦)، كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُدُّوا الأَبْوَابَ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ» (٣٦٥٤)، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ (٣٩٠٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٢).

(١٢٥٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٦٢)، كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ (٤٣٥٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٤).

للحرث) فقال الناس (سبحان الله) فقال النبي ﷺ (فأني أومن بذلك وأبو بكر وعمر ابن الخطاب . (١٢٥٤)

ومن ذلك : ما رواه البخاري في صحيحة بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ فقال : أبو بكر . قلت : ثم من . قال : عمر . وخشيت أن يقول عثمان . قلت : ثم أنت . قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين (١٢٥٥).

ومن ذلك : ما رواه البخاري بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم (١٢٥٦) .

ومن ذلك : ما رواه البخاري أيضاً بإسناده إلى أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذٌ بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي ﷺ : أما صاحبكم فقد غامر . فسلم وقال يا رسول الله إنه قد كان بيني وبين ابن الخطاب شيئاً فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال النبي ﷺ : (يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً) ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبا بكر فسأل عنه فلم يجده فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثى على ركبتيه فقال : يا رسول الله أنا كنت أظلم مرتين فقال : النبي ﷺ (إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين فما أوذي بعدها (١٢٥٧) .

(١٢٥٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٦٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٣٨٨).

(١٢٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧١)،

(١٢٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٣٦٥٥)،

(١٢٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٦١)،

ومن ذلك : ما رواه مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم اليوم صائماً . قال أبو بكر : أنا . قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة . قال أبو بكر : أنا . قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً . قال أبو بكر : أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما اجتمعن في امريء إلا دخل الجنة . (١٢٥٨)

ومن ذلك : ما روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال (أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) (١٢٥٩) وقد لقبه النبي ﷺ بهذا اللقب الشريف الذي يفيد ثبوت منزلة الصديقية له وأنت خبير بأن هذه المنزلة تعقب منزلة النبيين كما في سورة النساء قال تعالى {ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا}

ومن ذلك : ما ثبت في البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها (مروا أبا بكر فليصلي بالناس) (١٢٦٠)

والإمامة في الصلاة منزلة عالية وخصوصاً إذا كان الآمر بها المعصوم عليه السلام فإنه لم يكن ليختار لإمامة المسلمين في عهدة إلا أفضلهم وأعلاهم قدراً وأوفرهم علماً .

ومن ذلك : ما رواه البخاري في صحيحة بسنده من حديث أبي هريرة يرفعه للنبي عليه السلام وفيه (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب

(١٢٥٨) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ (١٠٢٨).

(١٢٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٥)،

(١٢٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، بَابٌ: أَهْلُ العِلْمِ وَالفَضْلِ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ (٦٧٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} (٣٣٨٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، بَابُ اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ، وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَأَنَّ مَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ جَالِسٍ لِعَجْزِهِ عَنِ الْقِيَامِ لَزِمَهُ الْقِيَامُ إِذَا قَدِرَ عَلَيْهِ، وَنَسْخِ الْقُعُودِ خَلْفَ الْقَاعِدِ فِي حَقِّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ (٤٢٠).

الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان) فقال أبو بكر رضي الله عنه " ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، وقال : هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله . قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر " (١٢٦١).

ومن المعلوم أرجائه عليه السلام واقع محقق فهذه بعض الأدلة الدالة على فضل خليفة رسول الله رضي الله عنه .

(المسألة الثامنة) وأما منزلة عمر رضي الله عنه فأقول :ـ يجب على المسلم أن يعتقد اعتقادا جازما أن أفضل الصحابة بعد أبي بكر هو فاروق الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد وردت الأدلة الكثيرة الدالة على فضله وأذكر لك طرفا منها :

فمن ذلك : ما رواه الشيخان من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال النبي عليه الصلاة والسلام رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالريمصاء امرأة أبي طلحه وسمعت خشفة فقلت من هذا فقال هذا بلال ورأيت قصرا بفنائه جارية فقلت لمن هذا ؟ فقال لعمر (فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك) فقال عمر بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار ، (١٢٦٢)

ومثله أيضا ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة . (١٢٦٣)

(١٢٦١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، بَابٌ: الرَّيَّانُ لِلصَّائِمِينَ (١٨٩٧)، كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٦٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ (١٠٢٧).

(١٢٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٦٧٩)، كتاب النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٦)، كتاب التعبير، بَابُ القَصْرِ فِي المَنَامِ (٧٠٢٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩٤).

(١٢٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٣٢٤٢)، كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٦٨٠)، كتاب النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٧)،

ومن ذلك : ما رواه البخاري بإسناده إلى حمزة بن أسيد الأنصاري عن أبيه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أنا نائم بقدح لبن فشربت حتى إني أنظر إلى الري يخرج من أظفاري ثم ناولت فضلي عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال (العلم) (١٢٦٤) ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء حق .

ومن ذلك : ما رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول (بين أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك . وعرض عليّ عمر وعليه قميص يجره) قالوا فما أولته يا رسول الله قال(الدين) (١٢٦٥) فهذان الحديثان فيهما تزكية لأبي حفص رضي الله عنه في علمه وديانته .

ومن ذلك : ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث سعد ابن أبي وقاص قال : قال رسول الله عليه السلام (يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجاً إلا سلك فجاً آخر) (١٢٦٦) .

ومن ذلك : ما رواه الشيخان من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال (أُريت في المنام أني أنزع بدلو بكره على قليب فجاء أبو بكر

كتاب التعبير، بَابُ القَصْرِ فِي المَنَامِ (٧٠٢٣)، بَابُ الوُضُوءِ فِي المَنَامِ (٧٠٢٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩٥).

(١٢٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب فضل العلم (٨٢)، كتاب المناقب، مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨١)، كتاب التعبير، بَابُ اللبن (٧٠٠٦)، بَابُ إِذَا جَرَى اللَّبَنُ فِي أَطْرَافِهِ أَوْ أَظَافِيرِهِ (٧٠٠٧)، بَابُ الأَمْنِ وَذَهَابِ الرَّوْعِ فِي المَنَامِ (٧٠٢٧)، بَابُ القَدَحِ فِي النَّوْمِ (٧٠٣٢) ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩١).

(١٢٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ (٢٣)، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٩١)، كتاب التعبير، باب القميص في المنام (٧٠٠٨)، بَابُ جر القميص في المنام (٧٠٠٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩٠).

(١٢٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ (٣٢٩٤)، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٣)، كتاب الأدب، بَابُ التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ (٦٠٨٥) ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩٦).

فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا والله نغفر له ثم جاء عمر بن الخطاب فاستالت غربا فلم أرى عبقريا يفري فرية حتى روي الناس وضربوا بعطن . (١٢٦٧)

ومن ذلك : ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر) . (١٢٦٨)

ومن ذلك : ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث ، قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر و الفاجر فنزلت آية الحجاب ، وأجتمع نساء النبي عليه السلام في الغيرة عليه فقلت لهن {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ } [التحريم: ٥] فنزلت هذه الآية . (١٢٦٩)

ومن ذلك : ما رواه الحاكم والترمذي وأحمد بسند حسن من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) (١٢٧٠) ،

(١٢٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦٣٣)، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٦)، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٢)، كتاب التعبير بَابُ نَزْعِ المَاءِ مِنَ البِئْرِ حَتَّى يَرْوَى النَّاسُ (٧٠١٩)، كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٧٤٧٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩٣).

(١٢٦٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٦٩)، كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٦٨٩).

(١٢٦٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي القِبْلَةِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ الإِعَادَةَ عَلَى مَنْ سَهَا، فَصَلَّى إِلَى غَيْرِ القِبْلَةِ (٤٠٢)، كتاب التفسير، بَابُ {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} (٤٤٨٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (٢٣٩٩).

(١٢٧٠) ضعيف

ومن مناقبه العظيمة أيضا

تبشير النبي عليه السلام بالجنة كما في صحيح البخاري من حديث أبي موسى قال كنت مع النبي عليه السلام في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي عليه السلام (أفتح له وبشره بالجنة) ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال النبي عليه السلام فحمد الله ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي عليه السلام (أفتح له وبشره بالجنة) ففتحت له فإذا هو عمر بن الخطاب فأخبرته بما قال النبي عليه السلام فحمد الله ....الحديث) (١٢٧١)

ومن ذلك : ما رواه البخاري بإسناده إلى عبدالله بن مسعود قال :(ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر) (١٢٧٢)

ولابن أبي شيبة الطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن قال : قال عبدالله بن مسعود (كان إسلام عمر عزا وهجرته نصرا وإمارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر) (١٢٧٣)

أخرجه أحمد في مسنده (١٧٤٠٥)، والترمذي في سننه في أبواب المناقب، مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٦)، والروياني في مسنده (٢١٤)، (٢٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤٤٩٥)، وغيرهم.

من طريق: بكر بن عمرو، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر، به.

ففيه: مشرح بن هاعان، وهو مجهول، وإن كان من أهل العلم من وثقه كابن معين، إلا أن الراجح فيه الضعف إذا انفرد، فقد ذكره ابن حبان في الضعفاء وقال: يروى عن عقبة مناكير لا يتابع عليها ، فالصواب ترك ما انفرد به،

قلت: وهذا الحديث قد انفرد به، ولم يأت به غيره،

(١٢٧١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٦٩٣)، كتاب الأدب، بَابُ نَكْتِ العُودِ فِي المَاءِ وَالطِّينِ (٦٢١٦).

(١٢٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ إِسْلاَمِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٨٦٣).

(١٢٧٣) صحيح بمجموع طرقه

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٩٨٩)،

من طريق: عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله، به.

ففيه عاصم بن أبي النجود، وهو صدوق، يحسن حديثه،

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٨٠٦)،

وقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما (أول جهر بالإسلام عمر بن الخطاب) (١٢٧٤)

وروى الترمذي بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله عليه السلام قال اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب) وكان أحبهما إليه عمر (١٢٧٥)

فهذه طائفة يسيرة من الأحاديث الآثار التي تضمنت شيئا من مناقبه رضي الله عنه وجمعنا به في جنات الفردوس الأعلى .

(المسألة التاسعة) وأما عثمان رضي الله عنه فاعلم رحمك الله تعالى أن فضائله رضي الله عنه كثيرة وقد صحت بها الأدلة الشهيرة ومن المعلوم عند جمهور أهل السنة أن أفضل الناس على الإطلاق بعد أبي بكر وعمر هو عثمان رضي الله عنه فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وهو ثالث الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المأمور بإتباعهم والإقتداء بهم وهو أحد السابقين إلى الإسلام وقد هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة وهو الملقب بذا النورين لأنه تزوج ابنتي الرسول عليه السلام واحدة بعد واحده رقية وأم كلثوم وقد بايع عنه النبي عليه السلام بإحدى يديه وأذكر لك بعض الأحاديث في فضله فأقول :

من طريق: أبي نعيم، عن المسعودي، عن القاسم، عن عبد الله، به.

ففيه: المسعودي، وهو صدوق، إلا أنه اختلط،

وبمجموع الطريقين يصحح الخبر، والله أعلم.

(١٢٧٤) لم أقف عليه.

(١٢٧٥) حسن

أخرجه أحمد في مسنده (٥٦٩٦)، والترمذي في سننه، في أبواب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨١)، وعبد بن حميد في مسنده (٧٥٩)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٨١)،

من طريق: أبي عامر العقدي، عن خارجة بن عبد الله الأنصاري، عن نافع، عن ابن عمر،

إسناده حسن، ففيه: خارجة بن عبد الله بن زيد الأنصاري، وهو صدوق يحسن حديثه، ومن أهل العلم من ضعفه، إلا أن الراجح فيه قبول روايته، مالم تخالف أصلا من أصول الشريعة،

من ذلك : ما رواه الإمام البخاري بإسناده إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا في زمن النبي عليه السلام لا نعدل بأبي بكر أحد ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي عليه السلام لا نفاضل بينهم . (١٢٧٦)

ومن ذلك : ما رواه الشيخان في الحديث السابق أعني حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفيه (ثم جاء رجل يستأذن فسكت هنيهة ثم قال (ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه) (١٢٧٧)

ومن ذلك : ما رواه البخاري بإسناده إلى أبي عبدالرحمن أن عثمان رضي الله عنه حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي عليه السلام ألستم تعلمون أن رسول الله عليه السلام قال (من حفر رومه فله الجنة) فحفرتها ، ألستم تعلمون أنه قال (من جهز جيش العسرة فله الجنة) فجهزته فصدقوه بما قال فهذا الحديث يتضمن منقبتين عظيمتين له رضي الله عنه وقد ضمن النبي عليه السلام لفعلها دخول الجنة .(١٢٧٨)

ومن ذلك : ما سبق من قوله عليه السلام (أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) (١٢٧٩)

ومن ذلك : ما رواه الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الرحمن أبن سمره قال : جاء عثمان ابن عفان إلى النبي عليه السلام بألف دينار في ثوبه حين جهز عليه السلام

(١٢٧٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان (٣٦٩٧).

(١٢٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٦٩٥)، كتاب الأدب، بَابُ نَكْتِ العُودِ فِي المَاءِ وَالطِّينِ (٦٢١٦)، كتاب الفتن، بَابُ الفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ (٧٠٩٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٤٠٣).

(١٢٧٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بِئْرًا، وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دِلاَءِ المسْلِمِينَ (٢٧٧٨).

(١٢٧٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٥).

جيش العسرة قال فصبها في حجر النبي عليه السلام فجعل النبي عليه السلام يقلبها بيده ويقول (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم) يرددها مراراً .(١٢٨٠)

ومن ذلك : ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده إلى عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام كان مضطجعا في بيتها كاشفا عن ساقيه أو فخذيه فاستأذن أبو بكر فإذن له وهو على تلك الحال ثم أستأذن عمر فأذن له وهو كذلك ثم أستأذن عثمان فجلس رسول الله عليه السلام وسوى ثيابه) وفي آخره (أن النبي عليه السلام قال ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة فهذا الحديث تضمن فضيلة ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وبيان أنه جليل القدر حتى عند الملائكة ، (١٢٨١)

وفي لفظ آخر قال رسول الله عليه السلام (أن عثمان رجل حييّ وأني خشيت أن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ إلي في حاجته . (١٢٨٢)

ومن مناقبه أيضا : أجماع الصحابة على خيرته وأفضليته بعد الشيخين ولذلك اختاروه خليفة لهم فإجماعهم على توليته الخلافة وليس على أنه أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما جميعا

ومن مناقبه العظيمة : وحياته الكبيرة أنه جمع الناس على مصحف واحد وكفى الأمة شرا كبيرا وبلاءً عظيما وهو الاختلاف في الكتاب وقد شكر له هذا العمل من جاء بعد من المسلمين وأهل السنة .

(١٢٨٠) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٦٣٠)، والترمذي في سننه، في أبواب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ (٣٧٠١)، والخلال في السنة (٤٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤٥٥٣)، وغيرهم.

من طريق: عبد الله بن شوذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير، مولى عبد الرحمن بن سمرة، عن عبد الرحمن بن سمرة، به.

ففيه: كثير بن أبي كثير البصرى، وهو مجهول، وليس صحابيًا، وذكره العقيلي في الضعفاء.

قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قلت: فلعل الترمذي رحمه الله حسن المتن بشواهده، وضعف السند بقوله غريب، والله أعلم.

(١٢٨١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٤٠١).

(١٢٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٤٠٢).

ومن مناقبه العظيمة : أن النبي عليه السلام شهد له أنه سيكون مستمرا على الهدى المستقيم عند حلول الفتنة كما روى الحاكم بإسناده إلى مره بن كعب قال سمعت رسول الله عليه السلام يذكر فتنة فقربها فمر به رجل مقنع في ثوب فقال عليه السلام (هذا يومئذ على الهدى) فعمت إليه فإذا هو عثمان رضي الله عنه فأقبلت بوجهه فقلت هو هذا فقال (نعم) . (١٢٨٣)

ومن مناقبه العظيمة : أنه منع الصحابة من أن يريقوا دم أحد من المسلمين بسببه وذلك لكمال صبره ورضاه بما قضاه الله وقدره . وقد كان يلح على الصحابة كثيرا إلا يعتلوا أحدا دفاعا عنه لعلمه رضي الله عنه أنه شهيد فأراد أن يلقى الله جل وعلا ولا يطلبه أحد بدم . ومناقبه كثيرة ولعل فيما مضى كفاية والله أعلم .

(المسألة العاشرة) وأما مناقب علي رضي الله عنه ، فأقول : لقد اجمع أهل السنة والجماعة رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى ، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ وهو رابع الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المأمور بالإقتداء بهم ، وهو من السابقين الأولين بالإسلام ، وقد تربى في حجر النبي ﷺ وهو زوج أبنته فاطمة رضي الله عنها وأرضاها وقد شهد المشاهد كلها غير تبوك ، وقد لواء النبي صلى الله عليه وسلم بيده في مواطن كثيرة ولقد وردت الأدلة الكثيرة في إثبات فضله .

فمن ذلك : ما رواه الشيخان بسندهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم خيبر (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق في عينيه وأعطاه الراية وقال (أنفذ على رسلك حتى تنزل

(١٢٨٣) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٦٨)، والحاكم في المستدرك (٤٥٥٢)، والآجري في الشريعة (١٤١٧)،

من طريق: أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث، عن مرة بن كعب، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال الحاكم رحمه الله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

بساحتهم ثم أدهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) وهذه منقبة عظيمة وشهادة من أصدق الخلق ﷺ . (١٢٨٤)

ومن ذلك : ما رواه الشيخان بسندهما من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) (١٢٨٥) وهذا في بيان منزلة علي رضي الله عنه منه ومكانته العظيمة عنده عليه الصلاة والسلام

ومن ذلك : ما رواه الشيخان رضي الله عنهما من حديث سهل بن سعد قال : جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً ، فقال (أين ابن عمك فقالت كان بيني وبينه شيئا فغاضبني فخرج فلم يقل عندي فقال رسول الله ﷺ لإنسان (أنظر أين هو) فجاء فقال : يا رسول الله هو في المسجد راقد ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول : (قم أبا تراب ، قم أبا تراب) وهذا فيه بيان علو منزلته عند النبي ﷺ حيث مشى إليه ومسح عنه التراب واسترضاه وتلطفه وكناه بهذه الكنية التي هي أحب إليه من كل شيء ، فرضي الله عنه وأرضاه وجمعنا به في الفردوس الأعلى . (١٢٨٦)

(١٢٨٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ فَضْلِ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ (٣٠٠٩)، كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧٠٢)، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤٢١٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٤٠٤)، (٢٤٠٥)، (٢٤٠٦)، (٢٤٠٧).

(١٢٨٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧٠٦)، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك (٤٤١٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٤٠٤).

(١٢٨٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، بَابُ نَوْمِ الرِّجَالِ فِي المَسْجِدِ (٤٤١)، كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧٠٣)، كتاب الأدب، بَابُ التَّكَنِّي بِأَبِي تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَتْ

ومن ذلك : ما رواه مسلم في صحيحه رضي الله عنه قال : قال علي رضي الله عنه (والذي فلق الحب وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ أني ، أنه لا يجيبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق) (١٢٨٧)

ولا تخفى دلالة هذا الحديث عن فضله وأنه معقد للولاء والبراء فاللهم أنا نشهدك على حبه .

ومن ذلك : ما رواه البخاري رضي الله عنه بسنده إلى البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي (أنت مني وأنا منك) . (١٢٨٨)

ومن مناقبه العظيمة : رضي الله عنه أنه من أصحاب الكساء ، وحديثه معروف فإنه لما نزل قوله تعالى ((فقل تعالوا ندعوا أبنائنا وأبنائكم)) دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال (اللهم هؤلاء أهلي) (١٢٨٩) رواه مسلم في صحيحه ،

ومن فضائله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قد دعا له بقوله (اللهم ثبت لسانه وأهدي قلبه) (١٢٩٠) كما رواه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

لَهُ كُنْيَةٌ أُخْرَى (٦٢٠٤)، كتاب الاستئذان، بَابُ القَائِلَةِ فِي المَسْجِدِ (٦٢٨٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٤٠٩).

(١٢٨٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ حُبَّ الْأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ، وَبُغْضِهِمْ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ (٧٨).

(١٢٨٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، بَابٌ: كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَفُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ نَسَبِهِ (٢٦٩٩)، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء (٤٢٥١).

(١٢٨٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ فضائل علي بن أبي طالب، ﷺ (٢٤٠٤).

(١٢٩٠) ضعيف

أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٦٥٨)، وأبو يعلى في مسنده (٣١٦)، (٤٠١)، وابن عرفة في جزئه (٧٦) من طريق: عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن علي، به.

ففيه: أبو البختري وإن كان ثقة، إلا أنه لم يسمع من علي، ففيه انقطاع

ومن مناقبه أيضا : ما رواه الحاكم أيضا بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال (شكا علي بن أبي طالب الناس إلى رسول الله ﷺ ، فقام فينا خطيبا فسمعته يقول : أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأخشن في ذات الله وفي سبيل الله) (١٢٩١) قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه فوافقه الذهبي .

ومن مناقبه العظيمة : وفضائله الكبيرة أن النبي ﷺ قد أخبر أن ابنته فاطمة وزوجها عليا وولدهما الحسن والحسين يكونان معه يوم القيامة في مكان واحد،(١٢٩٢) كما رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووفقه الذهبي .

ومن مناقبه : أن عمر رضي الله عنه كان يتعوذ من معضلةٍ ليس لها أبو حسن ، وروى البخاري بسنده إلى ابن العباس قال : قال عمر رضي الله عنه : أقرؤنا أبيّ وأقضانا علي (١٢٩٣) ،

وفضائله كثيرة مشهورة ، وقبل الختام أحب التنبيه على أمر مهم وهو أني أحذرك كل التحذير مما وضعته الرافضة لعنهم الله من المكذوبات في فضله رضي الله عنه وأرضاه فإنهم قوم بهت كذابون دجالون ، قطع الله ألسنتهم وأراح الأمة من شرهم وقد تصدى لفضح هذه المرويات وبيان زيفها وكذبها شيخ الإسلام والمسلمين أبو العباس بن تيميه رحمه الله تعالى في كتابه الكبير منهاج السنة ، فعلي رضي الله عنه قد ثبت له من الفضائل ما ذكرت لك ، وهو غني عن هذه

(١٢٩١) صحيح

أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٦٥٤)، وانفرد به.

من طريق: سليمان بن مُحَمَّد بن كعب بن عجرة، عن زينب بنت أبي سعيد، عن أبي سعيد الخدري، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات

(١٢٩٢) ضعيف

أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٦٦٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠١٦).

من طريق: داود بن أبي عوف، عن عبد الرحمن بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن أبي سعيد الخدري، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، خلا داود بن أبي عوف، فهو صدوقٌ شيعي، وهذا الحديث مما يوافق بدعته، فيرد.

(١٢٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا}(٤٤٨١).

الأباطيل والمرويات الكاذبة الفاجرة والله يحفظنا وإياك من زلل اللسان والعمل.والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفلا له في الدنيا والآخرة :ـ

من سبهم أو قال كفار هم فبه أحق الوصف بالكفران

أقول :ـ أما سبهم فموبقة عظيمة وجريمة وخيمة ، وهو محرم التحريم الشديد بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول فأما الكتاب فلأنه تعالى ذكرهم في غير آية أنه رضي عنهم ورضوا ووعدهم الثواب الجزيل والأجر العظيم ومن المعلوم أن هذا ثناء حسن وكل من أثنى الله عليه خيرا في القرآن فإنه يموت على ذلك ، فسبهم مصادمة لهذه الآيات وجاحدة لمدلولها فكيف يسب من قال الله فيهم {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: ١٠٠] وكيف يسب من قال الله فيهم {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨] وكيف يسب من قال الله تعالى فيهم {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الفتح: ٢٩] وكيف يسب من قال الله تعالى فيهم {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: ٨٨، ٨٩] وكيف يسب من قال الله تعالى فيهم {سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤] وأقول أيضا : إنه لا يختلف اثنان من أهل السنة أن الصحابة أكمل هذه الأمة إيماناً فقد حققوا فيه المراتب العالية ، وقد توعد الله تعالى من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بالعذاب

الشديد فقال {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٥٨] والسب من الإيذاء ، بل وأعظم من ذلك ، فإن سب صحابة الرجل الذين يصحبهم في حله وسفره وسائر أحواله هم أخص الناس به ، فسبهم وتنقصهم حقيقته سب وتنقص له ، وبناءً عليه فسب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سب للنبي ﷺ وتنقصهم والقدح فيهم هو في حقيقته تنقص له وقدح فيه وهو من إيذائه وقد قال الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا } [الأحزاب: ٥٧] فمن آذى الصحابة فقد آذى النبي ﷺ ، ومن آذى النبي ﷺ فقد آذى الله تعالى ، فنعوذ بالله من حال أهل الأهواء الذين جعلوا سب أصحاب رسول الله ﷺ دينا يدينون به وقربة يتقربون بها ومنهجا ومذهبا لهم ، وأما دلالة السنة على تحريم سب الصحابة فأدلة كثيرة :ـ

فمن ذلك ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه) (١٢٩٤)

ولمسلم :ـ كان بين خالد ابن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ (لا تسبوا أصحابي...الحديث) (١٢٩٥) ، وهو نص صحيح صريح في تحريم السب .

ومنها : ما رواه الإمام أحمد في المسند من هذا الحديث أيضا لكن من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان بين خالد بن الوليد و عبدالرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبدالرحمن بن عوف : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ـ فبلغ ذلك النبي ﷺ ـ فقال : (دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهبا أو مثل الجبال ذهبا لما بلغتم أعمالهم) (١٢٩٦)

(١٢٩٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (٢٥٤٠).

(١٢٩٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (٢٥٤١).

(١٢٩٦) صحيح

فهذان الحديثان اشتملا على النهي الأكيد والتحذير الشديد عن سب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، قال النووي رحمه الله تعالى (واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام ، من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون) (١٢٩٧) أ.هـ والنهي في الحديثين المتقدمين متوجه من النبي ﷺ لمن تأخر إسلامه وهو من جملة الصحابة ولا شك فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بحالٍ مع الصحابة ؟ لا شك أنه داخل في هذا النهي من باب أولى .

ومنها : روى أبو داود في سننه بإسناده إلى رباح بن الحارث فقال : كنت قاعدا عند فلان ، في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد : من يسب هذا الرجل ؟ فقال : يسب علياً ، فقال : ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير ؟ أنا سمعت رسول اله ﷺ يقول (أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة في الجنة) وسكت عن العاشر ، فقالوا : من هو العاشر ؟ فقال : سعيد بن زيد ـ يعني نفسه ـ ثم قال : والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح) (١٢٩٨) .

أخرجه أحمد في مسنده (١٣٨١٢)، وانفرد به

من طريق: أحمد بن عبد الملك، حدثنا زهير، حدثنا حميد الطويل، عن أنس، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(١٢٩٧) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٩٣).

(١٢٩٨) صحيح

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة، باب في الخلفاء، (٤٦٥٠)، وانفرد به.

من طريق: عبد الواحد بن زياد، عن صدقة بن المثنى النخعي، عن رياح بن الحارث، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، به.

فإسناده صحيح ورجاله ثقات.

ومنها : ما رواه ابن بطة بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع النبي ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة) .(١٢٩٩)

ومنها : ما رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان بإسناده أن يزيد بن هزاري لقي سعيد بن جبير بأصبهان فقال له : إن رأيت أن تفيدني مما عندك ؟ فحبس دابته وقال : قال لي ابن عباس : احفظ عني ثلاثا : إياك والنظر في النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة ، وإياك والنظر في القدر ، فإنه يدعو إلى الزندقة وإياك وشتم أصحاب رسول الله ﷺ فيكبك الله على وجهك في النار يوم القيامة) (١٣٠٠)

وقد أنعقد إجماع أهل العلم على تحريم سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تأيد ذلك بالمعقول أيضاً وذلك من وجوه :

الأول : أن سبهم مفض إلى ترك ما بلغوه من اشرع ، إذ كيف يؤخذ التشريع ممن يستحق اللعنة ، ففي الحقيقة أن سبهم يؤدي على نسف الشريعة ، وناهيك بهذا الأمر فضاعة وجرما فكان سبهم حراما وعظيمة من عظائم الآثام لأنه يفض إلى هذه النتيجة الخطيرة . وهو الذي يريده الرافضة عليهم لعائن الله المتتابعة ،

(١٢٩٩) حسن

لم أقف عليه عند ابن بطة،

وإنما أخرجه ابن ماجه في سننه، في فضل أهل بدر، (١٦٢)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤١٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠٦)، والالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢٣٥٠)،. وغيرهم.

من طريق: سفيان، عن نسير بن ذعلوق، عن ابن عمر، بلفظ: لا تسبوا أصحاب مُحَمَّد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره " .

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات، خلا نسير بن ذعلوق، فهو صدوق يحسن حديثه.

(١٣٠٠) إسناده ضعيف

أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٣٨١)،

من طريق: الحسن بن مزيد، الحسين بن مزيد، قالا: حدثنا أبونا مزيد بن هزاري: أنه لقي سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به.

فإسناده مسلسل بالمجاهيل، الحسن بن مزيد، والحسين بن مزيد، وأبوهما لم أقف لهما على ترجمة.

فالطعن في الصحابة والتجريح لهم مفاده إبطال جميع الأحكام الشرعية التي هم نقلتها ورواتها والمبلغون لها .

الثاني : أن المتقرر عند عامة العقلاء من المسلمين أنه لا تعارض نص صحيح مع عقل صريح ، وقد أثبت النص من الكتاب والسنة عدالتهم وأنهم خير الأمة وأبرها قلوبا وأكبرها عقولا وأصحهم فهوما وأن الله رضي عنهم ورضوا عنه وقد شهدت بعض النصوص لآحادهم بالجنة ، فهذا هو مقتضى النص ، فحيث ثبت أن هذا مقتضى النص فيكون أيضا هو مقتضى العقل فالعقل يقضي بما قضى به النص ، وسبهم وتنقصهم والقدح فيهم مناقض لدلالة النص ومبطل لها فيكون ضمنا مناقضا لمقتضى العقل ومصادما له فإن بذلك أن سبهم مناقض للمعقول ومصادم للمنقول .

الثالث : أن الذي يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما سيكون قد سطر لهم في كتابه أجمل الذكر والثناء وأعظم المدح ، وأخرج ذلك مخرج الأخبار التي لا يدخلها النسخ وأخبر أن كتابه هذا سيبقى إلى أن يرفع في آخر الزمان ، ولا تزال هذه الآيات التي فيها الثناء على الصحابة ومدحهم تقرأ في الربط والمدارس والمساجد والدور وتحفظ في الصدور ، فمحال مع ذلك أن يكون الحال قد اختلف ، وأن هذه الآيات لا تصح في دلالتها لأنها تمدح قوما حقهم السب والشتائم هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل ، بل نقول : إن كل من أثنى الله عليه في القرآن خيرا فإنه سيموت على ذلك ولا شك إذ لا تبديل في القرآن ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فما مدحهم الله هذا المدح ولا أثنى عليهم هذا الثناء إلا لأنهم أهله في حياتهم وبعد مماتهم وهذا وضح كل الوضوح إن شاء الله تعالى .

الرابع : أنه يستحيل في العقل السليم الاستحالة التامة أن يكون القوم الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرة دينه وإقامة شرعه وإبلاغ أحكامه أن يكونوا يستحقون اللعنة في باطن الأمر ، بل العقل السليم يرفض الرفض الأكيد أن يقدح فيهم ولو بكلمة ، ويفرض الفرض الأكيد أن يكون هؤلاء القوم هم أعلا الأمة فضلا وأكبرهم قدرا وأزكاهم عقولا وأبرهم قلوبا وأعظمهم إتباعا وأشدهم تمسكا ، ومن يقول غير ذلك فإنه لا عقل عنده ولا نقل يعتمد عليه ، بل ليس عنده إلا الهوى والجهل والحمق وإتباع الشيطان نعوذ بالله من حاله .

الخامس : أن من نظر في سيرة القوم بالعدل والإنصاف فإنه يعلم قطعا علو فضل الصحابة وأنه لا كان ولا يكون مثلهم ، ولذلك فإنه لا يقدح فيهم ولا يثرب عليهم إلا الجاهل بحقيقة حالهم ، وما هم عليه من كمال العلم النافع والعمل الصالح ، رضي الله عنهم وأرضاهم ورفع نزلهم في جنات عدن وجمعنا بهم في الجنة والله أعلم.

وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في حكم سابهم على قولين مشهورين ـ مع اتفاقهم على تحريم السب والقدح ـ

الأول : ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سب الصحابة رضي الله عنهم أو انتقصهم وطعن في عدالتهم وصرح ببغضهم وأن من كان هذه صفته فقد أباح دم نفسه وحل قتله إلا أن يتوب من بعد ذلك ويترحم عليهم ويترضى عنهم ، وممن قال بذلك عبدالرحمن بن أبي أبزى وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي وأبو بكر بن عياش وسفيان بن عيينة ومحمد بن يوسف الفريابي وبشر بن الحارث والمروزي ومحمد بن بشار العبدي وغيرهم كثير ، وهو قول بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية .

الثاني : وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن ساب الصحابة لا يكفر بسبهم بل يفسق ويضلل ويعزر التعزير البليغ ، ويزجر الزجر الشديد حتى يرجع عن ارتكاب هذا الجرم الخطير الشنيع وهذان القولان في الحقيقة ليس من خلاف التضاد وإنما من خلا ف التنوع أي أن أصحاب القول الأول لا يقصدون بقولهم كل صور السب ، أي لا يكفرون بكل سب ، وإنما يقصدون صور مخصوصة وأصحاب القول الثاني لا يقصدون أن الساب لا يكفر أبدا وإنما يعنون صورا مخصوصة ، ولذلك فالقول الجامع لهذه المسألة هو التفصيل في حكم ساب أصحاب النبي ﷺ وقد ذكر هذا التفصيل جمع من أهل العلم وهو كما يلي :

الأول : أما سب جميعهم ، أي سبهم على وجه العموم فهذا كفر ولا شك وذلك كلعنهم جميعهم أو اعتقاد أنهم ارتدوا إلا نفراً يسيراً أو القدح فيهم بما يوجب سقوط عدالتهم ويقدح في أمانتهم وديانتهم ، فهذا كله كفر ولا شك لأنه مكذب لما نص عليه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم ،

وقال أبو العباس : (بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق) (١٣٠١) .

الثاني : سب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سبا يقدح في عدالتهم وديانتهم كاعتقاد كفرهم أو أنهم كتموا شيئا من الوحي أو أنهم خانوا النبي ﷺ فهذا أيضا فاعله كافر ولا شك في كفره لمخالفته النصوص الكثيرة المتواترة التي وردت في فضلهما وعلو قدرهما كما تقدم طرف منها.

الثالث : سب عائشة رضي الله عنها بما برأها الله جل وعلا منه ، فهذا كفر بلا شك ، ومن يشك في كفره فهو كافر لأنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام براءتها من ذلك بالكتاب والسنة ، فحقيقة قوله تكذيب الكتاب والسنة ، وفاعل ذلك لا شك في كفره نعوذ بالله من أن تتفوه ألسنتنا بشيء من ذلك .

الرابع : إذا اقترن بالسب دعوى أن عليا إله أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة فهذا أيضاً لا شك في كفره ، بل لا شك في كفر من توقف في كفره ، ومثله أيضاً من زعم أن القرآن نقص منه آيات وأنها كتمت فهو كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة . والعياذ بالله .

الخامس : أن يسب بعضهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك ، فهذا لا يكفر بذلك ولكن فاعله يستحق التعزير الشديد والتأديب البليغ الذي يردعه وأمثاله عن هذا القول العظيم في خير الخلق بعد الأنبياء ،

قال أبو العباس (وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم) (١٣٠٢) أ.هـ

فهذا التفصيل هو الذي يجمع ما نقل عن أهل العلم في ذلك ، والله يتولانا وإياك وهو أعلى وأعلم .

(١٣٠١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (١/ ٥٨٧).

(١٣٠٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (١/ ٥٨٦).

فإن قلت :ـ وهل الصحابة يتفاضلون ؟ فأقول :ـ نعم وهذا مما لا شك فيه ، فأفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فهؤلاء أفضل الأمة بل هم أفضل الخلق بعد الأنبياء ، وأفضل هؤلاء الشيخان أبو بكر وعمر وأفضلهما أبو بكر فهو أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ ثم يأتي بعد هؤلاء الأربعة في الفضل بقية العشرة المبشرين بالجنة ، عبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح وسعد ابن أبي وقاس وسعيد ابن زيد والزبير ابن العوام وطلحة أبن عبيد الله و المتقرر عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أن المهاجرين أفضل من الأنصار وأن الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ، وأن أهل بدر وبيعة الرضوان أفضل من غيرهم فرضي الله عنهم وأرضاهم وأعلا درجاتهم في جنات عدن ولا حرمنا الله تعالى الحشر معهم والاجتماع بهم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر والله أعلم

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

والصمت حق عن خلاف قد جرى بين الصحاب وهم به قسمان

فالمخطئون لهم ثواب واحد أما المصيب فأجره ضعفان

ولهم فضائل جمة قد دونت تقضي على الزلات والعصيان

بل كل من أثنى عليه مليكنا بالمدح أو بالذم في القرآن

فلأنه سيموت وفق ثنائه كصحابة المعصوم والشيطان

أقول :ـ من المعلوم عند الجميع أنه قد حصل بين بعض الصحابة شيء من الخلاف أدى إلى نشوب القتال بين بعضهم ، فما عقيدتنا فيما شجر بينهم من أمر الفتنة والقتال ؟ والجواب :ـ مذهبهم في ذلك أفضل المذاهب على الإطلاق لأن مبناه على تعظيم قدرة الصحابة وعلو منزلتهم في قلوبهم ، فما من فرقة عظمت الصحابة كأهل السنة ، وما فرقة عرفت للصحابة فضلهم ومنزلتهم كأهل السنة ولذلك فهم يعتقدون وجوب السكوت وحبس اللسان وعدم الخوض فيما شجر بين

الصحابة رضي الله عنهم مع الاعتقاد الجازم أنهم فيما وقع بينهم مجتهدون وقد أخبر النبي ﷺ أن المجتهد المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد فهم رضي الله عنهم دائرون بين الأجرين والأجر فالمصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر واحد فهم مأجورون على كل حال ، ويعتقد أهل السنة أيضا أن غالب المرويات في الخلافة بينهم كذب وزور وكثير منه ضعيف من جهة سنده ، والصحيح منه نزر قليل يسير هم فيه مجتهدون ونشهد أن لهم من الفضائل والمحاسن ما يوجب مغفرة ما صدر من بعضهم من الخطأ إن صح عنه ذلك ونشهد بالله أنهم أحق الناس بشفاعة النبي ﷺ ، وأن هذا الخلاف لم يدخل فيه غلا نزر يسير منهم ، وأنهم بشر لا ملائكة ، وأن العصمة إنما هي في إجماعهم لا في قول آحادهم مع مخالفته غيره له ، ولا ندخل في هذا الخلاف ، ونقول : كما أن الله تعالى عصم أيدينا منهم ، فلنحرص على عصمة ألسنتنا منه ونعوذ بالله من أن نجعل صحابة الحبيب ﷺ فاكهة مجالسنا بالجرح والتثريب بل نفديهم بأرواحنا وقلوبنا وأموالنا وكل ما نملكه ولا يُمَسَّا أحدهم بسوء أو طعن ولا نقول إلا كما قال ربنا جل وعلا {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠] وعلى ذلك اتفقت كلمة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ،

قال أبو عثمان إسماعيل الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث (ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ونقصا فيهم ، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم ، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن ، والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين) .(١٣٠٣)

وقال ابن بطة في الإبانة (ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه ، وسبقوا الناس بالفضل ، فقد غفر الله لهم وأمر بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم ، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما

(١٣٠٣)عقيدة السلف أصحاب الحديث (١/ ٣٤).

سيكون منهم وأنهم سيقتتلون ، وإنما فُضِّلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم) (١٣٠٤)

وقال أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أئمة أهل الحديث (والكف عن الوقيعة فيهم وتأويل القبيح عليهم ويَكِلونهم فيما جرى بينهم على التأويل إلى الله عز وجل) (١٣٠٥)

وقد سئل الحسن البصري رحمه الله عن قتالهم فقال : (قتال شهده أصحاب رسول الله ﷺ وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا) (١٣٠٦)

وقال المحاسبي : (فنحن نقول كما قال الحسن ، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا ، ونتبع ما اجتمعوا عليه ، ونقف عند ما اختلفوا فيه ، ولا نبتدع رأيا منا ، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل ، إذ كانوا غير مهتمين في الدين ، ونسأل الله التوفيق)

قلت : ونحن نقول كما قالوا رحمهم الله تعالى ورضي عنهم . (١٣٠٧)

وقال أبو سليمان الخطابي : (أما ما شجر بين الصحابة من الأمور ، وحدث في زمانهم من اختلاف الآراء ، فإنه باب كلما قلَّ التَّسرع فيه والبحث عنه كان أولى بنا وأسلم ، ومما يجب علينا أن نعتقده في أمرهم أنهم كانوا أئمة علماء ، وقد اجتهدوا في طلب الحق ، وتحرَّوا جهته ، وتوخوا قصده ، فالمصيب منهم مأجور ، والمخطئ معذور ، وقد تعلق كل منهم بحجة ، وفزع إلى عذر ، والمقايسة عليهم ، والمباحثة عنهم ، اقتحام فيما لا يعنينا ...) (١٣٠٨)

وروى رحمه الله بسنده إلى الشافعي قوله : قيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في أهل صفين ؟ قال : (تلك دماء طهر الله يدي منها ، فلا أحب أن أخضب لساني

(١٣٠٤) الإبانة الكبرى (٢/ ٥٥٨).

(١٣٠٥) اعتقاد أئمة الحديث (١/ ٧٩).

(١٣٠٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٢/١٦).

(١٣٠٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٢/١٦).

(١٣٠٨) العزلة للخطابي (ص ٢٣) .

بها ، ونقول كما قال تعالى {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٣٤] (١٣٠٩)

فالخوض فيما شجر بين الصحابة والنيل منهم ليس دأب أهل السنة من منهجهم ، بل هو شأن أهل الأهواء وسبيل أهل الضلال ،

وقال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية (ومن أصول أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠] ،

وطاعة النبي ﷺ في قوله " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه") (١٣١٠) إلى أن قال رحمه الله تعالى (ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل

ويمسكون عما شجر من الصحابة ، ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون) (١٣١١)

فالواجب على المسلمين الترضّي عنهم، وطلب العذر لهم، والدفاع عنهم، فمذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يتدخلون فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم؛ لما لهم من الفضل والسابقة؛

(١٣٠٩) أخرجه أبو حاتم في : آداب الشافعي ومناقبه (ص ٣١٤) ، والبيهقي في : مناقب الشافعي (٤٤٩/١) ، وأبو نعيم في الحلية (١١٤/٩).

(١٣١٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (٢٥٤٠).

(١٣١١) العقيدة الواسطية (١/ ٢٦)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢).

ولقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" (١٣١٢)

وذلك لفضلهم، فمن تدخل فيما حصل بين الصحابة وصار في قلبه شيء، فهذا زنديق، فأما من قال: نتدخل فيما حصل بين الصحابة من باب البحث، فهذا خطر عظيم ولا يجوز، وبالمناسبة فإننا نحذر التحذير البليغ من بعض الأشرطة التي ظهرت لبعض من يتكلم في غير مجاله ، ينشر فيها ما حصل بين الصحابة في أمر الفتنة بالتفصيل ، ومعتمده في الأعم الأغلب على المرويات الواهية والنقولات الكاذبة ، فنحن نحذر من هذه الأشرطة ،ونحذر من قبول ما فيها على إطلاقه ، ونرى أن أسلم الطرق في هذه المسألة هو ما سلكه أهل السنة والجماعة رحم الله تعالى أمواتهم وثبت أحياءهم ، وهو ترك التنقيب والتوغل في أمر الفتنة ،

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين إما مصيبين لهم أجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم وما كان لهم من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسنى فإن الله يغفرها لهم إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك فإنهم خير قرون هذه الأمة كما قال صلى الله عليه و سلم " خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم "(١٣١٣) وهذه خير امة أخرجت للناس ونعلم مع ذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممن قاتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي أنه قال: "تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى

(١٣١٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (٢٥٤٠).

(١٣١٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، بَابٌ: لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ (٢٦٥١)، (٢٦٥٢)، كتاب المناقب، بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٦٥٠)، (٣٦٥١)، كتاب الرقاق، بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا (٦٤٢٨)، (٦٤٢٩)، كتاب الأيمان والنذور، بَابُ إِذَا قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، أَوْ شَهِدْتُ بِاللَّهِ (٦٦٥٨)، بَابُ إِثْمِ مَنْ لاَ يَفِي بِالنَّذْرِ (٦٦٩٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (٢٥٣٣)، (٢٥٣٤)، (٢٥٣٥).

الطائفتين إلى الحق" (١٣١٤) وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وأن عليا رضي الله عنه أقرب إلى الحق ، وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما رضي الله عنهم فاتبعوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتنة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث) (١٣١٥)

ومعنى الإمساك عما شجر بين الصحابة ، هو عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب و الخلافات على سبيل التوسع و تتبع التفصيلات ، و نشر ذلك بين العامة ، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة و الانتصار لأخرى ،

وقال ابن قدامة في اللمعة (ومن السنة تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و محبتهم و ذكر محاسنهم و الترحم عليهم و الاستغفار لهم ، و الكف عن ذكر مساوئهم و ما شجر بينهم ، و اعتقاد فضلهم و معرفة سابقتهم) (١٣١٦)

وقال الذهبي رحمه الله تعالى كما في السير (كما تقرر الكف عن كثير مما شجر بينهم ، و قتالهم رضي الله عنهم أجمعين و ما زال يمر بنا ذلك في الدواوين و الكتب و الأجزاء ، و لكن أكثر ذلك منقطع و ضعيف و بعضه كذب .. فينبغي طيه و إخفاؤه بل إعدامه لتصفوا القلوب ، و تتوفر على حب الصحابة و الترضي عنهم ، و كتمان ذلك متعين عن العامة و آحاد العلماء) إلى أن قال رحمه الله تعالى (فأما ما نقله أهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ، ولا كرامة فأكثره باطل و كذب و افتراء ، وفضيلة الصحبة و لو للحظة ، لا يوازيها عملٌ ولا تنال درجتها بشيء ، و الفضائل لا تؤخذ بالقياس) (١٣١٧)

وقال الآجري رحمه الله في كتاب الشريعة تحت باب ذكر الكف عما شجر بين أصحب رسول الله ﷺ ، و رحمة الله عليهم أجمعين (ينبغي لمن تدبر ما رسمنا من فضائل أصحاب رسول الله ﷺ و فضائل أهل بيته رضي الله عنهم أجمعين ، أن

(١٣١٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ (١٠٦٤)

(١٣١٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦، ٣٤٠٧).

(١٣١٦) لمعة الاعتقاد (١/ ١٧٥).

(١٣١٧) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩).

يحبهم و يترحم عليهم و يستغفر لهم ، ويتوسل إلى الله الكريم لهم - أي بالدعاء و الترحم والاستغفار و الترضي - ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا ، ولا يذكر ما شجر بينهم ، ولا ينقّر عنه ولا يبحث . فإن عارضنا جاهل مفتون قد خطي به عن طريق الرشاد فقال : لم قاتل فلان لفلان ، ولم قتل فلان لفلان وفلان ؟ قيل له : ما بنا و بك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا ولا تضرنا إلى علمها .فإن قال قائل : و لم ؟ قيل : لأنها فتن شاهدها الصحابة رضي الله عنهم ، فكانوا فيها على حسب ما أراهم العلم بها ، و كانوا أعلم بتأويلها من غيرهم ، و كانوا أهدى سبيلاً ممن جاء بعدهم ، لأنهم أهل الجنة ، عليهم نزل القرآن ، و شاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، و جاهدوا معه ، و شهد لهم الله عز وجل بالرضوان والمغفرة و الأجر العظيم ، و شهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير القرون ، فكانوا بالله عز وجل أعرف و برسوله ﷺ وبالقرآن وبالسنة ، و منهم يؤخذ العلم ، و في قولهم نعيش و بأحكامهم نحكم ، و بأدبهم نتأدب و لهم نتبع و بهذا أمرنا .فإن قال قائل : وأيش الذي يضرنا من معرفتنا لما جرى بينهم و البحث عنه ؟ قيل له : لاشك فيه ؛ و ذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا ، و عقولنا أنقص بكثير ، ولا نأمن أن نبحث عما شجر بينهم فنزل عن طريق الحق و نتخلف عما أمرنا فيهم .فإن قال قائل : و بم أمرنا فيهم ؟ قيل : أمرنا بالاستغفار لهم والترحم عليهم والمحبة لهم و الاتباع لهم ، دل على ذلك الكتاب والسنة و قول أئمة المسلمين ، وما بنا حاجة إلى ذكر ما جرى بينهم ، قد صحبوا الرسول ﷺ ، و صاهرهم ، و صاهروه ، فبالصحبة له يغفر الله الكريم لهم ، و قد ضمن الله عز وجل لهم في كتابه ألا يخزي منهم واحداً ، و قد ذكر لنا الله تعالى في كتابه أن وصفهم في التوراة و الإنجيل ؛ فوصفهم بأجمل الوصف ، و نعتهم بأحسن النعت ، وأخبرنا مولانا الكريم أنه قد تاب عليهم ، و إذا تاب عليهم لم يعذب واحداً منهم أبداً رضي الله عنهم و رضوا عنه{أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون} فإن قال قائل : إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالماً بما جرى بينهم ، فأكون لم يذهب عليّ ما كانوا فيه لأني أحب ذلك ولا أجهله .قيل له : أنت طالب فتنة ، لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك ، و لو اشتغلت بإصلاح ما لله عز وجل عليك فيما تعبدك به من أداء فرائضه و اجتناب محارمه كان أولى بك . و قيل له : ولا سيّما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه

من الأهواء الضالة - فما يقول رحمه الله لو رأى ما يحدث و يقال في زمننا هذا - .وقيل له : اشتغالك بمطعمك ، و ملبسك من أين ؟ هو أولى بك ، و تمسكك بدرهمك من أين هو ؟ و فيم تنفقه ؟ أولى بك .وقيل : لا نأمن أن تكون بتنقيرك و بحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك فتهوى ما يصلح لك أن تهواه ، و يلعب بك الشيطان فتسب و تبغض من أمرك الله بمحبته و الاستغفار له و باتباعه ، فتزل عن طريق الحق ، و تسلك طريق الباطل) (١٣١٨)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ، و لو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد و قد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد ، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً ، و أن المصيب يؤجر أجرين) (١٣١٩)

ويقول النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم : واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد - يعني قوله ﷺ "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل و المقتول في النار" – و مذهب أهل السنة و الحق إحسان الظن بهم ، و الإمساك عما شجر بينهم ، و تأويل قتالهم و أنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه المحق و مخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى الله ، و كان بعضهم مصيباً و بعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ لأنه اجتهاد و المجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه) (١٣٢٠)

وهذه المسألة مفصولة بين أهل العلم ، ولكننا نشكو إلى الله تعالى أناسا في هذا الزمان لبسوا لباس العلماء وصاروا يتكلمون بما لا شأن لهم به مما حذر أهل العلم من الكلام فيه ، ولم يسعهم ما وسع السلف الصالح من السكوت في هذه الفتنة ، وعدم التوغل وكثرة الخوض فيها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ونحن نشهد الله تعالى أننا لا نقرر في هذه المسألة لطلابنا إلا ما قرره أهل السنة

(١٣١٨) الشريعة (٥/ ٢٤٨٥).

(١٣١٩) فتح الباري (١٣/ ٣٤).

(١٣٢٠) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١١).

والجماعة ، ونسأله جل وعلا أن يثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وهو أعلى وأعلم .

وقول الناظم (فالمخطئون لهم ثواب واحد .. إلخ) يريد به قول النبي ﷺ " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد " (١٣٢١) والله أعلم .

وقوله (ولهم) أي وللصحابة (فضائل جمة) أي كثيرة لا عد لها ولا حصر ،(قد دونت) أي قد ثبتت لهم في الكتاب والسنة الصحيحة ، وسطرها أهل السنة في كتبهم العقدية وغيرها ، وهذه الفضائل الكثيرة والمناقب العالية الرفيعة (تقضي على الزلات والعصيان) أي أنها مذهبة بفضل الله تعالى لزلة المخطئ منهم في أمر الفتنة والقتال ، فإن الله تعالى يقول {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤] بل ونحن نؤمن أنهم أحق الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لأنهم أصحابه وأنصاره ووزراؤه ،

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى (وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ -، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ) (١٣٢٢)

فمن نظر بالعدل في سيرة الصحابة ورأى ما لهم من تلك المناقب الكبيرة والفضائل العظيمة علم أن ما أقدم عليهم من أمر القتال مع الحكم بخطئه فيه أنه لا يعدو أن يكون قطرة في بحر من المناقب والمزايا والفضائل ، والمتقرر عند أهل السنة أن من الإنصاف أن يغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه ،والمتقرر أنه إن كان الماء قلتين لم يحمل الخبث ،

(١٣٢١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ (٧٣٥٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود، بَابُ بَيَانِ أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، أَوْ أَخْطَأَ (١٧١٦).

(١٣٢٢) العقيدة الواسطية (١/ ٢٦)، ومجموع الفتاوي (٣/ ١٥٥).

ألا ترى أن النبي ﷺ قد تجاوز عن حاطب رضي الله عنه فعلته التي فعل من أمر إخبار المشركين بأمر قدومه ﷺ ، وعلل هذا التجاوز بأنه ممن شهد بدرا (١٣٢٣)، فانظر إلى تلك الحسنة العظيمة التي لا يقوم لها شيء في الدنيا ،

ألا ترى أن عثمان رضي الله عنه لما جهز جيش العسرة بالسلاح والإبل ، قال فيه النبي ﷺ " لا يضر عثمان ما فعل بعد اليوم " (١٣٢٤) أو كما قال ، وغيرها وغيرها كثير ، ولكن المشكلة في الأهواء التي تعصف بأهلها ، والله المستعان .

وقوله (بل كل من أثنى عليه إلهنا ... إلخ) هو يريد أن يقرر قاعدة ترد على أهل البدع الذين يقدحون في أصحاب النبي ﷺ ، وتلك القاعدة تقول (من أثنى الله تعالى عليه في القرآن بالخير أو بالشر فإنه يموت على ذلك) ومضرب مثالين :، مثال لمن أثنى الله تعالى عليهم بالخير وذكرهم بقوله (كصحابة المعصوم) أي في الثناء بالخير ، وضرب مثلا آخر لمن أثنى الله تعالى بالشر وذلك في قوله (والشيطان) فالصحابة أثنى الله تعالى عليهم في القرآن بالخير ومدحهم في آيات كثيرة ، فلما أثنى الله تعالى عليهم خير علمنا جزما أنهم سيموتون على ذلك ، لأن هذا خبر من أخبار القرآن ، ولا يمكن أن يدخله الخلف والنقض والنسخ ، والشيطان سيموت على الشر ، لأن الله تعالى ذكره بالشر والذم في القرآن ، وهذه القاعدة ترد على الرافضة الذين يزعمون أن الصحابة قد ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ إلا نفرا يسيرا منهم ، وهذا كذب وردة ، إذ كيف يكون الأمر كما قاله الرافضة والقرآن لا يزال يتلى في المحاريب والربط والمدارس وتحفظه الصدور وفيه من الآيات التي تمدح الصحابة وتثني عليهم الخير ؟ هذا لا يكون أبدا ، ولكن الرافضة قوم لا عقول ولا فهوم لهم، والمهم أن القاعدة صحيحة ، وقد قررها أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ، والله أعلم .

(١٣٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ الجَاسُوسِ (٣٠٠٧)، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح (٤٢٧٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَقِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ (٢٤٩٤).

(١٣٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٣٦٧٥)،

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

أطع الولاة بما تراه موافقا   للشرع لا في الكفر والعصيان

لا تخرجن عليهم إلا ترى   كفرا كنور الصبح بالبرهان

وابذل دعاءك بالصلاح متمما   هذا الدعاء بنصحهم بلسان

واصبر على جور الأئمة والأذى   فولاتنا أعمالنا بوزان

أقول :ـ لقد أجمع أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى على وجوب طاعة الحكام في غير معصية الله تعالى ، وأجمعوا على تحريم الخروج عليهم إلا أن نرى كفرا بواحا عندنا فيه من الله تعالى برهان ، مع غلبة الظن أن ننتصر عليهم ونبعدهم عن ولايتهم بدون إراقة دماء ، وأجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى على أن الجهاد والجماعات والجمعة تقام خلف الأئمة أبرارا كانوا أو فجارا ، وأنه لا يتخلف عن إقامته خلفهم إلا مبتدع ، وخلاصة الأمر أن عقيدتنا في ولاة الأمر في عدة أمور : ـإتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤال وجواب - (ج ١ / ص ٩٤)

الأول :ـ وجوب طاعتهم في غير معصية الله تعالى .

الثاني : تحريم الخروج عليهم بقولٍ أو فعلٍ ، وإن ظلموا أو جاروا أو استأثروا ببعض المال ، وإن ضربوا ظهرك وأخذوا حقك ، وقد أطبق على ذلك أهل السنة والجماعة لكنهم قيدوا ذلك بأمرين : أن نرى كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان ، وأن تكون عندنا القدرة الكافية على إبعاده وتنحيته عن هذا المنصب وتولية الأصلح ، وذلك مرده إلى العالمين بالمصالح والمفاسد لا إلى الأهواء والأحداث الذين لا يقدرون مصلحة ولا يراعون درء مفسدة ، بل همُّ الواحد منهم أن يطفئ حقد قلبه وغل نفسه ، فهذه الأمور الكبار مردها إلى أهل العلم الراسخين في علم الكتاب والسنة ، فإذا دخلت فيها الأهواء والأفكار المضللة وشهوات النفوس فناهيك عن الفساد والخراب والدمار على الأنفس والأموال ، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

الثالث : إقامة الجمع والجماعات وراءهم أبرارًا كانوا أو فجارًا ، ويدخل في ذلك الجهاد تحت لوائهم والحج معهم ، وقد وصف أهل السنة والجماعة - رحمهم الله تعالى - المتخلف عن إقامة ذلك بأنه من أهل البدعة .

الرابع: أنهم يعقدون قلوبهم على مناصحتهم بالحكمة والطرق الشرعية التي لا توجب المفاسد العامة ، بلا قدح ولا تشهير أمام العامة ، بل سرًا إذا سنحت الفرصة ، ولا ينزعون يد الطاعة عنه بمجرد فعلهم لشيء من الذنوب والمعاصي ، ويدعون لهم بالصلاح والهداية والتوفيق لعلمهم أن بصلاحهم صلاح أمور كثيرة في المجتمع وبفسادهم فساد أمور كثيرة في المجتمع ، ويحفظون فيهم قوله صلى الله عليه وسلم : ((ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئٍ مسلم)) ، (١٣٢٥)

وفي الحديث الآخر : ((إن الله يرضى لكم ثلاثًا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه أمركم)) (١٣٢٦) ،

وقوله ﷺ : ((الدين النصيحة)) - ثلاثًا - ثم قال : ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) (١٣٢٧) رواه مسلم ،

(١٣٢٥) صحيح

أخرجه ابن ماجه في سننه، في باب من بلغ علما (٢٣٠)، والطيالسي في مسنده (٦١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٤)، (١٠٨٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٧)، (٦٨٠)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧٢٧١)، والبيهقي في الآداب (٨٦٣).

من طريقين:

الأول: عبد الرحمن بن أبان عن أبيه،

والثاني: يحي بن عباد أبي هبيرة الأنصاري، عن أبيه،

كلاهما – أبان بن عثمان والد عبد الرحمن، وعباد بن شيبان والد يحي –عن زيد بن ثابت، به.

فإسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(١٣٢٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأقضية، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ (١٧١٥).

(١٣٢٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ (٥٥).

وهذه العقيدة لا تصلح أمور الدنيا إلا بها ، ونحن ندين الله تعالى بها ، وندرسها لطلابنا ونقررها في مؤلفاتنا ، وقد تواترت فيها الأدلة ، قال تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: ٥٩] فالله تعالى يطاع الطاعة المطلقة ، والنبي ﷺ يطاع كذلك الطاعة المطلقة ، لأن من أطاع النبي ﷺ فقد أطاع الله تعالى ، لأنه لا يأمر إلا بما فيه طاعة لله عز وجل ، ولذلك أعاد الفعل في المر بطاعة فقال { وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } وأما ولاة الأمور من العلماء والأمراء فإنهم إنما يطاعون فيما فيه طاعة لله تعالى ، ولذلك فقد عطف طاعتهم على طاعة الله والرسول ، وعلى ذلك تواترت الأحاديث النبوية ،

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - :أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال : «اسْمَعوا وأطِيعوا وإن استُعمِلَ عليكم عبدٌ حَبشيٌّ ، كأنَّ رأسَهُ زَبيبَةٌ ، مَا أقَامَ فيكُم كِتَابَ الله» (١٣٢٨) .رواه البخاري ،

وفي رواية : أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال لأبي ذَرٍّ : «اسْمَعْ ، وأَطِعْ ، ولو لِحَبَشيٍّ ، كأنَّ رَأْسَهُ زَبيبَةٌ» ، (١٣٢٩)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «مَنْ أطاعني فقد أطاعَ الله ، ومَنْ عصاني فقد عَصى اللهَ ، ومَنْ يُطعِ الأمِيرَ فَقَدْ أطَاعَني ، ومَنْ يَعصِ الأمِيرَ فقد عَصَانِي»(١٣٣٠) . متفق عليه

وفي رواية «وَإنَّمَا الإمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ ورَائِهِ ، وَيُتَّقَى به ، فإنْ أمَرَ بِتَقْوى اللهِ وعَدَلَ ، فإنَّ له بذلك أجرا ، وإن قال بِغيرِهِ ، كان عليه منه وزْرا» (١٣٣١)

(١٣٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى (٦٩٣)، كتاب الأحكام، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً (٧١٤٢).

(١٣٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، بَابُ إِمَامَةِ المَفْتُونِ وَالمُبْتَدِعِ (٦٩٦).

(١٣٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَاءِ الإِمَامِ وَيُتَّقَى بِهِ (٢٩٥٧)، كتاب الأحكام، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} (٧١٣٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ (١٨٣٥).

وعن وائل بن حُجر - رضي الله عنه - :قال : سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدٍ الجُعفيُّ رسولَ الله -ﷺ- قال : يا نَبيَّ اللهِ ، أرَأيتَ إنْ قَامَتْ علينا أُمرَاءُ يَسألُونَا حَقَّهم ، ويَمنعونَا حَقَّنا، فما تَأْمُرنا ؟ فأعْرَضَ عنه ، ثم سأله ، فَأعرَضَ عَنْه ، ثم سأله في الثانية - أو في الثَّالِثَةِ - فَجَذَبَهُ الأشعَثُ بنُ قَيسٍ ، فقال : «اسْمَعوا وأطِيعُوا ، فإنَّما عليهم مَا حُمِّلُوا ، وعليكم ما حُمِّلْتُم» (١٣٣٢) رواه مسلم ،

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله -ﷺ-: «إنَّها ستكُونُ بعدي أَثَرَةٌ ، وَأُمُورٌ تُنكِرُونَها» قالوا : يا رسولَ الله ، كيفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ ذلك مِنّا؟ قال : «تُؤدُّونَ الحَقَّ الذي عليكم ، وتَسألُونَ اللهَ الذي لكم»(١٣٣٣). متفق عليه ،

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «على المرء المسلم السَّمعُ والطاعَةُ فيما أحَبَّ أو كَرِهَ ، إلا أَنْ يُؤمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإن أُمِرَ بِمعصيةٍ، فلا سَمْعَ ، ولا طَاعَةَ» (١٣٣٤)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله -ﷺ- : «عَلَيْكَ السمعُ والطاعَةُ في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ ، ومَنْشَطِكَ وَمَكرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عليك» (١٣٣٥) أخرجه مسلم ،

(١٣٣١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَاءِ الإِمَامِ وَيُتَّقَى بِهِ (٢٩٥٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، بَابٌ فِي الْإِمَامِ إِذَا أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ كَانَ لَهُ أَجْرٌ (١٨٤١).

(١٣٣٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، بَابٌ فِي طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ وَإِنْ مَنَعُوا الْحُقُوقَ (١٨٤٦).

(١٣٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦٠٣)، كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا (٧٠٥٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ (١٨٤٣).

(١٣٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ (٢٩٥٥)، كتاب الأحكام، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً (٧١٤٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ (١٨٣٩).

(١٣٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ (١٨٣٦).

وعن عوف بن مالك - رضي الله عنه - : قال : سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ : الذين تُحبُّونَهُمْ ويُحبونَكُمْ ، وَتُصَلُّونَ عليهم ، ويُصَلُّونَ عليكم ، وَشِرارُ أَئِمَّتِكُمُ : الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ ، وَيُبْغِضُونكمْ ، وتَلْعَنُونَهُم ، وَيلْعَنُونَكم» قال : قُلنا : يا رسول الله ، أفَلا نُنابِذُهم عند ذلك ؟، قال : «لا ، ما أقاموا فيكم الصلاةَ ، لا ، ما أقاموا فيكم الصلاةَ ، ألا مَنْ وَلِيَ عليهِ وَالٍ ، فرآهُ يَأْتي شَيئا مِنْ مَعصيةِ اللهِ ، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا يَنْزِعَنَّ يَدا من طَاعَةٍ» (١٣٣٦) أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : أنَّ النبيَّ -ﷺ- قال : «مَنْ بَايَعَ إِمَاما فَأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ ، وثَمرَةَ قَلْبِهِ ، فَلْيُطِعهُ مَا استطاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا رَقَبةَ الآخِرِ».قُلْتُ : أنتَ سَمِعْتَ هذا من رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- ؟ . قال : سَمِعَتْه أُذُنَايَ ، وَوَعَاهُ قَلْبِي ، قلت: هذا ابنُ عَمِّكَ مُعاوِيَةُ يَأْمُرنَا أن نَفْعَلَ ، وَنَفْعَل ؟ قال : «أَطِعْهُ في طَاعَةِ الله ، واعْصِهِ في مَعصيَةِ الله» وعن أم سلمة - رضي الله عنها - أنَّ رَسولَ الله -ﷺ- قال : «إنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عليكُمْ أُمَرَاءُ ، فَتعرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ كَرِهَ فَقد بَرِئ ، وَمَن أَنْكَرَ فقد سَلِمَ، ولكن مَنْ رَضِي وتَابَعَ» ، قالوا : أفَلا نُقَاتِلُهمْ ؟ قال : «لا ، مَا صَلَّوا» (١٣٣٧)

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : أنَّ رسول الله -ﷺ- قال : «مَنْ كَرِهَ مِنْ أميرِهِ شَيْئا فَلْيَصبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِن السُّلطانِ شِبرا مَاتَ مِيتَة جَاهِلِيَّة».وفي رواية : «فَلْيَصبِرْ عليه ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبرا فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ».(١٣٣٨)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله -ﷺ- : «مَنْ خَرَجَ مِن الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الجماعةَ فماتَ ماتَ مِيتة جَاهلية ، وَمَنْ قَاتلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ ،

(١٣٣٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، بَابُ خِيَارِ الْأَئِمَّةِ وَشِرَارِهِمْ (١٨٥٥).

(١٣٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ (١٨٤٤).

(١٣٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» (٧٠٥٣)، (٧٠٥٤)، كتاب الأحكام، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً (٧١٤٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر (١٨٤٩).

يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أو يَدْعُو إلى عَصبَةٍ ، أو يَنْصُرُ عَصَبَة ، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَن خَرَجَ عَلى أُمَّتي يَضرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَها ، لا يَتَحَاشى مِنْ مؤمِنها ، ولا يَفي بِعَهدِ ذِي عَهدِها ، فَلَيْسَ مِني ، وَلَستُ منه» (١٣٣٩).أخرجه مسلم ،

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله -ﷺ- : «ثَلاثَةٌ لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ ، ولا يُزَكِّيهم ، ولهم عَذَابٌ أليم : رجلٌ بايعَ إمَاما، فَإن أعطَاهُ وَفَى لَهُ ، وإن لم يُعْطِهِ ، لم يَفِ لَهُ» (١٣٤٠) حديث صحيح ، والأدلة في هذا المعنى كثيرة ،

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على تقرير ذلك الأمر ودونوه في كتبهم العقدية المطولة والمختصرة ،

قال الطحاوي رحمه الله تعالى (وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ) (١٣٤١)

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى (وَيَرَوْنَ إقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ . وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ) (١٣٤٢)

فتبين بهذا أن أهل السنة يخالفون أهل البدعة: يرون السمع والطاعة لولاة الأمور ولو كان ولي الأمر فاجرا أو عاصيا أو ظالما، خلافا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والروافض الذين يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي والجور

(١٣٣٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر (١٨٤٨).

(١٣٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المساقاة، بَابُ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنَ المَاءِ (٢٣٥٨)، كتاب الشهادات، بَابُ اليَمِينِ بَعْدَ العَصْرِ (٢٦٧٢)، كتاب الأحكام، بَابُ مَنْ بَايَعَ رَجُلًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا (٧٢١٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ (١٠٨).

(١٣٤١) العقيدة الطحاوية (١/ ١٣).

(١٣٤٢) العقيدة الواسطية (١/ ٣٢)، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٥٨).

والظلم، هؤلاء مبتدعة فاسقون خارجون عن منهج أهل السنة والجماعة، مخالفون للنصوص، فينبغي للمسلم ألا يتشبه بالمبتدعة وأن يكون منهجه منهج أهل السنة والجماعة، فلا يجوز الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي والظلم، إلا إذا فعل ولي الأمر كفرا موصوفا بثلاثة أوصاف كما جاء في الحديث " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان " (١٣٤٣)

قال بعض أهل السنة في بيان الشروط التي تجيز الخروج على الحكام :ـ (أولا: أن يفعل كفرا لا يكون فسقا بل كفرا. ثانيا: أن يكون الكفر بواحا، يعني: واضح لا شك فيه ولا ريب، فإن كان فيه خلاف هل هو كفر أو غير كفر فلا.الثالث: عندكم من الله فيه برهان، أي دليل صريح واضح من الكتاب والسنة، هذه ثلاثة شروط.الرابع: وجود البديل المسلم الذي يحل محل ولي الأمر الكافر.الخامس : القدرة)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (إنهم - أي أهل السنة والجماعة - لا يجوزون طاعة الإمام في كل ما يأمر به ، بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة ، فلا يجوزون طاعته في معصية الله وإن كان إمامًا عادلاً ، فإذا أمرهم بطاعة الله أطاعوه ، مثل أن يأمرهم بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصدق ، والعدل ، والحج ، والجهاد في سبيل الله . فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله ، والكافر والفاسق إذا أمر بما هو طاعة لله لم تحرم طاعة الله ، ولا يسقط وجوبها لأمر ذلك الفاسق بها ، كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكذيبه ولا يسقط وجوب إتباع الحق لكونه قد قاله فاسق) (١٣٤٤)

وفي خطبة أبي بكر الصديق لما تولى الخلافة (أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم) (١٣٤٥)

(١٣٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» (٧٠٥٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ (١٧٠٩).

(١٣٤٤) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٨٧).

(١٣٤٥) أخرجه معمر بن راشد في الجامع (٢٠٧٠٢) عن أبي بكرٍ، به.

كما أن على المسلمين احترام الإمام العادل وتقديره والدعاء له وعدم إهانته حتى يكون له مهابة عند ضعاف النفوس ، فيرتدعون عما تمليه عليهم عواطفهم وشهواتهم ،

فقد روي عن زياد بن كسيب العدوي قال : كنت مع أبي بكرة - رضي الله عنه - تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق ، فقال أبو بلال : انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق ، فقال أبو بكرة : اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله » (١٣٤٦)

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط » (١٣٤٧)

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : (ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا) (١٣٤٨)

(١٣٤٦) ضعيف

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٤٣٣)، (٢٠٤٩٥)، والترمذي في سننه، في أبواب الفتن، باب (٢٢٢٤)، والبزار في مسنده (٣٦٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١٧)، (١٠١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٦٥٩).

من طريق: حميد بن مهران الكندي، عن سعد بن أوس، عن زياد بن كسيب العدوي، به.

ففيه: سعد بن أوس، وهو صدوق، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم، وشيخه مجهول، وقد وثقه ابن حبان،

وقال الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن غريب،

قلت: فلعله حسن متنه بشواهده، وضعف إسناده بسبب سعد بن أوس، وزياد بن كاسب، والله أعلم.

(١٣٤٧) ضعيف.

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (٤٨٤٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢١٩٢٢)، (٣٠٢٥٨) (٣٢٥٦١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٧)، وغيرهم.

من طريق: عوف بن أبي جميلة، عن زياد بن مخراق، عن أبي كنانة، عن أبي موسى الأشعري، به.

ففيه: أبو كنانة القرشي، وهو مجهول،

(١٣٤٨) صحيح

أخرجه معمر بن راشد في الجامع (٢٠٧١٥)، والآجري في الشريعة (١٤٧٠)، وابن زنجويه في الأموال (٤٧)،

وقال الفضيل بن عياض : (لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام لأن به صلاح الرعية ، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد) (١٣٤٩)

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء ، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم ، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم) (١٣٥٠) ،

وقول الناظم (فولاتنا أعمالنا بوزان) أي كما نكون يولى علينا ، فالرعية إن كانت صالحة مصلحة فالله تعالى يولي عليهم الصالح المصلح ، وإن كانت فاسدة زائغة فالله تعالى يعاقبهم بالوالي الظالم الفاسق ، قال تعالى {وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: ١٢٩]

ويروى أنه دخل رجل خارجي يُنقل عن علي رضي الله عنه أن رجلاً خارجياً قال له : يا علي ، لا يقول : يا أمير المؤمنين ، يقول : يا علي ، يا علي كيف دان الناس لأبي بكر وعمر ولم يدينوا لك ؟ قال : لأن أبا بكرٍ وعمر كان رجالهم أنا وأمثالي وكان رجالي أنت وأمثالك ، فأقام عليه الحجة .

قال بعض العلماء (إن تسليط ولاة الأمور على الناس بسبب ظلم الناس، وبسبب فساد أعمالهم وكما تكونوا يولى عليكم، فإذا أراد الناس أن يدفع عنهم فساد ولاة الأمور، وأن يصلح الله لهم ولاة الأمور، فليصلحوا أحوالهم) وحديث " كما

من طريق: أبي إسحاق، عن زيد بن يثيع، عن حذيفة، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات،

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٤٤٨)،

من طريق: زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك، عن حذيفة، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات،

وأخرجه البزار في مسنده (٢٨٤٨)،

من طريق: كثير بن أبي كثير، عن ربعي، عن حذيفة، به.

وإسناده صحيح، ورجاله ثقات،

(١٣٤٩) البداية والنهاية (١٠/١٩٩) .

(١٣٥٠) تفسير القرطبي (٥/٢٦٠) .

تكونون يولى عليكم " (١٣٥١) حديث ضعيف ، ولكن الآية تغني عنه ، والله أعلم .

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

لا تلعنن معينا إلا إذا ثبت الدليل به فشيء ثاني

لا تشهدن له بنار أو رضى وبجنة من دون ما برهان

أقول :ـ يجب أولا أن تعلم أن المؤمن ينبغي له أن يكف لسانه عن الناس ،

فإن النبي ﷺ قال " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " (١٣٥٢) وقد قدمنا لك الأدلة التي تحذر المسلم منزلات اللسان ، ومن جملة آفاته اللعن ، فالمؤمن لا ينبغي أن يكون لعانا ،

وعن أَبي زيدٍ ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاريّ - رضي الله عنه - ، وَهُوَ من أهلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، قَالَ : قَالَ رسُولُ الله - ﷺ - : ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإسْلاَمِ كاذِباً مُتَعَمِّداً ، فَهُوَ كَما قَالَ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ ، عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ)) (١٣٥٣) . متفق عَلَيْهِ .

(١٣٥١) ضعيف جدًا

أخرجه القضاعي في مسنده (٥٧٧)،

من طريق: المبارك بن فضالة، عن الحسن ، عن أبي بكرة، به.

والإسناد إلى مبارك بن فضالة لا يخلوا من راوٍ ضعيفٍ، أو مجهول.

(١٣٥٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابٌ: المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (١٠)، أي الإسلام أفضل؟ (١١)، كتاب الرقاق، بَابُ الِانْتِهَاءِ عَنِ المَعَاصِي (٦٤٨٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ (٤٠)، (٤١)، (٤٢).

(١٣٥٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ (٦٠٤٧)، كتاب الأدب، بَابُ مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ (٦١٠٥)، كتاب الأيمان والنذور، بَابُ مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى مِلَّةِ الإِسْلاَمِ (٦٦٥٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ (١١٠).

وعن أَبي هريرة - رضي الله عنه - : أنَّ رسُولَ الله - ﷺ - قَالَ : ((لاَ يَنْبَغِي لِصِدّيقٍ أنْ يَكُونَ لَعَّاناً)) (١٣٥٤) . رواه مسلم .

وعن أَبي الدرداءِ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رسُولُ الله - ﷺ - : ((لاَ يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ ، وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ) (١٣٥٥) . رواه مسلم .

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : ((لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ ، وَلاَ بِغَضَبِهِ ، وَلاَ بِالنَّارِ)) (١٣٥٦) رواه أَبُو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رسُولُ الله - ﷺ - : ((لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّان ، وَلاَ اللَّعَّانِ ، وَلاَ الفَاحِشِ ، وَلاَ البَذِيّ)) (١٣٥٧) رواه الترمذي ، وقال :حديث حسن .

وعن أَبي الدرداء - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رسُولُ الله - ﷺ - : ((إنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً ، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّماءِ ، فَتُغْلَقُ أبْوابُ السَّماءِ دُونَهَا ، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى

(١٣٥٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا (٢٥٩٧).

(١٣٥٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا (٢٥٩٨).

(١٣٥٦) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٢٠١٧٥)، والترمذي في سننه، في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة (١٩٧٦)، وأبو داود في سنن في كتاب الأدب، باب في اللعن (٤٩٠٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٢٠)، والطيالسي في مسنده (٩٥٣)، والروياني في مسنده (٨١١)، والحاكم في مسنده (١٥٠).

من طريق: قتادة، عن الحسن، عن سمرة، به.

إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(١٣٥٧) صحيح

أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٣٩)، والترمذي في سننه، في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة (١٩٧٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣٣٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٢)، والبزار في مسنده (١٥٢٣)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣٦٩)، والحاكم في المستدرك (٢٩).

من طريق: إسرائيل، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، به.

إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وهو على شرط الشيخين.

الأَرْضِ ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُهَا دُونَها ، ثُمَّ تَأخُذُ يَميناً وَشِمالاً ، فَإذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إلَى الَّذِي لُعِنَ ، فإنْ كَانَ أهْلاً لِذلِكَ ، وإلاَّ رَجَعَتْ إلَى قَائِلِهَا)) (١٣٥٨) . رواه أَبُو داود .

وعن عمران بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما ، قَالَ : بَيْنَمَا رسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - في بَعْضِ أسْفَارِهِ ، وَامْرأةٌ مِنَ الأنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رسُولُ الله - ﷺ - فقالَ : ((خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا ؛ فَإنَّهَا مَلْعُونَةٌ)) قَالَ عِمْرانُ : فَكَأنِّي أرَاهَا الآنَ تَمْشِي في النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أحَدٌ (١٣٥٩) . رواه مسلم .

وعن أَبي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ : بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ القَوْمِ . إذْ بَصُرَتْ بِالنَّبيِّ - ﷺ - ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الجَبَلُ فَقَالَتْ : حَلْ ، اللَّهُمَّ الْعَنْهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : ((لاَ تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ)) (١٣٦٠) . رواه مسلم .

فالواجب على المسلم أن يكف لسانه عن لعن من لا يستحق اللعنة ، والله أعلم .
ثم لا بد وأن تفهم ثانيا وفقك الله تعالى أن هناك نوعين من اللعن ، اللعن المطلق ، ولعن المعين ، والمتقرر عند أهل السنة رحمهم الله تعالى أنه اللعن العام المطلق لا يستلزم لعن المعين إلا بعد ثبوت الشرط وانتفاء الموانع ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الخمرة وشاربها (١٣٦١) ولكنه نهى مع ذلك نهى عن العن المعين الذي جلد فيها ، وقال " لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله "

(١٣٥٨) ضعيف
أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب في اللعن (٤٩٠٥)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٨١)، والبيهقي في الشعب (٤٧٩٩).
من طريق: يحيى بن حسان، عن الوليد بن رباح، عن نمران، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، به.
فإسناده ضعيف، ففيه: نمران بن عتبة الذماري، وهو مجهول.
(١٣٥٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا (٢٥٩٥).
(١٣٦٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا (٢٥٩٦).
(١٣٦١) حسن بمجموع طرقه

قال أبو العباس رحمه الله تعالى (فَنَهَى عَنْ لَعْنِهِ مَعَ إصْرَارِهِ عَلَى الشُّرْبِ لِكَوْنِهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، مَعَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ فِي الْخَمْرِ عَشَرَةً :"لَعَنَ الْخَمْرَ ، وَعَاصِرَهَا ، وَمُعْتَصِرَهَا ، وَشَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إلَيْهِ ، وَبَائِعَهَا ، وَمُبْتَاعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا". وَلَكِنْ لَعْنُ الْمُطْلَقِ لَا يَسْتَلْزِمُ لَعْنَ الْمُعَيَّنِ الَّذِي قَامَ بِهِ مَا يَمْنَعُ لُحُوقَ اللَّعْنَةِ لَهُ . وَكَذَلِكَ " التَّكْفِيرُ الْمُطْلَقُ " " وَالْوَعِيدُ الْمُطْلَقُ " . وَلِهَذَا كَانَ الْوَعِيدُ الْمُطْلَقُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَشْرُوطًا بِثُبُوتِ شُرُوطٍ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعَ) (١٣٦٢)

فالدليل ورد بلعن الكفار والظالمين وبعض أصحاب الكبائر ، ولكن تلك الأدلة وردت عامة مطلقة ، فنقول فيها كما وردت ، ونعلم جزما أن المعين لا يجوز لعنه إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع ، فنقول :ـ لعن الله الكافرين ،لعن الله الظالمين ، لعن الله من يشرب الخمر ، لعن الله السارق ، ونحو ذلك مما ورد الدليل بلعنه من الأعمال المحرمة ، ولكن فلانا السارق أو فلانا الذي يشرب الخمر لا يجوز لعنه بعينه ، إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع ، ولكن من ورد الدليل بلعنه بعينه فهذا نلعنه وبعينه ولا حرج ، ولكن الأولى في لعن الشيطان أن يترك ، وأن يستعاض عنه بالاستعاذة منه ، لا لأن لعنه فيه تورع ، لا ، بل لأنه مما يجب له الطرب والفرح والسرور والتعالي ، فنحن لا نريد أن نمكنه من ذلك ، المليح

عن رجل أنه قال : «كنت رَدِيفَ رسولِ الله -ﷺ- ، فعثرت الدابةُ ، فقلت : تعس الشيطان ، فقال : لا تقل : تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظَمَ حتى يكونَ

أخرجه أحمد في مسنده (٤٧٨٧)، (٥٣٩٠)، وابن ماجه في كتاب الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، (٣٣٨٠)، وأبو داود في سننه في كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر (٣٦٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢١٦٢٥)، وأبو يعلى في مسنده (٥٥٩١)، وابن الأعرابي في معجمه (١٤٦)،

من طريق: أبي طعمة الشامي، و الرحمن بن عبد الله الغافقي –كلاهما–عن عبد الله بن عمر، به.

وأبو طعمة الشامي، مولى عمر بن عبد العزيز، وهو مجهول، ومتابعه الرحمن بن عبد الله الغافقي، مجهولٌ أيضًا،

فبمجمزعهما يتقوى الخبر، فيحسن، والله أعلم.

(١٣٦٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢٩، ٣٣٠).

مثلَ البيت ، ويقول : لِقُوَّتي ، ولكن قل : بسم اللَّه ، فإنك إذا قلتَ ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذُّباب» (١٣٦٣) أخرجه أبو داود ،

والمهم في هذه المسألة أن تعلم ثلاثة أمور :ـ

ـالأول :ـ أنه يجب كف اللسان عن لعن من لا يستحق اللعن ،

الثاني :ـ أن ما ورد في الأدلة من اللعن العام فلا يجوز إنزاله على الأفراد إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، وقد شرحنا تلك الشروط في ضوابط تكفير المعين ،

الثالث :ـ أن من ثبت الدليل بلعنه بعينه فلا حرج في لعنه ، ولكن الأحسن ترك لعن الشيطان وأن تقول بدلها (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ويترك لعنه لا لإكرامه ، بل لزيادة إذلاله ، والله أعلم ؟

وقول الناظم (لا تشهدون له بنار أو رضى ... الخ) هذه طريقة أهل السنة في الشهادة ، لا يشهدون لمعين بجنة أو نار ، إذا رأوا أحداً على خير وإحسان وطاعة وعبادة وإقبال على الله قالوا : نرجو أن يكون من أهل الجنة ، أو نحسبه من أهل الجنة ، أو إن شاء الله من أهل الجنة . ومن أساء خافوا عليه النار ، بدون جزم بها، فأهل السنة لا يشهدون لأحد بعينه أنه من أهل الجنة إلا بما شهدت له النصوص: كالعشرة المبشرين بالجنة، والحسن، والحسين، وثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة بن محصن، وعبدالله بن سلام، وغيرهم مِن مَن ثبت له في

(١٣٦٣) صحيح

أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي (٤٩٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا عثرت به دابته (١٠٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٧٧٩٢)،

من طريق: خالد الحذاء، عن أبي تميمة، به.

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٠٥٩١)، (٢٠٥٩٢)، (٢٠٦٩٠)، (٢٣٠٩٢)، ومعمر بن راشد في الجامع (٢٠٨٩٩)، والبيهقي في الشعب (٤٨١٩).

من طريق: عاصم الأحول، عن أبي تميمة، به.

وكلا رجال الطريقين رجال ثقات، وإن كان في عاصم الأحول بعض الكلام، إلا أنه متابع لخالد الحذاء، فإسناد كلا الطريقين صحيح.

النصوص ، وكذلك في النار لا يُشهد إلا لمن شهدت له النصوص: كأبي لهب وأبي جهل، ومن عُرِف أنه مات على الشرك، وقامت عليه الحجة، وعلى الكفر يُشهَد له بالنار، ويشهد للكفار بالنار عموما: اليهود والنصارى والوثنيين، ويشهد للمؤمنين بالجنة عموماً، لكن المُعيَّن من أهل الجنة لا يُشهَد له إلا بدليل .والمعين كذلك من الكفار إلا إذا عرف أنه مات على الشرك وعلى الكفر، وقامت عليه الحجة، يشهد له بالكفر، ويشهد عليه بالنار .

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى (ونرجوا للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة) (١٣٦٤)

وعلق عليها الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى بقوله (مراده رحمه الله : إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالجنة، كالعشرة ونحوهم، كما يأتي ذلك في آخر كلامه. مع العلم بأن من عقيدة أهل السنة والجماعة الشهادة للمؤمنين والمتقين على العموم بأنهم من أهل الجنة ، وأن الكفار والمشركين والمنافقين من أهل النار ، كما دلت على ذلك الآيات الكريمات والسنة المتواترة عن رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن ذلك قوله سبحانه{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ}وقوله عز وجل {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} [التوبة: ٧٢] في آيات كثيرات تدل على هذا المعنى، وقوله سبحانه في الكفار {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر: ٣٦] وقوله سبحانه {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } [النساء: ١٤٥] ، في آيات أخرى تدل على هذا المعنى. وبالله التوفيق.) (١٣٦٥)

وقال أبو العباس في الواسطية (وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ) وقلت في القواعد المذاعة (مذهب أهل السنة أن لا نحكم لمعين بنار ولا جنة إلا من شهد له النص بذلك ، وذلك لأن هذه الأمور غيبية لا ندري عنها والأمور الغيبية مبناها على

(١٣٦٤) العقيدة الطحاوية (١/ ١٠).

(١٣٦٥) تعليق الشيخ ابن باز على متن العقيدة الطحاوية (١/ ١٠).

الدليل كما مضى ، لكن من شهد له النص بذلك فيجب علينا اعتقاد ذلك كالعشرة المبشرين بالجنة ، وثابت بن قسس بن شماس ، وعكاشة بن محصن ، وخديجة بنت خويلد ، وغيرهم ، ومن سهد له النص بالنار شهدنا له بذلك كأبي لهب ، والوليد بن مغيرة ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمرو بن لحي ، وغيرهم ، وهي قاعدة مضمونة واضحة لا تحتاج إلى تطويل) (١٣٦٦) والله أعلم.

* ثم قال الناظم عفا الله تعالى عنه وغفر له في الدنيا والآخرة :ـ

هذا جوابك فالتزمه مفصلا   واجعله زادا للمعاد الثاني

فلقد بذلت الوسع في تسطيره   ووسمته نونية السعداني

والله يغفر زلتي وخطيئتي   ويعيذني من نزغة الشيطان

أقول :ـ الأبيات واضحة ، وهي خاتمة هذه القصيدة ، وفي الختام فأسأل الله تعالى بمنه وكرمه وجوده أن يغفر لعبد العاجز الفقير الضعيف الذي لا حول له ولا قوة ، وأسأله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن لا يجعل أعمالنا وبالا علينا ، وأن يوفقنا وإخواننا لما الخير والهداية والصلاح ، وأن يوفقنا جميعا للعلم النافع والعمل الصالح ، وأن يغفر لنا زللنا وتقصيرنا في العلم والعمل والدعوة ، وأن يبارك في الجهود المبذولة في نصرة الدين وخدمته ، وأن يشرح لها الصدور ويجعلها أعمالا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يرفع نزل العلماء ، ويغفر لهم ، وأن ينفعنا بعلومهم ، وأن يجزيهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء ، وأن يهدي قلوبنا وجوارحنا لما فيه رضاه ، وأن يثبتنا على هذه العقيدة الطيبة المباركة إلى يوم لقاه ، وأن يعينا وخواننا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ، فهذا ما كتبته في هذا التعليق ، فإن كنت أحسنت فيه وأصبت في التقرير فهو محض فضل من الله تعالى وإن كنت أخطأت وجانبت الصواب في بعض المسائل الخلافية المذكورة فيه فهو مني ومن تقصيري ، اللهم رب اغفر لي في الدنيا والآخرة ، ووصيتي لمن اطلع عليه وانتفع بما فيه أن لا ينسى أن يدعو لي سواء في حياتي وبعد مماتي ، وأرجو من كل قارئ له أن لا يهمل ما حرصت على ذكره في بداية ذكر الأبيات ،

- (١٣٦٦) العقيدة الواسطية (١/ ٢٦).

من قولي (قال الناظم عفا الله عنه وغفر له في الدنيا والآخرة) فإنني كنت أعيدها وأكررها قصدا ، حتى تكون من الدعوة الباقية لي إن شاء الله تعالى ، فأرجوك أن لا تهمل قراءتها إن مررت عليها ، ومن حسن الفأل إن شاء الله تعالى أنني انتهيت من شرح هذه القصيدة وأن بجوار بيت الله الحرام ، وقد وقع الفراغ منه صبيحة السادس عشر من يوم الجمعة شهر شوال عام إحدى وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وأستغفر الله تعالى وأتوب ، ثم أستغفره وأتوب إليه ، ثم أستغفره وأتوب إليه من زلل اللسان والجنان والبنان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاملين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين.